

ونشر عبادي الذين يستمعون القول فيقيمون أحسنه
أولئك الذين هدى الله فبئذ لم يؤمنوا بالآيات

الْحَمْدُ

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر السبت غرة المحرم سنة ١٣٢٤ - ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم انا نحمدك على ما آتيت من المواهب والقوى ، وأنزلت من
البيئات والهدى ، ونصلي ونسلم على نبيك المصطفى ، الذي بعثته لإصلاح
جميع الورى ، ونستنظر رحمتك ورضوانك على من صلح باتباعه واهتدى ،
ثم أصلح بحاله وقاله وهدى ، « ١٨ : ١٠ » رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، « ولا تهلكنا بما فعل أهل السرف منا والهوى ،
وأكفنا اللهم شر من ظلم من رؤسائنا وبنى ، وفتنة من ضل من
عرشدينا وغوى ، وخسر من عصى من دهمائنا واعتدى ، واجعل اللهم
لنا على أئمران هذه الحوادث هدى ، ويسرنا بفضلك اليسرى ، وانقنا
بما أنزلت من الذكرى ، وآتنا ما وعدتنا في الآخرة والاولى ،
هذا ما يفتح به المنار سنته التاسعة - تذكير ودعاء ، يبعثهما أمل

ورجاء ، على حين سحلت صرائر الآمال ، وخويت من الرجاء قلوب الرجال ، وأحاط الخطر بالمسلمين من كل جانب ، وتنازع إرث ما بقي من أرضهم الأجنب ، بين سلطان يجارب العلم وسلطان يجاربه الجهل ، وأمير مفتون بالدين ، وأمير مغبون بالفقر ، وعالم ينافس بكسوة التشریف ، وعالم يحسد على الرغيف ، ومرشد يؤيد حكومة يستغل سلطتها ، ومرشد يخادع أمة يستدرّ غفلتها ، في بلاد أمات الاستبداد قلوب كبرائها ، وبلاد أفسدت الشهوات أخلاق أغنيائها ، دع ذكر البلاد التي نزع بين زعمائها شيطان السياسة ، فأغرام بالتنازع على الرياسة ، والأمة من وراء هؤلاء الكبراء تذلل كل يوم وتخزي ، سنة الله في القرون الأولى ، « ٢٠ : ١٢٨ »

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى *

نعم ان المسلمين أمسوا كالريش في مهب رياح الحوادث ، وكالفناء في مجرى سيول الكوارث ، لا رأي لخواصهم فيما يراد منهم ، ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب يد في تصرف حكمانا في سياستنا ، ويد في تصرف أموالنا في مصالحهم دون مصالحتنا ، ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافي آداب ملتنا ، وتودع في العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأى شيء بقي في أيدينا من شؤون أمتنا ، اللهم انه يقل فينا من بقي له أذن تسمع وعين تبصر ، وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل في هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة ، وثبات فيما يحاول من كشف العمة ، والرجاء بفضل الله تعالى محصور في هؤلاء الاتلين ، ومن يتصل بحزبهم حيناً بعد حين ، والماقبة للمتقين ، « ٢ : ٢٤٩ » كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ قُوَّةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * «٢٠: ١٣٢» وَأَمْرٌ أَهْلَكَ
 بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * ١٣٣
 وَقَالُوا لَوْلَا يَا تَيْنًا يَا يَهُ مِنْ رَبِّهِ: أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى *
 بلى قد جاءتنا صحف لأولين، فكانت مثالا للراأينافي صحف الآخرين،
 انه لم تستيقظ أمة من نومتها، ولم تبث دولة بعد موتها، الا بصيحة نهر
 من أولي الألباب، ومثقي العقول والآداب، الدين يغير الله ما في نفوس
 أقوامهم، بما يليق به من الحكمة في ذلاقة ألسنتهم ونفحات أقلامهم،
 فيستبدلون الاعتصام بالانقسام، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفرقة،
 والمقة والحب، بالبنضاء والمقت، وبذلك يشعر الافراد بمعنى الأمة، ويعاونون
 بالتعاون فيكونون أمة، «٤٠: ٨٥» سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدَخَلْتَ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ
 هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ * ٥٣: ٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ
 الَّذِينَ اسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى *
 ما المنار الا صحيفة أو صحف أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها
 سواء منهم من دعا الى الاصلاح قبلها ومن يدعو اليه معها ولتتكبير سواد
 الدعاة الذين يتعلمون للأمة، ويعملون للأمة، ويحيون للأمة، ويموتون في
 سبيل الأمة، بذلك صرحنا في فاتحة السنة الأولى وبذلك نصرح في كل سنة
 من السنين، مهتدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة خاتم النبيين والمرسلين؛
 اللذين هما ينبوع الهداية، واتباعهما عنوان السعادة، من تمسك بهما نجا، ومن
 تركهما ضل ووغى، وخزي في الآخرة والأولى، «٢٠: ١٢٤» وَمَنْ أَعْرَضَ
 عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * ١٢٥ قَالَ

رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * ١٢٧ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ
رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

هذه نذر الكتاب المبين، لمن ترك الاعتصام بحبله المتين، يجازى بالضيق
والضنك في معيشته الأولى، وبالعذاب في الدار الآخرة، وقد قال تعالى
وهو أقوم قبلاً، «١٧: ٧٢» ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضل سبيلاً * «فالدنيا مزرعة الآخرة، وسنة الله تعالى فيهما واحدة
فاذا سلكنا سبل الظلم والافساد، حتى زال عزنا وسلطاننا من البلاد، فلا
ينجينا في الآخرة لقب الاسلام، ولا الاتساب الى أولئك السلف الكرام، أما
سمع المغرور حديث الصحيحين: يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت
لأعني عنك من الله شيئاً» «٥٣: ٣٦-١» أم لم ينبا بما في صُحف موسى،
وإبراهيم الذي وفي * أن لا ترز وازرة ووزراً أخرى وأن ليس للإنسان إلا
ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * «

القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر، بما أصابهم وأصاب
دولهم من الخسر، الذي جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر، وبأخذ الامم والدول اياماً أخذاً ويلاً، «١٤١: ٤» ولكن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً * «نعم ان المؤمن يتلى ويفتن، ولكنه
لا يهن ولا يحزن، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين، «٣: ٣٩» ولا تنهوا ولا
تخزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين * ١١: ٢٢» ومن الناس من يعبد الله
على حرف فان أصابه خير أطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * « فما اتفم المفرورون
بهذه الذكرى ، ولا اتبعوا هذه الهداية العليا «٢٣:٥٣» ان يتبعون إلا الظن
وما تهوى الآتفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * «٢٤ أم الإنسان ما تمنى *
٢٥ فله الآخرة والاولى *

نعق به ناعق أئمة الجور ، ونصير الاستبداد والظلم ، أن لانجاة
لكم من البلاء الذي أصابكم ، ولا أمن لكم من الخطر الذي يوشك أن
ينزل بكم ، الا بفناء ارادكم في ارادة حكامكم ، لا بتغير ما في أنفسكم من
أوهام وخرافات ، وأخلاق ذميمة وعادات ، ولا بتربية العقل والارادة
على الاستقلال ، والتعاون على البر والتقوى والاشترك في الاعمال ، ولا
بجعل الشورى قاعدة الأحكام ، واقامة الشريعة في الحلال والحرام ، ولا
بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولا بالأمر بالعرف والنهي عن النكر ، -
وصاح بهم خطيب فتنة الوطنية ، أن لاحياة لكم بالرابطة المليية ، لأنها
ممقوتة في نظر أهل المدنية الغربية ، الذين سادوا بترك العصبية الدينية ،
فعلى أهل كل قطر إسلامي أن يعترفوا بسكان بلادهم الاولين ، ولا يجبوامن
هاجر اليهم من المؤمنين ، فضلا عن ايثارهم كما فعل الانصار مع المهاجرين ،
فما عتبه المسلمون الأ ولون من آداب القرآن ، قد نسخته مدينة أوربا في هذا
الزمان ، فالوطنية الوطنية ، الزموها تكونوا من الفائزين ، والدخلاء الدخلاء
احذروهم وان خدموا الامة والدين ، ان يبعون بدعوة الوطنية الا العصبية
الجاهلية والهوى ، وكثرة المرض والغنى ، والزلفى عند أهل المراتب العليا ،
٢٩:٥٣» فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * . ذلك

مبأنهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى»
 اختلفت عليكم الدعوة أيها المسلمون، وكل حزب بما لديهم فرحون
 «٢٤:٨ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ولرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»
 فله وحده دعوة الحق، وما خالفها فهو باطل أو فسق «٢٦: ١٥٠ فاتقوا الله
 وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسَلِينَ» ١٥٢ الذين يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يُصْلِحُونَ» ها نحن أولاء قد خرجنا عن استقلالنا الاجتماعي زمنياً
 طويلاً، أظننا فيه ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً، وأخذنا الأجنبي من
 ناحية سلطتهم أخذنا وبيلا، فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم قتيلاً، «٢٩:٢٦
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا.» ولا سبيل إليه إلا
 باتباع هدايته، والسير على سنته في خلقته، «٨٤:١٧ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ
 شَاكِلَتِهِ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا» ٩٢:١٠-١١ والليل إذا
 يَنشَى، والنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، إِنَّ سَمْعَكُمْ لَشَتَّى *
 فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَعْتَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى *

فعلينا أيها المسلمون وقد أعوزت النجاة، واختلفت دعوة الدعاة،
 أن تجيبوا داعي الله، وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله، لا إغلاء
 كلمة الله ومواساة عياله، واتق أسباب الفتن والمحن، والفواحش ما ظهر
 منها وما بطن، وصدق بالشرية الحسنى، والخليفة الفضلي، تصديق
 إذعان، يتبعه العمل بالجنان والاركان، والتعاون على البر والتقوى دون
 الأثم والعدوان، فإذا فعلتم ذلك يسر الله لكم خط النجاح اليسرى، وأقامكم

على طريق الفطرة المثلى ، وأعزكم في هذه الدنيا، ولكم في الآخرة الجزاء الأوفى ، ولا تكونوا ممن يخل بفضل نعمته ، واستغنى بالتعزز بماله عن الاعتزاز بأمنته ومولته ، وكذب في نفسه بان الشرعة الحسنى ، والخليقة الفضلى ، هي طريق السعادة الكبرى ، فان الله تعالى لا ييسر له بمقتضى سنته الاعسرى الخطتين ، وسوءى الطريقتين ، فيكون شقيماً بماله ، مضطرباً في حاله ، مبعثاً الى قومه وآله ، لافرق في هذه السنة ، بين الشخص والامة ، والامر في الشعوب أظهر لمن يرى ، فمارزى شعب بهذه الثلاثة الا وقع في مهاوي الردى ٩٢: ١١-١٣ وما يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهَدَى ، وَإِنَّا لَنَّا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى * .

هذا ضرب من ضرب هداية القرآن ، الذي دعا الى جميع الاصول التي فيها سعادة الانسان ، فجعل البرهان العقلي أساس العقائد ، وأقام بناء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد الى ما لشؤون البشر الاجتماعية ، من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية ، وأثبت أن الدين القيم الذي جاء به الاسلام ، هو اقامة سنن فطرته التي فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية ، واصلاح النفوس بالاخلاق المرضية ، واصلاح شؤون البشر الاجتماعية ، باقامة العدل والسير على السنن الكونية ، فمن أقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل وان سمي ملحداً أو دهرياً ، ومن هدمها كلها كان ملحداً في آيات الله وان سعى نفسه مسلماً حنيفياً ، ومن كان أقرب اليها ، كان حظّه من السعادة بمقدار سهمه منها ، ومتى تنازع شعبان أو أمتان ، كان الظفر لمن كان أقرب من هذه الأركان ، وهو الاقرب الى هداية القرآن ١٨: ٥٩ وتلك القرى اهلكتناهم لما ظلموا وجعلنا المهلكهم موعداً *

١٦:٧٧ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ١٧ لَنَقِصُّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا «٩:٨٧» فَذَكَرْتُ أَنْ تَفَعَّتِ الذِّكْرَى ١٠ سَيِّدًا كَرُمًا مِنْ يَخْشَى *

أما حزب الشيطان ، وأنصار الظلم والعدوان ، فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن ، هي اجتهاد اقل باب في هذا الزمان ، والداعي اليها عدو مبين لاهل الايمان ، وما علينا الا تقليد شيوخنا اهل الفقه والعرفان ، ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام ، على عواتق اهل السلطة المتغلبين على الأحكام ، ومنهم من يوجب الخضوع لكل ذي سلطان ، وان نسخ باستبداده القرآن ، وطنى بظلمه في الميزان ، ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ، ومنهم من يقول ليس لها الا المهدي المنتظر ، ومن ورائهم قوم آخرون صرخوا من الدين ، أنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين ، يقولون لارجاء للمسلمين بحياة مليية ، ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيا حياة وطنية فلا حياة لهم ، واذا لم يتبعوا خطوات أوروبا فلا مدنية لهم ، كل هذا وذاك مما ينادي به المسلمون الجغرافيون أو السياسيون ، ولهم شهوات من دون ذلك هم لها عاملون ، ولم ترد دعوة من هذه الدعوات أنكروا الرؤساء الرسميون ، والامراء المستبدون ، الا دعوة هذه الامة ، الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار ، وآذوا الاهل والانصار ، ودمروا على الدار ، واحتوا الكتب والاسفار ، وراقبوا الشيخ في عقر الدار ، حتى اختار الله له دار القرار ، وصادرونا في الوقف وتصددوا للعقار ، وهناك العالم الآثم ، يمد بغيه الحاكم الظالم ، هذا وقد كان لبلاد الحرية ، اصبع فيما كان في بلاد العبودية ، بعد

استثناء وإشمار ، بشأن الأخراج من الديار ، فكان نجاح المثير ، بديلا من خذلان المثير ، وطعن أشهر جرائد المسلمين اليومية ، ايماء الى تلك المقاصد الخفية أو الجلية ، وما زادنا ذلك الأرجاء بالله ، وانتظاراً لروح الله ، مع المعجز والتقصير ، وفقد العون والتصير ، فوعده تعالى هو الحق ، وما جاء به رسوله هو الصديق « ١:٥٣ والنجم اذا هوى * ٢ ماضل صاحبكم وما غوى * ٢٠: ١٣٥ قل كل متريبص فتربصوا فتعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى *

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

﴿ مباحث المنار الدينية ودعوته الى الانتقاد عليه ﴾

ان الفرض من مباحث المنار الدينية هو بيان ان الاسلام هو الحق الهادي الى سعادة الدنيا والآخرة ودفع شبه أعدائه عنه في عقائده وآدابه وأحكامه والدعوة الى الاهتداء به . وانما توجه الشبهات الى الكتاب والسنة لا الى أقوال العلماء والفقهاء فمن ثم كانت عمدة المدافع عن الاسلام والمحتج على حقيقته انما هي نصوص الكتاب والسنة . فترغب الى من يسألونا عن حكم الاسلام وأحكامه أن لا يقيدونا بمذاهبهم ومن أراد الانتقاد على المنار في أمر ديني فليؤيد انتقاده بالدليل كآية كريمة أو حديث محتج به لا بقيل وقال . الا اذا أخطأنا في نقل عن أئمة العلم الذين نستضيء بأنوار أفهامهم في الكتاب والسنة أو في الفهم أو في الأداء فللمتقدم أن يبين لنا ذلك . واننا نعيد القول كما بدأناه أول مرة بأننا ننشر كل ما ينتقده علينا العلماء والأدباء ، وما يشكل على عامة القراء ، فان كان المتقدم مصيبا اعترفنا وشكرنا ، وان كان مخطئا نبينا وأعدرنا ، ولا عذر لعالم يرى منا الخطأ فيسكت عليه بعد علمه بهذا وبأن الحق يدفع الباطل وبأن الله أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه ، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن يذم المنار بعد هذا أو يقدح في صاحبه ولم يبين له خطأه فهو فاسق مقتاب ، كاتم للعلم مذموم بنص الكتاب

باب العقائد

﴿ مسائل الاختيار والعادة والحكمة والحسن والقبح ﴾

تذكر ماورد السفاريني في هذه المسائل ليتم قراءة كتب الاشعرية ما في غيرها من الحقائق التي قد تخافها الى صواب ، وان الاقتصار على كتب طائفة معينة هو من قيود التقليد. قل في شرح قوله

﴿ وربنا يخلق باختيار من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿ وربنا ﴾ تبارك وتعالى ﴿ يخلق ﴾ ما شاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ﴿ باختيار ﴾ منه فذهب سلف الامة وائمتها ان الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الامور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له أسماء من اسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بهداه لم تكن سواء كان

ذلك على مثال سابق أولا والابداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق (من غير حاجة) منه تعالى إليه أي يخلق الخلق للحاجة إليه ولا (اضطرار) عليه فالحاجة المصاحبة والمنفعة والاضطرار الاجباء والاحواج والالزام والاكرام فالحاجة باعثة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول جمهور من ثبتت القدر وينسب الى السنة من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه وهو قول كثير من نقاة القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعلته لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فانه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء أو يكون وجودها أولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وأيضا فالعلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال - أول الفكرة آخر العمل - وأول البنية آخر المدرك - ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فن فعل فعلا المطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديما كان الفعل قديما بطريق الاولى فلو قيل انه يفعل لعلته قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل انه فعل لعلته حادثة لزم محذوران (أحدهما) ان يكون محلا للحوادث فان العلة ان كانت منفصلة عنه فان لم يمد إليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وان قدر أنه عاد إليه منها حكم كان ذلك حادثا فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك للعللة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان لعلته عاد التقسيم فيها فاذا كان كل ما يحدثه أحدثه لعلته ما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) ان تلك العلة إما أن تكون مرادة لنفسها أو لعللة أخرى فان كان الاول امتنع حدوثها لان ما أراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يوتخر

احداثه وان كان اثباتي فالقول في ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل فهذه
الحجج من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه
(التقدير الثاني) قول من يجعل العللة الغائية قديمة كما يجعل العللة الفاعلية قديمة كما يقوله
الفلاسفة القائلون بقديم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا
يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلا
ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر
عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا لانفي
بالعلة التامة الا ما تستلزم المعلول فاذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وان
لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود
الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم تكن
جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجديد سبب حادث والا
لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في
حدوثه كالقول في الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة
المستلزمة للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح بلا مرجح . ثم اكثر هؤلاء
يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لسكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة
الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب
بالذات لا فاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها
ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الارادة) هذا
القول يستلزم أن لا يحدث شيء وان كل ما حدث حدث بغير احداث محدث
ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك وما ذكر أن يقال لهم حدوث
حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتمعا فان كان ممتمعا
لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقديم حركات
الافلاك وان كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسماوات
والارض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم
من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حججكم على

التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الفائية وبطل ما تدكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحدائه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحدائه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الفائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فصل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين التقيضين وهو لاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وامثال ذلك (التقدير الثالث) وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كابي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لركة وألم يحمده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الام واما لالتداده وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل

سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء
وكل من فعل فملا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه
لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم علمتم أفعاله تعالى فرارا
من العبث فوقعتم فيه فإن العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة
تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا يمهله ولا يأخذ من العقلاء أحداً بالاحسان
إلى غيره ونفعه ونحو ذلك إلا لئله في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل
لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لآفي العاجل
ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر ومن ثم قال ﴿ لكنّه ﴾ تعالى وتقدس هذا
استدراك من مفهوم قوله انه يخلق بالاختيار أي لا بالذات خلافاً للمعتزلة ومن
واقفهم من غير حاجة اليه ولا اضطرار عليه غير أنه جل وعلا ﴿ لا يخلق الخلق سدى ﴾
أي هملاً بلا أمر ولا نهي ولا حكمة وه معنى السدى المهمل وابل سدى إذا كانت
ترعى حيث شئت بلا راع ﴿ كما أتى في النص ﴾ القرآني والسنة النبوية والآثار ما
هو كثير جداً أن الله تبارك وتعالى لا يفعل إلا الحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما
خلق شيئاً ولا قضاء ولا شرعه إلا بحكمة بالغة وإن تقاصرت عنها عقول البشر
﴿ فاتبع الهدى ﴾ باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته كما
لا تجحد قدرته فهو الحكيم القدير قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه
ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن واقفهم في مسألة التحسين
والتقبيح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن واقفهم من أصحاب أبي
حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن
الإمام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفي ذلك الأشعرية ومن واقفهم من أصحاب
مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وانفق الفريقان على أن الحسن والقبح إذا فسر بكون
الفعل نافعاً للفاعل ملاًماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له أنه يمكن معرفته بالعقل
كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء وهؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم
بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الأفعال التي أوجبها الله تعالى
وندى إليها هي نافعة لفاعلها ومصلحة لهم وجميع الأفعال التي نهي الله عنها هي

ضارة لفاعلها ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل مفسدة له والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبدو يقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبدو يسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقرون بأنه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه فإنه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره «لا ظلم عليك اليوم»

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعله في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني أهمها لعله وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاة عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجود الصلاح ولهم في الاصلاح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة قال شيخ الاسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والاكثر على التعليل والحكمة وهما هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أوقائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضاً

قولان وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟
 فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني
 إسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم)
 ونظائرهما ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشتمال الافعال على الحكم والمصالح جوارزا
 عند أهل السنة ووجوبها عند المعتزلة فيفضل ما يريد بحكمته وتقدم ان النافين
 للحكمة والعلة احتجوا مما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو
 محال ومن حدودها افتقارها الى علة أخرى وأنه يلزم التسلسل قال الامام الرازي
 وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنعته ولا علة لصنعه وما أجاب به من قال
 بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالارادة فاما قديمة ومتعلقها
 حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ
 الاسلام وجمعا من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة في أفعال الباري جل وعلا وأقاموا
 على ذلك من البراهين ما لعله لا يبقى في مخيلة الفطيين السالم من ربة تقليد الاساطين
 أدنى اختلاج وأقل تخمين وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجاب
 وأجيب وأتى بما يقضي منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و(مفتاح دار
 السعادة) وغيرها فما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين
 اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
 ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فأنكره من جهة
 قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز
 ان يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحساب
 باطل والله متعال عنه لما فانه لحكمته فقال تعالى (أحسب الانسان ان يترك
 سدى) فانكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جعل في العقل
 استباح ذلك واستهجانه وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله
 قوله تعالى (أفحسبتم ان ما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) فعلى الله الملك
 الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا

الحسبان وأنه متعال عنه فالإبليق به لقبه ومنافاته الحكمة وهذا يدل على إثبات المعاد بالعقل كما يدل على إثباته بالسمع ثم إن ابن القيم بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين أحدهما في التلازم بين الحسن والقبح العقليين وبين الإيجاب والتحرير شاهداً وغائباً والثاني في انتفاء اللازم وثبوته فأما المقام الأول فلهبني الحسن والقبح فيه طريقتان أحدهما ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني إثبات الحسن والقبح وأربابه يقولون بإثباته ويصرحون بنفي الإيجاب قبل الشرع على العبد وبني إيجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كأبي الخطاب وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الإمام المشهور وغيره وهو لا يفي نفي الإيجاب العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فالأقوال أربعة لا يزيد عليها (أحدها) نفي الحسن والقبح ونفي الإيجاب العقلي في العمليات دون العلميات كالمعرفة وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف أنه لا تلازم بين الحسن والقبح وبين الإيجاب والتحرير العقليين فهذا أحد المقامين

(وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوته فلتناس فيه ههنا ثلاث طرق أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحرير العقليين شاهداً وغائباً وهذا قول المعتزلة وهو لا يقولون : يترتب الوجوب شاهداً ويترتب المدح والذم عليه . وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبت منهم يقولون إن العذاب الثابت بعد الإيجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الإيجاب العقلي وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الإيجاب والتحرير العقليان غائباً فهم مصرحون بهما ويفسرون ذلك بالزوم الذي أوجبه حكمته وأنه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب والغوب فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضته ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمنافاته كاله وغناه قالوا وهذا في الأفعال نظير ما يقول أهل السنة في الصفات أنه يجب له كذا ويمتنع عليه

كذا فكما ان ذاك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه استحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالات القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين النقيضين وبابه فقابلوا المترلة أشد مقابلة واقسما طرفي الافراط والتفريط ورد هؤلاء الوجوب والتحرير الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحرير عندهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والمخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلاً كتحرير الظالم على نفسه فأنهم يفسرونه بالاستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتنزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الأشعرية ومن وافقهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فإن الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بعقولها حرمت عليه وأوجبت ما لم يجرمه على نفسه ولم يوجب على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتنزه عنه لما فاته حكمته وكأله والفرقة الوسطا أثبتت له ما أثبتت لنفسه من الايجاب والتحرير الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبته الى ضده لانه موجب كماله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعتها بعقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي» وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون قتيلاً) فأخبر بتحريره على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارادته والناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزهه عن فعله وارادته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشبهوه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضر بواله من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك مشبهة ممثلة في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل

الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثله في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية المظلة امتنعت من اثبات المثل الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثله في صفاته بالجoadات الناقصة بل بالمدومات وأهل السنة تزوهوه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال وتزهوه فيها عن الشبيه والامثال فأثبتوا له المثل الأعلى ولم يضربوا له الامثال فكأنوا أسعد الناس بمعرفته واحقهم بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم التزم أصحاب هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة مالا قبل لهم به فقالوا اذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الاعانة فقد ظلمه والتزموا انه لا يقدر أن يهدي ضالا كما زعموا أنه لا يقدر أن يضل مهتديا وقالوا انه اذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعانتة على فعل المأمور كان ظلما وأنه اذا اشترك اتنان في ذنب يوجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظلما الى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها ترك تسويته بين عباده في فضله وإحسانه ظلما فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الامور الممتعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له تعالى ولا انه تركه بمشيئته واختياره وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما ونحو ذلك والافكل ما يقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس بظلم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا الحديث به وأسندوا ذلك وقوه بآيات وآثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فأنهم عبادك) يعني لم تتصرف في غير مالك بل انما عذبت من مالك وعلى هذا فجوزوا تعذيب كل عبده ولو كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما وقوله تعالى (لا يستل عما يفعل وهم يسئلون) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وبما روى عن اياس بن معاوية قال: ما نظرت بعقلي كله أحدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وأن تتصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء: والتزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب انبياءه ورسله وملائكته

وأولياؤه وأهل طاعته ويخلد هم في العذاب الاليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجمته وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار ممتنعاً لاخباره أنه لا يفعله لا لمنافاة حكمته ولا فرق بين الأمرين بالنسبة إليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لأرادته وخبره وامتنع ضده لعدم ارادته وإخباره بأنه لا يكون، والتزموا أيضاً أنه يجوز أن يعذب الأطفال الذين لا ذنب لهم أصلاً ويخلد هم في الجحيم وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معاً أصحاب التفسير الثالث وقالوا: الصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمة الله على نفسه وتنزه عنه فعلا وإرادة هو ما فسره به سلف الأمة وأئمتها أنه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا تكتسب يده ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها إذا قارنها أو طراً عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين التقيضين وقلب القديم محدثاً والمحدث قديماً فما يتنزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلماً وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين. قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه أن عذبهم فانهم عباده وأنه غير ظالم لهم وأنه لا يستل عما يفعل وإن قضاءه فيهم عدل وبمناظرة آياس القدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حتى يجب القول بموجبها ولا تحرف معانيها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل على أنه يجوز عليه تعالى أن يعذب أهل طاعته وينعم أهل معصيته ويعذب بغير جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة وكمال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضعه العقوبة والثواب مواضعهما وأنه لم يعدل بهما عن مسبيهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وأنه ليس فوقه أمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال وأنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعدياً لحقه

عليهم وكأروا ذلك مستحقين للعذاب لان أعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا ولا أنت يا رسول الله قال «ولا أنا الا ان يتعدني الله برحمة منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمنها لها فانها خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمتهم لكانت رحمتهم خيرا من أعمالهم» فجمع بين الامرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالم لهم وانه لو رحمتهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم اذ رحمتهم خير لهم من أعمالهم فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقيل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لانسبة لها الى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تنقضاء شكرا والعبد لا يقوم بقدوره الذي يحب الله عليه فجميع عبادته تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لان حيث كونه قادراً عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمتهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرير والله أعلم اه

(المنار) أيها الأشعري انك تربي في هذه الجملة من القول عن أئمة الامة ما ينبئك بحقيقة معنى العلة والحكمة وأن كلا من المعتزلة والاشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى ، وأن مذهب السنة الصحيح وسط بين المذهبين وأن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهباً معيناً دون النظر في كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الآخذ مني ربة التقليد ولا يهديه الى طريقة التمهيص والتحديد وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من لقبهما به من العلماء الاعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعده ورحمته وفضله كما يدلان على قدرته وإرادته واختياره يستحيل عليه تضادها فكل أفعاله حكمة ومصلحة للخلق والحكمة أو المصاحفة في الفعل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فاجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تمكفر أو تضلل أحدا من أهل القبلة اذا هو خالف مذهبك بالعلة أو غير العلة

فتاوى المتبائن

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتسريح غالباً وورعاً ما قدمنا من آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعاً أجنبياً غير مشترك لئلا يظن هذا ، ولأن عني على سؤاله شهران وثلاثة ان يدكره مرة واحدة قال لم تذكره كان لنا عذر صحيح لافعاله

﴿ الاسئلة الجاوية في سماع آلات اللهوى ﴾

جاءتنا الاسئلة الآتية من جاوه فأرجأنا الجواب عنها حتى نسيناها بسقوط صحيفتها بين الرسائل المهيلة ثم رأيناها الآن فنذكرها سرداً ثم نجيب عنها والظاهر انها عرضت على غيرنا ولكن لم نسمع لها صدى وهي
(السؤال الاول)

ماقولكم متع الله بحياتكم وأحيا بكم معالم الدين وشريعة سيد المرسلين في تصريح الأئمة المشهورين الذين هم من حملة الشريعة المطهرة بتحريم سماع الأوتار التي هي من آله الملاحية المحرمة كالعود المعبر عنه بالقنبوس وتصريحهم بأنها شعار شربة الخمر وبفسق مستمعها وتأنيمه وبرد شهادته (وذلك) كقول حجة الاسلام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ما معناه فحرم ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير الى قوله فيحرم التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى (وقوله) فيه أيضا ومنها أي المنكرات سماع الأوتار أو سماع القينات الى ان قال فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات انتهى (وقوله) أيضا يحرم السماع بخمسة عوارض الى قوله والثاني الآلة بأن تكون من شعار الشربة والخمسين وهي المزامير والأوتار انتهى (وكقول) الشيخ ابن حجر في التحفة ما ملخصه ويحرم استعمال آله من شعار الشربة كقنبور وعود ورباب ومزمار وسائر أنواع الأوتار لأن اللذة الحاصلة منها تدعو الى فساد ولانها شعار الفسقة والتشبه بهم حرام انتهى (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي . (وقول) الشيخ ابن حجر في كتابه

الزواج عن اقرار الكبار ما معناه من استمع الى شيء من هذه المحرمات فسق
وردت شهادته انتهى (وقوله) فيه أيضاً أما الزامير والاوزار والكوبة فلا يختلف
في تحريم استماعها وكيف لا يحرم وهو شعار أهل الخمر والفسوق ومبيح للشبهات
والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيره
انتهى ملخصاً. وقد أورد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في كتابه النصائح
الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه: اذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها
البلاء: وذكر من جعلتها اتحاد القينات والمعازف يعني الملاهي من الاوزار والزامير
(وقول) الحبيب عبد الله بن حسين في كتابه سلم التوفيق في عدد كبائر الذنوب
مالقظة: واللعب بالآلات اللهي المحرمة كالطنبور والرباب والمزمار والاوزار: وكتصريح
هؤلاء الأئمة تصريح غيرهم من حملة الشريعة المحمدية بالتحريم واتفاقهم عليه
حيث اتفقوا على تحريم العود وهو القنبوس وما ذكر معه وعلى تفسيق فاعله وسماعه
وعلى رد شهادتهم (فيل) قول هؤلاء الأئمة وتصريحهم بما ذكر معتمد في
المذهب ومعمول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو اجتناب هذا المحرم المتفق عليه
وعلى تفسيق فاعله أم لا

﴿ السؤال الثاني ﴾

وما قولكم مع الله بحياتكم وحفظ بكم الشريعة المطهرة في تصريح هؤلاء
الأئمة وغيرهم من المحققين موافقة للمذاهب الاربعة في الرد الشنيع على من أباح
تلك الآلة المحرمة كتصريح الشيخ ابن حجر في التذمة بتولاه اني رأيت هافت
كثيرين على كتاب لبعض من أدركناهم من صوفية الوقت تبع فيه خراف ابن
حزم وأباطيل ابن طاهر وكذبه الشنيع في تحليل الاوزار وغيرها ولم ينظر لكونه
مذموم السيرة مردود القول عند الأئمة ووقع بعض ذلك للادفوي في تأليف له
في السماع وانيره وكل ذلك يجب الكف عنه واتباع ما عليه أئمة المذاهب الاربعة
وغيرهم انتهى بالاختصار (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي وغيرها (وكتصريح)
الشيخ ابن حجر في الزواج بقوله وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبية انه كان
يبيح سماع العود ويسمعه وانه مشهور عنه ولم يكن من علماء عصره من ينكر عليه

وان حله ما أجمع عليه أهل المدينة فقد ردوه على ابن طاهر بأنه مجازف إباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ومن ثم قال الأذريعي عقب كلامه هذا وهذه مجازفة وانما فعل ذلك بالمدينة أهل المجانة والبطالة ونسبة ذلك الى صاحب التنبيه كما رأيت في كتاب له في السماع نسبة باطلة قطعاً وقد صرح في مهبذه بتحريم العود وهو قضية ما في تنبيهه ومن عرف حاله وشدة ورعه ومتين ثقواه جزم ببعده عنه وطهارة ساحته منه انتهى (وكتصر يرح) الشيخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم بقوله

فاجزم على التحريم أي جزم والرأي ان لا تتبع ابن حزم
فقد أبيضت عنده الاوتار والعود والطنبور والمزمار

(وتصر يرح) الشيخ ابن حجر أيضاً في الزواجر بقوله ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه انه بلغ من التعصب الى ان حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه فلا يحل لاحد التعويل عليه في شيء من ذلك انتهى (وقوله) أيضاً في موضع آخر فقد حكيت آراء باطلة منها قول ابن حزم وقد سمعته أي العود ابن عمر وابن جعفر رضي الله عنهما وهو من جموده على ظاهر يته الشنيعة القبيحة وما زعمه من هذين الامامين ممنوع ولا يثبت ذلك عنهما وحاشاهما من ذلك لشدة ورعهما وبعدهما من الله وانتهى ملخصاً وقول الشيخ الرملي في النهاية وما حكى عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد انهما كانا يسمعان ذلك فكذب انتهى (فهل) تصر يرح هؤلاء الاثمة الذين هم حملة الشريعة المطهرة بهذا الرد الشنيع على أهل الاوتار وتكذيب تقولهم معتمد في المذهب ومعمول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو عدم جواز التعويل ولا الالتفات الى من أحل الاوتار وعدم جواز نسبة سماعها الى أحد من العلماء أو الصالحاء أم لا

(السؤال الثالث)

وما قولكم متع الله بكم وشيد بكم أركان الدين في شأن سيرة السلف الصالحين من العلويين وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم في شدة مجاهدتهم واجتهادهم واستغراق أوقاتهم في تحصيل العلوم بشرائطها وآدابها ثم اجتهادهم في العبادة من دوام القيام وسرد الصيام بكامل المتابعة وشدة المجاهدة للنفس ومكابلتها والورع والزهد

كما لا ينبغي على من اطلع على كتب تراجمهم ومناقبهم رضي الله عنهم كالشرع الروي والجوهري الشفاف والبرقة المشيقة وغير ذلك ان كثيرا منهم من يصلي الصبح بوضوء العشاء في عدة سنين كثيرة وختم القرآن بعدد كثير من زمن يسير وغير ذلك من الاعمال الصالحات مع غاية الزهد والورع وترك ملاذ الدنيا المباحة فضلا عن المحرمة وغير ذلك من أوصافهم الحميدة وشدة مجاهدتهم ما يحير عقل من وقف على سيرتهم ومن مخالفتهم للنفس والهوى ما يقطع يقينا على بعد ساحتهم عن الملاهي ونظافة ساحتهم من المناهي (فهل) يسوغ للمؤمن بالله ان ينسب الى أحد منهم سماع العود الذي اتفق الأئمة الشرعية على تحريمه وتفسيق فاعله حتى يعتقد الفوغاء بسبب هذه النسبة والاقراء حل سماع العود وأنه من شعار الصالحين أم لا يسوغ ذلك

(السؤال الرابع)

وما قونكم متع الله بكم وصان بكم شريعة سيد المرسلين فيما اذا سمع هذا القنبوس اناس من المترسمين بالعلم أو من أهل البيت النبوي بحيث يقتدي بهم الفوغاء ويحتجون بسماعهم له على جواز سماع القنبوس (فهلا) يعظم وزر المقتدي بهم ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ سَنَّ سِنَّ سَيِّئَةٍ فَعَلَيْهِ وَزَرَهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلِ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أم لا

(السؤال الخامس)

وما قولكم متع الله بكم وذب بكم عن شريعة سيد المرسلين من دعاوي الكاذبين في مانص به السلامة السيد مصطفى العروسي في كتابه نتائج الافكار وهو قوله: (تنبيه) ان قال قائل نحن لانسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله لا بمحظوظ البشرية قلنا له كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك وما وصفك من حب الشهوات وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فإنه مفتر كذاب انتهى وفي مانص به الشيخ الجبرمي على الاقناع وهو قوله وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من النشاط على الذكر وغير ذلك فهو من هورهم وضلالهم فلا يعمل

عليه انتهى (فهل) هذه النصوص صحيحة يجب العمل بمقتضاها وهو عدم الاعتراض بخلافات الأعيان أم لا افتونا في هذه المسئلة فإن البلية الباعثة عليها قد عمت مصيبتها وطارت شرورها لعل الله بنور علمكم يطفيها لا ذلم ناصر بن لشرية سيد المرسلين والمعونة على البر والتقوى معارفين احيا الله بكم الاسلام آمين اه بنصه

﴿ جواب المنار ﴾

قد اختلف العلماء في سماع الغناء وآلات اللهب قديما وحديثا واكثروا القول فيه بل كتبوا فيه المصنفات ، واستقصوا الروايات، ونحن نذكر أقوى ماورد من الاحاديث في هذا الباب ثم ملخص اختلاف العلماء وأدلتهم ثم ماهو الحق الجدير بالاتباع ثم نتكلم على اسئلة السائل

﴿ أحاديث الحظر ﴾

(١) عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ليكون من أمي قوم يستحلون الخمر والحريم والخمر والمعازف » أخرجه البخاري بهذا الشك بصورة التعليق وابن ماجه من طريق ابن محيريز عن أبي مالك بالجزم ولفظه « ليسر بن ناس من أمي الخمر يسمونها بغير اسمها يعرف على رؤوسهم بالمعازف والمعنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » وأخرجه أبو داود وابن حبان وصححه

(٢) عن نافع ان ابن عمر سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يا نافع أتسمع فأقول نعم فيمضي حتى قلت لا فرفع يده وعدل راحلته الى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمم زمارة راع فصنع مثل هذا : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه : قال ابو علي اللؤلؤي سمعت ابا داود يقول وهو حديث منكر

(٣) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبراء وكل مسكر حرام » رواه أحمد وأبو داود : وفي لفظ لأحمد انه قال بعد الميسر « والمزر والكوبة والقنين » وفي اسناد الحديث الوليد بن عبد قارو يعنى

ابن عمر قال أبو حاتم الرازي هو مجهول وقال ابن يونس في تاريخ المصريين أنه روى عنه يزيد ابن أبي حبيب . وقال المنذري ان الحديث معلول ، ولكنه يشهد له حديث ابن عباس بنحوه وهو « عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام »

وقد فسر بعضهم الكوبة بالطبل قاله سفيان عن علي بن بذيمة وقال ابن الأعرابي الكوبة الرد وقد اختلف في الصيراء (بالضم) قال الحافظ في التلخيص وقيل الطنبور وقيل العود وقيل الربط وقيل مزر يصنع من الذرة أو من القمح وبذلك فسره في النهاية . والمزر بالكسر نبيذ الشعير . والمتصد في الصيراء ما قاله في النهاية من أنها من الأشرطة والقنين قبل لعبة للروم يقامرون بها وقيل الطنبور بالحشية فظهر بهذا ان الحديثين ليسا في موضوع الممازف وآلات السماع اتفاقاً

(٤) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في هذه الأمة خصف ومسح وقذف » فقال رجل من المسلمين ومتى ذلك يا رسول الله قال « اذا ظهرت القيان والممازف وشربت الخمر » رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب : أقول وقد أخرجه من طريق عباد بن يعقوب وكان من غلاة الروافض ورؤوس البدع الا انه صادق الحديث وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره وقال ابن عدين أنكروا عليه أحاديث وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدوس وهو رافضي مثله قال يحيى بن معين ليس بشيء والنسائي ليس بثقة وضعفه الدارقطني

(٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا اتخذ النبيء دولاً والامانة مغنماً والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فامسحهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والممازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقدفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع بعضه بعضاً » رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب أقول ان راويه عن أبي هريرة هو رميح الجذامي قال في الميزان لا يعرف

(٦) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تبيت طائفة من أممي على أكل وشرب ووهو ولعب ثم يصبحون قردة وتخازير وتبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتنسفهم كما نسف من كان قبلكم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات » رواه أحمد . قال في المنقح وفي اسناده فرقة السبخي قال أحمد ليس بقوي وقال ابن معين هو ثقة وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه الناس

(٧) عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني ان أمحق المزامير والكبارات » يعني البرابط والمعازف والاوثان التي كانت تعبد في الجاهلية . رواه أحمد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن . قال البخاري عبيد الله بن زحر ثقة وعلي بن يزيد ضعيف . وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زحر انه صاحب كل معضلة وقال يحيى بن معين انه ضعيف وقال مرة ليس بشيء . وقال ابن المديني منكر الحديث وقال ابن حبان يروي موضوعات عن الأثبات واذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات

(٨) وعنه بهذا السند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تبمعوا القينات ولا تشروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام . في مثل هذا أنزلت هذه الآية ٦:٣١ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » الآية رواه الترمذي وأحمد بالمعنى ولم يذكر الآية والحيد في مسنده بلفظ « لا يجل ثمن المغنية ولا بيعها ولا شراؤها ولا الاستماع اليها » وهو لا يصح كما تقدم (٩) عن ابن مسعود « الغناء ينبت النفاق في القلب » رواه أبو داود مرفوعا والبيهقي مرفوعا وموقوفا وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم وهو متفق على ضعفه كما قال النووي . وقال الغزالي رفعه لا يصح ومعناه ان المغني يناق لينفق . وقد زدنا هذا وما قبله إتماما للبحث

وقد رأيت أنه لا يصح من هذه الاحاديث الا الأول وستعلم مع ذلك ما قبل في إعلاله وما روي غيرها أو هي منها الا أثر عن ابن مسعود في تفسير اللهو فقد صححه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي

﴿ أحاديث الاباحة ﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام مني) وعندني جاريتان تغنيان بغناء بهما فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فأنتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » وفي رواية يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا « فلما غفل غمزتهما فخرجتا : تقول لما غفل أبو بكر . رواه البخاري في سنة العيد وفي أبواب منفرة ومسلم في العيد والنسائي في عشرة النساء وإنما أنكر أبو بكر لظنه ان النبي (ص) كان دائماً يسمع

(١) وعنها أنها زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ما كان معكم من هو فان الأنصار يعجبهم الا ب » رواه البخاري . قال الحافظ في الفتح عند شرح قوله « ما كان معكم هو » : في رواية شريك فقال « فهل بعشم جاربة تضرب بالدف وتغني » قلت تقول ماذا قال ؟ تقول

اتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الاحمر ما حلت بواديكم
ولولا الخنطة السمراء ما سمنت عذارىكم

(٣) عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليّ فجلس علي فراشي كما جلسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من ابائي يوم بدر حتى قالت احداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقولي هكذا وقولي كما كنت تقولين » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الا النسائي

(٤) عن محمد بن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح » رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) عن عامر بن سعد قال دخلت علي قرظة بن كعب وأبي مسعود الا نصاري في عرس واذا جوار يغنين فقلت : أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر

يفعل هذا عندكم؟ فقالوا اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قدر خص لنا
اللهو عند العرس : أخرجه النسائي والحاكم وصححه

(٦) عن يريدة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف
جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله أني كنت نذرت أن أدرك الله صالحا أن
أضرب بين يديك الدف وأتغنى: قال لها «ان كنت نذرت فأضربي والالا» فجعلت
تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان
وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استنها ثم قعدت عليه . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، اني كنت جالسا وهي
تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف» رواه أحمد
الترمذي وصححه وابن حبان والبيهقي .

﴿ خلاف العلماء في مسألة سماع الغناء والمعازف وأدلتهم ﴾

في الباب أحاديث أخرى وما أوردنا هو أصح ما ورد فيه مما يحتاج به .
وأحاديث الحظر التي تقدمت تحظر المعازف وهي آلات اللهو والدف منها قطعاً
وغناء القيان وهن الجوارى المغنيات وقد رأيت في أحاديث الإباحة إباحة العزف
بالدف وغناء الجوارى وانعقاد نذره . ومما ينبغي الالتفات إليه أن كلام أبي بكر وكلام
عامر بن سعد يدل على ان الناس كانوا يتوقعون حظر السماع واللهولاسيما أصوات
النساء لولا النص الصريح بالرخصة وتكراره في الأوقات التي جرت عادة الناس
بتحوري السرور فيها كالعيد والعرس وقدم المسافر . فأحاديث الإباحة مرجحة
بصحتها وضعف مقابلها ونكارته ، وبكونها على الاصل في الاشياء وهو الإباحة ،
و بموافقها ليسر الشريعة وسماحها وموافقها للفطرة . وهذا لا ينافي أن الانصراف
الزائد الى اللهو والإسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدين . ولهذا رأيت
كثيرا من أئمة العلماء الزهاد شدد التكبير على أهل اللهو لما كثروا وأسرف الناس فيه
عند ما عظم عمر ان الأمة واتسمت مذاهب الحضارة فيها حتى جاء أهل التقليد
من المصنفين فرجحوا أقوال الحظر وزادوا عليها في التشديد حتى حرم بعضهم
سماع الغناء مطلقا وسماع آلات اللهو جميعها الا طبل الحرب ودف العرس وزعموا

انه دف مخصوص لا يطرب وانه غير دف أهل الطرب . وهاك أجمع كلام يحيى
خلاف علماء الأمة وأدلتهم في هذه المسألة بالاختصار وهو كلام الشوكاني في نيل
الاطار قال بعدما أورد ما تقدم من أحاديث الحظر

« قد اختلف في الغناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها فذهب الجمهور الى
التحريم مستدين بما سلف وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة
من الصوفية الى الترخيص في السماع ، ولو مع العود والبراع ، وقد حكى الاستاذ ابو
منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع ان عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالغناء
بأسا ويصوغ الالحان لجواربه ويسمعها منهم على أوتاره وكان ذلك في زمن
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وحكى الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضا
عن القاضي شريح وسميد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري والشعبي .
وقال امام الحرمين في النهاية وابن أبي الدم : نقل الأثبات من المؤرخين ان
عبد الله بن الزبير كان له جوار عوآدات وان ابن عمر دخل عليه والى جنبه عود
فقال ما هذا يا صاحب رسول الله فناوله اياه فتأمله ابن عمر فقال هذا ميزان شامي
قال ابن الزبير يوزن به العقول

« وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالته في السماع بسنده الى ابن
سيرين قال ان رجلا قدم المدينة بجوار فنزل على عبد الله بن عمر وفيهين جارية
تضرب فجاء رجل فساومه فلم يهو منهم شيئاً قال انطلق الى رجل هو أمثل لك
بيعاً من هذا قال من هو قال عبد الله بن جعفر فعرضهن عليه فأمر جارية منهم
فقال لها خذي العود فأخذته فغنت فبايعه ثم جاء الى ابن عمر الى آخر القصة
وروى صاحب العقد العلامة الأديب أبو عمر الاندلسي أن عبد الله بن عمر دخل
على أبي جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود ثم قال لابن عمر هل ترى بذلك
بأساً قال لا بأس بهذا : وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص أنهم سمعا
العود عند ابن جعفر . وروى ابو الفرج الاصبهاني ان حسان بن ثابت سمع من
عزة الميلاء الغناء بالزهر بشعر من شعره . وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك « والزهري
عند أهل اللغة العود » وذكر الادفوي ان عمر بن عبد العزيز كان يسمع من

جواريه قبل الخلافة . ونقل ابن السمعاني الترخيص عن طاووس ونقله ابن قتيبة
وصاحب الامتاع عن قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الزهري من
التابعين ونقله أبو يعلى الخليلي في الارشاد عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون مفتي
المدينة . وحكى الروياني عن الثقال ان مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف
« وحكى الاستاذ أبو منصور والفسوراني عن مالك جواز العود وذكر أبو طالب
المكي في قوت القلوب عن شعبة انه سمع طنبوراً في بيت المنهال بن عمرو المحدث
المشهور . وحكى أبو الفضل بن طاهر في مؤلفه في السماع انه لا خلاف بين أهل
المدينة في إباحة العود قال ابن النحوي في العمدة قال ابن طاهر هو اجماع أهل
المدينة قال ابن طاهر واليه ذهب الظاهرية قاطبة قال الادفوي لم يختلف النقلة
في نسبة الضرب الى ابراهيم بن سعد المتقدم الذكر وهو ممن أخرج له الجماعة
كلهم (١) وحكى الماوردي إباحة العود عن بعض الشافعية وحكاه أبو الفضل بن طاهر
عن أبي اسحاق الشيرازي وحكاه الاسنوي في المهمات في الروياني والماوردي
ورواه ابن النحوي عن الاستاذ أبي منصور وحكاه ابن الملقن في العمدة عن ابن
طاهر وحكاه الادفوي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحكاه صاحب الامتاع
عن أبي بكر بن العربي وجزم بالاباحة الادفوي - هؤلاء جميعاً قالوا بتحليل السماع
مع آلة من الآلات المعروفة وأما مجرد الغناء من غير آلة فقال الادفوي في الامتاع
ان الغزالي في بعض تأليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله ونقل ابن طاهر اجماع
الصحابة والتابعين عليه ونقل التاج الفزاري وابن قتيبة اجماع أهل المدينة عليه
وقال الماوردي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه في أفضل أيام السنة المأمور فيه
بالعبادة والذكر

« قال ابن النحوي في العمدة وقد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة
والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البر وغيره وعثمان كما نقله الماوردي وصاحب
البيان والرافعي وعبد الرحمن بن عوف كما رواه ابن أبي شيبه وأبو عبيدة بن
الجراح كما أخرجه البيهقي وبلال وعبد الله بن الارقم وأسامة بن زيد كما أخرجه
(١) يريد بالجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن كلهم فهو ثقة عندهم

البيهقي أيضا وحجة كما في الصحيح وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر والبراء بن مالك كما أخرجه أبو نعيم وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البر وعبد الله بن الزبير كما نقله أبو طالب المكي وحسان كما رواه أبو الفرج الاصبهاني وعبد الله بن عمرو كما رواه الزبير بن بكار وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتيبة وخوات بن جبير ورباح المضر كما أخرجه صاحب الأغاني والمنيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي وعمرو بن العاص كما حكاه الماوردي وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره . وأما التابعون فسهيد بن المسيب وسالم بن عمرو بن حسان وخارجة بن زيد وشريح القاضي وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الله بن أبي عتيق وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز وسعد بن ابراهيم الزهري . وأما تابعوهم فخلق لا يحصون منهم الأئمة الأربعة وابن عيينة وجهور الشافعية انتهى كلام ابن النحوي « واختلف هؤلاء المجوزون فمنهم من قال بكرهته ومنهم من قال باستحبابه قالوا لكونه يرق القلب ويهيج الأحران والشوق الى الله قال المجوزون انه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ما يقتضي تجريم مجرد الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات .

« وأما المانعون فاستدلوا بأدلة منها حديث أبي مالك أو أبي عامر المذكور في أول الباب وأجاب المجوزون بأجوبة

(الأول) ما قاله ابن حزم وقد تقدم جوابه (*)

(*) قال المؤلف قبل ما ذكرنا في الكلام على أحاديث الخطر مانعه : « وفي الباب أحاديث كثيرة وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات ولكنه ضعفها جميعا بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم انه لا يصح في الباب حديث أبدا وكل مانعه فموضوع وزعم ان حديث أبي عامر أو أبي مالك المذكور في أول الباب منقطع فيما بين البخاري . وقد واقفه على تضعيف أحاديث الباب من سيأتي قريبا . قال الحافظ في الفتح وأخطأ في ذلك يعني في دعوى الانقطاع من وجوه والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في موضوع آخر من كتابه ؛ وأطال الكلام في ذلك بما يكفي « اه كلام الشوكاني ومنه تعلم

(والثاني) ان في اسناده صدقة بن خالد وقد حكى ابن الجنيد عن يحيى بن معين انه ليس بشيء وروى المزي عن أحمد انه ليس بمستقيم ويحجابه عنه بأنه من رجال الصحيح

(والثالث) ان الحديث مضطرب سنداً وممتناً . أما الاسناد فلا تردد من الراوي في اسم الصحابي كما تقدم . وأما متناً فلأن في بعض الالفاظ (يستحلون) وفي بعضها بدونه — وعند أحمد وابن أبي شيبة بلفظ « ليشر بن أناس من أمي الخمر » وفي رواية الحر بمهملتين وفي أخرى بمعجمتين كما سلف . ويحجابه عن دعوى الاضطراب في السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك بغير شك ورواه أبو داود من حديث أبي عامر وأبي مالك وهي رواية ابن داسة عن أبي داود ورواية ابن حبان انه سمع أبا عامر وابا مالك الأشعريين فتبين بذلك انه من روايتها جميعاً . وأما الاضطراب في المنفق فيحجابه عنه بأن مثل ذلك غير قاذح في الاستدلال لأن الراوي قد يترك بعض الالفاظ الحديث نارة ويذكرها أخرى (والرابع) ان لفظة المعازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود ويحجابه بأنه قد ذكرها غيره وثبتت في الصحيح والزيادة من المدل مقبولة —

« وأجاب المجوزون على الحديث المذكور من حيث دلالاته فقالوا لا نسلم دلالاته على التحريم واسندوا هذا المنع بوجوه (أحدها) ان لفظة « يستحلون » ليست نصاً في التحريم فقد ذكر أبو بكر بن العربي لذلك معنيين أحدهما ان المعنى يعتقدون ان ذلك حلال . الثاني ان يكون مجازاً عن الاسترسال في استعمال تلك الأمور ويحجابه بان الوعيد على الاعتقاد يشعر بتحريم الملاسة بنحو الخطاب واما دعوى التجوز فالأصل الحقيقة ولا ملحي إلى الخروج عنها (وثانيها) ان المعازف مختلف في مدلولها كما سلف واذا كان اللفظ محتملاً لأن يكون للآلة ولغير الآلة لم ينتهض للاستدلال لأنه إما ان يكون مشتركاً والراجح التوقف فيه أو حقيقة ومجازاً

ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يعترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظرات اللهو الا الحديث الأول مما أوردنا ويقولان لا بأس بانقطاع سنده هنا . وقد علمت انه ليس فيه الالفاظ المعازف وعرفت معناه وأنه يشمل الدف الذي سمعه النبي (ص)

ولا يتعين المعنى الحقيقي ويحجب بأنه يدل على تحريم استعمال ما صدق عليه الاسم والظاهر الحقيقة في الكل من المعاني المنصوص عليها من أهل اللغة وليس من قبيل المشترك لأن اللفظ لم يوضع لكل واحد على حدة بل وضع للجميع على أن الراجح جوازا استعمال المشترك في جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقر في الأصول (وثالثها) أنه يحتمل أن تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المقترفة بشرب الخمر كما ثبت في رواية بلفظ « ليشربن اناس من أمي الخمر تروح عليهم القيان وتعذو عليهم المعازف » ويحجب بان الاقتران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط والا لزم ان الزنا المصرح به في الحديث لا يحرم الا عند شرب الخمر واستعمال المعازف واللازم باطل بالاجماع فالملزوم مثله وأيضا يلزم في مثل قوله تعالى ٦٩: ٣٣ « انه كان لا يؤمن بالله العظيم ٣٤ ولا يحض على طعام المسكين » انه لا يحرم عدم الايمان بالله الا عند عدم الحض على طعام المسكين فان قيل تحريم مثل هذه الامور المذكورة في الايتمام قد علم منه دليل آخر فيحجب بان تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضا كما سلف على انه لا ملجى الى ذلك حتى يصار اليه (ورابعها) ان يكون المراد يستحلون مجموع الامور المذكورة فلا يدل على تحريم واحد منها على الانفراد وقد تقرر ان النهي عند الامور المتعددة أو الوعيد على مجموعها لا يدل على تحريم كل فرد منها ويحجب عنه بما تقدم في الذي قبله

واستدلوا ثانيا بالاحاديث المذكورة في الباب التي أوردها المصنف رحمه الله تعالى وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام في اسانيدها ويحجب بأنها تنهض بمجموعها - ولا سيما وقد حسن بعضها فأقل أحوالها ان تكون من قسم الحسن لغيره ولا سيما احاديث النهي عن بيع القينات والمغنيات فإنها ثابتة من طرق كثيرة منها ما تقدم ومنها غيره وقد استوفيت ذلك في رسالة وكذلك حديث « ان الغناء ينبت النفاق » فإنه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر منه عن ابن عباس عن ابن صصري في اماليه ومنه عن جابر عند البيهقي ومنه عن أنس عند الديلمي وفي الباب عن عائشة وأنس عند البزار والمقدسي

وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي بلفظ «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزار
عند نعمة ورنه عند مصيبة» وأخرج ابن سعد في السنن عن جابر أن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال «إنما نهيت عن صوتين أحق من فاجرين صوت عند نعمة
لهو ولعب ومزاهر الشيطان وصوت عند مصيبة وخمش وجه وشق جيب ورنه
شيطان» وأخرج الديلمي عن أبي أمامة مرفوعاً «إن الله يفيض صوت الخلل
كما يفيض الغناء» والأحاديث في هذا كثيرة قد حنفت في جمعها جماعة من
العلماء كابن حزم وابن طاهر وابن أبي الدنيا وابن حمدان الأيربلي والذهبي وغيرهم
«وقد أجاب المجوزون عنها بأنه قد ضمنها جماعة من الظاهرية والمالكية
والحنابلة والشافعية وقد تقدم ما قاله ابن حزم وواقعه على ذلك أبو بكر بن العربي في
كتابه الأحكام وقال لم يصح في التحريم شيء. وكذلك قال الغزالي وابن النحوي
في العمدة وهكذا قال ابن طاهر أنه لم يصح منها حرف واحد والمراد ما هو مرفوع
منها والأحاديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى ٦:٣١ «ومن الناس من يشترى
لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» قد تقدم أنه صحيح وقد ذكر هذا
الاستثناء ابن حزم فقال أنهم لو أسندوا حديثاً واحداً فهو إلى غير رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ولا حجة في أحد دونه كما روي عن ابن عباس وابن مسعود في
تفسير قوله تعالى: ومن الناس: الآية أنهما فسرا اللغو بالغناء قال ونص الآية
يبطل احتجاجهم لقوله تعالى: ليضل عن سبيل الله: وهذه صفة من فعلها كان كافراً
ولو أن شخصاً اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزواً لكان كافراً
فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به نفسه لا
ليضل به عن سبيل الله انتهى - قال الفاكهاني أني لم أعلم في كتاب الله ولا في
السنة حديثاً صحيحاً صريحاً في تحريم الملاهي وإنما هي ظواهر وعمومات يتأسن
بها لأدلة قطعية. واستدل ابن رشد بقوله تعالى ٥٥:٢٨ «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه»
وأبي دليل في ذلك على تحريم الملاهي والغناء والمفسرين فيها أربعة أقوال - الأولى
أنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون
عنهم. والثاني أن اليهود أسلموا فكانوا إذا سمعوا ما غيره اليهود من التوراة وبدلوا

من نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفته أعرضوا عنه وذكروا الحق . الثالث
 أنهم المسلمون اذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا اليه . الرابع أنهم ناس من أهل الكتاب
 لم يكونوا هودا ولا نصارى وكانوا على دين الله كانوا ينتظرون بمث محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا به بمكة أتوه فعرض عليهم القرآن فأسلموا وكان
 الكفار من قريش يقولون لهم أف لكم اتبعتم غلاما كرهه قومه وهم أعلم به منكم
 وهذا الأخير قاله ابن العربي في أحكامه . وليت شعري كيف يقوم الدليل من
 هذه الآية انتهى . ويجب بان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واللغو
 عام وهو في اللغة الباطل من الكلام الذي لا فائدة فيه والآية خارجة مخرج المدح
 لمن فعل ذلك وليس فيها دلالة على الوجوب

«ومن جملة ما استدلوا به حديثنا «كل ملو يلهو به المؤمن فهو باطل الاثلاثة ملاحظة
 الرجل أهله وتأديبه فرسه ورمبه عن قوسه» قال الغزالي قلنا قوله صلى الله عليه وآله
 وسلم فهو باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى وهو جواب
 صحيح لأن ما لا فائدة فيه من قسم المباح على أن التلبي بالنظر الى الحبشة وهم
 يرقصون في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح خارج عن تلك
 الأمور الثلاثة

«أجاب المجوزون عن حديث ابن عمر المتقدم في زمارة الراعي بما تقدم
 من انه حديث منكر وأيضاً لو كان سماعه حراماً لما أباحه صلى الله عليه وآله وسلم
 لابن عمر ولا ابن عمر لنافع ولنهى عنه وأمر بكسر الآلة لأن تأخير البيان
 عن وقت الحاجة لا يجوز وأما سده صلى الله عليه وآله وسلم لسمعه فيحتمل انه
 تجنبه كما كان يتجنب كثيراً من المباحات كما تجنب ان يبيت في بيته درهم أو
 دينار وأمثال ذلك . لا يقال يحتمل ان تركه صلى الله عليه وآله وسلم للانكار
 على الراعي إنما كان لعدم القدرة على التغيير لأننا نقول ابن عمر إنما صاحب النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة بعد ظهور الاسلام وقوته فترك الانكار
 فيه دليل على عدم التحريم

«وقد استدل المجوزون بأدلة منها قوله تعالى ١٥٧:٧ «ويحل لهم الطيبات والمحرم

عليهم الخباثت» ووجه التمسك ان الطيبات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستند وهو الاكثر المتبادر الى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بإزاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المائى الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض افراده لكان قصره على المتبادر هو الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الاحكام ان المراد في الآية بالطيبات المستلذات . ومما أستدل به المجوزون ماسيأتي في الباب الذي بعد هذا (١) وسيأتي الكلام عليه . ومن جملة ما قاله المجوزون انالو حكماً بتحريم اللهب لكونه لهواً فكان جميع ما في الدنيا محرماً لانه لهو لقوله تعالى ٤٧:٣٦ «أما الحياة الدنيا لعب ولهو» وبجواب بانه لا حكم على جميع ما يصدق عليه مسمى اللهب لكونه لهواً بل الحكم بتحريم لهو خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه لما عمل في الآية بعلّة الاضلال عن سبيل الله لم ينتهض للاستدلال به على المطلوب

« واذا تقرّر ما حررناه من حجج الفريقين فلا يخفى على الناظر ان محلى النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لرضه ودينه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتتاً على ذكر القدود والحدود والجمال والدلال ، والهجر والوصال ، ومما قرّة العقار ، وخلع العذار والوقار ، فان سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف ، ومم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطول ، وأسير بهوم غرامه وهيامه مكبول ، نسأل الله السداد والثبات . ومن أراد الاستيقاظ للبحث فعليه بالرسالة التي سميتها (ابطال دعوى الاجماع . على تحريم مطلق السماع) اه كلام الامام الشوكاني (للكلام بقية)

ومعلوم أن نذر الحرام أو المكروه لا ينعقد . وهذا يبطل ما قاله الشوكاني هنا من أن أدلة المانعين تنهض شبهة وسيأتي التحقيق فيه

(١) هو حديث الجارية التي نذرت الضرب بالدف وتقدم في أحاديث الإباحة

باب المقالات

﴿ الحق والباطل والقوة ﴾

٣٤ : ٤٩ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٧ : ٨١ وَقُلْ
جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * ٢١ : ١٨ بَلْ نَقِذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *

مضت السنة في المغلوبين على أمرهم ، المقهورين في أرضهم ، أن يعتذروا عن
أنفسهم ، بدعوى أن القوة هي التي غلبتهم على حقهم ، وأنهم غير مذنبين
ولا مقصرين ، ولا مسرفين ولا مضيعين ، وجرت عادة الغالبين على أمرهم ،
والقاهرين في حكمهم ، أن يحتجوا لأنفسهم بأنهم أصحاب الحق الذي يعلو ولا
يعلو ، وأن الحق هو الذي جعل كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى ، . وقد يعتور
الأمّة الواحدة القوة والضعف والعز والذل فتدعي في طور قوتها وعزها أنها
اعتزت بالحق وغلبت ، وفي طور الضعف والذل أنها أخذت بالقوة فقهرت ، وأنها
حليفة الحق في الطورين ، لم تعد حدوده في حال من الحالين ، وتلك سنة الله
تعالى في الأفراد أيضاً يدعي الرجل الحق لنفسه ما ظفر ، ويعتذر عنها بالقوة إذا هو غلب
وقهر ، وهذا الغرور من الانسان قد أضله عن طريق الحق حتى لا يكاد يفهم معنى
كلمة (الحق) ومدلولها الصحيح . وما نقل الينا قول عن غالب يتعزز فيه بالقوة على
الحق ، الاتلك الكلمة المأثورة عن بسمرك « القوة تغلب الحق » وقد أرسلها
مثلا ، وهي لا تصح الا تأويلا وجدلا ، ولو غلب الحق لما كان حقا . والحق أن
الحق قد يخفى ، وقد يترك وينسى ، ولكن ما صارع الباطل الاصرعه ، ولا قارعه
الا وقرعه ، « وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه » ، والقوة انما تظفر اذا كانت
شعبة منه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحق عبارة عن الشيء أو الأمر الثابت المتحقق في الواقع والباطل هو ما لا
يثبت أولا يتحقق له في نفسه وما لا يثبت له ولا يتحقق لا يمحى ما كان ثابتا متحققا

كما هو الشأن في الموجود والمعدوم والمعلوم والموهوم ، وهذا مما لا مجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون إلا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الأمور الاجتماعية ، وفي كل ذلك حق وباطل لا يتنازعان إلا ويكون الحق هو الغالب والباطل هو المغلوب واننا نبين ذلك ونذكر مواضع غلط الناس فيه ومناشئ شبهاتهم فنقول ان الحق والباطل يتنازعان في خمسة أمور كلية وهي (١) الفلسفة والنظريات العقلية ، الوجود والسنن الكونية (٣) السنن الاجتماعية (٤) القوانين والمواضع العرفية (٥) الدين والشرعة الالهية

الفلسفة والنظريات العقلية

اختلف الناس في الفلسفة والمسائل النظرية في القديم والحديث ومنهم المحق والمبطل فيقول من يظن ان الباطل يغلب الحق ان كثيرا من الآراء الباطلة في ذلك كانت رائجة لا ينازع فيها أحد وكثير منها كان موضوع النزاع وكان أكثر الباحثين فيه على الباطل ، ولا يزال يظهر للعلماء في كل زمن وكل جيل خطأ كثيرين من السابقين والمعاصرين فيظهر بذلك ان الباطل كان هو الغالب فان كنت تقول لا عبرة الا بغلب دائم ، فانك لا تقدر ان تثبت الدوام لحق ولا لباطل ، فيكفي في اثبات قوة الباطل وظهوره على الحق ان يظهر عليه زمنا طويلا : ودفع هذا الظن سهل وان كنا نعترف بأن الحق والباطل في الآراء النظرية والفلسفية من أخفى الأمور وأوغلها في الإبهام . ذلك أن التنازع بين الحق والباطل لا يتحقق هنا ما دام كل من المتناظرين في المسألة يجادل بالنظريات ولم ينته بدلائله الى احدى اليقينيات التي لا نزاع فيها . ويبان ذلك أن المسألة مادامت نظرية من الجانبين فالتنازع إنما يكون بين الدليلين لا بين المدلولين والحق في الدليل هو إفادة اليقين فما دام نظريا فهو غير حق وإنما هو موقوف أو باطل يعارض مثله فاذا انتهى أحد المتناظرين الى اليقين البديهي في المسألة فهو صاحب الحق وهو الغالب سواء أذعن له مناظره أو كابره . وما كان الغلب والسلطان لتلك المسائل النظرية الباطلة في الفلسفة العمليا وغير العمليا ذلك الزمن الطويل إلا لأن الحق فيها كان خفيا أو غير معروف لأهلها . بل نقول ان في طرق الاستدلال نفسها حقا وباطلا فالحق هو ما وافق شروط القياس

المنطقي وأعني بكونه حقاً ان النفس فطرت على الانتقال من المقدمات المرتبة على ذلك النحو من الترتيب المعروف في أشكال القياس إلى المطالب التي هي النتائج فإذا كانت المقدمات مسلّمة فلا مندوحة للنفس عن التسليم بالنتيجة . وقد يكون صاحب الدعوى الحق غير قادر على نظم الدليل الحق مع كون الدعوى نفسها غير بديهية فإذا غلبه مناظره المبطل في الدعوى حينئذ فلا بد ان يكون أقرب منه الى الحق من طريق الاستدلال وأن يكون قد أقنعه ببعض المقدمات الباطلة وفي هذه الحال يكون مبطلاً ومن ناحية الباطل قد أخذ - وهو ماسلمه من المقدمات - لا من ناحية الحق وهو أصل الدعوى التي نطق بها على غير بينة وبغير بينة . ولو شئت لجمت في هذا الاصل بالأمثلة والشواهد التي تجليه أكمل التجلي ولكن القصد بهذا المقال الى غيره مما يرى الناس مصرين على الخطأ فيه وفي خطأهم الضلال البعيد والخسران العظيم

الوجود وسنن الكون

كلّ وجود حق والعدم باطل لا حقيقة له، وكل نظام في الطبيعة والخلقة فهو حق والخلل فيها باطل لا يحقق له، والخلل الصوري الذي يعبر عنه علماء الكون بفلتات الطبيعة له سنن خفية أي نواميس لم يطلعوا عليها وهم يتوقعون اكتشافها ويرجونه ٣:٦٧ « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » ٧:٣٢ « الذي أحسن كل شيء خلقه . » ولا تنازع بين الوجود والعدم ولا بين النظام والخلل وإنما يقع التنازع بين الناس في فهم ذلك والعلم به فمن كان أعلم بالوجود والنظام كان أعلم بالحق وأقرب الى الحق وكانت له الغلبة بالحق . وهذا ظاهر في نفسه وسيادة العالمين بمقتائق الوجود وسنن الله في الكائنات على الجاهلين بها مشاهدة لا ينكرها المسودون المغلوبون بجهلهم وباطلهم وان كانوا يجهلون ان علم من سادوهم هو الحق وأنه سبب لسيادتهم، وانهم هم بجهلهم على باطل وبه كانوا مغلوبين على أمرهم، ومقهورين في أرضهم وديارهم ، وان منهم المسلمين الذين يقول كتابهم ١٠: ٥ « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » ويقول ٢٢: ٤٥ « وخلق الله

السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون*» وفي معانيها آيات ولا ترى شعبا إسلاميا يعتقد بان سعة العلم بالسماوات والأرض من الحق الذي نعتز به الامم، وان جهلت الامة وهلكت، فقد جزيت بما كسبت، وظلمت نفسها وما ظلمت،

السنن الاجتماعية

للكون سنن في تكوّن الأ حجار الكريمة وغير الكريمة كالصخور وفي نموّ النبات وحياة الحيوان وفي اجتماع الاجسام وافتراقها وتحللها وتركيبها وهي ما عينناه بالاصل الثاني . وللشعر سنن خاصة بهم في حياتهم الاجتماعية عليها يسيرون وفيها يتقلبون قوتهم وضعفهم وغناهم وفقروهم وعزهم وذلمهم وسيادتهم وعبوديتهم وحياتهم وموتهم كل ذلك غاية لا تباع سنن الله في السير على أحد الطريقين المتتارين هما بقوله تعالى في الانسان ٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين» فهذه السنن حق وتنكيبها خروج عنه الى الباطل . وما زال العارفون بسنن الله تعالى في الامم، هم الآخذين باطراف السعادة من أمم، ينتصرون على الجاهلين بها من المبطلين من حيث هم مبطلون وهو ما به الاختلاف وان كان الغالب القاهر مبطلا في شيء آخر والمغلوب محق في مخالفته له فيه

لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم في قوتها وضعفها وحياتها وموتها سننا ثابتة لا تتبدل ولا تتحول كقوله في سورة الانفال ٨ : ٣٨ «قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين» أي فانه يحل بهم ما حل بمن قبلهم ممن عاند الحق وقاومه . وقوله في سياق الكلام على الانبياء وأحوال الامم في سورة الحجر ١٤ : ١٣ «وقد خلت سنة الاولين» وقوله في سياق الكلام في بذل المال والحرب ٣ : ١٣٨ «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وفي الآية الثالثة بعد هذه الآية «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس» الآيات فهذه الآيات الينيات حق وما ترشد اليه من سنن الاجتماع حق فالجهل بسنن الاجتماع باطل وترك الاعتبار بها في شؤون الامم باطل فهل وجدت أمة

على سطح هذه الأرض عرفت هذه السنن وسارت عليها ثم قاومتها أمة أخرى تجهلها أولاً تعتبر ولا تهتدي بما عساها تعرف منها ثم كانت الجاهلة الضالة هي الغالبة فيقال ان الباطل قد يغلب الحق ؟ كلا ما كان ذلك ولن يكون . ومن العجائب والعجائب جمة ان يكون المسلمون في هذا العصر أجهل الامم كلها بسنن الله تعالى في البشر حتى أن من يدعوهم الى تعلمها وتعلم مصادرها وهي توارىخ الامم يعده رجال الدين منهم جانبا على الدين صادًا عنه لاسيما اذا كانت دعوته موجهة الى طلاب علوم الدين في مثل مدرسة الأزهر !! فأين هذا الدين الذي يعد العرفان بسنن الاجتماع صدًا عنه وجناية عليه من القرآن الذي هو أول كتاب ارشد الى هذه السنن ؟ واذا غلبت كل أمة مهديّة بهذه السنن في كسبها وعملها وسياستها وحروبها على الأمة الجاهلة بها الضالة عنها وسادت عليها فهل يصح ان يقال ان الباطل قد غلب الحق لان دين المسلمين هو الحق وأديان الغالبين عليهم هي الباطلة ؟ كلا ان كل مغلوب فهو بسبب الباطل قد غلب وكل غالب فهو بسنن الحق قد غلب . أينصرون ويسودون ، وهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وحكامهم يظلمون ولا يعدلون ، والله تعالى يقول في بيان سننه الحق ، ١١٦: ١١ «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين» ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» فسروا الظلم ههنا بالشرك والمعنى ان الله تعالى لا يهلك الامم بسبب الشرك اذا كانت مصلحة في الأعمال ولكن يهلك المفسدين الذين لا ينهون عن الفساد لاسيما اذا كان منبعه امرؤهم وملوكهم . أو المعنى ما كان ليهلكها بظلم منه لأنه منزه عن الظلم وهي لا تستحق الاهلاك لأنها مصلحة في العدل وال عمران

القوانين والمواضعات العرفية

لكل أمة من أمم الحضارة قوانين تسوس بها بلادها ولكل قبيلة من القبائل البدوية عرف ومواضعات ترجع اليها في شؤونها الاجتماعية . وللدول قوانين في الحقوق العامة والمصالح الخاصة . فهذه القوانين والمواضعات حقوق

عرفية فالأخذ بشيء من هذه الحقوق يكون هو الغالب لتاريخها مادامت الأمة والدولة أو الدول التي جعلت القانون حقا في عرفها حاقة له فاذا رجعت الأمة عن عرفها أو الدولة عن قانون لها في بلادها أو الدول عن بعض القوانين العامة لم يعد ذلك حقا لان حقيقته لم تكن لذاته وإنما كانت للعرف الذي يكفله أهله الواضعون له وقد زال

مثال ذلك اعتداء دول أوروبا على الممالك الشرقية وافتياؤها على حكومات هذه الممالك تركيا فما دونها وقد علم من القوانين العامة أنه ليس لدولة أن تفتت على أخرى في ادارتها الداخلية ولكن أوروبا تفتت وتغلب فهنا يظن الجاهل بالفصل بين الحق والباطل أن الباطل قد غلب الحق بالقوة ووجه الخطأ في هذا الظن أن هذا الحق الذي ندعي ان أوروبا سلبته من تركيا مصر أو كريت مثلا ما أن يكون حقا طبيعيا يملك ويحفظ بمقتضى سنن الله في الاجتماع البشري أو حقا عرفيا يملك ويحفظ بمقتضى القوانين العامة التي تعترف بها الدول وتكفلها فان ادعى المدعي الشق الأول فاننا نمنع دعواه ونقول ان سنن الاجتماع لا تتبدل ولا تتحول كما نطق الكتاب العزيز ودلت التجربة والمشاهدة لأن واضعها وحافظها هو العزيز الحكيم وهي تنيط الغلبة ودوام السيادة بالعدل والعلم بالسنن والاصلاح في الارض والمنعة والتقوى والاستعداد للحماية بالقوة وأعظم القوة فيها قوة الأمة المستقلة العارفة بحقوقها ثم القوة الآلية وذلك غير متحقق في تركيا كأوروبا فلاحق طبيعيا هناك .

واما الحق العرفي فقد قلنا انه ليس حقا ذاتيا وإنما هو حق ما كفله واضعوه المعترفون به وقد تفتت الدول الكافلة للقوانين العامة على ان لا تعامل دول المشرق بما تعامل هي به وأن تفتت عليها بحكمة حتى لا يفضي الافتتات الى الحروب ، التي يخرس فيها الغالب والمغلوب ، فتبين بهذا أن الباطل لم يغلب الحق في هذه المسألة بل الحق هو الغالب كما أخبر الله تعالى . وذلك أن دول أوروبا الغالبة عارفة بسنن الكون وسنن الاجتماع ومهتدية بها وهي الحق وبها الغلب والسيادة ، كما تقدم البيان مؤيدا بالقرآن ، فان قيل ان أوروبا تظلم في البلاد التي تفتت فيها: قلنا نعم ولكن ظلما دون ظلم حكام البلاد المفتت عليهم فباطلها أقل وعدلها أكثر فحقها أكبر

وهكذا غلب الحق الباطل ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ومن هذا القبيل غلب ألمانيا وانتصارها على فرنسا فان سببه العلم : بمن الكون
ومن الاجماع والعمل به ولذلك قال بسمرك : غلبنا بالمدرسة : وقوله هذا حق
وأما قوله : القوة تغلب الحق : فقد لبس فيه الحق بالباطل فالقوة الباطلة لا تغلب
الحق ولكن القوة الطبيعية الاجتماعية تغلب الحق العرفي وحينئذ يكون الحق قد غلب
حقاً أضعف منه في الظاهر بل هو لم يغلب الا الباطل

يقول الظالمون في الحق غير الحق ان القضاة بظلمهم ووكلاء الدعاوي يحيلهم
وختلمهم كثيراً ما يؤيدون المبطل في دعواه حتى يكون له الفلج والظفر : ونقول ان
هذا القول صحيح ولكنه لا يفيد المطلوب فان تأييد الباطل اذا كان من الحكم
فلا قانون ولا شريعة وإنما هو الهوى والظلم يتحكمان وهما من الباطل الذي
لا يغلبه الا حق من جنسه وهو السلطة العادلة فاذا تنازعت سلطة عدل مع سلطة ظلم
وغلبت الثانية الأولى تكون المعارضة صحيحة . وأما الدعوى فليست من جنس
السلطة فيقال انه يجب أن يغلب حق الأولى على باطل الثانية . وان كان الحاكم
عادلاً والخصم المبطل أو وكيله المحامي عنه ألحن بحجته وأقدر على البيان من الخصم
الحق أو وكيله فالتغالب اذاً بين الحجة والحجة ولم تنس ما قلناه فيها عند الكلام
في الفلسفة والنظريات العقلية

ان الانسان يظلم والظلم من الباطل حتى قيل ان الظلم طبيعي في البشر ومنه
قولهم : الظلم كمين في النفس القدرة تظهره والمعجز يخفيه : وقال المتنبي
والظلم من شيم النفوس فان تجدد ذا عفة فلملة لا يظلم
وهذا قول بأن الانسان جبل على الباطل وهو على ظهور شبهته غير صحيح
وإنما الصحيح هو ما قاله الخالق الحكيم ، في السورة الخامسة والتسعين ، وهو

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

والتين والزيتون ٢ وطور سينين ٣ وهذا البلد الامين ٤ لقد خلقنا

الانسان في أحسن تقويم ٥ ثم رددناه أسفل سافلين ٦ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلهم أجر غير ممنون ٧ فما يكذبك بعد بالدين ٨ أليس الله بأحكم

الحاكمين

أكد لنا القول عز وجل بأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم اذ أقسم على ذلك بما ذكرنا بعهد الفطرة ومعاهد ظهور الشريعة ذلك أنه خلقه وجعل له من الحواس ما يدرك به ما يحتاج الى ادراكه في حفظ نفسه وتوفير منافعها ودفع المضار عنها ومن العقل ما يميزه بين المدركات الحسية فيعرف صوابها وخطأها وما يحكم به على هذه المشاعر المدركة فيوجهها الى الاشتغال بالانفع والاصلاح فهو مجبول على أن يختار ما هو أنفع وأصلح . ولكنه لما خلق مدنيا مستعدا للكمال الشخصي والنوعي بالعمل التدريجي والتعاون . والعمل لا يكون الا بعلم والعلم لا يكون الا بالكسب كان هذا الانسان عرضة للجهل بوجوده المصالح والمفاسد والمنافع والمضار سواء كانت للأفراد أو الأمم والشعوب، والجهل من الباطل وبه ردت الانسان بدخوله في طور الحياة الاجتماعية الى أسفل سافلين فكان افراده وجماعته ينجون على أنفسهم ويظلمونها من حيث يظنون أنهم ينفعونها ويؤيدون حقوقها ففطرتهم تطالب الحق الذي فيه المصلحة والمنفعة وعقولهم تخطيء في تحديده فتقع في الباطل فكانوا محتاجين الى مساعد الفطرة والعقل يحدد لها الحقوق النافعة ويميزها من الاباطيل الضارة وذلك هو الدين الذي نفعه روح الحق في روع كل واحد من أولئك الشارعين الذين ظهر وافي معاهد منبت الثين والزيتون وطور سينين وفي ذلك البلد الامين (مكة المكرمة) وغيرها فصيح به امر الناس وساد الحق على الباطل ما كانوا يهتدون بتلك الشرائع ايمانا وعملا صالحا كما قال عز وجل . فالباطل ليس من منزع الانسان بطبعه ولكنه من العوارض اللازمة له من حيث هو صير يد مختار في علمه وعمله كاسب لهما بالتدريج . ولذلك أجمع الحكماء في هذا العصر على سنة من سنن الاجماع التي جاء بها القرآن في شأن الحق والباطل وهي ما يعبرون عنه بالانتخاب الطبيعي وقد بينها الله تعالى بقوله ٢: ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض « وقوله ٣٩: ٧١ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد النج وقوله ١٣: ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل

السيل زبدا رايبا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » و بالآيات التي افتمحننا بها هذا المقال . ويمثل قوله ١١ : ٤٩ ان العاقبة للمتقين « وقوله في السجر الذي هو باطل لاحقيقة له ١٠ : ٨١ ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ٨٢ ويحق الحق بكلماته » وقوله بعد ارشاد الأمم منه النهي عن الفساد في الأرض بعد اصلاحها ٧ : ٨٦ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين * وقوله بعد بيان أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ٣٨ : ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * فاتفق الحكماء على مضمون هذه الآيات وأمثالها في هذا العصر هو اعتراف بأن للحق الغلبة والسلطان على الباطل اذاهما وجدا وتنازعا وعلى أن الانسان مفطور على تغليب الحق على الباطل لولا ما يمرض له من الخطأ في التمييز بينهما وانما يسود الباطل في غيبة الحق أو غفلة عنه

ذكرت لصديق لي هذا المبحث قبل أن أتم هذا المقال فأخبرني أنه يحفظ عن الحكيم السيد جمال الدين الافغاني تمثيلا في مصارعة الحق للباطل معناه أن الحق كان يصرع الباطل ويضعفه فرأى الباطل ان لاطاقته به فاستشار أعوانه فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون على أن يكبدوا للحق كيذا فجاءوه بلقون اليه السلم ويدعونه الى مأدبة أعدوها له فلما حضر أجلسوه على بساط جميل تحته حفرة عميقة فوقع في الحفرة فطفقوا يهلون عليه التراب حتى دفنوه ثم جلسوا فوق الحفرة لئلا يخرج منها فيطش بصديقتهم الباطل فكان ينتفض بقوة العظيمة يحاول الخروج وهم يتحاملون بأثقلم عليها خوفا منه والباطل يسرح ويمرح آمنا من رؤية الحق له لأن أولياءه حالوا بينها ولكن الحق ما عسى أن انتفض انتفاضة نسف بها أولئك المشاقلين وخرج الى الباطل فأوقع به ودفنه وأراح الناس من شره .

وحاصل التمثيل ان الباطل انما يسود ويثبت حيث لا يوجد من يقوم بالحق ويقاومه به وأن ذلك لا يدوم . فكل دولة أو حكومة ظالمة تخالف قوانين العدالة في الأرض وتهضم حقوق الرعية فهي انما تسود بباطلها ما دامت الرعية دافنة للحق

(المنار) إزالة الامة لظلم الحكومة . إزالة الاجانب له . الحق في الدين ٢١

دائسته فيكون باطل الحكومة غالبا لباطل الرعية حتى اذا ما انتشر الظلم وتفشى
وذاق آلامه الجماهير فاستصرخوا الحق واستغاثوا به لباهم مسرعا وصال على باطل
الحكومة الظالمة فجنده وربما جندها معه فاذا استماتت الرعية وأنست بالظلم فان سنة
الكون تسلط على الحكومة الظالمة حكومة اجنبية عادة أو ظالمة تفتك بها وتقلص ظلها
ثم يكون بقاء الحكومة الثانية على سنة الله في الحكومة الاولى ٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون
إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا *

الدين والشريعة الالهية

ما قلناه آنفا ثبت أن الدين في جهلته حاجة طبيعية للبشر وان كانت أحكامه
التفصيلية مما يجري فيه اختيارهم فهم يحكمون فيها عقولهم وأفكارهم ويتبعون
فيها قاعدة الأصلاح والأنفع لهم . فالحق والباطل يجريان في الدين من وجهين
(أحدهما) كون عقائده صحيحة معقولة في نفسها وأحكامه في العبادات والآداب
موافقة للفطرة في تقويم الملكات وتهذيب الاخلاق وتوثيق الروابط وشد الاواخي
بين الناس وأحكامه في القضاء والسياسة والادارة موافقة لسنة الاجتماع وقواعد
العدل ، أو كونها ليست كذلك (وثانيهما) كون عقائده راسخة في عقول الامة
مؤثرة في قلوبها ، وآدابها حاكمة في شعورها ووجدانها ، وأحكامه محترمة عند
أمرائها وجمهورها ، أو كونها ليست كذلك . فالدين سنة من سنن الاجتماع
الكبرى وهو حق في الواقع أو باطل مؤيد بحق اجتماعي هو وحد الامة في الاعتقاد
والعدل ولاهه القلب والسلطان على من ينازعهم فيه ويحاول ابطاله أو ارجاعهم
عنه من المعطلين لانه إما أن يجمع نوعي القوة في سنن الاجتماع وفي السوانين
والمواضعات العرفية التي تسنها الامة لانفسها وتعتقد أن فيه خيرها وحفظ حقوقها
كما تقدم وإما ان ينفرد بالثانية . وما اجتمع فيه الحقان يسود على ما اتفق له
أحدهما فقط كما ساد الاسلام في أول نشأته على سائر الاديان لانه حق من كل وجه
والامة متحدة فيه . والتاريخ يؤيد ما نطق به الكتاب في ذلك بقوله ٤ : ١٤١
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * وقوله ٣٠ : ٤٧ وكان حقا علينا
نصر المؤمنين * ولكن هذا النصر خاص بالمؤمنين حقيقة لا ادعاء أو جنسية كما

قال في آية أخرى ٧:٤٧ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم * ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * وقال عز وجل ٥٥:٢٤
وعدا لله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف
الذين من قبلهم - الى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وقد
فسروا الكفر هنا بكفر النعمة كالظلم والبغي والافساد في الأرض
وتقول ان عمل الصالحات الذي قيد الوعد بالنصر يشتمل مثل قوله
تعالى في وصف المؤمنين من سورة الشورى ٢٨:٤٢ والذين استجابوا لربهم
وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * ٣٩ والذين اذا
أصابهم البغي هم ينتصرون * ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره
على الله انه لا يحب الظالمين * ٤١ ولئن انتصر بعد ظلمه فألئك ما عليهم من سبيل *
٤٢ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبنون في الأرض بغير الحق أولئك لهم
عذاب أليم * ٤٣ ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور * ومثل قوله ١٣٥:٤
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين
والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ،
وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً * وقوله ٥ : ٨ يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا
اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * فهو يأمرهم بالقيام
بالقسط دائماً وهو العدل والشهادة لله بلا محاباة قريب ولا غني ولا رحمة فقير
مبطل ويأمرهم ان لا يحملنهم شنآن قوم أي عداوتهم على ترك العدل فيهم بل يحتم
عليهم العدل حتى مع الذين يعادونهم
وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه انما ينصر رسله وعباده المؤمنين الذين
يصلحون في الأرض ولا يفسدون على الظالمين كقوله ١٣:١٤ فأوحى اليهم ربهم
لنهلكن الظالمين ١٤٣ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف
وعيد (ي) * والآيات في هذا المعنى وهو نصر المصلحين في الأرض واهلاك
الظالمين والمفسدين كثيرة جدا

لا يوجد في مقابل هذه الآيات آية واحدة تدل على أن الله ينصر الذين ينتسبون إلى الإسلام وإن لم يقوموا بالقسط والأصلاح وينهوا عن الظلم والفساد فهل يميز هذا الكتاب الحكيم لمدعي الانتماء إليه بالقول دون العمل إذا رأى استيلاء الأوربيين على بلاد المسلمين والأقليات على حكاهم في سائر بلادهم التي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول إن هؤلاء الأوربيين منهم الملحد ومنهم من يقول بالتثليث فكيف سادوا بقوتهم على المسلمين ، وأهل التوحيد وهو حق اليقين ، ؟ كلاً إنهم لا يميز لهم هذا القول بعد ما بين لهم أنه لا يهلك الأمم بالشرك إذا كانوا مصلحين في الأرض بالعدل وسائرين على سنن الله في العمران ولكنه يهلك الأمم الظالمة مهما كان اعتقادها كما علمت من الآيات التي أوردناها آنفاً ومثلها كثير . وأعظم عبرة للمسلم الكسار الضخامة مع داعي الحق الأعظم (ص) في وقعة أحد لما خالفوا سنن الأجمع في الحرب فخالفوا العقائد وتركوا حماية ظهر الجيش وفيها نزل ١٦٥:٣ أول ما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم فكل من خالف سنن الله الحق يغلب على أمره بحق حتى يزجج وما أسرع رجوع المؤمن إلى الحق إذا زل عنه

لهذا أقول إن الوصول إلى حق اليقين في التوحيد يناهى الأصرار على الظلم ، والتماهي في الفساد والبغي ، كما نطق القرآن وشهد العقل ، فلو لم يجعل الإسلام الأعمال الصالحة بعد ترك المفسد سبباً للإيمان وعنواناً له ودليلاً عليه وشرطاً لاجتماع ثمراته في الدنيا والآخرة لكان العقل وحده كافياً في الدلالة على أن الموقن بعقله المدعن بقلبه لمقيدة التوحيد الخالص لا يؤثر هواء ولا هوى الرؤساء والحكام على رضوان هذا الآله العظيم الحكيم القوي العزيز وإنما رضوانه بالتماس فضله من سننه في خلقه ، والوقوف عند ما حدده من الشكر والعدل في شرعه ، فهو يمضي في تعرف السنن والأحكام والعمل بها لا يخاف في ذلك وثبات الظالمين لقوله عز وجل ١٧٥:٣ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين * وقوله بعد ذكر سنته في الأيام يداولها بين الناس ٩٠:٣ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * فهل نطبق هذه الآيات على قوم يخافون الظالم إن ينهوه عن ظلمه ، ولا يخافون

الله تعالى ان يخرجوا عن حكمه ، وقد جعلوا دينه جنسية ، لاهداية حقيقية ، فهم يرجون سعادة الدنيا والآخرة بالانتساب اليه ، أو بالتوسل والدعاء لاشخاص ماتوا عليه ، وهم مختلفون متفرقون ، متنازعون متواكلون ، جاهلون متكاسلون ، لا يبذلون ولا يتعاونون ، ولا ينظرون ولا يتفكرون ١٢٠ : ١٠٥ وكأين من آية في السموات والأرض يعمرون عليها وهم عنها معرضون * ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون * ٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *

هو لاء الصادقون هم الموعودون بنصر الله وتأييده « ولن يخلف الله وعده » فلو صدق المسلمون اليوم ما عاهدوا الله عليه باتخاذ الاسلام ديناً من العمل بكتابه والاهتداء بسنته في خلقه لما غلبهم أحد على أمرهم فلقد صدقهم وعده بصدقهم فيما سلف حتى اذا ما فشلوا وتنازعوا في الأمر وعصوه من بعد ما أرى سلفهم ما يحبون أخذهم بمذله وسلط عليهم من هم أقرب الى الأخذ بسنته منهم كما توعدهم بقوله ٦٠ : ٧ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * (راجع بحث الاختلاف والتنازع في باب التفسير من هذا الجزء)

طال المقال والمبحث يطلب زيادة بيان لا يمكن الاتيان عليه الا في مؤلف خاص به لأن المسألة من أبتكار المسائل التي لم يفتقرها أحد من الكتاب فيما نعلم والشبهات فيها كثيرة وانما اهتدينا فيها بهداية القرآن وآياته وخلاصة ما أقول في شأن المسلمين مع غيرهم في هذه الأزمنة أن من يستخرج من القرآن الآيات الناطقة بسنن الله تعالى في أهل السيادة والعزة من صفاتهم وأعمالهم ، والآيات المبينة لسنته في الأمم المسنحة للإهلاك والاذلال ، ويعرض كل ذلك على الأمم الغالبة السائدة والأمم المغلوبة المقهورة يتجلى له صدق قوله تعالى في سيادة الحق وغلبته وازهاقه للباطل في كل أمة . وهذا النوع من أنواع علوم القرآن ينهض وحده حجة على ان ذلك النبي الأمي الذي بعث في تلك الجاهلية العمياء كان ينطق بوحي من الله ولم يعلمه بشر بل خفيت هذه المعارف العالية عن أفهام أكثر البشر حتى بعد مجيء القرآن بها وانما يظهر صدقها آناً بعد آناً بروية آياته تعالى في الآفاق وفي ترقى البشر

في أنفسهم كما قال ٤١: ٥٣ ستر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»
 فعلى المسلمين ان يعلموا انهم أخذوا بذنوبهم، لا بقوة غلبتهم على حقهم، ٤٢: ٣٠ وما
 أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» وان معظم هذه الذنوب على عواتق رؤسائهم
 وكبرائهم، فلا يعذرون باستبدادهم واستعلائهم، وعلى العقلاء، وأهل البصيرة منهم - وهم
 محل الرجاء في كل أمة استعدت للحياة - أن يعلموا أن ليس لهم امام يدعون اليه، ويجمعون
 الكلمة عليه، الا هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فعليهم ان
 يجتمعوا لهذه الدعوة وان يتناصروا في سبيلها وأن لا ينتظروا نصر الحق من المبطلين، ولا
 يتوانوا فيها خوفا من الظالمين، فان هذا الامر اذا خرج من أيديهم، يوشك أن لا يعود
 اليهم، ان الاسلام لا ينصر في الدنيا بالاماني والاحلام، ولا ينجي في الآخرة بالخرافات
 والأوهام، ان أهل الحق لا يُظلمون، ان الظالمين لا يسودون، ٤٠: ٧٨ فاذا جاء
 أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون * ٤٦: ٣٥ كأنهم يوم يرون ما يوعدون
 لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فويل يهلك الا القوم الفاسقون * ٦: ٤٧
 قل ان آتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون * وهذه نذره
 تعالى لقوم لا يعدلون، بل هم بربهم يعدلون، فبادروا أيها المؤمنون الصادقون،
 ٧: ٢١ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * ولا تغتروا بدينكم الذي اليه
 تنتسبون، ولكنكم به لا تعملون، فلقد أنزل الذكر على من قبلكم فسادوا وهم عاملون، ١٩
 : ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أتوا
 أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ٥٥ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *
 وقد أنذركم ما حل بهم لعلكم تعبدون، ٢١: ١٠ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه
 ذكركم أفلا تعقلون * ١١ وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بها قوما
 آخرين * ١٢ فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها بركضون * ١٣ لا تركضوا وارجعوا الى
 ما أترقتم فيه ومساكنكم لعلكم تستلون * ٤١ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين * ٥١ فما
 زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * ١٦ وما خلقنا السموات والارض
 وما بينهما الا عينين * ١٧ لو أردنا ان نتخذ لها ولا نتخذناه من ادنا ان كنا فاعلين *
 ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون *

أثار علي بن الحسين

﴿أجابة سؤال﴾

﴿أو نقد شرح ديوان أبي تمام﴾

لاديب متفكر ، تأخرت عدة أشهر

للقد على العلم فضل يذكر ، ومنه لا تنكر ، فهو الذي يجلو حقائقه ، ويميط عنه شوائبه ، بل هو روحه التي تنميه ، وتدني قطوفه من يد مجتنيه ، واذا أبيض النقد في أمة واستحبه ابناؤها ، وعرضت عليه آثار كتابها ، كان ذلك قائدا لها الى بحاج المدنية وآية على حياة العلم فيها ، الحياة الطيبة التي تتبعها حياة الاجتماع وسائر مقومات الحضارة والعمران . وقد بدأ مؤلفو العربية وكتابها يشعرون بفوائد النقد وما يعود عليهم من ثمراته الشبيهة فأخذوا يعرضون آثارهم على النقاد ويطلبون منهم تمحيصها وبيان صحيحها من فاسدها وبالامس اطلمت على ديوان أبي تمام المطبوع حديثا في بيروت فوجدت شارحه الفاضل قداقترح على المشتغلين باللغة قدما علقه عليه من تفسير غريبه وحل رموزه وأبدى من الرغبة في ذلك بحيث عيّن جائزة لمن عثرفيه على عشرة أغلاط فأكثر . فأكبرت صنيعة ، واستمدلت منه على كبر نفسه ، وعالوهمته ، وشدة شغفه بخدمة العلم وتقرير الحقيقة ، وها أناذا قدأجبت سؤله ووافيت رغبته في الإشراف على ذلك الشرح ثم نقد مائتين لي انه رمى في تفسيره الى غير معناد ، او حمله على غير ماأراده قائله منه ، قال :

(ص ٢) قد كان خطب عائر فأقاله رأي الخليفة كوكب الخلفاء

(العائر الساقط والإقالة الاخذ باليد) * حقيقة العثار ان يعثر الرجل بحجر أو بذيله مثلا فيسقط واذا عثر قيل له لعالك أي انتعاشا ونهوضاً . قال في الاساس ومن المجاز عثر في كلامه وعثر الزمان به وجد عثوراه وعثار زمان المرء وعثار جدّه

* نودع عبارة الشارح المتقدمة بين قوسين ونضع ايزاء كل بيت عدد الصفحة

التي هو فيها من الديوان .

كناية عن تحويل حاله ومفاجأة النواذب له . وحقيقة الإقالة فسخ البيع وإبطاله قال في الأساس ومن المجاز أقلته العثرة صفحت عنه . ومجاز الإقالة يستعمل مع مجاز العثار . تقول شاعرنا خطب عاثر فأقاله الخ هو من المجاز في الكلمتين وكما يقال زمان عاثر أي سي . يقال خطب عاثر أي سي . فظيع منكر . ثم قال ان رأي الخليفة أقال ذلك الخطب العاثر أي أبطاله وفل غربه وأزال ضرره عن الناس فالعاثر في البيت ليس المراد منه حقيقته وهي الساقط كما قال الشارح وإنما المراد مجازه كما ان المراد بالإقالة مجازها وتفسير الشارح لها بالأخذ باليد ليس من حقيقتها ولا مجازها على ان ذلك التفسير يأتي على البيت من قواعده لان الخطب اذا عثر وأخذ الخليفة بيده فقد أنمسه ونشّطه والشاعر يرمي الى غير هذا . وقد فسر الشارح الإقالة أيضاً في الصفحة ١٩ برفع العاثر من سقوطه وهو غير وجيه لما سمعت .

(ص ٣٢) فسيحوا بأطراف البلاد وارتموا فنا خالد من غير درب لكم درب
(الفناء عتبة الدار) الفناء الفسحة تكون امام الدار أو حوالها أما العتبة فهي
أسكفة الباب السفلى أو العليا . والصيد الفناء والعتبة فاذا قيل الفناء هو الوصيد أريد
من الوصيد أحد معنييه وهو فسحة الدار لا المعنى الآخر وهو عتبة بابها

(ص ٥٩) نسائلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنها وأيبت
(أيبت أقامت) أيت تأنيث أي الاستفهامية كأنه يقول وأيبة بقمة تبواتها
وتكرارها هنا كتكرارها في قول الشاعر * باي كتاب ام بأيبة سنة * وورود نأينا
بمعنى توقف وتمكث لا يجوز لنا استعمال أي بمعنى اقام كما لا يجوز لنا ان نقول باء بالمكان
بمعنى تبوأه وإنما رسمت تاء أيت هنا مفتوحة مع ان الاصل كتابتها مربوطه ابتغاء
مشاكلة القوافي مثل النجات في قوله (وآله وصحبه الثقات السالكين سبل النجات)
(ص ٦١) واحيا سبيل العدل بعدد ثوره وأنهب سبل الجود حين تعفت

(أنهب قوم) أنهب السبيل أوضحها وأظهرها بعد عفايتها واضمحلالها . وقومها
عدلها بعد اعوجاجها والتوائها

(ص ٦١) به انكشفت عنا الفياضة وانفرت جلايب جور عمنا واضمحلت
(انفرت انقطعت) الفري القطع يقال فريت الأديم أي قطعت وانفري الأديم

انشق واذا أسند الى مثل الجلايب فسر بالانكشاف والانحسار مثلاً . ومثله
تفرّى الليل عن بياض النهار أي انكشف ومن هذا القبيل جاب ومعناه قطع
كقوله تعالى « جابوا الصخر بالواد » فاذا قيل انجابت الظلمة أو انجابت الظل
فسرنا بانكشفت وتقلص مثلاً .

(ص ٦٤) ان الهموم الطارقاتك موهنا منعت جفونك ان تذوق حثاثة
(موهنا ضعيفا) الوهن له معنيان (١) الضعف (٢) بعد ساعة من الليل
أو نحو نصفه اما الموهن فعناه الثاني منهما . فاذا قالوا الموهن الوهن عنوا بعد ساعة من
الليل أو نحو نصفه لا الضعف . والطارقات الملمات ليلا فالموهن في البيت بالمعنى الثاني
(ص ٦٦) من كل رعبوبة تردى ثوب فيناها الأثيث
(فيناها المتفنن في نسجه) يطلق الفيان على الرجل الكثير الشعر ويطلق أيضاً
على نفس الشعر الكثير الكثيف تشبيهاً له بأفذان الشجرة اذا التفت وتكاثفت
فالفيان من الفن وهو الفصن والشاعر يقول ان تلك الرعبوبة لبست ثوبا من
شعرها الكثيف

(ص ٧٢) أشلى الزمان عليها كل حادثة وفرقة نظلم الدنيا لنازحها
(أشلى دعا) أشلى اذا عدي الى مفعول واحد كان بمعنى دعا واذا عدي
الى مفعولين ثانيهما محرف الجر (على) كان بمعنى أغرى فاذا قلت اشليت الناقة
والكلب أردت دعوتهما واذا قلت اشليت الكلب على الصيد أردت اغريته
عليه . فاشلى في البيت بمعنى أغرى .

(ص ١٠٠) في كل يوم فتوح منك واردة تكاد تفهما من حسنها البرد
(البرد المتبادر انه جمع بربر وهو ما بين المنزلين) قال في شفاء الغليل نقل عن الفائق
البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية وأصلها (بریده دم) أي محذوف الذنب
لأنه يقال ان دابة البريد كانت كذلك اه فعرّبوا « بریده دم » وخففوها الى
بريد فالبريد كلمة معربة معناها في الاصل البغل الذي يحمل الرسائل بين البلاد
وكانوا يقطنون ذنبه ليكون ذلك كالعلامة له ثم سمي الرسول الذي يركب البريد
بريداً ومنه قول بعض العرب الحمى بريد الموت والحديث « اذا بردتتم الي بريدنا

فاجملوه حسن الوجه حسن الاسم» وسيت أيضاً المسافة التي يقطعها البريد بالبريد ومنه قولهم «ان البريد من الفراسخ أربع الآيات وقد اراد الشاعر ان الدواب التي تحمل اخبار انتصار الممدوح في غزواته تكاد تفهم ما حملته وتشعر بحسن وقعه في النفوس

(ص ١٠١) حلفت برب البيض تدمي متونها ورب القنا المناد والمتقصد (المناد المتحرك) أود العود اعوج وآوده واوده حناه وعطفه فتأود واناؤد انحنى وانعطف والمناد المنحني والمعوج فالشاعر يحلف بالرياح التي بوشر الطعن بها فنها ما تنكسر ومنها ما اعوج وانحنى من شدة الطعن

(ص ١٠١) اذا مادعونا باجلح ايمن دعاه ولم يظلم باجلح انكذ (اجلح شديد مقدم) يقولون يوم اجلح واضلع أي شديد وقالوا جلح على الشيء من باب فرح أي أقدم عليه اقداما شديدا وهو ليس بالثلاثي فلا يأتي منه التفضيل على افعل . وعليه فأجلح في البيت وصف من الجلح وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس كالصاع أو اخف منه يريد الشاعر ان الممدوح الذي فتك بيابك ان كانت جلحته مباركة علينا ودعونا لاجل ذلك بأجلح أيمن فهي مشوومة على بابك وهو جدير ان يدعوه بأجلح انكذ . ونسبة اليمن والنكذ الى الصلعة معهود كاستبته الى الوجه والطلعة (له بقية)

﴿التقريظ﴾

﴿الحصون الحميدية * لمحافظة العقائد الاسلامية﴾

طبع في هذه السنة كتاب مسمى بهذا الاسم من تأليف الشيخ حسين الجسر الشهير صاحب الرسالة الحميدية . وطريقة المؤلف في باب الإلهيات هي طريقة السنوسي التي جرى عليها المتأخرون الذين كتبوا على عقيدة السنوسي الصغرى وعلى الجوهرة وآخرم الباجوري فهو يذكر من صفات الله تعالى ما هو سلي كالقدم والبقاء ومخالفة الحوادث وما هو وجودي وما هو في عرفهم واسطة بين الموجود والمعدوم وهو الوجود . ويعرف الصفات بما عرفوها به ويذكر لصفات المعاني من التعلق ما ذكرها حتى قولهم ان السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات .

ولكنه أطلال في باب النبوات أكثر مما أطلالوا فذكر أشهر معجزات الأنبياء واستدل على كل واحدة منها بالدليل المعروف وهو أنها جائزة عقلاً إذ لا يترتب على فرض وجودها مجال وكل جائز في العقل فقدره الله صالحة للتعلم بإيجاده وقد أخبر الصادق أن ذلك وقع فوجب التصديق به وزاد عليه أيضاً ورداً لشبه أهل العصر . ثم انه يذكر من هذه المعجزات ما جاء به القرآن وما روي في أحاديث الآحاد حتى ما لا يرتقي منها إلى درجة الصحة كحديث حبس الشمس أوردتها بدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم وبدعوة يوشع بن نون عليه السلام . قال ان الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فنحن نوّمن به ونصدق :

أقول ان مسألة ردّ الشمس له صلى الله عليه وسلم قد ورد في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج وورد في رواية أقوى منها في مناقب عليّ كرم الله وجهه وهذه الرواية وثقها الطحاوي في مشكل الآثار وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردتها ابن الجوزي في الموضوعات وتعبه في الآلئ وهذا نص الرواية من حديث أسماء بنت عميس : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل (عليّ) العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) لعليّ صليت؟ قال لا قال « اللهم ان كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس » قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت : رواه الجوزقاني عنها وقال انه حديث مضطرب منكرو وقال ابن الجوزي موضوع وفضيل بن مرزوق المذكور في اسناده قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من غير طريقه وفي اسناده أحمد بن محمد بن عقدة رافضي رمي بالكذب : ورواه بن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه وقد وثقه قوم . أقول وما ورد في حبس الشمس لبوشع ضعيف أيضاً وهو معارض لهذا فانه ورد بضعفة الحصر ولعل غرض شيخنا صاحب الحصون الحميدية من اختيار التسليم بكل ما ورد من الخوارق للأنبياء وغيرهم وان لم يتواتر بل وان لم يصح سنده في الآحاد عدم فتح باب انكار الجزئيات لئلا يفضي بقوم الى انكار أصل الخوارق من المعجزات والكرامات . فهو يقول

مادمننا نو من بقدره الله تعالى على كل شيء فلا ينبغي لنا ان ننكر شيئاً يؤثر عن أصفياء الله تعالى وان كان مخالفاً لسننه فهو واضعها وهو الذي يغيرها ان شاء الله متى شاء على يد من شاء . هذا رأيه واننا نورد عبارته في بيان دفع ما يرد على هذه الخارقة بعد التصريح بإمكانها قال «ص ٩٧»

« وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الارض هي التي تدور لو وقفت الأرض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر أخذاً بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويفرق أهلها: قلنا ان القادر على إيقاف الأرض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله تابعا للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر (وهو محمد او يوشع) عليهما السلام . لأننا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من البشر وإنما هو لحكمة بالغة وهي إظهار المعجزة الخارقة للعادة التي ينشأ عنها اهتداء أوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الإيمان الذي يحييها الحياة الأبدية وينشأ عنها تثبيت أوف وتمكينهم بالإيمان عن آمنوا قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من اراد الله تعالى هداها ويتصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله . فهذه الحكمة العظيمة توازي في العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليق بها أن تحصل تلك الخارقة لاجلها . على أن ذلك الملحد نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيئاً يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند الباري تعالى على حد سواء في أن كلامهما تحت تصرفه ومشيتته ولا يعظم شيء منهما لدى عظيمته وان كان في نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيماً وهما عند الله سيان في الجواز والامكان . ثم انه في بعض الروايات التي نقلت تلك المعجزة ما يفيد أن الرسول طلب وقوف الشمس أو أعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة

الجديدة بدوران الأرض أنه كان الصواب في حق ذلك الرسول أن يطالب وقوف الأرض أو عكس حركتها عوضاً عن طلب ذلك في الشمس : لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الأمر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطاً من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لأهل لغتهم ويجري في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الأرض ولم نسمعهم يقولون طلعت الأرض أو غربت أو وصلت الأرض لمقابلة نور الشمس أو فارقته وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة إذا علمت ما قررناه ، واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه ، فاعلم اننا معشر المسلمين آمننا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسوله الكرام ، يهدي ويثبت بها الألوف من الأنام ، اه بحروفه ولا يحسبن القاري أن الاستاذ المؤلف يحكم بأزمن أنكر هذه المعجزة كأولئك الحفاظ الاعلام يعد ملحداً لتعبيره عن المعارض بلفظ الملحد فانه لم يقل أحد من المسلمين بكفر من ينكر أي حديث من أحاديث الآحاد وان صح سنده فكيف يكفرون من ينكر حديثاً ضعيماً أو منكر باعتراف حفاظ الحديث أنفسهم . وانما يكون المنكر ملحداً اذا كان ينكر قدرة الله تعالى على فعل تلك الخارقة أو أي ممكن من الممكنات . والمؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعتقد بشي ء ثبت عنه عنده ثم ينكره اعظمته وانما أنكر الأئمة كثيراً من الأحاديث لعل في رواياتها أو رواياتها أو متنها ككونه لا يتفق مع الثابت القطعي فمن أنكر حبس الشمس أو رجوعها لعله من ذلك لا يعد ملحداً ولا مبتدعاً ولا عاصياً ولا منحرفاً عن سبيل المسلمين لاسيما إذا لاحظ مع ضعف الرواية أن مثلها مما يشتهر وتتوفر الدواعي على نقله فلما لم يروها أهل النقد من المحدثين كالشيخين وأصحاب السنن ومثل مالك وأحمد ترجح عنده أن من جرح رواياتهم ولم يقبلها من المحدثين هو المصيب دون من قبلها . ثم ان هاذكره الاستاذ مؤلف الحصون الحميدية من الحكمة في وقوع هذه الخارقة لم تؤيد برواية

الحديث فيها اذ لم يرد أن كافراً آمن لاجلها أو ضعيف ايمان ثبت برويتها . ولا شك أن هذه الحارقة هي أعظم الخوارق الكونية التي نقلت لأنها ابطال لسنة الله تعالى في نظام العالم العلوي والسفلي فهي أعظم من احياء الميت ومن انقلاب المصاحبة ونحو ذلك فلو تحدى بها لرحي أن يظهر ما قاله من الحكمة ولكن لم ينقل روايتها أنه وقع بها التحدي نعم إن واضح السنن لنظام الكون باختياره قادر على تبديلها أو تحويرها أو ازلتها اذا وافق ذلك حكمته ولكن النظام الثابت بالمشاهدة اليقينية وبالنقل اليقيني الناطق بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول وان الشمس والقمر بحسبان ، وأن لا تفاوت في خلق الرحمن ، لا يصدق في دعوى تغييره وتبديله قول فلان عن فلان، في رواية مطعون فيها من المحدثين، فهي لا تنفيذ الظن فضلا عن اليقين، واننا نعيد القول بأن مؤلف الحصون الحميدية لم يقصد بفتح باب التوجيه لكل ما ورد من الخوارق ومن أمور الغيب التي ذكرها في باب السمعات . وان لم يرتق الوارد فيها الى درجة الصحة بل وان كان قولاً مشهوراً لبعض العلماء لم يرد فيه شيء عن المعصوم . الا لاجل حماية القطعي الثابت من آيات الله ومن خبر الوحي الثابت عن عالم الغيب لئلا ينتقل العاصي وأمثاله ممن لا علم لهم بحقائق الدين من انكار ما لم يثبت باليقين الي انكار ما ثبت به وصار معلوماً من الدين بالضرورة فيكفر اذ الذي قطع به علماء العقائد أن المؤمن لا يحكم بكفره الا اذا جحد شيئاً مجعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة . والدليل على هذا الجحد اما القول واما الفعل الذي ينافيه كالسجود للصم اختياراً .

والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية ومن النسخة منه أربعة قروش صحيحة

البائنة - أو بحث في الدوطة

الدوطة كلمة إفريقية مشهورة معروفة المعنى وهو ما يأخذه الرجل من المرأة التي يتزوجها كما هي عادة الافرنج ومقلديهم وقد وضع سليم أفندي عواد رسالة في هذه المسألة بين فيها ان لفظ (البائنة) العربي يؤدي معنى الكفنة عند الافرنج ثم عرف الدوطة وبين سببها وذكر تاريخها عند اليونان والروم وأحكامها في قوانين الافرنج وكيف تملك وتورث والرسالة تطلب من المؤلف في الاسكندرية

(الروايات الشهرية) هذا اسم لقصص يصدرها يعقوب أفندي الجمال كالمجلات الشهرية وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشاً في القطر المصري و٢٠ فرنكاً في غيره . والقصة تناهز مئتي صفحة من الشكل الثالث ونمى بالشكل الثالث ما كان دون المنار وهو الشكل الثاني . ومن النسخة الواحدة منها ستة غروش . وهي تطلب من صاحبها في عزبة الزيتون بضواحي مصر .

(رواية الملك كورش الفارسي) قصة أدبية غرامية تاريخية للكاتب العربية المشهورة (زينب فواز) طبعت على نفقة أمين أفندي هندية وتطلب منه (الطبيب المصري) قصة أدبية أخلاقية تاريخية ألفها محمد أفندي المرادي من عمال نظارة المعارف ولم تتمكن من قراءتها ولا قراءة سابقتيها لنبدي فيهما رأياً فاكتملنا بالتعريف اعترافاً بفضل الكاتبين والمؤلفين والناشرين . ومن النسخة من هذه القصة ثلاثة قروش

(مجلة المجلات) عادت مجلة المجلات الشهيرة الى السفور بعد احتجاب طويل شق على عاشقي فوائدها وقد صدر العدد الأول من سنتها الحاضرة (وهي السادسة) في أول يناير من هذا العام الميلادي مفتحة برسم الاستاذ الإمام وترجمة له بعد خطبة السنة وفيه كثير من الفوائد العلمية والأدبية والصور فترجو لها العمر الطويل ، ونشي على صاحبها (محمود بك حسيب) الثناء ، الجميل والمجلة شهرية يتألف العدد منها من ٦٤ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٨٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في غيرها

(الآباء) مجلة عمومية أدبية لصاحبها محمود أفندي الكاشف وكانت من قبل جريدة وهي مؤلفة من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في خارجها فتمنى لها الثبات ودوام الانتشار والارتقاء

(الصائح) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة محمد علي بك نصوحى الصيدلي وهي معتدلة كصاحبها فتمنى لها الرواج وترجو لها الثبات

(الارشاد) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة الشيخ علي الجرجاوي وقد اشتهرت بالدفاع عن الأوقاف فتمنى لها العمر الطويل والخدمة النافعة

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

دعوة الاسلام في اليابان

كان لما كتبناه في مسألة دعوة اليابان الى الاسلام تأشير في جميع الأقطار الاسلامية فقد نقلت ما كتبناه الجرائد الهندية وأضافت اليه ما أضافت وكتب الينا بعض أهل الفيرة من مسلمي الآفاق بالاستحسان والاستعداد لإسعاد الدعوة إن وجدت . ومن ذلك ما كتب اليناه بعض الفضلاء من سنغافوره وهو :

« قد أسرني ما رأيت بالمنار من ذكر الدعوة الى الله بالجا بان وباطلاعنا على ما ذكرتم كتبنا لأحد المسلمين في شنغاي (بالصين) ليفيدنا عن الشيخ حسان وأحبينا أن نكتبه ونمن بما نقدر عليه فوصلنا منه ما رونه ضمن هذا بعد الاطلاع عليه أرجعوه الينا ان شئتم وقد أجبناه عسى أن يوئلف لجنة لجمع إعانة لهذه الغاية فمضى ولعل . ويقال ان أهل الهند جهزوا عالماً بمخمة آلاف روبية لينذهب الى جا بان للدعوة . وقد أطربنا ما ذكرتم في المنار بالعدد الأخير (يعني ج ٢٢) من دعوتكم العلماء للذهاب والأغنياء للمعاونة بالمال وقبلنا تلك السطور نيابة عن أنامل سطرها ولكننا لانوافقكم في أن سروات مصر لا يكتشون بالمبالغ الكبيرة ودليلنا ان القوم يكتسبون سنويا لعيد الجاوس ونحوه من الأعياد الفارغة بمبالغ غير حقيرة مع أن الأمير لا يقرأ تلك القوائم ولو قرأها لم تعلق بذهنه فضلاً عن أن يثيب على ذلك فن لا يبخل بالترهات كيف لا يبذل المال في نصرة الدين ، وإقراض أحكم الحاكمين ، فلانزيدكم توصية بالترار . وهنا قد أحب بعض قراء المنار المشاركة وسيقدمون ما يجتمع وهو وان كان زهيدا فأول الفيث قطر » اه بنصه

وهذا ما كتب اليه من شنغاي بعبارته قال الكاتب بعد رسوم الخطاب « احاطة علمكم ما هو محرر بمجلة المنار الاسلامي عن أن رجلاً من الصين اسمه حسان قد قام بكتابه بعض عبارات في مجلة شو كيا الجبانية يدعو القوم الى الديانة الاسلامية وتطلبوا الإفادة عن (ادريسه) فلا خير شرحكم فهمناه كما اطلعنا عليه بالمجلة

المذكورة ونشكر غيرتكم الحمية عليه . غير أنه قد تمجبنا من ذلك لعلنا به سلم وجود هكذا شخص بالصين أهلاً لذلك ونأسف كما بأسف كل مسلم غيور بأن تكون أهالي الصين المسلمين محرومين من هكذا رجل وهم أحوج الناس إليه « ولدى الاستعلام عن الشخص المذكور فهمنا بأنه قد حضر من بضعة أشهر من بلدة « دلهي » بالهند رجل عالم اسمه بالانكليزي (سفراي حسين) ولعله هذا الذي يعنى عنه المنار « حسان » من طرف جمعية اسلامية بالهند لهذه الغاية الى الجبان من بعد أن أقام كام يوم هنا طرف أحد الإخوان . وقد فهمنا انه توجه الى الجبان الى أوزا كما ومنها الى ناكازا كي حيث أقام بتحرير جملة مقالات في بعض جرائد الجبان والقاء بعض خطاب بهذا المعنى والآن نجمل محل اقامته كما نجمل (ادريسه) الأ أنه يمكن نحرره بالاسم المشروح أتلاه بالانكليزي الى بوكاهاما أم ناكازا كي . وغدا ان شاء الله سنحضر الى أحد الاصحاب بتلك الأطراف للاستعلام عن ذلك واليك الحقيقة بعد هذا

« أما حالة الجبان الدينية فهي كما كتب محرر المجلة المذكورة ولم يزالوا تأميرين حائرين على دين يعتقدوه (وان يكن منهم صار الحاظ الأ وفر مسيحية) ونعرف منهم اثنين قد اعتنقوا الدين الاسلامي ولا قدروا يفهموا منه الا أساءهم حيث قد صاروا بأسماء جديدة أحدهم ابراهيم والثاني اسماعيل . ونعهد ان منهم جدلة قد صاروا يهودا . والحقيقة الآن فرصة ثمينة جدا وثواب عظيم . ولكن يحتاج هذا لرجل عظيم فيلسوف غيور مستعد ليس بعلم الفقه فقط على مذهب الشافعي . . وحضرتكم أعلم .

« أما حالة الصين لا ننكر وجود جملة اسلام بعد بالملايين ومنهم العلماء الاعلام ويوجد عندهم المدارس العاليية الداخلية حيث يوجد بهم ألوف من طلبة العلم أخصه في البلاد الداخلية حيث أعلم الاسلام بهم نظير كيانسو . شانسي وهونان . ولكن من الصعب وجود شخص بالاستعداد الكافي والغيرة لما ذكررنا اهدنا ووفق وألف بين قلوبنا انك سميع مجيب . . » اه بحروفه ونقطه الا اسم العالم الهندي فقد رسمناه بحروف عربية وظاهرانه يريد بالجبان اليابان وبالادريس العنوان

وكنا قبل هذا قرأنا في جريدة «وكيل» الهندية الغراء ما ترجمته :
 حضر من أعيان الهند وعلمائها الاعلام (سرفواز حسين) الى مدينة
 نجاساكي اليابانية في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٥ وفي ١٨ منه دخل الى أحد معابدها
 المسمى (جوسوجي) وألقى خطبة شائقة باللغة الانكليزية موضوعها التوحيد
 الاسلامي ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان عدد الحاضرين يبلغ زهاء
 أربع مئة من يابانيين وأوربيين ودام في خطبته ساعتين وكان من الحاضرين
 اللادي مس ريدلف كود الامريكانية وكانوا يسمعون بكل انتباه وإصغاء . وفي
 اليوم التالي ليوم إلقاء الخطبة كتبت عنها الجرائد الانكليزية واليابانية مقرظة
 اياها أحسن تقر يظ وقد جاء كثيرون ليسألوا العالم الهندي بارتياح وهسرة عن
 التوحيد والنبوة وبعد عشرة أيام برحها الى مدينة كوبي ومنها الى طوكيو اه

(المنار) نقول ان مصدر خبر الشيخ حسان الصيني هو الجرائد الألمانية
 ولا ندري من أين أخذته . ولا فرق عندنا بين أن يكون الداعي الاسلام هنالك
 صينياً أو هندياً لأن الملة واحدة ولكن نرجو أن يكون هندياً لأن أهل الهند أعلم بها من
 أهل الصين ومن لنا بمن يترجم لنا خطبة أخينا سرفواز حسين لعلمنا نجد فيها ما يطمئن
 له القلب من ناحية هذا الداعي الاول للاسلام في تلك البلاد . ولا يشك عاقل في
 أن هذا العمل العجيب لا يكفي للقيام به عالم واحد مهما اتسعت دائرة علمه، ونفذت
 أشمة عقله وفهمه، فلا بد للمسلمين من جمعية للدعاة يكون لها مدرسة لتربيتهم
 وتعليمهم وصندوق غني للنفقة عليهم . ولكن هل بلغ استعداد المسلمين الديني
 والاجتماعي في جميع الممالك الى أن ينهضوا بجمعية واحدة كأصغر جمعية من جمعيات
 المبشرين عند النصارى ؟ يظن صاحبنا الذي كتب الينا من سنغافوره ان
 المصريين وحدهم يضطلعون بهذا العمل وهو قليل على كرمهم ولكنه أيدظنه بقياس
 الجدل على الهزل ولا أزيد على هذا شيئاً في الكلام على قياسه وأقول له ان لي في
 المصريين لأملاً ما ولكي أعقدان هذا العمل لا يتم الا اذا تضافر المسلمون في كل
 الاقطار عليه . ويرجي بعد أن تبدو ثمراته بسعي أصحاب المهمة العالية والغيرة
 الصادقة ان تصير الثقة به عامة وأن توقف عليه الأوقاف العظيمة فإن حب

الخير وبذل المال في سبيل الله لم يمح من نفوس المسلمين ولكن الأغنياء منهم صاروا طبقات فمنهم من عبد المال من دون الله لا يسمح بقليل منه ولا كثير وهو لاء قد فسدت فطرتهم فلارجاء فيهم ، ومنهم من لاهم له الا الاسراف والتبذير في سبيل الشهوات واللذت والفتخفة والزهو والخيلاء وأكثر هؤلاء من عبید الشهوات الذين لم يبق للدين بصيص من النور في قلوبهم . وقد يوجد فيهم من ترجى أوبته، وتحسن خاتمته، ومنهم من يحب عمل الخير ولكن يضعه في غير موضعه لجهله بما يرضي الله وينفع الناس فيبني مسجدا حيث تكثر المساجد فيزيد المسلمين تفرقا أو يوقف وقفاً على ضريح بعض المشهورين بالصلاح ، ومنهم من يميز بين الضار والنافع ولكنه ضعيف لا يقدر على العمل بنفسه ولا يثق بالعاملين وان كانوا قادرين وإنما الرجاء بمثل هذا بعد ظهور ثمرة العمل . وأما الغني السخي العاقل الشجاع الذي يرجى للشروع في الاعمال العظيمة قليل، وهو المرجو لهذا المشروع الجليل،

(منار السنة التاسعة - تنبيهات)

(١) اننا سنزيد مادة التفسير في الاجزاء الآتية ويرى القراء أننا نراعي في كتابة الآيات الكريمة المشكولة رسم المصحف العثماني اتباعاً لسلفنا وحفظاً لما كانوا عليه في صدر الاسلام . ولكننا عندما نذكر هذه الآيات في أثناء التفسير نوافق جميع كتب التفسير المطبوعة في جعلها على قواعد الرسم المتبعة لأنها تكتب غير مشكولة فيخشى ان يحرف قراءها غير الماهر في التلاوة وقد نبهنا في هامش الصفحة الاولى من التفسير على اكتفائنا بعد المصحف المطبوع في الاستانة للآيات الكريمة . وقد تحرينا في هذه السنة الاشارة الى السور وعدد الآيات في جميع ما نذكر في المنار من القرآن المجيد ونفصل بين عدد السورة وعدد الآية بنقطتين هكذا ٩ : ٢٥ والمراد بهذا المثال السورة التاسعة والآية الخامسة والمشرعون منها . ومن كان عنده المصحف الذي طبعه فلوجل الالماني وراجع عدد الآية فرأى غيرها فلينظر قبلها أو بعدها بآيات قليلة يجدها لأن الفرق في مواضع الاختلاف قليل

(٢) قد جعلنا باب المقالات في هذا الجزء بعد باب الفتاوى ولكننا سنجمله في الاجزاء الآتية بعده

(٣) لا يقبل الاشتراك في المنار الا من أول السنة الهجرية أو من أول رجب منها ومن قبل الجزء الأول عند مشتركنا الى آخر السنة ولزمه اداء قيمتها كاملة . وهذا الشرط يلتزمه من يفي بالعقود والشروط التي رضي بها وان كان لا يبالي بها من لا قيمة لنفسه عنده وحسبنا اننا نعامل أهل الفضل والشرف ومن شد فأخلف ظننا فحسبه ان يكون حسن الظن فيه كاذبا

(٤) نرجو من أهل الوفاء والفضل الذين لم يوفوا الى الآن أن يرسلوا الينا القيمة المتأخرة عندهم حوالة على مكتب البريد في مصر القاهرة أو على بعض التجار أو المصارف (البنوك) ونعلم مشتركنا سينا فوره وجاوه والهند أن قيمة الروبية الورق (بنك نوط) في مصر ستة قروش مصرية فالعشر الروبيات تنقص عن قيمة الاشتراك زيادة عن فرنكين فلعلهم يكفون عن إرسال هذه الاوراق (٥) اننا نريد ان نطبع عنوانات المشتركين في القطر التونسي وسائر الاقطار فمن كان في عنوانه غلط فليصححه لنا لنطبعه على الصواب ونرجو المبادرة الى ذلك . وقد حظرتنا على التونسيين في الجزء الماضي أن يدفعا شيئا من قيمة الاشتراك بعد وصوله اليهم الى المحصل الذي أقامه وكبل المنار في تونس واسم هذا المحصل (أحمد أبوخطيوه) فقد كتبنا اليه نسأله عن التحصيل وعن الوكيل الفاضل النبيل فلم يجروا بأول له عنرا يظهر عن قريب . فارجو من فضلهم ارسال القيمة حوالة على البريد بمصر

(٦) عزمنا على ان ننشر في الاجزاء الآتية نبدا من المباحث الادبية منظومها ومثورها ونذكر في الجزء الآتي كلاما في المغرب الأقصى ومسألة العقبة وماشاع من سلطان الجن والشياطين على بعض علماء الازهر وغير ذلك من العبر

(٧) كنا نرسل المنار الى كل طالب ونحسن الظن فيه فخاب ظننا بكثير حتى من أصحاب الالقاب الضخمة وقد بدا لنا في ذلك فلا نرسل المنار في هذا العام الا لمن يرسل قيمة الاشتراك مع الطلب الا أن يكون الطالب لنفسه أو لغيره من أصدقائنا الموثوق بهم

عمال المطابع وأخلاق العامة

أفادنا علم الأخلاق أن العمدة في ردع الناس عن الشر وتوجيههم إلى الخير هو الوازع النفسي ويقول فلاسفة هذا العلم أن هذا الوازع يتمكن في النفس بالاعتقاد الديني وتربية وجدان الشرف في النفس في أمة تعرف معنى الشرف الحقيقي وتحتقر من يتلوث بالخسة والدناءة . وأما عقوبة الاحكام فقد وضعت لاهل الشذوذ لاثريية العامة . فن عرف هذا وعرف حال التربية في مثل هذه البلاد لم يتعجب من تألم الناس هنا من الصناعات والخدم وتجاوبهم بالشكوى منهم فانهم محرومون من آداب الدين ومن شعور الشرف الا من شذ وان اكبر خدمته تقوم بها الجمعية الخيرية الاسلامية هذه البلاد هي تربية اولاد الفقراء تربية دينية يرجى بها ان يكونوا صناعاتا وأجراء صالحين يوثق بهم ويؤمنون على الاموال والاعمال

كنا ظننا أن اللين والوفاء للصناع يقربهم من حسن الخدمة والاستقامة فاذا بالقوم لا يفرقون بين الاحسان والاساءة وهم من عامل ترك العمل لان رجلاً قال له في الطريق اترك هذه المطبعة واذهب معي الى مطبعة كذا فذهب وليس له عندنا قرش واحد على أن أكثر أصحاب المطابع يمسكون من أجور العمال شيئاً بمثابة الرهن فن ترك العمل ضاع عليه وكان عوضاً لصاحب المطبعة عما يخسر به باهمال العمل الى أن يجد عاملاً بديلاً منه . وقد تباع البلاد والحماقة ببعضهم أن يترك العمل عدة أيام ليغيظ صاحب المطبعة وهو أحوج الى أجر هذه الايام من صاحب المطبعة الى عمله بل الى المطبعة نفسها . ويسرع على أذكي الاذكيا وأفصح البلغاء أن يقنع الكثيرين منهم بأن هذا العمل ضار به وهذا نافع له كأن أقحافهم لمحيطه بأدبهم أفلاك هيئة اليونان لا تقبل الخرق والالتنام . فتبا للمتفرنجين لمجاهرين بالفسق ولاهل الخرافات الذين أزالوا حرمة سلطان الدين من نفوس هؤلاء العوام . حتى لم يبق لهم زمام ولا لجام ، فاستحل أكثرهم الحرام، وخزيت بهم الأنام ، - هذا وان تأخير هذا الجزء عن مواعده كان لا متنازع بعض العمال عن العمل أياما وسيتأخر الثاني ولا تأخير بعد ذلك ان شاء الله تعالى

المسألة

١٣١٥

يؤني الحكمة من يشاء من يؤمن الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتوبون أحسنه
أرأيتك الذين هم آفكوا وتكتمهم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتي و« منارا » تكثر الطريق)

﴿ مصر الاثني عشرة سنة ١٣٢٤ - ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم الضالون في الإفراط والتفريط مانصه
وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة، ولم يفرطوا
إفراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهو لاء على مذهبين مذهب
الاشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فمذهب أهل
السنة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره
لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرا وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير
مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم ان الاشعري ومن وافقه
منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما
مر قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الاشعري ومن وافقه من
المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي
وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون ان الله تعالى فعل
عندها لا بها ويقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الاشعري ان الله

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الأشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقذور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبتته الأشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الأشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه واراادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لاني أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمة الأشعرية ومن واقعته فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الأصل والصفة قيل ومذهب الأشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه أنهم سلبوا العبد قدرته واختباره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الأشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر ان يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكى عنه انه كان يخرج الى الجذمي ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعماءه انه ليس الا مشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجع أحد المتأثرين بلا مرجع

ومذهب سلف الأمة وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقولون بما دل عليه الشرع والمنال

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلا بد للسبب من سبب آخر يشاركه ولا بدله من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى انها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الشجرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى اسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥:٢٨ هذا من عمل الشيطان) وقال (٦٣:١٨) وما انسانيه الا الشيطان) مع قوله (٧٨:٤ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعلمون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان ائمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء، وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فاعله الله خالق وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجهور المسلمين وجهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهنم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيئا من الحوادث افعال الملائكة والجن والأانس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققى أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد و ارادته و فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبايع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيرا) وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبايع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في العبادات (وأخرجت الارض أثقالها) وقال (واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقال (ندمسر كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح - وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله - وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياساء ألقعي وغبض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جدا

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا مانصه :
ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته و ارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدره الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق : قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوله كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه اتى وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوله هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاظ بعقله مقرر عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب بعباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومما قبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم وممكنهم من التوصل الى امثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلاوي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اليب المنصف به ومن نظرت في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما نيط بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعدتم وعصيتم وأيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضعت المهجة لئلا يكون للناس

على الله سبحانه وأحاط بذلك كما ثم استراب في ان أفعال المباد واقعة على حسب
 ايتارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على
 جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب
 بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في
 مقدوره أصلا واذا طوبى بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في
 الجواب طولا وعرضا وقال الله ان يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه
 المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق
 أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف
 وتقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول أنه عزت قدرته
 طالب عباده بما أخبرتهم بممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة
 والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر لقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر
 للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان يثبت في نفسه
 أنوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه
 ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول
 بأن العبد خالق أعماله فانه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورمطات
 الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد بقدرته الحادثة والقدره القديمه
 فان الفعل الواحد يستحيل حدونه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدره
 الله استقل بها ويسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدره الله فان
 الفعل الواحد لا يعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين
 ان يدعي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال
 همة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام
 يجهلها باطلة ولا ينجي من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل
 معنى وذلك ان قائلا لو قال ان العبد يكتب وأثر قدرته الاكتساب والرب
 تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأدبرت الاقسام
 المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهر يا - ثم قال يعني امام الحرمين - فنقول

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدرين بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا وقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله من حيث انه وقع بفعل الله ولو اهدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا الاستبداد بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلوا واصلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فاننا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الآله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيا أسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاخترعهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدروها مضاف اليه مشيئة وعلمها وقضاء وخلقها وفصلا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقها وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقدرها لما أقدره عليه ولما هيا أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المين فالعبد فاعل مختار مطالب بأمر منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقتضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزول الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوج على المخالفة ويحاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا امرأ فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا نهى عن فعله انفراد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد من اجار به في التدبير موقفا ما أراد ايقاعه شاء الرب أو كرهه.

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شيخه

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بأن العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئة وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله ذلك وممكنه منه وهو المخبر عنه بالأذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا والى فيه سابقا رسالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام امام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بالحقاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه ان النقل عنه بالتأثير بالأذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى «ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى» من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه و اضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأيدته بدلائل الكتاب والسنة الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا ووصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الأشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقاوا في قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الأشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بان لقدرة العبد تأثيرا ولكن باذن الله لا على الاستقلال فاللائق ان يفسر كلام الأشعري بما يتنزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لأنه ليس نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي ان لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان

الكسب عند الاشعري تحصيل المبد بقدرته المؤثرة باذن الله ما تعلق به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به موذى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه - كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام المحافظ ابن عساكر - ما يدل على انه أي الاشعري انما نفي الاستقلال لأصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفراييني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفراييني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء - وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلب بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لا هلكه فليس للمبد قدرة الا بتمكين مولاة قال الكوراني فهو قائل ان للمبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا النمكن هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقيدتنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر تعلم ان محمدي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينمقه الخلف وبالله التوفيق اه

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسيبتها ولا لقدرة لانسان في عمله وأن الله يخلق السبب عند السبب لا به وأن المبد كسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

وتعزو هذا الى الاشعري وكبار انصاره ليعلموا أن كلام الاشعري ليس نصافي ذلك وأن
الكبر أنصار مذهبه وهم امام الحرمين والاسفرائيني والغزالي قالوا بخلاف ذلك
فلم يبق الا الباقلاني عليه فهل نحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الاشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل
الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الاشغال وقد رأيت الآز أن أعود اليه بايضاح
يزيل ما هنر به السفهاء من الناس الطاعنين في الاسلام . الذين يعدون النسخ
في القرآن دليلا على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كاملا كما تعتقد ويعلم
هو لاء المساكين أن ما يقذفونه به ليس الا حصي لا تزحج طودا من مكانه . ولولا غفلة
المنجمين الى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونه بها ظانهم أنها توله .
القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الاسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير
نشأ غالبا في العصر الأول ان صحت الروايات الأحادية الواردة في هذا الباب .
والذين قالوا به منهم إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ١٠٥:٣ « ما ننسخ من آية أو ننسها »
لاية فكان اذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها
شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة
في التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في
كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضا في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم
كأبي مثلا يقول أبي لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
بذلك أنه لا يترك حكما بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد
في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبي وأقضانا علي وانا لن دنع
من قول أبي وذلك أن أبا يقول لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقد قال الله تعالى « ما نسخ من آية أو نساها » :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الإسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الأصفهاني وغيره . على أن المتسكين بها ليس عندهم دليل يعتد به على صحة مذهبهم وسنفسر انشاء الله الآيات التي توهم أنها تفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع ما أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى . ولا حمل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أولوهم وأهمل وأيضاً فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر النسخ في كثير من المواضع بل إن بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن النسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلاً ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار إليها نزلت أولاً ولم يبالوا بأن ذلك يناقض ترتيب الآيات في سورها وإن كان هذا الترتيب توقيفياً بالاجماع . اننا لا ندري لِمَ كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم إلى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخطون في أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٥٢:٤٣) جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) . فإذا كان مذهب النسخ صحيحاً أفليس من الإبهام وعدم البيان أن يكون القرآن خالياً من التنيه على ما نسخ وعلى ما لم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجائب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصاً قطعياً صريحاً على أن الآية أو الآيات الفلانية نسخت بالآيات الفلانية!!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات؟ ولم يتركوا دعواهم النسخ في آية إذا تحققوا أن لا تعارض بينها وبين غيرها؟! عملاً بالناس في هذه المسئلة غلوّاً حتى أنهم أرادوا أن يجهلوا هافنا من الفنون التي تولف فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أضرب (١) ما نسخ لفظه وحكمه معاً (٢) ما نسخ لفظه فقط (٣) ما نسخ حكمه فقط . ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر إليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

اكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطله له لا يوافقها عليها القرآن فيختاق ماشاء أن يختاق ويزعّم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا أن بعض الملحدّين أو بعض الفرق العلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعاويه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتوارى في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك الى الطمن في التواتر نفسه . فالخطوة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا الا على ما تواتر ورفضوا كل ما خالفه والا لفقدوا التمييز ولما أمكنهم التصديق بشيء ما الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسبها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا لا نسخ الا في الامر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جملها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحتب أن يكون له الثاني) الى آخره . ولو عتل هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت القرآن على ذي ذوق وهو أجنبي عن المسلمين لحكم أن قائلهما لا يمكن أن يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الا أبشروا أتم المفاجون » على أنها لا تخلو من تكاف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات الأحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفي بها ولذلك لا يعتمد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتح والمردّين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يمتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابتها دون سواه فكتبه له كتبه الوحي وكتبه غيرهم لأنفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في

السطور وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعتها هو
 ايضاً منهم . ارتقت الأحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك
 ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وليّ عثمان الخلافة أمر بالاقصا
 على لغة قريش خوفاً من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة
 الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبهذا السماع من الحفاظ وكان
 ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة
 رضوان الله عليهم وفيهم الحفاظون للقرآن في صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعاً
 على استعمال هذه المصاحف . هذا ومن عرف طباع العرب وشدها تحقق أنه
 لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولا أثرت حروب وأهقرت دماء وقتل
 عثمان لهذا السبب ولو وجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل
 شيء من ذلك مطلقاً . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى
 الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقاً قديماً وحديثاً
 شرقياً وغربياً الا ما كان خطأ مطبعياً أو سهو ناسخ . ويهيم على هذه المصاحف
 آلاف الألوف من الحفظة في جميع الاقطار وفي جميع الأزمنة . هذا هو تاريخ
 القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الآحادية يجب رفضه
 ولا يعبأ به . وهذا هو الكتاب الذي تؤمن به وتهيئد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ
 بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض في ذلك
 فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة
 ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلعبت بها الالهواء ، وتمددت في شأنها الآراء ،
 لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما نبى على حكايات
 رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بعمدة تكفي لضياعها
 أو الخلط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها
 فن تحقيق الأسانيد وتحريمها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لو كان الاسلام
 كهذه الأديان لحق لأهل الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

الاسلام - والله الحمد - دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الآحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الأحاديث الدالة على صحة الاسلام كالأحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للطعن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئاً . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفراه مع أنه لم ينكر أصلاً من أصول الدين . فليتنق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواية أحاديث جميع الأديان والممال ؛ كم من حق ضاع بين باطل ؛ كم من موضوعات رفضها المحققون ؛ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؛ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لأنه ليس معصوماً . فما هذا الجور يا أمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك ؛ ولولا أنتم لما وجد سفينة قنسا يضر بنا به .

ولنرجع الى تسميم موضوعنا فنقول أماما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئاً ولذلك أذكرونا أشهر الآيات التي تمسكوا بها وأتكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الفليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي في سورة التوبة ٩: ٥ (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا أنها نسخت جميع الآيات الامرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلاً لوجدوا أن أكثر هذه الآيات مشعرا بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الآيات التي تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان مؤقتاً . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلاً قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل . وقوله فاصدع بما توهم وأعرض عن المشركين) كل منهما مؤقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائماً فلما تحقق المسلمون بعد طول

الاختبار ان الصفح والاحسان لا يجدي مع العدو نفعا ولا يزيد الاطمئنان واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويقتصب أموالهم وأعراضهم ويخرجهم من ديارهم ولا يراعي لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلا ولا ذمة . لما تحققوا ذلك وقبوا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينتقموا منه مع مراعاة العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور بهما في القرآن كثيرا ولكن لا في كل وقت ولا الى غير حد ويفضلان على الأخذ بالمثل الا اذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا تعارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف المالمين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي وغيره . هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء ، وجب علينا أن تكون خطته خطتنا فنحرب أولا الذين فان لم ينجع فالشدة . الا اذا خفنا أن يضيع الدين ما كنا ويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرا فقال (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم - وقال - وياخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم الفرص حتى يسلبهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من القتل بهم

(الثانية) مسألة القبلة - لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وإنما هي نسخ لحكم لا ندرى هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ١٠:٥٣ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليلة المراج ولا ندرى جميع ما أوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى ما بلفنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يروى اليه بشيء في منامه كرؤياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٢٧:٤٨ (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرؤيا وحيا اليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه . اذا ليس كل وحي قرآنا وإنما القرآن ما يمكن

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية .
وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقاً

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥) يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن
يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله
والله مع الصابرين * قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للاولى وفاتهم
أن ذلك يوجب القول بأن الحكيم الواردين في سياق واحد متناقضان ولا مخلص
لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم
يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوىاء
جدا حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة
ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواعجبا ما هذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن
الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن
جرب ذلك ولما تحقق أ بطل هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه
المسألة ريك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعدم من الله لهم بنصر الواحد
على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده
عشرة أمثالهم فكأن واحداً منهم شق عليه ذلك فسأل : هل نمثل هذا الأمر
الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم)
أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم أمثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفاً) وهذا
كالتعليل لعدم إيجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء
لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثليهم فقط موقفاً إلى أن يقووا . فكأنه
قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وإن كان مثلكم مرتين ويعدكم بالنصر
في المستقبل ولو كان عدده عشرة أمثالكم وإنما قدم الوعد الأخير على الأول
لأنه أتبع في الحظ على القتال فأتى به بعد قوله (حرض المؤمنين) وقدم لفظ

(الآن) للدلالة على القصر فكأنه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماتة في القتال .

(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم * ١٣ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون * والمعنى أن الله ندبهم الى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤ ونهم والدليل على أن ذلك ندب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ما سيأتي بعد ثم قال (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أي ان من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم على ترك هذا الأمر إذ لم يجدوا ما يتصدقون به أما من تركه بلا عذر فالله يلومه ويربضه ثم قال (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام بمعنى النهي كقوله (أنخشونهم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فان الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي ان تهاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه ان تركتموه فلا تهاونوا في الواجبات كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله والرسول فان الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فان قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣ : (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (١٠٦:٢) مانسوخ من آية أو نسيهات بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن نسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى مانسوخ من آية نعيمها دليلا على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها وترك تأييد نبي آخر بها

أو نفسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فإننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك تأتي بخير منها في قوة الاقتناع وإثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسمة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة بمنحها جمع أنبيائه وهو رد على من يقترح معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) إلى قوله (أم تريدون أم تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية (السادسة) قوله تعالى (١٠١:١٦) واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أنا إذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا إنما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأهم مقيمون شرائع الله وحملته دينه للخلق جميعاً . وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالأيات في قوله ٢٤:٥ أنا نزلنا التوراة - إلى قوله - ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدل على صحة تفسيرنا ورود بعض الأحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١١٤:١٦ (فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إلى أن قال (١٢٣) إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد: أننا إذا بدلنا آية في موضوع ما بآية أخرى عند تكرار هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاكاة العرب وغيرهم توهموا أن

أن فيها تناقضا وتضاربا وقالوا إنما أنت مفتر كذاب والالما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشئ عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي انكرت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بإرشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فعلى هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمدعي النسخ حجة مآفي القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نص على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشري لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا ؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه انه لم ينهض لهم شيء منها فأي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فياقوم كفاكم كفاكم ما حملتم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادين عنه . هذاكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مثار لشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلهم على القرآن وقد أطلال الغو فيها مؤلف كتاب الهداية طعنا في الاسلام والفرص الاول للدكتور محمد توفيق أفندي صدي من هذه المقالة رد هذه الشبهات على أنه يعتد بصحة ما ذهب اليه ما هو النسخ في القرآن كأبي مسلم المفسر الشهير . وان لنا كلاما آخر في هذه المسألة سنشره في جزء آخر وأنه ليسرنا ان نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعنى بفهم القرآن والاهتداء به وان خالف جمهور الفقهاء والاصوليين في بعض المسائل التي لا يبد أحد من المتخالفين فيها كافرا ونعتقد اعتقادا مؤيدا بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون الا بهذه الطريقة لذلك تقبل منهم مباحثهم واستثبتهم مع الاغتياب والسرور ، والله عاقبة الامور

باب المقالات

تطور الأمر وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قلّ تولد الخلايا وكثرت فيها الموت حتى يهلك الجسم فتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكوّن خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم ان مدار حياة الاحياء الصفري كالخلايا والكبرى كالشجر والبقرة على الخليقة وما فيها من سنن النظام وقلما يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعيته لا يستغني بالطبيعة عن تمهيد بعض افراده لبعض بالعناية والترية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصفري التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا وهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهاكه لقوة الحياة أو الذهاب بها مادام الجسم الحي مستعدا للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حي له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض بأعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضه له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوارض التي تعرض لحياة أفرادهم أو تقتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاسقام كالشجر والحيوان الأعجم ان حياة الانسان الاجتماعية امراضا كما أن لحياته الشخصية امراضا وان معالجة الامراض الاجتماعية أعسر، والتحقق بشروطها أندر، ففي كل جيل من الاجيال، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين، والصناع الماهرين، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال، ولا يمث طبيب اجتماعي في الأمة، يرفعها من الخضوض الى القمة،

ان حياة الأمة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون، وهداة روحانيون، تكون دون حياة الخلابا في الدوح، وحياة النجم والشجر في الروض، لأن حياة النبات قلبا يعوزها شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما اعدتها حكمة التكوين له من النظام والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كمالها فاذا فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر. وافراده حينئذ يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الأمة فيتحرى فيه مصلحتها ويعرف اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقى عليك بشأن الأمة الاسلامية في حياتها الاجتماعية .
إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثلا لانتقال الامم من طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الأمة الاسلامية

كانت هذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أبنائها الى المملكة فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب، وخير حاكم في زمان السلم، يقيم العدل، ويعمر الأرض، ويؤم من الرعية، ويستبدل الحرية بالعبودية، فيرى أقل رعيته ولو من غير أهل دينه وجنسه أنه مساو له في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نبلا فشكاه الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبلة

بن الأيهم ملك غسان لولا انه فر هاربا
بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحييتا وجددت
للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلا بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا
اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم يزر من قبل فان انكسرتا وهي
أعدت دول أوروبا لانساوي بين آحادا بناتها وبين أمراء الهند فضلا عن ان
تساوي بين لورداتها وسلاثل ملوكها وبين صماليك مستعمراتها ، وان الخلقاء
الراشدين ما كانوا يميزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في
سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم
بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس ولي عهدنا
في سياحته الاخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستئلال
المحكومين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكامل
المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام
هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الامي
أوثقه الامي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد
كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم
من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحل هذا
الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بميش صغير
فأحيها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وأخى بين هذا
القطر وبين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا
مدرسة الهندسخانه) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من
الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن انه يفضل بها عظماء
سلفه كهرو وعمر ينفذ الى قطر اسلامي كاليمين اليوم وكاسودان بالامس فيبني
في الارض ، ويحجى على العرّض والعرّض ، فيتزك الارض موظوبة ، والاموال
مسلوبة ، والدماء مسفوكة ، والاعراض مهتوكة ، حتى أنت الارض من حكم كل
مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب العزة أنين

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى إليهم ربهم تهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الأمة بطابع القهر
والعبودية حتى لا أمر بمعروف ، ولا نهى عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على
رفع ضرر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الأمة واستعد الفريقان بعملهم لنقمة الله
تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلص ظلّ الحاكمين الظالمين عن رؤوس
المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الأمة وبهذا كان الانتقام عاما
ولو كانت الأمة هي التي هبت لإزالة الظلم بأيديها وأخذ صولجان الحكم بيدها
لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للأمة عزها ومجدها

دب الفساد الاجتماعي في جسم الأمة فلم تشربه فتعالجه فكان أفرادها
بمقدم الشعور بما يحلّ بهم وبما يكون من عاقبه في مجموعهم كخلايا الشجرة
أو الثمرة يمرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين
بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الافراد ببعض فيكون سببا لسريان
شعور المجموع بما يطراً على الافراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى
دفع المرض الطاريء قبل سريانه واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحي أن
ينفعل مزاجه بما يمرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع المرض باعانة ذلك
العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر ووروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر
والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والأمة الحية
كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضرر أو يرهقه
ظلم حتى تدفعه عنه أو تمجز فتكون من المالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في
جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فان الفساد
يطلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهد الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا
السلطة من الشورى الشرعية الى الاثرة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في
الجنسية ، فقالوا عربي وعجمي ، وفارسي وتركى ، وفي اللغة ، فقالوا لغة رسمية ولغة

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ، ومفربي وحجازي ، واذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضرره بشرا فاننا اذ كررنا كلمتين لرئيس ديني ورئيس دينوي تعرف بهما مبلغ تسم جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع مصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقفه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني - وقد رأى فيه حشرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره - : ماذا فعل لنا هؤلاء ... حتى نعطيهم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أو ما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وإنما تلك أما كن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هنالك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الخيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جهل أمر المسلمين شورى بينهم لاني ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامم بل ينميتها حتى تبلغ كما لها ولولا هذا الافساد لما تم لظالم ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من ايدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور النزاع ولكن هذا مصر يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراده بأن الامة في مرض ، ودولها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

بهؤلاء الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنة اضطر الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

تنتال ، ويجد فيها الحرية فكره ولو بعض المجال ، والانفوه الى بلد قفر ، أوجزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجهة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة وما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحول السطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بحجم الأمة اقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة - فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تعفو ما بقي من رسوم الاسلام وتجد في إيسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا اعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، ومشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضمنا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم اليأس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الامم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم ايهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولارجاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدم الظلم والاستبداد لان يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . واذ انظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلام المنسوبة الى المسلمين لاما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فاذا كان من الغرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

تحت سلطة هولندا والمصري تحت سلطة فرنسا مثلا فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب الصبانية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكاه ومجتهديه . ذلك بأن حكومات الأجانب على منها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين فيحييهم بحرارته وهداياته لا سلطة لها الا بقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكام المسلمون فانهم سلطتين - القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح لان المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجود الخضوع لهم على أنه من الدين وقلا يوجد فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقا من الاسلام (٢٤:٥) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء العارفون على قلتهم الا يسمح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبث لإقامة الشريعة على أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .

ويقول هؤلاء اليائسون أيضا ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد المسلمين يتر بصون بياقها الدوائر وحكامها يهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم « الامتيازات » في بلادهم وهم يجتهدون دائما في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا وراهم قد اكتسبوا حقا جديدا فيها أو قلعوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية والعسكرية والعلمية والأدبية وذلوا الأمة لسلطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم بقوتنا ، حتى لا يدعون لنا سبيلا الى استعمالها في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم العليا فينا أن سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربهم يكون أكثر وأسهل في البلاد التي يقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لا أنفسهم فهم يستعبدوننا بواسطة استبدادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب لجاهلة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالة المستقلة المتحدة ؟؟

هذا يجعل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأهم ان طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالاً أبدياً كما زال استقلال بني إسرائيل إلا ان يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء - ونحن منهم - فانهم يعرفون ما يحتاج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسد - ان شاء الله - وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح ما يجوز نشره منه، واننا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

ان المسلمين - وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات - يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون الى ما يحببهم ويجمعهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى اذا ما انتشرت الدعوة الى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو اتقى الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعوناً له وظهيراً على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لما تعلم ما يكون قبله

الدعوة الى القرآن تستتبع الدعوة به الى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فاذا وفق الدعوة لإقناعهم بهذا وحملهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لاموت بعدها . نعم ان هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محل له هنا على أن شرح ذلك إنما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس بينما في مقالة الحياة المليية من المجلد الثامن شيئاً من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكركنا هناك العلوم التي نحتاج اليها وكيفية تمهيد المقبات التي

نعرض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النقه من مرض تخشى عاقبته، ولا تؤمن نكسته، وانهم يحتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجماع وطرق معالجتها والا سيقدم الأجنب لنحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مندبذة ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينتشون في ألوأحها المستعدة مايريدون على علم منهم بنفايته وأثره . ومما نشاهد من أثره أن أكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما أكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مفرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشرية يتهايجلون تاريخها الذي لم يفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بنبر صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدينة المسلمين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها، ومالي لا أذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين، لجمعيات الرهبان والتسييسين ،

كلا ان القصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالعامة

في جهلهم بماقبة علمهم وعملهم في الامة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يهاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجهه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجي ان يهتم بجمل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمة الملية بذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

اذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفاق أو بترك معظم نشأة الامة فوضى والهدف من يراد تعليمهم من الذكران والاناث الى الاجانب حتى الجزويت والفرير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم المصرية والتي يظن أن سيكون عليها وعلى ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججاً لليائسين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصاً من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسايرين. يرى البصير في مصر والهند نابذة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابذة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عمله في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لاجل الحياة، ويرى في الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابذة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة، وحركة يرجح ان تكون مفيدة، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية، تغوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابذتنا من الاجانب بل أصابهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الامة الآن الا اطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدررون على تحويلها الى حيث تكون محيية لأرض الأمة

مارأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملاً ينبيء بمراقبته

١٣٠ عمل اللورد كرومر بمصر. الحاجة الى الزعماء والمصلحين. رأي عالم في المنار (المنار)

للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وخاشا من فقدنا بالامس) الا ما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، وما يدبره أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى ويسيرها كما يرى ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها استمدت اليها يد لا تعرف للتقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر في مقبته، هو الذي فهم ما يرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمشدين ينظرون في أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجعون لسيرنا بتنا خير النجدين ؟ هذا ما نحن في أشد الحاجة اليه لاصلاح شوؤنا في هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحاولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد الامة وتضيرها الى ما فيه خيرها وسنفردهم مقالا خاصا بهم

فَتَاوَى الْمَلْبَاتِي

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يمر الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قد متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لثقل هذا، وان يعفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لافضاله

﴿ أسئلة من سنغافوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(من ٦-٩) من خ م٠٠٠ في سنغافوره

تشرفت بلقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فانجرت بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجرى ذكر المنار المنير فأثني عليه بما هو أهله ثم شافني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى ومعجبه للحقائق واني أرفع اليك هذا لترفضه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملا منه ان يبسط لنا في الجواب على ما سألتاه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق - وهذا ما قاله ذلك الحكيم -

ضرب الجهل أطناب خيامه في بعض البلاد الا سلامية التي كان لسلفها القدر المعلى في

العلوم والمعارف والاعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجد) بل لا يبعد ان قلنا ان من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد انكالا على مجد من سلف حتى اذا ما عرا حادث انكلا في دفعه على سكان الاضرحة فتراهم يعتقدون في صالحى أمواتهم أهمهم مطلقون على أي حادث عرا وانهم ان شاؤا دفعه عنهم دفعوه وان رأوا في ابقائه صالحا أبقوه وتراهم يقدسون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديسها ويرون في مطلق الاقامة بها شرفا وفضلا وان كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما اذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون جهله؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئا من كلامهم في نحو ما ذكر اعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض اعداد المنار السالفة ما جاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد ان لا يجهلنا على ما سبق وييسر لنا في جوابه على ما ذكرناه فضلا وليكن في معلومكم سيدي ان هذا الداء قد أزم في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج الى معالجته بدواء فيه قوة لاستصاله - فاعلم ان يكون دعاء المنار الى الحق بالحق مقبولا عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا -

(المنار) ترجع هذه الاسئلة الى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي الناس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) ما يرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي ان له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وان كثيرا من قراء المنار قد سئما كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى الى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم اليه يوجب علينا مع تجديد السؤال عنها ان نبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان يكفينا في بيان

بدعتهم في ذلك أن تقول إن ما تأتونه لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لا مجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٢١:٤٢) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله (الآية . فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أو طلب منه حاجة أو صلى عند قبره أو تمسح به أو قصده للدعاء أو قال إن الدعاء عنده أرجى للجأبة طالبناه بالنقل ولن يجده . وإنما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصالح كانوا يتحركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصر والحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هنا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد واما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان - غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تقى وتقضى الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نباء عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٢٦: ٧٢) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) الآيات وفيها ان الرسول يطلعه الله تعالى على ما يريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

واما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضى حاجة من يدعوهم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبار الأئمة المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٣٢: ٧) قتل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

على أن هذه المسألة - مسألة التماس دفع الضرر أو جلب النفع من غير الله استقلالاً أو بالوساطة والشفاعة - لم تكن لتترك فلا يبين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الأمم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أو خلطائهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها، وإنما خالفوها في مظهرها وصورتها، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعاءهم. أفرايت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة ويدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركن وهو التوحيد؟

قال تعالى (١٨: ١٠) ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل اتبوا الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعته عنده فهي لا تخل بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذ لا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقرين عندهم . وقد نفي سبحانه هذه الشفاعه في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٤٨: ٢) ولا يقبل منها شفاعة - ١٧٣ ولا تنفعها شفاعة - ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة) وقال في سورة المدثر (٤٨: ٢٤) فما نفعهم شفاعة الشافعين *) وقال في سورة الانعام (٥١: ٦) وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لهم يتقون * - ٧ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذكروا به ان نُبَسِّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ (الآية ومضى تبسل تسلم الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد . والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء تجد الكلام في معناها مفصلاً

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلوت في آبي الانعام أنفا ومثلها آية ألم السجدة (٤: ٣٢) ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

وقال تعالى في سورة الزمر (٣: ٣٩) والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه مختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار *) فدل الآيات الثانية على أن من جملة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يتقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يتقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يتقرب اليه تعالى بالعمل الصالح واخلاص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل ما يعتقد المتدعون في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل بأشخاصهم يقرب من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويتقرب بهم . ولذلك قال تعالى في سورة الإسراء (١٧: ٥٦) قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا *) أي ان أولئك الاولياء الذين يدعوهم لكشف الضر عنهم أو تحويله توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشريعته ويخافون عذابه اذا قصروا ، حتى ان أقربهم من مرضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومحذور في نفسه لأن الله فيه سنن لا تبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تنقلب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء . ولذلك قال (٥: ١٧) قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير *) فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأوليائه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضلهم عليهم اذ جعلهم محلا لطاعته وإرشاد عباده . فلا تغلوفي تعظيمهم حتى ننسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فعل لثلا نطلب منهم نفعاً أو ضراً . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٢٥: ٢٧) انما يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فأنزه عنه قوم قبله ذلك فخطب محمد الله واثني عليه ثم قال « ما بال أقوام يتزهون من الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم إن ما يطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (١٣: ٣٥) والذين تدعون من دونه لا يعلمون من قطير * ١٤ إن تدعوم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير *) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهى المؤمنين أن يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (١٨: ٨٢) وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد تقنوا برجال من صالحهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون ويضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت إلى أهل الكتاب فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وصاروا يفتنون عليهم الكنائس أو ينسبون إليها ويتوسلون بهم إلى الله تعالى ويمتدنون أن الله يقضي حاجاتهم بإحسانهم أو أنه أعطاهم قوة قضائها بأنفسهم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الإسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالأموات وتذكير الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولمن فاعله ومن ذكروهم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر زيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع أن الصحيح في الأصول عند الجمهور أن الأمر بالشيء بعد النهي عنه إنما يدل على إباحته لا وجوبه أو نهيته وهب أن الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد عللت بعلته تذكير الآخرة فإذا فعلت لعلة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحذور الذي لم يأذن به الله ؟ ومن عجائب تلاعب الأهواء بالمبتدعين أن كل ما ررد من التشديد في بناء

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع السرج عندها واتخاذها مواسم واعيادا لم يقصد به الا سد باب الاعتقاد بأن صالحى الموتى ينفعون الأحياء ويضررونهم كما ان النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعير بالتعظيم لم يقصد به الا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينيا كما هو شأن الوثنيين ومن تبهم من أهل الكتاب الأمران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للهوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجدا ليس فيه قبر مبني مشرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وان لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . وانما نضم هذا الجواب بشيء ما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد : يحذر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنصارى . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منعهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (٧: ١٨٨) قل لأملك لنفسي نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أتياكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال « أولئك اذامات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد . وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) انه قال « لا تتخذوا قبوري عيدا » وفي موطأ مالك عنه (ص) انه قال « اللهم لا تجعل قبوري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر لا تعظيمه وطلب الجوائج ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

كما يطاف بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله . فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده ابوصالح باذام تكلم فيه ويعضده ما تقدم .

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة . ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره انه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكاناً للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد ، من أدركته الصلاة فليصل والافليض : وبلغه ان قوماً يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحمها فأمر بقطعها . وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بثستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ما سيكون وأنهم اذا أجذبوا كشفوا عن القبر فمطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً يدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وان لم يكن عليها مسجداً ولكن بناء المساجد عليها أعظم . وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك إنما يظهر اذا ظهرت صورته . واستدل على هذا الاخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبشت وسويت وما ذكره في هدم المسجد النبوي على قبر تفل نحوه ابن حجر في الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرر أو جلب نفع لاعلى أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عبادة الخلق والتقدير وإنما حصر الوساطة بينه وبين عبادة بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسوله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرّون على دفع أحد ولا ضره بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آبائهم وابنائهم وأقاربهم كفارا ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الأمر شيء لهدوا جميع أقاربهم وأنقذوهم من عذاب الدنيا والآخرة. أفبعد هذا كله يكون المدعي الاسلام وجهتها للدموى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضرر أو تحويله عن الناس وجلب المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظّمك الله ان تهودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * » (١)

﴿ أقوال العلماء بغير دليل ﴾

(ج ٧) لاجحة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم يؤيد بدليل للحديث المنفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أي مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة انه قال « لا يحل لأحد أن ينفي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروي عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « ما لم يعرف دليلنا » ومن نقل عنهم ذلك الشعراني وولي الله الدهلوي . وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لكتاب الله . فقيل اذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل اذا كانت قول الصحابة يخالفه قال أتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده الى معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضا . ومن المشهور عن مالك انه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

(١) لا نأتمز بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لبيان معناها

في الاصل ولا للاحتجاج بها كهذه الآيات

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: ويشير الى الروضة الشريفة
وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهذا يدل على أنه
ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال » وله
أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه
من أكثر الناس أقوالا في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك كثير المجتهدون ممن
ثقتهم في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود
عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع : فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن
النبي وأصحابه فخذ : وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا
الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء
الأئمة المهتدون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الغلو في تعظيم الانسان لشيوخه
وشيوخهم وثقتهم بهم من أسباب ترك الدليل الى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم
في أقوالهم وأفعالهم وكم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه
فقالوا ما كان مثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل الا ما يعلم انه حق . وهذا
قول مردود بلا نزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلا وقد يخطئ سهواً وعمداً

﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج ١٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه انه اتبع الحق واهتدى
بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والأئمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) ان ما يعتقده عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن
معروفاً في صدر الاسلام بالمرّة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالأولياء . والولي
في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء في القرآن ان لله أولياء وللشيطان أولياء
وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي
الله من ينصر دينه ويقيم سنته وشرعيته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتب الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سألت عنها فكتب إلينا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التي كان أرسلها إلينا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» وانا لا نرى الموضوع بالعين التي رآها به وإنما يصح ان يمتنى به هذا الاعثناء اذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لا يحتمل الشك والارتباب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ما تقدمت الإشارة إليه أو بغيره فان لم نقدر انتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش لله) . أما الآن فاننا نعتقد في المسألة ما يدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ما ذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعارضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذ عقيدة له لهذا نرى أن لا حاجة إلى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ إلى التأويل إلا اذا عرضت له الشبهة أو وردت عليه وما كان لنا ان نجتهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشتبها أو رد شبهة معترض فليتدبر . هذا وإن أسئلته قد جعلت في اللقمة من الورق بعد ذلك الجواب المجمل وقد أردنا من اجتمعا عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿تممة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع﴾

(تنبية) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك أنه يندر ان يوجد في مصر من يتحاشى السماع ولكن الجهود في كثير من البلاد على تقليد المستشرقين لا يابن إلا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يرى القارىء المنصف ان مقاله الشوكاكي (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفة التحقيق الآن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ما ثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكبر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بمزار الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

أحاديث الإباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أو نديه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الأوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالعرس والعيد وقدوم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الأوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الإسراف فيه فإن الإسراف ضارٌّ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام ان الغناء هو مكروه يشبهه الباطل ومن استكثر منه فهو سفهه ترد شهادته وقوله ان صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفهه ترد شهادته : وقد يقال انه يقرب أن يكون ديوثا لأنه اذا لم يفر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فرما كان لا يفار عليها مطلقا وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الاحياء « ولهذه الالة تقول لواجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحجي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قرعنا على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتیاد أهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار المراقى والاوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخر ولا يذكربها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا . وبهذا تبين أنه ليست الغلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الاماني تحليله فساد قال الله تعالى (٣٢:٧) قل من حرم زينة الله التي اخرج امباده والطيبات من الرزق) فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وانما تحرم بعرض

(المنار: ٩٠٢) بعض العوارض المحرمة للسمع . حديث اذا فعلت أمي ١٥ خصلة ١٤٣

آخر « اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض
فهذا القول هو أحسن ما قيل في القياس كما أن القول السابق هو أحسن ما قيل
في السنة وأجمعه . وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة إنما حرم لما فيه من
مهانة المؤمن وضمته فاذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه متشبهاً بأهل
السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول
بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين
والغزالي في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحت في أخرى لعلته التشبه
وعدمها وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها
فتبين بهذا انه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المعازف على الإطلاق
كإبانه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم . ومن العوارض التي لا بد من
التنبية إليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه الى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك
حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لتبعيه بين سعادة الدنيا
والآخرة والله أعلم وأحكم

﴿ الكلام على عبارات الاسئلة ﴾

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب
الخ فيقال فيه ان ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع الفناء والمعازف الحل
كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعلته التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال
في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة
بالسمع تدعو الى الفساد فهو محل نظر إذ السماع كما قال بعض العلماء إنما يجر السامع
ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع
تأثيراً في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطل
الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الأشخاص وان ذلك لا يمنع ان
الأصل فيه وفي جميع اللذات الإباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب
النصائح وهو « اذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها
اتخاذ القينات والمعازف وفسرها باللاهي من الأوتار والمزامير لم نذكره في أحاديث

المطر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرخ بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعا « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يا رسول الله قال « إذا كان الغم دولا والأمانة مغنا والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف ولمن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ربمحا جراء وخسفا أو مسخا » والفرخ بن فضالة قد تكلم فيه سئل الدارقطني عنه فقال ضعيف فقيل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة » الخ فقال هذا باطل : فقيل من جهة الفرخ قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : إذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير : وقال أبو حاتم لا يحل الاحتجاج به وقال مسلم أنه منكر الحديث : ثم إن الحديث لا يدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ما هو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وإن لم يصح الحديث لأنها من السرف في الترف وفساد الأخلاق وإضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر الميموني من الظن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلو في التعصب لا قول علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وإنما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر المستقلاني امام المحدثين في زمنه وبعده زمنه . وقد ذكره ترجمة طويلة في طبقات الحافظ قال فيها : وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيًا ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الاصلية وكانت صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتحرر للصدق — ثم قال — وقال صاعد بن

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر ومعرفة بالسنن والآثار . أخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متقناً في علوم حجة عاملاً بعلمه ماراً أيضاً مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ماراً يت من يقول الشعر على البديهة أسرع عنه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الإسلام العزبن عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال ماراً يت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباحي) التي قالها فيه ابن حجر الهيثمي الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من السباب لم يقل بمثلها أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فخط عليه وقال كان صوفياً ملامتياً سكن الري ثم همدان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير يا هذا . ثم قال ذكر عنه الإباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وإنما كان يرى اباحة السماع لا الإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بهد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الهيثمي من أنه مجازف اباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم أهمل هؤلاء الأئمة الذين يسبهم ابن حجر الهيثمي المتعصب لتقليده المفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي اباحته العود فاذا لم ينصح عنه فقد صحت عن هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بهد نقل تحريه عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة الى جوازه وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمر

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عبيد وأكثر فقهاء المدينة . وحكاه الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقد منا ذلك عن ابراهيم وابنه سعد وحكاه الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاه الفوراني في كتابه القمد . وحكى الروياني عن القفال أنه حكى عن مالك أنه كان يبيح الغناء على المازن وحكاه الماوردي في الحاروي عن بعض الشافعية ومال إليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي أنه كان مذهبه وأنه كان مشهورا عنه وأنه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاه عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاه ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أر من تعرض لكرهه ولا لغيرها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالبرد والخبر أكثر ما أكره اللعب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه العود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل الترد مكروها غير محرم ، وما حكاه المازري في شرح التلخين عن ابن عبد الحكم أنه قال إنه مكروه ، ونقل عن العزيز بن عبد السلام أنه سئل عنه فقال أنه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني النزالي في الإحياء) اه كلام الزبيدي ومنه وما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات ما لا يحتاج بنفي ابن حجر الهيتمي وهو ليس من الحفاظ ولم يطعن في أساسيهما لينظر في طمته . وسقط بهذه القول ما جاء في الأسئلة من ذكر الاتفاق على تحريم العود ونحوه وتفسيق من يسمه وأما سؤاله عن جواز نسبة ذلك إلى العلويين الاتقياء فجوابه ان النقل لا يكون بالرأي فان نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم الملل كما نقل ذلك عن م خير منهم وان كان غير ثقة لم نصدقه

وأما سؤاله عن بعض علماء الرسوم هل يقتدى بهم اذا سمعوا العود فنقول

انهم لا يقتدى بفعلهم في شيء مطلقا وانما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكروا في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الظن في دينه لسماعه المود من غير ان يتشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤون فسقهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهائها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الفناء أو آلات اللهو
يحتج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري
والدفوف بلا تكبير (٣) إن الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن
بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة
في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضار في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو
العرض فهو من المحرم ولا محرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يضره
بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يجب ان توثي رخصه كما يجب ان توثي عزائمه (٩) ان
تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في
اللهو المباح الى حد التشبه بالنفاق كان مكروها أو محرما

أَنَّ عَمَلَهُ بِرِيءٌ

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص ١٠٤) أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكاه من نحر وجيد
(سنن الفريد وجهه المقدم) يقال امض على سننك أي على وجهك وتنع
عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وانما قصد الى تشبيهه
قطرات الدموع بمحبات المقدم الفريد التي عبر عنها بالسنن وهي جمع سنة كحبر جمع
حبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدهلكة ملساء فيحسن تشبيهه بحبات

العقد بها واطلاق اسمها عليها . ولا يضر التشبيه بث رائحة السنن لانه لا يلاحظ فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته (ص ١٠٤) رأنا مشعري أرق وحزن وبقيته لدى الركب المهجود (المهجود من هجد اذا أناخ) هجد نام والركب المهجود النائم وهو ما أرادته الشاعر فهو يقول ان الطيف يحامى زيارته لكونه حليف ارق وحزن والطيف إنما يأوي الى الركب النائم . وقد ينيخ الركب ولا ينام (ص ١٠٥) اخوار الحرب العوان اذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود (العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص ١٤٣ كما فسرها به هنا .

(ص ١٠٥) بنصر ابن منصور بن بسام أنفري لنا شظف الايام في عيشة رغد (أنفري انصلح) أنفري هنا بمعنى انكشف وثقلص واضمحل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر * به انكشف عنا الغيابة الخ (ص ١٣٨) فعلوت هامته فطار فراشها بشهاب موت في اليدين مجرد (الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح ان الفراش مفرد على وزن كتاب وان معناه ما ذكره وليس كذلك فان شاعرنا أراد بقوله ما يريد أهله اللغة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ التحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد . (ص ١٣٩) نفسوك فالتمسوا مداك فحاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد (بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى ان من أراد بلوغ المنزلة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول الرقي في جبل يزلق سطحه بالمصعد فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة . فالمصعد اسم فاعل من أصعد اذا استقبل أرضا أرفع من الاخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفواء بالمتزل » أي كما يزل النازل على الصخرة الملساء (ص ١٤٥) حتى التوى من تقع قسطها على حيطان قسطنطينة اعصار (النقع رفع الصوت) القسطيل ليس له صوت مرتفع وإنما المراد بالنقع هنا

الغبار وتكون إضافة النعم الى القسطل الذي مناه الغبار أيضا من قبيل الإضافة اليبانية
(ص ١٤٨) وإذا القسي العوج طارت نبلها سوم الجراد بشيح حين يطاز
(السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سوماحات وهو
مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتشارها حومان
ورجل الجراد الذي هيج فجدا في الطيران . وجواب الشطر البيت بعده
(١٥١) لولا أحاديث أبقنها أوائلنا من السدى والندى لم يعرف السر
(السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على ما يستقط في
الليل يطلق أيضا على المعروف والجود ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منهما
هنا المنيان الاخيران قطعاً ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل .
(ص ١٥٨) مصفرة محمرة فكأنها عصب تيمن في الوغى وتمصر
(العصب صبغ يصبغ في اليمن) العصب ضرب من برود اليمن ذو وشي
ونتموش وقد أراد الشاعر ان الربيع أفرغ على الارض من أزهيره حللا ملونة
تحاكي تلك البرود اليمانية المسماة بالعصب لأنها تحاكي الصبغ نفسه
(ص ١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى حتى تخير رشده التحير
(اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا
اجتمع وانتظم واستوى . واتساق القمر كماله واستواؤه . وقولهم وسق البعير أي
ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له .
(ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المجفوت ترب والندى حلس
(الحلس الكبير من الناس) : نعم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر
أصل الحلس مسح يبسط في البيت وتجمل به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استعير
لأن يلزم الشيء ويؤد نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له
وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآلفين لركوبها وفلان ليس من أحلاسها
فاستعملت استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف فقرو وعمرو ترب ادب .
وقرئها ترب يويد كون المراد بها ما ذكرناه .
(ص ١٦٩) قالت وعي النساء كالخرس وقد يصين الفصوص في الخلس

(الفصوص احداق الصيوت) نعم لكن ليس المراد بها هنا هذا المعنى ؛ اصل الفص حجر الخاتم وتجاوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فسه أي أصله وحقيقته ومخرجه الذي خرج منه وقالوا أيضاً فلان حزاز الفصوص اذا كان مصيباً في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذي قصد اليه الشاعر يقول ان النساء على عينين قد يقعن على الصواب ويصبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قاله المرأة . فالفصوص في البيت بالنصب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور في بطاح هذه في الصباح روض أريض (البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصى كالأبطح والبطيحة . والبطاح غير الصحارى فان الصحراء الارض المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانبات فيها

(ص ١٨٣) لا تكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجمون رضيع عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لا تميك فيه العواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضده فلان عوده رضيع فالعجم في البيت متجاوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص ٢١٤) يثوب الى شمائل منه ميث قليلات الاماعر والبراق (الاماعر الغزلان والبراق الحملان من الضأن) فاعل يثوب يرجع الى السلام الذي أرسله الشاعر الى المدوح يعنى أن سلامه يرجع الى شمائل مدوحه التي وصفها بقوله ميث اي لينة واصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء وارض ميث . ولما وصف الشاعر شمائل مدوحه بصفة الارض الحسنه ناسب ان ينفي عنها صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماعر والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الغليظة ذات الحجارة والطين والرمل ومعنى القلة هنا العدم كما لا يخفى فهو يقول ان شمائل المدوح وطباعه لينة وليست بخشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) وتخط بزته فزبت خلة في درج ثوب الالبس المتوق

(الخلة الشق) الخلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه
 ويبالغ في تزينها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك المدوح
 (هن ٢٢٨) ضحك إذا خرس أبطاله نطقت فيه الصوارم والخطية الذبيل
 (الذبيل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضهور كقولهم ذبل الفرس
 ضمير وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى
 ولان وتذبل في مشيه فقتر فيه ثم أجروا المادة على الرماح تجوزاً فقالوا قنا ذابل أي
 دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليططة القشرة التي تكون على القصب وربما كان
 اللين مراداً أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح إذا لم يكن ليناً لدنا تقصف
 ولم يصلح للطنن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من
 ذبول الرماح . وإذا أريد وصف الرماح بالصلاية قيل كما قال الحماسي
 ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملاها كذلك أزور
 فقوله صدقة أي صلبة مستوية لا خائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الأدبيات ﴾

قال شارح الأحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين : وحسبك
 منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أويس وأحد
 الفقهاء السبعة وقد سمع الغناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده ان
 سعيداً مرّ ببعض أزقة مكة فسمع الأخصر يفتي في دار العاص بن وائل وهو يقول
 تزوع مسكابطن نعمان اذمت به زينب في نسوة خفرت
 فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلد استماعه ثم قال سعيد
 وليست كأخرى أو سمت جيب درعها وأبدت بنان الكف في الجرات
 وعلت بنان المسك وصفا مرجلا على مثل بدر لاح في ظلمات
 وفاضت تراءى يوم جمع فأقنت برويتها من راح من عرفات
 وأثبت الحافظ ابن عبد البر أن هذه الأبيات لسعيد اللنيري . أقول وقابل
 ما عاب سعيد من توسيع جيوب النساء وابداء بنائهن بحال نساتنا اليوم . يوم

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن المحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتقنى بهذه الايات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الثرى
بأطيب من أردان عزة موهنا
من الخفرات البيض لم تلق شقرة
فان برزت كانت لعينك قرة
يمحج الندى جشائها وعزارها (١)
وقد أوقدت بالمنديل الرطب نارها (٢)
وبالحسب المكنون صاف نجارها
وان غبت عنها لم يفمك عارها
فقيل له أصلحك الله أتغني بهذه الايات في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن
بها ركبان نجد. قال الراوي فوالله ما أكثر بي وعاد يتقنى بهذه الايات

فما ظبية أدماء حفاقة الحشا
بأحسن منها اذ تقول تدللا
تتمع بهذا اليوم التصير فانه
قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله أتحدثني في هذا بشيء؟ فقال نعم
حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب
بغضيه بهذا الشعر:

مغيرة كالبدرة سسنة وجهها
لها حسب ذاك وعرض مهذب
من الخفرات البيض لم تلق ريبة
مطهرة الاثواب والعرض وافر
وعن كل مكروه من الامر زاجر
ولم يستملها عن نقي الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال:

ألمت بنا والليل داج كأنه
فقلت أعطار ثوى في رحالنا
جناح غراب عنه قد نفض القطرا
وما احتملت ليلى سوى ريمحها عطرا

فقلت سالم أما والله لولا أن تداوله الرواة لاجزلت جائزتك فلك من هذا الامر مكان اه

- (١) الجشجات نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو الرجس البري
(٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر او ما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفاقة
لحشا لينته والحفاف اللحم اللين تحت الالهة

حبيب في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر أنه أفسد أسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف . وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فإنه وارد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فإن المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنعامه ليسا مظنة لتقلد الامامة الكبرى فينبى عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالحجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن . وقد سرنا ان الشيخ سمي رأيه استنباطا وقال في أول الرسالة الثانية:

« الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائما مستمرا باستمرار الأهله ، »

فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافا لما في كتب مذهبه من القول باقتال بابه، وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ اذ لم يبذل شيئا من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وانه لا يدل على ما قال فحسى ان يروى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ورماعدا الى انقاد الرسالتين

(مجلة جمعية الملاجي العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى أتحدت بجمعية الملاجي العباسية في فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومسائلها المفيدة بعد ان كان أكثر ما ينشر فيها منقولاً من الكتب والجرائد وجمعت هدية للمشاركين في جمعية الملاجي العباسية وأما قسمة الاشتراك السنوي فغيرهم فيلاثون قرشاً في مصر وفرنكات في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم نصف

القيمة . وكل ما يأتي من ربح المجلة - ان وجد بأريحية معي الخير - فهو لمساعدة
الايام والفقراء والعجزة في تلك الملاحي ، فمسي ان تصادف من الاقبال في حياتها
الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى
وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاتبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب
السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها
الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث
الأدبية والمقاطع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجير الصيف
الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر - بردا وسلاما - يتمتعون به فلا ينسون لذته
حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي ، اطال الله خدمة منشئها
لفنون الآداب، ولتي ما هو أهله من تمضيد أولي الألباب،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ «لاحظ» لا يتعدى
بعلی وصاحب التقرير يكتر من قول «لاحظ عليه» فهو خطأ: كذا قلنا ففهم بعض الأدباء
ان انتقادنا هذا خاص بقوله «وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل»
لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الأديب ان
«على» في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار
المشار إليها كانت موجهة بالمناسبة الى ما قلنا أنه بكتر في كلامه ولكن سقط من
الأصل شيء عند الطبع وأصل العبارة هكذا: «ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة
وهو النظر بآخر العين . وتسعمل الملاحظة مجازا بمعنى المراعاة ولا يظهر هنا المعنى
الحقيقي ولا المجازي . ولا حظ لا يتعدى بعلی» الخ فسقط ما بين لاحظ الأولى والثانية
ومنه يعلم ان الانتقاد على تمديد لاحظ بعلی ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود
بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها س ٢١ ص ٩١٨ م ٩

بإشارة الحكيم الأديب

بمملكة مراکش ومؤتمر الجزيرة

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الأولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان مراکش بأن طوفان أوروبا لا بد ان يفيض على بلاده فيغيرها اذا هولم يبادر الى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيها حالة المصير لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يذكرون ، وإنما يعتمدون على أهل القبور في دفع الضرر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجاهل الي قبر سيدي ادريس عندما أرادت فرنسا الاقليات عليهم وجوارهم عنده بكلمة (يا لطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الالمان يومئذ وابعازته الى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح مراکش على مؤتمر أوربي فانهقد المؤتمر في الجزيرة من حواضر اسبانيا فاتفق أعضاءه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أورييون . أما المصرف فلا يتلوع أموال الحكومة وأما الشرطة فلتنأمن تجارة أوروبا التي يتلعون بها أموال الاهالي ويتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقد طال التنارع بين فرنسا وألمانيا في شأن حصص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيين والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولا لأجل تفكيه القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين .

مهما اختلف القوم وتنازعوا فهم اقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو اضعاف لسلطاننا بل تقليص لظلمها عن بلادنا ولو بالتدريج الذي هو خير لهم اذ لا يحتاجون فيه الى بذل دماءهم وأموالهم .

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذهم في بلادنا وازالة نفوذ لنا منها فنالوا بعضه كما جرى لنا في مسألي كريت ومكدونية وكما سيجري في سراكش بعده الموتر الذي يجعل لهم حقارسيما في القبض على ادارة البلاد وأموالها . اذا أرجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل سراكش وبين الاتفاع بما ذكرناهم وذكرهم به غيرنا هو الجمود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان العلتان هما المانعان من فهم الحق ومن كل تشهير يدعى اليه المقلد للأباء ، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين برون مندشر ع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن ايصال السكة الى الحرمين فان رجحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك بايصالها الى العقبة . وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهادا عظيما في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليزي في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائده ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل . فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضعاف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب . واعتقدت أنه مادفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بهد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترا تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحياها . على ان انكلترا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها للمدارس المصرية منذ بضعة سنين ،

البدع والانحرافات

وَالْبَقَايَا لِيَدِكَ وَالْعَجَابَاتُ

﴿سلطان الشياطين على عالم أزهرى . ومخادعة دجال غوي﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه «أشهر الحوادث وأعظم الرجال -
حادثة في الأزهر» يريد ناشره ان يشهره نفسه بالولاية والقدرة على اخراج الشياطين
من الاجسام والبيوت ورأى ان اعلانه لا يقرأ الا اذا افتتحه بكرا الاستاذ الامام
رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لعلمه بأن الامة تقرأ كل ما يكتب عنه . ومن العجائب أن
بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته واننا ننشره وننكره وهو باختصار
«لاريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دروس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام
الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادوية في الأزهر ويقرأ فيها جواراً والناس من حوله من ترك
وعرب وعجم فضلاء يخالط ذلك من دان وشاسع وكان اذ ذاك يصيح باعلى صوته بان لا
وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاشهاد والعلماء يجاجونه بالكتب
المنزلة فما استطاعوا الرداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاهام وضرب
لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد
واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس واقفه على هذا امر على انه
يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الأزهر
ومن رجال الشريعة وامين الكتبخانه وهو الشيخ محمد حسنين وتحرير الخبر ان هذا الشيخ
اشترى من مندسنتين منزل بأم القلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه
الايام رجم أحجار فظن انه من الجيران فصنع صور من خشب على السطوح فزاد الخيال
وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قرودة وخنازير وكلاب وقطط وصاروا ينقلون الكتب
والملابس والفرش والمفاتيح من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشفاله
واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر
وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بنفائذ ووصفات وكثير من أعظم مصر

ارسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبى الكتبي واستحضر جملة من المغاربة والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى ينس حضرة الاستاذ وصم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله واخيراً حضر بعض الاعيان واخبر الاستاذ بان يوجدرجل ٠٠٠٠ ساح في الارض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص ٠٠٠ فتقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يامن هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه التسر سوداء وصوت بصوت رفيع وتكلم معها و اشار اليها فطارت والناس تنظر اليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد واخبرهم ٠٠٠ بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت فقدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت واخيراً سئل ٠٠٠ عن هذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب عليّ أن أضغ له سور من حديد عليّ انه لا يمكنني ان اطعم احداً عليه مها كان ميله اليّ وقربه من فوادي»

اه المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا الغلو في شهرة صاحب الاسم المراد اشهاره بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمراء والافرنج ٠٠٠

قد ادعى هذا اللجال عدة دعاوي باطالة يعلم بها انه يعتمد الكذب .

(أولها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أدحية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكاناً صغيراً كأفحوص القطاة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الأزهر (ثانيها) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهراً . وهذا كذب وبيتان بل اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تأليفه أو تفسير النار الذي تقتبس فيه دروسه التي كان يلقيها في الأزهر (ثالثها) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعها) ان المؤيد والواء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامسها) ان أكثر الناس وافقه على إنكار

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقذف لهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسين أنه يقول ان للحكاية أصلا ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه براكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لأنه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكم بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة - ابن مسعود وابن عباس - هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الامور المعتادة بزعمهم فهم يرون الجن وتمصرفون فيهم كما شاؤوا متى شاؤوا ، وما كانوا الا خادعين وما كان الاستاذ الامام الامكراد جلهم تأييدا للقرآن ونصحا للعوام استدلل الجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لا نحصى عند أهل الخرافات وعبدة الأوهام فكم من بيت كادله شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فصبوا فيه وعاثوا في حنادس الظلمات أو من وراء الحجب والاستار فتوهم السخفاء ان عيبتهم من عمل الجن وبلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا وقد اكتشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيرا من هذه الحيل الشيطانية فعلم ان منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصا اذا خاف الناس من عفاريته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي اليها . وقد كان من علماء الأزهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعفاريات والشياطين من السلطان على علماء الأزهر أن يسلبوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العفاريات لتحت العوام، اذ قلت الخرافات والاهام ؟

بوق الحكمة من بناء ومن روت الحكمة فقد أوتي
خفا كبيرا وما يذكر إلا أو الألباب

الله
١٣١٥

بشر عباده الذين يشتمون القول فيهمون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أول الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و«مناراً» كنار الطريق)

﴿ مصر الأربعاء غرة ربيع الأول سنة ١٣٢٤ - ٢٥ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٦ ﴾

العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان الالذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لان قلب الشيء عندها له ومحضه وخالفه ومن الأول قوله تعالى (١٥٩: ٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب (ومن الثاني (٣٧: ٥٠) ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقوله (٤٦: ٢٢) فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقد جرى عرف بعض الأمم على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانها على الأمور الادبية، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانها في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تجيز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما يجري عليه في هذه المقالة . ثم ان أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصيماً للقلب والعلم عدواً للدين . ورأى آخرون منهم انها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يعدوا أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لا حقيقة له فهو يخاف مما لا يخاف أو لا يخيف ويرجو ما لا يرجو ويتقحم به الوجدان مواقع الهلكة فيبذل النفس والنفس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له الا النساء والاطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هياكل الوهم ، ومعاداة العقل والعلم ، وجعل وجدان الدين ، آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فاذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان القلب وأنفذه حكماً على الجوارح ، واذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالحروف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده، واذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فبيدها الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فبعدهم وعدة نفسه قد ارتقى بذلك ارتقاء

مينا، وإذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولاّخرين بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقا لا يزال يتقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزهه عن التقيدي أي مظهر من مظاهر الطبيعة ويفند أكثر ما وصفته الأديان به وفريقا يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لاحقيقة له، وإذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الأوهام التعبدية، وعمده سائر الوجدانات الدينية، وإذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل يخذل الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأُمور المحسوسة وينصر الثاني ويؤيده - أفلا يكون القلب والعقل ضدّين في ذاتهما وفي أثرهما في الناس ويكون من الصواب أن يجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن تؤدب الوجدان بسوط الفكر والبرهان، وندع لحكم العقل والحس جميع أحكام الأديان،؟

وأما حجة الداهيين الى أن لكل من القلب والعقل سلطانا مستقلا يباين الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يعدو واحد منهما طوره ويخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل ان الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثرا منه الضار والنافع وأحكاما منها الخطأ ومنها الصواب وأن الانسان في حاجة الى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدها عبثا وأنه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل أحكامه وآثاره نافعة للانسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه الى الخير والفضيلة ويصرفها عن الشر والرذيلة وقانون العقل هو العلم بالأمر كوان الذي يجلي للانسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فإذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب وإذا بحثنا في تاريخ الانسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلوفرضا أن الانسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعلماء المادة دون النبيين والمرسلين لانه قد يكتفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يثقي بها الملايين من الناس ليسعد المئات والألوف بشقايتهم ولكنه لا يكتفي قط بترك حبل شعوره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان الالذة والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبغي والعدوان اذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها . وهذا المؤدب هو وجدان الدين لا ينكر علينا علماء المادة انه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وان كل شيء خلق كاملا أو كل يعمل الطبيعة فيه الا الانسان فانه خلق أشد الكائنات المعروفة تقصا وأشدّها استعدادا للكمال وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال بكسبه التدريجي قوة العقل التي أودعت في الانسان لاجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لاجل تأديب سائر الوجدانات بما يزعها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منها قد وجد الحكمة ظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤنهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعدّ خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الانحطاط موجبا لا نقول ببطلان هذا الوجدان وضرره والحكم بإعفاء أثره ولا نعدّ خطأ العقل في تلك الأطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وازالة سلطانه تقولون ان رجال الدين قد عانوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين وخادعوا الناس بالاهام حتى استعبدوهم ونقول انا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم المفسد والمصلح فكم من عالم ببعض خواص الأشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكم من مدع للعلم بها قد أضرهم بجهله وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرق عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك المباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تعترفون بأنه من أشد الامور افسادا لعقول البشر وضررا في مجتمهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كهنة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب خصمهم من الماديين اننا نعلم ان أقوى شبهكم على الدين أمران (أحدهما) ما جاء في كتب الوحي بما قام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كاثبات التوراة ان الله حكم على الحية بأن تأكل التراب كل أيام حياتها واثبات العهد الجديد للتثليث . (وثانيهما) ما فيه من الاخبار الغيبية التي لا دليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والخرج منها سهل . اما الأول فاذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع فلنا ان تقول ان بعض ما في تلك الكتب مدرج من النسخ وان مقاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وانما قصدوا استخراج العبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ما عرفوا من الكون وان كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ولو ارادوا ان يبينوا حقائق الأكوان مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لما تيسر لهم ذلك ولكن تصديهم له خروجاً عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والأرواح واثارة للشبه والشكوك فيها فان المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك ان الانسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي واما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه الى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات وما يتعلق بحياة بعد هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الانسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لغاية كما له الروحاني والوسيلة لتهديب جميع أنواع وجدانه وشموهه وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سميداً بقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب ان وظيفة الوحي اصلاح القلوب والأخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف المخاطبين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو اخبار الوحي بما لا دليل عليه من الحس ولا من العقل فالخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الأنبياء الخاص بهم مستمداً من الحس والعقل ولكنه وحي من الله فاذا كان لكم طريق الى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحسوسة فلا طريق لكم الى الحكم في كلامهم المتعلق بالإيمان بالله وبالعالم الغيب

لأنه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها ، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والردائل لأنه من باب الإثنا الذي لا يتأتى فيه الصدق والكذب وإنما يعرف حسن مثله وقبيحه بأثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه وما يدل على أنهم يستمدون هذه الأنواع من العرفان من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشيء مما جاء به الانبياء الذين لا يمكن اقامة برهان على أنهم استمدوا عرفانهم من الناس . وهب أنهم استفادوا شيئاً من عرفانهم بالكسب والنظر فاقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحدة ، اننا نقدر على كتابة في الآداب والوعظ لا تعد هذه الأناجيل في جانبها شيئاً مذكورا وفانهم ان في مواعظ الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجزا كبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الافرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يجيزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لهما أن في العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أو في الدين مسائل تعارض شيئاً من العلم أو التاريخ فانهم لا يرون ذلك مجوزاً لا بطلان أحدهما الآخر أو مساوياً لتركه لان صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعد له لم يوجد واحد منهما عبثاً ولا يترك سدى . وبهذا الرأي كان كثير من اساطينهم متدينا كسبارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العقليات والادبيات . و يعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيرا من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان في كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ويقولون ان هذا نقص في بنية الدين وجسمه لان في جوهره وروحه فهو ينفرد ويتسامح به

لشدة الحاجة الى روح الدين التي لاغنى للبشر عنها
وتجدي في هؤلاء العظماء المتحمس في الدين الملتهب غيرة عليه كعظيم الشعوب
الجرمانية (غليوم الثاني) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على
النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حماسة واننا لشعر بناره تأجج في أحشائنا
وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع حمورابي لا يمنع
من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل بواسطة يهوي ان استفادة
موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي
الايان بأنه كان مؤيدا بروح الله ومظهراً لعنايته وعظمته ولا كون كتابه أعظم صلة
بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلمة أخرى فهو يكتفي بأن يكون
النبي الموحى اليه مؤيداً من الله بما يتمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله
تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيداً به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانبياء بما لا يرضاه المسلمون
بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلباً وأكمل عقلاً من
عبيد المادة واسرى الحواس الذين زعموا ان الدين من شعور القلب ووجدانه
الوهمي وأنه يجب على الانسان ان ينسلخ من كل وجدان ، ويعيش حسياً
كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها
واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لانها
تنعى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرقى منها ، وقد كثر في متفرنجي
المسلمين من يقلدهم فيها ، وان لاولئك المتبوعين من علماء الافرنج من العذر
ما ليس لهؤلاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين
أهله أولئك المتبوعون من عداوة العقل والحس وعلومهما ما ليس في دين هؤلاء
ولان أولئك قد أوغلوا في العلوم الكونية فشفلتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح
فلم يعرفوا حقيقته على أنهم استعبدوا لأحقروجدان القلب وهو اللذة الحسية وهو لاء لم
يتقنوا علماً ولم يحسنوا عملاً بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليداً

**

هذا وإن للمسلمين في العقل والقلب والدين منزعا آخر وهما كيانه: يسعد الانسان بعمله ويشقى بعمله وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفان فيضحي فيه ويختلفان فيجيب دعوة اقواهما سلطانا على النفس، وتسخيرا للحس، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر الا وزير يستشار فيدهن للوجدان تارة وينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لان افكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعوا اليه فيطيعه تارة ويمصيه أخرى - بطبعه اذا كانت داعية الوجدان ضيقة ويمصيه اذا كانت قوية

اذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الانسان ويشقى وكان قد يقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شرّة وفترة يطغى في شرته فيسرف، ويتراخى في فترته فيُفشل، فلا جرم أمهما في حاجة الى مرشد حكيم، ذي سلطان مكن، مطاع ثم أمين، يرضيان بحكومتها، ويتفان عند نصيحته، مها ظهرت لها آيته، ورفعت فوقها رايته، وما أراك الا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وان ظهور آيته للنفس يؤتيها الاذعان، الذي يحيط بالفكر والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعا، وتطيعه بالاختيار سرا وجبرا، وان ارتفاع رايته يمثل لها القوة والسلطان، مؤدبا لاهل البغي والمدوان، الذين يشدون عن حكم الاذعان، وبذلك يكون الاعتدال، واستعداد الانسان للكامل، فالدين هو الاستاذ المؤدب للوجدان والفكر مما

الوجدان حق وقد يطغى فيعرض له الوهم، والعقل حق وقد يمرض فيعرض له الجهل، والحواس الظاهرة حق وقد تمتد لتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطئ، وهي صحيحة سليمة، ولاغنى للنفس عن الوجدان كالأغنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول انه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته وإنما يعرض له الوهم من الفكر الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطئ، فيجني بخطئه على القلب وينحرف بالوجدان عن المقصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو الجاه والشرف وينفض القبح الحسي والمعنوي — يتأذى بفيل ما يحب ويرجاء نيله ويتألم بما يكره — يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فاذا رجا مالا يرجى أو خاف مالا يخاف أو أحب مالا يحب أو كره مالا يكره فأما يكون في ذلك تأبعا لحكم غيره اذ ليس من شأنه هو ان يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو ضار أو نافع وأما الحسن هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومما جزم العقل بأن هذا الشيء ، يرجى غيره ، وذلك الشيء ، مما يخشى ضيره ، قبل القلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بتصحته ، وقفا يطغى الوجدان في شيء - الا ويكون الفكر هو الممدد له في طغيانه ، فكما أوغل العقل في التصور والتفكير ، أوغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والفكر في طغيان وجدان القلب وتصفه في مجاهيل الاوهام لو فقد الانسان الوجدان فأسمى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو تلك بترك العمل والسعي في جلب المحبوب ودفح المكروه واتقاء الخطر ، وانتظار الظفر ، ومواساة البائسين ، ومواخذة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتغني عنه شيئا . فاذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لا بد منه لبقاء الانسان وكان العقل مرشدا يخطئ - ويصيب فيصح بعلمه أو ينضج بهجلا فهل يصح أن يقال انها ضدان ، أو نطلب على حقة الأول منها البرهان ، كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينية ،

على هذه الطريقة أسماء العقل التصرف في وجدان مبدأ الدين في الانسان فقد امتاز الانسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الاصل في ارتقائه التدريجي بحسب استعداده وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرف في العالم . هذا هو مبدأ الدين في البشر وقد كان العقل في طفولته يبحث عن علل الاشياء وأسبابها فكما عجز عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الادعاء له والعبادة وكان اذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعد أفراد منه للارتقاء عن التبعيد للاشياء المحدثه بمش الله تعالى فيهم من يدعو العقل الى أعلى مقام في العرفان ، ليثبته القلب في العبادة والادعاء ، يدعوه الى التوحيد الذي هو

عبارة عن الجزم بأن كل ما يدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تدبرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تنتقد بشيء ولا تحل فيه يعلم العقل ان تصديه لعلم حقيقة مصدر تلك السلطة التي يجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلهما لأن العقل يوله وينحير في البحث عن حقيقتها فلسان أولئك الدعاء الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تجد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وإنما وظيفتك إرشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره وإنما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب ، على اننا لا نمنعك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان ، الحكمة امتاز بها الانسان ، وإنما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأكون ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والاعتقان ، لتوقن أنها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجده عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان ، وعن الحلول في كوكب أو انسان ، والى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين) الخ وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهذيب كان محصورا في الكهنة والأخبار والتسيبين ، نعم ان هؤلاء الزعماء للدين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم العذر في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فإنه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الوجدان الدين مع ان فكر الاكثريين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستغناء عن سيطرة الرؤساء فلما استعد لذلك آتاه الله الدين الاخير الذي هو منتهى النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر وأخى بين العقل والقلب فبكان هو الهداية التي تم بها الاستقلال ، واستعد بها البشر لنهاية الكمال ،

كان زعماء الدين قد أساءوا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الحجر على العقل فلم يجعلوا له رأيا في آداب النفس ولا في

(المنار ٣: ٩) إبطال الاسلام بسيطرة الزعماء والتقليد . توفيقه بين العقل والقلب ١٩٥

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدواً للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ، ومكسبهم الدين من ذلك بينائه على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نسف هذا الأساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجهل للنبي نفسه شيئاً منها (٣: ٢٨) ليس لك من الأمر شيء - ٢١: ٨٨ - فذكر أنما أنت مذكرة ٢٢ لست عليهم بمسيطر) حتى كان يرجع عن رأيه إلى رأي أصحابه ثم أنه بين العقائد بالبراهين العقلية ، وقرن الآداب والأخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الأحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعلم الكوني وجهله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد إلى سنن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وارشاده ، لتكون جميع قوى الإنسان متحدة في إبلاغه غاية كماله ، وكان كتابه حجة عقلية على حقيقته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان ، وأعظم السلطان على العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض ، وحفظه من التغيير والضياع ، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين أن يقول فيه بنقبض ما جاء به أتباعا لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه ، وبين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ، أم يليق به أن يترك هداية هذا الدين ، ويتبع وسوسة الماديين ،

كلا إن من عرف هذا الدين لا يمكن أن يتركه ولا يكن الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد ، ما وضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حجبهم عن محاسن هذا الدين ، وبرزوا لهم في مكانها جميع مساوي المنقذين ، فصدق عليهم حديث الصحيحين « أتركبن سنن من قبلكم شهرا بشهر وذراعا بذراع حين لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فهم العلة لكفر من كفر ، وفجور من فجر ، فمسي ان يهدي الله للمسلمين من أهل الإصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه ، ويعيد اليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم إلى هذه الحقيقة ، ويقيمهم على هذه الطريقة ، فيتأخى بهم العلم والدين ، ويكونون هم الأئمة الوارثين ، وان ذلك لواقع ولو بعد حين ، والعاقبة للمتقين .

(نصحیح) فی س ٢٠ ص ١٩٢ «تمتدل» وصوابه (تمتل) فليصحح

باب العقائد

﴿ الايمان يزيد وينقص ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني ان سلف الامة على القول بأن الايمان يزيد وينقص وتقل بعض الروايات والآيات في ذلك ثم أورد عن شيخ الاسلام تفصيلا لوجوه الزيادة ولأصل الخلاف في المسألة واننا نورد من ذلك ما عدا الروايات عن السلف في المسألة ثم نبين وجه العبرة في ذلك لطلاب علوم الدين قال والظاهر انه من كلام شيخ الاسلام :

«والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ الاسلام وهذا امر يجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان ما لم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية الا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ما لم يكن فيزداد علمه بالله ومحبه لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند نحو يفهم بالهدى ولم يكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا ووكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدنا بان لا يخافوا الخلق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا) وهذه الزيادة ليست بمجرد التصديق بان الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمرا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيا عن شيء انتهوا عنه فكهروه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستبينن الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكنية موجبة لزيادة الايمان والسكنية هي طمأنينة في القلب وقوله تعالى (يهد قلبه) هداة لقلبه زيادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال

(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي امر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل امة التزام ما يأمر به رسولهم مجملًا فمعلوم انه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل بما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك ما لم يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فأمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان أكل وما وقع منه أكل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والنهي لأن كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة وانه فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل

﴿ الثاني ﴾

الاجمال والتفصيل في ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكل من عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقر المقصر في العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفا من عقوبة ربه على ترك العمل أكل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهرا فكما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها فأمن بها كان ايمانه أكل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملا أو عرف بعضها وكما ازداد الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه أكل

﴿ الثالث ﴾

ان العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض واثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها

﴿ الرابع ﴾

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهروب من النار والآخرة علمه لم يوجب له ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف المزموم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الخبر كالمعاينة » فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه ان قومه عبدوا العجل لم يلق الا لوح فلما رام قد عبده ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن الخبر وان جزم بصدق الخبر فقد لا يتصور الخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور الخبر به وان كان مصدقاه ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور الخبر ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق

﴿ الخامس ﴾

ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل

الناس فيها تفاضلاً ظاهراً

﴿السادس﴾

الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الايمان والناس يتفاضلون فيها

﴿السابع﴾

ذكر الانسان بقلبه ما أمر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلاً عنه أو كمل
من صدق به وغفل عنه فان الغفلة تنقصه وكال العلم والتصديق والذكر والاستحضار
يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه اذا ذكرنا الله وحمدناه
وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه

﴿الثامن﴾

قد يكون الانسان مكذباً ومنكراً لأمور لا يعلم ان الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم
ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم
يسمع الآية والحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من
الوجوه فيصدق بما كان مكذباً به ويعرف ما كان منكراً له وهذا تصديق جديد
وايمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً وهذا وان أشبه
المجهل والمفصل لكن صاحب المجهل قد يكون قلبه سليماً عن تكذيب وتصديق
شيء من التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجمال
على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم
من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا
عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو
عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه هو
من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به
الرسول وعمل به أو كمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو
أو كمل ممن لم يكن كذلك

اذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الامة وجل الائمة ان الايمان قول

وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد
أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال
والايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا
ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فأنهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى ايمانا
قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى
ان قال وأما مائثر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام
ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والاوزاعي
والشافعي وأحمد بن حنبل وأسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام
وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول باللسان
وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بانية الصادقة وقالوا
كل ما يطاع الله به من فريضة ونافلة فهو من الايمان قالوا والايمان يزيد
بالطاعات وينقص بالمعاصي قال وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكلمي
الايمان من أجل ذنوبهم وإنما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر الأتري
الى قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث يريد
مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على
تورث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة واتصلوا دعوة المسلمين من
قربانهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال ثم قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفيا في الأمصار وهذا
مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله

ثم رد على المرجئة وعلى الخوارج والمعتزلة بالموارثة ومحدث عبادة بن الصامت «من
أصاب من ذلك شيئا فموجب به في الدنيا فهو كفارة» وقال الايمان مراتب بعضها
فوق بعض فليس ناقص الايمان بكامله قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تلايت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقا)
أي هم المؤمنون حقاً ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث «أكمل المؤمنين
ايمانا» ومعلوم أن هذا لا يكون أكل حتى يكون غيره أنتقص وقوله «أوثق عرى

الايمان الحب في الله» وقوله «لا ايمان لمن لا امانة له» يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض وكذلك ذكر أبو عمر الطلمنكي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن اقبله استشكل الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان انعم في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهوان الشيء المركب اذا زال بعض اجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الاظهار شبهتهم قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكره سهل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبقى مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كبدن الانسان اذا ذهب من اصبع أو يدا أو رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وانما يقال له انسان ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لأنها اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددًا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا للاحقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم

قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن العجب ان الاصل الذي أوقفهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان هذا منفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره ولاجل اعتمادهم هذا الاجماع وقموا في ما هو مخالف للاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال يقول بهم في الايمان ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولًا مخالفًا للنص

والاجماع القديم متيقنة ويكفون معتقدا انه متمسك بالنص والاجماع وهذا اذا كان مبلغ علمه واجتهاده فالله يشبهه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويغفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن (قال شيخ الاسلام) وقد قال لي بعضهم مرة الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فتثبت لهذه التسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لا حقيقة له في الخارج وإنما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قدما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره والماهيات من حيث هي هي شيء يقدر في الاذهان لا في الالعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ماثم ايمان في الخارج الا مع المؤمنين كما ماثم انسانية في الخارج الا ما انصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي والاشترك انما هو في أمر كلي مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فإيمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ومن نفي التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا عن جميع الصفات المميّنة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علمائهم علما وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في معنى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا انه الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج أبدا وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا اهداء مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبدا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهو لا كاهم اشبه عليهم ما في الاذهان

بما في الايمان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان
وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان
يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين قال الامام النووي والظاهر المختار
ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولهذا كان ايمان
الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعتربه الشبهة وقال يزيد ان كل
واحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان أعظم يقينا واخلاصا
وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين
وكثرتها وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرزاق
في مصنفه عن سفیان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وابن جرير ومعمر
وغيرهم وهو لاء قتهاء الامصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في
كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم
من الأئمة ويروى بسند صحيح عن البخاري قال تقيت أكثر من ألف رجل من
العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص
وأظن ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من
الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الأئمة وحكاه فضيل بن عياض
ووكيع عن أهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس
الاحم أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد
وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتالا (ويرداد الذين آمنوا ايماننا) الآية انتهى وقد
روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا
«الايمان يزيد وينقص» وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا أيضا والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين
من أهل السنة والجماعة المعتبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من
أن تذكر بأن الايمان قول باللسان وعمد بالجان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة
ويضعف بالمعصيان وقد ذكرنا من ذلك ما علمه يحصل به المنة صود والله ولي الاحسان

* *

(المنار) من أطلع على مثل هذا البيان في المسألة يعلم ان الحق هو ما كان عليه السلف وان من يتصيد المسائل الدينية من الألفاظ من غير اطلاع على السنة النبوية التي سار عليها أهل الصدر الاول فهو عرضة للبدع والأهواء وان زواج شبهة المرجئة والجهمية وغيرهم من المبتدعة في هذه المسألة عند بعض أهل السنة من جهة النظر والفهم قد كان من أسباب هلاك المسلمين بإعراضهم عن هدي الدين ذلك أن الاعتقاد بأن الايمان الذي هو سبب النجاة والسعادة في الآخرة هو التصديق القلبي بأن جميع ما جاء به النبي حق دون العمل وان المؤمن فيه سواء قد جرأ الناس على الفسوق والعصيان ، ثم جعلهم على التحريف المنهوي للقرآن ، اذ القرآن يصرح بأن النجاة والسعادة بالايمان والعمل الصالح معا كما ان الهلاك بالكفر والاسترسال في المظالم والمعاصي وآياته في ذلك لا يخص الا بمجهود وعناء وتري أهل هذا المذهب يلتزمون تأويلها حتى صرت ترى الدهماء من المسلمين يعتقدون بان العمل ليس له شأن عظيم في النجاة من عذاب الدنيا والآخرة والتمتع بسعادتهما وإنما يكفي في ذلك التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو إجمالاً ويحملون أكثر نذر القرآن على الكفار ويحملونها خاصة بهم كأن سنة تعالى في هذه الأمة مخالفة لسنة في أمم الانبياء قبلهم وكأن اليقين والاذعان يمكن ان يحصل بدون تأثيره الطبيعي في العمل وذلك محال

وقد نزل بهم من عذاب الله في الدنيا ما حقق نذر كتابه وصدق وعيده فيمن نقض ميثاقه وهم لا يتوبون ولا يذكرون وإنما ميثاقه السمع والطاعة بالفعل وقد قال فيمن قبلهم « ٥ : ١٣ فيما نقضهم ميثاقهم لمنهم » الآية وفسر ابن عباس اللعن فيها بالجزية أي بفقد الاستقلال ولا يعتبر أكثر المسلمين بذلك وقد فقدوا استقلالهم وصارت الامم تأخذ الجزية منهم والباقيون على استقلالهم معرضة للخطر ، ثم ان كثيرا من كتابهم يثرثرون في دأبهم ودوائهم ويحاولون ان يكونوا من أطبائهم ، وهم يجربون الدواء والدواء لجهلهم بالقرآن الذي هو الشفاء والرحمة لمن اتصفت به فليعتبر بهذا أهل العلم والبصيرة عليهم يكونون من الهادين المتبينين

فَتَاوَى الْمُبَانِي

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين سنة ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء ، وان تأخذ كرا الاشارة بالجنس غالباً ورمقه مناسراً لسبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا . وان يفتي على مؤال شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا خدر صحيح لا خلفه .

(الاتفاق على التعليم الاسلامي من مال الحكومة الروسية)

(س ١٠) من الشيخ أبي علي محمد نجيب بن شمس الدين التوتاري المدرس بتوتار (روسيا) :

حدثت واقعة بين علمائنا جديرة بالاستفتاء من علمكم وهي ان جمعا من العلماء المتبصرين ذوي الحمية الدينية هموا بتأسيس المكاتب الابتدائية في القرى بمال محفوظ في الخزانة الملكية التي يسمونها بالروسية « زيمسكي صوما » ذلك انه يجمع في كل سنة نقود مقدرة من أهل الزراعة من مسلم وغير مسلم وتوضع في هذه الخزانة مختلطة الا ان مقدار ما يجمع من كل جنس معلوم ومضبوط في الدفاتر ويصرف من هذه النقود ما يصرف من وظائف الأمور بين المالكين وسائر مصالح الأمة الروسية كتأسيس المكاتب والمستشفيات ودور العجزة ونحوها ويحفظ الباقي في الخزانة . وقد كان المسلمون محرومين من الاتفاع بهذه النقود - لانع الحكومة بل لهدم سواهم ذلك للأوهام التي يطول شرحها - على اشترائهم في دفع ما عليهم منها وشدة حاجتهم اليها فان كثيرا من القرى الاسلامية ليس فيها مكاتب دينية لفقرا أهالي وقد قد التعاون العمومي وعدم كفاية الاعانة الخصوصية للجميع فعم الجهل بالدين أكثر الطبقة السفلى . فهذه الحالة المؤسسة أزعجت القلوب المملوءة بالحمية والجلأت الى التشاور في هذه المصلحة الهمة فتشاوروا وتفكروا في الوسائل اللازمة لتعميم التعليم الديني بين السواد الأعظم من الأمة فما وجدوا سبيلا الى هذا الاصلاح الا هذه السبيل (أي الاستعانة بهم في تلك الخزانة) ففروا فيها وكتبوا عرائض الى أولي الأمر يقولون فيها ما محصاه : ان

من مقتضى العدالة تأسيس المكاتب الملكية الابتدائية في القرى الإسلامية التي لا توجد فيها مكاتب كما هو الشأن في القرى الروسية ويتوقف ذلك على تخصيص مبلغ من حصة المسلمين في النقود الاميرية يكفي لتأسيسها والنفقة عليها اذ الفرض من وضع تلك الخزانة هو ارتفاع المشتركين فيها على السواء وليس من العدالة تخصيص جنس دون جنس بالارتفاع بها مع المساواة في الدفع الخ وسمعت ان المحكمة الملكية (زيمسكي أوبراغا) اجابت على تلك العرائض بالقبول وعند ذلك قامت الفرقة المتعصبة تنازع في هذا الخير وتصدت عنه صدا يشوش أذهان العوام قائلين ان أخذ تلك النقود وصرفها في تلك الوجوه غير جائز في الشرع متعللين تارة بأنها مال الفقراء !! ولا أدري أي فقير يرضى بصرف ماله المتروك في الخزانة في حوائج غير جنسه ولا يرضى بصرفه في مصالح جنسه ونفسه ؟ وتارة بأنها مخلوطة بنقود غير المسلمين ! وظني انه لا ضرر فيه بعد ما كان مقدار كل واحد منهم معلوما وما يؤخذ منها لمصالحنا انما هو من نقود المسلمين المتعينة نوعيا وبعضهم يتعلل بأن فيها مال الايتام وهم لا ينظرون الى الشرع هل يرخص بترك هذا المال في الادارة الملكية تتصرف فيه كيف تشاء مع عدم التمكن من استرداده أم يسوغ أخذه وبذله في مصالحنا فان هذا المال على كل حال لا يرد الى صاحبه والله أعلم . هذا مادار في فكري الفائر فارجوكم أيها الاستاذ بيان حكم هذه المسألة شرعا في المنار والله لا يضيع أجر المحسنين

(ج) ان هذه الواقعة هي أظهر مثال لقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ان المسلمين لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا بل هي أوضح حجة على أن المسلمين قد جنوا بدينهم جنونا مفردا لم يشاركهم فيه أحد على أنهم قد شاركوا من قبلهم من جميع فنون جنونهم في الدين وكأني بكل مسلم غيور قد استعبر لسماح هذه المسألة وبكى ، وبكل عدو للمسلمين قد أغرب لسماحها ضحكا

حقيقة المسألة أخذ مال من حاكم غير مسلم برضاه لصرفه في مصلحة المسلمين فهل يشترط لجواز ارتفاع المسلمين به أن يكون ذلك الحاكم قد أخذه من رعيته المسلمين وغيرهم بوجه شرعي بحيث يحكم الشرع بأنه ليس له مال غير هذا الحاكم

أويحكم بأن له صرفه في المصالح العامة ؟ لا محل لهذا السؤال ولا لهذا الاشرط لان الحاكم غير المسلم لا يكلف العمل بفروع الشريعة قبل الاسلام فهذا المال الذي أخذه من رعيته ماله لأنه صاحب اليد عليه والتصرف فيه بلا منازع وارجاعه الى من أخذه منهم متعذر فاذا أعطانا شيئا منه لننفقه في مصالحنا جاز لنا أخذه حتما بل قالوا ان جميع أموال غير المسلمين في غير دارهم مباحة لهم اذا أخذوها برضى أصحابها من غير غدر ولا خيانة لا يشترط فيه غير هذا . ولو كانت وجود بعض أموال اليتامى فيه غير متميز مانها من الانفعا به لكان وضع درهم لیتيم في ألف ألف درهم لغيره مانها لهذا من التصرف في ماله كما قال الغزالي في شبه هذه المسألة وذلك بديهي البطلان . على أنه لا سبيل الى العلم بأن عين المال الذي أخذناه من الحاكم لا يخلو مما أخذه من اليتامى الا اذا كان ما يأخذ منهم كثيرا جدا بحيث يعلم أو يظن أنه لا يخلو طائفة من ماله من ذلك وليس الامر كذلك . وهناك وجه آخر لجواز الأخذ وهو أن المال الحرام الذي لا يعرف له مالك معين يجب صرفه في الصدقات أو المصالح والمنافع العامة ويرجح جانب المصالح في بلاد ليس لها فيها مصرف غيره كبلادكم . وما عارضتم به شبههم في محله الا تعليل عدم الضرر بكون ما يؤخذ من مال المسلمين فان ما يؤخذ من مالهم برضاهم جائزا أيضا لا وجه لمنعه والله أعلم

﴿ الوصية النبوية المنامية ﴾

(س ١١) م . ر بالسويس

(ج) راجعوا ص ٦١٤ من مجلد المنار السابع ترون الكلام على هذه الوصية التي تنشر في كل بضعة سنين مرة عن لسان رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . ومنه نعلمون الحق في ذلك وتعذر وناذ لم ننشر نسخة الوصية التي أرسلتموها مع سؤالكم عنها

﴿ اللذات الحسية في الجنة وجنة آدم ﴾

(س ١٢) محمد أفندي السيد قاسم في منشاء حلقه (الفيوم)

تقابلت مع أحد المتخرجين من دار العلوم فذكرت الجنة وما فيها من النعيم الدائم والتلذذ بالمأكل والمشرب والمنسكح وان تلك هي التي اهبط منها آدم وحواء

حين أكل من الشجرة فأخبرني ان الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح كالدينا وإنما تحصل لأهل الجنة لذة الأكل والشرب والجماع عند اشتباه أنفسهم ذلك بدون فعل كالإثم يرى انه أكل كذا وكذا وفعل كذا فيلذ بذلك والحال أنه لم يفعل ذلك حقيقيا فقلت له ان في القرآن الحكيم ما يدل على ذلك نحو قوله تعالى (٧٢: ٤٣) وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون * ٧٣ لكم فيها فاكهة كثيرة منها ما كان (وقوله تعالى (١٩: ٥٢) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (٢٠: ٥٢) وزوجناهم بحور عين) وغير ذلك من الآيات فقال ان الله تعالى وعد المؤمنين بالتمتع في الجنة بالأكل والشرب والنكاح المألومة لذتهم تقريبا لا فهمامهم وتشبيها إذ لو وصف لهم التمتع بغير ما هو معلوم لهم لما كان له موقع في أنفسهم ولما فهموا معنى التمتع . وتلك الجنة ليست هي التي اهبط منها آدم وحواء : ولقصورى عن إقناعه حررت هذا لسيادتكم راجيا الاجابة عن ذلك على صفحات المنار بما يشفي الغليل ملتصقا بالاعادة اذا كان سبق توضيح ذلك في مجلد مضى من المنار لان ابتداء اشتراكى في المجلد الثامن ولازم في عز وجاه والسلام عليكم ورحمة الله

(ج) لاخلاف بين المسلمين في الإنسان يبعث في الآخرة كما كان في الدنيا أي ان حقيقته لا تتبدل فتخرج عن الانسانية الى حقيقة أخرى بيد أنه يكون في الجنة أرقى مما كان في الدنيا فتكون حياته دائمة سليمة من العلل وهى كان الانسان انسانا فلا وجه لاستنكاراً كله وشربه وغشيان أحد زوجيه للآخر حقيقة وقد جاءت الآيات صريحة في ذلك فلا وجه لاجراجها عن ظاهرها ونحو يفها عن معانيها اتباعا للهوى والرأي . نعم قد دلت النصوص المأثورة من الآيات والأخبار والآثار ان جميع ما في الجنة من النعيم هو أرقى مما في الدنيا وان حقيقته غيبية ما رأيت مثابا عين ولا سمعت بمثابا أذن ولا خطر على قلب بشر ولكن ذلك لا يمنع ان تكون حقيقة جامعة بين اللذة البدنية واللذة الروحية لان الانسان بدن وروح . وأني لأعرف سببا لسريان شبهة فلاسفة اليونان والنصارى الى نفوس بعض المسلمين في هذه المسألة الا وهمهم ان اللذة الحسية تقص في الخلق لا يطبق بالمالم الآخر . ولو عقلوا

حقة والعلوم وأنه ليس في الفطرة نقص فداعية الذمة والتمتع بها من كمال الحلقة ولكن لما كان الانسان قد يسرف في تمتعه وقد يسرقه كسبه واختياره الى الاعتداء على حق غيره ليمتدح به وكان ذلك ضارا بنفسه وبين يعيش معهم كالتاسراف والاعتداء مما نهت عنه الشرائع تأديبا للانسان وايقافا لقواه عند حدود الاعتدال حتى لا يبغي بعضها على بعض ولا يبغي بعض أصحابها على بعض وعد الاسراف والمدون من النقص لأنه يعوق الانسان في افراده ومجتمعه عن بلوغ الكمال الذي خلق مستعدا له وانما يناله اذا اعتدل في استعمال جميع قواه مع مراعاة كل فرد لحقوقه سواء أما قولكم ان الجنة التي وعد المتقون في الآخرة هي الجنة التي سكنها آدم في أول نشأته فلا دليل عليه والراجع المختار من القولين في ذلك أنها بستان من بساتين الدنيا اذا لم تكن القصة تمثيلا لاطوار الانسان في هذه الحياة . واذا اردت مزيد البيان فراجع تفسير الايات في ذلك ولو في غير المنار

﴿حكم أواني الفضة وزكاتها﴾

(س ١٢ و ١٤) على أفندي مهيب بتفتيش التفراقات بمصر :
أرجو التفضل ببيان حكم الأواني الفضية في الشرع من حيث استعمالها هل هو محظور أو مباح وهل تجب الزكاة عنها وما هو نصابها الكامل وما مقدار الواجب عنه

(ج) أما الاستعمال فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة النهي عن الأكل والشرب في آنيها فحمل ذلك بعض العلماء على الكراهة وجهاهيرم على التحريم وخصه أهل الظاهر بمورد النهي وقاس عليه غيرهم سائر أنواع الاستعمال (راجع ص ٤٢١ و ٤٢٢ م ٧) والذي أعتقده الوقوف عند النص

وأما الزكاة عن آنية الفضة ومثلها الذهب فقد قال بها الجماهير وان كانت الزكاة المعهودة فيما يزكو وينمو بالعمل كالنقدين والانعام السائمة وغلة الأرض . ولعل الأصل في ذلك ما رووه في الحلي وأخذ به الحنفية مطلقا وقال الشافعية انما الزكاة فيما حرم استعماله من الحلي وأعل البيهقي ما روي في زكاة الحلي بما

لا محلّ لذكره ولا لما قيل في الجواب عنه والمعتمد عندي ما قاله الترمذي من أنه لم

يصح في هذا الباب شيء

وفي نص القرآن أن الزكاة فيما يكتنز من الذهب والفضة وهو ما يجمع بمضه
فوق بعض زاد بعضهم وكان مخزوناً هذا معناه في اللغة وهو بمعنى الفاضل عن النفقة
واصطلح أكثر الفقهاء على جملة بمعنى ما وجبت فيه الزكاة فلم تؤد والمتبادر أن المراد به
النفود المضروبة لأنها هي التي تكثرت وتفوق دون الحلي والأواني. وفي حديث علي
صرفوعاً « قد عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقبي فها تواتوا صدقة الرقة من كل
أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومئة شيء فإذا بلغت مئتين ففيها خمسة دراهم »
رواه أحمد وأبو داود والترمذي وذكر الترمذي أنه روي من طريق عاصم بن
ضمرة وطريق الحارث الأعور عنه وقال سألت محمداً - يعني البخاري - عن هذا
الحديث فقال كلاهما عندي صحيح . والرقة هي الدراهم المضروبة . وقد أيد
القائلون ليس في الحلي المباح زكاة قولهم بالقياس . قال في حاشية المقنع وقد تكلم
عن روايتين في المذهب : ووجه الأولى ما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
« ليس في الحلي صدقة » ولأنه مرصود لاستعمال مباح فلم تجب فيه الزكاة كالعوامل
من البقر وثياب التنية والآحاد التي احتجوا بها لا تتناول محل النزاع لأن
الرقة هي الدراهم المضروبة : اهـ وما ذكره من القياس على العوامل من البقر
والثياب ظاهر جداً

وقد علم السائل أن الذي أعقده في المسألة أن المحذور من استعمال الذهب
والفضة هو ما جاء به النص وإن ما يجب فيه الزكاة هو ما ورد به النص وقال بعض
العلماء أن الاحتياط أن يزكى الحلي أي والآنية . وهو ما يوجبها إلا كثرون . وعلم
أيضاً أن نصاب الفضة مئتا درهم وإن فيها ربع المشر والله أعلم وأحكم

(بيع انقضاء المسجد ومجديده ببنائه بثمنها)

(س ١٥) ١٠ ب في بيت زورغ (جاءه)

ما قولكم رضي الله عنكم في انقضاء مسجد موقوف خرب و ارادوا بناءه فهل
يجوز بيع تلك الانقضاء التي لا تصلح للبناء وهي من خشب ولبن وقرا مبد

واستعمال ثمنها في بناء ذلك المسجد أم لا أفقتونا ماجورين
 (ج) يستأذن القاضي الشرعي في ذلك وهو يأذن ببيع مالا يستفاد منه الأبيمة
 وإنما يناط مثل هذا بأمر القاضي للمصلحة إذ ليس كل ناظر وقف يقف عند
 حدود الشرع فلو وكل الأمر إلى النظار لباع بعضهم أوقافا كثيرة بدعوى تعذر
 الانتفاع بها كذبا وعدوانا ولا حاجة إلى بيان أننا لا نكاف حفظ هذه الانتقاض
 بغير فائدة تدينا وتعبدا. ومن البديهي أن تجديد بناء المسجد في مكانه الموقوف
 يتمد مع وجود تلك الانتقاض والأمر دائر بين بيع مالا ينتفع به في بنائه وبين
 نقله إلى مكان آخر يحفظ فيه وهذا النقل والحفظ إنما يكونان بنفقة كأجرة الناقلين
 وأجرة المكان الذي تحفظ فيه فأبي كتاب أم أية سنة تعبدنا بأن نفق المال
 سدى لنحفظ مالا فائدة فيه للوقف؟ وإننا نرى الناس في مصر يبيعون أعيان الوقف
 ليستبدلوا بها أعيانا آخرى أكثر ريبا والقاضي يأذن بذلك

(امتياز رجال الجنة على نساها بالحوار العيني)

(س ١٦) محمد أفندي مهدي سليمان بميت القرشي
 تعلمون ان أهل الجنة يدخلونها بفضل الله ويتقاسمونها بالأعمال فما بال
 الرجل من أهلها يمتاز على المرأة بالحوار العيني الحسان يتمتع بهن وينعم بقربهن
 فهل في ذلك من حكمة

(ج) الحوار العيني هن نساء الجنة وما من امرأة تدخل الجنة الا ويكون لها
 فيها زوج فالتمتع بلذة الزوجية مشترك اذ لا زوجية الا بين ذكر وأنثى ولعل سبب
 السؤال هو توهم ان وصف الحوار العيني خاص بنساء مخلقتن في الجنة وان نساء الدنيا
 لا يكن حورا عينا في الجنة ولا دليل على ذلك

﴿ أسئلة من سنننا فورہ ﴾

من الشيخ محمد بن عوض بن عبده . قال انه عرض ما يأتي من الاسئلة على
 كثير من العلماء والفضلاء فأجابوه بأن أرسلها إلى السيد محمد رشيد وهي هذه نذكرها
 ببعض تصرف حيث تكون عبارتها سقيمة

(أفضل الناس بعد النبي ص)

(س ١٧) من أفضل هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنص لا بالمزايا كإصالة بالصحابة وتسلسل الخلافة وقال السائل انه يعرف وجه التفضيل بهذه المزايا منذ كان ابن عشر

(ج) لا يوجد نص قطعي في القرآن أو حديث متواتر يدل على ان فلانا أفضل الناس بعد النبيين وإنما هناك أحاديث آحاد مشتركة ولا يضح منها شيء قطعي الدلالة فحديث أبي الدرداء من فوعا « ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » ضعيف أخرجه أبو نعيم في الخلية وفي فضائل الصحابة وابن النجار وكذا ابن عساكر بالمعنى وكذلك حديث علي والزبير عند ابن عساكر « خير أمتي بمدي أبو بكر وعمر » وحديث جابر عند الخطيب « علي خير البشر من أبي فقد كفر » قال انه حديث منكر وهناك أحاديث أخرى صحيحة أو حسنة إلا سانيد لكنها ليست نصافي التفضيل كحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي » قاله لعلي وهو في صحيح مسلم وغيره وفي الصحيحين بلفظ آخر وهو بمعنى حديث « أنت أخي في الدنيا والآخرة » رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر . وكحديث « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » رواه أحمد والترمذي عن عقبة بن عامر وغيرهما . وكل هذا من المزايا وخير المسلمين ان يفوضوا أمر التفضيل الى الله تعالى ولا يبحثوا فيه

(خروج معاوية على علي)

(س ١٨) ومنه : أفدنا عن معاوية بن أبي سفيان هل هو محق فيما ادعى به علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طلب الخلافة أو مخطئ ، أو فاسق كما قال ابن حجر في الصواعق المحرقة أو غاص نرجو الجواب الشافي ولا نرضى بقولهم المجتهد المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد

(ج) ان سيرة معاوية تنفيذ بحملتها وتفصيلها أنه كان طالباً للملك ومجبا للرياسة وإنما لا اعتقد انه قد وثب علي هذا الأمر مفتاتا وأنه لم يكن له ان يحجم عن مبايعة علي بعد ان بايحه أولو الأمر أهل الحل والمقد وان كان يعتقد أنه قادر

على القيام بأعباء الأمة كما يقولون فما كل معتقد بأهليته شيء يجوز له ان ينازع فيه وقد كان علي يعتقد انه أحق بالخلافة ولما بايع الناس من قبله بايع لثلاث فرق كلمة المسلمين ويشق عصام ومماوية لم يراع ذلك . وانه هو الذي أخرج المسلمين حتى تفرقوا واقتتلوا وبه صارت الخلافة ملكا عضوخا ثم انه جعلها وراثته في قومه الذين حولوا أمر المسلمين عن القرآن بإضعاف الشورى بل بإبطلها واستبدال الاستبداد بها حتى قال قائلهم علي المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » بعد ما كان أبو بكر يقول على المنبر « وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني واذا زغت فقوموني » وكان عمر يقول « من رأى منكم في أعوجاجاً فليقومه » واني على اعتقادي هذا لا أرى للمسلمين خيرا في الطمن في الأشخاص والنزب بالانقلاب واللعن والسباب، وإنما عليهم أن يبحثوا عن الحقائق ليعلموا من أين جاءهم البلاء فيسموا في تلافيه مع الاتحاد والاعتصام والاقتداء بالسلف الصالح في حسن الادب لاسيما مع الصحابة الكرام

(قبر هود عليه السلام)

« س ١٩ » أفيدوني عن قبر نبي الله هود هل هو في حضر موت كما يزعم بعض الحضارمة ام لا

« ج » من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام ان قبره معروف بطريق القطم واليقين ولا يعرف قبر نبي آخر ولا بالظن الراجح وانما هي شبهات وأوهام . وأما السؤال الرابع فهو عن نبي اسمه عياد الا أن تكون قراءة العبارة قد تعذرت علي ولا أعرف في الانبياء من اسمه عياد



أَنَّكَ تَجِدُ فِيهِ

وصف الأسد

لأبي زبيد الطائي

دخل أبو زبيد الطائي على عثمان بن عفان (رض) في خلافته فقال له (أي عثمان) بلغني أنك تجيد وصف الأسد فقال له: لقد رأيت منه منظرا، وشهدت منه مخبرا، لا يزال ذكره يتجدد على قلبي، قال: هات ما سر على رأسك منه. قال: خرجت يا أمير المؤمنين في صياحة من افناء قبائل العرب (١) ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهاري باكساتها القزوانيات (٢) وممنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمرا الضماني ملك الشام فاخروط (٣) بنا المسير في حمارة القيظ (٤) حتى اذا عصبت (٥) الأفواه، وذبلت الشفاه، وشالت (٦) المياه، واذكت الجوزاء المعزاء (٧) وذاب الصيخذ (٨)، وصر الجندب (٩) وضايقت العصفور الضب في وجاره (١٠)، قال قائلنا: أيها الركب غوروا بنا في

(١) الصياحة بالشدديد من الناس جماعتهم والبايهم وأفناء الناس نزاعهم من هنا وهنا.
(٢) المهاري جمع مهريّة الابل المنسوبة الى مهرة وهي نسبق الخيل (٣) اخروط المسير طال وامتد.
(٤) حمارة القيظ شدة الحر. (٥) عصبت الأفواه جف ريقها (٦) يريد شالت قلت أو نفدت وهو من شالت الناقة اذا قل لبنها وأصله شول ذنبها اللقاح وهو يكون عند قلة اللبن أو جفافه وقالوا شولت القرية والمزادة قال في التاج ولا يقال شالت. (٧) المعزاء الأرض الحزنة ذات الحجارة الصلبة والجوزاء برج تكون الشمس فيه صيفا يريد ان شمس الجوزاء اشملت الأرض (٨) الصيخذ: عين الشمس وقوله ذاب مبالغة بان الحر قد بلغ نهايته (٩) صر صوت والجندب (كدرهم) صغير الجراد يلزم أشجار الزيتون والكرم في حر الصيف وهو لا يبصر الا عند ما يحمى وطيس الحر. (١٠) وجار الضب جحره

ضوح (١١) هذا الوادي — فاذا واد كثير الدغل (١٢) دائم الغل (١٣) شجراؤه
مفنة، وأطياره مرنة ، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهيات (١٤) فأصبنا
من فضلات المزاد (١٥) ، واتبعناها بالماء البارد ، إنا لنصف حرّ يومنا ومماطلته
ومطاولته ، اذ صرّ (١٦) أقصى الخيل اذنيه ، وفحص الارض بيديه ، ثم مال بث
ان جال فمحم (١٧) ، وبال فهمهم «١٨» ، ثم فعل فعله الذي يليه واحد بهد
واحد فضعضت الخيل ، وتكلمت (١٩) الابل ، وتقهقرت البغال . فمن نافر
بشكاله (٢٠) ، وناهض بعقاله (٢١) ، فعلنا ان قد أتينا وانه السبع لاشك فيه ،
ففرع كل امري منا الى سيفه واستله من جربانه (٢٢) ثم وقفنا له زردقا (٢٣)
فاقبل يتظالم (٢٤) في مشيته كأنه مجنوب أوفي هجار (٢٥) لصدرة نحيط (٢٦) ،

واذا اشتد الحرجات العصافير الى الظل ولوفي الأوجرة . (١١) قال في الاساس
أخذوا في ضوح الوادي وأضواح الأودية وهي محانيها ومكاسرها : أي حيث
الظل وفي نسخة الاساس المطبوعة ضوح بالجيم وهو موافق لما في القاموس
ولكن شارحه استدرك عليه الضوح في باب الحاء ناقلا عن الاساس (١٢) الدغل : الشجر
الكثيف الملتف والنبت الكثير المشبك . (١٣) الغل الماء الذي يجري بين
الاشجار (١٤) الدوحة الشجرة العظيمة جمعه دوح ودوحات . وشجر كنهيل كسفرجل
عظيم فهو وصف مؤكك . (١٥) المزاد أوعية طعام المسافرين . (١٦) صرّ اذنيه نصبها
للسماع . (١٧) حمحم سهل بقلق «١٨» همهم ردد صوته من شدة الخوف . «١٩»
تكلمت : أحجمت وتأخرت الى الراء . «٢٠» الشكل جبل تشد به قوائم
الدابة وهو خاصّ بالدواب . «٢١» المقال : جبل يعقل به البعير في وسط ذراعه
رهو خاص بالأباعر . «٢٢» جربان السيف غمده . «٢٣» زردق كجعفر بزاي
فراء وبراء فزاي الصف القيام من الناس قل أبو الطيب يصف فتك سيف جيش
مدوحه بهدوم

لقد وردوا ورد القطا سفراتها ومروا عليها زردقا بهد زردق

«٢٤» يتظالم يتفاضر من الخلع وهو عرج قليل والمجنوب المصاب بذات

الجنب «٢٥» المجار جبل يشد في رسم البعير الى حقه «٢٦» النحيط الزفير

والبلاعيه (٢٧) غطيظ ، ولطرفه وميض (٢٨) ولأرساغه تقيض (٢٩) ، كأما يخبط
 هشيا (٣٠) ، أويطأ صريما (٣١) واذا هامة كالحجن ، وخذت كالسن ، وعينات
 سجر او ان (٣٢) كأنهما سراجان يقدان (٣٣) ، وقصرة ريلة (٣٤) ولهزمه رهلة (٣٥) ،
 وكتد مقبط (٣٦) ، وزور مفرط (٣٧) ، وساعد مجدول ، وعضد مققول ، وكف
 شنة البرائن (٣٨) ، الى مخالب كالحاجن (٣٩) ، ثم ضرب بذنبه فارهج (٤٠) ، وكشر
 فافرج ، عن أنياب كالمعاول (٤١) ، مصقولة ، غير مفولة ، (٤٢) وفم اشديق ، (٤٣)
 كالغار الاخرق ، ثم تعطى (٤٤) فاسرع يديه ، وحفز (٤٥) وركيه برجليه ، حتى

(٢٧) البلاعم مجازي الطعام في الحلق «٢٨» الوبيض امان البرق الخفيف . «٢٩» الرسغ
 كقفل وبضمتين الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل
 ومفصل ما بين الساعد والكف ، والساق والقدم ومثل ذلك من كل دابة .
 والتقيض صوت المفاصل ومنها الارساغ وكذا صوت الاصابع والاضلاع والرحال
 وما في معناها «٣٠» الهشيم النبات اليابس . «٣١» للصريم معان كثيرة أوجهها
 هنا الارض المحصود زرعها فهو يشبه صوت أرساغه بصوت خابط الهشيم وواطى
 الصريم والخبط الوطاء الشديد والمجن الترس والمسن ما يسن عليه يعني ان
 وجهه لالحم عليه «٣٢» سجر او ان مشوب بياضها بحمرة . «٣٣» القصرة بكثرة
 أصل العنق اذا غلظت . «٣٤» الريلة الكثيرة اللحم «٣٥» الهزيمة (كهمزة) بالكسر عظم
 تأتي في اللحمي تحت الاذن أو مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن ورهلة مسترخية . «٣٦»
 الكتد الكاهل أو مجتمع الكتفين ومقبط محبوبك أو مر تقع «٣٧» الزور وسط الصدر -
 ومفرط ممثلي وهو مجاز والأصل فيه ان يستعمل للغدير ونحوه فيقال غدبر مفرط أي
 ملآن ماء . «٣٨» كف شنة : غليظة - والبرائن جمع برثن كقنفذ هي من
 السباع كالاصابع من الانسان . «٣٩» مخالب الاسد أظافره - والحاجن جمع محجن
 كمنبر وهو العصا المنعطفة الرأس . قوله ثم ضرب الخ عطف على قوله فاقبل يتظالم
 الخ . «٤٠» أرهج : أثار الضباب «٤١» المعاول الفؤوس العظيمة «٤٢» مفولة مثله
 «٤٣» أشدق عظيم الشدقين . «٤٤» تعطى تمدد وتبختر «٤٥» حفز وركيه برجليه

صار ظله مثليه ، ثم أقعى فاقشمر (٤٦) ثم مثل فاكفهر ، (٤٧) ثم تجهم فازبأر
 (٤٨) فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزاره ، كان
 ضخم الجزارة ، (٤٩) فوهصه ، (٥٠) ثم أقصه ، (٥١) فقضض منه ، (٥٢)
 وبقر بطنه ، فجعل يالغ (٥٣) في دمه ، فدمرت (٥٤) أصحابي فبعد لأي (٥٥) ما
 استقدموا فكر مقشعر الزبرة (٥٦) كأن به شيئا حوليا (٥٧) فاختلج (٥٨) من
 دوني رجلا أعجر ذاحوايا (٥٩) فنفضه نفضة فنزابت أوصاله (٦٠) وانقطعت
 أوداجه (٦١) ثم نهم (٦٢) فقرقر ، ثم زفر فبربر (٦٣) ، ثم زأر فجرحر ، (٦٤) ثم
 لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه ، عن شماله ويمينه ، فارتفعت الأيدي
 واصطكت (٦٥) الأرجل ، واطت (٦٦) الأضلاع ، وارتجت الأسماع ، وجمجت (٦٧)

دفعهما بهما وهما مثني ورك ككتف هي ما فوق الفخذ «٤٦» أقعى: جلس على أليته
 ونصب فخذه واقشمر ارتعد . «٤٧» اكفهر كبح وعبس . «٤٨» الجهم الوجه الغليظ
 السمج وتجهمه قابله بوجه جهم وازبأر: تنفس ونهيا للشر . «٤٩» الجزارة كمنخالة
 أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان والرأس . «٥٠» وهصه رماه وضرب به الأرض .
 «٥١» أقصه قتله مكانه واجز عليه «٥٢» قضض منه كسر ظهره - وبقر بطنه: شقه
 «٥٣» يالغ يشرب بطرف لسانه . «٥٤» ذمره على الشيء: حشه عليه لاثما أو مفضا ليحد
 فيه «٥٥» لأي: بطاء . «٥٦» مقشعر الزبرة منتصب شعر ما بين الكتفين وهي لبدته
 «٥٧» الشيم كيقق القنفذ العظيم - والحولي الذي مر عليه الحول «٥٨» اختلج
 انزع واجتذب . «٥٩» الأعجر المتلي: جدا أو عظيم البطن - والحوايا: الأمعاء
 «٦٠» نزابت تباينت وانفصلت - وأوصاله جمع وصل كمنسر وهي المفاصل أو
 مجنح العظام . «٦١» الأوداج العروق التي تقطع بالذبح . «٦٢» نهم بمعنى نهم
 أي تنحنح - وقرقر هدر وزأر . «٦٣» زفر أخرج نفسه يده بصوت - وبربر
 صوت «٦٤» زأر: صات من صدره - وجرحر: ردد صوته في حنجرتة «٦٥» اصطكت
 اضطربت «٦٦» الاطيط صوت الرجل الجديد وما يشبهه وصوت الظهر والجوف عند
 الجوع واطت الأبل أنت من التصب أو الحنين «٦٧» التحميج هو نظر الفرع المذعور
 والمتحير المبهوت فالأول يكون بدوران الحدقة والثاني يكون بادامة النظر مع فتح

الهيون، وأنخزلت المتون، (٦٨) ولحقت الظهور بالبطون، ثم ساءت الظنون،
 عبوس شمس مصليخد خناس (٦٩) جري على الأرواح للقرن قاهر
 منيع وبمحي كل واد يريده شديد أصول الماضفين مكابر
 برائته شئن وعيناه في الدجي كجمر الفضا في وجهه الشر ظاهر
 يدل بأنياب حداد كأنها إذا قلص الأشداق عنها خناجر (٧٠)
 فقال عثمان (رض) : اكفف لا أم لك فقلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد
 وصفته حتى كأنني أنظر إليه يريد يوابني.

﴿ فقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الثاني ﴾

(ص ٢٣٣) شاكي الجوانح من خلائق ظالم شاكي السلاح على الحب الاعزل
 (شاكي السلاح تام السلاح) قولهم شاكي السلاح اما ان يكون من الشوكة
 فيكون أصله شائك ومعناه حديد السلاح ماضيه واما أن يكون من الشك ويكون
 أصله شاكك ومعناه حامل السلاح . فالتمام ليس من معنى شاكي كما هو ظاهر
 (ص ٢٥٤) رأيتك للسفر المطرد غاية يؤمونها حتى كأنك منهل
 (السفر السفر سكنت الفاء ضرورة والمطرود الطويل) السفر هنا ليس أصله
 مفتوح الفاء فسكنه وان مصدر كما يفهم من قول الشارح واما هو بسكون الفاء
 من الأصل لأنه جمع سافر كصاحب جمع صاحب يقال نحن قوم سفراي مسافرون
 والمطرود اسم مفعول لطرده عن البلد بمعنى أبعد يقال فلان مشرد مطرد وهو
 نعت لسفر باعتبار لفظه كما أن يؤمون عاد اليه باعتبار معناه . والمطرود انما يكون
 بمعنى الطويل اذا أجري على اليوم نعتا يقال يوم مطرد اي طويل كامل تام يقول

العينين وكلاهما يصح هنا «٦٨» أنخزلت المتون أي انكسرت الظهور «٦٩» والمصليخد
 المنتصب قائما الشمس المنتع لا يمكن منه أحد الخناس الكره المظنر والنوي الشديد
 الثابت وهو من أسماء الاسد «٧٠» يدل بالشيء يجترى بسببه ينال أدل بقوته وسلطانه
 وأدلت بحسنها وجمالها والاشداق نواحي الفم وقلصها فرجها وزواها بنحو التكشير

الشاعر ان المسافرين الذين شردهم عن أوطانهم البؤس والشقاء يؤمونك كما
يؤم المطاش المناهل .

(ص ٢٥٤) والاتكن تلك الاماني غضة ترف تحسي ان تصادف ذبلا
(ذبلا يابسة) يقول الشاعر اذالم اصادف امانى غضة طرية قاني راض بان تكون
ذابلة لاغضة ولا يابسة وقد بينا معنى الذبول في الكلام على بيت صحيفة ٢٢٨
وتفسير الذبول هنا باليأس فضلا عن كونه لا يصح لغة لا ينطبق على قصد الشاعر
ولا يلائم غرضه فان ما يريد الانسان ويتطلبه لا يسميه أمنية مالم يكن فيه شيء من
القائدة والنفع ولو قليلا وتلك القلة كفى عنها شاعرنا بالذبول فلو أراد بالذبول
اليأس كان كناية عن خيبته وعدم نياله لامانيه وقوله «حسي» ينافي هذا كما لا يخفى
(ص ٢٦٩) قد علم فمشيم مشية أما كذلك بحسن مشي الخيل باللجم
(قد علم لجتم) لعل صوابه ألجتم لأنه يقال ألجت الفرس لالجته . ثم ان
تفسير القدع بالألجام لا أراه صحيحا واردة معناه الموضوع له نهاية في الحسن
القدع الكف قدعه فانقدع وقدعت الفرس اذا كفته بلجامه لتنه من حدة
جريه فالشاعر يقول رد علم عن مرامكم وكفتم عن غيكم كما تكف الخيل
بلجمها فتمشي مشيتها المعهودة

(ص ٢٧١) أرض مصردة وأخرى تجم تلك التي رزقت وأخرى تحرم
(مصردة لاشجر بها) الارض التي لاشجر بها يقال لها مصراد كفتح
لامصردة اما المصردة هنا فن التصريد ومعناه التقليل وصرده له العطاء قلله
وصرد السقي قطعه دون الري وشراب مصرد مقل قال النابغة

ونسقي اذا ماشئت غير مصرد بصباه في حاقاتها المسك كارع
وقرن الأتجام بالتصريد هنا مثل قرن الوايل بالطل في الآية الكريمة .
(ص ٢٩٤) وبالحدلة اساق الخدمة الشوى قلأص يتبعن العبيى الخدما
(الخدمة المستديرة التحجيل فوق الاشاعر) ما ذكره لا يصلح هنا لاني تفسير
الكلمة الاولى «الخدمة» ولا في تفسير كلمة القافية «الخدما» لان ما ذكره
من صفات التحجيل وهو للخيل . وكلمة القافية جارية على العبيى وهو العظيم من

الجمال كما قال الشارح وهي من الخدمة محرمة سير غليظ يشد في رسغ البعير اما الخدمة الواقعة في الشطر الاول وفسرها الشارح بما فسر فهي وصف للقادة التي وصفها بامتلاء الساق ثم قال ان شواها أي يديها ورجليها مخدمة أي مخلخلة لان الخدمة أيضا تأتي بمعنى الخلل كما تأتي بمعنى السير المذكور ومعنى البيت ان المنزل تبدل قطينه فبعد ان كانت تمرح فيه الفواني زات الخلاخيل صارت ترتع فيه البياق اللانثة بفحلها المشدود الرسغ بالسير .

(ص ٣٠٣) قد قلصت شفتاه من حفيظته فخييل من شدة التعنيس مبتما
(قلصت كدت) الكد والكدة تغير اللون وذهاب صفائه وليس هذا المعنى من التقليل في شيء . والتقليل له معان واذا اسند الى الشفة قيل تقلصت شفته أو قلصت كان بمعنى انزوت وتشرمت علوا وهذا ما أراده الشاعر
(ص ٣٢٣) ويرم المصدفة حين ساموا أو شروان خطبا غير هين

(ساموا اذاقوا) سام فلانا الأمر كافة اياه وسامه خسفا أولاه اياه واراده عليه وهذا المعنى في السوم مجاز كما في الأساس وأصله ان يحاول صاحب السلعة بيعها بثمن ويريده مشترها على أقل منه . فتقول شاعرنا هنا من قبيل السوم المجازي أي أرادوا أو شروان على التوسط في خطب اعتدوه له وهو يحاول التضي منه لأنهم أذاقوه اياه واذا فسرنا الكلمة هنا بالاذاقة نكون حملناها مالا طاقة لها به لاحقيقة ولا مجازا .

(ص ٣٢٤) تأمرت نكبات الدهر ترشقتي بكل صائبة عن قوس غضبان
(تأمرت اتفقت) تأمروا تشاوروا كأنتمروا واسناد التأمر الى النكبات اسناد مجازي لطيف . وتفسير التأمر بالاتفاق عدول بالكلمة عن معناها المستعملة فيه واللائق بها هنا . واذا قيل ان التشاور على الرشق لا يقتضي الرشق بالفعل قلنا والاتفاق عليه لا يقتضيه أيضا وإنما هو شيء يفهم من المقام
(ص ٣٤٤) أمبلوا العيس تنفخ في براها الى قمر البندامي والبندي
(البري البراب) البري بضم الباء جمع برة وهي حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صفر ونحوه ومنه قول المقصورة « يرعفن بالامشاج من جذب البري »

والعيس اذا أوضت في السير تجمل تنفخ ونفخها يمر على تلك الحلقات المعلقة في أنوفها لا التراب الذي على الأرض على انه لا معنى لإضافة التراب الى العيس (ص ٤١٣) كالليل أو كاللوب أو كالنوب منقادة لقادر غريب

(اللوب الابل السود) اللابة الابل المجتمة السود على انه لا يمكن ان تراد الابل السود هنا قط ائلا يكون من قبيل تشبيه الشيء بنفسه لان الشاعر إنما يصف الابل ويظهر من تشبيهها بالليل والزنج أنها كانت سوداء فكيف يشبها وهي سود بالابل السود. وإنما اللوب هنا جمع لوبه وهي الحرة والحرة بفتح الحاء أرض ذات حجارة سوداء ومنه قولهم اسود لوبي نسبة اليها وتسمى الحرة أيضا لابة ومنه لابتا المدينة .

هذا ما أردت محادثة الشارح فيه او مؤاخذته عليه مما سبق الى الخاطر الكليل لأول وهلة ويخيل لي انه لو بالغ منتقد في انتقاده لم يثر على أكثر مما عدته عليه وقد أضربت عن مناقشته في كثير مما غلب على ظني نحر يفة أو تصحيفه كقول الشاعر ص ٢٧

فضربت الشتاء في أخذعيه ضربة غادرته قودا ركوبا
 فقال الشارح « القود البعير المسن » والصحيح ان القود باقاف الخيل اما البعير المسن فيقال له العود بالعين المهملة وأظهر من ذلك قول الشاعر في ص ٤٤٩
 قضيب من الريحان في غير لونه وأم رشاف في غيرا كراعها الحمش
 فقال الشارح (الحمش المحدثه) والصواب ان الكلمة في البيت مصحفة عن الحمش بالحاء المهملة وهي جمع أحمش الدقيق الساقين أي ضليلهما وقد حشمت ساقه وهو حمش الساقين ومنه قول الحماسي يهجو امرأة
 وساق مغلخها حمشة كساق الجراداة أو أحمش
 ومثله ما في ص ٣٥

كلاجدل الفطريف لإح لعينه خزر وأنت عليه مثل الاجدل
 فقال الشارح (الخزر الحساء الدسم) مع ان الاجدل الذي هو الصقر لا يأكل الاطعمة الدسمة ولا ينقض عليها وإنما الكلمة خزر كهمد ولا يهزأ بها لاراء منهاها ذكر

الارانب وهو من طعام الاجادل يقول ان الشاعر على صبوة فرسه كالصقر يطو صقرا
رأى أرنبا فجذ في أثره . ونظيره أيضا ما في ص ٢٥٦

أبا جعفر ان الجهالة أمها ولودٌ وأمُّ العلمُ جذا حائل

فقال الشارح (جذا بلا ثدي) فسرها على كونها من الجذ بالذال المعجمة
وهو القطم وإنما هي جذا بالذال المهملة وهي المرأة الصغيرة الثدي والذاهبة اللبن لميب
خالقي في ثديها وقوله حائل يؤيد هذا المعنى

على أن الشارح حفظه الله تساهل في تفسير كثير من الكلمات تساهلا ربما
لم يرض نقاد اللغة ولم يستجيزوه من مثله مثل قوله (منى) جمع أمنية (جيش أرب)
متجمع (السنان) الرمح (الايكة) الشجرة (أخرج) أجبر (الحديث سرار)
سر (الصبر) الدواء المر (الفرند) السيف (الصفاة) الصوانة (تهفو خلاته)
تضطرب (يجم) يترك (الطول) الحبل الطويل (سيديل) سينتقم (المعرس)
المنزل (الاصطلاء) الالتهاب (الوابل) المطر (البناب) الاصابع (لاحب) طريق
ضجاعة كاسدة (النكال) المصيبة (الهنا) الامور (شكائم) انتصارات (اقتضى) طلب
القرض (يختر من) يخترق - في نظائر ذلك مما كان من باب التفسير بالاعم أو
بالاخص أو باللازم وهو ما يأباه المدققون في اللغة ويرون التسامح فيه غلطا
فاحشا وجريمة لا تغتفر .

بقي لي كلمة لا أحب ان أبلغ بالكلام آخره ، ألم أحدث بها حضرة الشارح
وهي آبي عددت عليه كلمات هي من قبيل المشترك وقد فسرها بمعناها غير المراد
للشاعر كتفسيره للبري بأحد معنييه وهو التراب مع ان المراد معناه الآخر كما مر آنفا
فان ذهب حضرة الشارح الى ان تفسيره للمشارك بغير المراد منه غير موضع
للاتنقاد لكونه لم يخالف فيه أصل وضع اللغة وانه في ذلك لم يخرج عن كونه شارحا
لديوان أبي تمام وعدت مؤاخذتي له على تلك الكلمات مؤاخذة في غير محلها وعلى
غير الوجه الذي أعلنه في طلب الانتقاد ان زعم ذلك كان من يفسر قوله تعالى « فيها عين
جارية » بقوله العين الباصرة والجارية الفناة يصح ان يسمى مفسر القرآن وشارحا لكلام
الله تعالى - وكنت اذ ذاك جديرا بسحب الكلام وطلب انفق والسلام اه

التقريظ

(كتاب الجواب الصحيح . لمن بدل دين المسيح)

طبع منذ سنة أو أكثر هذا الكتاب النفيس لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وهو أربعة أجزاء وقد كتبه ردا على كتاب اذاعه النصارى في عصره فملنا أن القوم هم الذين كانوا يمتدون في الماضي كما يمتدون في هذا العصر وما كانوا الا محجوجين في كل زمان

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه ان ذلك الكتاب ورد عليهم من قبرص وانه مؤلف من ستة فصول (١) في ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى الجاهلية من العرب (٢) انه اثني في القرآن على دينهم بما أوجب ان يثبتوا عليه (٣) ان نبوات الانبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه فوجب ثباتهم عليه (٤) ان ما هم عليه من التثليث ثابت بالعقل والنقل (٥) أنهم موحدون (٦) ان المسيح جاء بعد موسى بغاية الكمال فلا حاجة بعده الى شرع وقد أورد كلامهم في كل فصل ورد عليه بالعقل والنقل من كتبهم فدل على انه كان مطلعا عليها أتم الاطلاع وأيديان الحق في جميع المسائل بآيات الكتاب العزيز والاحاديث النبوية بما يمهّد في كلامه من البسط والايضاح . وفي هذا الكتاب من الفوائد النادرة في العلم والتاريخ وايضاح المشكلات الغامضة في الدين وغيره ما لا يوجد في كتاب سواه ومن أعظم مواضع العبر في الكتاب ذلك الفصل الذي عقده في الجزء الرابع لبيان وجوه العدل ومقصود العبادات وتفضيل هذه في الامة على أهل الكتاب بالعلم والعمل قال

« فأما العلوم فهم (يعني المسلمين) أحذق في جميع العلوم من جميع الامم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخزوية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك (أي من العلوم الكونية طبيعية ورياضية) هم أحذق فيها من الامتين ومصنفاتهم فيها أكمل بل هم أحسن علما وبيانا لها من الأوائل الذين كانت غاية علمهم . وقد يكون الخاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق وإلحاد ولا قدر له عندهم لكن

يحصل له بما يعلمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه على الخدق في تلك العلوم
فصار حثالة المسلمين ، أحسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من المتقدمين ،
ثم ذكر براعة المسلمين في العلوم الإلهية والأخلاق والسياسة الملكية والمدنية
وانتقل من هنا الى بيان المقصود من العبادة عند المتفلسفة وغيرهم ، ولا شك ان
المسلمين كانوا الى عبده أكمل الامم في علوم الدين والدنيا . فإذا عساه يقول لو خرج
من قبره ورأى حالة المسلمين اليوم في العلم وكيف وصلوا الى درجة صاروا يجاربون
فيها العلوم باسم الدين وصارت حثالة أهل الكتاب أعلم من أشهر علمائهم في هذه
العلوم التي كانت حثالة المسلمين أعلم بها وأحسن بيانا من علمائهم؟ هل اقلبت الحال
وامتحالت طبيعة الاسلام ام المسلمون اليوم أوسع علما وأشد اعتصاما بالدين من سلفهم
منذ اشتغلوا بعلوم الدين في القرون الاولى الى زمن ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ولذلك
ظهر لهم ما لم يظهر لسلفهم من منافاة الاشتغال بالعلوم الدينية لتحصيل العلوم
الكونية؟ لا يتجرأ أحد منهم على هذه الدعوى فليعتبر المسلمون بماضيهم وحاضرهم
وبمخالفه خلفهم الطالح لسلفهم الصالح
هذا وان الكتاب يباع عند أحد طابعيه الشيخ مصطفى القباني بخان الخليلي
وفي مكتبة المنار وعن النسخة منه مجلدة اثنان وعشرون قرشا صحيحا

﴿ ضوء الصبح المسفر ﴾

أحسب الناس ان المسلمين لم يصنفوا فيما يسمى عند أهل الغرب بعلم أدب
اللغة وتاريخ اللغة ولو اطلعوا على ما ألفت عليه حوادث الزمان من كتب سالفنا في
دارنا وما جذبته مغناطيسية العلم والعمارة منها الى ديار أوروبا لعلموا ان القوم
ما غادروا متردًا ما فقدوا فواعلى الكمال في بعض العلوم والفنون أو قاربوا ووضعوا
لبعضها الاسس لنبي أو بنوا لهم ونكل فنقصنا ما كلوا وهدمنا ما بنوا فعفونا تلك
الاسس حتى جهلنا مكانها . هذا كتاب (صبح الاعشى في كتابة الانشا) من أنفس
الكتب المطولة في أدب اللغة وتاريخها وضعه الشيخ أحمد بن علي القلقشندي المصري
المتوفى سنة ٨٢١ وهو يدخل في سبعة أسفار عظيمة غني ناظر دار الكتب المصرية

(الكتبخانة الخديوية) بطبعها على نفقتها ولكنه لا يطبع منه الا نسخا قليلة يريد حفظ بعضها في دار الكتب وتوزيع باقيها على دور الكتب في أوروبا وللكتاب مختصر للمؤلف سماه (ضوء الصبح المسفر) أودعه صفوة مسائله وخلاصة مباحثه فكان سفرين عظيمين نشده محمود أفندي سلامه فوجد جزءا منه فطبعه طبعا حسنا بحرف مثل حرف المنار على ورق أنظف من ورقه وقد ناهزت صفحاته نصف الألف وهو مشتمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة . وفي الابواب فصول . أما المقدمة ففي مبادئ يجب تقديمها على الخوض في كتابة الإنشاء وفيها خمسة أبواب الرابع منها في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام واستقراره بدار الخلافة وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان والخامس في قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله ورتبة صاحب الديوان وصفاته الواجبة فيه وآدابه وأرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث وفيه أربعة فصول . وأما المقالة الأولى ففي ما يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضروراته وفيها بابان . وأما الثانية ففي ما يحتاج اليه من معرفة أحوال الأرض وجهاتها ورأيا وفيه ثلاثة أبواب . ولو أردت ان أسرد للقارىء ملخص فهرس هذا الجزء على هذا النحو لقال انه لم يترك شيئا يشاققه طالب الادب والتاريخ في هذا الموضوع الا وخاض فيه لاسيما الامور الرسمية كالاسماء والكنى والالقاب والنعوت ورقاع كاتب السر وقوائم الوزارة ومرمعات الجيش والمناشير والاقطاعات والمستندات وكتب البيعة والعهود والتقاليد والتعاويض والمراسيم والتواقيع وما يتعلق بالحرب والهدن والصلح والامان من الاصطلاحات وغير ذلك من الامور الرسمية وغير الرسمية ككاتبات الاخوان والتهاني والتعازي والبشارات والشفاعات وكالادوات الفنية ومنها آلات الدواة وهي خمس عشرة ومنها الكلام في الورق وأشكاله . وجملة القول انه لا يستغني أديب ولا مؤرخ عن هذا الكتاب وهو يطلب من ناشره في مطبعة الواعظ بدراب الجاهيز ومن النسخة منه ثلاثون قرشا صحيحا وانتقدنا على ناشره أن نشره بفهرس جدول للفهرس فوعده بجمع الفهرس وطبعه

﴿ تربية المرأة والحجاب ﴾

قد صادف هذا الكتاب من الرواج ما أنفد نسخ الطبعة الأولى منه فأعاد مؤلفه (محمد طلعت بك حرب) طبعه على نفقته إجابة لكثرة الطالبين له وقد افتتح الطبعة الثانية بمقدمة أودعها ما كتبناه في المنار تفسيراً لقوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » مقتبساً من دروس الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وختمها بملاوة هي عدة مقالات من مقالاتنا التي نشرناها في المنار تحت عنوان (الحياة الزوجية) فكانت زيادة هذه الطبعة على الأولى بنحو ربع الكتاب فصارت صفحات الكتاب مئتي صفحة كصفحات المنار ولم يزد مع ذلك في ثمنه شيئاً فتمن النسخة من الطبعة الجديدة ستة قرش صحيحة وأجرة البريد قرش ونصف ويباع بمكتبة المنار هذا واننا نذكر ما قاله في أول مقدمة هذه الطبعة تعريفاً بالغرض من الكتاب قال بعد البسملة والحمد والتصليّة

« وبعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن وقفنا لجمع هذا الكتاب، لذي تلقاه بالقبول أولو الألباب، لدعوته الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية، مع مراعاة حال العصر والتوفيق من شروء المدينة الغربية، تلك المدينة التي أصلحت في الاقطار الغربية وأفسدت، ولكنها أفسدت في البلاد الشرقية وما أصلحت، إذ فتن الناس بشر ما جاءت به، وطفقوا يتركون لأجلها خيراً ما كانوا عليه،

«لما رأينا كتابنا هذا (تربية المرأة) قد انتشر في الأمصار، وتنقل في الأقطار، حتى نفذت نسخ طبعته الأولى، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى، رأيت ان أزيد في فوائده ومسائله، وأضف اليه شيئاً من أحسن الكلام وعقائده، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية، مقالات في «الحياة الزوجية»، المنشها الذي نعرف مع حضرة قاسم بك أمين، بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين، فاخترت ان أجعلها خاتمة للكتاب، لأنها في الموضوع لب الباب، ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاماً عالياً، وهدياً سماوياً سامياً، في تفسير قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كلن اقتبس

صاحب « المنار » من دروس الاستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان اقتبسه في فاتحة هذه الطبعة وها كه نقلا عن الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣) اه وذكروه . فغرض المؤلف ان تربي البنات تربية دينية ويعلمن ما يحتاج اليه البيوت مع الاحتراس من غوائل المدينة الغربية ، ويا نعم الغرض

﴿ بحر الآداب ﴾

هو كتاب في الآداب العربية لأحد جمعية الاخوة (الفرير) المعروف (بالاخ بلاج) مفسس اللغة العربية في مدارس الجمعية وقد أهدي اليها القسم الأول من الجزء الخامس مطبوعا فاذا هو مفتوح بتهدية تليه فصول في طريقة تعليم الانشاء وتعلمه وأركانه وآدابه ويلى ذلك أبواب ومباحث في المادة التي تعين على ذلك كالكلام في العلم والعقل ومختارات من نثر الأولين وشعرهم في الجاهلية والاسلام واذا هو مختتم بمباحث في حال اللغة على عهد الدولة الاموية والعباسية . ويندل الكتاب على ان المؤلف ذو ذوق في حسن الاختيار وحذق في كيفية التأليف فكتابه هذا نافع لطالبي آداب هذه اللغة ان شاء الله تعالى

﴿ تحرير مصر ﴾

كتاب انكليزي لا يعرف مؤلفه ترجمه بالعربية وطبعه في هذا العام محمد لطفي أفندي جمعه المحرر بجر يدة الظاهر وهو مؤلف من مقدمة يبين المؤلف فيها حال مصري القرن التاسع عشر وسياسة فرنسا وانكلترا فيها ومن أربعه فصول اثنان منها في علاقة الدول بمصر والثالث في سياسة بريطانيا الاستعمارية في مصر وغيرها والرابع في « المركز الكاذب لبريطانيا العظمى في مصر » وفيه مبحث استقلال مصر لانها مملكة حية وبلوغها سن الرشد ومنحها الحرية والاستقلال . و يليه الخاتمة في بيان ان أنفع حل للمسألة المصرية هو منح مصر الحرية لان مستقبل أفريقيا متعلق بتحريرها ورأي جريدة الطان في ذلك

هذا ملخص التعريف بالكتاب ومنه يعلم انه لاغنى لقارئ مصري عن

الاطلاع عليه ليعرفوا رأي القوم فيهم وامل مؤلف هذا الكتاب هو أحسن الأوربين انتصارا لهم وقد كتم اسمه لتعرف قيمة كتابه لذاته فكان أقرب إلى الاخلاص من بعض احداث المصريين الذين لا يقولون ولا يكتبون كلمة في ذلك الا ويقولون الوفا من الكلم في الافتخار والتبجح بها

افتتح المؤلف مقدمة كتابه بقوله: لقد صدق اللورد ملر في قوله « ان مصر بلد التناقض والتخالف فانه لا يوجد في العالم بلد فيه ما في مصر من الحقائق والافكار المتناقضة المتباينة وقد يصل هذا التناقض الى حد مدهش فيصير مضحكا » فليق اذن بمن يرقب أمور هذه البلاد ويشاهد أحوالها ان يكون متنبها أبدا متوقيا لتلا يلقى حسن الظن والاسراع في الحكم في الخطأ والندم : اه المراد منه . وما أظن ان المؤلف على حذره وتوقيه قد سلم في الخطأ في بعض أحكامه . وقد أحسن مترجم الكتاب اذ قال في مقدمة الترجمة : ويمز علينا أن نقول ان هذا الكتاب ليس الا « كأس ملام » يسقيه الاجنبي لأفاضل مصر وعلمائها الذين أسكتهم الكسل وقبض الخمول على أقلامهم بيد من حديدنا ه وأحسن من هذا ان تسقى الكأس من أقدم الكسل والخمول عن العمل لا من أسكتهم عن القول فان العمل قد ينفع بلا قول ولا ينفع قول بغير عمل . والعمدة في تحرير مصر على حياتها بنفسها حتى تكون بنية صحيحة قوية فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين « العاقل لا يظلم لاسيا اذا كان أمة » وجملة القول انه ينبغي لكل مصري قراءة هذا الكتاب والاعتبار به مع العلم بأنه لا ينبغي شي الا الترية الاستقلالية الملية والعالم والاقتصاد وانه لا حياة لقوم لاهم للاكثرين منهم الا التمتع باللذات والاهتمام بأشخاصهم دون أمتهم ، أولئك هم الذين اذا أعنتهم مستعبد يسترقهم مستعبد ، فليطالب المصريون تحرير أنفسهم من أنفسهم بالعمل لا من انكثرا بقول قائل أو كتابة كاتب مخاطب من لا يسمع وان سمع لا يملك أن يجيب كما فعل الشيخ توفيق البكري بخطاب ولي عهد انكثرا بالمويد ، فحسب انكثرا ان تبيح لهم كل عمل ومن لا يعمل لنفسه كان من الحاقدان يطالب أجنبيا ملكه بأن يحرره . وهذا لا يمنع وجوب تذكير لجراندالمة بطلب الاستقلال والاستعداد له . ومن الكتاب عشرة قروش وأجرة

البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجواميز

﴿ قاموس انكليزي عربي ﴾

يشتمل على ثلاثين ألف كلمة انكليزية وريف

« وضعت إدارة المكتبة العمومية لسليم أفندي صادر في بيروت »

سبق لنا كتابة تقرير لهذا القاموس في السنة الماضية لم ينشر بل لم يجمع
حروفه في المطبعة لأن ورقه سقطت من أيدي مرتبي الحروف كما ظن وقد ذكرنا
بعد ذلك مذكر منا بأنه أخرج من بين الكتب التي يراد تقريبها أو التعريف
بها ولم يكتب عنه شيء في المجلة. وما أذكر من الكتابة الأولى بيان تفسيره بعض
الكلمات العربية بمرادها العامي. وطبع الكتاب متقن وورقة نظيف وشكله
لطيف وصفحاته ٦٢٤ ويباع بالمكتبة العمومية في بيروت

﴿ تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٤ ﴾

هذه هي السنة التاسعة لهذا التقويم فهو ترب المنار. وصاحبه محمد أفندي مسعود
يقترح في كل عام على القراء ان يرشدوه الى ما يزيد ايتقانا. وقد كنا أول من
اقترح عليه وضع الفهرس للتقويم ونحن الآن نقترح عليه ثانيا ان لا يجعل الفهرس
خاصا بالأبواب بل عاما للمسائل والمباحث التي يحتاج الى مراجعتها وانني أرى أنه
اذا وضع للمباحث فهرسا مرتبا على حروف المعجم يكون ذلك مزيدا في فائدته
وفي اقبال الناس عليه

(الدين في نظر العقل الصحيح)

قد طبعت هذه المقالات التي نشرت في سنة المنار الماضية على حدها وأضيف
اليها مقالة كتبها (الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي) في حكمة تهمريم الخنزير
أو نجاسته ونجاسة الكلب فكانت كتابا يدخل في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير
وتمن النسخة منها مع أجره البريد ثلاثة قروش وتطلب من مكتبة المنار

(مسامرات الشعب)

راجت هذه القصص التي تصدرها مكتبة الشعب واشتهرت ولا غرو فهذا الضرب

من القصص المعروف بالروايات محبب الى جميع طبقات الناس فيجب أن تتضاعف العناية بعد الآن بحسن اختيار قصص المسامرات المترجمة وأن تولف لها قصص في انتقاد عادات البلاد الضارة لتكون جامعة بين الفكاهة والفائدة وقد كان آخر ما هدي اليها من هذه القصص - أهواء الشيبية ، عشيقه الملك ، مقتل هنري الرابع ، الفواد الكبير ، القاتل المتكرر ، شرف الاسم ، سرّ ولاسر ، والخنجر التركي . فأما قصة مقتل هنري الرابع فخيرها ترجمة وفائدة سياسية وأما قصة سر ولاسر وقصة الخنجر التركي الملحمة بها فخيرها نزاهة وفائدة أدبية وقد قرأنا الثلاث كالمثل والآخر نبتين لك آراء الافرنج وتخيلاتهم في الترك وعاصمتهم ، واننا ننصح لصاحب المسامرات ان لا يقبل قصة تصف الرذائل والشرور وتشرح أعمال الفجار الارذلين بحال من الاحوال

(خير الدين)

«مجلة اسلامية عمومية مصورة تصدر في غرة كل شهر عربي ، صاحبها محمد الجعابي مدير جريدة (الصواب) بتونس» وقد صدر العدد الأول منها في غرة صفر مطبوعاً على ورق جيد مؤلفاً من ٢٠ صفحة مصدراً بصورة محمد الهادي باشا باي تونس المعظم وفيه بهذا الخطبة ان المجلة سميت بهذا الاسم لتكون كالمثال المذكور بخير الدين باشا التونسي الوزير المصلح صاحب كتاب «أقوم المسالك» في أحوال الممالك» وبعد وجه التسمية صورة هذا الوزير العظيم وترجمته تليها مقالة وجيزة في الحث على العلم ، فبذرة في الشعر المصري جعلت مقدمة لتقصيدة من شعر محمد امام أفندي العبد الشاعر المصري يخاطب بها الشرق ، وغير ذلك فتني على همة رصيفنا الفاضل صاحب الصواب ، أن جمع بين السياسة وخدمة العلم والآداب ، وتمنى له التوفيق في خدمته ، والبلوغ بها الى خير غايته ،

المنبر

جريدة أسبوعية عمومية حرة أصدرها في نيويورك عيد أفندي ميخائيل ذيه أحد أدياء السوريين في أوائل هذا العام الميلادي وهي من دلائل ارتقاء السوريين الادبي في تلك البلاد فتني لها التوفيق والنجاح

بَابُ الْحِجَابِ وَالْإِثْمِ

﴿ مسألة العقبة ﴾

بيناً في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا ادارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولده لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى أن انكثرا تخاف عاقبة هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر باقامة المعادل الحربية في شبه جزيرة سيناء لأن محاربتها في مصر اذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكثرا على سوريا والحجاز اذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بإنشاء ناشط من السكة الى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى ان انكثرا أفذت الجنود المصرية الى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكثرا ان العساكر العثمانية بالمرصاد فظهر الامر و بدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو ان الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك الى أخذ الحذر من الانكثرا هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكثرا من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز أن الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى المهنوية ولو كانت تريد ذلك لما حال دونه جعل العقبة تابعة لسوريا لانها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، وان يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران، وقد قاوم الانكثرا ما توهموه من الدولة بايها من جنسه فأنشأوا يوهون شعبهم وسائر انشعوب الأوربية بأن السلطان يريد تهيج التعصب الاسلامي على المدنية الأوربية وربما وجدوا لا يهاهم شبهة في ثرثرة احداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضيعة يستغلونها وان أضعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه الا اسمه

لولا أن الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سور يا والحجاز لما بالت ان تزيد في مساحة ما سمحت به لمصر منها، ولولا أن انكترا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا أنها تنوقع هيجان مسلمي مصر أو ثورتهم اذا استحكت حلفات الخلاف بينها وبين تركيا لما أسرت بزيادة جيش الاحتلال. فاذا كان سبب النزاع هو ما يعبرون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا بمحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الخديويين وفي تفراف الصدر الاعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتعهده انكترا بأن لا تعمل في شبه جزيرة سيناء عملا عسكريا. وقد أساءت الدولة المدخل فمضى ان تحسن المخرج

نحن نعتقد أن الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال - وهي في هذه الحال - ان تزحف على مصر أما انكترا فلا يبعد أن تقصد إقامة الماقل الحربية في شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعدا قامتها على أبواب الحجاز أو امتلاكها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكترا بعد عجز الحكومة المصرية - وانما نعني بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم. وان تظفر انكترا بتركيا ظفراً مبيها وتلزمها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجعل بعد أرض سيناء معسكرا ولو مصرياً فان كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها، وان هي جرحتها في أبدانها ورووسها (مما لها وحكامها)

ان جميع عقلاء المسلمين يفضلون دواة انكترا على جميع الدول واذا أيقنوا بأن قطرا من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فأنهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها. ويعتقد رجال الاصلاح منهم انه لا يمكن الاتيان بعمل يحبي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غيره مصر والهند بل لا حرية للمسلمين في الدعوة الى كتاب و بهم المنزل وسنة نبيه المرسل الا في هذين القطرين

(المنار ٣: ٩) الامير حسين باشارئيس الجمعية الخيرية . تنصر المسلمين بقبرص ٢٢٢

ابريطانيا العظمى ان تمتد هذا الاعتقاد عونا لها على كل دولة تناوئها في الشرق
وعليها أن تحافظ عليه وتحمي مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ،
خير من امتلاك الرقاب بالقوة، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم إياها
على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعا هذه المقدسة آمنة اعنداء الاجني عليها ، أو
تداخل غير المسلم فيها ، ولا يصدنها عن هذا الاعتقاد تشدق المغررين بالفوغاء ،
فالزبد يذهب جفاء ، وأما الناس بالعقلاء والفضلاء ،

﴿الامير الخادم للفقراء﴾

(صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية)
استدار الزمان، وتغيرت أحوال العمران، وتبدلت الأوضاع، وارتقت شؤون
الاجماع، فصارت عظمة الأمراء والرؤساء، محصورة في خدمة الدهاء ، بمد أن كانت
قائمة باستعباد الفقراء، وامتصاص دماء الضعفاء، وما قىء أمراء المسلمين يرون أنهم من
جنس أعلى من جنس الأمة، وان شرفهم ذاتي لطينتهم لا شرف الملة، فهم يرفعون عن
مشاركة الجمهور في المصالح العامة، ولو اعرف لهم في ذلك بالزاي بالخاصة، حتى في مثل هذه
البلاد، التي زال منها الاستبداد، ووهن الفخر بجدا الآباء والاجداد، وصارت المعارف
والأعمال، هي الميزان لاقدار الرجال ، - حتى قام الامير حسين كامل باشاعم عزيز
مصر بإبطال تلك التقاليد العتيقة، وسن للأمر في مصر سنة حسنة جديدة ،

أطعم أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية في اختبار هذا الامير رئيسا لها بعد
الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ما يعلمونه من بره للفقراء ، وعنايته بالمساكين
والضعفاء ، وما سبق له من قبول رياسة الجمعية الزراعية، فعرضوا عليه رجاءهم فيه
فيأتأبى ، فدعوه لرياسة الجمعية فلبى ، فاستبشرت نفوس العاملين ، واطمأنت قلوب
الفقراء والمساكين، وشكرت له ذلك السنة المسلمين ، بل السنة الناس أجمعين

﴿تنصر المسلمين في قبرص﴾

كتب الى جريدة (ترك) من قبرص أن عددا كثيرا من مسلمي قري
الجزيرة وضياعها قد تنصروا على أيدي الدعاة (المبشرين أو المرسلين) الذين
يجيئون من بلاد اليونان لدعوة المسلمين الى النصرانية . وقد يعجب قراء المنار مثل

هذا الخبر اذ يعتقدون ان الاسلام في قوة حقه وجلاء تعاليه وموافقته للعقل والمنطق لا يمكن ان يختار عليها غيرها ويعهدون ان دعاة النصرانية يقضون في دعوة المسلمين السنين، وينفقون في سبيلها الألف والملايين، ولا يكاد يجيب دعوتهم في كل بضع سنين، الا واحد أو اثنان ممن أضناهم الفقر، ولم يبق لهم من الاسلام الا الاسم، وقد يزول هذا العجب اذا علموا ان أولئك المنتصرين كانوا نصارى فأسلموا ولم يوجد فيهم من المعلمين والمرشدين من يحفظ عليهم دينهم فمادى الجهل بخلفهم حتى جاءهم من أهل جنسهم ولفتهم من بدعهم الى دين آخر لا يرون في اتباعه عارا اذ ليس للمسلمين هناك شأن يربى في أفرادهم إحساس الشرف الملى والنعرة الجنسية

الدعوة الى الاسلام

ليس للمسلمين ان يتأسفوا لمثل هذا الخبر تأسف العجائز والزمنى أو يشفوا غيظهم بنم الحكومة التي تبيح الدعوة الى دينها الا اذا كانت لا تبيحها لدينهم أيضا بل عليهم ان يعتبروا ويفكروا في حفظ الاسلام وصيانة شرفه . وليعلموا ان أكبر عار عليهم وأقوى شبهة على دينهم ان تكون حرية الأديان خطرا عليه وهم مشركون في هذه الحرية مع غيرهم والحق يعلو ولا يعلى . وإن يتفكروا يظهر لهم أنه من الواجب المحتم عليهم انشاء جمعية للدعاة والمرشدين بجمع المال وتربي الرجال وتبثهم في بلاد المسلمين التي غلب عليها الجهل كتبرص وأفريقيا للإرشاد وفي بلاد غير المسلمين للدعوة الى الاسلام نفسه . والدليل على وجوب هذا قوله تعالى (٢: ١٠٤) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

﴿ نهضة مسلمي روسيا وجراندهم ﴾

كتب الناقد بقنا الشيخ محمد نجيب التونتاري في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ ما نصه:

(وتأخر نشرها لتأخر دور السؤال الذي ورد معها)

ان حضرة الامبراطور نيقولا الثاني منح الاهالي كثيرا من الحقوق كالحرية الدينية والوجدانية والشخصية والكلامية والاجتماعية وكثير من المكرهين (على النصرانية) عادوا الى الاسلام رسميا بسبب ذلك وبمساعدة حرية الاجتماع

حصل بين المسلمين اجتماعات عديدة في المجال المتعددة ذكروا فيها في المسائل السياسية الحاضرة وتعميم التعليم بين الاهالي وغيرها . ويتصورون تأسيس جمعية عمومية اسلامية في الروسية فيعد هذا دورا جديدا للمسلمين يؤمل منه الانقلاب الحسن في مستقبل قريب ان شاء الله تعالى

وانه بمساعدة الحرية الكلامية ظهرت بيننا جرائد كثيرة في الاماكن المختلفة و بلدة قزان هم كثرة المسلمين فيها لم تكن فيها جريدة واحدة والآن تصدر فيها خمس جرائد (١) قزان مخبري - جريدة سياسية علمية مليمة تصدر في كل اسبوع ثلاث مرات (٢) طان (صباح) كذلك (٣) يلدز (كوكب) وهي أيضا جريدة واسعة البروغرام (٤) آزاد كذلك (٥) العلم والأدب مجلة علمية تصدر قريبا . وفي باغچه سراي جريدتان جديدتان (٦) عالم ندوان - مخصوصة بالإناث تصدر في ادارة جريدة ترجمان أسبوعية (٧) (خاخاخا) جريدة فكاهية وفي باد كوبه ظهرت جريدتان إحداهما (٨) حيات يومية باهة أذربيجان والآخرى (٩) إرشاد هي أيضا كذلك . وفي تفليس أيضا ثلاث جرائد لم أخطر أساميتها وفي جايق (أروالسكي) (١٣) فكر - جريدة (١٤) العصر الجديد - مجلة كتابها أسبوعية . وفي بطرسبورج جريدتان (١٥) نور (١٦) أفت . وفي أورنبورغ جريدة (١٧) وقت . فهذا مما يعد فالأحسن لخيرية الاستقلال فان الجرائد أول الوسائل في الإصلاحات يمكن ان يستدل بها على أن مسلمي الروس يتقنوا بعد الرقعة الدائمة أصلحنا الله تعالى اه

﴿ إصلاح التعليم والمدارس الإسلامية في روسيا ﴾

كتب الينا أحد طلاب العلم في قزان يقول « اننا قد دخلنا في حياة جديدة منذ كنا تلاميذ لحضرتكم فصرنا نستفيد من كتاب الله بعد ما ظننا الاستفادة منه خاصة بأهل القرون الماضية ولا تقبل قول أحد بلا دليل . وأعلم يقينا ان هذه الحياة من الروح التي نفختموها بواسطة مجلتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء . وقد ناهضت الطلبة بطلب اصلاح المدارس الإسلامية وكلفوا مديري المدرسة وأساتذتهم عدة مواد استصوبوها بالشورى بينهم لان طريق التعليم في مدارس قزان وخيم

جدا لا يدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والنسفي مع شرحه التفتازاني والنحو
والصرف بكتبه المعروفة بشرط أن يضيع من العمر خمس سنين من غير فهم ولا
يدرس غير ما ذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره - ولكن المدرسين ريعوا
من هذه التكاليف واستقلوها لاعتيادهم أكل « بلش الحماة » - طعام من الأرز
خاص بالامام - فطردوا من التلاميذ من يريد الاصلاح فأخرج من مدرسة عالم
جان البارودي اثنان وثمانون طالبا من ذوي النهى وأبقوا من لا يهتم بشيء من
الإصلاح وسوا الذين أخرجوا بغير حق (بالروس الجديد) ولكن الظالمين في
ضلال بعيد ، فيا أهل الفجرة والحمية الدينية، ماهذه البربرية في زمن المدنية، إلا م
نكون ضحكة للاجانبين ، وحاتم نعمة في جهاتنا أجمعين ، - فاسيدي هذا حال
بلادنا التي تحسن الظن بها !! اه بنصه

هذا وقد رأينا جميع الجرائد الاسلامية الروسية التي تسمى مصر قد خاضت
في هذه المسألة في العدد ٢٤ من جريدة ترجمان التي تصدر في (باغجه سراي -
روسيا) ما ترجمته :

﴿ الكتاب المفتوح ﴾

من التلاميذ الذين طردوا في ٢٦ فبراير من المدرسة المحمدية (المنسوبة الى
محمد جان والد عاليجان المشهور) بقران الى آباؤهم
حضرات آباءنا الكرام!

نكم أسلمتمونا الى المدرسة المحمدية بقران اذ لم تجدوا مدرسة أحسن منها.
وكان مقصدكم من هذا هو ان تتعلم في المدرسة العلوم النافعة وتتحلى بالاخلاق
الفاضلة وتكون رجالاً نعمل لمصالحنا ومصالح الامة .

ولكننا علمنا بعد طول التجربة والاختبار ان مدارسنا اذا بقيت على هذه
الحالة لا يرجى منها خير ما فضلا عن العلوم النافعة والاخلاق الفاضلة .

والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لا تنفعنا أبدا . أما ترون أننا نخرج من
المدارس وليس في يدنا شيء نكتسب به فنبتى عائلة على الناس تتعجب بالدين
أما نحن فلا نحتمل هذه الذلة والمسكنة بعد ان نتعلم عشر سنوات أو أكثر

وايس امامنا سوى التأذين والامامة . وهذان المنصبان يشول أمرهما شيئاً فشيئاً الى التعاسة والشقاء فان الأئمة والخطباء يشكون سوء حالهم . على ان العلوم التي تتعلمها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضاً . ولا يعلموننا شيئاً من الاخلاق والتربية بل نتعلم فيها الاخلاق السافلة كالجهن والطمع وظلم الفقراء والتعلق بالاغنياء والكسل نحن لانكون بما تعلمنا في المدارس الا مصيبة للعوام وعلماء السوء الذين قال فيها نبينا عليه الصلاة والسلام مامعناه (شر الخلائق علماء السوء الضالون المضلون) نبقى في المدارس عشر سنين أو أكثر ونقاسي فيها من أتعاب البدن والفكر مالا يحمله أحد ثم نخرج لتكفف الناس . وأولاد الامم المجاورة لنا يتعلمون وعقولهم سليمة وصحتهم كاملة متمتعون بكل حدة ونشاط ثم يخرجون وأدمغتهم مملأى بالعلوم والافكار السامية فينالون الوظائف المتنوعة ونحن نمثل بين أيديهم بكل خضوع ومسكنة وكل متخرج في المدارس .

وأما سائدتنا فيملون أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات ، ويسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات ، ويجرعوننا الكؤوس المرة ، مالا تعلق له بالدين بالمرّة . يجرعوننا ذلك باسم العلوم الدينية ونخرج من المدارس لا بالدين تقوينا ولا بالعلوم العصرية تسليحنا . عبيد أو هام جنباء ، خلّو من العقول سخفاء ، ترتد فرائض الواحد منا امام واحد روسي أو بالاك أو يهودي من المتعلمين . نحن نرجو من قومنا أن لا يغفلوا عن حالهم ومستقبلهم واثقين بانناهم الذين يتعلمون في المدارس الاسلامية لاننا علمنا انه لمن يجاري المتعلمون منا في مضار تنازع البقاء للمتعلمين من الامم الاخرى . لان هؤلاء متسلحون بالعلوم الصحيحة الحقيقية ونحن عزل أنكاس مساكين .

نحن لسنا راضين عن حال مدارسنا و بذلنا جهدنا في اصلاح حالها وخالفنا معلمينا ومربيننا في أمور التربية والتعليم . فانكروا فعالنا وأبغضونا ونظروا اليها شزراً ثم سئموا تكاليفنا فأنشأوا يبحثون عن طرق النجاة معنا وأخذوا يطردون الذين يذكرون حال المدرسة واحداً بعد واحد .

نحن نتعجب كثير من أن أمتنا طلبت من الحكومة في السنين الاخيرة مطالب

حجة ولم تخطر ببالها مدارسنا التي هي حياتنا وبها بقاؤنا وتركنا في زوايا الاهمال والنسيان . لابقاء لنا الا بالمدارس فكيف يجوز اهمال شأنها . نحن نقول و نرفع عقبرتنا: ليعلم كل فرد من أفراد الامة ان أول درجة من درجات الاصلاح هي اصلاح المدارس والكتاتيب ثم اننا لا نأسف لخروجنا من هذه المدرسة ولن ندخل غيرها لأنها كلها على نسق واحد والنقطة بالنقطة وننظم قولنا بكلمة نوجهها للامة من صميم أفئدتنا: « بادروا أيها الاخوان الى اصلاح المدارس! والا فعليكم وعلى مدارسكم السلام » (المنار) وسنشر في الجزء الآتي مقالة مترجمة عن جريده (وقت) عنوانها (المدارس وطلبة العلوم)

﴿ قتل ابن الرشيد ﴾

اغتم ابن الرشيد فرصة الهدنة بينه وبين ابن مسعود ففكر واعتدى فعلم ابن مسعود من أربعة جواسيس قبض عليهم أن سيديته ليلا فزحف عليه الى روضة مهنا وبعد ملحمة شديدة قتل ابن الرشيد وأخذ خاتمه وساعته ورايته وقتل جيشه تقتيلا وقد زحف ابن مسعود على (حابل) وتلك عاقبة البغي «وما هي من الظالمين ببعيد»

﴿ تساهل المسلمين في شأن الخلافة ﴾

يتهم أهل أوروبا المسلمين بالغلوف في التعصب الديني ويقولون في هذه الايام ان السلطان يهيج هذا التعصب في بعض الجرائد المصرية بأنه خليفة المسلمين فالاعتقاد بالخلافة هو بركان التعصب: ولو كان المسلمون يتعصبون للخلافة ويتعصبون بالخلافة كما يظن بهم اقامت قيامتهم على الشيخ محمد بن حنيت المدرس بالازهر اذ ألف رسالة قال فيها انه يجوز ان يكون خليفة المسلمين الذي ينصب القضاة ويأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث منكر أو موضوع لا يدل عليه . وقد قرظت رسالته جرائد المسلمين ولم ينكر عليه أحد بل وجدني أصحاب الجرائد من ينتصر له ويدافع عنه فلتطمئن قلوب الأوربيين فان هذه الثروة بلقب الخلافة والخليفة وسيلة للكسب لا أثر لها في التعصب ولو كان كتب مثل هذا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى لهاجت الجرائد وماجت الامراء والشيوخ وتبعهم العوام بلغوا الكلام لا تعصبا للخليفة وحماة للخلافة بل لان في ذلك من الكسب والشهرة ما فيه

باب الانتقاد على المنار

(السلام على آل البيت)

كتب اليناح . ح أحد المشتركين في الجبل الأسود ما يأتي

الى حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا

لقد كنت سعيداً لما وفقني الله الى الاشتراك في المنار وان كنت قليل العلم
 قصير الفهم ولكن نفعتني كثيرا ونهيتني عن كثير في هذه السنين ما أتيتم بالخطأ
 الاجتم بعدة بالتصحيح الا في ثلاثة مواضع على ما أظن فأتعجب كثيرا وأجتسر
 ان أكتب الى فضيلتكم لما أعلم انكم ناطقون بالحق والصواب وهي

قلم في ص ٢٩٥ من المجلد السابع « ويشكو سيدنا الحسين عليه السلام»
 وقلم في ص ٤٤٦ من المجلد الثامن « ورواية عن علي عليه السلام» وفي ص ٩٠٨
 منه أيضاً « من أثر علي وفاطمة عليهما السلام» فأظن الفقير ان لا يزال بعد ذكر
 أحد « عليه السلام» دون الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين

فان قلم بجواز ذلك فلم خصصتم في هذه المواضع خاصة عليا وآله دون غيره
 من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فأرجو من حضرتكم التصحيح
 أو الجواب الشافي من غير مؤاخذتي لان كلامي هذا يدل على عدم علمي كما
 لا يخفى عليكم والسلام عليكم اه

(المنار) اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء فأجازها قوم مطلقا ومنعها
 آخرون مطلقا وقال بعضهم تجوز تبعا لا استقلالاً . وممن قال بالجواز مطلقا
 البخاري واستدل كغيره بالآيات والأحاديث كحديث « اللهم صل على آل أبي
 أوفى» وأجيب بأن ماورد خاص بالله ورسوله وبالثناء ابتداء وقال ابن القيم ان
 كانت الصلاة على آل النبي وأزواجه وذريته فهي مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة
 على الانفراد وان كانت على شخص معين أو طائفة معينة كرهت الخ ما قاله

واما السلام المسؤل عنه فقيل انه كالصلاة وقيل لا . قال الحافظ السخاوي
 وقد اختلفوا في السلام هل هو في معنى الصلاة فيكرة ان يقال « عن علي عليه

السلام» وما أشبه ذلك فكرهه طائفة منهم أبو محمد الجويني ومنع ان يقال عز علي عليه السلام وفرق آخرون بينه وبين الصلاة بأن السلام يشرع في حق كل مؤمن من حي وميت وحاضر وغائب وهو تحية أهل الاسلام بخلاف الصلاة فإنها من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ولهذا يقول المصلي: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين: ولا يقول الصلاة علينا: فعلم الفرق والله الحمد أه أقول وقد جرى بعض أئمة المحدثين كالبخاري وبعض كبار الصوفية كابن عربي وبعض العلماء من غيرهم علي تخصيص السلام بآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أصحاب العباء علي وفاطمة والحسن والحسين ومن تبعهم في ذلك من المتأخرين الامام الشوكاني والشيعة يلتزمون ذلك لسائر أئمتهم. والشاهد الثاني الشواهد التي ذكرت في الانتقاد علي المنار منقولة عن نيل الاوطار لامن كلامنا

﴿ قصة المولد لديع ﴾

كتب اليان من سنغافوره ان بعض الناس استاؤا مما كتبناه في المنار بشأن هذه القصة وما قاله المتهجمون في شأن المجلس الذي تقرأ فيه رجما بالغيب وجراءة على الله ورسوله أما غوغاء العوام فلا كلام لنا معهم وأما من يرى أنه أوتي نصيبا من العلم فالعلم حكم بيننا وبينه فليكتب اليانا رأيه مؤيدا بحجته ونحن ننشره مدعين له ان ظهر لنا انه الحق أو ميينين مالدينا من الرد عليه مع الأدب والاحترام لصاحبه

﴿ المنار والشيخ محمد بخيت ﴾

بلغنا ان الشيخ بخيتا يريد الرد على المنار دفاعا وهجوما وانه استعار بعض أجزاء منه لذلك . وإنه ليسرنا ذلك وتمنى لو يتفضل علينا بما يكتبه ونحن ننشره مدعين لما نراه صوابا باحثين فيما نراه خطأ . وكيف لا نسربا جابنا الى ما ندعو اليه العلماء في كل سنة وندعهم اليه بالانتقاد على ما نراه منتقدا منهم ليضطروا الى الانتقاد علينا ولو انتصارا لأنفسهم ودفاعا عنها . وقد وعدت بالدفاع عنه جريدة أسبوعية من الجرائد التي يسبرون عنها بالساقطة وهي مما لا ينظر في قولها ولا برد عليها

في الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذمك إلا أولو الألباب

الله
١٣١٥

بشر عبادي الذين يستهون بالقول فَيَسْمعون
أولئك الذين هم أولو الألباب

قال علي الصلاة والسلام: ان الاسلام صوي و « مناراه كمنار الطريق »

﴿ مصر الخميني غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ - ٢٤ مايو (ايار) سنة ١٩٠٦ ﴾

مقالتان للاستاذ الامام (١)

(مقتبستان من دروس السيد جمال الدين وقد نشرها في العدد ٩٥ من جريدة مصر التي كانت تصدر بالاسكندرية في ١٥ جاد الاول سنة ١٢٩٦)

المقالة الأولى - التربية

في ليلة الأحد الماضي انعقد درس الاستاذ جمال الدين الافغاني وانتظم في سلكه جم غفير من نبيهاء طلبة العلم وفضلائهم وكثير من الافندية مستخدمى الدواوين ومحضر هو لاد وأولئك شنف المسماع بمقال جليل في شأن تربية الامة وما يلزم ان يسلك من سبلها ولما فيه من عظم الفائدة رغبت في نشره في الجرائد الوطنية تعمياً للفوائد ويانا لما انطوى عليه من حسن المقاصد قال مامعناه:

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية علم ان قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلة في قوامها تفاعلاً متناسباً بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالعلوية على باقيها غلبة تقتضي بظهور خواصه وتسلطها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي ما يسي بالمزاج المعتدل الحاصل لروح الحياة فإن غلب أحد العناصر على ساثرها واضطحت خواص بقيتها فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ما سواه منها كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وتغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزية والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المنتهي الى اليبس نذير الموت والفناء

ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليجت في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويماد به المزاج الى حالة الاعتدال ان خرج عنها لتم حكمة الله تعالى في بقاء الانواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الأزلية فالنباتيون يعينون الاراضي القابلة للزراعة والفراسة لكل نبات ومحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لا بد منه في تربية

(١) منقولتان من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهما من أول ما كتبه

النباتات وكذلك الاطباء يبحثون عن مواد الاغذية وما ذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الأهوية ومنافعها ويقفون بتجاربهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى تحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها ولن يكون الطبيب طيبا يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعى وعلوم النباتات ليطلع خواصها، ويميز نافعها من ضارها، وعلى بصيرة من اختلاف الامرجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه وخبرها بعلم الامراض وأسبابها وكيفياتها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدث حتى يعالج كلاً بما يليق به فإن جهل من ذلك شيئاً كان عقله خيراً من وجوده فإن الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ جهله يستعمل من الادوية ما عساه يهيج المرض ويعين من الاغذية ما يساعده على قسوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه محتمل الشفاء بمقاومة الطبيعة لولا مساعدة الجاهل وعونه. وكما يلزم للطبيب ان يكون عالماً بجميع ما قدمنا يجب ان يكون شقيقاً وحيماً صادقاً أميناً لا يكون قصارى عمله ما يناله من جعل المعالجة فإنه ان كان قسياً عديم الرأفة أو كان خائفاً فلربما صار آلة في أيدي اعداء المريض يستعملونه لهلاكه بإلقاء السم في الادوية مثلاً أو اهماله في العلاج بما يقدمونه اليه من العرض الفاني وكذلك ان قصر همه على ما ينال من الدينار والدرهم فإنه ان كان على تلك الصفة لم يكثر بحال المريض مادام يوفى أجر عمله فإن هلك فقد نال ما يزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فعدمه أيضاً خير من وجوده وكما ان روح الحياة البدني انما يستقر حيث تجتمع اصول متضاربة ينشأ من تعالبا مزاج معتدل كامل وبغلبة أحدها يفسد التركيب ويذهب الروح الحيوي من حيث أتى كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن لبنت سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة فإن تغلب أحد الخلقين على الآخر فسدت نظام الفضيلة واستحكمت الرذيلة ربات شقيا سيء الحال وسقط في مهواة التعب والعناء المفضيين الى الحين والهلاك. ألا ترى ان النفس الانسانية

لا بد لها من خلق الجرأة وخلق الخفاة وهما متضادان ومن مقاومتها على وجه
 متبادل بحيث يستعمل كلا فيما يليق به من المواقع تحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت
 بتغلب الخفاة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن
 نفسه دفاعا وكانت حياته تحت خطر يتهدده في جميع أوقاته ولو ان الجرأة تغلبت
 على الخفاة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهلك لحق ولنسير
 حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فيلقي بروحه في مهاوي الملكة بلا طائل يعود
 على نفسه أو وطنه. وكذلك لا بد من خلق الامسك والبذل وهما متخالفان متعارضان
 يقوم من تغالبهما في النفس فضيلة السخاء وهي البذل في موضع الاستحقاق اذا
 اعتدلا ولو ان الامسك تغلب على ضده حتى اضمحل فيه لامسك عن قضاء لوازمه
 الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية والالبسة مثلا فيضرب يده ولم يوف بحقوق
 مشاركته في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق
 بينهم ويتأذى به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفسد البخل التي لا تنحصر ولو تغلب
 البذل لأنفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيرا لا يجد ما ينقذه في
 أزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي واسطة لطرفين
 متضادين لا بد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبغلبة أحدهما على الآخر
 يختل نظام الفضيلة ولا محالة ينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية ولا
 يسمن المقام لتفصيل ذلك. وكما يقع العناد بتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس
 يقع أيضا بتغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المنغذية
 للعنصر الفاسد بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة والغرائز الناقصة وانفعال النفس
 بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لأعمالهم وتقليدها بعاداتهم أو باستماع اغواء ذوي
 الأهواء وتعميمها أرباب الاغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للأفكار الرديئة
 المؤيدين للعقائد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة
 فلتنفوس علل وأمراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهديب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها
 عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب

ولو ازمه لحفظ صحة البدن كما بينا فالحكماء العمليون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفسد الأخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة النقص الى حالة الكمال بمنزلة الاطباء وكما لزم للطبيب أن يكون عالما بالتاريخ الطبيعي والنباتات والحيوانات وعلل الامراض وأسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طيب النفوس والأرواح اذ ارقى منبر الارشاد ان يكون عالما بتاريخ الامة التي قام بإرشاد أبنائها وتاريخ غيرها من الامة أيضا وأن يكون مطلعا على درجات ترقيا ودرجات تدنيا في جميع الازمان وان يسر أخلاقها بمسار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وانه حديث أو قديم قوي في النفوس أو ضعيف وما هو العلاج اللائق بكل صنف. وكما انه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الأعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الأخلاق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع. وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقا رحيما صادقا أميناً لا ينظر الى الدنيا ولا ينحط الى المقاصد السافلة كذلك على النصحاء والمرشدين ان يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولي مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بمخاطم الدنيا ولا بالتقرب والتعريف الى الامراء والكبراء

أولئك هم المرشدون الحقيقيون فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزقت بمطبين لا أطباء، بأن صعد على منابر النصح فيها الجهلة والاعبياء، والسفلة والادنيا، فأندرها بالعناء والشقاء، فإن المرشد الضال والنصح الجاهل ودع النفوس رذائل الاخلاق باسم انها فضائل ويفرس فيها جرائم الشر باسم انها أصول الخير ولربما كان مقصده حسنا ولا يريد الا خيرا ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ويبعده عن اتخاذ وسائله فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فإن ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلججه وصاحب الاول قد بعد عن المقصد بمراحل واستتر تحت نغم الرذيلة واعتقد ذلك ظلا ظليلا فلا يمكن المدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل فلا ريب كان عدم هؤلاء المرشدين خيرا من وجودهم وكذلك ان كان خائفا أودئنا ينحط الى سفاسف الامور أو عدم

الشققة والانسانية فإنه يتخذ النصيحة سلماً للوصول الى اغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلا يبالي أوقع الافراد في خير أو شر، صفت النفوس أو تكدرت، ارتفعت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أو اعنتت، فيكون آلة بيد الاشرار وأولي الالهواء يستعملونه في فساد الامة والعشيرة لقضاء أوطارهم الا وان القائمين بأمر الارشاد يحصرون في قبيلين قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أر باب الجرائد فإن كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام، والتبجيل والاجلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وأبناء بلادهم وإلا استحقوا الرفض والطرده والإبعاد ووجب على من يهمهم أمر الاصلاح ان يقذفوا بهم من البلاد كي لا يفسدوها بمرضهم الوبائي الذي لا يقتصر ضرره على المتلبى به بل يتهدهاه بالسراية الى كل ما سواه

المقالة الثانية - الصناعة

قد عاد حضرة الاستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد جمال الدين الأفغاني الى التدريس بعد فترة تزيد مدتها عن سنة فابتدأ حفظه يقرأ شرح إشارات الرئيس ابن سينا في الحكمة العقلية وهو كتاب جليل يحتوي من هذا العلم أصولاً جلية غرست أصولها في بلاد المشرق من مدة تقرب من ألف سنة الا انها نبتت فروعها في المغرب واجتذبت ثمارها لغير غارسها ولم تنزل في بلادنا على كيتها واجيالها لم تخرج نتائجها العقلية من حد القوة الى الفعل الا أن هذا السيد الفاضل قد جمع في تدريسه بين تدقيق الشرقيين وبسط الغربيين يجمع الى الاصول فروعها والى المقدمات نتائجها والى المجملات تفاصيلها باناً جميع أقواله على البراهين الثابتة والحجج القوية ولما كانت دروسه العالية عظيمة الفوائد جمة الثمرات للعموم رأيت من الواجب قياماً بالخدمة الانسانية ان أودع بعضها قوالب العبارات اللاتقة بها وانشر طيب وفدها في صحف الجرنالات لتعم الفائدة والله يتولى التوفيق بين حفظه الله وأثبت ان الانسان نوع من أنواع الحيوانات الارضية

(لا كما يزعمه أرباب الاوهام كالصينيين وقدماء الفرس من أنهم من أبناء السماء فليتكلم من له فطنة) وأنه قد أتى عليه حين من الدهر وهو على مقربة منها ينشأ نشأها ويسير في عيشه سيرتها يتفياً ظلل الأشجار، ويستكن في الجحرة والاكوار، ليس له شعار ولا دنثار، (ولكن خفيف أشعار) يقتات بنباتات وثمرات تخضرها له القدرة الآسية، على يد القوى الطبيعية، لا تمسها يد صناعية، ولا تربية أجنبية، ليس له من المكر والتحيل الا ما لا يداني فيه الثعلب، ولا من العلم والتدبير الا ما يبعثه على الغدو لطلب قوته من الاعشاب وثمار الاشجار والرواح للاستكنان في كنفه يواريه عن أعين الحيوانات العادية، والفرار من المكروه الحسية، كما تفر الشاة من الذئب، والارنب من الثعلب، ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه على كرسي سلطنة الوجود، وبقية متحكماً في كل موجود، ويدعوه للحكم بأنه خلاصة العالم ومنتهى سبر الحقائق وعماد عالم الكون وأن جميع البسائط والمركبات انما خلقت لاجله، والكواكب والسيارات انما تتحرك لخدمته، بل كان ضعيفا عاجزا جاهلا حافيا عاريا يزعمه كل حادث، وتستفزه كل نبتة، ويتهب من كل شكل وهيئة، والشاهد على ذلك ما تحكيه لنا احوال الامم التي كأنها قريبة عهد بالانسانية في جنوب أفريقيا والقبائل المستمرة في قمم الجبال والاجم والغابات البعيدة عن العمران البشري المعروف الذين لم تضطرم الحاجات ولم تسقمهم الضرورات الى الانتقال من مكان الى مكان فإبهم لم يزالوا على سذاجة الحيوانية وبساطة الفطرة لا يفهمون خطاياهم ولا يحسنون جواباً، الا ما كان متعلقاً بضرورة الحياة كطلب قوت بسيط ومدافعة عاد من الحيوانات وجميع ما يعدهم الانسان المتمدن كالاوانسانية فهم بعيدون منه، عارون عنه، مع بعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم على سطح الارض

الا أن مبدع الكون جلت قدرته لا يختص هذا النوع من بين الأنواع الحيوانية بمخافة العجز والفقر والحاجة حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه لا تحصل الا بالتحصيل وليس تحصيلها الا بعد الكد والعناء وهبه قوة عاقلة كلية التصرف، عامة القبول، ووكل تربية هذه القوة الى تعليم مدرسة الوجود الكلي فكان نكل نبات وحيوان بل لكل موجود مشهود حتى الاستاذية وسابق الفضل

على نوع الانسان فاسترشد بأعمالها، واهتدى بآثارها والنقط دبر الحكم من فعلها وانفعالها، وتدرج في ذلك شيئاً فشيئاً تارة يخطيء وتارة يصيب، وطورا ينجلي له الحق وآخر عنه يغيب، مرة تعوقه العوائق القدرية والارادية عن ادراك الحقائق والوصول اليها، وأخرى تجذبه الجواذب اضطرارا للوقوف عليها، حتى وصل الى ما تراه من أحواله الغريبة، وآثاره العجيبة،

ثم بين حفظه الله كيف كان يتألم الانسان في سيره هذا ويقطع عقبات المصاعب، ويخترق حجب الجهالات، منقادا في جميع ذلك لقائد الحاجة والضرورة يأمر امره، ويتبع سيره، تارة يتدرج الى الكمال فيقدمه مقعد رئاسة الكون، وسلطنة الوجود، بما يرشده اليه من الثمن في الفنون واختراع الصنائع، وأخرى ينحط به الى قعر جحيم الاوهام، ويقذف به في جب الخرافات، ويكبله بقيود الاعتقادات السخيفة، ويفل يديه بسلاسل العادات والافكار الرديئة، على ان جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة انما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره على ما يصدر عن ذاته (الشريفة) حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته على تفصيل طويل في ذلك مستشهدا في تبيانها بشواهد أحواله الآتية المشهودة، مستدلا بجميع أعماله المنقولة الممهودة

وانه في جميع مراتبه لم يكن ليقيم ظهره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع التي هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية، لتكون له عوضا عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكمالية، التي منحت لغيره من الحيوانات بأصل الفطرة، وليس ذلك بخاف على ذي شعور فإن صنعة الحياة مثلا قائمة مقام القوة السامكة للجلود الغليظة المفترزة للأشعار والابواب الواقية لما أحاطته من صولة البرد والحر بل القائمة مقام ترس يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غيره، وصناعة المدد والاسلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخالب والبرائن والأنياب للسياح والاصباح وعوادي الطيور وهكذا بقية الصنائع وما لم يتم منها مقام ضروري، أرجأ في مقام كماله على ما يتضح لك بعد

وإذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع وتلبيها مدار بقائه في أي مقام كانت رأينا من الواجب ان نعرف الصناعة ونقسمها الى أقسامها الانسانية

ما قرره الحكماء الاقدمون، وأوضحه الفلاسفة المتأخرون، ليتبين شرف كل صناعة على وجه الاجال فنقول

الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات والقوة منشأ الاثر مطلقا فعلا كان أو انفعالا فالعلم مثلا ذو قوة الفعل والتعلم ذو قوة الانفعال الا ان قوة التأثر والقبول لاتعد صناعة ومن أجل ذلك قيدت بالفاعلة وليست قوة فاعلة صناعية ما لم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر عنها أعمال مستمرة على وجه منتظم فالقوة الحالية التي تعرض آنا وآنات ثم تزول ليست منها في شيء، وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة كالأفعال الطبيعية من احراق النار وعمديد الحرارة وتجميد البرودة وما شا كل ذلك فان لم يكن الفكر صحيحا كفكر السوفسطائي المنكر لبداهيات العلوم أو كان نحو غرض غير محدود الذات كأعمال الجدلي الذي أخذ على نفسه ان لا يقر قولا لقائل انا كان حقا أو باطلا فليس له حديقف عنده بل قوته متوجهة الى معارضة مقابله فان كان نافيا كان هو مثبتا وان كان مثبتا كان هو سالبا فليس بصناعة

ثم ان نظر في عالم الوجود الكلي علم اليقين أنه وان وقع كثير من صورته وكالاته تحت قوى طبيعية كقوى النمو والجذب والدفع أو قوى احساسية كقوى طلب الغذاء مثلا في الحيوانات أو الهرب مما يؤلم الجمان الا ان عامة أفعاله واقعة على ترتيب عقلي محكم ونهني بالترتيب العقلي ما يكون مبنيا على مراعات الغايات والحكم وفوائد الكمال التي تعود على نظام الكل وتبقى يبقائه فان العقل على خلاف الحس انما ينظر الكلي الباقي أولا ثم يتدرج منه الى الجزئي لا العكس

وان واضع هذا النظام العام قد خول الانسان من قوة العقل ما لم يخوله غيره وجعلها محور صلاحه وفلاحه ان وجهها صوب وجهتها الحقيقية فان استعملها لغايات طبيعية أو حسية أي قاصرة على موضوعها المودعة فيه لا تفيدسواه كأن يطلب بها تنمية بدنه أو جلب ما يلائم ذائقته أو مهامته وما يشبه ذلك فقد أضاع تلك القوة

العالية الشريفة وسلخ عنها ثمرتها وأنحط الى درجات الحيوانات بل النباتات التي لم تمنح تلك المنحة الجليلة واما من حفظ نفسه من السقوط وامسك عليها حق تلك الخاصة أعني العقل فهو الذي ينظر إلى كاية العالم الكبير فيعلم ان نوع الانسان وسائر الانواع من لوازم كماله أو ممتاته فيتوجه نحو حفظ ذلك الكمال ويوقن ان نوع الإنسان لا يحفظ بقاؤه في عالم الوجود الا بحفظ أشخاصه على التعاقب كما نبأنا اللطيف الحبير بما أودعنا من القوى المولدة والمصورة ويتحقق ان حفظ أشخاصه وافراده إنما يكون بالاجتماع والالتزام لما لكل فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن ان يأتي عليها في الازمنة المتطاولة مع اضطراره الى جميعها في الآن الواحد كما تراه في مواد الأغذية التي لا تحصل الا بزراعة وحصاد ودرس ثم طحن ثم عجن وخبز وطبخ وهلم جرا وجميعها أيضا يتوقف على صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوها ولوازم الاكتساء من العري وضروريات المدافعة والمكافحة مع ضواري الحيوانات كل ذلك لا يكون الا بأعمال نستفرغ أجل الشخص الواحد في تعلمها فضلاً عن تحصيل غايته منها فكيف به ان يستقل وهو محتاج الى ثمرات جميعها يوماً بل ساعة بساعة فلا بد من التعاون في الاعمال ليعتاض كل عن ثمن عمله بشرة عمل الآخر فيكون المجموع الإنساني كبدن ذي أعضاء وبممل كل عضو منه للبدن لتكون عاقبته لنفسه اذ لو طلب الاختصاص مع أنه لا بقاء له الا في ضمن المجموع - فقد طلب فقد نفسه من حيث لا يشعر فاذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضواً حقيقياً وركناً ثابتاً يقوم بأداء عمل يعود على كاية الافراد أولاً من طريق كايتهم و يعود الى شخصيته ثانياً ومبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسميه بالصناعة فمن لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الإنساني ويعين على انتظام الهيئة الكلية فهو كالعنصر الأثقل لا فائدة منه على البدن الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته فالاولى ابانته وقطعه بل ان كان لا يعمل ويسعى الى بقية الافراد في عدم العمل كالا باحبة الذين يعتقدون أنه لا ملكية لأحد في مال ولا عرض حيثما جاءوا أكلوا أو شربوا واقعدوا ويثنون أفكارهم بين افراد النوع ليقعدوا بأعمالهم ويسيروا بمثل سيرهم فيتركون الأعمال اتكالا على ما بيد الغير

حيث انه مباح لهم فان تغلبت أفكارهم بطلت الصنائع وذهب ما بيد الغير وما بأيديهم فيحتاجون الى الضروري من الاقوات وغيرها ولا يجدون فيه ليكون فأولئك كالأمرض السارية مثل الجذام والزهري لا بد من قطع العضو الموف « المصاب » بها وإلقائه في النار لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن ومن هذا القبيل الفساق والفتجار وان لم يكونوا اباحيين فان أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتى من أولئك فينبغي ان يعاقبوا ويؤدبوا ويحال بينهم وبين أعمالهم هذه بكل ما يمكن وان كانت بالتعذيب حتى يستقيموا أولاً يقيموا

ومن الناس من مثله مثل الأمراض الغير السارية والاعضاء الزائدة كمن أصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الاشغال كالكسحاء والبله والمعاتيه فلا بد ان يتحمل ثقلهم ان لم يمكن استشفائهم فراراً من ألم القلب عند اختراهم واقطاعهم لما لهم من العذر القائم اذ حيث ان مدبر الكون قد حرّمهم عطاء العقل أو عطل فيهم آلات خدمته فهو غير مطالب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه الا ان الحق الأعلى قد بث في النفوس وأودع في القلوب النفرة الكلية من هؤلاء وأولئك الذين لم يقوموا بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الإنسانية فهم مبعوضون في النفوس مطرودون من زوايا القلوب ساقطون عن نظر الاعتبار بل هم ملعونون من أنفسهم أيضاً اذ يجد كل واحد منهم من نفسه عند ما يخلو بها انه خسيس منحط الدرجة رديء العاقبة وان كان شقاؤه يغلب عليه فيما بعد فانظر الى حكمة ربك كيف تنبه الغافل وتوئيد العاقل ولكن أكثرهم لا يعقلون

واما ذوو البطالات ومن رفضوا الأسباب ووكوا أنفسهم الى التوكل الكاذب اذ لم يتحققوا معنى التوكل وظنوا انه عبارة عن معارضة سنة الله التي قد خلت في عباده ودعوا ذلك تبسلاً واقطاعاً عن عالم الظاهر مع أخذهم لكشكول النكفف وخلمهم جلباب التعفف فهم بمنزلة شمر الإبط لا ينشأ عن تكاثفه سوى عناء الحك واستجلاب بعض العفونات ان لم يتمهد بالتطهير ويسنحب ازالتهن وننقية الهيبة الاجتماعية من درنهم فإن بلغ من أمرهم ان يتخذوا ذلك أمراً يدعى اليه

وذهبوا في الناس يحولون وجوههم عن الاعمال ويقلدون أعناقهم سبوح المكر والحيلة ويسر بلونهم بسر ايل التمويه والتزوير ويفرونهم بتأبط هراوة الشر واقتناء قدح الطمع يودعون نفوسهم اخلاق الشيطان من حب الرئاسة الكاذبه وتطلب الدنيا من الدينار من كل وجه والحقد والحسد والعداوات وغير ذلك ويحجبون ذلك بأستار من التلبيس (الغيب المنتظم) ثم يوصونهم أن أخرجوا أيديكم من تحت تلك الأستار طالبين انتهاب أموال الناس والاستثمار بشمات اكنسابهم باسم انهم وانهم (كأ ترى) وجب إلحاقهم بالباحين ونحتم على كل ذي شعور من بني النوع ان يسمي لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم كيلا يفسدوا أفكار العامة وأعمالهم ويعود وبل ذلك كله على العامة والخاصة معا وبالجملة حيث تبين ان لاقوام الانسان الا بالصنعة فمن أخل بوظائفها أورامها بالنقد فقد عمد الى هدم بنيان الانسانية فطليها ان تطرده من أبوابها وتمحوا اسمه من كتابها

ثم ان الصنعة على التعريف المتقدم تنقسم الى اقسام اما نافعة ضرورية أو غير ضرورية وإما أن تكون كثيرة النفع أو قليلة أو ممتمة لفعل الطبيعة أو مزينة له فالقسم الاول كالحدادة لأنها مما يحتاج اليه جميع الصناعات العملية والثاني كتهضر الثياب مثلا والثالث هو ما يكون الغاية منه نفع الانسان لا غير كالحكمة التي هي مقننة التوازن وموضحة السبل وواضحة جميع النظمات ومعيينة جميع الحدود وشارحة حدود الفضائل والردائل وبالجملة فهي قوام الكالات العقلية والحلقية ومن هذا القسم الحكومة العادلة والرابع (أي الذي هو خير بالواسطة) كالزراعة والكتابة فإن لما غايات سوى نفس الانسان لكنها تؤول اليه والخامس (وهو الكثير النفع) كالنجارة والتجارة مثلا والسادس كصناعة الصيد وما شاكلها والسابع كعلم الطب المتمم لأفعال القوى الحيوانية المساعد لها على آتمام وظائفها والثامن كالصبغة والنقش والتلون وغير ذلك ثم ان شرف كل صناعة وكل فن بمجموع موضوعه وشمول غايته وان أعمم الأقسام موضوعا هو صناعة الحكمة لما بينا من انها الباحثة عن كل ما يلزم للانسان اتخاذه في أعماله وافكاره واخلاقه فهي أشرف الصناعات والحدادة وان كانت عامة لكنها من الحكمة بمنزلة الخادم المنقاد من السيد الحاكم الآمر

الشيخ محمد عبده

(هذا عنوان الفصل السابع من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٥ قال)

اختلقت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر اريد به الشيخ محمد عبده فأجيدت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أتت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المنضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العرابية . غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبعا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفه القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فاصبحت مشورته ومعاوته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة تضامه من علوم الشرع الاسلامي مع مابه من سعة العقل واستنارة الذهن واذ كر مثالا على نفع عمله الفتوى التي افتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تدمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تدمير أموالهم فيها من غير ان يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء (١)

أما الفئمة التي ينتمي اليها الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فمروفة في الهندا أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد

(١) قد علم قراء المنار من قبل أنه لما قال الاستاذ الامام بذلك جمع الامير طائفة من علماء المذاهب عنده فنظروا واتفقوا على الطريقة وكتبوا ما قدمه الامير للحكومة وهي عرضته على المفتي وعملت بما أقره

أحمد الشهير الذي انشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً والناية
العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من
غير ان يزعموا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من
أساس ديني . فمعلمهم شاق وقضاؤه عسير لأنهم يستهدفون دائماً لسفام نقد
الناقدين ووطن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد
آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة
الشرع وانتهاك حرمة الدين

اما مريلدو الشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون فموصوفون بالذكاء
والنجابة واكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المليية بمنزلة الجيروندست في
الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتطعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم
بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون
هؤلاء المحافظين اليهم ويسرون بهم في سبيلهم . والمسامون الذين تفرنجوا
ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم
وسط بين طرفين وعرض اتقاد الفريقين عن الجانبين كما هي حال كل
حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد
وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت
ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده
شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة
الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية ان تقبل آراءها على
توالي الايام اذ لا ريب عندي في ان السبيل القويم الذي ارشد اليه المرحوم
الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير

منه ابني ملتهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين

واملهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قولاً لرجل من أهل دينهم وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة عليكده الكلية المذكورة آنفاً والطريقة التي تغلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ما وصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين في الهند بتعلم العلوم منذ أربعين أو خمسين سنة قال «وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين من قلة تقدم المسلمين في تعلم العلوم العالية غير أنهم كانوا مستائين من أنفسهم أيضاً وتحسرين على العلوم التي أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن يكتفي بالتشكي والتدمير ويقتصر على اللوم والتعنيف بل أنهم لما علموا علة الشر وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضاً فأنشأوا جمعية شيخها السيد أحمد خان الذي قضى العمر مجاهداً في سبيل تهذيب العقول بالعلوم والمعارف وجعلوا غايةها العظمى البحث عن وجوه الاعتراض التي يعترض بها المسلمون على التعليم الذي تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفة التعليم الذي يرجون استبداله به . فالتضح لهم ان الرجوع الى أساليب التعليم التي كانت متبعة في الشرق قديماً أضحى ضرباً من المحال . ورأوا على ما بهم من الأكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب التي توارثوها عن آبائهم ان التعليم الذي يرقى قومهم الى درجة تلامم التمدن المحيط بهم ويردهم الى مقام يشعر فيه بنفوذهم وتأثيرهم انما هو التعليم المبني على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الابواب ، الدقيق الدروس ، المحبب الى المتعلم كل أمر بديع عجيب في علوم البلدان الأخرى وآدابها

وفلسفتها فكانت هذه السمة منهم في العقل والاصالة في الرأي اعظم خطر على مشروعهم في بادىء الامر لانهم لو دعوا جموع المسلمين الى قبول رأيهم المنبى على مبادئ لا تخالف الدين الاسلامي بالذات بل تخالف التفاسير التي يفسر بها اكثر المتدينين به لاستفزت الدعوة جموع المسلمين الى المعارضة واقامت على الجمعية القيامة . وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصبر عليه لا تظارها الفوز في النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئا فشيئا امام شجاعة المصاحين وثباتهم . ثم أيدهم رجال خطيرو الشأن مثل المرحوم السرسار جنك تأييدا ماديا من جهة ومعنويا من أخرى في اعتبار الذين يعدون الاسم العظيم ضمانا عظيما . وكان أعضاء هذه الجمعية متخلفين بأخلاق تجلهم وتزههم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا الألد خصومهم الى أشد الأ نصار غيرة عليهم . وقد مضى ثلاثة عشر عاما (١) على اجتماع الجمعية لوضع مشروعها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالا في نجاح مسعاها لم يكونوا يتصورون انها تنجح النجاح السريع الذي عاشوا حتى شاهدوه « انتهى اه

أقول في تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس وبلوخستان و بلاد العرب وأوغندة ومويتوس ومستعمرة الرأس ويقيني انه لو قصدتها الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأنزلوا على الرحب والسعة

(وقال في أواخر الفصل الذي تكلم فيه على المحاكم الشرعية (ص ١٣٢) ما نصه:
 « هذا واني أوافق السر ملكوم مكريث على ما قاله عن الضربة
 الثقيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القبيل بموت المرحوم الشيخ محمد
 عبده فقد اشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا
 التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه
 لا يخور عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم لذكراه أحسن اظهار بترقية
 المقاصد التي كان يرمي اليها في حياته» اهـ

أما ما أشار اليه من كلام السر ملكوم مكريث المستشار القضاي في تقريره
 عن المحاكم فما هو بنصه

ولا يسعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن
 أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في
 شهر يوليه الفائت وان أبدي شديد أسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت
 هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق بالشرعية
 الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيرا للتزود من صائب آرائه
 والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو
 الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيرا ما كانت خير معوان
 لهذه النظارة في عملها. وفوق ذلك فقد قام لنا بخدمة جزيلة لا تقدر في مجلس
 شوري القوانين في معظم ما أحدثناه أخيرا من الاصلاحات المتعلقة بالمواد
 الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة
 ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك
 وانه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظرا اسمو مداركه وسعة اطلاعه

وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظيفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تسكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فإنه يتعذر وجود أحد غيره حائز للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلكل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحقانية ستظل زمناً طويلاً تشعر بخسارتها بفقدانها كلام المستشار

العبرة في كلام اللورد كرومر

من تأمل كلام اللورد في هذا الفصل وتلك الشذرة استفاد منه ضروباً من العبرة والحكم تدل على ان هذا الرجل الاجتماعي الكبير قد علم من شؤون المسلمين — وهو أجنبي — ما لم يعلمه الرؤساء من علمائهم وأمرائهم ، فضلاً عن أوساطهم ودهائهم ، فرأيت ان نبين ذلك مع شئ من الشرح والرأي

العبرة الاولى بآراءه لحال المسلمين

ذلك انه قسم المسلمين الى ثلاثة اقسام — (الاول) المتنطعون المحافظون على كل قديم جروا عليه وهم السواد الأعظم ونقول انه قد بلغ من تنطعهم في جمودهم على ما ألفوا ان كان من أشد الصعوبات التي لاقتها الدولة العلية في سبيل التعاليم العسكرية في طرابلس الغرب محافظة الأهالي على زيئهم المعروف وحسابه من أمور الدين وإن أهل مراکش لأشد تنظماً وجموداً على ذلك ولا يخفى على من شاهدوا حركات المساكر في الحرب أوفى التعليم أن لبس البرنس والرداء المعروف بالحرام من عوائق خفة الحركة وموانع اتقان كثير من الأعمال التي تتوقف عليها البراعة العسكرية . ولا يختلف عاقلان في كون البراعة في الأعمال العسكرية ومن أهمها خفة الحركات والنظام في النقل والانتقال هي أعظم أسباب الفوز والظفر . فهذه

عادة ليست مما توجبها عقائد الدين ولا عباداته ولا فضائله وآدابه قد صارت عقبة كودا في طريق رقي المسلمين ، وعزة الاسلام وحماية الدين ، فما بالك بغيرها من العادات ، التي تقوم على إلحاقها بالدين بعض الشبهات ، وهذا القسم من المسلمين تابع في صلاحه وفساده لشيوخ العلم الديني وشيوخ الطريق الذين ينتمون إلى الصوفية فهو لا يصلح الا اذا صلحوا وأصلحوا أو زال اعتقاده بزعامتهم الدينية وقبض له بعد ذلك مصلحون آخرون .

(القسم الثاني) المتفريجون الذين ليس لهم من الاسلام الاسم والله دره مآدق فكره اذ عرف أنهم مارقون من الدين ساقطون من نظر الاعتبار لاقية لهم في أنفسهم ، ولا صوت لهم في أمتهم ، وسنعود إلى ذلك

(القسم الثالث) المصلحون الذين يريدون إصلاح حال المسلمين الاجتماعية مع المحافظة على الدين لعلمهم ان كل فساد طرأ عليهم فنعمهم عن مجازاة الامم في أسباب العزة والقوة انما هو من العادات والبدع لا من جوهر الدين .

وقد ادرك اللورد بصائب فكره ان هذا القسم هو الوسط الذي يرجي خيره بين المتظلمين في جهودهم والمتهتكين في تفريجهم . قال ان هذا الحزب معروف في الهند أكثر مما هو معروف في مصر وان منه السيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكده الكلية منذ ثلاثين عاما . ونقول ان الزمن الذي قام فيه أحمد خان بعمله هذا هو الزمن الذي كان السيد جمال الدين الافغاني يبذر فيه بذور الإصلاح في مصر بمساعدة الشيخ محمد عبده الذي تلقى عنه وتخرج على يديه (وترى في هذا الجزء مقالين من المقالات الإصلاحية التي تلقاها عنه ونشرها في جريدة مصر التي كانت أنشئت بإرشاده) وكان السيد جمال الدين فيما نظن أقدر من السيد أحمد خان على الإصلاح لولا أنه فتن بالسياسة فحالت دون إتمام عمله في مصر ولم يتمكن من عمل يدكر في غيرها سوى ما كان يكتبه في أوربا من المقالات الموقظة . لذلك كان الاستاذ الإمام جازما بأن مسألة السياسة واتقاءها شرط للتمكن من الإصلاح كما بينا في ترجمته . وغرضنا من هذه الكلمات بيان أن مسلمي الهند لم يسبقوا مسلمي مصر إلى الاشتغال بالإصلاح وانما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية التي أسسها أحمد خان وقد عزم الاستاذ

الامام أن يؤسس في مصر مدرسة خيرا منها لكن النية عاجلته قبل ذلك فقدمت قبل وقته كما قال اللورد وقال كل عاقل عرفه

وليعلم مسلمو مصر أن مدرسة العلوم في عليكده لم تنجح الا لأن مؤسسها كأوامن عهد زعيمهم السيد أحمد خان الى الآن على وفاق مع السلطة الانكليزية وتحسين الظن بها فكانوا خيرا للمتهم من جعلهم سوء الظن والكراهة بين معاد لعلوم الافرنج الزائفة وبين خائف من كل عمل نافع للثمة، وأن الاستاذ الامام كان على هذا الرأي أي أنه لا بد لنا من العمل النافع للاسلام والمسلمين مع تحسين الظن بأن الانكليز لا يعارضوننا في ذلك ولا يمنعونا مما ننفعا الا اذا أدخلنا فيه السياسة وقصدنا مضارهم ومقاومتهم وحينئذ نكون أضرب على أنفسنا وأنفع لهم كما هي سنة الله تعالى في كل جاهل ضعيف يقاوم عالما قويا . وسأوضح هذه المسألة في موضع آخر

اماما أشار اليه اللورد من معارضة المسلمين للسيد أحمد خان وحزبه فلا يتوقع نظيره من مسلمي مصر فان أولئك كانوا يعادون جميع العلوم التي يصفونها بالجديدة أو بالأوربية ويعدونها آفة الدين والمصريون ليسوا كذلك وإنما كان المنتظمون من أهل الجود يخافون الاستاذ الامام على الدين من جهة تعليمه للدين اذ كانوا يظنون انه ينصر مذهب الفلاسفة أو المعتزلة على مذهب أهل السنة فلما قرأ العقائد والتفسير في الأزهر زال ذلك الظن بتبادي السنين وعلم أهل الأزهر كافة أنه ينصر مذهب السلف على كل مذهب يخالفه ولا يقدم على ما نطق به الكتاب ومضت به السنة النبوية قولا لقائل . فأنحصرت بمد ذلك معارضة الاصلاح الذي كان يحاوله فيمن يعرف اللورد وغيره من أهل البصيرة أنهم انما يعارضونه لاسباب شخصية بل صرح اللورد بذلك . لهذا كان كل شيء يخترعونه للظن فيه يكون سببا لزيادة عرفان الناس بفضله حتى ان السواد الاعظم من الأمة المصرية صار معه في أواخر مدته . ولا ينبغي هذا قول اللوردان مردي الشيخ واتباعه الصادقين قليلون فانه يعني بهذا الصادقين في طلب الاصلاح والعارفين بطرقه وهم قليلون بالطبع ولكن الذين يوافقونهم ويحسنون الظن في طريقهم كثيرون جدا بل هم الاكثرون فمسي أن يوقههم الله المضي في العمل الذي كان امامهم متوجها اليه وعند ذلك يظهر

صدق قولنا لاسيا اذا علم الناس ان الحكومة وما وراءها من القوة راضية أو غير ساخطة على عملهم

بلغ من مقاومة السيد أحمد خان ان كان يطعن فيه على المنابر واستغنى بعض علماء الحرمين في أمره فأفتوا بكفره ولم تبلغ مناهضة الاستاذ الامام في شدتها هذا المبلغ. ذلك بأنه كان أقدر على الاحتجاج بالدين لما يدعو اليه وأبعد من السيد أحمد خان عن الشذوذ وان مناهضيه أقل غباوة واضعف ارادة والأمة انبه منهم وأقرب الى قبول الاصلاح من أهل الهند

المبرة الثانية ثناءه على الامام

صفوة المبرة الاولى ان اللورد عارف من أحوال المسلمين مالا يعرفه أمراؤهم وعلماءهم فيعتد بقوله فيهم. واما المبرة الثانية فتريد بها ما في ثنائه على الرجل وحزبه من الانصاف وعرفان الفضل لأهله وما في تنشيطه لهذا الحزب من قصد الخير وقد زاد هذا الثناء قيمة صدوره بعد نشر كتاب (مصر الحديثة) الذي وضعه كاتبه فرنجي اسمه (غورفيل) وطبعه باللغتين الانكليزية والفرنسية وقد اشتهر الكتاب بفصل فيه معزو الى فقيدنا المرحوم فيه انتقاد شديد على الحكومة المصرية والمحتلين الذين يدبرون أمرها ويدبرون دفتها وقد ترجمتها كثر الجرائد العربية اليومية ولكن الرجال العظام تبني أحكامها على الصفات والأعمال ، لا يصددها عن مقاصدها قيل وقال ، واللورد ونظار الحكومة ومستشاروها قد تعودوا من فقيدنا المرحوم قول الحق الذي يعتقد في كل ما يخاطبهم به خطابا رسميا أو غير رسمي وناهيك بتقريره عن المحاكم الشرعية ومناقشته لناظر المعارف في مجلس الشورى في انتقاد التعليم بمدارس الحكومة. وقد كان اللورد العظيم يصع آراءه غير الرسمية موضع الاعتبار كراهيه في ضرر إلغاء النيابة العمومية وكانت الحكومة قد عزمت على ذلك وكادت تنفذه فرجعت عنه فهل يعتبر بهذا رجالنا الذين بمنهم الجبن ان يقولوا لكبراء المحتلين ما يعتقدون في المصالح والأعمال ؟ ألا يكفيهم ثناء اللورد والمستشار القضائي على الاستاذ الامام بما أنشأ به بعد موته واحترامهما وسائر كبراء المحتلين له في حياته برهانا على أن القوم رجال جدد يجلسون من يقول الحق في السر والجهر ويهدى الى الاخلاص

في الخفية والعلن سواء وافق رأيهم أو خالفه لم يكن حربا لهم، وأنه لا قيمة لأهل الدهان والرياء في أنفسهم وحسبنا هذا الإيجاز في هذا المقام هذا وليعلم الذين يقولون ان اللورد لم يكتب في الرجل أكثر مما يجب أو ينتظر أولم يوفه حقه ان تقرير اللورد ليس تاريخا لمصر ولا كتابا في مناقب العلماء والحكام وإنما هو تقرير رسمي عن مالية مصر والسودان وإدارتهما وحالتهم العمومية فالذي ينتظر ان يقال فيه عن مفتي الديار المصرية انه رجل جليل مصلح قد قام بأعماله في الحكومة خير قيام، أو ما في معنى هذا الكلام، ولكن اللورد قد زاد على ذلك ما رأيت في الكلام عن حزب الرجل وتفضيله على سائر المسلمين وتنشيطه وحثه على ترقية المقاصد التي كان يرمي اليها إمامه وإتني رأيت صريدي الاستاذ الامام شاكر بن اللورد ما كتبه قادرين إياه قدره راجين ان يصدق عليهم ظنه الحسن

المبرة الثالثة حثه الأروبيين على تنشيط هذا الحزب

اني لأعلم ان من الناس من يعجب لقول اللورد « فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين » وبعضهم يضعه موضع الظنة لاعتقاد المسلمين أن الأوربيين أعداء لهم لا يريدون لهم اصلاحا ولا خيرا ما وإنما يريدون الخير لقومهم خاصة فكيف يحث اللورد أهل أورباكافة على تنشيط حزب مصلح ينفع المسلمين بل لا يفهم غيره كما قال والجواب عن هذا الاشكال لا يفهمه الا من عرف كنه الفتح أو الاستعمار الأوربي وقد سبق لنا فيه قول ونقول هنا كلمة وجيزة فيه .

ان غرض الأوربيين من كل بلاد يدخلونها بالفتح أو باسم الحماية أو الاحتلال الموقت أو غير ذلك من الاسماء هو الكسب ولا ينمو الكسب الا بالعمارة فهم يحبون عمران البلاد التي يتبوؤونها ومن ثم سموا ذلك استعمارا، وعمران كل بلاد انما ينمو ويعظم على قدر اتفاق أهلها مع المستعمرين عليه وهذا الاتفاق يتوقف على أمور أولها في المرتبة معرفة كل من الفريقين الآخر ليكون في وفاقه وخلافه على بصيرة ومن كان أعلم بالآخر كان أجدر بالفوز عند التنازع مع تساوي القوة

فكيف إذا كان الأعم هو الأقوى . ولكن الأوربيين لا يحبون ان ينازعوا ويقاوموا وان كانوا واثقين بالظفر لان ذلك يقلل من كسبهم . ومضى قبضوا على ناصية السلطة في بلاد أمنوا من مقاومتها بالقوة وأحصر حذرهم في مقاومة الأمة لهم بالفتن فإن كل عمل يراد في البلاد يعسر تنفيذه اذا كان سواد العامة مقاوما له فاذا كان هذا السواد بحيث يخشى خروجه على السلطة كانت موارد الكسب على خطر ثم ان الأوربيين يرون أن أعظم مثار للفتن التي ربما تنفضي الى الخطر على موارد كسبهم الذي يطلبونه بنشر مدينتهم وباستعمارهم للأرض هو ما عليه عوام المسلمين من الاستعداد للتهيج باسم الدين ورب هيجة شومى يقوم بها بعض الدجالين الذين تعتقد العامة صلاحهم أو بعض زعماء السياسة تذهب بعمل سنين طويلة - لهذا كله كان من مصلحة الأوربيين في بلاد المشرق ان يوجد حزب نير الفكر محب للإصلاح الذي يعرف العامة بقدر أنفسهم وبنسبتهم الى الاجانب الذين يعيشون معهم ويزنل التعصب الاعمى في نفوسهم حتى لا يغرم الفارون ويدعوهم الى أعمال إن أضرت بالاجانب قليلا فهي تضر بهم كثيرا . فالاجانب العقلاء العارفون بكنه المشرق كالورد كروم وارضاه من ساسة الانكليز يحبون هذا النوع من الإصلاح الذي ينفع المسلمين لانه ينفعهم هم أيضا انهم يحبون ان يكسبوا بهدو وطأ نينة كما قال المنار غير مرة وامن قلما يذهب بهم الميل الى السعي في ايجاده أو الحث عليه لان مصلحتهم قائمة بدونه، قائمة بقوة العلم والحكمة، وقوة السلاح والوحدة، فاذا وجد فيهم من يبحث عليه كانت السياسة منه تابعة للفضيلة الشخصية وما أجدر اللورد كروم بذلك

مثل هذا الإصلاح لا يأتي من جانب المتفرجين لانهم لا قيمة لهم في نفوس السواد الأعظم لبعدهم عن الدين فلا بد من حزب وسط بين العامة وبين المتفرجين يكون له جانب الى النظام والمدنية وجانب الى الدين النقي السالم من الحرافات التي هي مشارفتن والآفات . ولا شك ان الحزب الذي كان يرأسه الاستاذ الامام لاغرض له الا ازالة البدع والأوهام التي ألصقت بالدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا . ومن أركان الإصلاح الذي يرمي اليه أخذ كل ما ينفعنا ولا يمارض ديننا من علوم أوربا ومدنيتها . اما العلوم الحقيقية فلا شيء منها يخالف الدين

الحق وأما أعمال المدنية فمنها النافع لنا كالجُميات الخيرية والعلمية والدينية والأدبية والشركات المشروعة ومنها الضار كالخمر والميسر والفجور. ويعتقد هذا الحزب أنه لا يمكن لنا القيام بهذا الإصلاح إلا ببقاء السياسة فيه واجتناب مقاومة السلطة به ويجعل مداره على تربية النفوس بالدين وترقية شأن البلاد الاجتماعي والاقتصادي وترك السياسة لاهلها. ذلك أن سياسة هذه البلاد هي عبارة عن مسألة الاختلال وقد سألت الأستاذ الامام عن رأيه فيه عند ما زار طرابلس مندبضع عشرة سنة فقال أنها مسألة أوربية لا شأن لنا فيها وإنما الشأن فيها لدول أوروبا ذات المصالح في مصر مع السلطان فإذا اتفقت هذه الدول على الجلاء كان، وهو ما لا دليل عليه الآن، هذا رأي إمامنا رحمه الله في المسألة المصرية وقد قالت أوروبا كلمتها فيها بلسان اتفاق بريل سنة ١٩٠٤ فلماذا لا نشغل بما يفنيها وهو في استطاعتنا من ترقية أممتنا بالتربية والتعليم وترك ما لا طاقة لنا به ولا يأتي منه إلا الضرر وأقل هذا الضرر تحويل قلوب الأمة عما فيه خيرها وفلاحها في دينها وديارها وضغط أوروبا عليها

هنا يقول المعارض سلمنا أن طريقة هذا الحزب هي المثلى في إصلاح حال المسلمين، وإن انتهى الحكمة فيها مسألة الأوربيين، لكن مثل اللورد كرومر في بعد نظره وثاقب رأيه لا يعزب عنه أن المسلمين إذا ساروا على هذه الطريقة ارتقوا ارتقاء حقيقيا يحول دون دوام السلطة الانكليزية فيهم فكيف يركب هذا الصعب، أو يكون حاديا لهذا الركب هذا الحزب، والجواب عن هذا سهل وهو أن طريقة هذا الحزب الجامعة بين الفائدتين في الحال قد تكون جامعة بينهما في الاستقبال، فإن الأمة إذا سارت في طريق الترقى مع المسألة وحسن التفاهم بينهما وبين هؤلاء القوم ولقيت منهم التنشيط والمساعدة على رقيها في آيات ضعفها وعجزها فهي لا تترك صداقتهم في طور قوتها وهم لا يتركون صداقتها ويمكنهم أن يربحوا منها في طور القوة والاستقلال، أكثر مما يربحون في طور الضعف والاختلال والآنكلية هم القوم الذين لا يماندون الطبيعة وإنما يسايرونها ويستفيدون من كل طور من أطوارها بحسبه. وإلى لا أكون وأهما إذا قلت إن فرنسا لو وجدت في الجزائر حزبا يعمل لترقية شأن المسلمين، مع التوفيق بين مصالحهم ومصلح

الفرنسيين ، لأباحث له العمل ان لم تنشطه وتساعدته . على أن الانكليز لم يساعدوا طلاب الاصلاح في مصر كما أنهم لم يقاوموهم . وما كتبه اللورد في تقريره الاخير هو أول قول رسمي سمعناه منه يدلنا على ميله الى هذا الاصلاح فأحيينا ان نزيل ارتياب المرتابين فيه لأن سوء ظننا بالقوم يضرنا ولا يضرهم ومن انباوة أن يظن أن القوي يصانع الضعيف وان مثل اللورد كرومر يكتب مثل هذه الكتابة لدولته ، ويرمي فيها عن غير قوس عقيدته ، وهو يعلم أن أوربا كلها محل آراءه محل الاعتبار ، لاسيما ما كان منها أثر التجربة والاختبار ، وقد سمعنا عنه منذ سنين أنه قال لبعض الكبراء وقد رغب اليه في عمل ينفع المسلمين ويرقيهم ان من لا يعمل لنفسه لا يعمل له أحد فاعملوا ونحن نساعدكم أو قال وحسبكم ان لا نعارضكم . فقال الراغب أنه ليس عندنا رجال يهتمون بالخدمة العامة فقال اللورد بل عندكم رجالان الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوها بالمال وهما يعملان للمسلمين ما يرقىهم ويرفع شأنهم

المبرة الرابعة رأيه في المتفريجين

يظن هؤلاء المتفريجون أن لهم مكانة عالية في نفوس الأوربيين لتشبههم بهم في عاداتهم وتزلفهم اليهم وإفراغ أموال البلاد في أكياسهم وقد علم مما ذكرنا عن اللورد أنه لا يقيم لهم وزنا وقد علمنا مثل هذا بل ما هو شر منه عن كثير من كبراء الأوربيين -- علمنا أنهم يحتقرون هؤلاء المتفريجين وفي ذلك من العبرة مالا محل لشرحه في هذا المقام واللييب من تكفيه الإشارة وأين اللييب فيهم وقد أفسدت الخمر ألبابهم ، وأضاع القمار صوابهم ، ففسرهم في حسرة على نال الذي يمتنع شهوته ، وموسرهم في حيرة لا يدري كيف يقفي ثروته ، ومنتهي الفجر سددهم كتاب غريب يسائر في الطرقات ، ونوع جديد من المركبات ، وقناة أوربية تخامر في المنتزهات ، و تقيح ما عليه قومهم من الآداب والعادات ، وعرف الأمر في التفنن في اللذات ، وان أذاقت الأمة ضعف الحياة وضعف المات ،



فَتَاوَى الْمَسْأَلَاتِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين صفة ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمسئلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتميز في غالبها ورمزها قد متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورمزها أجنبيا غير مشترك لئلا هذا. ولئن يعفى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لافغاله

(طريقة ابراهيم الرشيدى - من اسئلة سنخافوره)

(س ٢٠) من أحد المشتركين في سنخافوره

نبحث بهذه الاسطر لحضرة فذلكة العلوم والمعارف صاحب المنار الأغر

لازال منار الدين به مشيدا وهو

انه نجم في هذه الاطراف طائفة تزعم انها على طريقة الشيخ ابراهيم الرشيدى و يقيمون في المساجد اذ كاراً بلفظ الجلالة برفع صوت جدا ويشوشون على من هناك من المصلين و يلقبون أنفسهم بمجاديب و ينشدون خلال ذلك اشعارا من كلام الصوفية لا يعرفون معناها وفي يوم الجمعة في اثناء صلاحها تحصل منهم زعقات هائلة بلفظ (الله الله) و يجب بعضهم بعضا بذلك بحيث اذا زعق أحدهم تلاه الباقر بهذه الزعقات الشديدة المزعجة لمن في المسجد في وقت صلاحهم الجمعة ويحصل للمصلين تشوش منهم واذا نهوا عن ذلك اجابوا بأن الناهي لهم من فريق يريدون ان يطفئوا نوار الله بأفواههم و بأنهم انما يزعمون في حالة الفية مستندين الى ما في كتب الصوفية من ان المريد اذا غلب على قلبه ذكر الباطن وضاعت انفاسه منخرجا على ظاهره فيزعق بلفظ (الله) واذا قاموا للذكر ليلا وارتفعت أصواتهم بذلك ربما سقط بعضهم مغشيا عليه ذكر كان أو أنثى وذلك بعد ان يشير الخليفة عليهم بخرقة في يديه ويقول لهم (أش) ثم يخر أحدهم مغشيا عليه فيفتيق بعد ذلك و يقول شاهدت في غيبي أحمد بن ادر بس وشاهدت

الى ما لا نطيل بذكره فهل هذا مما عهد في أحد القرون الثلاثة المدوحة أو هو مما أمر به الشارع أو السلف الصالح وهل يجب على ولاية الامور المنع من مثل هذا

اذ ولي الامر هنا لم يقدم على منعهم ظنا منه انه مطلوب شرعا واذا نشر في المنار حكم ذلك شرعا فولي الامر لا يتأخر عن حملهم على ما يحكم به الاستاذ في المنار من المنع أو الامرار فأدر كونا بما فيه حياة الدين والدنيا لازتم عمدة لنفع المسلمين والله يحفظكم لنا أفندم

(ج) في هذا السؤال مسائل (أحدها) الذكر باسماء الله تعالى مفردة كما عليه أهل الطريق في هذا العصر كقولهم الله الله... حي حي... أو بالضمير كقولهم هو هو... وهذا من البدع التي حدثت بعد الصدر الأول. قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة العبودية مانعه بهدأن أورد ماورد في الحديث من أن أفضل الذكر لا إله الا الله كما رواه الترمذي وغيره أو لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كما رواه مالك في الموطأ:

« ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة المضمرفهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله (٦: ٩١ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) من أين غلط هؤلاء. فان الاسم هو مذكور في الامر بجواب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال: من جاء؟ فتقول: زيد: وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به ايمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى ولم يذكر ذلك أحد من سلف الامة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعا وإنما يعطيه قصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفي ولا اثبات فان لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد نفسه والا لم يكن فيه فائدة والشريعة إنما تشرع من الاذكار ما يفيد نفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره. وقد وقع من واطب على هذا الذكر في فنون من الاحاد، وأنواع من الاتحاد، كما قد بسط في غير هذا الموضع. وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: أخاف ان أموت بين النفي والاثبات: حال لا يقتدى فيها بصاحبها فان في ذلك من الغلط مالا يخفاء فيه اذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت الا على ما قصده ونواه اذ الاعمال بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى

الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت (بمعنى المحتضر) لا إله إلا الله وقال «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وله كان ما ذكره محذورا لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في اثناها موتا غير محمود بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

«والذكر بالاسم المفرد المضمرة أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى اضلال الشيطان فاز من قال ياهو ياهو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا إلا إلى ما يصوره قلبه والقلب قديمتدي وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتابا سماه (الهو) وزعم بعضهم أن قوله (٧: ٣) وما يعلم تأويله إلا الله (معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو) إلا الله وقيل هذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء (صوابا) حتى قلت مرة لبعض من قال بشيء من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت «وما يعلم تأويل هو» منفصلة

«ثم كثيرا ما يذكره بعض الشيوخ أنه يحتاج على قول القائل (الله) بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فإن قوله (قل الله) معناه: الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى: وهذا جواب لقوله (٦: ٩١) قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم، قل الله (أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال (ما أنزل الله على بشر من شيء) (٥) فقال من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم قال قل الله أنزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون

«وما بين ما تقدم ما ذكره سيئويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولا فالقول لا يحكى به إلا كلام تام جملة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون «إن» إذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم. والله تعالى لم يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المفرد المجرد لا يفيد الإيمان باتفاق أهل الإسلام ولا يؤس

(٥) أول الآية «وما قدره الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء» الخ

به في شيء من العبادات ولا في شيء من المحاطبات ، ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر أن بعض الاعراب مر بمؤذن يقول : أشهد أن محمدا رسول الله : بالنصب فقال ماذا يقول هذا ؟ هذا الاسم فأبى الخبر عنه الذي به يتم الكلام ؟

« وما في القرآن من قوله (٨:٧٣) واذا ذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا) وقوله (١:٥٦) سبح اسم ربك الأعلى) وقوله (١٤:٨٧) قد أفصح من تزكي ١٥ وذاكر اسم ربه فصلي) وقوله (٩٦:٥٦) فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفردا بل في السنن أنه لما نزل قوله فسبح باسم ربك العظيم قال « اجملوها في ركوعكم » ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجملوها في سجودكم » (١) فشرع لهم ان يقولوا في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الاعلى . وفي الصحيح (٢) أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وهذا معنى اجملوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسامحين « — الخ ما أطال به رحمه الله تعالى

(المسألة الثانية) التشويش على المصلين محذور عند جميع العلماء سواء كان بذكر أو تلاوة قرآن أو قراءة علم أو غير ذلك فإن المساجد ما بنى للصلاة فهي المقصودة بالذات فيجب منع التشويش على المصلين وان كان بمشروع فكيف اذا كان بأمر غير مشروع مما يطلب منه لذاته وان لم يشوش على مصل . ولا أراني محتاجا في هذه المسألة الى نقل لانه لا ينازع فيها احد ومن اراد القول فليرجع الى الجزء الاول من المجلد السادس ومنه حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود وأقوال الفقهاء في تقييد كتاب اصابة السهام (٣٤:٦)

(المسألة الثالثة المجاذيب) اعلم أن ما يسميه الصوفية بالجذب هو من الاحوال التي لا يعرف منها أهل الطريق في هذا العصر الا انها ضرب من البله أو التباله والخروج عن الآداب الشرعية والعرفية . الجذب في الحقيقة حال تطرأ على لسان

(١) الحديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وانما كم في المستدرک وابن حبان

في صحيحه عن عقبه بن عامر (٢) قوله في الصحيح يعني صحيح مسلم ورواه أيضا احمد واصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث حذيفة

وهو متوجه الى الله بالدكر والفكر فتأخذه عن نفسه وتبطل ميزان العقل في الاقوال والافعال فهو فن من فنون الجنون يحدث في حال مخصوصة وقد يحدث من غير سبق الأعمال الاختيارية التي تؤدي اليه غالباً اذا كان من يأتيها مستعداً له وهي الخلوقة وكثرة الذكر فيها مع الجوع وقلة النوم لاسيما اذا كان الذكر بالاسماء المفردة . وهذا الفن من الجنون كغيره يكون متقطعاً مجيئاً نوبة بعد نوبة ويكون طباقاً ويكون قويا وضعيفا وصاحبه غير مكلف مادام مأخوذاً عن عقله فاذا كان يأتي بأقوال أو أفعال تشوش على المصلين وجبان يمنع من دخول المسجد وقد جاء في الحديث «جنبوا مساجدنا وفي رواية مساجدكم صبيانكم ومجانينكم» الخرواد بن ماجه من حديث واثلة وكذلك ابن عدي والطبراني والبيهقي وابن عساكر عنه وعن غيره . واذا كان التشوش على المصلين بنحو رفع الصوت كان مما يمنع منه الماقل فكيف يباح لغيره ممن يشوش بقاله وحاله

(المسألة الرابعة الزعمات) هذه الزعمات والصيحات عند الذكر أو التلاوة ليست من الدين في شيء لم يأذن بها الله ولا رسوله ولم تعرف عن الصحابة ولكن من الناس من يكون رقيق الوجدان شديد التأثر بما يهيم نفسه فاذا كان عابداً وسمع آية انذار أو موعظة مؤثرة أو عمرة يغلبه وجدانه ويظهر عليه أثر الانفعال في وجهه وربما صرخ وبكى واذا كان عاشقاً وسمع غناء أو شعراً بليغاً يظهر عليه مثل ذلك التأثر وقد حكي عن بعض الصوفية الصادقين شيء من ذلك فلما ذهب التصوف وجاء هؤلاء المقلدون الأغبياء الجهلاء بأسرار النفوس المحرومون من الوجدان الرقيق، الذي يتأثر بالمعنى الدقيق، جعلوا كل همهم التقليد في الاشارات والمعبارات والكلمات كما بين ذلك حجة الاسلام وصاحب العوارف وغيرهما من متصوفة أقرون الواسطي فما بالك بأهل الطريق في عصرنا هذا . قال الامام الغزالي في بيان أصناف المتفرين من الاحياء

(الصنف الثالث) المتصوفة وما أغلب الفرور عليهم والمتفرون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزني والهيأة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زهمهم وهياتهم وفي العاظمهم وفي

آدابهم ومراسيمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كلمة فكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشائيل والهيآت. فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب ونظهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجليية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحرموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها بل ينكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقيير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهبما خالفه في شيء من غرضه وهو لاء غرورهم ظاهر» ثم ضرب لهم مثل العجوز تلبس لباس الشجمان وتبرز الى الميدان ثم ذكر فرقة المتشبهين بهم في الزي وقال بعد ذلك:

(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالأسامي والألفاظ الا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك أعلى من علم الأواين والآخريين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء فضلاً عن العوام حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياماً معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد أنهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجورون ، ويدعي لنفسه أنه الواصل الى الحق وأنه من المقرين ، وهو عند الله من الفجار المناقين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين ، ولم يحكم قط علماً ولم يهذب خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه :

(ثم قال بعد ذكر الفرقة التي وقعت في الاباحة)

(وفرقة أخرى) جاوزت حد هولاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال

واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتنا (فمنهم) من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه والله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم أنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إثارة هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب : الخ ما ذكره في ذلك

أقول إذا تدبر السائل هذا القليل من كثير ما كتب أئمة هذا الشأن في ذلك علم أن المسؤل عنهم لم يبلغوا في التصوف بعض مدي هؤلاء الذين أثبت الامام الغزالي غرورهم . وليعلم أن الوجد وما يتبعه من مثل الزعقات ببعض الناس إنما يكون بعد الحب والحب لا يكون إلا بعد المعرفة والمعرفة بالله لا تكون إلا بالعلم بما جاء في كتابه وما مضت به سنة نبيه مع الأذعان والعمل النفسي والبدني هذه هي طريقة الصوفية ومن علامة الصادق فيها أن لا يدعيها ولا يدافع عن نفسه إذا أنكر عليه لاسيما إذا كان الانكار انتصارا للدين وحماية للشرع فكل مدع كذاب وقد دخلنا في هذه الأمور وجربناها وكنا نذكر الذكر الباطن مع النقشبندية ومنهم من كان يزعم وكذب أقدم ولكنني علمت أن كل ذلك من وسائل الشهرة الباطلة ولو شاء هؤلاء أن لا يزعموا لما زعموا ومن تائب منهم قد اعترف بما كان اقترف والله الموفق (المسألة الخامسة الغيبة ومشاهدة الأرواح) قد شرحنا حقيقة مسألة رتبة الأرواح التي عدوها من أعظم الكرامات في المجلد السادس فلا نعيدها وإنما نقول أن المدعين كاذبون مراون باغون للشهرة وأن دعاويهم هذه إن صحت لا تكون من الدين في شيء إذ لم يرد بها كتاب ولا سنة ومن أكثر من تدكُّر ميت وتخيله يوشك أن يتمثل له وليس ذلك بأمر كبير . ومن علامة كذب المدعي في دعواه أن يكون في حضوره وغيبته وصحوه وسكرته تابعا للإشارة من الخليفة بيديها أو كلمة يقولها وجملة القول أن ما حكيم عن هذه الفرقة مما تصان عنه المساجد فإن صدقوا في دعوى التصوف فليهم أن يخضعوا لآداب الشرع ويصدقوا في الاتباع من

غير انتصار لأفئدتهم وان أبوا كان على المستطوع ان يمنعهم من كل فعل في المسجد يشوش على المصلين ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة ولو استعان على ذلك بقوة الحكومة والله أعلم وأحكم

غيبية العلماء . والعالم الذي لا يعمل بعلمه

(س ٢١) مستفيد من (سنا فوره)

ما يقول المنار المنير في رجل أطرى عالما بسمعة اطلاعه وجوده مدركه ونحو ذلك فقال آخر حسدا لذلك العالم وجهلا منه بحقيقة العلم دعني من علم أولئك الناس الذين ظهروا اليوم وفسق وكذب . . . - الى ان استشهد بيت ابن رسلان :
وعالم بعلمه لم يعان
معذب من قبل عابد الوثن
فقال له المطري مهلا فانك تعلم ان الغيبة حرام فاليت يصدق عليك فانك
تعمل بعلمك فكيف الحكم في ذلك المفتاب الخ

(ج) تحريم الغيبة معلوم من الدين بالضرورة للنهي عنها في القرآن وتبشيع حال أهلها وغيبية العلماء أشد الغيبة ضررا لأنها تنفي الى تفسير الجاهلين عن الاستفادة منهم وذلك صد عن سبيل الله ثم ان في قول ذلك الطاعن في العلماء جراءة أخرى وهي انه يحكم في أمر من علم الغيب بيت من الشعر وذلك من القول على الله تعالى بغير علم وهو محرم بنص القرآن بل ذكر نحره مقررنا بتحريم الشرك بالله . وقد قيل ان معنى البيت أصلا في الحديث لكن الطاعن لم يعرفه اذ لو عرفه لاحتج به لا بقول من لا حجة في كلامه . روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا « ان أول الناس يقضي عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت : قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار -
رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال انك عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار - ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله

فأتى به فعرفه نعمة فعرفها فقال فما علمت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا أنفقت فيها ذلك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم أتى في النار» فمن هذا الحديث أخذوا ان هؤلاء الثلاثة أول من يحاسب ويمذّب ولكن ما يدرينا ان الاولية بالنسبة الى المسلمين لا الى المشركين وعباد الاوثان أو ان افضل ليس على بابيه . ثم ان الحديث في العالم المراثي لاني تارك العمل بعلمه فهذا الحكم غير صواب وان اشتهر وثاقه المقلدون بالقبول . واذا جاز ان يعتاب العالم الذي يتهم بالرياء وبخاض في عرضه لاجل هذا الحديث جاز أيضا ان يعتاب الشهيد والمحسن والمنفق في سبيل الله وهؤلاء خيار الناس وخيرهم العالم الملم بما معنى تحريم الغيبة اذا حازت غيبتهم ؟ الرياء أمر خفي لا يجوز أن نحكم به على عالم ولا جاهل نعم ان مؤاخذه العالم بتحريم الشيء اذا هو فعله أشد من مؤاخذه من يفعل الذنب جاهلا بكونه ذنبا من حيث الجراءة على الله ولكن المذنب الجاهل يؤخذ على الذنب وعلى الجهل معا فان الجهل ليس بعذر الا ما يكون في دقائق الشبهات وخفيات الاحكام . ومن الاحاديث التي تلوكتها السنة كثير من العامة فتجربهم على إهانة العلماء حديث « ويل للجاهل مرة وويل للعالم ألف مرة » ولا أعرف له أصلا وما أراه الا من وضع المتأخرين وقد روى سعيد بن منصور عن جبلة مرسل « ويل لمن لا يعلم ولو شاء لعلم واحد من الويل وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع من الويل » وهو على ارساله لا يصح وعبارته تدل على أنه ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث حذيفة « ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن علم ثم لا يعمل » وهو ضعيف وان كان معناه صحيحا

﴿ اختيار مسجد للصلاة أو الصلاة بأجرة ﴾

(ص ٢٣) ع ٤٠٤ ع بسنننا فوره

سيدي : في (جوهر) الاسلامية مسجد يصلون فيه الجمعة فقط ويكون في نواتر الأيام مهجورا لا يصلون فيه الا خدمته وفي شهر رمضان من السنة الماضية طلب أحد وزراء تلك البلاد من أهل البلد ان يصلوا فيه صلاة العشاء والتراويح وجعل

لكل من واطب على ذلك مدة الشهر كله ستقر بالآت وللإمام ثلاثين رياء فأجاب
 طلبه جم غفير من مدعي العلم وأنكر هذه الصلاة واحد قال أنها غير صحيحة
 ولم يجوز أخذ الدرام بل قال ان هذا هو الشرك في العبادة . والحقير من جملة
 الذين حضروا هذه الصلاة ولم يأخذ الأجرة وقد جعلني المنكر في جملة
 من أشركوا فهل قوله صحيح أم لا فأحكم ياسيدي فأنت الحكم الذي ترضى
 حكومته والسلام .

(ج) ان من صلى لأجل أخذ الجعل بحيث لو لم يكن هناك جعل لما صلى
 بالمرة فلا شك أن صلاته غير صحيحة وأخذه لئال عليها غير جائز ومن سمى ذلك
 شركا في العبادة فقد أعطى هذه الصلاة أكثر من حقها إذ لا شيء فيها لله في الحقيقة
 وإنما الشرك أن يقصد مع الله غيره فمن قصد بالصلاة الأعرين معا - الثواب
 والمال - فهو المشرك في هذه العبادة ومثله من قصد مرضاة الوزير والتقرب اليه . ومن لم
 يقصد المال بالمرة ولم يأخذه ولا رياء الوزير أو مرضاته وإنما صلى في ذلك المسجد
 بعد نداء الوزير بالجعل لأن الجماعة قامت في المسجد فصار قصده اليه كقصده
 الى غيره فلا يعد مشركا ولا مرائيا ولا يكون آثما

وقد اختلف العلماء فيمن يقصد بعمله الثواب والرياء معا أيثاب على قصد الثواب
 بقدره ويثاقب على قصد الرياء بقدره أم يستحق العقاب دون الثواب ؟ قال الغزالي
 بالأول محتجا بقوله تعالى ٧:٩٩ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٨ ومن يعمل
 مثقال ذرة شرا يره) وقال العز بن عبد السلام بالثاني محتجا بالاحاديث الصريحة
 في ذلك كحديث مسلم وابن ماجه « قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك
 من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه - اذا كان يوم القيامة أتى
 بصحف محتمة فنصب بين يدي الله عز وجل فيقول للملائكة اقبوا هذا وانفوا هذا
 فتقول الملائكة وعز ذلك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لفسيري ولا أقبل
 الا ما ابتغي به وجهي » أقول وما ابتغي به غير وجهه تعالى قسان ما ابتغي به
 المال وما ابتغي به الجاه كما يستفاد من قوله تعالى (٩:٧٦) انما نطمعكم لوجه الله
 لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

وفي مسألة المسجد المشؤل عنه دقيقة وهي أن الجزاء فيها على كون الصلاة فيه لا على الصلاة نفسها فمن كان يصلي لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا على صلاته ولو لم يصل في ذلك المسجد لصلى في غيره قطعا ولكنه اختاره لاجل الجزاء الذي ذكره الوزير كانت صلاته صحيحة خالصة لله وينحصر السؤال في قصده الى المسجد وهو عبادة أخرى وقد علم حكم ذلك والله أعلم

(الذئيب الفاسق وإذهاب الرجس عن أهل البيت)

(س ٢٤) الشيخ عبد الله الحضري في سنننا فوره

ماخص السؤال أن رجلا فاسقا يدعي أنه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر من فسقه ما يتنزه المنار عن نشره وقال إذا سلمنا بدعواه فما معنى قوله عز وجل (٣٣: ٢٢) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (ج) اعلم أن بعض الناس قد تكلموا في هذه الآية بالرأي فرحموا أن المراد بالبيت جميع ذرية فاطمة عليها السلام والرضوان ما تناسلوا وان ارادة الله تعالى هي مشيئة المطلقة التي بها الخلق والتكوين ومن ثم بحثوا في عصمة الشرفاء أو حفظهم من الذنوب فقال بعضهم ان معاصيهم صورية لاحتمالية فيجب تأويلها كالمعاصي التي نسبت الى بعض الانبياء وبهذا قال بعض الصوفية - وبحث ابن حجر الفقيه في ذلك بأنه مخالف للمشاهدة واختار هو حفظهم من الكفردون المعاصي وقال انه يكاد يقطع بذلك . وقال بعضهم انها خاصة بعلي وفاطمة وولديهما ولهم في هذا روايات وبعضهم انها تشمل معهم بقية الائمة الاثني عشر فهم المعصومون والحق الذي لا محيد عنه الا الى الهوى أن المراد بالبيت في الآية بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يسكنه وهو جنس والمراد باهله هو ونسأوه وذكور ضمير الجمع المذكور تعليقا للاشرف ايذانا بان العناية به ثم بين تعالىه أو رعاية للفظ الاهل والعرب تستعمله ومنه (٧: ٢٧) اذ قال موسى لاهله اني آنست ناراسا تيكم منها بقبس (وقوله ٢٩: ٢٨) قال لأهله امكثوا) ونحو هذه الآية قوله تعالى (٧٣: ١١) قالوا أنعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) والخطاب لامرأة ابراهيم عليه السلام هذا ما يقتضيه السياق ويترأى من كل ما يخالفه فان العبارة جاءت في

آية مطبوعة على عدة آيات فينب بالنص الذي لا يحتمل التأويل . والمراد بالإرادة فيها ما يقصد ويراد من شرع تلك الاحكام الخاصة بهن لا ارادة الخلق والتكوين ابتداء فقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الخ هو كقوله عز وجل في آخر آية الوضوء والنسل والتيمم من سورة المائدة (٦:٥) ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم (تشكرون) وقوله بعد ذكر احكام الصيام وما فيها من الرخصة (١٨٥:٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) كل ذلك بيان لحكمته تعالى في تلك الاحكام ، وما فيها من الفائدة الأنام، اذا هم عملوا بها لا يفهم منها ارادة الخلق والتكوين ابتداء . وقد سألتني عن هذه الآية الأخيرة الشيخ التميمي مفني الخليل عند زيارتي له ببلده في عاشر المحرم سنة إحدى عشرة وثلاث مئة وألف قال رحمه الله ان الله تعالى نفي ارادة العسر بنا واثبت ارادة اليسر وما يريد الله تعالى لا بد من وقوعه وما لا يريد يستحيل ان يقع وانما يرى العسر قد يقع كثيرا فيذهب باليسر فأجبت على البدهة بمثل ما تقدم آتفا ولم أكن رأيت لأحد وانما هو بديهي في نفسه

من فهم هذا ولا يحمل الآية سواه الا بتحر يفها عن موضعها علم ان ماورد من الروايات في تخصيصها بفاطمة وعلي وولديهما ما يتبرأ منه سياق الآية اذ يصير معنى الآيات يا نساء النبي لا تفعلن كذا ومن يفعلن كذا فجزاؤه مضاعف ضعفين يا نساء النبي أفعلن كذا وكذا ان الله لا يريد بهذه الأوامر والنواهي الا إذهب الرجس عن علي وزوجه وولديه وتطهيرهم من كل ما يفضي الى اللائمة تطهيرا كاملا . وان رواية تفضي الى هذا ما يقطع بطلانها وان صحح بعض المحدثين سندها بل أقول انه لا معنى لإدخالهم في عموم الآية فضلا عن تخصيصها بهم ولا مزية في ذلك لهم وهم غير مخاطبين بتلك الاحكام التي شرعت لاجل اذهب الرجس بالعمل بها وانما كان يكون في ذلك مزية لو كانت الإرادة للتكوين وكان الاخبار بها ابتدائيا غير معلق بشيء

أقول هذا وانا علوي فاطمي حسيني الاب حسني الأم عالم بالأخبار والآثار الواردة في ذلك وأفضل فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام على أزواجه أمهات

المؤمنين بآبائها بضعة منه لكن كتاب الله فوق كل شيء وحكمه فوق كل حكم وهو قد خص أزواج نبيه بأحكام فوسبها ممتازات على بنائه وعلى جميع النساء أو الناس وإن فضلهن بهن الناس بمزية أو مزايا أخرى كما يفضل أبو بكر وعمر عائشة وحفصة. وإني لأعجب أشد العجب كيف عظم افتتان الناس بالرواية في الصدر الأول وإن كانت مخالفة لصریح القرآن حتى قال من قال في هذه الآية إنها خاصة بأهل الكساء أو عامة لبني هاشم وبنی المطلب لحديث الترمذي والحاكم في الأول وحديث الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعیم في الثاني ولا يصح في ذلك شيء خلافاً للترمذي والحاكم والله در عكرمة إذ كان يقول من شاء باهله أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما كان يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن أبي حاتم وابن عساکر. وروى ابن جرير أن عكرمة كان ينادي في السوق أن قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم: ولا يحتاج إلى شيء من الروايات في فهم الآية فإنها في سياقها لا تتحمل غير ما قلنا كما هو ظاهر لكل قارىء له معرفة باللفظة. وقد علمت أن الآية لا تدل على عصمة أهل البيت وإنما معناها أن الله تعالى شرع لمن تلك الأحكام التي منها أن جزاءهن على الفاحشة وعلى الطاعة يضاعف ضعفين لأجل اذهاب الرجس عنهن وتطهيرهن تطهيراً إذا هن امتثلن وأطمن الله ورسوله ولا معنى لو عيد المعصوم من الذنب بمضاعفة عذابه عليه. فإذا فرضنا أن ذرية فاطمة داخلة في أهل البيت هنا لم يكن معنى ذلك أن يستحيل عليهم الفسق فإذا هم كفبرهم من البشر فيما يجوز عليهم ويمتنع وهو ما تؤيده المشاهدة التي لا مكابرة فيها فإن لم تقل بهذا كنا بين أمرين تكذيب الحس أو قذف الكثيرين من الشرفاء بأنهم أولاد زنا والأول جنون والثاني حرام

﴿العمل بالبيع والشراء وغيرها بالعمولة العرفية﴾

(س ٢٥) السيد حسن بن علوي شهاب من علماء العرب بسنغا فوره :

ما قول المنار فيما هو الجاري الآن بين المسلمين - يبعث أحدهم إلى آخر

بمروض تجارة فيأمره ببيعها بقيمة الوقت هناك أو بدراهم ليشتري لها عروض

تجارة. وكذلك الوصي يبيع مال موصيه والوكيل يقبض لموكله ثلثة عقارة ويجري كل منهم لنفسه معلوما في مقابل عمله خسا في المثة أو أقل أو أكثر فويل ما يأخذونه جائز لهم شرعا؟ ان قلتم لا فواضح وان قلتم نعم فما وجه ذلك المأخوذ في الشرع لانا نرى أنهم انما يعملون مجانا كما هو مقرر في محله . أفيدونا بآرك الله فيكم ولكم آمين

(ج) قال الله تعالى في أول سورة المائدة (١:٥) يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فكل ما يتعاقد عليه المسلمون يجب عليهم الوفاء به الا اذا كان على معصية كالا ستجار على الزنا مثلا فاذا اتفق تاجران على ان يبيع أحدهما أو كل منهما للآخر ما يرسله اليه من العروض ويشترى له بثمنه أو بمال آخر عروضاً معينة بالجنس أو النوع أو غير ذلك من أنواع التعيين كما هو المتعارف ويأخذ على المبيع والمشتري اجرا يقدر بنسبة قيمته كخمس في المثة كان هذا الاتفاق عقدا صحيحا يجب الوفاء به لانه لم يحل حراما ولم يحرم حلالا

فان قيل إن هذه الاجرة مجهولة بشرط في الاجرة أن تكون معلومة وغير متوقفة على العمل كما قال كثير من الفقهاء (نقول) بل هي معلومة معينة فان البائع والمشتري لغيره يعرف عند الاتفاق أجر عمله في الجملة وعند تعيين الثمن قبل عقد البيع أو الشراء ما يستحقه بالتفصيل وهذه الاجرة لا تتوقف على العمل ككون اجرة الطحن من الطحين . على أننا نقول إن ما يشترطه الفقهاء في العقود مما لم يرد به نص عن الشارع وإنما يدل بالمصلحة يمكن ان تختلف فيه المصلحة باختلاف الزمان والمكان فعلى الفقهاء ليست دينا يتعبد بانباعه سواء قامت به المصلحة أو ترتبت عليه مفسدة ولا شك ان التجارة قد دخلت في طور يتعسر معه النجاح مع التزام جميع أقوال فقهاء أي مذهب من المذاهب . واذا تمسكنا بأصول الاباحة والبراءة والمحافظة على ما أحله الله وحرمه ولم نزد في عقودنا شروطا ليست في كتاب الله تعالى فانه يمكننا ان نسابق جميع الامم في الاعمال المالية وتنمية الثروة التي عليها مدار قوة الامة وعزة الملة في هذا العصر

فان قيل ورد في حديث أبي سعيد عند الدار قطني والبيهقي «نهى عن عسب

الفحل وعن قفيز الطحان « وفسروا قفيز الطحان بطحن الحب بجزء منه مطحونا واستنبطوا من ذلك أنه لا يجوز أن تكون الاجرة بعض المعمول بهذا العمل كما قال الأئمة الثلاثة دون أحمد، وفي حديثه عند أحمد وغيره « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره » ومنه أخذ الشافعي وأبو حنيفة وجوب كون الاجرة معلومة خلافاً للمالك وأحمد فاتفقا حكماً العرف في ذلك فما تقول في

الشروط المأخوذة من هذين الحديثين

والجواب ان أمثال هذه الروايات ينظر في سندها ثم في معناها وعلّة الحكم فيها . فاما حديث أبي سعيد الاول ففي اسناده هشام أبو كليب قال ابن القطان لا يعرف وزاد الذهبي ان حديثه منكر ووثقه مغلطاي وابن حبان والجرح مقدم على التعديل . ثم ان ما فسروا به قفيز الطحان غير متفق عليه بل قل بعضهم انه قفيز كان يؤخذ زائداً على الاجرة وهذا هو التبادر وهو المعبود في بلادنا فنهى عنه لانه من الباطل الذي لا مقابل له في العمل وإنما هو من قبيل ما يسمى الآن بالبخشيش . واما حديثه الآخر فرجال أحمد في سنده رجال الصحيح الا ان ابراهيم النخعي رواه عن أبي سعيد لم يسمع من أبي سعيد كما قال في جمع الزوائد ذكره أبو داود في المراسيل والنسائي غير مرفوع وفي بعض المأخذ « من استأجرته » فهو على الخلاف في الاحتجاج بمثله لا ينافي ان يكون بيان الاجرة أو تسميتها بكونها جزءاً من كذا جزءاً مما يبيعه أو يشتره أو يحصله فانه بذلك يكون على بصيرة لا يتطرق اليها الفهم والمش . ولا يعرف حديثاً غير هذين الحديثين يمكن ان يستدل به على تحريم أخذ كذا في المنه ما يباع أو يشتري أو يحصل اجرة أو عمولة وهو لا يدلان على ذلك . واللوصي حكمة فيما عوقد عليه

نعم اذا جرى العرف بين التجار أو غيرهم بأن عمل كذا لا يؤخذ عليه شيء وأراد من عمله أن يأخذ عليه أجراً أو عمولة من غير عقد يستحق به ذلك ولا عرف يبيزه له فانه لا يجوز له أخذه واذا أخذه بدون علم صاحب المال كان سارقاً . ولا أدري أهذا ما يريد السائل بقوله « لانا نرى أنهم إنما يعملون مجاناً » أم يريد أنه يجب أن تكون هذه الاعمال مجاناً وقد علمت ما اتمتد في الامرين والله أعلم وأحكم

(تقبيل أيدي الشرفاء وغيرهم)

(س ٢٧) مستفيد من سنننا فوراً

ما يقول المنار المنير في تقبيل اليد فإني أرى سادات اليمن وحضرموت المنتسبين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينكرون على من لم يقبل أيديهم ويزعمون أنهم مستحقون لتقبيل اليد فهل لهذا أصل في السنة أفيدونا

(ج) ان زعموا ان هذا حق شرعي لهم ثبت في السنة فمن ترك تقبيل أيديهم يكون مخالفاً للسنة ومرتكباً محرماً أو مكروهاً فقد زادوا في شريعة الله ما ليس منها وهذا من أعظم الكبائر وان كانوا يريدون أنه قد استحسن في الآداب العادية ان تقبل أيديهم فصارت ترك بعض الناس لذلك في بلاد جرت عاداتها به لا يخلو من إثم بل بدم الاحترام فالامر سهل . والسنة في التحية السلام والمصافحة أقول هذا وأنا أعلم بما قال النووي في ذلك والسنة الصحيحة تعرف بعمل الناس في الصدر الاول ونقل ذلك ولا يكتفى فيها بحديث الآحاد اذ لا يمكن ان يشرع شيء لا يعمل به أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين ولا يمكن ان يعمل المسلمون به ويبقى مجهولاً لا يعرفه الا الآحاد من المتأخرين . وقد قال صاحب المدخل عند ذكر تقبيل اليد بدل المصافحة ما نصه «وقد وقع انكار العلماء لذلك فان كان القبل يده عالماً أو صالحاً أوهما مما فأنكره مالك في المشهور عنه وأجازه غيره وأما تقبيل يد غير هذين فلا يعرف أحد يقول بجوازه لاسيما اذا انضاف إلى ذلك ان يكون القبل يده ظالماً أو بدعياً أو ممن يريد تقبيل يده ويخاره فهو الداء العضال الواقع بالفاعل والمفعول به . ومن أعجبه ذلك منهما لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد فعوذ بالله من المخالفة وترك الامتثال كل هذا سببه ترك السنة أو التهاون بشيء منها»

فأنت ترى انه قد شدد في المسألة جداً لأنه عدوها بدعة دينية وله الحق في التشديد

في ذلك اذا فعل التقبيل على انه مطلوب شرعاً وترتب عليه مفسدة كإعانة المتبذعين والظالمين على بدعتهم وظلمهم . وأما ما يفعله بمقتضى المادة لا باسم الدين فهو مباح الا اذا ترتب عليه مفسدة ومنها أن يعتقد انه من الدين كما يزعم عادة حضرموت

باب التربية والتعليم في روسيا

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً في هذا الموضوع وكان موسى أفندي عبد الله أحد مجاوري الروس في الأزهر ترجم لنا مقالة من جريدة (وقت) الروسية التي تصدر في أورنبورغ كتبت بقلم رجل من أعقل المسلمين وأفضلهم في روسيا فضاقت ذلك الجزء عن نشرها فقرأنا نشرها هنا لما فيها من الفائدة وهي

﴿ المدارس وطلبة العلوم ﴾

ظهرت بيننا في هذه الأيام مشكلة اصلاح المدارس . مشكلة خاضت فيها الجرائد وتحديث بها الناس في كل مجتمع وكتب فيها ما كتب من المقالات والرسائل وكثر فيها القيل والقال، وطال أمد النزاع والجدال، الى ان سئم البعض من المقال، بيد انا مع هذه الافاضة في الكلام ماخطونا الى الامام الاخطوة واحدة والمقصد شاسع لا ينال الا بعد قطع مسافة طويلة

المسئلة مهمة وجديرة بأن نعي بها لان حياة الامم وبقاؤها انما يكونان بالمدارس التي هي روح الامم ومدار سمادتها وارتقاؤها في العلوم والمعارف . ولا يحصل الارتقاء في العلوم الا بالتدريج . وكم من أمة وضمت أساساً للعلم والمدنية ثم انقرضت وورثتها أمة اخرى وبنيت على انقاض ما تركت الاولى وأكملت نواقصها ثم ودعت الدنيا خلفتها نائمة ونظرت في ما تركته من الآثار وزادت عليها وظفرت بما لم يخطر ببال الثانية وهكذا الى ان بلغت العلوم والحضارة ما نراه اليوم من الرقي والكمال !

ووظيفة كل أمة في كل عصر هي ان تكمل ماورثته من الآباء وتتركه للأبناء واذا أهملت أمة هذه الوظيفة فقد جنت جناية لا تغفر على اخلاقها بل على النوع

البشري بأسره

واذا أجلنا الطرف في مدارسنا ترى الفوضى سائدة في أركانها : لان نظام

ولا ترتيب ولا نظارة ولا محاسبة كاتمة بيت طرحت الى الشارع وقت الحريق !
ومن اراد ان يكتب شيئاً فيما يتعلق بها يحار في اختيار نقطة يتبدى منها . فليس
اصلاح هذه المدارس وتنظيم دروسها أمراً هيناً بل هو أمر في غاية الصعوبة
ولكن الأمة اذا تصدت لهذا الأمر بجد واخلاص ذلته مهما كان صعباً اذا لا يوجد
في الدنيا شيء أشد قوة من أمة متحدة افرادها وملتزمة اعضاؤها . وما من غاية
قاصية الا وادركتها الأمة المتحدة وما من مسلك وعرا الا وعبرته الأمة المتحدة
والمسائل التي تتعلق بمدارسنا كثيرة لا تحصى ومضمارها واسع جداً لا نهاية
له . فلا خير في التحير في اختيار نقطة الكلام فأقول :

هل تقتقر مدارسنا الى الاصلاح ؟

ان مسألة اصلاح المدارس مسألة جديدة بيننا . اذا رجعنا البصر الى
ما وراءنا قبل عشرين سنة لم نثر على أفكار مكتوبة تتعلق بالمدارس الا قليلاً
واذ كان هذا القليل لم يطبع ولم ينتشر بين الأمة لم يكن له أثر بالمره . ولكن
الفرق عظيم بين ذلك الزمان وبين اليوم . فانه لا يكاد يوجد اليوم من لا يبحث
عن أحوال المدارس وطلبة العلوم . وان كان بعضنا ينكر اصلاح المدارس ويحرم
تنظيم الدروس ويدعي ان وراء اصلاح المدارس ضرراً جسيماً يرجع الى الأمة
بالخسار فهو لا المنكرون لا يزالون يتباحثون مع غيرهم في شأن المدارس والطلبة . والبحث
عن شيء ولو بانكار الحقيقة خير من إهمال البحث لان الناس لا يهتدون الى الحق
الا بعد نزاع وجدال وبحث وتنقيب والبحث يجلو الحقيقة ويطلم الكثيرين على مواضع
خطأهم وينقذهم من النيه في غمرات الضلال .

انا أصلحنا بيوتنا التي نسكنها والعربات التي نركبها وحوانيتنا التي نتجرف فيها
ومزارعنا التي نحرثها ، والاحذية التي نخدمها ، والاردية والفراء التي نلبسها بل
وأوراقنا التي نطبع عليها كتبنا وقرآنا ، وحروف مطابعتنا وغيرها أفلاتكون ديار
التربية والتعليم والمدارس والمكاتب التي يربي فيها رجال المستقبل وقادة الأمة
مفتقرة الى الاصلاح ؟

كل من تعلم في مدارسنا يكون إما مدرساً في مدرسة أو معلماً في مكتب أو

اماماً وخطيباً في مسجد أو عالماً ذات نفوذ عظيم في الأمة أروثيسا ليت من البيوت !
ولا أرى أن وجوب اتصاف هؤلاء بالفضائل الجمّة وتخلّصهم بالأخلاق الفاضلة

يحتاج في اثباته الى دليل !

وإذا لم يكن المعلم والمدرس والامام والخطيب مثالا في الاخلاق الفاضلة
والآداب فلا يرجي منهم خير للأمة قطعا . وليست وظائف من يكون زوجها لامرأة
أقل من وظائف من يكون معلما في مكتب . لان رئيس العائلة معلم في عائلته
كيف ندعي عدم افتقار مدارسنا الى الاصلاح ولا يدرس فيها «علم التربية»
وعلم الاخلاق وعلم السياسة والاجتماع . مع أن هذه العلوم لا بد منها لكل من
يرشح للتدريس ، أو التعليم ، والخطابة ، أو الكتابة !

أم كيف تحسب المدارس التي لا تسع طلبتها فضيلة من الفضائل الانسانية
ولا تدري ماهي الفلسفة الدينية معمورة غير منقورة الى الاصلاح؟ وكيف ترجى الخدمة
للمسلمين من طلبة هذه المدارس؟

كل ما يدرس في مدارسنا عبارة عن عدة حواشٍ وشروح و بضعة كتب من
علم الكلام ألفت بعد ابتلاء المسلمين بالخلاف والجدل . اتكفينا هذه الدروس في
هذا الزمان ؟

إذا قال لنا الذين يصدقون أقوال الكهان ويحكمون بما في كتب الطلامس
والجفر ويحرمون ركوب السكة الحديدية ، ويمتنعون من السفر تطيرا بحيوان
مخصوص : ان مدارسنا أفاضت العلوم منذ قرون ولا تبرح نقيض وستفيض بعد
الآن . والقارئون منا أكثر من قارئ الروس . لانهم عندنا خمسة وعشرون في المئة
وعند الروس لا يزيد عن عشرين في المئة على ان مدارسهم منتظمة ودروسها على نسق
جديد والحكومة تؤيدها بمبالغ طائلة فالذي يضطرننا الى اصلاح مدارسنا؟ قلنا لهم؛
كان الذين يقرءون في عهد آبائنا قليلين جدا في المدن فما بالك يا قري وما كان
المقصود من الكتابة يومئذ الا كتابة الكتب (الخطابات) وقراءتها أو كتابة أسماء
الموالي في سجل النفوس اذا كان القارىء اماما في مسجد . ولا شك ان هذه الحاجة
ساعة قليلة . وكانت مدارسنا في ذلك العهد تقضي هذه الحاجة . مضت الايام وتغيرت

لازمان وكثرت الحاجات ونجحت بين الامم المنافسة في الحياة، اوده تنازع البقاء، وكانت الغاية من التعلم في المدارس قبل اليوم بنصف قرن الالام بشيء من الدين وتعلم الكتابة. اما اليوم فقد صارت مدارس الامم الحية دور حياة تتخرج فيها اهداة الامة وقادتها. وهؤلاء القادة يقودون اقوامهم الى ما فيه صلاحهم وينسوقونهم الى مستقبل عظيم:

اذا بقي هدانا حيارى اذ تقود هداة الامم الاخرى اقوامهم الى مصالحهم فقد خسرنا خسرا مينا!

فلتكن مدارسنا بحيث تربي لنا هداة يقودون الامة ويكونون لماخير قدوة. وان كان هذا الامر مما كان يمد قبل اليوم بثلاث سنين خيالا صرفا فقد صارت الآن حقيقة جليلة كالشمس في وسط السماء.

هل كان يخطر ببالنا ان مسلمي الروس يضمنون نظاما في حاجاتهم الدينية والدينية ويرفونهم الى الحكومة وانهم يجتمعون في عواصم البلاد ويأتمرون في شؤونهم المختلفة كما رأينا اليوم باعيننا؟ فلاغرو اذا رأينا بهذا وكلاء المسلمين يجلسون متكاتفين مع وكلاء الامم الاخرى في مجالس عالية. وبالجملة انا نضطر بعد اليوم الى ان نمش مع أهل وطننا المتقدمين في العلوم مشركين في المصالح. واذا لم نستطع ان نمشي معهم داسونا باقدامهم وبقينا اذلاء صاغرين.

ليست الغاية اليوم من التعلم في المدارس هي تعلم الكتابة فقط بل الغاية كما كنا سابقا هو ان يتخرج فيها رجال يكونون ائمة للامة.

المعلمون من الروس اكثرهم يعملون أعمالا نهار فيها عقولنا وأما المعلمون منا فلا يقدر أحدهم على ان يتكلم بالعربية الفصحى بعد ان يكون أضع جل عمره في تعلم لسان العرب الذي يحتاج اليه كل عالم اسلامي ديني. أيها الاخوان! نحن في احتياج شديد الى مدارس منظمة تهيب لنا رجالا تحفظ امتنا من الزلازل والزجاجع، والامواج والزوابع، ومن أنكر هذا فقد أنكر ما أثبتته البرهان والعيان.

(رضاء الدين بن فخر الدين)

(المنار) ان لنا رجاء كبيراً بمسلمي روسيا لا يزلله ما نسعه عن جهود الكثيرين

من أساتذتهم وشيوخهم ونفورهم من الإصلاح الذي قضت به ضرورات الزمان
فإن طلاب الإصلاح كثيرون وهم الغالبون حتماً ولو بعد حين . ولعلنا نعود الى
الموضوع ونذكر ما يصل إلينا عن مؤتمري التلاميذ الذي عقدوه في قران وبعض ما أراه
واجباً في إصلاح تلك المدارس

أشرك على السيد

التقريظ

﴿الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة﴾

كتاب وجيز للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي الشهير بين فيه شعب الإيمان
الواردة في الحديث بحسب فهمه وهذا الكتاب أحسن ما أطلعنا عليه من كتبه
فقد تصفحنا منه أوراقاً متفرقة فرأينا كلاماً معتدلاً ينفع العامة وقلما ينكر الخاصة
منه شيئاً ضاراً بعد منفرداً به بإثباته رؤية كثير من الناس للجن قد تبع فيه كثيراً من
المؤلفين وهو مما ينكره الخاصة ويعدون اشاعته ضارة وقد سبق للمنار دليل ذلك .
وأما ما ينكرونه أو ينتقدونه عليه مما انفرد به فلم أرفيه ما يضر القارىء مثاله قوله
«والعلم بالله على ثلاثة أقسام الأوامر الشرعية والنواهي الشرعية والمباحات الدنيوية
ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية— فعلم الأمر هو علم الفرائض والسنن
والفضائل وعلم النهي هو علم الحلال والكراهة والتنزيه وعلم المباحات هو العلم بالدنيا
وأهلها وكيفية آداب المخالطة واكتساب المعيشة وصيانة المجد وحفظ حقوق المقادير
وأبهة الحياة المجتمعة وهذه الأقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع . وأما
مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا تحتاج الى
اكتساب . وبعد هذا فالهدى هو العلم لا يستغني القلب عن العلم طريقة عين
والعقل أيضاً محتاج الى العلم النبوي لا يستغني عنه بنفسه أنا أبداً وكل علم مدّ شرعاه
في الآكوان نفتق رتقه بهمم الأنبياء وباشرته العقول فسلكت فيه فجاءا»
فالعامي يفهم من هذا الكلام أنه يطالب بالعلم الديني والدنيوي والخاصي لا يقول

ان فيه شيئاً ضاراً بعقيدة القاري، أو آدابه وإنما ينكر هذا التقسيم وهذا البيان للأقسام - ينكر على المؤلف أنه قال إن الأقسام ثلاثة وسرد أكثر من ثلاثة معطوفاً بعضها على بعض، ينكر عليه أنه جعل كيفية الكسب وصيانة المجد والعلم بجميع المباحات من العلم بالله ولم يذكر أن من العلم بالله العلم بصفاته وأسمائه وسننه وحكمه في خلقه وإنما العلم بالله في الحقيقة هو العلم بهذه الأشياء ولا يصح أن يسمى غير ذلك علماً بالله إلا بتأويل. فان قيل انه طوى هذا في العلم بالاوامر أي بالفرائض والسنن - وهو مالا يتبادر من لفظها - يقول المنكر ان سلمنا ان هذا مما يفهم منها فإنا ننكر على المؤلف سكوته عن أهم أركان العلم بالله ونطقه بما لا يعد من أركانه أو لا يعد منه الا بتكلف من التأويل

- وينكر عليه قوله ان المباحات تتعلم من الشرع وطرقها السمع بأنه لا حاجة الى ان تتعلم المباحات تعلماً ولا تتوقف معرفتها على السمع فإنها هي الاصل وإنما يتعلم من الشرع القسمان الاولان - الاوامر والنواهي - فيعلم ان ماسواها مباح على الاصل فما سكت عنه الشرع فلم يأمر به ولم ينه عنه فهو مباح وفي الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم «أتم أعلم بأمر دينكم» - وينكر عليه قوله في مدارك الحواس والعلوم الضرورية وسكوته عن العلوم النظرية ولا حاجة لشرح ذلك ولا لبيان سائر ما ينتقد في تلك الجملة. وما ينكر عليه من هذا القبيل ترتيب الشعب وخلط مسائل الايمان منها ومسائل الاسلام ومسائل الاحسان بعضها ببعض. ان اريد الا بيان ان ما ينكر على هذا الكتاب لا يكاد يتجاوز حسن البيان وتحرير المسائل الى كون ما كتبه ضاراً بمقائد القارئ أو آدابه كما يوجد في كثير من الكتب فالكتاب اذاً نافع

وقد أعجبنى ما ذكره في شعبة الزكاة وهو «واذا تدبر اللبيب يرى أن الوجود كله يتمدد لله بالزكاة عملاً بشريعة الإسلام - هذه الارض التي هي أقرب الاشياء اليها تعطي جميع زكاتها من منافعها ونباتها ولا تبخل على من على ظهرها بشيء مما عندها في فصول العام وكذلك النبات والاشجار والحيوان والبحر والسموات والافلاك والشمس والقمر والنجوم الكل لا يدخر شيئاً من منافع جوهره يتسه

وفوائد مادته متعاقبات بعضها مع البعض في طاعة الله فإنا الزكاة مخائف لجميع الموجودات بل وللأرضين والسموات ولذلك وجب شرعا قتاله وقهره واجباره على ايتاء الزكاة فتدبر سر هذا الحكم وحكمته يظهر لك شي من جليل معاني الشريعة ففيها البلاغ اه وهو كلام ظاهر شعري وباطنه فيه حقيقة دقيقة وباليت الموائف توصل الى السلطان بإلزام المسلمين باداء الزكاة لهله يجاب كما يجاب الى كثير من الامور الدنيوية التي يطلبها منه

وقد طبع الكتاب على ورق جيد وهو يطلب من مكتبة أمين أفندي هندية

(خلاصة السيرة المحمدية)

يجب على كل مسلم ان يعرف رسوله الذي هداه الله تعالى على يديه معرفة تفندي ايمانه به وتحمي حبه في قلبه وترغبه في الناسي به فقد قال تعالى في كتابه (٢١:٢٣) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة تتوقف على معرفة سيرة من تناسي به في أخلاقه وشماله وأعماله وسائر شؤونه . وقد كان يصعب على كل مسلم ان يقف على السيرة النبوية اذ لم يكن ألف فيها الا الكتب المطولة التي تيسر الاستفادة منها على غير العلماء . ومن محاسن هذا المصر أن ألفت فيه المختصرات السهلة في كثير من العلوم ومنها (خلاصة السيرة النبوية) للشيخ عطية محمد البشاري مدرس اللغة العربية في مدرسة المتقدين الاميرية . كتاب لا تبلغ صفحاته عقد المئة ولكنه جامع لاهم مسائل السيرة النبوية بالاختصار ، مع الاشارة الى شي من وجوه الاعتبار ، والمخلص سيرة الخلفاء الراشدين . فأصبح لجميع نظار المدارس الاهلية ان يجعلوه من أول دروس الدين ثم ينتقلون منه الى كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) وأتني لويم نشر هذين الكتابين ويقرآن للامامة في المدن والقري . ولو كنا عارفين بطرق النشر لادررنا بعض ماتسني من مثل ذلك . هذا ما ترى التنويه به نافعا بالاجال ولا حاجة الى الكلام عن جزئياته بالتفصيل

(اعلام البعيد والقريب . بمجز من ظن انه رد على السؤال العجيب)

للشيخ أحمد المايحي الكتبي مناظرات مع دةاة النصرانية بمصر وردود

عليهم منظومة ومثورة ومنها (السؤال العجيب) وهو سؤال منظوم وجهه اليهم فنظم بعضهم ردًا عليه فعاد الشيخ أحمد الى ردّ الرد في كتاب منظوم منشور بلغت صفحاته ٦٨ والظاهر ان هذه الردود تتسلسل فلا تنقطع واذا كان الجدل مكروها وضارًا في الاجتماع فما يصح للمسلمين أن يفخروا به أنهم لا يتشدون ، واذا اعتدي عليهم ينتصرون فلا يُغلبون ،

﴿ كتاب الموسيقى الشرقي ﴾

يكثر المصنفون في هذه البلاد سنة بعد سنة ولكن يقلّ فيهم من يأتي بشيء مبتكر ، يعرف به المنكر ، أو محرّر ما ليس بمحرّر ، أو يجي به فنًا مات ، أو يقيم به رسالًا درس ، وقد أهدي اليها في هذه الايام كتاب (الموسيقى الشرقي) فاذا نحن بمؤلفه (كامل أفندي الخلمي) يحاول فيه احياء هذا الفن الجميل — فن الموسيقى — باللغة العربية بعد ان ذهبت به السنون ، وتناولت عليه القرون ، ولم يقدم على هذا الا بعد أن أخذ له أهفته ، وأعدّ له عدته ، بممارسة الفن علما وعملا على أيدي اساتذة العصر فيه كالرحوم الشيخ أحمد أبي خليل القباني الدمشقي استاذه الأول والشيخ عثمان الموصلي وغيرها ثم بمراجعة أدريس بك راغب الشهر — فجاء سفر احافل الري ، كامل الروي ، يدخل في مئتي صفحة كبيرة أو يزيد ، ذا طبع جميل ، على ورق صقيل ، وزين بصور أشهر الموسيقيين المعاصرين مع تراجمهم والمختار من ألحانهم فكان بذلك ذا شجون وفنون ، جديرا بأن يكثر فيه الراغبون ،

بدأ المؤلف مقدمة كتابه بتعريف الموسيقى والنظم واللحن والصوت والاصول التي هي موازين الألحان ثم تكلم على الغناء وآلات الطرب والسمع وجاء بأقوال الحكماء والفقهاء فيه ونقل كلام ابن خلدون في الموضوع ثم عقد للصوت فصلا خاصا فاطال الكلام في مباحثه الطبيعية والفنية ففصلا للنفثات ففصلا لما يعرف عندهم بالتصوير وعند الافرنج بقلب القرار وفيها من الرسوم والجداول ، ما يجلي ما اشتتلا عليه من المسائل ، وجاء بعدها بفصول في آلات الطرب — العود والقانون والكنجة الافرنجية والمربية والناي والصونمير والمزوروم — وقد

وضع في الكتاب رسوم هذه الآلات وشرحها وبين طرق المزف بها ثم عقد فصلا مطولا للاوزان او الأصول بين فيه أقسام الواحدة والاوزان المصرية وهي سبعة عشر وأوضح كل ذلك بالإشارات الى غير ذلك من الفوائد وهذه الفصول كلها في مباحث الكتاب الفنية . ثم ذكر فصولا أكثر مباحثها أدبية كآداب المضي والسمع وغناء الحشاشين وملاهيهم وكيفية تعليم الفن وصفة المضي واسماء ملح الغناء بمصر وتفضيل الغناء القديم على الحديث . وجاء بعد ذلك ببدائع الموشحات ثم تراجم اساتذة الفن وتلاميذهم المختارة . وقد وضع في آخره نلاحين له عربية على الصلوات الافرنجية المعروفة بالنوتة وهو ما لم يسبقه اليه أحد من أهل لغتنا فيما نعلم

أنفق كامل أفندي على تأليف هذا الكتاب وطبعه عدة سنين في ربيع عمره ويزهرة حياته فهو جدير بأن يكافأ بالثناء والشكر ومن الشكر الاقبال على الكتاب وترويجه وعن النسخة منه عشر من قرشا وهي قليلة على حسن طبعه وورقه وصوره ورسومه فهي الجزء المادي لمادة الكتاب ، ويبقى لصاحبه حق الجزاء الأدبي لمن يعرف مكن هذا الفن من التربية والآداب ،

﴿ أبداع ما نظم في الاخلاق والحكم ﴾

جمع السيد يوسف أفندي بن عبد الغني سنو الحسيني البيروني صاحب مكتبة البدائع بمصر قصائد ومقاطيع في الاخلاق والحكم من نظم الأوائل والواخر ومرجها بمنظومات له أكثرها في الاقتباس وطبعها فكانت ديوانا جليلا وقد وضع في ذيل الصفحات تعريفا وجيزا بكل شاعر عند ذكره لأول مرة يذكر ما عرف من نسبه وتاريخ ولادته ووفاته . وهناك هذه القصيدة مما اختاره لاحد الجاهلين قال

﴿ ومن قصيدة لعدي بن زيد ﴾

وعاذلة هبت بليل تلومي فلما غلت في اللوم قلت لها اقصدي
 أعاذل ان اللوم في غير كنهه عليّ نبي من غيرك المتردد
 أعاذل ان الجهل من لذة الفنى وان المنايا للرجال بمرصد
 (المنار: ٩٠) (٤٠) (المجلد الثاني)

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى
 أعاذل من تكتب له البار يلقها
 أعاذل قد لا قيت ما بزغ الفتى
 أعاذل ما يدريك أن منيبي
 ذرني فاني أمالي مامضى
 وحمت لميقاتي الي منيبي
 وللوارث الباقي من المال فاتركي
 أعاذل من لا يصلح النفس خالياً
 كفى زاجراً للمرء أيام دهره
 بليت وأبليت الرجال وأصبحت
 فلا أنا بدع من حوادث تعري
 فنفسك فاحفظها عن الفتى والردي
 وان كانت النعماء عندك لا مريء
 اذا ما أمر ولم يرج منك هوادة
 وعد سواه القول وأعلم بأنه
 عن المرء لا تسأل وصل عن قرينه
 اذا أنت فاكهت الرجال بمجلس
 اذا أنت طالبت الرجال نوالهم
 ستدرك من ذي الفحش حقتك كله
 وسائس أمر لم يسسه أب له
 وراجي أمور جمة لن ينالها
 ووارث مجد لم ينله وما جدي
 فلا تقصرن عن سمي ما قد ورثته
 وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تلم
 ولا تلح الامن الام ولا تلم

وأبعده منه اذا لم يسدد
 كفا حاز من يكتب له الفوز يسعد
 وطابقت في الحجلين مشي المتسيد
 الى ساعة في اليوم أوفي ضحى الغد
 أمامي من مالي اذا خف عودي
 وغودرت ان وسدت أولم أوسد
 عتاي فاني مصلح غير مفسد
 عن الحمي لا يرشد لقول المفسد
 تروح له بالواعظات وتعتدي
 سنون طوال قد أتت قبل مولدي
 رجالا عرت من بعد بوسى وأسعد
 متى تغوها يغو الذي بك يقتدي
 فمثلا بها فاجر المطالب وازدد
 فلا ترجها منه ولا دفع مشهد
 متى لا يبرز في اليوم يصرهك في الغد
 فكل قرين بالمقارن يقتدي
 فقل مثل ما قالوا ولا تنزبد
 فقف ولا تأتي بمجد فتجهد
 بحملك في رفق ولما تشدد
 وراثم أسباب الذي لم يعود
 ستشبهه عنها شعرب للمحد
 أصاب بمجد ظارف غير متلاد
 وما استطعت من خير لنفسك فازدد
 وذا الدم فاذمه وذا الحمد فاحمد
 وبالبل من شكوى صديقتك فافند

عسى سائل ذو حاجة ان منعه
والخلق اذلال لمن كان باخلا
وأبدت لي الايام والدمر أنه
ولاقت لذات الفنى وأصابني
اذا ما تكرفت الخليفة لاسرى
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه
وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجر
والأمر ذو اليسور خير منبة
سأ كعب مجدا أو تقوم نواحا
بنحن على ميت وأعلن رنة

وقد اخترنا المثال من شعراء العرب لنذكر التامى ونعرف الجاهل بما أووه
في جاهليتهم من الحكمة التي أعدتهم لفهم الاسلام وقبوله والسيادة على العالم به
لعلهم يتذكرون فيوازون بين ماضينا وحاضرنا بل بين جاهلينا قبيل الاسلام
وبين حالنا الآن في علو الفكر وعزة النفس ومكارم الاخلاق ليرأى الفريقين
أرجح — ليروا هل يوجد في علمائهم من ينطق بالحكمة التي كان ينطق بها الجاهلي؟
هل يوجد في أغنيائهم من يبذل ماله لوقاية ملك وأمة من الخطر كما كان يبذل الجاهلي كل
ما يملك ولو لمحتاج واحد؟ هل يوجد في دعاتهم من يبذل روحه لوقاية نفسه وقومه من التل
وحايتهم من الظلم والكتاب يباع بأربعة قروش بمكتبة البدائع بشارع محمد علي

﴿ حديقة الآداب ﴾

جمع ابراهيم دسوقي أفندي أبانته نجل ابراهيم بك أبانته وهو الآن تلميذ
في المدرسة الخديوية ما استحسنه من كراسات الانشاء التي كتبها في المدرسة
بأقراح المعلمين وما نظمه عن الشعر وما كتبه من الرسائل وما خطب به في بعض
الجمعيات الادبية التي يخطب فيها مثله وطبع ذلك كله في كتاب سماه حديقة الآداب.
وقد أحسن في هذا العمل لأن ابراز صورته العقلية والنفسية للناس قبل أن يبلغ
أشدده ويتم تعليه جدير بأن يمث همة في كل سنة الى الارتقاء عما عرف الناس

منه ارفاه يعرفه الناس ومن كانت حقيقة الادب له بداية يرجى ان يكون
قيل الارب له خير نهاية

(اظهار المكنون . من الرسالة الجديدة لابن زيدون)

رسالتا ابن زيدون أشهر في عالم الادب من نار على علم ومن طلاب العلم من
يحفظ الرسالة الجديدة عن ظهر قلب لما فيها من الحكم والامثال، والمحاسن والنكات
والاشارات التاريخية، والمختارات الشعرية، فهي خلاصة أدب رائع، واطلاع
واسع، لا يفهمها على سلامة عبارتها الا من ضرب في تلك المسائل بسهم، وكان
له ما تويء اليه نصيب من العلم، ومن ثم كان الطلاب وكثير ممن يوصفون
بالتحصيل والاستاذية في قصور عن فهمها بغير معونه الشرح أو تكرار المراجعة لذلك
اقترح بعض محبي الادب على الشيخ مصطفى العناني أحد مساعدي التفتيش بنظارة
المعارف ان يشرحها «شرحاً وجيزاً يتكفل بحل المفردات، ويبين مقاصد الكاتب
عن العبارات، ويذكر مضارب الامثال»، قائلًا انه لم يسبق لها شرح على هذا
النوال، فأجابها إلى ذلك وقد وضع الشرح في أدنى الصفحة والاصل في أعلاها
وطبعها على ذلك فكانت نحو أربعين صفحة وجعل منها قرشاً ونصف قرش

نتيجة الاملاء

رسالة وجيزة في قواعد الاملاء للشيخ مصطفى العناني وهي على ايجازها
مفيدة جداً في هذا الفن حتى تكاد تكون محصية للضروري من قواعده وقد طبعت
في القلم الصغير وثمن النسخة منها نصف قرش

(حبيب الامة) جريدة جديدة أنشأها في تونس أحد كتّابها البارعين (عبد
الرزاق الفطاس) وقد عاهد الامة على الحرية والاستقلال في بيان الحقائق وإسداء
النصيحة من غير محاباة للحكومة ولا مراعاة أهواء العامة أو ما هنا معناها فيما
قند كرم وقد اختزل العدد الاول دوننا - ولعمري إن هذه الطريقة هي الطريقة
التي وثقنا الله وإياه إلى الاستقامة عليها فإنه لا خير في سواها

بَابُ الْحَبِيبِ وَالْأَنْبِيَاءِ

﴿ مؤتمر الأديان في اليابان ﴾

كتبنا في الجزء الثامن عشر من السنة الماضية (الصادر في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٣) مقالة في دعوة اليابان الى الاسلام وكتبنا بعدها بهذا آخرى في ذلك (راجع ص ٧٠٥ و ٧٩٦ و ٩٨٧ م ٨ و ص ٧٥ م ٩) وقد أشرنا في الجزء الاول من هذه السنة الى ما كان لتلك الكتابة من التأثير في بلاد الاسلام شرقيها وغربيها حتى ان بعض أهل الفيرة وعد يبذل المال في هذه السبيل عند ما تظفر الدعوة الى ذلك في المنار وبعضهم قد أرسل الينا حوالة مالية للإيثاره على ذلك ووعد بتأليف جمعية تجمع المال من الموسرين اذا نحن شرعنا في العمل . وقد أشرنا في بعض ما كتبنا الى ان مثل هذا العمل لا يأتي الا من جمعية تقوم به لان ما يأتي من الافراد يكون ضعيفا غير ثابت ولا دائم . وكان خطر لنا من بضعة أشهر ان نسمى في تأليف جمعية للدعوة الى الاسلام تكون لها مدرسة خاصة لتعليم الدعاة ما بعدهم لاقامة هذه الفريضة المحتمة فاستشرنا بعض أهل الرأي والفيرة في ذلك بمذاكرة الحاضر ومكانة الغائب فأجمعت الآراء على استحسان المشروع ولكن ظهر لنا ان بعض الكبراء منهم لا يثق بقدره الجمعية التي يراد تأليفها على جمع امال الذي يكفي للقيام بهذا العمل خلافا لنا في اعتقادنا أن هذا المشروع يقع أحسن الوقع من نفوس جميع طبقات المسلمين ويرجى تفضيده من جميع البلاد الاسلامية اذا كان القائمون به ممن يوثق بهم في استقامتهم وكفاءتهم . وانما كتبنا ما كتبنا في ذلك لاجل تحريك الهم وتوجيه النفوس الى العمل وفق الله بعض أهل الفضل للاجتماع والمشاورة في ذلك وألفوا لجنة اجتمعت عدة مرات وبحثت في المشروع ثم لما أقبل الصيف بجره وتفرقة اختاروا أن يرجئوا الاجتماع والسعي الى ان ينتهي الصيف وكان من اقتراح بعضهم ان تعجل الجمعية باعداد ثلاثة أو خمسة نفر يستعدون

بالمطالعة والدراسة للسفر الى اليابان فاستحسن اقراحه ولكنهم لم يشرعوا في شيء بالفعل وماسكتوا عن ذلك الا وأنطق الناس تكلمهم به خبير المؤتمر الديني الذي قرب وقت انعقاده في عاصمة اليابان

سبق للدولة اليابانية عقد مؤتمر ديني مندسبنين وقددعت أهل الملل في هذا العام لعقد مؤتمر آخر يحضره الراسخون من أهل كل ملة يظهرن فيه حقائق دينهم وحججهم على كونه حتما مفيدا للبشر والعمران ويقال ان أولي الامر في الامة اليابانية سيدخلون في الدين الذي يظهر لهم بعد البحث الطويل انه خير الأديان ، وأعوونها على ارتقاء الاجتماع والعمران ،

ذكرت « الجرائد المحلية » وهذا الخبر فشغل الناس به عن كل خبر حتى كان حديث المحاور والمسامر ، في كل ناد وسامر ، بل تجمد الناس بتحدثون به في مواضع أعمالهم - عمال الحكومة في دواوينهم والقضاة في محاكمهم والتجار في دكاكينهم والفعلة في مواضع الحرث والبناء وغيرها من الاعمال وكل مسلم مقيم في مصر يقول انه يجب ان يكون لمصر أعضاء في هذا المؤتمر وقبلنا يذكر أحد منهم اليأس من قيام الحكومة بذلك والرجاء في الامة الا ويفصح بارتياحه الى البذل في هذه السبيل بقدر ما تسمح له سمعته ومنهم من يشترط في ذلك ان يكون من يختارون الإرسال أهلا لبيان ما يمتاز به دين الاسلام على جميع الأديان . ومن شروط ذلك معرفة حقائق الدين الاسلامي وحكته أو فلسفته كما يقولون ومعرفة الأديان الشهيرة الاخرى كالبودية والبرهمية واليهودية والنصرانية . وترى المارفين بأحوال الزمان والمكان يكادون يجمعون على انه لا يوجد في شيوخ الأزهر من هم أهل لذلك على انه قد يرشح نفسه لمثل هذا العمل من هو دون شيوخ الأزهر علما ومعرفة ومن الناس من يرشح من يهوى يظهر للناس غيره وغيرة من يجب ما أجدر تلك اللجنة التي جمعها غير مرة هذا الرجاء ، قبل ان تتنازعه الأهواء ، بالبحث في هذا الامر فان رأته متيسرا قامت به وان رأته متعذرا أظهرت رأيها للناس فيه لعلهم يقنعون ،

أما الدولة المليية فقد أرسلت الى المؤتمر من قبلها ثلاثة نفر بأمر السلطان

و بلغنا ان بعض مسلمي الهند وروسيا قد ذهبوا من قبل أنفسهم وأول مسلم اتدب لذلك رجل انكليزي قريب عهد بالإسلام، وان في ذلك لعبرة لأولي الاحلام،

مسألة العقبة

وجونا ان تحسن الدولة العلية المخرج من مسألة العقبة اذا كانت لم تحسن المدخل فلم يقض لنا مارجونا وذلك أنها لم ترض بان تحل عقدة الخلاف بالمذاكرة بيننا وبين الخديوي وحكومته فاضطرت انكلترا الى أن تضرب للدولة أجلا عشرة أيام تخرج فيها جنودها من نقطة الخلاف وتجب الى تعيين لجنة بمحدد الحدود على اوجه المطلوب وتندرها الويل والثبور اذا هي لم تفعل فأجابات انكلترا الى ما طلبت في اليوم العاشر فكان هذا الفشل كما بقه في مكذوبة وغير مكذوبة اذ تنال أوروبا منا كل ما تريد في تركيا ومراكش وكل مكان ونحن مصرون على ذنوبنا التي نؤخذ بها كما قال ربنا (وما أصابكم من مصيبة فبما كبت أيديكم) لا ملوكنا يتوبون عن استبدادهم بالامر ولا أمتنا تتوب عن غرورها ومكابرتها واسترسالها في أهوائها وجهالتها . والعجب الذي لا ينتهي أن أكثر الذين يوصفون بالفهم منا يرون أنه يجب علينا إظهار القوة من الضعف ووضع الستور على عيوبنا وذنوبنا التي حل بنا البلاء باقرافها لكيلا يثمت بنا اعداؤنا ولذلك يوهون الأمة بان كل خذلان نصاب به هو عين الفوز والظفر وسنين الحق في هذه المسألة في مقال خاص

﴿ الشيخ علي الجبري ﴾

رغب شيخ الجامع الأزهر الى الامير أن يجعل الشيخ عليا الجبري مدرسا واعظا في المساجد المصرية وبين له مراتبا من الاوقاف الخيرية يستعين به على عمله فأجاب الامير الى ذلك وكتب من ديوانه الى مدير الاوقاف بعد رسم الخطاب ما يأتي (بناء على التماس صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر قد سمحت انكسارم السنية بترتيب ستة جنهيات شهر با الحضرة الشيخ علي أبي النور الجبري محسوبة على الاوقاف الخيرية اعتبارا من ٢٦ مارس نظرا لقيامه بالوعظ وبتعليم وارشاد المسلمين الى حقائق الدين الاسلامي واقضى تحريره اسماءكم بليغا للامر أفندم)

ميز الشيخ علي على سائر الوعاظ بجملة واعظا في جميع المآجد له ان يعلم ويعظ حيث وجد وأما بين الواعظ عادة في مسجد واحد وذلك أن الشيخ عليا جوال وأولئك قاعدون أو متقاعدون . ومميز عليهم في التعيين الا وهو ممتاز بالذات فانك ترى العالم الازهري من أصحاب الدرجات الرسمية إن وعظ لا يحضر مجلسه الا الآحاد وترى الجربي - وهو ليس بصاحب درجة رسمية - يعظ فيحضر مجلسه العشرات والمئات . ترى غيره يعظ في كتاب يقرأ ويعرب كتابه ويبين للعامة ما فيها من نكات البلاغة فلا يبلغ شي من معاني الكلام قلوبهم وترى الجربي يعظ بغير كتاب يفهم الناس حتى يبلغ مواقع التأثير من قلوبهم ولم يذكر كلمة واحدة من اصطلاحات فنون البلاغة . رأيت أحد علماء الازهر يقرأ درسا لعامة في مسجد عينه فيه جمجمة مكارم الاخلاق فاذا هو يفسر لهم حديث «العلماء سرج الدنيا ومصايح الآخرة» فكثت في المسجد ساعة لم يُعد بكلامه فيها البحث في المصايح هل هي عين السرج فيكون اختلاف التعبير لتفنن أم هي أحسن منها وفي وزن السراج والسرج والمصباح والمصايح . فانظر ما ذا يختارون لتلقين الناس وكيف يشرحونه لهم والجربي لا يفعل مثل ذلك وإنما يتكلم على الناس بما يستدلون به في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وعباداتهم ومعاملاتهم وفتن الله وإياه إلى السداد والاخلاص آمين

﴿جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية﴾

ان تقرير هذه الجمعية عن السنة الدراسية الماضية يبيّن نجاحها وثباتها وفيه أنها انفتحت على التعليم في هذه السنة نحو ٥٥٣٦ جنيا منها ٤٣٤١ جنيا وكسور من الأجور التي تؤخذ من التلاميذ فتذكر لأعضائها الفيورين سميم زادهم الله توفيقا

(تصحيح) في ص ١٥٩ من الجزء الثاني « كأفحوص القطاة » وصوابه « كأدحية النعامة » وهو مبيضها في الرمل وسبب سبق الذهن إلى الأفحوص ما ورد في الحديث من تشبيه المسجد الصنير به . وفي ص ٢١٧ من الجزء الثالث « فلا والذي يته في السماء » والصواب وضع « ذو » مكان (الذي) كما هي الرواية وذو عند طي بمعنى الذي

بؤني الحكمة من يشاهد من يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الله

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتوبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوتي و«مناراة» كمنار الطريق

﴿ مصر الخميس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ - ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ ﴾

حال المسلمين في العالمين

﴿ودعوة العلماء الى نسيحة الامراء والسلاطين﴾

الشمس مشرقة تطوق بأشعتها الارض كل يوم ، والابصار محدقة تحيط بما
يشغل فيها من كل أمر ، يكاد كل انسان يعرف اليوم من أخبار الارض ما تعرفه
الشمس ان كانت ترى الاشياء كما ترها للناس لانه جعلها بتصرفه في قوى الطبيعة
كالمدينة الواحدة يسهل على من يشاهد أمرا في رجا منها ان يفهم به الى من
في سائر الارحاء . فالبرق الخافق ما بين الحافتين ، يفهم الى الغربيين بأخبار
المشرقيين ، وينبئ المشرقين بأعمال الغربيين ، فطرق العبارة معتادة ، ودواحل
الهجرة منقولة ، وجنى العلوم والعرفان دون تناوله الأيدي من كل مكان ،
هذا التواصل في المكان ، والتقارب في الزمان ، لم يدعنا لشب أو جنس من الناس ،
إذا لم يجارو يبار سائر الشعوب والأجناس ، فقد عهدنا من طبيعة أطفال هذا النوع ان
يقدوا كباره الذين ينشون بينهم في كل ما يرونهم عليه حتى يكونوا رجالا مثابهم في أعوام
معدودة ، وعهدنا من طبيعة رجاله ان يستقلوا دون من تربوا معهم بأمر تكون لهم مزايا
مشهودة ، فالقليد والاستقلال في الأعمال الكسبية ، كالتوارث والتباين في النواميس
الطبيعية ، هما يحفظ الانسان أحسن ما وجد ، وبما يتدفع عالم يجد ، فهما الجناحان اللذان
يطير بهما البشر في جواء العلوم والأعمال ، حتى يصلوا الى ما استعدادوا له من الكمال
ارجع الطرف الى ما رأيت من أحوال شعوب هذا العصر ، وأصنع الأذن الى ما تسمع من
أخبارهم في كل يوم ، تعلم ان جميع الشعوب والأجناس قد سارت على طريق الفطرة البشرية
التي أوأنا إليها آفا ما عدا المسلمين فآتهم كادوا يكونون في هذا العصر من طبيعة غير
طبيعة البشر لكنها دونها بعد ان كانوا قد فاقوا سائر البشر وسادوهم فكانوا فوقهم أجمعين
ان أرقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان
تقول ان أحدا منهم ساوى شعبا من شعوب الملل المجاورة لهم ؟
قد انتقد من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب الأوهو
الآن أرقى من مسلمي هذه الدولة تركها وعربها وكردها -- أرقى منهم في الحكومة

والمدينة، أرقى منهم في العلوم والفنون ، أرقى منهم في الصنائع والأعمال ، أرقى منهم في الآداب والاجتماع ، ولك ان تستفي عن ذلك كله بأن نقول أنهم أرقى منهم في جميع شؤون الحياة . وان تعجب فأعجب من هذا ان يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة أرقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على أنهم أقل منهم عدداً وبالأحقاق في مناصب الدولة . فماذا نقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا وألمانيا وانكأرا . وسائر دول أوربا اللواتي أصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كن منذ قرنين أو ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها والخوف منها

ماذا فعل مسلمو مصر بعد الاشتغال بالترية والتعليم على الطريقة الأوربية قرناً كاملاً ؟ انهم لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محرزون لشيء من العلوم بل لم تسم همهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والإرادة لا يهابون في الحق كما ولا يخافون فيه لئلا قد خرج حكم بلادهم من أيديهم وهذه رقبتها تكاد تخرج أيضاً بما يمتلك أفراد الاجانب وشر كآتهم من أطيانها في كل عام وما يبتزون من أموالها في كل يوم . ولا نطيل في وصف حالهم فجرائدهم اليومية تقنيناً عن ذلك بما تسهب فيه آنا بعد الآن ، فكيف يكون حكماً عليهم اذا قسناهم بنصارى أوربا أو وثني اليابان

وهو لا مسلمو الهند يعيشون بين أمم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن المجوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا في العلم والحكم قدامسوا وراة هذه الشعوب كلها في العلم والعمل والترية والثروة فلم تسم همهم لمسابقة من هم أكثر منهم عدداً كالمندوس ، ولم ينجلوا أن يسبقهم من هم أقل منهم كالمجوس ،

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت المجوس أرقى شعوب الهند علماً وعملاً وأخلاقاً وآداباً وأكثرهم برا واحساناً لانفسهم ولجميع من يعيش معهم . رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبنون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين ، سمعت خطيباً منهم يخطب في محفل حافل فأدهشني بسمو أفكاره ، وسعة عرفانه ، فقارنت بينه وبين شيخ مسلم سمعته يخطب الناس في مجتمع عام في بومباي يشبه ميدان

الازبكية في مصر وقد أحرق به الناس ، من جميع الملل والأجناس ، فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيما . سمعت المسلم يذكر في خطابه من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاي عند الله تعالى أنه إذا اختطف غراب عظاما من عظام الذبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقعت منه في مقبرة للكفار فإن الله تعالى يغفر لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ . وسمعت يذكرك تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبه ولمخصها ان مريداله مات فحمل أهله الشيخ على أحيائه فطار في الجو ليدرك ملك الموت فيستعيد منه روح المرید فامتنع عليه ملك الموت قائلا لا يمكن أن أعيد روحا قبضتها بأذن الله الا بأذن من الله فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي أودع ملك الموت فيه الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وانكبت الأرواح منها فطارت كل روح الى جسدها فحي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ ولا نجراً على ذكر ما قبل في شكوى ملك لربه وما أجيب به السواد الأعظم من مسلمي الهند يسدون بمثل هذه الأقوال ومن ينكرها منهم في نفسه لا ينكرها بلسانه وانما ينكر الأكتفون كل دعوة الى الإصلاح بالعلم الصحيح والتربية القوية كما حاج أرباب العام في بمباي على خطيب المسجد ذي المنارات أن قال في خطبته «أخواننا الشيعة» وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وأهم ما يبدلون في مولد الشيخ من العقبات ما لو بدلوها في تعميم التعليم لوفى به في الهند حركة اسلامية جديدة يرجي خيرها ولكنها ضميعة المنة بطيئة السير لا يقارب أصحابها أحداً من أهل الملل الأخرى في سمعهم وجدهم فاذا جرى للمسلمين ، وما الذي دفع بهم من عليين الى أسفل سافلين ؟؟

بيننا غير مرة أن بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فثاره غرورهم بدينهم أو ابتداعهم في دينهم أو جعلهم بدينهم أو لبسهم لدينهم كما يلبس القوم مقلوباً . قبلوا كل داهية عرضها عليهم رؤسائهم المفسدون بشكل ديني وان كانت ناكسة له على راسه ، أو ناسفة له من أساسه ، وأعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لهم رؤسائهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لباب الدين وصميم الدين أو من سياج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين أو بقاء الدين .

ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين ، وقدير فضون كل خير بشبهة الدين قد خوبت قلوبهم من الدين حتى لا تجد في الالوف منهم واحدا يحكم ما يعتقد من الدين في أهوائه وعاداته فالمادات والتقاليد المتبعة هي المحكمة دون ما يعتقد البرهان، أو يترف به لانه منصوص في القرآن ،

لا تطيل في شرح هذه المسأ ولا ندع التمثيل لما يافهم المسلمون بأساسيا لديني والديني أو الروحاني والجماني - أساس الاسلام الروحاني توحيد الله تعالى وإسلام الوجه اليه وحده فجميع العبادات انما شرعت لتذكير بهذا الاصل والامداد له والمحافظة عليه ومن معناه أن لا يلمس الانسان شيئا مما الامن الله تعالى أي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالمسببات ومن الشرك بالله أن يطلب الانسان شيئا ما من غير سببه الام ، المبدول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام ، فان جعل السبب أو تعذر عليه توجه الى الله وحده اعلمه يهديه الى سبب آخر أو يسهل له الحزن ويدلل له الصمب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا أبعء الامم عن استمراف سنن الله تعالى في خلقه والاعتماد عليها دون الاسباب الوهمية ، وما نحلوه لبعض الناس من السلطة لا آهية الفيبية ، وبهذا صار غيرهم أقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل ، وإن كانوا هم أصحاب القول والدعوى

وأساس الاسلام الديني جعل أمر المسلمين في حكومتهم شوري بينهم لا يستبد بها الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم أجمع الصحابة على ان الاسلام لا ملك فيه ولا سلطان لغير الله تعالى على أهله وان أحكامه شوري بين أولي الأمر وهم أهل العلم بالمصلحة العامة والرأسي الذين نخرمهم الأمة وتثق بهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم في زمنه في الشؤون الدينية تربية للمسلمين بالعمل على ما أرشد اليه الكتاب العزيز وكان خلفاؤه من بعده يعملون برأيهم أيضا . فهذا الأساس في التسم الديني من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منه فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتحفظه شرعت الاحكام المدنية والقضائية وفروض غير المنصوص منها الى جماعة

أولي الأمر لدعم الشورى التي هي أساس الحكم الاسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الاساس شرا مما فعلوا بالاساس الأول لان نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناه القرآن وأجمع عليه الصحابة من حكم الشورى قدرضي به جميع المسلمين في بلادهم فيها سلطة الاملا يخلو عنه الزمان من افراد ينكرون هذه السلطة بالسنتهم دون أن يؤاخذهم بيات تقوضها . على ان الانكار باللسان ، لم يتيسر لهم في كل زمان ، ولذلك اکتفوا بانكار القلب الذي سماه الرسول أضف الايمان ،

للاسلام أصول وفروع فمن حفظ الاصول وقصر في بعض الفروع لا يقطع رجاءه من مغفرة الله تعالى ومن ترك الاصول كان تاركا للدين بالمرّة غير محدود من أهله ولا رجاء له مع تركها . وأهم أصول الاسلام ما ذكرنا من التوحيد في القسم الروحاني وحكم الشورى في القسم الجسماني فمَنْ يَرْجُو النجاة في دينه من ترك الاصل الأول فجعل سنن الله تعالى وعلق قلبه ببعض عبيده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا كما قال القرآن في شأن خير الخلق من النبيين والمرسلين . وكيف يَرْجُو النجاة في دنياه من رضى بحكم الافراد الاستبدادي وجعل لنفسه رئيسا من البشر مقدّسا غير مسؤول أي ان له في ملكه ما أثبت الله تعالى لنفسه خاصة بقوله (٢٣:٢١) لا يستل عما يفضل وهم يستلون) بل كيف ينجو في آخرته من خالف نص القرآن وإجماع المسلمين في الصدر الاول وهو يسلم بقول الفقهاء عامة ان من ترك أورضى بتوك نص القرآن ومخالفة الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فهو كافر خالد في النار كعباد الاصنام طال الزمان على اجمال القرآن وترك الاجماع حتى صار أكثر المسلمين يجهلون حقيقة السلطة في الاسلام بل صار الكثيرون من عامتهم يعتقدون ان للسلطان ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بتفويض من الشرع كأن الشرع جعل له سلطانا على الشرع ينسخ منه ما يشاء ويحكم ما يشاء وينفذ من أحكامه ما يشاء ويلغي منها ما يشاء فله من التصرف فيه ما لم يكن لمن جاء به إذ قال صلى الله عليه وسلم « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخاري . بل منهم من يعتقد أنه غير مساو لساير المسلمين في الاحكام الشرعية وما امتاز به عند بعضهم أنه اذا نظر الى امرأة

متزوجة واشتهاها فاتمها تحرم على زوجها وتحمل له !! وهذا كفر صريح
 وحدثني محمود باشا داماد ان الفلاحين في الاناطول يستقدون أن السلطان
 يخالف للبشر في صورته ومن ذلك ان شعر لحيته أخضر
 أما أهل العلم والفهم فهم يدعون أنهم أخذوا بالقهر وغلبوا على أمرهم فإذا
 نطقوا بالحق عمل سيف اباطل عمله في رقابهم فلم يبق لهم الا الرضى بأضعف
 الايمان وهو الانكار بقلوبهم . هل يصدق بهذه الدعوى - دعوى أضعف
 الايمان - من يمدح المستبدين ويدهن لهم ويدافع عنهم؟ هل يصدق بهامن
 يعمل لهم ويقبل وظائفهم ورتبهم وشارات الشرف التي ابتدعوها لأعوامهم؟
 هل يصدق بها من لم يذل جهده في دعوة أمثاله الى الاجتماع سراً، التأليف
 جمعية تطالبهم بحكم الشورى جهراً، وتقسمهم عليه بقوة الأمة قسراً، فان الله تعالى
 ما فرض القيام بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة أي جمعية تكون من
 الأمة الا لتكون بأمر من المستبدين، مسيطرة عليهم باسم الدين، فإذا فعل هؤلاء
 العلماء بقوله تعالى (٣: ١٠٤) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
 وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وبقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى
 منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان»
 اذا ادعى هؤلاء المجز عن ذلك فماذا يقول العلماء الذين لا يمنعهم مانع من
 الاستبداد ولا من غيره عن دعوة الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام
 في غير بلادهم . اذا كان علماء كل بلاد يخافون بأس حكامهم فماذا يمنعهم ان
 يطالبوا حكام سائر بلاد المسلمين بإقامة العدل على أساسه الذي وضعه القرآن
 (٤٢: ٣٨) وأمرهم شورى بينهم)؟ اذا كتب علماء الازهر أو علماء الهند بذلك الى
 سلطاني الترك والفرس وسلطان المغرب وأعلنوا نصيحتهم في الجرائد فهل يخشون ان
 يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الارض؟ أم يحسبون ان كتابتهم لا تنفذ ولا تنفع؟ كيف
 وهم يعلمون ان بعض السلاطين يهتم لكلمة يقولها في ذلك أحد أصحاب الطرايش
 الذين لا قيمة لأقوالهم عند السواد الأعظم من المسلمين؟ ادعوه فأرضوه، أوخذوه فغلوه،
 لاشك عندنا ان كتابة علماء مصر وعلماء الهند الى السلطان العثماني بطلب الإصلاح

تفعل في هذه الدولة التي يتنى الجميع صلاح حالها مالا تفعله الثورات التي تجري فيها أتهار الدماء طلباً للإصلاح وإزالة الاستبداد في سائر الممالك

علماء مصر أبعد عن فهم السياسة والوقوف على المسائل العامة من علماء الهند ولم يتعودوا من الاجتماع للمشاورة في مصالح المسلمين ما تعودوا علماء الهند الذين أسسوا جمعية (ندوة العلماء) وغيرهم فعلماء الهند أولى بأن يبدؤوا بهذه النصيحة وعليهم أن يعجلوا بها فإن نذر الدول الأوربية تنذر الدولة العثمانية بجعل سائر ولاياتها تحت مراقبة دول أوربا الكبرى على الطريقة التي حرين عليها في كريت ومكدونية وإذا تحقق ذلك - والعياذ بالله - فقد زالت سلطة المسلمين إذ لا يعقل أن يقضين على تركيا وبيتين على إيران، ومراكش كادت تكون منذ الآن في خبر كان،

إذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم - وكان إفساد رؤساء الدنيا لم يتم إلا بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين - وكان طول الأمد على هذا الإفساد قد أضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي - وكانت عزة الأمم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال - وكانت الملوك لا تترك استبدادها مختارة - وكانت الشعوب الإسلامية لم تسم للنهوض بإكراه حكاهم على العدل والشورى كما هضت الشعوب المسيحية واحداً بعد آخر كما أنبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكان شاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا - وكان الذي مكن لحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم أن الدين يوجب طاعتهم على الإطلاق - وكان الحق المجسم عليه أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - إذا كان ما ذكر كما ذكر فالواجب على العلماء الأحرار في مثل الهند ومصر أن يبينوا الملوك المسلمين ولعامتهم الحق في ذلك مادام في القوس منزع - أن يطالبوا الملوك بالعدل والإصلاح في الأرض بحكم الشورى فإن لم يستجيبوا لهم فليستعينوا عليهم بالعامه والجرائد بعد أن يبينوا للعامه في الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة أو السلطان أو الأمير المقيد بالشريعة والشورى المسئول لدى الامة في الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الإله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

امل علماء الهند لا يعرفون كنه الخطر القريب الذي تتهاقت عليه الدولة العثمانية لان أكثر جرائدهم كجرائد مسلمي مصر تكتم عنهم ما تعرف من مساويها - على أنها لا تعرف الا النزول اليسير - وتحليها بالفضائل والفواضل المنتحلة التي ترى أنها تشد أواخي الآمال بها وتمثل عدوان أوربا عليها بأقبح المثل وأشنع الصور فتخلق لها من ذلك كهيئة الأعذار عن اصلاح أمورها الداخلية ، وتجذب به إليها قلوب الشعوب الاسلامية، وهي تظن أنها لا تفعل بذلك الا خيرا والحق الذي عرفناه بمد البحث الدقيق والنظر الطويل ان ضرر هذه الخطة يرجح بجميع حسنات الجرائد واذا كان أكثر الناس يجمل هذا الضرر فان بعض أصحاب الجرائد المصرية يعرفه ولا يتسع هذا المقال لبيانه ولكننا نلفت الأفكار الى البحث في مسألتين منه (إحداهما خارجية) وهي أن دعوة المسلمين في البلاد التي وقعت تحت نفوذ أوربا الى الاعتصام بعروة الدولة العلية هي التي كادت تجمع كلمة الدول العظمى على الايقاع بها والقضاء عليها من غير فائدة لها ولا لهم وهذا ما أعني بالخطر القريب وقد رأينا بوادره ونموذ بالله من أواخره (والثانية - اخلية) وهي مناصبة الدولة للعلم والتعليم والكتب والاجتماع والتعاون لاسيما في سوريا وفلسطين وكثرة المكوس والضرائب والمظالم مع قلة وسائل العمران . فلينظر المحب المنصف في عاقبة أمة تعد حكومتها اقتناء أحسن كتب العلم الدينية والدينية من أكبر الجرائم والجنايات وتشدد في العقوبة عليها مالا تشدد على إزهاق الأرواح وسلب الاموال حتى صار الناس يحرقون كتبهم الموروثة !!

اذا سلمنا ما يقوله بعض أصحاب الجرائد وما يعتقده بعض المخلصين من مسلمي مصر وغيرهم ان انتقاد جرائد المسلمين لادارة الدولة ومطالبتها بالاصلاح تشهير ضار فهل يمكن أن يسلم عاقل لجاهل يقول بلا فهم ان نصيحة يكتب بها علماء المسلمين للسلطان قياما بما أوجبه الله تعالى تعد تشهيرا ضاراً ؟ ما أظن ان الجاهل النبي الذي يخطر له مثل هذا قد خلق ولئن كان مثله مخلوقا فهو من الديدان التي لا صوت لها أيها العلماء الاعلام اذا كان الدين عندكم لكل شيء فلن تقيموه حتى تعملوا بقول من جاءكم به (عليه الصلاة والسلام) : الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه

ولأئمة المسلمين وعامتهم: (رواه مسلم) فألى لجنة (ندوة العلماء) نوجه هذا التذكير
ثم ندعو من يقرأه من سائر العلماء ان يذكر به إخوانه . ومن أحب منهم ان
يراجعنا في موضوع النصيحة بالتفصيل وفي كيفية الاجتماع لها وطريق أدائها
فانا مستعدون لبيان ما نسئل عنه ونضرع الى الله تعالى أن يجعل الله هذه
الأمّة على أيدي علماءها وان يصلح الراعي والرعية بارشادهم والسلام على من أجاب
داعي الله في كل مكان وزمان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ دفاع الشيخ محمد بنحيت عن رسالتيه والرد عليه ﴾

كتب الشيخ محمد بنحيت رسالة سماها (إزاحة الوم والاشتباه ، عن رسالتي
الفونوغراف والسوكورتاه) أورد فيها ما اتقدناه عليه في الجزء الثاني من المنار
ورد عليه . وقد اطلعنا على الرد فكنا كلما قرأنا جملة من أوائله ورأينا ما فيها من
المكابرة والتناقض والتهاوت نقول في نفسنا ان الرجل ما كتب هذا الا ليناظ
الناس لاعتقاده بأنهم لا يفهمون ما يقال وإنما يأخذون من جملة الاقوال انه قد دافع
عن نفسه وقد كلام المترض عليه ولما أوغلنا في التراءة ترجح عندنا أنه ، نفسه
لم يفهم ما كتب إذ لو فهمه لكرم نفسه أن ينسب ذلك اليها وكنا اعتقدنا فيه
مثل هذا الاعتقاد عندما نشر رده الأول في بعض الجرائد الساقطة منسوباً اليها
واننا تبين بعض تهافته بما فيه العبرة للقارئين

﴿ أدب الشيخ بنحيت في رده ﴾

قال الشيخ في أواخر (ص ٢٩) من رسالتيه « وانما قلنا عبارة المترض بطولها
ليعلم الناظر فيها مقدار ما عليه من الأدب والاخلاق ويلبسه المطلع عليها برودا من
نسيج خيوطها » اه بنصه البليغ !!
أقول انني أعترف بأن في عبارة قد المنار لرسالتيه يوسعة وأشرت الى السبب العام
لذلك . ذلك انني كتبت تلك العبارة وانا متأم الروح لقوله بجواز كون إمام المسلمين
كافراً واستدلاله على ذلك بحديث لا يصح الاحتجاج به مع عدم الحاجة الى ذلك في

موضوع الرسالة . وقد تلمست له عذرا في نشر هذه المسألة في رسالة طبعها في وقت اشتد فيه الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة غير مسلمة فأعوزني العذرونم أجد في قوله ولا حاله منفذا لنور الاخلاص فكتبت «تحت عامل التأثير» كما تقول الافرنج فجاءت العبارة شديدة اللهجة كما يقول كتابنا ولكنها بحمد الله سالمة من مثل ما في كلام الشيخ من التبرز باللقاب ، ومجاوزة حدود الآداب ، والتشدد بالفخر والاعجاب ، واليك نموذج ذلك من كلامه

قال بعد ان ذكر ان مستفيدا كتب يسأله عن عبارات أشكلت عليه في الرسالة «وقد رأينا أيضا بعض الناس قد اعترض على الرسالتين معا ونشر اعتراضه في إحدى المجالات التي تطبع في مصر فوجدناه كلاما عليه صبغة الحمد (١) والحمد (٢) وملوّه نقات النفثات (كذا) في العقد (٣) نستفيد منه رب الفلق (٤) كما نستفيد رب الفلق من شر ما خلق (٥) ولا نجاري هذا المعترض على مثل هذا القول !! بل نستعين عليه بذى القوة والحول ، وهوض أمرنا اليه ، وتوكل في جميع شؤوننا عليه ، فإنه سبحانه وحده هو الذي يهب لمن يشاء من عباده من العلم والحلم ما يشاء ، ويمنعها أو يسلبها ممن يشاء (٦) ويتليه بغيض العلم والعلماء (٧) فيخلق ما شاء ان يخلق عليهم (٨) وينسب كذبا ما شاء ان ينسب اليهم (٩) وان لم يكن منهم في شيء (١٠) ولا شخص له فيهم ولا في (١١) فرأيت من الحكمة والصواب ، ان أجيب عما جاء في الخطاب ، وعما اعترض به ذلك السباب (١٢) اه نصه التزيه

فأنت ترى أنه لم يخل سطر من هذه الاسطر من السب والشتم والتبرز واللمز والمعجب والفخر وأنه ليس فيها وراء الشتم والسباب التي دخلت في جمع الكثرة غير دعوى العلم والحلم والتوكل على الله وعلو الآداب ، والترفع عن مجازاة المعترض عليه بالسباب «هذا وما فكيف لو»

ووصف المعترض عند ابتداء الرد عليه في (ص ٢٥) بالمتعنت العنيد وقال في (ص ٢٦) إنه غاب الكلام لانه لم يفهمه وتمثل بيت (وكم من غائب) الخ وقص منه لفظ (صحيحا) و(السقيم) نزاهة وقتنا في البديع ولا يتزه عما رأيت وسترى من ألقابه في سبابه . وقال في (ص ٢٩) : جرت عادة المعترض وأمثاله ممن كادوا يتميزون من الفيض حسدا على أن يجترعوا علينا الأباطيل: ثم ادعى أنه في رفعة مقامه لا يخطر أحد من هؤلاء الخاسدين على جناحه ، ولا يجري ذكره على لسانه ، قال : ولكن الحمد يسمي ويصم . وقال في (ص ٥٢) عند قول المعترض أن الاعراب هم المقيمون

في البادية: فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله تعالى ولا تقول بقول هذا المعترض الخائف لكتاب الله : فانظر الى أدب هذا الاستاذ مع الله تعالى ويعني بمخالفة كتاب الله ان كتاب الله ذكر ان من الاعراب المؤمن والكافر والمنافق واستبسط هو باجتهاده الجديد ان هذا التقسيم ينافي كون الاعراب هم سكان البادية وباليته واجمع كتب اللغة وكتب التفسير قبل كتابة ما كتب لعله يعلم ان المعترض عليه لم يقل الا بما به قال القويون والمفسرون أجمعون ولكنه اذا علم ذلك ولم يعلم انه لا ينافي التقسيم المبين في كتاب الله فانه لا يستفيد ما يمنعه من القول بأن المسألة خلافية بين تعالى الله عما قال هذا الشيخ علوا كبيرا . وقال عن قول المعترض ان حديث جابر منكر أو موضوع انه جراً على الاحاديث لا فرق بينها وبين الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وستعلم مكان علمه بهذا كما علمت مكان أدبه فيه . وقد دعا على المعترض في آخر (ص ٥٧) ونسبه الى الاختلاق والافتراء في أول (٥٨) وعرض بعد ذلك بما عرض به . وقال في أوائل ص (٦٠): وأما قول المعترض أن المرأة والأعرابي المقيم بالبادية وراه انعامه ليسا مظنة (الخلافه) الخ فهو قول من لم يؤته الله فهما ، ولم يذق للكلام طعماً : وله كثير من مثل هذا التعبير الذي يعد في الذروة العليا من التزاهة والادب فلا نستقصيه . وقال في أواخر الرسالة ما قال من قبل في افتقاد المعترض وأمثاله حسدا له وتمثل بقول الشاعر

ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا أرد

وقال بعد ذلك في خاتمة الرسالة « وأما مقاله المعترض من سوء الأدب في العبارة فانتا نساخه فيه ونرجو الله أن يسامحه حيث كان من نفسه الامارة ومع ذلك إن عادت عدنا لها مع عدم مجاراته في السوء الذي هو غاية ما يبغيه ونقف عند رد ما يبديه من الشبهات بالحجج والبراهين وان لم يكن من فرسان ميدان المناظرة » فيا ليت شعري لو لم تكن أريحية الحلم والكرم والتزاهة والادب هزت الاستاذ الفاضل للنفو والسماح عن المعترض ماذا كان يقول فيه ، ولو لم يلذ بالتواضع والخشوع والاعتصام والتوكل ماذا كان يقول عن نفسه . هذا نموذج حلمه وأدبه وتواضعه وهضم نفسه وسيرد على القارئ نموذج علمه واجتهاده في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى



﴿ الاختلاف في عدآي القرآن ﴾

كتب من مدينة بانجهانبور الهندي في ٢٧ - ٥ - ١٩٠٦ بالانكليزية ما ترجمته
سيدي العزيز

أكتب اليك أسطرا قليلة راجيا ان تمرها التفاتك وان تتكرم بالكلام أو
باحاطي علما برأيك فيما يأتي

اني أرى اختلافا عظيما في عدد آيات القرآن الاقدس وانه عند مراجعة
مواضيع هذا الكتاب الكريم قد تناولنا مشقة عظيمة وقد يكون الامر شاقا عليكم أيضا
وقد اختلف قراء الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة اختلافا مماثل لذلك
في (راكواز) (*) فافهم يختلفون اختلافا عظيما في عدد الآيات التي تشتمل عليها
أليس من الممكن عقد اجتماع سرى يحضره مسلمون من مصر وتركيا
ومراكش وبلاد العرب والهند لاجل تمحيص المسألة

وأرى ان يكون مكان الاجتماع مكة أو المدينة في أيام الحج ومع أن هذا
الاختلاف لا يترتب عليه شيء في الكتاب الاقدس نفسه الا انه مما يوجب الاسف
ان لا يتفق المسلمون في الآيات والسور لكتاب صغير الحجم

واني لآسف على اني لا أنحصل على مناركم كما اني آسف على عدم قدرتي
أعلى توضيح أفكارى باللغة العربية حتى أستطيع ان أكتب في جريدتكم ولكنني
رجو ان توفق لخدمة نافعة بواسطة جريدتكم الدينية كما أرجو ان تكون ممتعا
بالصحة والعافية

صديقك المخلص

م . كريم بكاش

(المنار) من آيات الحجة في الأمة ان يوجد فيها أفرادهم متمون بالكليات والتحسينيات
من كل شيء تتلاقى فيها أفكارهم على بعد ديارهم فبينما كان اخونا الهندي يفكر في
مسألة ضبط عدد الآي كان اخونا أحمد أفندي أمين الديك المصري يكتب فيها
رسالته (البرهان القويم) التي تراها في الأوراق التالية وقد جاءنا بها قبل مجيئي
رسالة الاقتراح من الهند فرأينا ان ننشرها برمتها ثم نعقب عليها بمجملته وجيزة

(*) يقول مترجم الكتاب انه لم يجد في المعجمات الانكليزية معنى لهذه الكلمة

مختصر البرهان القوي

في

الحاجة الى عد آي القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله
وصحبه والتابعين وجميع المرسلين (وبعد) فان لنا معشر المسلمين كتابا كريما
ارغمت لفصاحته أنوف الفصحاء وخرت لمعانيه سجدا أر باب الماني وذلك
الكتاب هو القرآن الكريم الذي حاولت أساطين العلم ومصايح الهدى علماء
الأمة الاسلامية في كل عصر ان تلبس بخدته تاج الشرف فأمضوا في ذلك
اعواما من آجالهم وانضوا في تحرير أعمالهم مرهفات أقلامهم حتى أشرفت على
التمام ثم اختفت تلك الاشباح وعليها ذلك التاج الفاخر وبقيت تلك الكنوز
الثمينة تذكرا بلسان حالها قولهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بمدنا الى الآثار

من أهم ما قام به ذلك السلف الصالح خدمة القرآن الكريم بتفسيره وجمع أوجه قرآنه
وعد آياته وحصر ما عمل المعجمات المتنوعة للاهتمام به . ثم تلام في الوجود
ذلك الخلف فبرهن بجملة على امتزاجه بنوع من الوهن والضعف عن انتاج مسالك
الآباء وتنفيذ النفوس بما تغذت به أرواحهم فقلت قيمة ما ورثوه في أنظارهم ومقتوا
المذاكرة في شأنه مقنا إلا بقية لا تزيد على عد الأصابع في هذا المجمع الحافل أودت
أن أمدي يدي مع أيديهم وأحشر نفسي في زميرتهم بعقل خدمة للقرآن
الكريم وهي (دليل للاهتمام به) فأعددت للعمل عدني وشمرت عن مساعد

الجد فسرت بالعمل شوطاً بعيداً قاربت معه الوصول إلى ما أرتضيه من الغاية ثم
وقفت مفكراً في طريق تسميم النفع بتلك الخدمة فوجدته عدد آيات السور في جميع
المصاحف والتفاسير التي تتبادلها الأيدي عددًا خالياً من المبالغة والخلاف ولاجل
تنبيه فكرة اخواني من المسلمين وأهل العلم لتلك النقطة أخذت اشتغل لها بنفسي
مع تحقيق وتدقيق حتى وصلت بها إلى ما شاء الله أن أصل من الثقة بالنتيجة وعلى
أثر الفراغ من ذلك دعيت عوامل الأخلاص إلى وضع هذه الأسطر اليسيرة أبدى
بها لأصحاب الرأي من رجال الدين وأولياء الحل والعقد وأرباب الأقلام
نموذجاً من عملي في تحقيق عدد الآيات وبيان ماهو الأولى بالاختيار لتعميم المد
بموجبه مؤملاً من حضراتهم تقدير الفكرة حق قدرها والمناقشة في الموضوع ونقده
وتنتيجه بما عس الحاجة إليه ثم المساعدة في تنفيذ المقترح بالإشارة إلى وجوب عدد
آيات المصاحف والتفاسير بالمد الذي يقر عليه الرأي ويشار إليه بالاختيار طلباً
لتوحيده ومنعاً من تعدد المدود رغبة في أفراد طريقة الاستهداء بآيات كتاب
الله الكريم في مشارق الأرض ومغاربها والله الهادي إلى سواء السبيل

* *

١- القرآن الكريم ١١٤ سورة الأولى منها سورة الفاتحة والثانية سورة البقرة والأخيرة
سورة الناس والسورة عبارة عن عدد محدود من الآيات والآية عبارة عن مقدار
معين من الكلمات الشريفة كان النبي عليه الصلاة والسلام يوقف الحفظة والصحابة
عليه عند التبليغ ويسمى أول كلمة في الآية قرأ في الآية وآخر كلمة فيها بالفاصلة
٢- كانت الحفظة من الصحابة تجتمع حفظ القرآن معرفة عدد آياته وعدد
آيات كل سورة من سورته وعدد كل آية من سورتها وبذلك كان إذا قرأ
القارئ منهم بعضاً من سورة قدر ما قرأ بما فيه من الآيات . وكان إذا أراد
أحد أن يستفيد منهم ما نزل من القرآن في قوم أو حادثة عينوا له السورة التي
ذكرت الحادثة فيها ومقدار الآيات الخاصة بذلك وأشاروا إلى أول تلك الآيات
بعددها الخاص بها وإلى الأخيرة منها كذلك . وما يشهد لهم بهذا أولاً ما جاء في
الكتاب السابع والستين من صحيح البخاري (كتاب المغازي) بالبَاب السادس

والسبعين من أبوابه (باب قدوم الأشعر بين) وهو حديث عن علقمة قال فيه
 (كنا جلوساً مع ابن مسعود فجاء خبّاب فقال يا أبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء
 الشبان أن يقرأوا كما تقرأ؟ قال أما إنك لو شئت أمرت بعضهم فقرأ عليك قال
 أجل. قال اقرأ يا علقمة. فقال زيد بن حدير أخوزياد بن حدير أناس علقمة
 وليس باقرئنا أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي في قومك وقومه فقرأت
 خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله كيف ترى قال قد أحسن... الخ)
 والشاهد فيه تقدير علقمة ما قرأه من السورة بما فيه من الآيات. وثانياً ماجاء
 في الكتاب الثامن والسبعين من صحيح البخاري أيضاً (كتاب التفسير) بالباب
 السابع والخمسين من أبوابه (باب ربنا! إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان... الخ)
 وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن مبيت النبي صلى الله عليه وسلم عند خالته
 ميمونة وقد كرهه الامام مؤلف الصحيح في كثير من المواضع وجاء في هذا
 الموضوع زيادة قوله (ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام الى
 شن... الخ) وفيه الإشارة الى عدد الآيات الخاصة بحالة معينة مع تعيين
 السورة التي اشتملت عليها وعدد أول آية فيها وكذلك الاخيرة. ومن قبيله ما ينقله
 المفسرون في أسباب نزول أوائل آل عمران عن الربيع بن أنس من قوله (نزلت
 أوائل السورة الى نيف وثمانين آية في وفد نجران... الخ) وكذلك ما ذكره صاحب
 لباب النقول في أسباب النزول عن المسور بن مخرمة من قوله (قلت لعبد الرحمن
 بن عوف أخبرني عن قصصكم يوم أحد فقال اقرأ بعد العشرين ومائة من سورة
 آل عمران نجد قصصنا يوم أحد «واذ غدوت من أهلك»... الخ).

**

٣- جاء بعد ذلك الزمن الذي رأيت فيه من عناية الصحابة بالقرآن ما سمعناك
 به زمن بدت فيه ظواهر قضت على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ
 المصاحف وارسالها الى الامصار الاسلامية المشهورة اتقاء الخلاف في ذلك
 الكتاب الكريم وعلى أثر ذلك قام حفاظ كل مصر من الصحابة والتابعين بتب
 معارفها عن آياته بتقدير آيات كل سورة من سورته وتعيين حدود كل آية صيانة

للتوقيف الذي لقنه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولما جاء عصر تدوين العلوم
 جمع ما قيل عن ذلك في كل مصر واذا به ستة أقوال دونت جملة وتفصيلا في
 مؤلفات جعل اسم موضوعها علم فواصل الآي وبواسطة هذا العلم تبين ان
 اثنين من تلك الاقوال الستة تقلا عن أهل المدينة عن الامامين الجليلين أبي
 جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح و يعرف أولهما بالمدني الاول وجملة
 الآيات فيه ٦٢١٠ مع خلاف فيه بين الامامين في ستة مواضع . و يعرف الثاني
 بالمدني الأخير وجملة الآيات فيه ٦٢١٤ بلا خلاف فيه بينهما رحمهما الله
 ورضى عنهما . والقول الثالث من الستة منقول عن أهل مكة و يعرف بالمكي وفيه
 روايتان احدهما عن أبي بن كعب وجملة الآيات فيها ٦٢١٠ والثانية عن غير
 أبي بلا تعيين وجملة الآيات فيها ٦٢١٩ . والقول الرابع منقول عن أهل الشام
 عن أبي الدرداء وقيل عن عثمان بن عفان و يعرف بالشامي وجملة الآيات فيه ٦٢٢٦
 وفي رواية ٦٢٢٥ والأولى أرجح . والخامس منقول عن أهل الكوفة عن علي
 كرم الله وجهه و يعرف بالكوفي وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦ . والسادس منقول عن
 أهل البصرة عن عطاء بن يسار وعاصم الجحدري و يعرف بالبصري وجملة الآيات
 فيه ٦٢٠٤ واليك يانها ملخصة

اسم القول	عدد	ملحوظات
المدني الأول	٦٢١٠	وفيه خلاف بين قائله في ستة مواضع
المدني الاخير	٦٢١٤	ولا خلاف فيه
المكي	٦٢١٠	قول أبي في ذلك
	٦٢١٩	قول غير أبي ممن عد الآيات بمكة ولم يعين من هو
الشامي	٦٢٢٦	الرواية الراجعة
الكوفي	٦٢٣٦	لا خلاف فيها
البصري	٦٢٠٤	لا خلاف فيها

السلف من الصحابة والتابعين في استهدائهم من الكتاب الكريم بالإشارة إلى آياته بمزدها كما بينا منه شطرا فيما تقدم برقم -٢- وأخيرا قامت من احتياجات المفكرين داعية الرجوع إلى الاستهداء من الكتاب العزيز بما يشبه أساليب السلف في ذلك فعدت آيات السور أو أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد في مصحفين أحدهما طبع في الأستانة سنة ١٢٩٨ هجرية ويعرف بالمصحف العثماني والثاني عده بأوروبا مستشرق ألماني اسمه (فلوجل) وطبع بألمانيا وعمل عليه فلوجل نفسه مؤلفا سماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) جمع فيه ألفاظ الكتاب العزيز كلمة كلمة وأشار إلى جميع مواضع كل كلمة في جميع السور بالأرقام التي وضعها على رؤس الآي في المصحف المذكور وبذلك استفاد من قرآنا الكريم مهرة الفريين في البحث والتنقيب عن المعارف العربية ما لم يحصل عليه أكثر المتعلمين من أبناء اللغة العربية وأتباع ذلك الكتاب العزيز

وبالتأمل في عدد المصحفين المذكورين وجدتهما يتفقان في عدد ٣٤ سورة ويختلفان في عدد الباقي وباحصاء الآيات في كل منهما تبين أن جملة آيات المصحف العثماني ٦٣٤٤ وجملة آيات المصحف الألماني ٦٢٣٨ ولم يطابق أحد العددين المذكورين واحدا من الأعداد المنقولة عن السلف ولا جمل استكشاف ما به نتج ذلك الخلاف أخذت أتتبع أولا من صحة كل قول مما نقل عن السلف في جملة آيات القرآن وجملة آيات كل سورة من سورته وبعد الفراغ من ذلك راجعت ما وثقت به على كل من المصحفين فوجدت اغلاطا في كل منهما فاحصيتها مشيرا بالصواب أمام كل غلطة مؤملا نجاحي في تصحيحها وفي توحيد عدد آيات المصاحف والتفاسير لتقريب وتوحيد وسيلة الاستهداء من ذلك الكتاب والله المعين واليك بيان النتائج التي وصلت إليها

- ٥ - جاء اختلاف عدد السلف لجملة آيات القرآن من نقطة واحدة وهي أن بعضهم اعتمد في عده من الفواصل ما لم يعتمدها الآخر فواصل في عده وعلى هذا يكون من بين فواصل الكتاب الكريم ما لم يختلف فيها أحد من السلف ومنها ما وقع فيها اختلافهم وتسمى الفواصل التي من الصنف الأول بالفواصل المتفق عليها والتي من

الصنف الثاني بالفواصل الخلافية وهذه الفواصل الخلافية نوعان نوع لم يرد عده الا في قول واحد من السنة والثاني جاء عده في قولين فأكثر وأسهي فواصل النوع الاول بالفواصل الافرادية وفواصل النوع الثاني بالفواصل المشتركة
 -٦- في القرآن الكريم من الفواصل المتفق عليها ٦١٠١ ومن الفواصل الخلافية ٢٤٨ منها ٨١ فاصلة افردية واليك جدولاً في تقسيم السور الى طوائف بحسب ما فيها من الفواصل الخلافية وجملة ما في كل طائفة من الفواصل المتفق عليها والختلف فيها

جنس الطائفة من السور	نفسه مبسلة للوائف	جملة المختلف		جملة المتفق عليه
		عدد السور	عدد فيه	
سور لا خلاف في فواصلها بين الماديين	١	٣٩	٠٠	١١٧٦
« الخلاف في فواصل كل منها في موضع واحد	٢	٢٢	٢٢	٨١٨
« « « « « « « « «	٣	٢٠	٤٠	١١٣٧
« « « « « « « « «	٤	١٢	٣٦	٨٤٩
« « « « « « « « «	٥	٧	٢٨	٥٧٤
« « « « « « « « «	٦	٤	٢٠	٣٩٤
« « « « « « « « «	٧	٥	٣٥	٤٧٥
« « « « « « « « «	٨	١	٠٩	٠٨٠
« « « « « « « « «	٩	١	١١	١٠١
« « « « « « « « «	١٠	١	١٢	٢٨١
« « « « « « « « «	١١	١	١٤	٩٠
« « « « « « « « «	١٢	١	٢١	١٢٦
		١١٤	٢٤٨	٦١٠١

ولأجل معرفة جملة الآيات في كل قول من أقوال السلف ينبغي فرز الفواصل الخلافية التي جاء عدها في كل قول من تلك الأقران على حدتها وإضافة

المفروز منها الى الفواصل المتفق عليها فتحصل جملة الآيات في ذلك القول . وباجراء
الفرز والحصر بالفعل ينتج البيان الآتي

	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد
فواصل متفق عليها	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١
{ جملة الفواصل الافرادية أى كل قول من الخلافات	٣	٤	٥	١٨	٤٣	٨
{ جملة الفواصل المشتركة في كل قول من الخلافات	١١٤	١٠٩	١١٥	١٠٧	٩٢	٩٥
جملة الآيات في كل قول	٦٢١٨	٦٢١٤	٦٢٢١	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
الوارد بالرواية في كتب الفواصل	٦٢١٠	٦٢١٤	٦٢١٩	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
	٠٠٠٨	٠٠٠٠	٠٠٠٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠

وبالنأمل في هذا البيان نجد خلافا بين ما حققناه وما جاءت به النقول عن المدني
الاول والمكي ومنشأ ذلك وجود خلاف للمدني الاول في ستة مواضع ورود
اضطراب في مواضع محصورة من فواصله الخلافية لم نتمتع اسقاطها وأما في المكي
فلسبب ورود روايتين في جملة الآيات فيه ولاهال الراويين نسبة الاضطراب في
المواضع المضطربة الى احدي الراويتين . (انظر الى قول الثالث من رقم -٣-
-٨- توصلنا الى البيان الاجمالي المذكور في رقم -٧- بعمل تفصيلي مثله لكل سورة
من السور التي جاء خلاف في فواصلها وذلك بارشاد الكتب المؤلفة في الفواصل
و بعض التفاسير ولنا هنا بمثال لسورة يوضح ذلك وليكن لسورة آل عمران فنقول:

جاء في الكتب المؤلفة في الفواصل ان سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان
باتفاق في الاجمال (أي في جملة الآيات) وخلافها سبعة مواضع (أي فواصلها
الخلافية سبع) وقد بينت كل ما يختص بكل موضع خلافي نحو قولها
« (الم) عده الكوفي (الإنجيل) الأولى عده ما عدا الشامي ٠٠٠ الخ » ثم سردت
الفواصل المتفق عليها . فلما فهمنا منها ذلك قمنا بإحصاء المواضع المتفق عليها أولا واذا بها
في هذه السورة ١٩٧ موضعا ثم عملنا جدولا على الصورة الآتية للمواضع الخلافية

جدول - أ -

نمره مسلسله	اسماء المواضع الخلافية	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
١	آدم	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٢	الإنجيل الأولى	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠١
٣	الفرقان	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١
٤	الإنجيل الثانية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٥	اسرائيل	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٦	مما تحبون	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠
٧	مقام ابراهيم	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠
		٣	٣	٣	٣	٣	٣

وبه تبين ان كل قول من أقوال السلف عد من الفواصل الخلافية ثلاثة مواضع بلغت معها جملة الآيات في كل منها مائتي آية وعلى أثر مطابقة ما يعطيه هذا البيان من جملة الآيات للمذكور عن جملة آيات السورة في كتب الفواصل نضع للسورة الجدول الآتي مجملا

جدول - ب -

نمرة السورة في المصحف	اسم السورة	الفواصل المتفق عليها	مواضع الخلاف
٣	آل عمران	١٩٧	٧

ما عد من مواضع الخلاف في كل قول					
مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
٣	٣	٣	٣	٣	٣

وذلك لاجل أن يعرف منه جملة آيات السورة في أي قول بضم المدود فيه من الفواصل الخلافية الي الفواصل المتفق عليها . وبعد الفراغ من العمل على هذا النمط للثمة بالمنقول عن السلف في كتب الفواصل أخذت في مراجعة ما تحققت

فيه المطابقة وتمت به الثقة على عد المصحف العثماني والمصحف الذي عدّه (فلوجل) فكانت النتيجة ما سأذكره والله العليم

٩- قد علمنا ما ذكر برقم ٦- أن جملة الفواصل المتفق عليها بين السلف ٦١٠١ وبالتامل في المصحف العثماني وجدناه أهمل منها سبعة وواقفهم في عد ٦٠٩٤ فأصله ثم وجدناه عد من مواضع الخلاف البالغة ٢٤٨ (راجع رقم ٦) ١٤٥ موضعا وانفرد بعد خمسة مواضع لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبمراجعة دقيقة مثل هذه المراجعة في المصحف الذي عدّه (فلوجل) وجدناه أهمل من الفواصل المتفق عليها ٨٩ موضعا وواقفهم في الباقي ومقداره ٦٠١٢ موضعا ورأيناه عد من الفواصل الخلافية ١٠٨ مواضع وعد ١١٨ موضعا لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبذلك بلغت جملة الآيات في الأول ٦٢٤٤ وفي الثاني ٦٢٣٨ واليك بيان اجمالي لذلك في الجدول الآتي جدول -١-

المصحف العثماني	المصحف الذي عدّه فلوجل
عدد	عدد
٦١٠١	٦١٠١
٧	٨٩
٦٠٩٤	٦٠١٢
١٤٥	١٠٨
٥	١١٨
٦٢٤٤	٦٢٣٨

والتائج المذكورة إنما حصلت من عمل تفصيلي لكل سورة مما فيها خلاف على النسق الآتي وليكن التمثيل على سورة آل عمران أيضا

جدول ب - ٣ - سورة آل عمران (أي السورة الثالثة من سور القرآن)

المصحف العثماني	المصحف عد فلوجل	عدد	عدد
١٩٧	١٩٧	١٩٧	١٩٧
١	١٢	١٢	١
١٩٦	١٨٥	١٨٥	١٩٦
٣	١	١	٣
١	١٤	١٤	١
٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠

تفصيل لهذا الاجمال

أما المصحف العثماني فالفاصلة التي أهلها من الفواصل المتفق عليها هي فاصلة (ليعلم المؤمنون) ضمن الآية رقم ١٦٦ وأما ماعده من مواضع الخلاف فثلاث هي ألم الفرقان - الأنجيل - الثانية - وأخر الآيات ١ و ٣ و ٤٨ وأما ما انفرد بعده خطأ فهو آخرة آية ١٦٦ ونفذه (للإيمان)

وأما المصحف الذي عدّه فلوجل فالمواضع الاثني عشر التي أهلها من الفواصل المتفق عليها هي السماء . المصير . رحيم . العالمين . العليم . الدعاء . وأطيمون . الحكيم . الكافرين . الكافرين (الثانية) . المؤمنين . البلاد . وهي على الترتيب في الآيات الموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية من المصحف المذكور بالسورة المذكورة ٤ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٤٤ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤١ و ١٦٠ و ١٩٦ وأما ماعده من فواصل الخلاف فهو فاصلة الفرقان - آخرة آية ٢ وأما ما انفرد بعده خطأ ولم يكن من الفواصل فهو أواخر الآيات الموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية وهي ١٨ و ٣٣ و ٦٨ و ٩١ و ٩٨ و ١٤٥ و ١٦٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٨ وألفاظها على الترتيب . ومن اتبني . المحراب . قائما . سيلا . اخوانا . ما يحبون . للإيمان . الطيب . شر لهم . النار . فأما من بعض . الأهار . قليلا

فانظر أعانتي الله واياك وراجع هذا التحري ان استطعت وسمحت لك
الفرص ونهني على ما تنبيهه موجبا للتنبيه بداعية الاخلاص الاخوي

١٠ - رأيتني أيتها القارىء الكريم أقترح في فاتحة هذه الاسطر وجوب عد آيات
القرآن في المصاحف والتفاسير عدا موحدا خاليا من الخلاف والخطأ. ووجدتني بينت
لك فيما تقدم (برقم - ٣ -) ان للسلف ستة أقوال في حصر جملة آيات الكتاب
العزیز ولكنها غير متطابقة وكأني بك الآن تطالبي بما أجيب به اذا سئلت
عن تعيين ذلك العد وتحديدده ولذلك أراني ملزما بمكاشفة القارىء الكريم عن
رأبي في ذلك وعرضه على محك النظر لاختباره والحكم عليه بما يؤدي اليه النقد
فأقول: قد جعلت أول الفكرة اختيار عد من عدود السلف الستة للعرض الذي تسكلم
في شأنه ولأجل فرزه من بينها استخرجت من مجموع الصفات التي تبينت لي في
تلك الاقوال الستة خمس مرجحات قلت اذا توفرت كلها أو أكثرها في واحد
منها وقع الاختيار عليه أو صار ذلك القول أحق بالاختيار من غيره وتلك
المرجحات الخمس هي ما يأتي

الاول - ترجيح الاقوال المنقولة عن أهل الاماكن التي برز الوحي بها على
غيرها لصيانة التوقيف فيها بكثرة الحفاظ والمقلنين منهم في غيرها من البقاع
الثاني - ترجيح الم اضطرب الروايات في عدم مواضعه على غيره لان الاضطراب
في موضع يؤدي الى الشك فيه (والاضطراب شك يقع من الراوي بسبب النسيان
أو ضعف الذاكرة أو ما شاكل ذلك)

الثالث - ترجيح ما قلت فيه المعدودات الافرادية من الفواصل الخلافية على غيره
لان الموضع الذي يأتي عدده في قولين فأكثر أقرب الى الثقة بعده مما لم يجيء
عده الا في قول واحد

الرابع - ترجيح العد الذي يحزم في جملة آياته وتفصيلها برواية واحدة مقطوع
بها على غيره مما ليس كذلك وسببه بين

الخامس - ترجيح ما انعدمت منه مواضع الخلف على غيره لان الخلف في موضع

موجب للشك فيه كالأضطراب بل أكثر والخلف في موضع معين من قول معين هو انقسام عادّي ذلك القول في عد ذلك الموضع الى قسمين أحدهما يقول بعده والاخر لا يقول به (الخلف يقع من العادين أنفسهم وأما الاضطراب فإنه يقع من الرواة فتأمل)

و تعرض هذه المرجحات الخمس على كل قول من أقوال السلف الستة وجدت المدني الاخير قد فاز منها بحظ لم يكمل مثله لغيره كما تبينه من الجدول الآتي ولذلك وقع عليه اختياري فهذا ما أُجيب به ولك أيها القاري الكريم الشأن فيما تبين فيه الاولوية والارجحية لاني ماقلت الا ما وصل اليه مبلغ علمي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وها هو الجدول الذي أشرت اليك بالنظر فيه قريبا

اسم القول	اعداد مسلسلة	مواضع الخلف	جنس الرواية	معدوداته الافراية	عدد المواضع المضطربة	اسم البقعة التي نقل القول عن اهلها
المدني الاول	١	٦	١ مجزوم بها	٣	١	المدينة المنورة
» الاخير	٢	٠٠	١ » »	٤	٠٠	» »
المكي	٣	لم تتحدد	٢ {المجزم بواحدة منهما}	٥	٤	مكة المكرمة
الشامي	٤	١	٢ مجزوم بكتيهما	١٨	١	بلاد الشام
الكوفي	٥	٠٠	١ مجزوم بها	٤٣	٠٠	الكوكة
البصري	٦	١	٢ مجزوم بكتيهما	٠٨	٠٠	البصرة

ولست تجد في هذا الجدول عندي اجري في بقعة نزل الوحي بها مع خلوه من المواضع المضطربة وبقلة المعدودات الافراية عن غيره مع الثبوت في روايته والخلو من الخلف الا المدني الاخير كما ذكرت لك فيما تقدم



١١- ﴿ بيان الحاجة الى عد آيات القرآن الكريم بالأرقام ﴾

﴿ ومن ألف في ذلك ﴾

من يقف على أن آيات القرآن غير معدودة في المصاحف والتفاسير بالأرقام وأن طلاب العلم بمعاني ذلك الكتاب المحكم من المسلمين غير قليلين ، وان كان عددهم بالنسبة الى المجموع أقل من الواجب بكثبر وأن أكثرهم من لا يحفظون القرآن يعرف الاسباب التي دعت أرباب الفكر الى تأليف (دليل الميران في الكشف عن آيات القرآن)* (١) و (نجوم الفرقان في أطراف القرآن)* (٢) و (مفتاح كنوز القرآن)* (٣) و (مرآة القرآن)* (٤) و (تحليل القرآن)* (٥) ومن ينظر في هذه المؤلفات وفي طريقة الانتفاع بها يتضح له في كل منها تقصير عما يجب من جهة ويتبين فوق ذلك اسبابا خارجية تمنع من تعميم الانتفاع بها وليان ذلك في كل منها أقول

(١) دليل الميران - هذا المؤلف أعده مؤلفه للبحث عن مواضع الآيات في سور القرآن متى علمت أوائلها ويشير الى الآية بعدها من السورة التي هي منها ويمنع من تعميم الانتفاع به ان من لم يعرف أول الآية لا يمكنه الكشف بواسطته وأن المصاحف والتفاسير المتداولة لم تكن معدودة الآيات وما كان منها ممدودا فأرقامه لا تتفق مع أرقامها

(٢) نجوم الفرقان - يشير هذا المؤلف الى مواضع كل كلمة من كلمات القرآن في جميع آياته بوضع أرقام أفرنكية كبيرة لترتيب السور في المصحف وأرقام أفرنكية صغيرة لترتيب الآيات في السور وعوائق تعميم الانتفاع به هي أن أرقامه أفرنكية وجمهور المسلمين لا يعرفون تلك الأرقام لوجود أرقام خاصة لهم وأن أرقامه لا تتفق الا مع المصحف الذي عده (فلوجل) المطبوع بالمانيا وأغلب مصاحف المسلمين

(١) تأليف الحاج صالح ناظم وطبع بمطبعة التمدن بمصر (٢) تأليف (جوستافوس فلوجل) طبع بالمانيا (٣) تأليف كاظم بك طبع أولا بمدينة برنسبورج من روسيا على الحجر ثم بالحروف في مصر (٤) تأليف عاكف أفندي تشريفاتي وهو خط بالكاتبخانه الحديوية المصرية (٥) تأليف الموسيو (لابوم) وطبع ياريس من فرانس

غير معدودة والمعدود منها لا تنفق أرقامه مع أرقامها وأن سرد مواضع الكلمة الواحدة من كلمات القرآن بالأرقام جملة واحدة لا يسمح لطالب الكشف بالشور على مطالوبه دفعة واحدة وهو سبب ربما يقضي باهمال المؤلف

(٣) مفتاح كنوز القرآن - وضع هذا المؤلف على شكل منتزع إمام من نجوم الفرقان

مع نوع من التحسين وإما على مثال (مرآة القرآن) الآتي وصفه فيما يلي فتكفل يذكّر مواضع كل كلمة من كلمات القرآن فيه بحيث يذكّر الكلمة بين ما يسبقها وما يلحقها من الالفاظ القرآنية وهو شكل يتم به تمييز الموضع المراد البحث عنه غير أنه لا يحدد الموضع تماما ولكنه يحصره في عشر آيات فقوله مثلا «٦٢» - بقره - الله لا إله الا هو (الحي القيوم) معناه ان كلمة (الحي) التي يسبقها (الله لا إله الا هو) ويلحقها (القيوم) توجد في العشرة السادسة والعشرين من آيات البقرة أي بين الآية رقم ٢٥١ والآية رقم ٢٦٠ وبما ان المصاحف والتفاسير غير معدودة بالعشرات ولا يغيرها صار من المسرّ تعميم الانتفاع بهذا المؤلف في الكشف بواسطة

تنبيه - اذا عدت آيات المصاحف والتفاسير بعدّ موحدا بالأرقام يكون مفتاح كنوز القرآن المثال الصالح لأدلة الكشف. لكن تستبدل الأرقام الدالة على عدد الآيات بنفس أرقام العشرات ويهدب وضع الالفاظ على ترتيبها الطبيعي ويزاد فيه قسم الحروف التي من قبيل إن الشريطة وما ولا الخ

(٤) مرآة القرآن - يشير هذا المؤلف الى موضع الكلمة من السورة بعدد ترتيب أحزاب القرآن بعد ان يحصرها بين ما يسبقها وما يلحقها من الكلمات الشريفة ويقرب مكان الموضع من الحزب باستعماله حرف (الاف) للإشارة الى أول الحزب وحرف (الواو) للإشارة الى وسطه وحرف (الراء) للإشارة الى آخره. وبما ان تقسيم القرآن الى أحزاب غير مألوف كان تصور تعميم الانتفاع به لا الكشف واضحا

(٥) تحليل الآيات القرآنية - أعد هذا المؤلف لجميع الآيات بحسب المعاني ففيه مثلا آيات الميراث مجموعة تحت عنوان الميراث والآيات التي تذكّر أخبار سيدنا موسى عليه السلام تحت عنوان موسى عليه السلام ويكون هذا المؤلف ترجمة للآيات بالفرنسية تعبر عن معاني القرآن بقدر الامكان وأكثر المسلمين لا يعرفون هذه

اللغة فنفعته اذن خاصة بمن يعرفها وأرقام آياته تتفق مع المصحف عدّ (فلوجل)
المطبوع بالمانيا وهو في وضعه لم يكن دقيقا وإنما يوجب الشاء على واضعه الاجنبي
عن العربية وأهلها

تنبيه — مما رأينا في مؤلفات العرب من قبيل تحليل الآيات القرآنية كتاب
(حجج القرآن) وهو قاصر على سرد الأدلة القرآنية التي يستدل بها كل فريق من
الفرق الاسلامية على مذهبه وبما أن أغلب المستعربين من المسلمين لا يحفظون
القرآن كما قلنا في أول هذا الفصل فهم اذن في حاجة الى دليل يعين على الكشف
في المصاحف والتفاسير بمجرد معرفة لفظ معين من الآية المطلوب معرفة موضعها
والى مصنف يضم الآيات بحسب المعاني والى معجم لغوي ينقسم الى قسمين يذكرفي
الأول منهما الالفاظ اللغوية بحسب ترتيبها في السور وفي الثاني تلك الالفاظ مرتبة
بحسب أوائلها وبما أننا تحققنا في المؤلفات التي وضمت لهذه الالغراض قبل
زماننا هذا تقصيرا يمنع تعميم الانتفاع بها بسهولة كما بيناه فيما تقدم وتيقنا بما ذكرناه
آنفا ان أساس ذلك التقصير افعال اختيار عدّ موحد تعدّ به الآيات في المصحف

والتفاسير التي تتبادلها الايدي أصبحنا من غير شك في حاجة الى تعميمها

الآيات في المصاحف والتفاسير قبل عمل كل شيء

وبما أن السلف الصالح عدّ آيات القرآن قبلنا ونقل عنهم في ذلك ستة أقوال

ذكرناها برقم -- ٣ -- أصبح من الضروري اختيار واحد منها

هذا ما أوقفني عن تهنذب دليلي لتبييضه ودعائي الى عرض هذا الفكر على
السادة العلماء والاخوان الكرام أرباب الآراء الصائبة والافكار الناقبة ليروا فيه رأيهم
وفي الختام أقدم شكري لكل من يأتي الى هذا الموضع بالمطالعة من القراء
الكرام و بشاركتي في الاهتمام بهذا الغرض السامي فيؤمن فيه نظره ويسرح
فيه فكرته ويدقق في تأمله ثم يعرض بعد ذلك على الاخوان المسلمين ما عن له
و يشير بما يتراءى له قاصدا في ذلك وجه الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين

(أحمد أمين الديك)

(المنار) ان علماء السلف قد عدوا آي القرآن وكلماته وحروفه وكتبوا في ذلك صفات، ونظموا فيه المنظومات، كما بينوا مواضع الوقف في أثناء الآيات، وفي الاحاديث والآثار كثير من ذكر الآيات بهددها وقد أشار الى ذلك أحمد أفندي وتقدم في التفسير من هذا الجزء شاهد منه . وفي الاتقان أن سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤس الآي للتوتيف فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة والخلاف مع هذا قابل وليس بضارنا شيئاً . وأي عدد من الأعداد اعتمدنا وضبطناه بالأرقام حصل المقصود الذي نحتاج اليه في هذا العصر لسهولة المراجعة ولم يكن علماء السلف يحسون بهذه الحاجة لحسن حفظهم للقرآن واستحضارهم للآي عند إرادتها وانني لأراجع الآية بفتح كنوز القرآن في دقيقة واحدة أو فيما هو أقل من دقيقة فأستخرجها من المصحف المبين عدد آياته بالأرقام . والسبب في عناية أحمد أفندي أمين بتحرير الخلاف في العدد والعمل بما يظهر أنه أقرب للصواب هو استعداده الفطري للامور التحسينية وان كان في أمة لم تقن الامور الضرورية والحاجية . ولذلك رأينا أول من ألف في عصرنا في الموسيقى العربية والافرنجية وأول من اجتهد في مراجعة عدد الآي وضبطها وعد احاديث البخاري وعمل جدول لأبوابه ولاغرو فقد كان والده ميالاً لمثل ذلك اذ كان هو الساعي بطبع لسان العرب فكان خير خلف له فلا زال موفياً

﴿ المدرسة المحمدية بقران (روسيا) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم
 روسيا ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ
 من أحمد جان بن محمد رحيم المصطفوي المدرس الثاني في المدرسة المحمدية بقران
 الى صاحب مجلة المنار حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا أرشده الله الى ما يرضى
 سيدي أبدي اليك العذر لعدم مكاتبتي بعد مفارقتكم مع مرور سبع سنين من
 تشرفي بجالسكم لعذر يطول بياؤه والعذر عند كرام الناس مقبول
 أما بعد فيا سيدي انا قرأنا في العدد الثالث من المنار رسالة مكتوبة من

قران مشحونة بالكذب والافتراء على المدرسة المحمدية التي خرج منها من طلبتها من غير اخراج انتصاراً على من اخرج منها من سببي الخلق ، وهم أربعة ، و ترجمة الكتاب المفتوح كذلك . فاضطررنا الى ان نرسل اليكم بروجرام المدرسة المحمدية المتبع اليه في التدريس بها لتعرفوا بالمقاييس اليه كدبرهم واقراءهم

المدرسة المحمدية أقسام : الابتدائية -- والرشدية -- والإعدادية -- والعالية . ومدة التحصيل في الابتدائية ثلاث سنوات ، وفي الرشدية أربع ، وفي الإعدادية أربع أيضاً ، وفي العالية ثلاث سنوات أيضاً

فالمتعلم في القسم الابتدائي من الدروس : القراءة والكتابة على لسان الامهات مطابقاً على قواعد اللسان - وصحيح الاملاء - وحسن الخط - وقراءة القرآن الشريف مع التطبيق على قواعد التجويد - وانضرويات الدينية من الاعتقادات والمبادئ والمعاملات والاخلاق - وتوسيع الفكر بالمعلومات المختلفة من أحوال الطبيعيات والامثال الحكيمية ، ومن الحساب قواعد الجمع والطرح والضرب والتقسيم ، وحفظ الاذكار الصلواتية وبعض السور القرآنية التي لا بد منها للصلاة وشيء قليل من التاريخ .

ويلتزم في القسم الرشدي : القراءة العربية مع التطبيق على قواعد الصرف والنحو والمطالعة الصحيحة مهما أسكن وتقرير ما فهم باللغة العربية وصحيح الاملاء والانشاء ، وقراءة القرآن في الاسبوع مرة أو مرتين ، وبقية قواعد لسان الامهات من صرفها ونحوها ، وتمرن القراءة العربية العثمانية ، ومن الحساب تمرن القواعد (الأربع) بعلمياتها ، وشيء من الجغرافيا العمومية والوطنية ، وشيء من تاريخ الاسلام والملة ، واللغة انمارسية بقراءتها وقواعدها وتقريرها وتوسيع الافكار بالمعلومات المختلفة أيضاً . ونحسين الخط . ونخطيط الاشكال الهندسية لتعليم الرسم . وكتاب من (الفقه) الحنفية ، وكتاب من الحديث ،

ويلتزم في القسم الاعدادية المنطق (الرسالة الشمسية) ، والمعاني والبيان والبديع ، والعروض ، وأصول الفقه ، وسيرة النبي (نور اليقين) ، والمسائل الاعتقادية حسبما اکتفى به السلف (عقائد الطحاوي) ، والاخلاق النظري والعملي (الطريقة

المحمدية) ، والادبيات العربية والمثانية، والجغرافيا العمومية، والتاريخ العمومي،
 والتفسير (للعجلالين) والحديث (للامام البخاري) ، والهداية (في الفقه الحنفية) ،
 ومن الطبيعيات الكيمياء . ومساائل الحساب كالكسور الاربعة المتناسبة والقائض وغيرها
 ويلتزم في القسم العالي : التفسير - والحديث - وفقه أبي حنيفة - والادبيات العربية .
 والعقائد المدونة مطابقا لحالة الامة الخاضرة (كذا) ، والتاريخ مع النقد ، والجغرافيا
 مع تاريخها ، والطبيعيات ، والبيداجوجيا (حضرة الشيخ حسن توفيق المرحوم)
 هذا . وليحكم أهل الانصاف بما يحصل لهم في تطبيق أقوال السفهاء
 لهذا البروجرام من الصحة والفساد والصدق والكذب والحق والاختلاق . أعني
 هل يصح بعد هذا قولهم : ان مدارسنا لا يدرس فيها إلا ما بقي من خيالات
 اليونان والتفتازاني . وقولهم : ولا يدرس فيها غير ما ذكره لا من التفسير ولا من
 الحديث وغيره . وقولهم فأخرج من مدرسة عالمجان اثنان وعشرون طالبا من ذوي
 النهي وابقوا (أوتى) من لا يهتم بشيء من الاصلاح (والمترعرين الذين خرجوا
 من المدرسة جلهم من الصنف الرشدي وغيرهم من طلبة السنة الاولى للصنف
 الإعدادي ، وهل يمكن لهم ان يكونوا من أهل النهي دون الباقيين مع ان طريق
 التعليم فيها وخيم (كما قالوا) . وهل يصح أيضا قولهم : والعلوم التي تحصلها في
 مدارسنا لا تكفي للإمامة والخطابة أيضا . وقولهم : ولا يعلموننا فيها من الاخلاق
 والتربية . وقولهم : نحن لا نكون بما تعلمنا فيها الامضية للعوام وعلماء السوء . وقولهم :
 اما اساتذتنا فيملون أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا
 باليونانيات والتفتازانيات ، ويسومونا حفظ الحواشي والتعليقات . وقولهم وقولهم .
 فنرجو من جنابكم أن تنشروا هذا البروجرام في المنار وان لا نندسوا وجه
 المنار بمثل هذه الاقوال الساقطة والمختلفات الباطلة .

ثم يسألنا قراء المنار ، فما سبب انتصار هؤلاء الرئاع على الباطل ؟
 والجواب : ان ناسا من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وان لم يقرؤوا
 بالسنتهم يظنون أن التدين والعلوم الدينية مانع من الترقى والتمدن الحقيقي (كما
 يظنه أمثالهم من أهل الغرب) ويرون جل المسلمين في روسيا متمسكين على

الدين ومعتادين على أهله والمدارس الدينية . ويستخرجون من هذا وذاك ان تمدن المسلمين في روسيا (بل وفي غيرها) موقوف على حل هذه العقدة أعني تفرق المسلمين من العلماء والمدارس الدينية، ولوصول هذا المقصود طريق واحد وهي (كذا) الإلقاء العداوة والبغضاء فيما بين العوام والعلماء ونشئت اندارس الخاضرة أيدي سبائهم جمعها على الاساس الصحيح كمدارس أوروبا . فصاروا يتخذون لهذا الإلقاء والنشئت واسطة كل ما يتيسر لهم من الاقوال والافعال . منها اغواء الطلبة بان حالهم ليست حالة مرضية لامن جهة الدروس ولا من جهة المدرسة ولا من جهة المدرسين ولا من جهة الادارة والقوانين المدرسية ولا من جهة المعيشة ولا من جهة الحال ولا من جهة المآل . وليدرس في المدارس الدينية الفنون العصرية واللغة الروسية وما يتعلق بها أصلا والمعلوم الدينية تبمأ وليحول المدارس الدينية مدارس دنياوية وهكذا . لانهم لا يحسون الاحتياج الى المدارس الدينية كما كثر أهل فرانسا ويقولون : ان هذه المدارس مهما تكمل يلزم ان تدرس وتفتى بنفسها بعد ما تناسس المدارس الدنياوية بين الامة، فيلزم عليكم أن تعجلوا الامر ولو بسنة .

ونحن نقول : لاتمسوا مدارسنا الخاضرة ولنصلحها بالتدريب ، لئلا يكون حالنا كحال حنين ، وابنوا أنتم وأسدوا المدارس المحتاج إليها لامة بجميع أنواعها من متوسطها وعاليها وليتدرس المدارس بعدها بنفسها (على انزعهمون) ، ونحن لانذكر احتياج الامة لمثل تلك المدارس والى تعلم اللغة الروسية والمعلوم الرسمية ، بل نحن نحس هذا الاحتياج كاحساسكم بل أشد، وندعو الناس اليها ومع ذلك نحس الاحتياج الى المدارس الدينية ولانرضى انقراضها ولا نخيل كما تخيلون وسندخل اللغة الرسمية الى المدارس الدينية أيضا بشرط ان يتخذ المعلوم الدينية أساسا لما يتعلم فيها ولكن هذا يقتضي شيئا من التأني ولا يستقيم بالعجلة ولا نصديق انقراض الدينية عند انتشار المعارف ، ويؤيد هذا قيام المدارس الدينية في الممالك الغربية والاميريكية مع ارتقاء المعارف فيها غاية ثم بعد برهة من الزمان وضعنا قبح هذه الحركة على علم الطلبة من الصنوف المالية فانتبه المتبصرون منهم ولم يساعدهم بعده في حركتهم فتفرقوا فقتل

فصاروا يسبون الطلبة الذين لا يتحركون بتحريكهم فمجزوا .
ثم أخذوا طريقا آخر يخفون فيها مرادهم من تحريكهم . وصاروا يدعون أن
مرادهم من التحريك اصلاح هذه المدارس مدارس دينية وهم أيضا يهتمون
للعلوم الدينية كما نهتم بل أشد ، ولكن العلوم الدينية ليس ما نسميها علومنا دينية
بل غيرها وهكذا . اهتصه وفيه غلط تليل أشرا إلى بعضه ولعله لم يراجع
(المناظر) نشرنا رسالة هذا الاستاذ برمتها لأن الوقوف على حقيقة حال مسلمي
روسيا في التعليم والتربية مهمنا جدا ، لئلا فيهم من الرجاء وحسن الظن وصاحبنا
الاستاذ كاتب الرسالة أدري بتلك الحال ، وما ذكره من ترتيب التعليم في المدرسة
المحمدية لا ينطبق على ما نكتب اليها بعض التلاميذ ولا يخلو على إجمالها من انتقاد
وحاجة إلى الاصلاح وباليته يتفضل فيرسل اليها نسخة من البروجرام لنبدي رأينا
في ذلك على بصيرة تامة وقد اطلعنا على ما كتب رضاء الدين أفندي الشهير في
اصلاح التعليم في المدرسة الحسينية في أوردنبورغ وودنا نشر خلاصته في هذا الجزء
والقاء دلونا مع دلوه لولا أن جاءت هذه الرسالة فحلت دون ذلك وفتحت لنا
بابا جديدا من التروبي في الحكم على تعليم مسلمي روسيا .

علمنا من هذه الرسالة أنهم يتعلمون لغة الأمهات ويظهروا لنا انهم اللغة التبرية
ويتعلمون اللغة العثمانية واللغة الفارسية واللغة العربية وهم في أشد الحاجة إلى اللغة
الروسية ولا يستغني أهل التعليم العالي عن لغة أوربية عامة كالفرنسية أو الانكليزية
وهذا عبء ثقيل فإبل صديقي كاتب الرسالة يعرفني وجه الحاجة إلى تعلم لغة
الامهات في المدارس وليست لغة علم ولا دين ووجه الحاجة إلى اللغة الفارسية
والتركية أي جعل تعلم ذلك إلزاميا عاما . وعلمنا أنهم يقرأون معاملات الفقه في كل
قسم من الابتدائي إلى العالي ولم يذكروا مصطلح الحديث . وذكر من المنطق الشمسية
فقط وكل ذلك منتقد كما سنبينه بعد

واما ما ذكره في سبب انتقاد المدارس الاسلامية فأصاقه ببعض المبتدئين
من المدرسة المحمدية محل نظر واعتبار ، ومهمنا ان نعرف مشار هذه الأفكار ،
وكيف السبل إلى تلافيا ، وما يجب على العلماء فيها ، وسنعود إلى البحث في ذلك

فَتَاوَى الْمَبْتَنِينَ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ونقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالندرج غالباً ورتبنا ما تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعاً جينا غير مشترك لثقل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لافعاله

﴿ اشتراط القبول في الوقف عتب الا يجاب وعدم جواز يبعه ﴾

(س ٢٦) أرسل الينا أحد الملتزمين في بمباي (الهند) ما يأتي

الحمد لله وحده

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم
وقعت عندنا مشكلة يظهر افضيلتكم أهميتها من سياق عبارة السؤال الآتي
الذي تقدمه الى حضرتكم راجين من فضلكم أن تبينوا فيه الحكم على مذهب
الامام الشافعي والله يديمكم ويتولاكم
رجل وقف وقفاً مؤبداً على اولاده وهم ابناؤه الثلاثة وبنته وعلى زوجته
وأخته بأه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يتصرف فيه تصرف الملكية وشرط
لهذا الوقف شروطاً منها ان يكون النظر لنفسه مادام حياً ثم من بعد موته يكون
النظر لولده فلان ثم لا كبير اولاد بنيه وهلم جرا فان لم يوجد من شرط له النظر أو
وجد ولكن تقدم فيه الرشيد فالنظر ان شرط له بعده فان لم يبق أحد من
المشروط لهم النظر فالنظر لناظر مسجد فلان (أي وان كان ابن الواقف الذي
لم يشترط له النظر موجوداً مثلاً) ومنها ان يأخذ الناظر الواقف من غلة
الوقف كل شهر قدراً معيناً في مقابلة نظره مادام حياً . ومنها ان يتصرف من غلة
الوقف على ما لا بد منه لمصلحة الوقف الحالية وان يحفظ كل شهر من الغلة قدراً
معلوماً لما يحتاج اليه صرفه لمصلحة الوقف في المستقبل كالبناء وغيره ثم يقسم باقي
الغلة على الموقوف عليهم المذكورين لاذ كرمثل حظ الاثني عشرين . ومنها انه اذا
ماتت أخت الواقف أو زوجته فسهم كل منها يرجع الى أصل الغلة وكذا ما يأخذه

الوقف في مقابلة نظره يرجع الى الغلة بعد موته . ومنها ان هذا الوقف يبقى دائماً وأبداً في ابناء أولاده ما ناسلوا لذكركم مثل حظ الاثني عشر وليس لاولاد البنات شي في هذا الوقف وان سهم كل بنت بعد موتها يرجع الى اخوتها للذكر مثل حظ الاثني عشر . ومنها انه اذا كان ولد الابن في درجة لا يرث من قبل جده وفق فرائض الله ليس له سهم في الوقف وإنما يتبرع له الناظر بنزير يسير ومقدار معين قليل لا يزداد عليه . ومنها انه اذا مات أحد الموقوف عليهم ولم يترك ولداً صلياً فإنه ينتقل سهمه الى اخوته للذكور . مثل حظ الاثني عشر فان لم تكن له اخوة فالى أقرب عصبائه وهم جراحتي اذا انقرضوا عن آخرهم تصرف الغلة في جهة البر وقد بينها وبينه . وحينئذ يكون الناظر ومولي مسجد فلان . وشرط أيضاً شروطاً آخر منها ان تقسم الغلة في آخر الشهر الثالث . ومنها انه اذا أراد أحد الموقوف عليهم السكنى في بيت مهتم للسكنى من بيوت الوقف فإنه يسلم الكرى كل شهر قدر ما يمين عليه الناظر وان للناظر ان يقطع قدر الكرى من سهم من يسكن في هذا البيت قبل ان يسلم له سهمه فإن لم يستوف الكرى من سهمه يطالب به وان للناظر ان يأمر كل من أراد ممن سكن في هذا البيت بتخليته ولو من غير تقصير منه . ومنها انه ليس لاحد من الموقوف عليهم ان يطالب الناظر في حساب ما حصل من الغلة بل يقبل كلما يقدمه له الناظر . ومن أمثالها شروط كثيرة مما لا حاجة الى ذكرها الا شرطاً واحداً هو ان رقبة الوقف اذا جرى عليها شيء مما يوجب من الحرق والانهدام ولم يستطع بناؤه ثانياً فللناظر ان يقرض لأجل البناء فإن لم يقرض بضمائه فليبيع رقبة الوقف وليشتر بثمنها عوضاً عنها

فلما بلغ الخبر الى الموقوف عليهم الذين هم البطن الاول ردوه ولم يقبلوه الا أن الولد الذي شرط له النظر بعد الوقف قبله ثم أكره الذين لم يقبلوه على امضائهم في ورقة التسليم ليستلموا ما يستحقونه من الوقف فقال أحد الرادين ان هذا الوقف بعد ردنا اياه صار منقطع الاول وبطل لما في المنهاج وشروحه وغيرها من كتب الشافعية حيث صرحوا بما معناه ان الوقف يرتد برد الموقوف عليهم الميعنين فان كانوا البطن الاول يبطل بردهم ومن قبل بعد الرد لم يعد له فعله هذا ابقاء هذا

الوقف على الوقفية واجراؤه بحسب شروطه لا يبيده وقفاً واكرهنا على الامضاء
ما لا فائدة فيه . فلم يسمع قول هذا القائل . وجرى الناظر الوقف بشروط الوقف
وجعل يسلم سهم الموقوف عليهم بعد كل ثلاثة أشهر و يأخذ منهم امضاءهم على
ورقة التسليم وجعل الكرى على من سكنوا في البيت المعتد للكنى وجعل يتطعم من
سهامهم قدر الكرى عند تسليم سهامهم اليهم واستمر هذا الحال مدة وفي خلالها
توفي أحد أبناء الواقف وكان من الذين لم يقبلوا الوقف ثم توفيت أخت الواقف
فجعل يعطي سهم الاول لاختوته الموجودين للذكر مثل حظ الاثني عشر وجعل
سهم الاخت في أصل الغلة ثم توفي الواقف وانتقل النظر بحسب شرطه لولده فلان
المذكور فجعل يحدو حدو والده في اجراء هذا الوقف فآله باقي الموقوف عليهم
أن يسلم لهم من عين هذا الوقف قدر سهامهم ليتصرفوا فيه مطلقاً انكون الوقف
قد بطل بردهم كما علم فإني هذا الناظر وامتنع عن تسليم ما طلبوه من سهامهم
في عين هذا الوقف اليهم وقال الوقف لازم على الموقوف عليهم كماهم وليس لاحد
في عين الموقوف حق ما

فأقام بمض الموقوف عليهم الدعوى على الناظر الموجود عندنا كم البلد
الذي يرى ابطال مثل هذا الوقف مطلقاً بحسب قوانينه الجارية والحكم منتظر
وباقي الموقوف عليهم كذلك تبعوا الاول في الدعوى على الناظر المذكور
ثم ان هذا الناظر احتج في جوابه دفماً للدعوى عليه (حسب ما يتضمنه
قانون المحكمة وذلك ان المدعي يقدم دعواه مكتوبة في ورقة ويحلف أن ما كتبه
فيها هو دعواه ثم يجيب المدعى عليه كذلك بتقديم ورقة مكتوبة ويرد الدعوى
عليه ويحلف ان ما كتبه فيها هو جواب الدعوى) ان الموقوف عليهم قد اطلوا
حتهم في عين هذا الوقف لكونهم كتبوا امضاءهم في ورقة التقسيم
هذه هي الحالة والمسئول من فضيلتكم ان تبينوا حكم المسئلة على مذهب

الامام الشافعي

أولاً - هل يلزم هذا الوقف الموقوف عليهم الميمين الذين ردوه عند ما علموا

به من غير تراخ

ثانياً- هل يكفي في القبول امضاء الرادين في ورقة التقسيم من غير ان يتلفظوا بالقبول مع ان التلفظ بالصيغة شرط في العقود
ثالثاً- هل يؤثر القبول بمد الرد ان قلم بكفاية الامضاء في ورقة التقسيم
رابعاً- ان قلم بطلان الوقف بالرد فهل يطل كله أو بعضه فان قلم بالثاني
فاذا يبقى وقفاً

خامساً- ماذا حكم الذي بطل هل هو ملك للواقف على ما كان قبل الوقف
أم ملك للموقوف عليهم نظرا الى ان الواقف أخرج الملك عن نفسه وكان يملكهم
انفعة مدة حياته أم لا يملكه أحد وعلي هذا فامعنى بطلان الوقف بالرد المستفاد
من صريح عباراتهم

سادساً- هل يأثم الذي أقام الدعوى ومن تبعه عند من يرى بالقانون بطلان
كل وقف على المعينين فيحكم بطلان هذا الوقف بأسره وبجملة من تركة الواقف
وتقسيمه بين الورثة الموجودين وفق فرائض الله أم لا أثم عليهم لان النظر الموجود
أبي ان يسلم لهم حقهم الذي طلبوا منه من عين هذا الوقف ولانه لم يقم الدعوى
من أقالها الا بدليل ان الوقف قد بطل في حقه حينما رده اذ دخول عين أو منفعة
في ملكه قهرا بغير الإرث بعيد كما هو ظاهر وقد كره الرهلي في نهاية المحتاج بشرح
المنهاج أفتونا مأجورين

(ج) هذا الوقف باطل عند الشافعية لاشتماله على بعض الشروط الفاسدة
وهو تفويض بيع الموقوف الى الزناظر على الوجه المذكور في السؤال قال في المنهاج
وشرحه لشمس الرهلي مانصه: (ولو وقف) شيئا بشرط الخيار) له في الرجوع
عنه أو في بيمة أو في تغيير شيء منه بوصف أو زيادة أو نقص أو نحو ذلك (باطل)
الوقف (على التصحيح) هو ولا فرق بين تفويض البيع اليه متى شاء وبين تفويضه
اليه بشرط كالمذكور في السؤال اذ لا يجوز ذلك بيمة بحال. واذا كان الوقف باطلا
من أصله سقطت تلك الاسئلة الا اننا نجيب عنها بالايجاز

اما جواب السؤال الأول فهو ان الوقف نلى معين يشترط فيه قبوله كما صرح
به في المنهاج وصرح الرهلي في شرحه باشتراط القبول عند الايجاب أو بلوغ الخبر

أي فإن نأخر بطل في حقه

وأما جواب الثاني فالظاهر أنه يصح مع النية إذا لم يترتب عليه التراخي كأن يعرض عليه كتاب الوقف قبل العلم به فيكتب عليه فوراً أنه قبله وأما الامضاء على أوراق تقسيم المثة فهو ليس من القبول على الفور وإن استأنزمت الرضا بالوقف مع القرينة وأما جواب الثالث فهو أن القبول بعد الرد لا تأثير له قال في نهاية المحتاج «فإن رد الأهل بطل الوقف ولو رجع بعد الرد لم يعد له» وقال ابن حجر في شرحه للمحتاج (التحفة) أنه لا تأثير لرد بعد القبول كما ذكره فلورجع الراد وقبل لم يستحق شيئاً ولكنه قيده بحكم الحاكم على وجهه وكتبه ابن القاسم في حاشيته وذكر عبارته في شرح الروض وهي: فلورجع بعد الرد لم يعد له وقول الروياني يعود له إن رجع قبل حكم الحاكم به أنيره من دود كما بينه الأذري اهـ

وأما جواب الرابع فهو أنه إذا رد بعض الموقوف عليهم بطل حقهم منه خاصة دون سائرهم كما صرحوا به وفي حاشية الشبرايمسي على النهاية «فلو وقف على جمع فقبل بعضهم دون البعض بطل فيما يخص من لم يقبل عملاً بتفريق الصفة» أقول وفي القول بتفريق الصفة مقال سيأتي على أن الأصل فيه أن يكون في البيع أو ما هو بمنه كالمصالح والوقف ليس كذلك إذ لا معاوضة فيه ويترتب على تفريق الصفة هنا أن يرث من قبل الوقف من الباقي فيكون حظه من تركة المورث أكثر فإذا قبل بطلان الوقف كله برد من رده فهو أقرب للمذهب والأصل معاً

وأما جواب الخامس فهو أن ما بال وقفه يكون ملكاً للوقف بل هو لم يخرج عن ملكه كالوصية التي لم تقبل

وأما الجواب عن السادس فهو أنه من أقام الدعوى لا بطل الوقف لا اعتقاده أنه باطل في نفسه لا شمله على الشرط الفاسد فلا يتم عليه لأنه توسل بذلك إلى إعطاء كل ذي حق حقه وكذلك إذا اعتقد بطلانه رد البعض ترجيحاً للقول الثاني في تفريق الصفة فلا أصل في إنذهب أن صح أن الوقف تنوقف على الإيجاب والقبول على الفور وإن رد جمع الموقوف عليهم بطله لأنه يكون منقطع الأول ورد بعضهم يأتي فيه تفريق الصفة عندهم والذي جروا عليه القول بجوازه وقال في المحتاج أنه لا يظهر أي من قولي الشافعي ولكن قال الرهلي في شرحه «ومقابل الأظهر البطلان في الجميع تنظيراً للحرام على الحلال قال

الربيع واليه رحمة الشافعي آخراً ثم رد الرهلي قول الربيع باحتمال كون الرجوع في الذكور
لا في الفتيات وهو الذي جروا عليه وهو احتمال بعيد فمن لم يطمئن له واعتقد ان الحق في
تفريق الصفة البطلان في الجميع فلا حرج عليه اذا سمى في ابطال الباطل
وأما من اعتقد ان هذا الوقف صحيح في حق بعض الموقوف عليهم دون بعض
وأن هذه الاعيان التي وقفت بعضها ملك للورثة وبعضها وقف على من قبل ففي
لاقدام على دعوى تبطل الوقف منها وتجعلها كلها ملكاً كانظر وترجيح أحد الأمرين
فيه دقيق فقد يقال ان لصاحب الملك ان يطلب ملكه وان أدى ذلك الى ابطال
حق غيره من الوقف وابطال ما يؤل اليه من جهة البر الدائمة لان هذا غير مقصود
له وإنما يجيء بالتبع وهو الاقيس . وقد يقال ليس له ترجيح نفسه وابطال جهة البر
الدائمة لاجل منفعة العاجلة وهو الاورع . والمسألة دينية يستفتى فيها القلب والله اعلم

التنريظ من باب الآثار الطبية الادبية

(الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه)

السل الرئوي أقتل الأعداء للبشر حتى قال أهل الاحصاء انه يقتل في كل
عام نحو ستة آلاف ألف (٦ ملايين) منهم وهو باجماع الاطباء ينتقل بالعدوى ولا
أعون لمدواه وقتكه بالمصابين به من الجهل بحقيقته وطرق انتقاله وكيفية توقيه ومعالجته
وقد ألفت الدكتور خليل بك سعادة كتاباً حافلاً فيما يجب ان يعرفه الجمهور من ذلك
سماه (الوقاية من السل) الخ بدأه بمقدمة في خطر هذا الداء وتاريخ طبعه ثم جاء بفصول
في حده وأسباب حدوثه وطرق العدوى والوقاية وأعراض المصاب به وتشخيصه
ودرجاته وأنواعه وكيفية معالجته بالهواء والرياضة والعتاقر والادوية وختمه بالكلام
في زواج المسلوطين . وعندى انه ينبغي نكل قارى وقارئة الاطلاع على هذا الكتاب
وهو سهل العبارة فصيحاً يستفيد منه كل قارى وقد طبع طبعاً منقحاً بمطبعة المعارف
ويطلب من مكتبتها بالفجاة ومن مكتبة المنار ومثمنه ١٠ قررش وأجرة البريد ١٥ ملما

(اسرار الثورة الروسية) ذكرنا كتاب السل بهذه القصة لاول فوهي قصة تاريخية
عصرية تمثل لقارى كيف يقوم الظلم الفاحش مع الدهاء والنظام وكيف يقاوم من
الجمعيات السرية بالدهاء والنظام فان في القصة من غرائب القصة في الظلم من

الحكومة الروسية وغرائب الكيد لها من جمعية النهلست السرية ما يرغب كل قارىء في الاطلاع عليه ولاكن لا يعتبر به الا الأحياء الفضلاء ولا حياة لأمة مظلومة ليس فيها جمعيات سرية لمقاومة الظلم والتنكيل بزعمائه المستبدين فجمعية النهلست هي التي دبرت أمر الثورة الروسية التي ستكون منشأ سعادة الأمة وارتقاء الدولة كما تراء مفصلا في هذه القصة وعبارة القصة فصيحة، ومنها خمسة قروش صحيحة

(وقاية الأسنان) لو علم الناس أن الأسنان يمكن أن تبقى سليمة الى من الشيخوخة اذا وقيت من أسباب التلف والفساد لبذلوا جهدهم في وقايتها لأنها ركن من أركان الصحة وركن من أركان الجمال وهذه الثلاثة أهم ما يهتم الناس في هذه الحياة ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه يمكن وقايتها فهل للقارئ منهم ان يقرأوا كتاب (وقاية الأسنان) للدكتور علي بك البقالي ويعملوا بنصيحته

(نيل المراد) في تشطير الهزبية والبردة وبانت سعاد (هذه القصائد أشهر ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم وقد شطرها الشيخ عبد القادر سعيد الراجحي الطرابلسي فصار شريكنا لناظمها في المدح وبيان السيرة النبوية والشمال القديسية وهو جدير بذلك في مكانه من بيت العلم والأدب وقد طبعتها مع تفسير ما قد يخفى من كلماتها وهي تطلب من مكتبة مجلة الشيخ محمد سعيد بالسكة الجديدة

(المجلة العمانية) مجلة أدبية علمية يصدرها في القاهرة فتحي أفندي عزي لكل شهر مرتين والعدد منها مؤلف من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٦٥ في سائر الاقطار . وقد صدر منها بضعة أعداد

(الأقلام) مجلة شهرية عمومية تبحث في كل فن ومطلب أنشأها في القاهرة جورج أفندي طوس أحد المحررين لجريدة الوطن ومحمود أفندي أبو حسيب وكتب عليها «ويشارك في تحريرها خيرة الشعراء والمثقفين» والعدد مؤلف من ٤٨ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا في القطر المصري و١٥ فرنكا في غيره تدفع عند الاشتراك وقد ظهر الجزء الاول حافلا بالمقالات الادبية والقصائد المصرية



باب الحكمة والأدب

نادي المدارس العليا - مآل الطفولية الأمة

نبينا القراء في بعض السنين السالفة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها لاجتماعية التي ولدت فيها الامة ولادة جديدة ، بعد أن أماتها الاستبداد قرونا عديدة، وهي لانزال في طور الطفولية، بما تقلد فيه الشباب والكهول من الامم الحية، ومما تلحزت له القاهرة من لذائذ التقليد إنشاء الأندية، أنشأ قوم ناديا فما قام الاوسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكاتبون، وأظهر الرغبة فيه الراغبون، حتى كان منذ سنين، أن جمعت أموال ووضعت قوانين، ولكن أعيد المدل الى أربابه، قبل ان يخرج الأمر من اهابه، وقد أعيدت الكرة في العام الماضي فكان الاستعداد أتم، والداعون أنهمض بالعمل وأعلم، وما للداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية بمصر وأوربا وما المدعون الأمثالهم بالفعل أو بالقوة.

تمخضت الدعوة فولدت (نادي المدارس العليا) وخصوا العليا بالطب والحقوق والهندسة وقسم المعلمين العالي أي الافرنجسي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دار العلوم » والأزهر . وقد دارت المناظرة في هذا الإخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين في هاتين المدرستين دون المتخرجين في تلك المدارس الأربع وأدنى منهم !!

قرأنا وسمعنا كثيرا من مقالات التي كتبت والمباحث التي دارت في الدعوة الى تأسيس النادي وما يتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن اكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط ونصارى سوريا أو عما لكل أهل الملل فرارا من التعصب، وكحظر الخوض في المباحث الدينية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي، قرأنا وسمعنا ولكتنا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لاناراً يتيار مندفعاً الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

كان مما سرنا من مواد قانون النادي حظر الخمر والميسر على اهله فيه وإن
قرون ذلك بحظر المباحث الدينية والسياسية . واكتنا لم نلبث أن رأينا ان مجلس
ادارة النادي قد نسخ حظر المنكر وهو الخمر فأباحه وأحكم حظر المعروف وهو
المباحث الدينية والسياسية وأصرّ على تحريمه فساءنا ذلك وأحزنا إذ صار النادي
شراً من بيوت الالهة المعروفة بالقهاوي والبيرة (البيرة كمال والبارات مواضع شرب
البيرة وغيرها من الخمر) لأن هذه البيوت لا يحظر فيها المعروف من المباحث
الدينية والسياسية التي هي أرقى المباحث وأعلاها . ومما زاد في أسفنا وعمنا تمليهم
إباحة الخمر بكون أكثر المشتركين لا يصبرون عنها وما توقعه من إفساد التلاميذ
المشركين في النادي بسوء القدوة فانهم اذا رأوا من يمدونهم أرقى الامة علما
وأدبا يأتون في ناديتهم المنكر فانهم يقتدون بهم في ذلك طبعاً كما كان أغنى التلاميذ
عن هذا النادي لو تبصر أولياؤهم

بيننا نحن في ألم خيبة الأمل في النادي واذا بمجلة المجلات العربية قد وافتنا
بائتتين وعشرين صفحة عن النادي فيها من الاغراق في الإطراء ما كان حاملاً
لنا على كتابة هذا الفصل، وأنه لقول نضل وما هو بالهزل،
قالت مجلة المجلات في فائحة كلامها : « اذا ذكرنا الأعوام الاخيرة فأنا
ندكرها بهجين جذلانين لاننا شاهدنا فيها قبسا ما عثم أن بات أخيراً نار هدى
ونعي بذلك هذه النهضة العلمية الأدبية التي بدت مطالها منذ أعوام وظهرت
اليوم في كبد سماء المجد بدراً كاملاً يرسل ضياءه اللامع الى جميع الأنحاء قدسرت به
النواظر، وتقرله الخواطر، واننا لأر يد اليوم ان نشرح للقارئ تفصيل هذه النهضة
السامية فليس هنا مقامها الآن ولكننا بدأنا بها تمهيداً لما سنورده من الكلام عن
الناشئة العصرية التي يتألف منها شبان اليوم وزهرة مصر في هذا العصر
« لقد قام شبان اليوم بأعمال جمة دلت على ذكائهم واقتدارهم، أعمال يؤخذ
من مجموعها أن في سو بداء وادي النيل رجالاً أكفاء اكمل عمل مجيد وان سماء مصر
يستظل بها كثيرون من الذين نبغوا في العلم والفضل والذكاء »
ثم ذكر مسألة انشاء الاندية وقلنا فيها « إحدى كبريات المسائل » وذكر

ناديا أنشىء، وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد وقل
«وقد أيدت الناشئة المصرية هذا الأمر الطبيعي ونفت من الأذهان ذلك
الاعتقاد الذي يمدده الكثيرون حجة مسددة لاجدال فيها وهي أن المصريين شعب
مكسال لأحياة أجنبية له وأنهم قوم صدق فيهم قول القائلين «قد اتفقوا على أن
لا يتفقوا واتحدوا على أن لا يتحدوا» ولكننا نحمد الله لأن شبانا قد ضربوا ذلك
الاعتقاد ضربة جملته هباء منثورا وأرا بعدعين

«واتمدتسأل الناس عن العمل الذي قام به شبانا حتى صح ان يقال فيهم
ما قلناه اليوم. سؤال لا نرى جوابا عليه أبغ من القول ليقصد كل امرئ نادية
المدارس العليا ليشارك بعينه اتحاد الكلمة وقوة الاتحاد والزهرة اليانعة التي تملأ
القلوب غبطة ومرورا. ذلك النادي الكائن في أعظم احياء العاصمة بجوار فندق
(سافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويترحم بذكره
ذلك النادي الذي خصصنا للكتابة منه غالب صفحات هذا العدد. ولا بدع
في ذلك لأنه غرس أيدي شبان في مستقبل العمر في حين أنه كان المنظور أن
لا يقوم به الا الكبراء وسراة الاغنياء ولكن ناشتنا برهنت على أنها قوة عظيمة
تخطم في سبيل ارادتها كل عقبة كؤود، وتدوس بقدمها الشوك الذي يمترض
وهولها الى زاهي الورود»

ثم أفاض في الكلام عن كيفية تأسيس النادي وفوائده وذكرا كان من
مساعدة الحكومة وكبار المحتلين له ومن ارتياح الامير له اذ جعل ولي عهده مشركا
فيه ونشر قانونه برمه وقال في خاتمة الفصل

«ومسك الختام لهذه المجلة المطارة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادي
الى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دامنة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا
بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل اننا أمة حية لا ينقصنا القيام
بكبير الأعمال الا الإرادة وطرح الضمف جانبا فمتى اعتمدنا على عزيمتنا تمكنا من
الوصول الى كل غاية نطلبها بلغنا الله ما نشتهي من طيب الآمال بمنه وكرمه» اه
الله أكبر. ماهذا النادي الذي كبرته مجلة المجلات هذا التكبير، ونخت

هذا التفخيم ، وجماله البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى ، وهمة عليا ، قد ذلت بهما نابتنا كل صعب ، واستهانت بكل خطب ، وانتاشت الأمة من أسفل السافلين ، فخرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الامم العزيزة أو سمتهما ، فان لم تكن سمتهما فقد ساوتها ، ا كان هذا النادي فتحا مينا ، أم كان استملا للبلاد عزيزا ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجورا ، وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد أن يجذب اليه المهاجرين له بإعلاء ذكره ، وتعظيم قدرهم بقدره ، اذ لا يجمل مثله أنه ناد قد خلت من قبله الاندية فاملا منشوها مواضعهم فخرا ، ولا ادعوا أنهم تجاوزوا السماكين عزا وقديرا ، ولعل هذا هو الأقرب فاننا لم نكد تم قراءة ما كتبه في مجلته حتى وافانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيدا لما سمعنا من بعض المشركين

(الى صفوة الشبية المصرية)

جاءنا هذا الكتاب بوجه كانه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضاء

نادي المدارس العليا وهو بمد الديباجة

قامت قيامة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد انشئ بعدا كتاب المكتبتين واشترك المشركين لكن يظهر ان القوم لم يألفوا الاجتماع بعد . فهم مشتتون على القهاوي والبارات ولا يعرج على الادي من المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع اليدين ويحتج بعضهم ببعده المكان عن وسط البلدة والبعض بحرارة . والبعض الآخر بوجود أصحاب مهم لا يسمح قانونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع عديدة جئت أمتلفت أنظار حضرات القائمين بادارة الادي لتلافي ذلك على قدر الامكان خصوصا فيما يتعلق ببعده الثقة وقيمة الاشتراك وأرجو من سعادتك

نشر هذا بالجريدة (دكتور . ر) مصر في ١٦ يونيو سنة ٩٠٦

(المنار) علم مما تقدم اننا نتقدم من هذا النادي عدة أمور

(١) وجود التلاميذ فيه ولا يسع هذا الفصل بيان ذلك بدلائله
(٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار المعلمين) كمدرسة المعلمين
الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غمض للعلوم
العربية وما من متخرج في مدرسة من المدارس العليا الا هو تلميذ للاساتذة المتخرجين
في دار العلوم وان قوما يغمضون لغتهم واساتذتها لا يرجي للاه خير في اجتماعهم
بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الازهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد
الاجتماع في الاندية تقرب طبقات الامة بعضها من بعض لاسيما الطبقات العالية
المحترمة وعلماء الازهر في مقدمتهم ولا يحال هنا لشرح ذلك ولا شك ان علماء
الازهر واساتذة دار العلوم ابعد في مجموعهم عن المنكر وأقرب من الامتقاة والأدب
من مجموع المتخرجين في المدارس العليا فوجودهم في النادي مزيد كمال في آدابه

(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكان ينبغي منع البحث في النظم
بالاديان وكل ما ياتي المداوة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أو مقاومة
المحتلين أو الحكومة وإباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة
ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) إباحة الخمر بعد منمها وهذا كبر عار على النادي من وجهين ظاهرين

(٥) سرعة ملل المشتركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاوي والبارات
المؤذن بقلة الثبات ، - فهذه الامور كلها من دلائل طفولتنا في الحياة الاجتماعية
ولا ينافي هذا ان في النادي افرادا تحترم مزاياهم الفاضلة ويرجى ثباتهم ومن هؤلاء
نرجو تلافي كل خلال والاستعانة على ذلك بنقدنا القدين ، وإطراء المادحين ، واننا
لا نريد بهذا الا النصيح والاصلاح والله الموفق والامين

(خطبة لأمير على العلماء في الاسكندرية)

ظفرنا بنص هذه الخطبة التي نوهت بها الجرائد في وقتها وقد ضاق هذا
الجزء عن نشرها مع فوائدها اخرى منها مقالة من أبريل القرن التاسع عشر وقصيدة أبي
طالب مشروحة ونبذة في الثورة الروسية وتاريخ متعدد وموعظتنا الجزء السادس

بوقفي المحكمة من يشاهد من يؤمن المحكمة هذا أوتي
خيبراً كبيراً وما يدركه إلا أبو الألباب

الله
١٣١٥

بسم عبادي الذين يستهون بالقول فيبسون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي وده مناراه كنار الطريق

﴿ مصر - جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ ﴾

هدي السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

دعونا العلماء في الجزء الماضي الى نصيحة السلاطين وانما نذكرهم في هذا الجزء ببعض ما يروى عن علماء السلف في ذلك جعل الامام الغزالي الباب الرابع من كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصا بأمر الامراء والسلاطين ونهيمهم وقال في اوله مانصه: «قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر في الحل على الحق بالضرب والعقوبة . والجانز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبان الاوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع والقهر فليس لأحد الرعية مع السلاطين فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد عنه من المذورا كثر . وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم يا من لا يخاف الله: وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز واين كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذاك شهادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (٢) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال «قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق» (٣) ولما علم المتصلبون في الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك

(١) الحديث قال المافظ العراقي في تخريج أحاديث الأحياء رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وذكره شارح الأحياء روايات أخرى (٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد وله ألفاظ وطرق ذكرها الشارح

موطين أنفسهم على الهلاك محتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسين لما يبذلونه من مهجهم عند الله . وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين من كتاب الحلال والحرام اه ما كتبه الغزالي في مقدمة الباب

أقول قوله انه ليس لأحد الرعية التصدي لمنع السلطان عن المنكر بالتمهر صحيح لا لما يترتب عليه من الفتنة فقط بل هناك علة أخرى هي أظهر وأولى بالتقديم وهي أن إكراه الآحاد من الرعية للسلاطين محال وطلبه عبث لا يأتي من عاقل ولهذا المعنى فرض الله تعالى الدعوة إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة تتألف وتستعد لذلك كما بينا في الجزء الماضي والأمة تستعد لكل شيء بقدره وقوة الامة أشد بالاتحاد والاجتماع من قوة السلطان لأن قوته منها وقوتها من ذاتها ويد الله مع الجماعة . ومنعود في فرصة أخرى إلى التفصيل في هذه المسألة . فاننا انما نقصد الآن إلى بيان شيء من هدي السلف في نصيحة الامراء والسلاطين تذكرا للعلماء وكشفا للقراء عن الفرق بين حالنا اليوم وحال سلفنا أيام كانت الامة عزيزة قوية والدين راسخا معمولا به

ندع مما أوردته الغزالي من هدي السلف في هذا الباب آثار الصحابة لتلايقال انهم لا يقاس عليهم في بذل أرواحهم في سبيل الحق وان من كان يغلظ على عمر بن الخطاب في الحق كان آمنة عقوبته ليقينه بعدائه ودينه ونذكر شيئا مما أوردته عن بعدهم قول « وعن الاصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمار ، واتق الله في أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق

بابك دونهم فقال له أجل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لعبرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف «
أقول هذا نصيح علماء الدين لمثل عبد الملك الذي كان أول معان للاستبداد في الإسلام حتى قال علي المنبر: من قال لي اتق الله ضربت عنقه: وابن ملوك زماننا من عبد الملك في سياسته وفتوحاته إلا أنهم احق بالنصيحة منه ولكن أين الناصحون! قال الغزالي

« وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا عبر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فنضب الوليد على حاجبه وقال له ويحك أمرتك أن تدخل إلى رجلا يحدثني ويسامني فأدخلت إلى رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي (بني أمير المؤمنين) فقال له حاجبه ما سر بني أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هبيب أعده الله لكل امام جائر في حكمه فصوق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مفتحا عليه . فقال عمر لعطاء قات أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر إن الأمر جدٌ فجدٌ . ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال مكثت سنة أجد ألم غمزه في ذراعي

« وروى عن ابن أبي عائشة أن الحجاج دعا بفتها البصرة وفتها الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بأبي سعيد التي التي ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فتمعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه

ونلنا منه مقاربة له وفرقا (أي خوفا) من شره والحسن ساكت عاضاً على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكناً قال ما عسيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذي هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) فملي بمن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم رسول الله وختمه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا أن يحول بينه وبينها وأقول إن كانت ليلي هناة فالله حسيبه ، والله ما أجد فيه قولاً أعذل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن الدبر من مضياً فدخل بينا خلفه وخرجنا

« قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويمحك يا عامر هلا اتقيت أن سئت فصدقت أو سكت فسلمت . قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن فذاك اعظم في الحجة عليك وأشد في التهمة .

« قال وبث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال نعم قل ما حملك على هذا ؟ قل ما أخذ الله على العلماء من الموائيق « لبيئته للناس ولا يكتمونونه » قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك انت يبلغني عنك ما أسكره فأفرق بين رأسك وجسدك . »

أقول وقد ساق المصنف هذه الحكاية في كتاب ذم الجاه والرياء مطولة بما هو أبلغ في العبارة والفرق بين علماء الدين الذين لا يخافون في الله لومة لائم وعلماء الدنيا الذين يتقربون إلى الأمراء والسلاطين بما يرضيهم من سخط الله تعالى قال « روي عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالساً إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل

المسجد على برذونه (١) فجعل يلتفت في المسجد فلم يرحلته أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها ثم نثى وركه فزل وهشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجهاً إليه تجافى له عن ناحية مجامعته قل سعيد وتجافيت له أيضاً عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم (٢) فما قطع الحسن كلامه . قل سعيد قتلت في نفسي لأجلون الحسن اليوم ولا نظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه ان يزيد في كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج ان يتقص من كلامه . فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحو مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على مكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرّ فديكم بهذه المجالس وأشباهاها فاتخذوها خلقاً وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها . قال ثم افتقر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق قمام . فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكف فرساً وبفلاً وأكف فسطاطاً وان لي ثلاث مئة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال : فشكا من حاله حتى رق له الحسن وأصحابه بالحسن مكب فلي فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا وما الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدوّ الله غزا في الفساطيط الهبابية (أي العالية المشرقة) وعلى البغال السبابة واذا أغرى أخاه أغراه طارياً راجلاً : فما افتقر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كُن جالساً

(١) لعل المسجد كان لا يزال مفروشا بالرمال على طريقة الصدر الأول أو لعل الحجاج دخل بالبرذون الى صحنه دون موضع الصلاة (٢) يريد بقوله يتكلم به كل يوم انه يتكلم بمثله في الوعظ وبيان الحق كما يعلم من لاحق الكلام

الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه الذي تكلم به (١) فلم يلبث
الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشققتنا عليه من
شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم
وقللاً رأيت فإغرافاه يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قصدني مجلسه فمظم
الأمانة وقال انما تجالسون بالامانة (٢) كأنكم تظنون أن الحياة ليست الا في
الدينار والدرهم ان الحياة أشد الحياة ان يجالسا الرجل فطمئن الى جانبه ثم
ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار ، اني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك
لسانك ونولك اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا غزا أخاه أغزاه كذا لا أبالك
تعرض علينا الناس أما أنا على ذلك لانهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك
قال فدفعه الله عني . وركب الحسن حمرا يريد المنزل فيبدا هو يسير اذا التفت
فرأى قوماً يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والا
فارجعوا فما يبقی هذا من قلب العبد

قال الفزالي بعد ايراد هذا الاثر: فهذه العلامات وأمثالها تبين سريرة
الباطن ومما رأيت العلماء يتفكرون ويتمحسون ولا يتوانسون ولا ينعانزون فاشلم
انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم
الراحمين . اه

أقول وان حاجتهم الى التعاون في هذا العصر أشد منها في عصر الحجاج
فان المسلمين اليوم على خطر وأمرؤهم وملوكهم لا يندكرون مع ملوك بني أمية
وأمرؤهم حتى الحجاج فأولئك قد دنحوا الممالك وهولاء أضاعوها وأولئك حفظوا
من الشريعة ما عدا جعل أمر المسلمين شري بينهم فأنهم جعلوه ملكا قوامه العصبية
وهولاء أضاعوا الشريعة الا قليلا هو على خطر من جعله وسوء ادارتهم ، وأولئك

(١) يوشك ان يكون الحجاج هو الذي أوعز الى الشاميين بمثل ما فعله لا يعلم
هل تدفع معاملة له الحسن شيئا من كلامه فيه وفي حكومته (٢) الجملة حديث
رواه العسكري وابن المبارك والخراطي بهذا اللفظ عن ابن عباس ورواه غيره
بالفاظ أخرى

كانوا يعدلون في الاحكام ويساوون الناس في الحقوق فلا يظلمون الا من نازعهم في أصل سلطنتهم وهؤلاء يظلمون في كل شيء ، ويبيعون الحقوق بالرشوة . وقد رأيت أن من علماء السلف من كان يلاحظ لهم وينفر الناس من أصل سلطنتهم ويضيظ أئدهم سفكا للدماء كالحجاج أفلنا أخرج لأن الى ذلك . الخلاصة أنه لا بد من اجتماع العلماء وتعاونهم على فريضة النصيحة ، مادام في القوس منزع وفي السلطة الاسلامية رفق .
(للآثار بقية)

التعصب وأوروبا والاسلام

للإسلام دول تحالف دول الحقائق نارة وتخالفها تارة ، ورب خلاف يجر الى خلاف وحلاف ينتهي بخلاف . قديتهم الخلي بالشق حتى يجعله التهمة عاشقا ، وقد ينكر الكذب الكذب حتى يكون صادقا ، مرت على الشرق الاحقاب والقرون ، ودرجت فيه الأجيال والقرون ، وهو كما تعلم مشرق الاديان ، وضبت جميع أصناف الانسان ، ولم يقع فيه بين المختلفين في الدين المتجاورين في البيئة من القلوب في التعصب عشر معشار ما وقع من أهل أوروبا الذين اتحدوا باسم الصليب على ابادنة المسلمين أو ما وقع من تعصب نصارى هذه القارة على الوثنيين فيها بل ولا عشر معشار ما وقع من أهل المذاهب النصرانية بعضهم مع بعض فأوروبا مشار بر كان التعصب الديني في الأرض كما بينا ذلك في مقالات نشرت في أعداد السنة الأولى لما رجعت دول أربا المتحدة من حرب الصليب في الشرق مغلوبة على أمرها عاجزة عن بلوغ منتهى ما حددته لها تعصبها عالة أنها دون المسلمين في القوة الحربية والقوة العلمية والادبية أخذت تستعد في العلم والعمل فكان خذلانها في تلك الحرب مبدأ حياة جديدة لها على حين كانت حياة المسلمين السابقة أخذت بالضعف والتحول فاستفادت من الانكسار ، ما لم تستفد من الاتتصار ، وما زالوا يرتقون فيما تركناه لهم من علم وصناعة واجتماع واعتصام ، ونحن نتدلى بالجهل والكسل والتفرق والانقسام ، حتى دالت لهم الدولة ، وعادت لهم الكرة ، فسادوا علينا واستولوا على أكثر بلادنا وقد عاملنا أكثرهم بالشدة والقسوة حتى ضبعت بعض دولهم

أوقافنا وهدمت أكثر مساجدنا ومنعتنا من التعليم الديني والديني وسلطت علينا قسوسها يحقرون ديننا في بلادنا. وإن أكثر أرواحهم أحسن استعماراً وأقربهم إلى الدين والعدل لم تبلغ بهض شأواً والخلفاء الراشدين في العدل والمساواة بل ولا غير الراشدين من أكبر ملوك الأمويين والعباسيين كما بينا ذلك غير مرة.

تحتج أوربا على هذه القسوة بأن الشرقيين أو المسلمين متمصبون لا يؤمن ضميرهم أن يقع على الخائف لهم الأذى أيديهم وتقييد أرجلهم ووضع الوقر في أسناعتهم والفساوة على أبصارهم ولكن انزالها الشر المحقق عليهم خوفاً من الشر المتوهم منهم لا يمد تعصباً!! لماذا؟ لأنها تقول: أنهم متمصبون للدين وإنما غير متمصبين له، الشرقيون متمصبون لأن الشرق لا يعرف إلا جهالة غير الدين، الغربيون غير متمصبين لأن الغرب لا يعرف غير الجاهلية الجنسية أو الوطنية، المسلمون متمصبون انصاري غير متمصبين، التمسب الاسلامي خطر على المدنية المسيحية، مادام هذا القرآن معتقداً أو محترماً فلا إنسانية على خطر، ما يأخذ الصليب من الهلال لا يعود إليه وما يأخذ الهلال من الصليب يجب ان يسترد منه،:

أمثال هذا الكلام الذي يرددونه قد فتق آذان المطامير من المسلمين على كتب أوربا وجرائدها وفتح أعينهم ونه أفكارهم فاستقدوا أن أوربا متمصبة عليهم تحاول محو ملكهم ووجودهم الي من الأرض وأنها تحاربهم بهذا التمسب و بما كانت نجاحهم بالتمصب فكادوا يحققون التهمة ويدعون الى تحقيقها ولكن روح الاسلام لا يزال غالباً على مجموع الأمة الإسلامية وهو اسديته في هذا المقال

يخفت صوت القوم في اتهام المسلمين بالتمصب حيناً من الايام ثم لانلبث السياسة ان ترفع به عقيرتها وقد قار في هذا الايام وزير خارجية انكساراً في مجلس العموم كلمة فيه سارت بها الركبان قال — والعهد على ترجمة الجرائد — ان روح التمسب قد زادت في القطر المصري في هذه الايام زيادة يخشى معها على مستقبل البلاد . قول كلمته في مقام الدفاع والاعتذار عن عمل أتمه السياسة الاكبرية في مصر فأنكره عليها بعض النواب في المجلس وطلب من الوزير ان يبين عند الحكومة في ارتكاب

ذلك المذكور وهو القسوة في معاقبة طائفة من الفلاحين في حادثة دنشواي التي سارت بخبرها أركبان وترى مجمل خبرها في باب الاخبار من هذا الجزء
عهدى بصوت المعتذر في مقام الدفاع ان يكون خافقا ليس له صدى ولكن صوت هذا المدافع ، قد كان أشد من دوي المدافع ، خشمت له في المجلس الأبصار ، وخفت له الأصوات ، ولم يلبث ان همه البرق الى الأرجاء ، فكان مع البرق رعداً قاصماً في جميع الجواء ، رددت صدها الاقطار ، وكان الشغل اشغال لصحف الاخبار ، فأما الجرائد الاوربية فقد صرقت الوزير في قوله ، وواقفته على ما يريد به ، جارية في ذلك على نهجها المعبد ، وتقاليدها المتبعة ، وتبعها من الجرائد الافرنجية والفرنسية في مصر من يرى أصحابها لمسم فائدة من تفيظ انكسار من المسلمين ، وأما جرائد المسلمين في مصر ومن أنصف المسلمين في المسألة من أصحاب الجرائد الافرنجية والسورية فقد أنكروا القول على الوزير وما كل منكر يعرف كيف ينكر .

وجل مسلمو مصر وأصحاب الجرائد منهم خاصة من قول الوزير وحسبوا لفاقته ألف حساب وهب الكتاب منهم لدفع تهمة التعصب عن أنفسهم فجاءوا بمنتهى ما ينولد بين الغيرة والوجل ، من فنون المجاج والجدل ، وربما كان في دفاعهم ما يمدد التهمة لهم مثبتا للتهمة عليهم ، ولم أر منهم من شرح ما يريد الوزير من التعصب كما اعتقدتم احتيج على بطلانه بما يرجي ان يكون مقنماً للمنتصف ، بل رأيت كثيراً من الناس يعتقدون أن الوزير قال مالا يعتقد كما قال له اللورد كرومر وهو أيضاً لا يعتقد ما قال . أما أنا فإني أقول انهما يعنيان بالتعصب غير ما فسره به هؤلاء المدافعون من الوجوه التي يقيمون الدلائل على ردها . هل يعني الافرنج بالتعصب الاسلامي تحاب المسلمين وتعاونهم على مسابقة غيرهم في طرق الكمال الصوري والعموي فنقول لهم انكم تشاءدون أننا أصبحنا أضعف الأمم اتحاداً وتناصرًا ، وأشدّها تفرقاً وتنافراً ، هل يعنون به بفضنا وكراهتنا للمخالف لنا في ديننا وعدم ثقتنا به بحيث يصعب عليه ان يعيش بيننا فنقول لهم اذا كيف اصابت هذه الثروة الواسعة منا جالية اليهود والنصارى منكم ومن

السوريين والأرمن وسائر الملل وكيف صار منكم رئيس الخاصة الحديدية وكثير من مستخدميهما ورؤساء دوائر كثير من أمرائنا وأغنيائنا؟ بل كيف عاش بيننا المبشرون بالصرانية آمنين وهم يطعنون بديننا وكما بنا وبنينا؟ هل يبنون به محافظتنا على شر بعثنا من جهة الاحكام القضائية فنقول لهم هذه المحاكم الاهلية والمختطة ومدرسة الحقوق ونظارة الحفانية نفسها حجة عليكم فانا تركنا معظم شر بمنا الاهلية الى قوانينكم الوضعية ولم يعارض حكامنا الذين فعلوا ذلك أحد من علمائنا ولا من وجهائنا؟ هل يرددون به اعتصامنا بعروة الدين في أعمالنا الشخصية فنقول لهم ولماذا راجت خجوركم حتى عمت المدن والقرى وربحت تجارة بورصكم وبقاياكم حتى أهلكت الحرث والنسل ولماذا كان عدد اغنيائنا الذين يزورون بيوت الفسق في بلادكم كل عام ، أضعاف الذين يزورون بيت الله الحرام ، ولماذا ولماذا ولماذا ١٠٠٠ هل يعنون به ان مصر تريد ان تتبع سائر الأقطار الاسلامية ، بالاتحاد على الامنية التي يهبر عنها بالجامعة الدينية ، فنقول أخبرونا عن قطرين اسلاميين اتحدت حكومتاهما وتحالفت على دولة غير اسلامية كما تفعل دواكم في تعاطفها وتحالفها . ما كانت حكومتان لنا متحالفتين لإعلاء كلمة الله لا سباني هذه الأزمان ، إنهم الا متخالفون لوجه الشيطان ، بالأس قامت دواكم على دولة مساكش الاسلامية فالتحقت على ماشاءت من السيطرة عليها ولم تطلب دولة الترك ولا دولة الفرس ان يكون لهما معكم سهم ولا قلت واحدة منهما بلمة نشر بالهجرة عليها أو المساعدة لما بل ها الآن متناوئتان كل منهما تحشد الجيوش على الحدود كأنهما متحذتان على إفتاء ما بقي المسلمين من قررة واستقلال فمناك كل منهما بالأخرى ، على أن الحكومات هي التي تمقد المحاولات وزمام الحكومة المصرية في أيديكم وليس للأمة في أعمالها رأي ، بل اس للحكومة نفسها من دونكم أصرا ولا نهى ، بل نقول لهم لو كان للمصريين الذين تشكون من تعصبهم رأي لما اتفقوا على الاعتصام بالجامعة الاسلامية وإنما يصاون بما أرشدتهم اليه من العصبية لوطنية ، فان وجد فيهم كثير من يهدون المسلم غير المصري فيهم دخيلاو يابون الاشتراك معه في أي عمل ويفتخرون بمعاملة الاجنبي غير المسلم

إذا ما ذا يريدون بهذا التعصب المصطنع ، المتحفز لمواثبة الدول ، الخرنبق لينباعه ،
المجرب مزليهد الباع ، المترص ليقبال انثروة لأروية ، الموثوب ليحو آية المدنية ،
ألا أنهم يعنون ان المسلمين حريصون على ان يكون حكمهم منهم وأشد
ما ينكرون من ذلك أن الاملام قد جعل من حرق الخليفة على المسلمين ،
أن يستجيبوا له اذا دعاهم الى استئصال المخالين لهم في الدين ، ويعتقدون أن
السلطان عبد الحميد ما أحيا لقب الخلافة لنفسه وعني باقناع الشعوب الاسلامية
بالاعتراف به باستخدام الجرائد وغير ذلك من الوسائل الا ليجتمع نفسه بهذه
القوة المنيوية الهائلة التي يستطيع ان يهدد بها أوربا في مستعمراتها من شاء بل
هو يهددها بالقوة والفعل ولولا ما يحدث له من الشواغل والعمرا تيل في كل وقت
وما تنطوي عليه جوانحه من الخوف والحذر لما أمنت دهائه وقد أعطي هذه
السلطة الدينية الهجينة . هذا ما يعتقد الاوربيون في التعصب الاسلامي وهذا
ما يخافون منه . ولما كانت مسألة العقبة ورأى اللورد كرومر أن السلطان قد ظهر
فيها بمظهر الشدة والحزم اولاً ورأى أثره بعض جرائد المسلمين فيها بمحقوق الخليفة
والخضوع لمخليفة واستنادها في بعض ما كتبت على مختار باشا الذي أنيطت به
هذه المسألة خلافاً للعدة وقرأ ما كتب اليه في ذلك اعتقد أن السلطان قد تجرأ
بإجاز اميراطور ألمانيا المتهور على استئصال تلك السلطة الدينية في هذه المسألة فكتب
الى دولته بذلك فهو قد كتب عن التعصب في مصر ما يعتقد وتبعه وزير الخارجية
في ذلك إذ لا مصدر له في المسائل المصرية سواء . فهل يفتأ الكثيرون يقولون
ان اللورد قل ما لا يعتقد وكذلك الوزير ؟ وهل تظن الجرائد بما أ كثرت من
الكتابة في التعصب انها قتلت في الدررة والغارب ، وأقامت الحججة على اللورد
والوزير وسائر الاجانب ،

الحجة الالهضة على تبرئة الاسلام نفسه من هذا التعصب المزعوم هي آي
القرآن ، الساطنة بتحريم العدوان ، وبأن القتل الديني خاص بمن يقاتلوننا في
الدين أي يقاتلوننا لأجل منمننا من الدعوة الى ديننا أو من إقامته واحياء شعائره .
وهذه الآيات كثيرة جدا وقد تقدم تفسيراً أكثرها في المنار وحسب النصف

منها قوله تعالى (٢: ١٩٠) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله عز وجل (٦٠: ٨) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين *
 واما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)
 لوقفه الاوربيون هذه الآيات الثلاث لا ذعن المنصفون منهم بأنه لو لم يفضل الاسلام جميع الملل الا بهالك كانت كافية في تفضيله عليها ولو دوا لو أقام المسلمون هذه القرآن واهتدوا به الآيات الأولى تأذن للمسلمين قتال من يقاتلهم خاصة وتحرم عليهم أن يتولوا المعتدين ومن فروع هذا التحريم ما جرى عليه المسلمون في حروبهم من عدم التعرض للرهبان والعباد والنساء في بلاد الحرب لأنهم ليسوا بمن يحارب وأما الذمي والمأهد والمستأمن فيجب على المسلمين حمايتهم ممن يحاول الاعتداء عليهم فهل يجوز انتكس من يجب حمايته من عدوه؟ أما الآياتان الاخريان فقد نزلتا في التمييز بين المحاربين لنا في الدين الذين نهانا عن مواليتهم في أول السورة وفي سور اخرى وبين غيرهم. قال في أول هذه السورة (٦٠: ١) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموعدة وقد كفروا بما جاءكم من الحق، يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآيات وفيها بعد وصف هؤلاء الاعداء بأنهم أخرجوا الرسول والمؤمنين من وطنهم (مكة) لأنهم يؤمنون بالله أنهم إن ظفروا بهم بعد هذا النبي والاخراج يكونوا لهم اعداء ويودوا لو يكفرون مثلهم و يبسطوا اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي إنهم لم يكفوا بعد الاخراج والنبي عن عداوتهم. بعد هذا قال سبحانه (٦٠: ٦) عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * ٧ لا ينهاكم الله (الي آخر الآيتين) فهو بعد اطاع المؤمنين في تحويل العداوة بينهم وبين أولئك الاعداء الى مودة قال ان النبي عن اتخاذهم أولياء لا يعم كل مشرك منهم حتى الذين لم يقاتلوا المسلمين لاجل الدين ولم يخرجوهم من ديارهم فهوؤلاء وان كانوا كفارا لا ينهى عن برهم والاحسان اليهم وعن معاملتهم بالعدل واما النهي خاص بالذين

قاتلهم في الدين لتحويلهم عنه ومنعهم من الدعوة اليه واخرجهم من ديارهم او
ساعدوا المخرجين لهم على نفيهم وليس نهيها عن معاملتهم بالعدل بل هو نهي عن
ولا يتهم ومحاملتهم ومناصرتهم لان هذا ظلم بين المسلمين .
هذا ملخص معنى الآيات فهل وجد في العالم نبي أو حكيم أو أديب أمر بمعاملة
اعدائه واعداء قومه بمثل هذه المعاملة التي جمعت بين العدل والرحمة على أكمل وجه؟
أليس من اقبح الظلم واشنع الكذب والزور أو من أشد فضائح الجهل أن يقال
في دين جاء بهذا الكلام الاعلى انه خطر على البشر لانه يأمر يا باد الخالفين له وإن
كانوا مسلمين لاهله ونافعين لهم كما يقول بعض الافرنج؟ بلى ولكن أكثر الافرنج
يحكمون على الاسلام بما يحكيه عنه افراد من غلاتهم في التعصب أو من بعض جمال
المسلمين وغوغائهم أو الذين يتنحلون السياسة ويمجولون الدين آلة لها وهم بجاهلون
اذا كان الاسلام نفسه بريئا من هذه التهمة التي يلصقها به الاوروبيون
ويسمونها تعصبا فانني لا أبرئ كثيرا من عوام المسلمين الجاهلين من اعتقاد وجوب
طاعة السلطان اذا أمر بقتل الخالفين في الدين وان كانت الامة الاسلامية قد
أجمعت على انه لا طاعة للمخلوق في معصية الخلق ومن اكبر المعاصي الاعتداء على
غير المعتدي . وما جاء هذا الاعتقاد من الدين بل جاء من السياسة ولا نعرف تاريخ
حدوثه ولعله كان في أيام حرب الصليب وقد اشتهر ان السلطان سليمان استغنى شيخ
الاسلام ابا السعود في ازام نصارى الرومالي بالاسلام أو ابادتهم لان بقاؤهم منتهين
بحريرتهم في الدين واللغة وجميع الشؤون الاجتماعية خطر على الدولة لانهم لتعصبهم
لا بد ان ينتهزوا فرصة ضعف في الدولة أو تورط في حرب شائعة فيخرجوا عليها قلم
يفته ابوالسعود بذلك ولعله لو وجد دليلا في الكتاب أو السنة أو أقول المجتهدين
أو الفقهاء المرجحين يسمح له باسماف سياسة السلطان في ذلك لاخذ به وأفتى
وكانت القاضية

اذا صدق ظننا في كون حرب الصليب هي مبدأ هذه الفكرة فكرة وجوب طاعة
السلطان اذا أمر بقتل الخالفين فهي غرس الاوربيين الذين اثاروا تلك الحرب
بتعصبهم وهم الذين يسقون هذا الغرس وينموه بزعمهم انه من أصول الاسلام ثم

بدعوة بعض دولهم بعضا الى الاتحاد على المسلمين ومعاملتهم بالقسوة ليؤمن
شر تعصبهم هذا

لأدرى أي الرأيين أفضل ، وأية السياسيين شر ، أراي مسلم يظن ان اعتقاد
الاوربيين بأن السلطان العثماني قادر على تبييح المسلمين على النصارى متى شاء من
عوامل القوة التي ترهبهم فمن السياسة ان ندمهم في اعتقادهم هذا وان كان خطأ
عسى ان يخفف ضغطهم عن تحت سلطتهم من المسلمين ويقل تحاملهم على الدولة
العثمانية ، ام رأي أوربي أو نصراني شرقي يتوهم المسلمين بالتعصب وانتهاز الفرص
للإيقاع بالمخالفين عامة أو بالنصارى خاصة ويظن ان هذا من السياسة امثلى التي
تعود على اصحابها بالفائدة الكبرى وتمكن لهم في الارض ، فيلغوا ما أرادوا من
سيادة وكسب ، ألا يجوز ان أتى كل من السياسيين بتقبض ايرادها فيكون اتمام
المسلمين للاوربيين بأنهم مستمدون لثقتك بهم عند ماحركهم ارادة السلطان جاءها
لكلمة أوروبا على ابتسار اثمرة قبل اراطها . أو حدثت الشجرة قبل ان تستوي
على ساقها ، أو يكون اتهام الاوربيين للمسلمين بالتعصب هو الذي يجمع كلمة
المغربي منهم بالشرقي ، والمغربي بالعجمي ، وراف منيهم تعصبية تجعل الظن
يقينا ، والاماني منونا ، ولو بهدحين ، ؟

أليس مما يدعى له كل منصف محب لخير البشر أن اناة ائمة الذين خبير من
ابقاظها ، وأن ازالة الاحن خبير من اثارها ، فمن اظلم من علم هذا فأعرض عنه
واستبدل التفريق بالتأليف ، واغرى القوي بالضعيف ، أو شغل الضعيف عن
قوته الذاتية، ووجهه على معاداة حكومته الحقيقية ، أو انك المفرقون فر يقن - هذا
يقول لاوربا ان المسلمين متعصبون ، فخذيمهم بالعذاب لهم يرجعوز ، وهذا يشغل
من تسوسهم أو تسودهم أوربا عن قوتهم الذاتية ، ويعلق أمانيتهم بالدولة العثمانية ،
ومحمد الله انه لم يوجد في جرائدنا من ينفر المسلمين من انصارى كلمة كما يوجد
في الجرائد الافرنجية والمنفرحة من ينفر النصارى من المسلمين كلمة بدعوى ان
المسلمين متعصبون عليهم ، اذ الوقت واقعة ، وكانت خافضة رافعة
أما ميل المصريين الى الدولة العثمانية في مسألة العقبة وفي غيرها من المسائل

فليس من العدل ان يجعل مجردة من التعصب الديني الذين يخشى منه على غير المسلمين
عادة وعلى الاوربيين خاصة لان الدولة دواتهم باعتراف انكثرا وساثر دول أوروبا
على أنهم لا يرضون ترك استقلالهم لها ولا هي تطمع بذلك، ثم ان موضع العتبة من
جزيرة العرب وكونه سيكون ابا الحرمين الشريفين بحوله محطة لسكة الحديد والحجازية
واعتماد الدين في الحرمين معروف فذا كانوا لا يرضون بأن يكون الحرمين وما هو
حرم لهما من الجزيرة تحت سلطة أجنبية فهم معذورون لأن هذه الارض المقدسة
بمنزلة المآجد عندهم وأي متدين في العالم يرضى بأن تكون معا بده ومعه هذه المقدسة
تحت سلطة الخلف له في دينه ؟ او ليس القائل بأن هذا من التعصب هو أشد

الناس غلوا في التعصب وأجدرهم بمثال « رميتي بدائها وانسلت » ؟

ان أكثر الدين يرون المسلمون بالتعصب ينظرون بلسان السياسة والسياسة سريرة
لا تعلم ، وامة لانك لا تفهم ، فهي ككتيب الجفر لا يعلم ما تطبق او تنطبق عليه الا
بعد وقوعه واذا كانت السياسة تر يد عملا يتوقف على رعي المسلمين بالتعصب فهي
ترميهم به تهيدا لذلك العمل فلا كلام لنا مع اهلها في ذلك لاننا لنا من أهل
الشورى في سياستهم ننتول هذا ضار بنا أو بكم وهذا نافع لنا أو لكم أو نحن
فيه سواء اذ ربما كانوا في هذه الال يشكون من التعصب ظاهرا و ينفون في الباطن
ابجاده ان لم يكن موجودا وحينئذ ندع للمستقبل خطابهم فهو أقدر على اقناعهم
وان كانوا يقولون ذلك معتقدين له ومتهربين منه فانا نقول لهم بلسان الصدق
كامة ربما كانت مزيدا في علمهم الواسع لا يستغنى عنه :

اننا لا نذكر اننا نحب ان يكون حكامنا منا فان هذا من خصائص البشر مهما
انحطوا ولا نراكم تميمونا وتعاقبوننا على كوننا من البشر ، ان تريدون بسمية هذا
تعصبا لاننا نر بص الدوائر بين يحكمنا من غيرنا لشور عليه وهو لا مسلم وروسيا
حجة عليكم تشاهدونها الآن فهم لم يهملوا بحكومتهم المستبدة عند الفرصة ما فعل غيرهم
ولا تنسون ما فعل بعض نصابي البلقان من قبل وما يفعلون الآن في مكدونية ، ان نحن
ان بشر مثلكم نحب مصلحتنا ونمار على حقيقتنا على اننا اصفي أهل الملل تو باواسلم عاقبة
ان كنتم تودون الوفاق والجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم فان ذلك ممكن لا يحول

دونه تعصب ديني ولا غيره ونحن مستعدون لبيان أقرب الطرق اليه ان شئتم .
وان كنتم تبغون الاثرة فينا والافقيات علينا ونعدون عدم الرضى بذلك سرا
وجهرا من التعصب فاعلموا اننا منهصون لان طيبة البشر قد جبلت على النفرة
من المتسلط الذي يستأثر بالمصالح والمنافع فلا يسمح مختارا بشيء منها للمتسلط
عليهم الا اذا كان انتفاعه يتوقف على ذلك السامح وان كان متفقا معهم في الجنس
واللغة والدين والوطن فكيف اذا كان مخالفا لهم في كل شيء ؟ اذا الاعلاج
لهذه النفرة الا العدل والمساواة والتوفيق بين المصالح وبهذه المزايا ساد الاسلام
اكثر شعوب الارض في أقل من قرن واحد وراكم لا ترضون بمساواتنا في بلادنا
التي نحكمها بآله بلادنا التي وقمت في حكمكم ثم تقولون ان ديننا جاء بالتعصب
على انه كان يساوي أحسن رجل من المخالفين بأعظم سيد في المسلمين كهلي بن أبي
طاب ، واننا منهصون لاننا لا نرخص طرأ بالامتيازكم علينا وترفعكم عن مساواتنا !!!

(ذلك شأن القوة تقول ما تشاء وتعمل ما تشاء ولا تخشى معارضا فجازى
الله رؤساءنا الذين أدخلونا بظلمهم وجهالهم واستبدادهم وأضعفوا حججتنا كما أضعفوا
سلطتنا حتى صار بعض الأجانِب أرحم لنا منهم فهو يدل علينا بعدله الاضافي
ولولا ذلك الاذلال لما كان هذا الاذلال)

وجملة القول - ان الاسلام اعدل الاديان وأرحمها بالمخالف فوصف الافرنج
ومقلديهم اياه بالتعصب المذموم ظلم منهم انعمت له سياسة ومنهم المتكلم القسوس
والسياسيين فيه - وان المسلمين اذا كانوا الاسلاميون من التعصب فيهم أقل تعصبا لاسيما
في هذه البلاد من جميع أهل الملل العائشين معهم - - وان الافرنج والمغربيين
هم الذين أيقظوا شعور التعصب فيهم بأقوالهم وأفعالهم ولذلك ترى المعارفين
بلغة من لغات أوربا والمتعلمين في مدارسها أقرب الى التعصب من المتعلمين في
الأزهر - وان هذا التعصب لا يخشى منه على أحد من غير المسلمين في مصر ولا
في غيرها الا اذا اتحد النصارى كلهم على محاربة المسلمين وازالة ملكهم - وان
السلطان نفسه لا يقدر على الامم بالنفير العام في غير هذه الحالة اذ لا يقبضه شيخ
الاسلام ولا غيره من العلماء بجواز اعتداء المسلم على من لم يعتد عليه لان هذا مخالف

لنص القرآن - وان وزير الانكليز قد غنى بالتعصب ما ذكرنا تبعا للورد كرومر
 وها يعتقدان أنه قد تبيح في مصر ايام حادثة العقبة وأنه كان يخشى من الفتن
 لو امتد النزاع وطال أمده فاحتياط انكلترا كان من العقل والسياسة - وانا
 نعتقد انه لم يكن هناك خطر على الأوربيين - وان حادثة دنشواي لاعلاقة لها
 بتعصب الفلاحين ولا بمسألة العقبة وإنما كانت جراءتهم على الضباط احناء مجردا
 من كل شائبة ماعدا خشونة القوم المعهودة في دفاعهم عن حقيقتهم ، وان انكلترا
 قست في عقوبتهم لكيلا يتجرأ غيرهم على مثل فعلهم - وانها خسرت بهذه القسوة
 معظم ما ربحته في السنين الطويلة من الميل اليها والانس بمحكمة الا انها خسارة نزول
 وقسوة تنسى اذا حسنت الحال بعدها - وان المصر بين أشد المسلمين تساهلا وأقر بهم

للمخالف في الدين مودة

هذا وان المسلمين ثلاثة اصناف المشتغلون بعلم الدين كاهل الازهر والمشتغلون بمولم
 أوربا والعوام فأما الصنف الاول فيعتقدون أن الذمي والمجاهد وهو من بيننا وبين
 دولته عهد سلبي كأهل أوربا الآن والمستامن وهو من دخل من الحر بين بلادنا
 بذأمن منا - وان شئت قلت يعتقدون ان جميع المخالفين لنا في الدين غير المحاربين -
 يحرم الاعتداء عليهم وايدارهم بل يجب علينا حمايتهم ممن يريد الاعتداء عليهم
 ولو بمقاتلته والنفقة عليهم عند الاضطرار وتتمتع بالنفقة عليهم اذا كانوا فقراء ،
 ومنتهى ما عندهم ولا يمار بما يؤخذ عليهم في هذا العصر هو عدم الائتلاف والانبساط
 مع المخالف لعدم العادة وأما العوام وهم الصنف الثالث فأنهم كما قلنا يتقدرون ان السلطان
 اذا أمر بالاعتداء على كل مخالف وجبت طاعته لاسيما اذا حمل راية الرسول صلى الله عليه
 وسلم وهم فيما عدا هذا الاعتقاد اقرب الى سلامة القلب وأبعد عن عداوة المخالف
 من عوام سائر الملل . وهذا الاعتقاد لا يخشى ضرره وجمله مشارا للفتن الا في
 الحالة التي أشرنا اليها وهي قيام التنصاري كافة على المسلمين ولن يكون ذلك فان
 كان قائم التعصب هو المعتدي والعوام يتجاوز علماء الدين فاذا حدث أمر يخشى
 معها اعتداء العوام على غيرهم فان علماء الدين يقدرون على دفع كل مخشي بالخطب
 في الجوامع وفي الجرائد مثل هذه البلاد فاذا كتب كبار علماء الازهر في الصحف

المنشورة أن العدوان حرام امتنع العدوان وكان ذلك أفعل من كثرة الشرط والجنود
وأما الصنف الثاني في الذكر أعني المتعلمين للعلوم الأوروبية فأكثرهم لا يمتازون
عن العوام في علمهم وشعورهم بالدين ومنهم المارق منه والسكنهم أشد حرصا على
السلطة من غيرهم ولا شيء ينفخ فيهم روح التعصب لها مثل وقوفهم على مطامع
الأوربيين ، وسماهم لا قوالهم في المسلمين ، فهم يميلون إلى التعصب بسياسة
لاتدينا ولكن روح ناهل الإسلام غاب عليهم حتى لا يعلم منه المارق منهم ،
وإنني سمعت نير واحد من كبار رجال الحكومة وهم سطيهم يقولون : أنهم يتهموننا
بالتعصب بإلته كان صحيحا ، فليعلم الأوربيون أن أهدنا عن التعصب أقربنا من
الدين ، وأدنا من أجهلنا بالدين وأعرفنا بأهل أوربا في علومهم ومدنيهم لاسيما من
ذاق حفتها منا فمثار التعصب أوربا لا الإسلام نفسه وإذا ظنت أوربا على أنها ما
والأفنيات عاينا في شؤوننا فيوشك أن يجيء يوم يكون فيه الشك يقينا وهو ما
نساء المدان بقي البشر شره والافان في استطاعتها أن تجمع بين مصلحتها ومصلحتنا
ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشعرون ويمقلون ،
ويسرون ويألمون ، وثه في خلقه شؤون ، وهو يعلم ما لا نعلم ولا يعلمون ،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ نجيب ﴾

(٧ - وصفه الفونوغراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الأول أنه وصف الفونوغراف وصف من لم يره ولم يعرف
شيئا من علم مخترعيه فجاء في رسالة (رفع الهم والاشتداد) يرد على قوتنا بأنه وصفه
بالمقدار الذي يتعلق به ما كان بصدده قل (كما في ص ٢٦) : وقد أخذنا وصفنا
عن أهل الخبرة به وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المقتطف
بالجزء التاسع من السنة الثانية : اه وكان نقل عبارة المقتطف في ص ٧ و ٨ و ٩ وفي
بمطابقة وصفه لوصف المقتطف في النتيجة اتفاقهما على أن الفونوغراف آلة ناطقة !!

الأهل من قارىء فيفهم ، الأهل من متفكر فيعجب ، الأهل من عاقل منصف ، فيفتنه كنه هذا المصنف ، انا انتقدنا عليه وصفه الفوتغراف وهو الآلة الناطقة وصف من لم يره . نعي ان الوصف غير مطابق للوصف . فاذا كان الانتقاد خاصا بما وصف به هذه الآلة الناطقة لاني تسميتها آلة ناطقة فكيف برد عاينا بان المنطق رصف وصفا آخر نتيجة انه آلة ناطقة ؟ أليس هذا اعترافا بأنه أخطأ في الوصف وانا أصبنا في الانتقاد عليه ؟ اذا وصف كاتبان الآلة الرافعة للانتقال فذكرنا أجزاءها وكيفية تركيبها وطريقة رفعها للانتقال فأخطأ أحدهما في الوصف وأصاب الآخر مع اتفاقهما على كون الموصوف آلة رافعة ؟ فهل يصح الرد على من ينتقد وصف الخطي بأنه - أي الخطي - موافق للمصيب في كون الموصوف آلة رافعة ؟ واذا كان قوله انه موافق للمصنف في كون الفوتغراف آلة ناطقة فقط اعترافا بأنه مخالف له في وصفها وانما يصيبون في انتقادنا فلماذا نقل عبارة المتكلم وهي حجة عليه ولا حاجة في اثبات كون الفوتغراف آلة ناطقة الى ايرادها اذا لا نزاع في ذلك ؟ ولماذا قال انه أخذ وصفه عن أهل الخبرة ؟ أليس هذا اعترافا على دعوى الأصابا في الوصف ؟ كيف يجمع بين ما يقتضي الاعتراف بالخفاء وما يقتضي انكاره ، وكيف يرد ما هو حجة عليه على انه حجته ، هل يعلم العاقل المنصف بأنه فهم ما كتب أم التأليف عنده وعند امثاله عبارة عن ايراد القول ، وقل وتقول وان لم تصل ما يسمى دليلا بالدلول ، ، سيعلم القارىء ، مما يأتي ما يدل مع ما علمه هذا على انه كتب بغير فهم وان التأليف والمناظرة عنده عبارة عن مراجعة المسائل التي تراد من مظانها (أي من المواضيع التي يظن انها توجد فيها من الكتب) وجمعها منها وكتابتها وربط بعضها ببعض بعبارات تدل على ان هذه القول موافقة لما يدعي وان كانت في نفسها مخالفة له وحجة عليه

انما كان انتقادنا عليه بما أخطأ في وصف الفوتغراف وفي قوله ان السائل الذي سأله مقيم في الاناضول في الرومالي الشرقي بولاية سلانك لتتبيه على ان العالم الديني يحتاج في هذا العصر الى الوقوف على العلوم والفنون المتداولة فيه ولو بطريق الاجمال الذي يعد صاحبه لمعرفة التفصيل عند الحاجة اليه فان المسائل

الشرعية تتلاق بأعمال الناس وصنائعهم ومعارفهم ومواقع بلادهم فإذا كان الفقيه يجمل ذلك نعتراً أو تفسيراً عليه فهم كثير من المسائل التي يحتاجون إلى معرفة حكم الشرع فيها وقد يتكلم أو يكتب في مسألة من هذه المسائل على جهل بموضوع السؤال فيعرض نفسه بل وصفه للاحتقار والازدراء . ولم ينبئ هذا الفرض اعتماداً على اكتفاء اللبيب بالإشارة ولكنه لغروره بشهرته لم ينتبه للمراد وقام يرهينا بقلة الأدب معه كما علم القارىء من الجزء الماضي

إلا أننا لم نقصد تنبيهه وحده لما ذكره وإنما افترضنا خطأ أحد المشهورين من علماء الأزهر بمعارضة الإصلاح وذم العلوم التي يسمونها العصرية لتنبه جميع من على شاكلته إلى الحاجة إليها وكون الجاهل بها عرضة للازدراء . وأنا والله لم نكتب تلك العبارة الوجيزة إلا بعد أن سمعنا الناس في بعض سيارهم يضحكون من تينك المسألتين ويقولون في مؤلف الرسالتين مالا ينبغي أن يكتب

رأينا بعد تردد أنه لا حاجة إلى ذكر عبارته في وصف الفونوغراف وعبارة القنطف التي قال أنها موافقة لها في النتيجة وبيان الفرق بينهما لأن هذا لا يفيد قراء المنار فدعه يعتقد أن الفونوغراف صندوق وأنه له مخارج كمخارج الحروف وشي يشبه حنجرة الإنسان وإن افترض من إدارة الزنبرك إدخال الهواء في الصندوق لأجل أن يقرع ما يشبه الحنجرة ويكون الصوت وإن ذلك الصندوق في مجموع أسطواناته يشبه الإنسان في استعداده لأن يصدر منه ويسمع منه كلام . وإن الفرق بينه وبين الإنسان من وجهين أحدهما أن مخارج الإنسان مستعدة وقابلة بعد التكلم وقبله كل كلام . . . ومخارج كل أسطوانة من أسطوانات الصندوق مستعدة وقابلة لأن يتورد عليها خصوص الكلمات التي تكلم بها التكلم؛ وثانيهما أن الإنسان يتكلم بقصد وشعور والصندوق ليس كذلك !! دعه في اعتقاده هذا فإنه لا بدع في خطئه إذا أخطأ في وصفه ولا غرابة في إصابته في بعضه بعد ما سمع من أهل الخبرة ما سمع وإنما العبرة في استباحته الكلام فيما لا يعلم وأصراره على الخطأ بعد العلم به ومحاولته إيهام الناس أنه أصاب . وهذه العبرة تكون أكل في المسائل التي من شأن مثلها أن يكون عارفاً بها وهي ما يأتي بعد المسألة الجغرافية

﴿المسألة الجغرافية﴾

قال الشيخ بخيت في أول رسالة السكوتية : قد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالرومالي الشرقي بولاية سلا نيك الثمانية يتضمن : كذا الخ فانتقدنا عليه ذلك وبيننا له ان الاناطول ولايات في آسيا وان الرومالي الشرقي غلب على ولاية من ولايات الدولة في أوروبا دخلت في امارة البلغار وان سلا نيك ولاية عاصمة من مكدونية لا تزال في حكم الدولة ، وتمنينا لو انه أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على رسالة قبل طبعها لعلهم يصلحون له هذا الخطأ الذي يعد من الفضائح في هذا العصر وان لم نصرح بذلك في الانتقاد الاول بل نهبنا المؤلف الى حاجة علماء الدين لاسيما الذين يدعون الاجتهاد الى علم تقويم البلدان كما سيأتي . اعترف بالخطأ في هذه المسألة ولكنه تبرأ منه وألصقه بالمطبعة المسكينة فقال مانصه وفيه عبرتان احدهما في العبارة والثانية في البراعة :

« ان ماجاء في الرسالة الثانية في بيان محل اقامة السائل على وجهه ما ذكر خطأ لا يخفى على من يعلم الجغرافيا ومن لا يعلمها ولكنه خطأ مطبعي وقد جرى فيه الطبع بالطبع ماجاء في خطاب السائل حيث قال فيه ما لفظه (محل الحادثة بلدة دراما بولاية سلا نيك في رومالي الشرقي) اه ثم ذكر ان مثل هذا الخطأ يقع كثيرا أقول (اولا) قوله ان هذا الخطأ لا يخفى على من لا يعرف الجغرافيا غير صحيح والذي جراه على كتابته وهو بديهي البطلان ارادته ايها القاريء ان مثل هذه المسألة لا تخفى عليه والايها دأبه وعادته وقد روي عنه انه أخطأ فيها وأشد من هذه المسألة ظهورا - ذلك انه كان ينظر في قضية بالمحكمة الشرعية قبل عزله بزمن وكان أحد الخصم فيها رجل من خانبة فسأله الشيخ بخيت عن بلده فقال خانبة فسأله أين خانبة قال في كريت سأله ألسنت من أهل كريت نفسها أجاب بلى فاشتبه على الشيخ بخيت كونه من أهل خانبة ومن أهل كريت مما وسأله في ذلك فأجابه ان كريت جزيرة وان عاصمتها مدينة تسمى خانبة وهو منها قال الشيخ بخيت كلا ان عاصمة كريت هي مدينة كريت فقال الرجل انه ليس في جزيرة كريت بلدة تسمى كريت فلم يصدق الشيخ بخيت وصدقته حسن بك صبري وكان

معاميا في القضية فلم يقبل الشيخ بنخيت قوله وعده غير معقول وكانه استنبط هذه المسألة بقياس مصر على كريت إذ يطلق اسم مصر على القطر كله وعلى عاصمته . ولم يزل يجادل في ذلك حتى قال له أحد أعضاء المحكمة : ان حسن بك صبري يعد عالما اخنصاصيا بمسلم تقويم البلدان حتى ان المحكمة اذا ارادت تعيين خبير في مسألة تعلق بالبلاد ومواقفها يمكنها أن تعتمد عليه فلم لا تصدقه: فقال الشيخ بنخيت وأي شيء علم تقويم البلدان او الجغرافيا هذا علم الشحاذين !!

أورد القصة بالمعنى كما بلغت ولم يفهم الحاضرون مراده بقوله هذا علم الشحاذين لأنهم يعلمون ان أوسع الناس علما بهذا العلم رجال السياسة من الملوك والوزراء وقواد الجيوش على انه لا يعلم الا في المدارس التي لا يدخل فيها الشحاذين ولعله يريد أن الفقراء السائمين المعروفين بالذراويش يعرفون ما يعرف أهل هذا العلم وبهذا يعد العلم منذلا لاغضاضة على الجاهل به كأنه يظن أن هذا العلم عبارة عن معرفة أسماء البلاد فقط وفاته أن أكثر علماء الأزهر يجهلون جغرافية بلادهم نفسها الامن تملها في هذه السنين

- (ثانيا) قوله «وقد جرى فيه الطبع بالطبع» الخ من اللغو الذي لا يقبله طبع ولا عقل وما أوقعه فيه الا ابتغاء البلاغة بالجناس وتأمل قوله قبله «على وجه ما ذكر» فإنه ليس له وجه وجيه

- (ثالثا) لا يعقل ان تكون العبارة في الاصل الذي أرسل الى المطبعة هكذا «المقيمين ببلدة دراما بولاية سلانيك في رومالي الشرقي» فيجعلها طبع أهل الطبع خطأ منهم «المقيمين بالاناضول بالروالي الشرقي بولاية سلانيك العمانية» فن مثل هذا الابدال واقلاب ليس من طبع أهل هذه الصناعة على ان الرسالة ما طبعت الا بعد عرضها على المؤلف وتصحيحها !!

ثم قال الشيخ بنخيت بعد ما تقدم «وبيان محل اقامة السائل لا يتوقف عليه شيء مما نحن بصدده فيستوي ذكره وعده ولذلك لم نهتم له حين ما تنبهنا اليه بعد الطبع» نقول نعم ان بيان حكم المسألة لا يتوقف على معرفة مكان من يسأل عنها ونحن لم نقل انه أخطأ في الجواب تبعا للخطأ في معرفة المكان كيف وقد شاب

على ظننا أنه لا سؤال ولا مسائل إذ لا يمكن أن يوجد مسائل مقبها في أمكنة مختلفة
فأهذه المراءغات والمغالطات

ثم قال « وأما دعواه اننا نحن ندم علم الجغرافيا وينفر عنها فهي دعوى باطلة
عاطلة » الى ان قال اننا من شدة حسدنا له نخترع عليه الاباطيل . ونقول هل
ينكر الشيخ بخيت انه هو الكاتب لما نشره المؤيد في أواخر سنة ١٣١٧ بمضاه
(ثابت بن منصور) في ذم الجغرافية والتاريخ والحساب العملي وزعم أنها علوم تضعف
العقل ؟ ان كان ينكر ذلك بعد اعترافه به لغير واحد من أهل الأزهر وعلمه بأن
صاحب المؤيد لم ينسبه فحسبنا ما يسمعه هؤلاء من انكاره ، أم يقول ان هذه العلوم
من الكلمات البشرية لغير أهل الأزهر ومن القائص لهم لأنها تضعف عقولهم
عن ادراك علوم الشرع ، أم كان ما كتبه مقاومة للاصلاح في الأزهر في ذلك الوقت
لامرما ولهذا الوقت الذي لا يطالب فيه بالاصلاح هناك مطالب قول آخر ؟
أما ما أكثر القول فيه من اننا نحسد ، فجوا بنا عنه اننا نراه أجدر بان يرحم
منه بأن يحسد واننا ندعو الله ان لا يبتلينا بمثل علمه ونألفه وأن يعافيه هو من
الابلاء بمثل ذلك في مستقبل حياته

ثم قال « وأغرب من دعواه ما ذكر دعواه ان الاجتهاد اليوم لا يتم الا
بالجغرافيا على الاطلاق حتى فيما نحن بصدده وأمثاله مما لا يختص بكون السائل
في مكان دون مكان ولكن الحسد يعمي ويصم والعياذ بالله تعالى » اه وأقول
ان من له ذوق يدرك به سراي أساليب الكلام لا يفهم من قولنا ان الجغرافيا
« انتفعت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها » ما فهمه من ان
العبرة من باب الحقيقة وان الاجتهاد فيها يشمل الاجتهاد الجزئي ولو فيها لاعلاقة
له بالبلاد والمواقع ، وإنما يفهم صاحب الذوق أنها من باب العناية أو التعمير
على ان الاجتهاد المطلق الذي يتوون صاحبه اماما قادرا على استنباط الاحكام
في كل موضوع يكون من تمامه الوقوف على هذا العلم لاسباب في هذا الزمان الذي
صارت مسائل الحدود فيه بين المذالك من أهم المسائل وأحوجها الى التدقيق
ويترتب عليها كثير من المسائل الفقهية في زمن الحرب والسلام . وقد بينا مسائل

أخرى تتوقف معرفة حكم الشرع فيها على علم تقويم البلدان فيما كتبه في المؤيد والمنار من الرد على ما كتبه الشيخ نجيت وغيره من علماء الأزهر في أواخر سنة ١٣١٧ (راجع ص ٧٩ م ٣ من المنار) ونكتفي بهذه الكلمات في هذه المسألة ولينتظر الرد على استنباطه جواز كون إمام المسلمين كافراً من الحديث المنكر وعلى ما قاله في تصحيحه فهو الذي يظهر غاية شوط الرجل في العلوم الدينية فيعلم هل هي مما يحسد عليها أو يستعاض منها وبالله التوفيق

﴿ رأي في اللغة العربية ﴾

قرأنا في الجزء السابع من المقتطف مقال (انتقاد فتاة مصر) لجبر أفندي ضومط استاذ اللغة العربية والبلاغة في مدرسة الامريكان الكلية ببيروت وهو لفظ الكتب المفيدة في النحو والبلاغة فرأينا ان نتقل منه رأيه في الانتقاد اللغوي ونبين رأينا فيه . قال

﴿ ثالثاً الانتقاد اللغوي ﴾

« وكثيرون من متقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبكمات المضحكات ولا أحاشي حلة من اكابر علمائنا وكتابتنا مما . والغريب ان بعضهم ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الا ما نص عليه في كتب امهات اللغة فان لم ينص الصحاح او الفيروزبادي أو لسان العرب على احتار مثلاً يؤخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من اكابر الشعراء وافتقهاء . وكاد العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانه على سعة علمه لم يرقه استعمال بعضهم « احتار » مع معرفة ان قد استعمالها قبله الامام ابن الفارض المشهور وبعض غيره من اكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمى برد المختار على الدر المختار . وكنت أعجب من تضيق هاته الفئة كل هذا التضيق وما الذي يعتمدونه في الاخذ بهذه الحطة التي أخذت بمخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة

من أشهر لغات العالم بآدابها على القياس ومناسبة أوضاعها له حتى في الحركات
والسكيات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبه العلامة الفيلسوف الامام الغزالي
في الرد على المشبهة والحشوية في كتابه إجماع العوام فترجس لي ان كلام الامام
هناك استهوى القوم فقاموا عليه اكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فأدى
قياسهم هذا لسوء الطامع الى ما كاد يبطل القياس في ألفاظ اللغة حيث تمس الحاجة
الى القياس وحيث لا مانع يمنع منه عقلا او تقلا وبيان ذلك

« انه ورد في السنة ألفاظ في حق الباري سبحانه وتعالى توهم الجسمية كاليد
واليمين والاستواء والنزول وغير ذلك مما أخذها الحشوية دليلا على التجسيم
واستغفروا بها العامة وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدى الامام
لرد عليهم واليك بعض كلامه قال : وحقبة مذهب السلف ان كل من بلغه حديث
من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور (١) التقويس
(٢) التصديق (٣) الاعتراف بالمعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكف
(٧) التسليم ثم فسر الامساك بما نصه بالحرف الواحد قال : وأما الامساك فان
لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتعريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان
منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد
والاعراب والتعريف والصيغة

ثم أفاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابه وحري بكل عالم
من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين
ان يقف عليه فانه مما تتناول اليه الاعناق وتطمح الى مثله الابصار في كل
زمان ومكان . ولا يبعد عندي ان علو طبقة كلام الامام الغزالي في هذا المقام
الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى أهل هذه الفئة التي أشرنا اليها فسموا
الامساك في كل ألفاظ اللغة مع ان الامام خصه ببعض ألفاظ منها وردت في القرآن
وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم و بذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين
استعمال القياس حيث لا محذور من استعماله فابطلوا القياس بالقياس فبالغزابة

والغريب ان بعضا من أهل هذه الفئة يتساهون في القياس الا أنهم يتأبون كل لفظ قاسته العامة أو استعماله على سبيل الكناية أو المجاز مع ان مسوع القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخف على هؤلاء . وربما استعملوا بدلا من ذلك اللفظ لفظاً آخر هو في الاصل قياس أو مجاز من ذلك خابره في مسألة كذا أو تخابروا قائمهم لا يسوغون استعمال هذه اللفظة و يعدلون عنها الى نابأ في مسألة كذا وتنبأوا مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من النبأ والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الا ان الخبر أعرف وأعم وأشهر . وكذلك يابون استعمال تكاليفوا على كذا من الكتف ولا يرون أنها كتظاهروا من الظهر على حين ان وضع الكتف للكنف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر . وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الا لأن العامة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعماله أو وضعه له . وبعضهم يشدد النكير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعمله للعامة مع أنها (كهاقلة الرجل) من عال عياله كفاهم معاشهم ومأثمهم أو من عال الشيء فلانا أهمه وهقادها بالقياس على عاقلة الرجل انهم الجماعة الذين يعولهم أو الذين يهونونه ولا أوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والحارق . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جر اليه ما استهوى اقوم من القواعد الموضوعية لتفريه الباري تعالى عن الجسمية على ما ألعنا اليه . فيالله متى نمدل عن هذا النخرج الذي يقضي العتل والنقل بتركه

« ولا يسعني المتام الآن ان أخوض في هذا البحث الى نهايته وربما عدت اليه في آخر اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالا بين صفحاته وانرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٣١ آخر الوجه - ولكن الرجل الفني المطبوع فيه يتأنشه الناس من كل جهة - فان كان مبدأ الفئة التي أشرنا اليها صحيحاً كانت لفظة - يتأنشه فيها شيء من العامة وعندني ان هذه الدامية هي في منتهى الفصاحة وبألت الكتاب جاء في روايته بمئات من أمثال هذه اللفظة

فإنها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتغيب حتى عن العامة هـ
 (المنار) إن علماء العربية قد يذنبوا ما هو قياسي في اللغة كالثنائية والجمع الصحيح وما
 هو غير قياسي وهو ما يبرون عنه بالسماحي ووضعوا لذلك القواعد والضوابط ومنها أن
 أبنية الأفعال سماعية لا يصح أن تأتي من كل مادة بكل بناء وإن سمع مثله من مادة
 أخرى فذاعلها أنهم استعملوا من مادة الحيرة حار وحير وتحير واستحار فقط اكتفيانها
 ولم يزد عليها أحرا حارة وحار محارة واحترار اختيارا وتحار تحاير وحيرو حيرة وتحير
 تحيرا الخ وعلى هذا درج العلماء والكتاب ومضت سنتهم في انتقاد من خالف هذه
 القواعد فجاء بشيء غير مسموع وهو مما لا يصح فيه القياس وإذعان المخالف
 للمنتقدا أن يكون في المسألة خلاف في كونهم مقيدة أو غير مقيدة فيذهب
 كل إلى مذهب حتى قام في هذا الزمان أناس يرون أنه يجب أن يتصرف كل
 كاتب في اللغة كما يشاء ويختار فيدخل فيها من العامي والمخترع والمخيل ما يستحسنه
 بلا قيد ولا شرط إلا مراعاة أفهام القارئين . ولو جرى الناس على هذا الرأي
 في جميع الاقطار العربية لأصبحنا بعد زمن غير طويل والمصري لا يفهم كتاب
 العراقي ، والحجازي لا يفهم كتاب المراكشي ، بل لصارت اللغة غير العربية
 المدونة في الكتب ولاحتجنا إلى معجمات جديدة وإلى نحو وصرف وبيان أيضاً
 لكل قطر

رأيت المتصرين لهذا الرأي ثلاثة أصناف - الأول قوم قليلوا البضاعة
 في هذه اللغة وفنونها وقد نصبوا أنفسهم للكتابة والنأليف وهم ككثيرون (ولو
 نشاء لأرينا كم فامرفهم بسياهم هـ واتمرفهم في لحن القول) والثاني أناس يودون
 افساد العربية وهم قليلون والثالث أفراد متساهلون في أمر اللفظ لتعظيم شأن
 المعاني وم على سمة في العلم وقوة في الفهم وجبر أفندي ضومط من هذا الصنف
 ولذلك يوجد في كتابته من الاغلاط اللفظية ما لا تجد مثله في كلام من لا يدانيه
 في فنون العربية ،

يوجد في مقابلة أصحاب هذا الرأي قوم جامدون على النقل كما قال جبر
 افندي حتى ضيقوا ابواب المجاز والنقل والقياس ولكنني لا أظن أنه يوجد في المشتغلين

بالعربية من يتولى في اللغة كلها بمثل ما قال الامام الفزالي في صفات الباري سبحانه وتعالى مثل ذلك ان ما جاء من هذه الكلمات المتشابهات مفردا مثلا يتمتع تشبيته وجمعه كلفظ عين فقدورد «واتصنع على عيني» ولكن لا يجوز ان يقال ان الله تعالى عيني الا اذا ثبت ذلك بنص من الشارع فهل يعرف المتقدم احداهم من يصنفهم بالجمود يقول لا يجوز تسمية شي من الفاظ العربية ولا جمعه الا ينقل عن العرب؟ اني اجزم جزما بأن رأي الفزالي وغيره في هذه المسألة لا دخل له في هذه المسألة قط

وهناك قوم آخرون وسط بين هؤلاء وأولئك يقولون ان باب القياس في أصل العربية أوسع منه في عرف واضعي الفنون لاسيما البصريين منهم وأنه ينبغي لنا ان نسال في اللغة مسالك أهلها في الاشتقاق من الجوامد والتمريب والتجوز وغير ذلك ولكن يجب ان لا نجد فيها الا ما يحتاج اليه ولا نجد في كتبها والا كانت الزيادة تكثرا يثقل علينا احتمالها بغير فائدة أو من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا يرضى به عاقل فكلمة احتار مثلا لا حاجة اليها لأنه ورد معنا حار وتحير وكاتب هذه السطور يرى هذا الرأي ولكنه لا يطاق العنان فيه للأفراد لما يترتب على ذلك من الفساد الذي أشرنا اليه في فاتحة الكلام بل يحتم أن يكون برأي جمعية من العلماء يبحثون في ذلك ويجهلونه نظاما وينشرون ما يرونه صوابا في الصحف لديهم الاستعمال، ويؤمن الاختلال، ولا يجوز الخروج عن شيء من النظام الحاضر في مملكة اللغة الا بعد اجتماع أهل العلم والرأي ووضعهم لها نظاما جديدا بعد المشاورة والذاكرة خلا ما يضطر اليه الكاتب أحيانا من الحاجة الى كلمة وقلم يقع ذلك مني عن عمد ومن هذا القليل استعمال لفظ (تطور) بمعنى الانتقال من طور الى طور وقد فسرتها في عنوان المقالة (تطور الامم وانتقالها من حال الى حال)

ومن الغريب ان جبر أفندي أقام النكير أيضا على من يتقنون الخطأ النحوي في الكلام ورماهم بأشنع الجهل فبالغ في ذمهم بأشد من مبالغة بعضهم في تبجيحه بذلك . وسند كرفي الجزء الآتي شيئا مما خالف فيه القياس لتساهله



﴿ حال المسلمين في تونس والاصلاح ﴾

لعالم مدرس بجامع الزيتونة

الحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 أحبيك أيها المصلح المخلص النصح النبور منشى مجلة المنار الغراء الأستاذ
 السيد محمد رشيد رضا دام عزه ، ورواً من الحفظ حرزه ، نحية تعرب عما في الضمير
 من الشوق الى مدتك العلياء ، وحضرتك الشما ، ومقامك الاسنى ، ممن قدرك
 حق قدرك ، وادرك فيما توأمه من الاصلاح حقيقة امرك ، فاهتدى بمنارك الى
 سواء السبيل ، رغما عما يلاقه أولئك المهتدون من قوم لم يستضيئوا بنور العلم
 ولم يلجوا الى ركن وثيق الا من رحم ربي من أساتذة خدموا الامة والدين
 وتحملوا في الدعاية الى ذلك ما يلاقه المصلحون ، من هج رعاع مع كل ربح
 يملون ، ضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولكن - والمنة لله -
 لم يثبط ذلك عزائمهم فإوهنوا لما أصابهم من النكبات ، ولا وقفوا لما اعترض
 سعيهم من العقبات ، ممن حسبهم المحافظة على صور العبادات ، والتشبث بأهداب
 العادات ، والتمسك بما قاله الاقدمون ولو قبيحا ، وتزيف ما قاله المتأخرون
 ولو صحيحا ، يزعمون ان ذلك هو الدين ، وتجارزحده اتباع لسبيل المؤمنين
 ولولا ان من الله على الامة التونسية بزعيمها الفاضل العالم المصلح الأستاذ . . .
 لم تبرح في أدوية الضلال بهم حتى تخرجت من جامنا (الزيتونة) نشأة هذب
 الأستاذ ابقاه الله اخلاقها وأطلق أفكارها من قيود التقليد فأصبحت مجرورة
 الارسان تركض في ميادين الحرية واني لمصر في أداء ما يجب من شكره على
 ما أسداه الى امتنا عموما والى الحقير خصوصا من نعم تضيق المهارق عن
 استقصائها ، ويكل البراع اذا كف باحصائها ، وحسي ما أثقل به عاتقي من منة
 التعريف بذلك الأستاذ الامام قدس الله روحه فلت والحمد لله من قوم زعموا
 ان ذلك الفاضل قد ضل ضلالا مبينا . . بل أقول « والنجم اذا هوى ، مناضل صاحبكم
 وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » ولكن من لم يكن بمرتبتك من العتلى ، لم

بذوق مذاقك من الفضل ، ولعمر الله ان من سرح بصره فيما نشرته مجلتك الفراء في ترجمة هذا الفقيه علم مصيبة رزئه على الدين وما هو باول هدى لمارك الذي يهدي الله لنوره من يشاء... لا برح مارك يبعث من أشفته ما يهتدي به الساري فيدأب القالي أن يطفيء منها ما يفيظه من مساعيك المشكورة ، وبأن الله الا أن يتم نوره ، اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة لما فيها من الفائدة التاريخية في رأي المسلمين بتونس وحالهم بالنسبة الى دعوة الإصلاح وامامها المرحوم وحرية الفكر ورغبة في الصلة العلمية الاصلاحية بيننا وبين ناشيء جديد في العلم يرجى خيره ونشكر لهذا النبه الفاضل حسن ظنه بنا . ومن العجب انه قد عهد الينا بأن نكتب اسمه دون اسم استاذ المصلح الذي أرشده الى الحقيقة ، وأقامه على الطريقة ، ولا ندرى أنسي ام هو يعلم ان استاذه قوي العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا يروعه جبل الجاهلين ، ولا يبالي عند العاذلين ، ولكننا رجحنا الاول احتياطا ونسأل الله التوفيق والنصر لهذا الحزب المصلح في تونس بمنه وكرمه

حـال المسلمين في حضرة موت والإصلاح

رسالة أرسلها الاديب صاحب الامضاء من حضرة موت الى السيد حسن بن شهاب في سنغافوره (بعد اطلاعه على رسالة له أرسلها الى حضرة موت يدعوها الى الخير) فرأينا ان ننشرها لما فيها من الدلالة على حالة البلاد العلمية والادبية وهي :

كتابي الى حضرة الماجد الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب أسعد الله أيامه ، ورفع على هام السماء اقدمه ، والروح الى وسيم طلعت شقيقه ، والعبرة لما منيت به من البين متفرقة ، والقلب مطبوع على الودله وانمة ، وقد اكنظ بالاشتياق ، وقام فيه نبت الحب على ساق ، ولم ازل اكلته وانا منه في عناء ، حتى احتج على بقول أبي الطيب * وأندشكوى عاشق ما اتلنا * وبقول الآخر * فصرح بمن نهوى ودعني من الكفى * فحينئذ فضضت ختمه ، ورفضت كفه ، وبعثت هذه البطاقة منية لكم مألدي من الشوق المبرح ، والبين المطوح ، فإني اذا تصورت مجالسكم

الفائقة ، ونحيت مناداة انكم الراقية ، استخفي الطرب ، وهزني ارجحية الادب ،
ولولا ان جناحي كبير ، لأوشكت ان أطير ، لا قضي حق قرابته التي لا تجحد ،
ولله در حبيب بن أوس حيث أنشد

ان يفرق نسب يرف بيننا أدب أوفياء مقام الوالد

وأيده الآخر بقوله

وقرابة الادبا . يتصر دونها عند الكريم قرابة الارحام

ومما يزيدني كفا ، ويحشو حشاي شغفا ، عدم أنيس أتسلى به ، وانتهزه بلعه
وأديه ، لأجد الا من يسخن العين منظره ، ويكلم القلب مخبره ، ويتعب الروح
مقامه ، ويدك السمع كلامه ، أما هؤلاء حولي بكل مكان منهم خلف تخلفي
إذا جئت في استفهامها عن ، وعلى كل حال فالحر حيا كان مصاب بيليه ، كالمصحف
في حانة خمار أو بيت بغيه ، ثم اني رأيت منكم كتابا لبعض مكاتبيكم أنتم فيه
على الايام ، وشكوتهم مقامكم هناك وعسى ان يكون من قبيل قول أبي تمام ،
وإذا تأملت البلاد رأيتها نشق كاتشقي الرجال وتسعد
وقد وقفت على رسالتك التي رقتها ، وبوشي البديع نعمتها ، فوجدتها بارعة

المبني ، رائحة المهني ،

إذا سمع الناس ألقاظها خافن لها في القلوب الحسد

غاية غنية عن الاطراء والمدح ، ممرضة عما يرميها به الناقصون من القدح ،

ولا بد للحسنا ، من ذام ، وإنما ينشأ ذم المسك من الزكام

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ولقد نثت الكفاية ، ونفضت الجعبة ، ولكن شكوت الى غير ماجدة ،

وجلبت بضاعة كاسدة ، وجلوت الحسنا لعين ، وقد ذم الله قوما « قالوا سوا علينا

أوعظت أم لم تكن من الواعظين » فما بالك بقوم زادتهم العظة نفورا ، ومنتهم

أنفسهم غرورا ، فلو دعوتهم ليلا ونهارا ، لم يندم دعاؤك الا فرارا ، نعم لو غيرك

قالها من الذين نصبوا باظهار التنسك فخاخ الكيد ، وتعارجوا لشئنة عرفوها

عن أبي زيد ، لعثرت ظاهرا بطائل من القول ، ولكن ماشأن أولئك الا الإحالة

على الاماني الخائبة ، والحرقه بالقصص والباطيل الكاذبة ، وقد استنصر بأرضنا
بغائهم ، وكأول فرأهم تراهم ، فإله للناس من خداعهم ومكرهم ، فقد ضايف
الحزام عن الطيبين .

أما ما طلبت من نشر الدعوة المطابق لحقيقة حكم الشرع فدونه خرط اقتاد ،
كيف وقد أدرجوه في لغائف الاعراض ، وبرقموا عجايب بنقاب المدهانة ، وجعلوه
فريسة لاستغلال الأبيص والأحمر ، هيات هيات اذك أعز من منح البعوض
فلا تبع صوتك بسداد الجاد ، ولا تضع نفعك في رماد ، فأنما شمت خلبا ،
ورأيت مرابا ، واستطرت جهاما ، فارجع البصر ، لا تفرنك الشيات والصور ،
أنما كل من ترى بهر ، ودونك فالنس لصحك أنما غيرهم ، أما هم فما أمهروا
نظرك الا بالأعراض ، ولا قرضوها الا بلساني المقراض ، وبالجملة فالعروف بينهم
زمن ، وجدير بان ينثله بيت اخي خرافة ، وكن وقد اخلاق ان يدفن في
الرمس ، وينهار في الطمس ، ويصير كأن لم يكن بالأمس ، غير اني لا اقلظ من
رحمة الله ولا آياس ، وأرجى من الدهر ان ينسم ويتفس ،
فلنجم من بعد الرجوع استقامة والبدن من بعد الضيب طلوع

ومنذ أيام أنشأت رساله في تزيف ماشاع عندنا من تعظيم يوم عاشوراء
واظهار السرور فيه ، وقراءة أحاديث وحكايات في فضله لا يقبلها إلا سفيه ، وهي
واحدكم في ملي هذا . فانظروها بعين الرضا الكلية ، وما وجدتم من خطأ
فاجعلوا الصواب بديله ، واعرضوها على السيد الجليل ، الشهم النبيل ، محمد بن عتيق ،
وان رأيتم حذف شيء منها أو زيادة فلنكم الرأي الأعلى والأمر لكم طبعها
ليحصل الانجاء بها أو إرسالها للاستاذ الحكيم منشي مجلة المنار لنشرها في مجلته
وقد ارتضاها من رأيها وما تقاعد حجة الأ قوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا
على آثارهم مقتدون) تلك كلمة هو قائلها ، جاملا بان يفضي الاله الملاك ما حاما ،
ودمتم والسلام

عبد الرحمن بن عبيد الله
بن حسن السقايف

﴿رسائل سنغافورة﴾

وردت لنا عدة رسائل من سنغافورة تدل على ان بين العرب الكرام المقيمين هناك تنازعا وتخاصما وتباغضا وتحاسدا تألم له النفس ويضيق منه الصدر فان أولئك الكرام أجدر الناس بالوفاق والوثام ، كما يليق بهدي دينهم وطيب عنصرهم

﴿رسالة احدى أعضاء الجمعية الخيرية﴾

فمن هذه الرسائل ما كتبه اليها أحد أعضاء الجمعية الخيرية هناك وكتب بمثله الى المؤيد فنشره المؤيد غير مستحسن لهذا الخلاف واعظا أهله وعظا اجماليا فاما لمن تدبره فرمى عن قوس عقيدتنا في ذلك ينكر الكاتب على السيد حسن بن شهاب ما كتبه في المرئيد يفوق به سهام اللوم على مسلمي سنغافورة وعربها الكرام لتقصيرهم في تعليم أولادهم وغير ذلك مما يرقبهم ويرفع شأنهم ويرد عليه وعلى كاتب آخر كتب مثل ما كتب بامضاء (حزبن) بقوله «ان مسلمي سنغافورة عموما وعربها خصوصا استشهروا واشتهار الشمس في الرابعة بالمحافظة على الشرف والدين والسيرة على نهج الآداب وتعليم أولادهم لا كما زعم ذور الاغراض في تينك المقالتين» ثم أهد كلامه بأن الجمعية الخيرية لم تنزل منذ تأسيسها (٦ شعبان سنة ١٣١٤) «توالي جلساتها باهتمام فائق فيما يعود نفعه ومجرب اقيام به في مصالح المسلمين» وذكر من ذلك انها كانت عازمت على انشاء مدرسة لتعليم كلام الله وعلم الكتاب والحساب ولكن السيد محمد السقاف قام بذلك (جزاه الله خيرا) - وانها تحتفل باستقبال الوافدين الى سنغافورة من أمراء المسلمين وقناصل الدولة العلية - وانها لم تنزل قائمة بالاصلاح بين المسلمين وحل ما يشكل من اختلافهم والسعي في اتلافهم - وانها انشأت جمعية أخرى تحت مراقبتها سميت (جمعية مصالح المسلمين) وطلبت من الحكومة دفن وتجهيز من يموت من فقراء المسلمين في السجون والمستشفيات - وانها تدير الرأي الآن في القيام بترميم الجوامع التي تحتاج الى الاصلاح وفتح مدرسة كبيرة هذا ما ذكر الكاتب من أعمال الجمعية الخيرية ثم ذكر انها في آخر جلسة لها قررت فصل السيد حسن بن علوي وشهاب والسيد محمد بن عقيل من أعضائها لان

الاول نشر كلاما عن السيد عبد الله بن عبد الرحمن عطاس لا ظل له من الحقيقة والثاني نقل كلاما في تخطئة الجمعية - فهذا ملخص الرسالة
نشكر للجمعية كل ما ذكر من أعمالها وندعو الله ان يوفتها خيرا مما عملت ونقول لاعضائها الكرام بلسان الاخلاص ان خير هذه الاعمال التي ذكرت هو اصلاح ذات البين وادب كيف كنتم ولا تزالون تصلحون بين الناس وقد عجزتم عن اصلاح ذات بينكم أليس السيدان اللذان قررتم فصلهما من الجمعية هما من خياركم ومن المعروفين في جميع اقطار الاسلام بالغيرة والفضل . ألم يكن خلاف أحدهما مع السيد العطاس مما يجب تلافيه بالاصلاح بينهما ؟ أبجوز ان يهجرها سائر أعضاء الجمعية لانتقادهما على مسلمي سنغافوره تقصيرهم فيما يرقهم وعلى الجمعية نفسها تقصيرها فيما يجب ؟ أليس كلامهما حقا ؟ أيعد الاحتفال بأمراء المسلمين وأئمة ترقية للمسلمين في هذا العصر . أيكفي ذلك الكتاب الذي أنشأه السيد محمد السقاف (جزاه الله خيرا) ترقية أبناء المسلمين وهو لا يعلم فيه غير ألفاظ القرآن الكريم والحساب والخط ؟ أين التفسير والحديث والتوحيد والفقهاء والاصول ؟ أين وسائل هذه العلوم من فنون العربية ؟ أين تاريخ الاسلام والتاريخ العمومي الذي ينير العقل ؟ أين العلوم المصرية التي هي اساس الثروة والعزة في هذا العصر ؟ لعل أعضاء الجمعية الكرام يصلحون ذات بينهم ويعودون الى الاعتصام، والتعاون على المصلحة العامة والسلام

عدة رسائل في تزوج الهندي بالشريفة

وردت لنا عدة رسائل في هذه الواقعة التي سبق لنا القول فيها فرأيناها يناقض بعضها بعضا وعلمنا منها ان الناس فيها فريقان كل يؤيد رأيه ويفند رأي الآخر عن اعتقاد أو تمييز فان نشرنا هذه الرسائل كلها ولا فائدة في شيء منها كنا ظالمين لقراء المنار . فان قال قائل إنك أفيتت في المسألة ثم نشرت بعض الرسائل فيها فيجب نشر الباقي او النظر فيه والمقابلة بينها وبين ما يظهر بمد ذلك انه الحق نقول ان الفتوى كانت على حسب السؤال على لا حسب الواقع الذي لم نعلم

عليه . ونكتفي بان نقول قراء النار هناك انا لانرجح قول أحد في هذه المسألة
فليكن ما نشر في السؤال وغيره كأن لم ينشر

رسالة ذي اذن واجبة

ملخص هذه الرسالة ان شيخنا مما بعثت النار لان تلبية يقال من كبه
واكله بيده جمع زعنة لقارمة محبه وقرائه وتكلم فيهم بالباطل ثم عند اجابتنا
دعا اليه بعض هؤلاء المحبين للنار وبعد ان اسعهم من الطعن ما ظن انها اظفوه
بهم قام عالم منهم محمد الله واثى عليه ثم قال : ان كتتم تجبون شأن المؤمنين
فقد قال رب العالمين (انما كانت قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك
لا يؤمنون) الآية فملوا الى حكم الله . وان كتتم تر يدون غير ذلك فالحاكم
الانكليزية مفتوحة الابواب واعفونا من السباب : فبهتوا وعادوا اهم عاجزون
عن حزب الحق من جهة الشرع والقانون جميعا . هذا ملخص الرسالة وانما لم ننشرها
بنصها لان كاتبها خالف طريقة حزبنا فظن هؤلاء المتعرضين وذهم ونحن
ندعو الله تعالى ان يهبنا اولي ايام الادب والصواب ، ويحسن لنا ولهم المرجح والمآب .

باب التواضع والتواضع

مجموع المکتوب السادس - التربية الدينية والفلسفية (٥)

لومن اراسم الى اميل

قد حضرت بارادهم مقاصدي في تربيتك الدينية فاني اردت ان اخلي بينك
وبين عائلتك مع علي مخالفتي في هذا مخالفة تامة لما يجري عليه الامور عادة
ذلك ان الطفل لا يكاد يولد حتى ينسب الى أحد المذاهب التي تتنازع حكومة
الدينا فيتكفل وانما يتقلدنا محتجين فيه بنسب أمليته (وهو أمر بين البهانة)
لان بحكم نفسه ويسق عرف بلاده وعوائد قومه وتقاليد بيته الى تحديد الدين

(٥) تابع ترجمة كتاب اميل ايمون التاسع عشر (راجع اميل في فهرس ص ٤٦)

الذي يجب انتسابه اليه وهو الاستيلاء على نفسه وقد يقول قائل ان الوالدین اذا فعلا ذلك لأبها يعتبران أنفسهما تالين عن الامة في القيام عن المولد قبل أن يعرف نفسه بنفسه فأجيبه : اسلم لك ذلك ولكني اقول ان كان من حق الامة ان تؤدى الى المولد ديناً كان حقاً عليها أيضاً ان تختار له حرقة او عملاً من أعمال الحكومة واذا نصيرني حكومة دينية اشتراكية

لا ينبغي ان يجعل ولادة المولد سبباً لسلب حريته فان انقسام الوالدین في ضروب الوجدان واختلافها في الافكار حتى في أيامنا هذه يجعل ولايتها عليه مشكلة مرتبكة ذلك انه لا حرب الا حرب البيوت فان شأن الوالدین في الدين غالباً ان يكون الاب كافراً والام مؤمنة فكيف يكون الولد اذا تنازعه هذان الموثوران ؟ اقول انه يكون كأهل زمانه حيران عاجزاً فانما كثيراً ما تلاقى في الناس شباناً مشغولين بترويج سرائرهم بمخروق من مذاهب المتدينين ، يخيطونها مع آراء الاحرار من المفكرين ، ونصادف آخرين مثلكين حائرين ، مع بقاء استسما بهم بأوهام الواهين ، وقد فساق الناس التباين والتناقض وعم بينهم التشوش والاختلاط

وأما أنت فانك والحمد لله لم تبطل بشيء من هذه الخصال لأنني وأنت لم نعتقد ان من حقنا ان نقتسم فرصة نوم عنك فندعوك الى اتباع ما نحن عليه بدون ان يكون فيه رضاك . واعلم ان لي ككل انسان غيري رأياً في المذاهب الدينية والحكمية التي يخلف الناس فيها وهو لا يلزك شيئاً ولا ينبغي ان تحفل به . «أكرم اباك وامك» ولكن لا تطع الا قبلك فأنت حر ومن حقك ان تسعى وراء معرفة الحق مستمينا في ذلك بالهمة والبسالة والنزاهة وقد كان هذا السعي الى اليوم خارجاً عن وسعك وبعبدا عن مقدورك فيجب الآن أن يكون هو عليك في جميع حياتك

ومن المفروض عليك قبل أن تقتنع بشيء في مثل هذه المسائل الخطيرة ان تبحث فيها وتدرسها فان مثل من يرفض المذاهب الدينية أو الحكمية على غير علم بهما كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه ، غير مسدد في رأيه ، ولا شيء في الحقيقة أدعى الى الضحك من

(المنار ٦: ٩) غباوة المعرضين عن أصول الدين . الاستعاضة بالعلم عنه ٥٧

وقاحة احداث الذكارة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض
بها امثال ديكارت (١) واسبينوزا (٢) وباسكال (٣) ولايبنتز (٤) وهيجل
(٥) ليست خلية باثفاهم وميلهم فللاجرة الاغبياء منهم كلبططنون بها في هذه
الايام وهي قول احدهم وهو لم يفتح في حياته صحيفة من كتاب الكون : « مالي
ولا ضاعة وقتي في حل ما لا يسر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة
الروح والجسم أو تغايرها فحسي الاشتغال بالعلم »
انا لا اشك في أن العلم الآن مشتغل باستشاف عمل الديانات سالكا فيه
طرقا اخرى مغايرة لطرقها كل المغايرة فانه يرجو من البحث في الحوادث بحثا تجريبييا
ومراقبتها مراقبة قريبة أن يصل الى حق اليقين الذي كان أهل الدين يرجون
بلوغه من طريق الراهية الإلهية واني لجازم بأنه قد سلك أفوم المناهج لبلوغ
الحق وان كان من المتسمر معرفة النتائج التي يؤدي اليها بحثه واذا فقها حالة
المعارف على ما هي عليه الآن وجدنا شأنه المطرد أنه لم يقدنا في بعض ما قد يهونا
استقصاؤه من المسائل الاشياء من المعرفة قليلا جدا فاننا اذا استئينا علم تركيب
الحيوان لأنه قد امكنه ان يؤدي اليها من معاني الانسان على ما فيه من
الماهيات المتعارضة والآراء المتناقضة وثام طبقات الارض لأنه قد فتح لعقلنا
منافذ نلذح منها على بعد منتأ الحياة رأيا أن العلوم الصحيحة لم تكشف لنا الستار حتى

(١) ديكارت هو عالم رياضي جغرافي طبيعي واخص ما يعرف به انه فيلسوف
فرنسي شهير يدعونه أبا الحكمة الحديثة لكلامه عن طريقة تبحث عن الحق ولد
سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥٠

(٢) اسبينوزا فيلسوف ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧

(٣) باسكال هو مهندس كبير وكاتب شهير ولد في كير بونت فرانس سنة ١٦٢٣
ومات سنة ١٦٦٢ اثبت ثقل الهواء في سنة ١٦٤٨ وفي سنة ١٦٥٢ اعتزل في بورربوال
دي شان حيث كتب اقليمياته وأفكاره

(٤) لايبنتز هو عالم شهير ولد في لايبزج وهو مخترع حساب الفروق الدقيقة

(٥) هيجل فيلسوف ألماني ولد سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٥١

الساعة عن آلة ما من العمل الاولى التي هي اهيج اشوق العقل من سواها ولكن قد يجيبني بحجج بأن هذه العمل لا ينبغي الاشتغال بها قطعا لأنها ليست من تناول العقل فأقول له ماهي غاية علمك في هذا أظن ان ما حصل من تجارب الانسان في بضعة آلاف من السنين يسوغ تحديد قواه وملكاته المتزايدة أم تريد انه يكفيه على كل حال أن يسدل الحجاب على ما يحمله اينيم طمع عقله ويخمد شوق ادراكه؟ انا لا أعقد من هذا شيئا بل أقول ان الانسان لا يسهل عليه الاستخذاء للجهل والاستكافة له أما لشرف في طبعه أو خمسة فيه

ولو انه كان يكفي للتخلص من المسائر اعيرة أن وصف بأنها مضلة لاجلها لكان التفصي منها في غاية السهولة. كل حي يطلب النمو لجسمه واعداد الانسان فانه هو الذي يختص من بين سائر الكائنات المضيوية بطب الارتقاء بفكره الى ما وراء حاجاته المادية فطبيع الارتقاء السكري موحود فيه سواء سمى خيالا أو غريزة دينية راست أدري مطلقا معسى ان يعود على العالمين على إزالته من العائدة بتكف احتقاره والزاية عليه ومن ذا الذي في اسمه منهم أن ينتزعه من النفوس الشعرية فان تطله الانسان الى ما وراء حدود عقله من مقتضيات خلقته وليس من حقنا ان نعتبر بعض الامور التي يطالبها الفكر خادعة أو وهمية لمجرد انها تهمر عقولنا أو تنوع عن ادراكنا فأما ان كان قصدهم تجريد ما يتصوره العقل من منتهى غايات الكمال مما يقارن تصوره من مرويات الوسوس والاهام والاعمال المنبثقة عن النفاق والرياء فيها ونعمت وأما مدركات العقل التي شفقت من التاريخ فكانا كبيرا فلا ينبغي التمرض لها بل لا بد ان يكون لها أيضا محل في تربية الناشئين ومن هذا نرى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وانه يبعد عليهما كل البعد التنافر والتنافي لأن من شأنهما التضافر والتوافق

ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذاهب الدينية والحكمية متنادون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء وروساء الأديان المتقررة في ايامنا هذه بانعوا من تعاطيهم للظلم وناجرتهم بالسرار ووقفتهم للظلم بلقا بنا بالعقل في اشتمزازه من سيرتهم الى الجحود المطلق فالتفسيرون

م دة الاتحاد لالماديين .

ومن اللغو تجسيم امر الاتحاد فانه ذنب ضعيف في ذاته يتزلزل مذعورا امام وجدان الانسان وانما الآثام المينة والجرائم القوية الحقيقية بأن تدافع نور الهداية والرفقان هي التي يجرأ أصحابها عند اقترافها على التستر برداء الدين نعم تلك الآثام هي التي تمتاز بذلك الامتياز الهائل وهو قلب شؤون الدنيا وتشويش أحوالها فمن ذا الذي لا يمار حين ارتكابها من الابهة الباطلة التي تسري من عة اندسرت كسبها لي بعض ما ينتصبونه من ضروب السلطة والقوة تسمع بعض المتكبرين اذا راعهم تغلب الشر على الخير يصبحون قائلين لأن لا يكون لنا آله غير من وجود آله نظام (١).

ويجب آخرت على المذاهب الدينية والحكومية أمها لم تبين للناس بياها مقعا شياً من المسائل المتعلقة بنظام العالم وتنازع الخير والشر والاضطرار ولا اختيار وأنا أعلم لهم ذلك غير أني أقول ان كلامنا قد ساء بفكر الانسان الى العلى وغير أحوال الامم وهدى الناس الى طرائف الفنون وأجيا من الطرف والملاح ماله لاله لطل محجوباً في مجاهل المذموم كما ترى ممن يودون بمحو الدين المسيحي من تعليم الناشئين من لم يحسن التفكير فما كان لهذا الدين من التأثير في آداب لغتنا وأخلاقنا ومبادئنا فهم يقولون أنه رؤيا خيثة رآها النوع الانساني في منامه وأنه بنشأه في طور التبلي والهمجية حبس روح الشعوب في ظلمات الجهل وكل ذلك محل للنظر والبحث ولكن هيئات أن يقتضوا واحداً من الناس بأن التيار الفكري الذي جاء به ذلك الدين فغير كل ما في الدنيا لم يكن ثم موجب لوجوده .

انا أدعوك الى دراسة هذا الدين الذي أنشأ مدينتنا الحاضرة إنشأه حسنا أو سباً خلافاً للقائلين باطلها وأحذك على ان تأخذ فيها بالجد وترجع فيها الى أصولها لأن

(١) اجندر يمثل هؤلاء النظارة ان يسموا صحبا فأنهم هموا عن سنن الله تعالى في السكون وجهلوا ان الشر الذي يضحون منه إنما نتج من مخالفة الناس لتلك السنن فهم الذين جلبوه على أنفسهم « وما ربك بظلام للبديد » « وه اظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » تعالى الله عن الظلم علوا كبيرا اه من هامش الترجمة

٩٥ تعليم المسيح وكون التعارض على تقيضه الاستقلال وركز التقليد (المنار ٦: ٩)

ما يخص إليك من مطالعة الاناجيل لاشبه بينه وبين ما يؤخذ عن رجال الدين بحال من الاحوال فانت ترى في الاناجيل مثلا ان المسيح كان يأبى دائما امتثال أي عمل من الاعمال الظاهرة وكان يستهدف لزيارة اليهود عليه رلوههم له بمخالفته لهم كل وقت في السبت والصوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام وغير ذلك من الاعمال المشروعة واذا كان القلب يهزل لسماح بعض المواظب الانجيلية فليس ذلك يدع فان المسيح انما جاء ليعلم الناس شرف صفاتهم وسوا المستضمنة من منهم ووجوب تكريم الطفل والحنو على المرأة الخاطئة والمك لا نجد في غير كتابه أكثر مما نجد فيه من الميل العاطف الى كل مكروب والرحمة لكل مهان ومخقر ولا أكثر من ضرور الحرمان للمتكبرين المستأثرين الذين يشتمون العلو على غيرهم من المخلوقين وقد كان لجه للفتراء ولكونه نفسه فقيرا يتبع الاغنياء على الدوام دون غيرهم بنذره وأسئلة الراهمة ولا شك ان تمكن الصراية مع مثل هذا الادب الذي جاء به المسيح من تقوية امتياز الدرجات في الامم الخالية وبأيدي مزايا الانساب وفرط التعابر في اني لم يحصل الا يلوغ رجالها في المسكر حد الاعجاز فلك الامم التي نسي انفسها مسيحية وتمتد انها على دين المسيح لم يدخل الايمان في قلوبها قط

اعلم ان معرفة الشيء في وقت ما من اوقات وجوده لا تمد معرفة وانما يعرف اذا عرف أصله وتاريخه ومصيره وقد نتج من اتباع البحث في الحوادث الكونية على هذا الترتيب علوم كلها جديدة كعلم تكون الارض وعلم الاجنة فطرق البحث هذه هي التي ينبغي عليك تطبيقها على دراسة المذاهب الدينية والحسكية وليس علي ان اترض بالتصويب أو التخطئة للنتائج التي يوديك اليها بمحك اذا حسنت فيه نيتك وصحت عزيمتك وغاية ما أبتنيه منك ان لا تقبل من الاصول على أنه صحيح الا ما تكون قد عرفت الحق فيه بنفسك

أقول ذلك وأنا أعلم اني أطلب اليك أمرا عظيما ولكن ما حيلني ولا وسيلة غيره لتوير عقلك وهدايتك نعم ان في الدنيا كثيرا من العلماء اثقات المشهود لهم قد عهد اليهم بتحديد العقائد الصحيحة في الدين والحكمة والسياسة والاخلاق

فهم يعرفون كل شيء ، ويعلمون الناس كل شيء ، وهذا هو السبب في ان نصف المتعلمين من الناشئين يمتدنون على ان يفكروا بمخاخ بعض افراد من الناس - ان صح لي التعبير على هذا النحو - على ان ثمة أمراً لن نتعلمه قطعا في مدرستهم ألا وهو علم الحرية فاذا كنت تطلب الحرية فمليك ان تطلب الحق في نفسك مستهيناً في طالبه بجميع ما لديك من عدد الاستدلال والنظر وانك سيحصل لك غير مرة مع احترامك وتيقنك ان تعتقد ان آراء غيرك هي آراؤك وتخطيء في كثير من المسائل قبل ان تعرف أغاليطك ولكن لا تنس ان قوت العقل كقوت الجسم لا يكسب الا بعرق الجبين وان من أخلص في البحث عن الهدى فقد أظهر بهذا البحث نفسه انه جدير بالاهتمام

وفي ختام مكثرتي أقول لك من صميم قلبي اني وليك التحية

(المنار) لقد نطق هذا الفيلسوف بالحكمة اذ أبان ان من غريرة الانسان ان يبحث عما وراء حاجته المادية وان هذا الارتقاء الفكري مما يمتاز به وهو مبدأ الدين في نفسه وانه ما دفع الناس الى الجحود الاسوء حال رجال الدين في اتجارهم بالدين وان وجدان الدين يزلزل الاحاد لانه ذنب ضعيف في نفسه وأعمال الذنوب القوية التي يمز زلزالها هي التي تقرف على انها من الدين وهي ذاهبة بنور هدايته ومنفرة عنه حتى يقول العاقل ان عدم الدين خير من هذا الدين . نعم انه أخطأ في موافقة الفائلين: لم تبين شيئاً من نظام العالم وننازع الخير والشر والاختيار والاضطراب: وعذره انه لم يطامح على نهاية ارتقاء الدين لجهله بالاسلام . على انه أحسن في الرد على الفائلين بهرك دراسة الدين وفي استخراج محاسن الانجيل وتصريحه بأن النصراني غير مسيحيين . ومن أراد تفصيل هذه المسائل فليرجع الى مقالة (العقل والقلب والدين) من المنار . وأحسن في دعوة اميل الى الاستقلال وترك التقليد وتقدير الحرية العقلية قدرها



أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

لامية أبي طالب في الشعب

لما أنظر النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الاسلام عظم ذلك على قريش فتصدت له ومن آمن به بالأيذاء بل اتصروا به وأزعموا على قتله فتمعه قومه بنو هاشم وبنو المطلب فباذنتهم قريش وأخرجوهم من مكة إلى الشعب (وهو بالكسر الوادي) شعب أبي يوسف فأمر النبي من كان بمكة من المؤمنين أن يهاجروا إلى الحبشة وكان يثني على النجاشي بأنه لا ينال عنده أحد ودخل هو وقومه الشعب فقطعت قريش عنهم الأسواق ومنعتهم الرزق وأجمت على أن لا تناكحهم ولا تقبل منهم صلحاً ولا أخذها بهم رأفة حتى يساوه للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعقدوها في الكعبة وتمادوا على ذلك ثلاث سنين ناشتد البلاء على بني هاشم في الشعب وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب أن الأرضة لحست صحيفة قريش إلا ما كان اسم الله قال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقتل يامعشر قريش ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط ان هذه الصحيفة التي في أيديكم قد سلط الله عليها دابة فاحست ما فيها فان كان كما يقول فأفيتوا فوالله لا نسلمه حتى نموت وان كان يقول باطلا رفعت اليكم فقتلوا رضينا فقتلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر فما زادهم إلا بغياً وقالوا هذا سحر ابن أخيك . فقال يامعشر قريش علام نجس ونحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والقطيعة

ثم دخل وأصحابه بين أمتار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف إلى الشعب وقال هذه القصيدة . قال البغدادي في الخزانة قال ابن كثير هي قصيدة بليغة جداً لا يستطيع ان يقرها الا من نسبت اليه وهي أنحل من المطبات السبع وأبلغ في تأدية المعنى : اه ونحن نذكر منها ما ذكر في الخزانة وقيل هي أكثر من ذلك وهو

خيلي ما أذني لأول : انحل بصفواء في حق ولا عند باطر (١)
 خيلي ان الرأي ليس بشركة ولا نهته عند الامور البلائل (٢)
 ولما رأيت القوم لا ود عند دم وقد قطعوا كل المرى والوسائل (٣)

(١) الصفواء كالخمراء وصف من الصغو وهو الميل يقال صفوت اليه واصفيت يقول ان اذنه است بذات صفوا الى حديث اول ما ذل أي لا تسمع قوله سماع قبول . وانا كان لرصاته ورويته لا يقبل قول الاثم الاول - وهو اذني من شاه انت يسترعي السمع ويستخف النفس للفتا حاة بما ياتي من القول - فهو أجدر بأن لا يصفو للما ذل الثاني ومن بعده

(٢) النهه كبعفر الثوب الرقيق يصف ٤٦ وراهه فاستاره الرأي التيسر الذي يظهر ما وراء الامور من العواقب . والبلائل كالزلازل الهبوم والوساوس جمع بلبه أو بلبال كزلزلة وزلزال . ونله يعني بالرأي رأي قریش الذي يشرح في الآيات التالية يقول انه ليس بالرأي الجيد الذي أشعره اشتراك القلاء فيقول بالتيسر الذي يكشف خبايا الامور المهمة وعواقبها . أو يريد ان الرأي الصواب في نفسه لا يكون عند الشدائد مشتركا مقسما ولا رقيقا يدركنا لحصم مغتبه ويجوز ان يريد بالنه الضعيف . والمراد ان الرأي عندئذ يجب ان يستقل به الناقل ويكتمه اربتم من به

(٣) المرى بالضم جمع عروة وهي كل ما يمسك به والوسائل جمع وسيلة وهي كل ما يتقرب به يريد انهم قطعوا الروابط التي كانت تربطهم في الماضي والوسائل التي يمكن ان تقرب بعضهم من بعض ليرتبطوا بها في المستقبل

- وقد صار حونا بالعداوة والأذى (٤)
 وقد حالفوا قوما علينا أظنة (٥)
 صبرت لهم نفسي بسمراء سحرة (٦)
 وأحضرت عند البيت رهطي وأخوتي (٧)
 قياما معا مستقبين رتاجه (٨)
 أعود برب الناس من كل طاعن (٩)
 ومن كاشح يسمي لنا بهيمة (١٠)
 وثور ومن أرسى ثيرا مكانه (١١)

(٤) صار حونا بالعداوة جاهدونا بها حتى صارت صريحة خالصة من شوائب التأويل . والمزائل المفارق المبين والعدو المزائل تصعب مصالحته وموادته ولناه الأعداء قد يذهب بالعداء

(٥) التحالف التماهد والتناهد بين فريقين على النصرة والحماية . وأظنة جمع ضاعي لظنين وهو التهم من الظنة وهي بالكسر التهمة

(٦) صبر نفسه حبسها والسمراء السمحة النناة الدنة تسميح طامها بالهز والظعن والأبيض المضب السيف القاطع والترات الارث والمناول جمع مقول كمنبر وهو الرئيس دون الملك ومثله القيل وقيل يطلق على الملك وهو حينئذ مستعار انما يكن من آبائهم ملك

(٧) رهط الرجل قومه والوصائل ثياب مخططة يدانية كانت الكعبة تكسى بها (٨) الرتاج الباب العظيم ويطلق أيضاً على الباب الصغير فيه . والتافل مؤدي التافلة وهي التطوع بالعبادة ويعني بحيث يقضي الخ منام ابراهيم

(٩) الملح بالشيء المواظب عليه وأصل معنى المادنا التصوق (١٠) الكاشح العدو الباطن الدداوة كأنه يطوي كسحه تليها في قلبه وقالوا حاول الأمر أرادوه وهو تفسير بالأعم وقال في الأساس طلبه بحياة وهو الصواب

(١١) ثور وثير وحراء جبال بمكة والراقي في حراء لاجل البر والتازل هو من يصعد فيه للتعبذ من شام يعزل . وثور معطوف على رب الناس مقسم به

- وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالحجر الأسود اذ يمسحونه
وموطى ابراهيم في الصخر رطبة
وأشواط بين المروتين الى الصفا
ومن حج بيت الله من كل راكب
فهل بعد هذا من معاذ لعائد
يطاع بنا العدى وودوا لو أننا
- وبالله ان الله ليس بغافل (١٢)
انما كنتنوه بالنجى والأصائل (١٣)
على قدميه حافيا غير نائل (١٤)
وما فيها من صورة وتماثل (١٥)
ومن كل ذي نذرو من كل راجل (١٦)
وهل من معيد يتقي الله شادل (١٧)
تسد بنا أبواب ترك وكابل (١٨)

(١٢) البيت الكعبة وقد يطلق ويراد به بلده كما في قوله تعالى (هديا بالغ الكعبة)
فقوله حق البيت يزيل هذا التجوز ويعين ان مراده الكعبة نفسها وقوى ذلك بقوله
من بطن مكة

(١٣) ا كنتنوه أحاطوا به والأصائل جمع أصيلة لنة في الأصل وهو ما بعد
العصر الى الغروب وجمع أصيل آجال وفي قوله الأسود حذف يسيب مثله المولدون

(١٤) موطى ابراهيم في الصخر: مكان معروف فيه أثر قدم تناقلت الربان
إبراهيم ووطى هناك حافيا نأرت قدمه فيه والتماثل لا يس العمل . ورطبة حل من
الصخر ولا يريدها كانت رطبة بعابها بل كرامة له

(١٥) أشواط بين المروتين هي مرات السعي بينهما واحدها شوط وهو الجري
الى النابة ويطلق لغة على النابة . والمراد بالمروتين الصفا والمروة على التغليب وها
علمان بمكة يسهى بينهما تسكاً وقوله الى الصفا معناه منتهية هذه الأشواط الى الصفا
اذبه يحتم السعي . وتماثل أصله تماثل جمع تماثل حذف الاء ليستقيم الوزن

(١٦) ليس فيه قول غريب

(١٧) الإشارة راجعة الى معاذ به وهو رب الناس وتلك الأمكن المقدسة
والاعتمال الشريفة والبالون اناسكون وهم الحاج فهو يقول ليس بعد هذا الاشياء
ما يهود ويأتوا اليه النائد فهل يوجد معيد نادل ومجير منصف يعيدني تعظيما لما عدت به
(١٨) العدى بالكسر والنجم اسم جمع لعدو . وفي رواية الاعتداء وهو بالمد جمع
عدو وتصر لوزن وفي اتاج بالمد وحذف حرف العطف من ودوا . والترك وكابل

- كذبتهم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل (١٩)
كذبتهم وبيت الله نُبزى محمداً ولما نظاعن دونه وناضل (٢٠)
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٢١)
وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل (٢٢)
وحتى نرى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الأ نكب المتحامل (٢٣)

(بضم الباء) صنفان من العجم . كذا في الخزانة وفي القاموس «وكابل كامل من ثور صخارستان» أقول كابل عاصمة أفغانستان وهي ليست ثغراً . والمراد بسد أبواب ترك وكابل بهم ان لا يقبلهم العجم ان تصدوا اليهم فضلا عن العرب وأن ينفوا اليها فلا يعودوا (١٩) قوله نترك مكة ونظعن جواب القسم بتقدير (لا) النافية أي لا تركها ولا نظعن لكن أمركم في بلابل ووساوس وروي ثلاثه وهو جمع تلتة بمعنى الاضطراب (٢٠) يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره فقوله : نبزى محمداً : بني الفعل فيه للمفعول ونزعت الباء من لفظ محمد والأصل نبزى بمحمد وهو جواب القسم بتقدير النبي كالذي قبله قاله في الخزانة . وذكر البيضاوي في تفسير «فتو تذكرو يوسف» ان القسم إذا لم يكن معه علامة للاثبات كان على النبي . واستشهد قبل ذلك على تقدير النبي في الآية بقوله

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولوقطهوا رأسي اليك وأوصالي

ومعنى بيت أبي طالب والله لا تغلب ونقهر بمحمد والحال اننا لما نظاعن أمامه بالرماح وناضل خصومه بالسهم

- (٢١) نسلمه معطوف على نبزى أي ولا نسلمه حتى نصرع حوله أي حتى نطرح حوله مقتولين والتصريح الصرع الشديد يقال صرعه إذا ألقاه على الأرض والذهول النسيان العارض والحلائل جمع حليلة وهن الأزواج (٢٢) الروايا جمع راوية وهو ما يستقى عليه عن بعير وغيره وذات الصلاصل القرب فيها بقايا الماء وأحدثها صلصلة بضم الصادين وهي بقية الماء في الأداود والقربة . يعني وحتى ينهض قوم اليكم مثقلين بالحديد تسمع له قعقة كصللة الماء في المزادات والقرب . (٢٣) الضغن بالكسر الحقد . والرديع بالفتح اللطخ والأثر من الدم وركب رده

وإنا لمر الله ان جند ماأرى لتلبس اسيافاً بالأمان (٢٤)

يكفي فتى مثل الشهاب سيمدح اخي ثقة حامي الحقيقة بأمن (٢٥)

وما ترك قوم لا أبالك سيداً يحوط الذمار غير ذرب موكل (٢٦)

وأبيض يستقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل (٢٧)

خرّ لوجهه على دمه والآنكب المائل الى جهة والتعامل اسم فاعل من تحامل عليه اذا نكل عليه وجار، يعني وحق يخرّ الخرد على محمد مطعوناً يركب رده فعل فعل الألكباي ذي النكب وهو بالفتح داء يأخذ الأبل في مناكبها فتطلع وتمشي منحرفة

(٢٤) جند الأمر اشتد وعظم والتبس الشيء بالشيء اختلط به في ملاسته إياه والأمانل الأشراف يقسم انه إن اشتد أمر قريش الذي رآه منها ولم ترجع عن غيها فان اسيافهم ستخالط رقاب أشرافها

(٢٥) الشهاب شعله النار والسيمدح بفتح السين والبال المهمتين السيد الوطأ الأ كفاف أي المهد الجواب التي تأوي اليها الغفاة والقصاد. والحقيقة مايقول للرجل ان يحسبه والباسل الشجاع الشديد. يعني بصاحب الصفات النبي صلى الله عليه وسلم

(٢٦) يحوط يرعى ويحوي الذمار مايتدسر له انا نيل ويقولون حامي الذمار وحامي الحقيقة لمن يمنع حرمه وقومه وكل مايجب عليه ان يحسبه. والذرب بفتح فكسر الفاحش البذيء اللسان وسكن الراء هنا للضرورة واللواكل من ياكل أمره الى غيره على سبيل المشاركة في الوكل. والوكل بالتحريك من ياكل أمره الى غيره مجزأً أي كيف يترك قوم كرام يعرفون قيم الرجال مثل هذا الفتى الكامل ولا يتفانون في نصره

(٢٧) وأبيض معطوف على سيداً في البيت قبله وفسروه هنا بالكريم في الخزانة قال السمين في عمدة الحفاظ عبر عن الكرم بالبياض فيقال له عندي يد بيضاء أي معروف وأورد هذا البيت: والنعام السحاب والبال بالكسر الغيات والملاجأبيت قومه ويطلعهم عند الحاجة والعصمة مايتصم به ويستمسك والأرامل جمع أرملة وهي من مات زوجها وهي فقيرة ويطلق على كل محتاجة لا تجد ما تلا. وقال ابن السكيت الأرامل المساكين رجالاً ونساءً وقيل إطلاقاً الأرملة على الرجل غير قياسي وأصله من

يلوذ به المهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل (٢٨)

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
عقوبة شر عاجلا غير آجل (٢٩)
بميزان قسط لا يخس شعرة
له شاهد من نفسه غير عائل (٣٠)
ونحن الصميم بن ذؤابة هاشم
وآل قصي في الخطوب الاوائل (٣١)
وكل صديقي وابن أخت نمدّه
لعمرى وجدنا غبه غير طائل (٣٢)

أرمل القوم إذا قد زادهم وانتقروا وهو مشتق من الرمل كأنه لم يعد له ملجأ
سواه كما يقال ترب فلان وأرب إذا انتقروا كما يقال فخر مدقع من الدقماء وهي الأرض
لأنبات فيها والتراب. حمل قوله يستسقى النمام بوجهه على الحقيقة وقالوا أنه لما تابعت
على قريش السنون استسقى عبد المطلب النبي صلى الله عليه وسلم وكان غلاماً فسقوا رواه
الطبراني وابن سعد. ولولا الرواية لكان المتبادران الكلام كناية عن كونه صلى الله عليه وسلم
مصدراً للخير والبركة وهذا المعنى شائع في الناس وكثيراً ما سمعت الإمامة يقولون في ذي الوجه
الحسن لاسيما إذا كان مهذباً أن رؤيته تكثر الرزق وفي ذي الوجه القبيح ان رؤيته تقطع
الرزق وربما قالوا وجهه فيهما

(٢٨) الهلاك بالتشديد جمع هالك وهو المعوز والصلوك السبي الحلال يطلب فضل ذوي
المال. والفواضل النعم العظيمة تغدق على الناس واحداً فاضلة

(٢٩) عبد شمس شقيق هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ويقال أنهم ولدوا توأمين وكان
ولد أعداء بني هاشم في جاهلية والاسلام. ونوفل هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن
قصي قال في الحزاة وكان من شياطين قريش قتله علي بن أبي طالب يوم بدر

(٣٠) القسط العدل ويخس ينتقص والنائل المائل أي جزى الله آل عبد شمس ونوفلا
الذين يعادوننا ويؤذوننا بميزان العدل الذي لا ينقص حبة شعيرة وصف هذا الميزان بأنه
يشهد لنفسه بالقسط لأن القسط نفسه يشهد له أن هذا الشاهد لا يميل ولا يجور. وما طلب
أبو طالب جزاء القسط لأعدائه إلا وهو يعلم أنهم ظالمون

(٣١) الصميم الخالص من كل شيء والذؤابة الاشراف مستعارة من ذؤابة الشروهي
الخصلة من شعر الرأس

(٣٢) الغب بالكسر العاقبة أي خاب أمنا في هؤلاء فليس لنا فيهم غناء

سوى ان رهطامن كلاب بن مرة
 وزمهم ابن أخت القوم غير مكذب
 أشم من الشم البهاليل ينتهي
 براءه اليامن معقة خاذل (٣٣)
 زهير حساما مفردا من جمائل (٣٤)
 الى حسب في حومة المجد فاضل (٣٥)

لمري لقد كانت وجدا بأحمد
 فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها
 فن مثله في الناس أي مؤمل
 وأخوته دأب المحب المواصل (٣٦)
 وزينا لمن ولاء ذب المشاكل (٣٧)
 اذا قامه الحكام عند التفاضل (٣٨)

(٣٣) المعقة النقوق وبراء بالكسر جمع بري ككريم وكرام وبالفتح مصدر يستوي فيه الذليل والكبير تقول اني براء من كذا وهم براء منه وبالضم مخفف من براء ككرماء ووزنه غماء

(٣٤) زهير هو ابن أبي أمية بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب أخت أبي طالب . والحسام السيف الناطع والجمائل ما يحمل به السيف جمع حمالة وهي العاقلة وقيل لا جمع له من لفظه والمترد المجرود . وقوله غير مكذب حال بن أخت القوم أي لا يكذب في صدقه وولائه وحساماً منصوب على المدح

(٣٥) الأشم ذو الشمم والسيد الكريم ذوالأنفة . وكانوا تمدحون بشمم الأتق وهو ارتفاع في قصبته مع استواء أعلاه . والبهاليل جمع بهاول بالضم وهو السيد الجامع للخير والضحاك وقال ابن عباد هو الحي الكريم وحومة الشيء معظمه وجهه

(٣٦) كافت بالتشديد والبناء للفعول مبالغة كلفت بالشيء (كفرحت) إذا أحببته وأولعت به . وقوله وجداً معناه كلف وجد وفسروا الوجد بالحنن وهو أعم لأنه يشمل كل ما تجده في قلبك من التأثير الباطن ويفسر في كل مقام بما يناسبه . ويعني بأخوة أحمد أولاده الذين ضمهم إليهم بكفائته إياه وهم جعفر عقیل وعلي عليهم الرضوان والسلام وقالوا ان العم أب فأولاده أخوة . وقوله دأب المحب المواصل يعني به انه دأب في ذلك أي جد فيه واستمر عليه كما يفهم المحب المواصل لرسوخه في الحب وتمكنه في الوفاء

(٣٧) ذب المشاكل دفعها والمشاكل ما يلتبس وجه الصواب فيه أو طريق تلافيه

(٣٨) قوله أي مؤمل معناه هو مؤمل عظيم فأي هذه هي الدالة على الكمال

٣٩) يوالي إلهما ليس عنه بغافل	حليم رشيد عادل غير طائش
٤٠) وأظهر ديننا حقه غير ناضل	فأيده ربّ العباد بنصره
٤١) تبحرّ على أسياحتنا في القبائل	فوالله لولا ان أجيء بسببه
٤٢) من الدهر جدا غير قول التهازل	لكنا اتبعناه على كل حالة
٤٣) لدينا ولا يعني بقول الا باطل	لقد علموا أن ابننا لا مكذب
٤٤) يقصر عنها سورة المتناول	فأصبح فينا أحمد في أرومة

والتفاضل التغالب في الفضل وبه يظهر الأفضل

(٣٩) الطيش الزرق والخفة وهو ضد الحلم وموالاته الآلة اتخاذه ولياً وناصرأ
(٤٠) قوله حقه غير ناضل معناه غير خارج من مقره ولا زائل ولا متغير
يقال نصلت اللحية من الخضاب إذا زال وعادت بيضاء ويقال سهم ناضل إذا خرج
منه نصله أي حديدته

(٤١) السببة بالضم العار الذي يسب به صاحبه وتبحرّ من الجريرة وهي الجريمة والحناية
(٤٢) التهازل بمعنى الهزل فان تفاعل قديأتي بمعنى فعل كتوانيت بمعنى ونيت لكنه
أبلغ من المجرّد: كذا قال صاحب الخزانة وأقول ان التفاعل هنا على أصله فانه يريد أنه لا يخاطب
قريشاً بالهزل ليقابلوه بمثله أي انه ليس بمازح لهم ومتهازل معهم في قوله وإنما يقول ذلك على
سبيل الجدّ وهذا البيت هو جواب القسم في الذي قبله

(٤٣) قوله يعني بالبناء للمفعول يقال عني به إذا اشتغل به مهتماً معتنياً واستعمل قليلاً بالبناء
للفاعل فقالوا عني كرضي والأبطل جمع الباطل وأصلها الأباطيل

(٤٤) نوّن أحمد لضرورة الشعر والأرومة بفتح فضم الأصل المتناول في الأصل هو
الذي يتحدّد ويطول قامته لينظر إلى شيء بعيد أو مرتفع واستعمل بمعنى الترفع والتكبر
وبمعنى الاعتداء لأن المترفع والمعتدي على غيره يحاول ان يزيد في طوله (بالفتح) كما يحاول
الذي يمد قامته وينصبها ان يزيد في طوله (بالضم) وسورة الشهي بالفتح الزيادة فيه بحسبه فقالوا
سورة الحجر بمعنى حديثها وسورة المجد بمعنى ارتفاعه وأثره وسلامته وسورة السلطان بمعنى
سطوته؛ والسورة بالضم المنزلة والرفعة والشرف والفضل وأصله ما طال وحسن من البناء
وكل هذا المعاني الضمطين تظهر هنا فإني صلى الله عليه وسلم هو الذي تقصر عن رفعة أرومته

حدثت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذري والسلاكل (٤٥)

﴿تقاريط﴾

(هدية الابن) رسالة كتبها بشارة افندي الياس عيد الحاج بطرس التاجر السوري ببلدة (افارة) بالبرازيل وطبعها وجعلها هدية باسم والده المقيم في (بكفيا) ببلبنان . وهي تعريف ببلدة أفارة خاصة وبلاد البرازيل عامة وبحال المهاجرين السوريين في تلك المملكة . ومن فوائد الرسالة انه كان فيمن ارسلت حكومة البرتغال لاستعمار البرازيل عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية لكي تنظف بلاها من النسل العربي . اذا قد كان العرب من المستعمرين الاولين لهذه البلاد وجرى السوريون على آثارهم فهم من خيرة المهاجرين الى تلك البلاد

(تربية النفس بالنفيس) خطاب القاه الدكتور محمود بك لبيب محرم في نادي المدارس العليا بالقاهرة . اما موضوع الخطاب فيعرف من عنوانه واما اسلوبه فيمثل لك اسلوب بعض المتصوفة الذين كتبوا الاجفار، والمصنفات في علوم الاسرار في منجهم اصطلاحات العلوم الكونية ، بايضعونه من الاصطلاحات الغيبية المكتوبة بل هو اغرب في مفرداته وجمله ، ومثاله ومثله ، واليك مثالا منه

«ان الحقيقة فردية لا تنجزاً ، وان الكون جوهر لا يتداعى ، هو لاء لا يفنثون عن بواطن الاشياء ، ويكتفون بعلم ظواهرها العاملة ، هو لاء لا يعرفون للكون في الكون الا نقط (ضبطت في الاصل كقفل) واحد فسفه المركز لاهل الكرة الارضية ، ودعه مركز السماء لاهل السموات العلية ، وأطلق عليه قلب الفلك للسموات والارضين

وشرف أصله ما للمترفعين والمعتدين من رفعة وشرف وسطوة ووحدة (٤٥) حدثت بنفسي دونه أي حنيت نفسي امامه كالأحذب لأمنع عنه الأذى يقال حذب عليه وتحدب بمعنى عطف وتعطف وأصله ما ذكرنا . والذري أعلى الشيء جمع ذروة والسلاكل الصدور أي دافعت بأشرف الاشياء وأعظمها . ولقد صدق أبو غالب في قوله وكان مؤمناً بالله تعالى ونبيه ولكنه لم يذعن له بالفعل ولم يلتزم شريعته بالعمل ولكن فضاه في حماية الاسلام ومن جاء به لا تداينها خدمة أحد في ذلك الوقت وقت العجز والضعف فجزاه الله خيراً الجزاء

السبية والدينية، وسه الطبيعة ان كنت ممن يصبح بأن «انما دة لا تتجدد ولا تملد»
وقل عنه الروح (بالفتح) ان سألك أحد طلبة «تناسخ الارواح» ! وصفه بالجر شمة
(الميكروب) ان نجهورت في نظرك الذرات ؟ وعرفها بانتخاق ان درست علوم
النشوء وتأملت (داروين) ، وسها الصوت ان كان لك ميلا في تعرف النفات
الموسيقية وفنونها، ونادها صورا متمركة وثابتة ان كنت تهوى الاحسن والاجمل
من الفنون والافنان، وقل عنها الروح ان سئلت من آل مذهب «تناسخ الاشباح»
وصفا بالذرة ان كنت ممن يستعين على رؤية دقائق الاشياء بالمناظر المجهورة
« الميكروسكوبات » واصطلىح عليها سياسة لاقتصاد للجامعة الانسانية ان
وددت تسير الامم الى طريق الهدى والسلام ، وعمار الكون بمن تحلق ونشأ فيه ،
واقننا «الكربة» ان درست معلومات هارفي رهن اتبعه ، وأقرأها الحرف في
كلم الفوين . وسها الصوت ان كان لك شوقا الى « سفينة الشيخ شهاب »
او محب استماع مناغاة الطيور على او كارها . أو تمل الى فنن الضاربين على
الاوتار والمطار بين بأصواتهم الرخيمة وارسمها اشكالا متمركة وثابتة ان كانت
جبتك تهوى الجميل من الفنون والاحسن من الاشكال والالوان المنصورة وغير
المصورة . وسيرها سفينة تجري في الفلك بأمره ديدرفتها . ومبخر ماثها ومهرق
قباها ان تعالبت العلم ولو في الصين واجرها سيارة بارادة قائد هاروقرة جاذبتها
ورافقها ان كنت تبغ حرية الحركة والسكون المطلق فدعها كما شئت بما شئت
وفي أي مكان وزمان شئت . لاسماع بين التصويت والتسكيت لارؤية بين الظلمات
والنور . لأمور بين الحروع والشبع . لانققال بين الحركة والسكون لامفرق بين
الايض والاسود لا تجزئة بين الكل والفرد . لاهيولة بين الجوهر والمرض .
لاشفاء بين المرض وانرض ولا تعليل بين البيت والاحد . ولا روح بين القلب
والجسد . ولا شك بين الذاتم والعامم . لاصوم بين الشك والرؤية . لادفا بين
الماء والنار . ولا تبسم بين البطلان والرجحان . اه المثال بنصه وضبطه
حسب القارىء ، هذا فقد مل أو كاد اذ لم يقرأ في حياة كلاما بهذا الكلام .
الفاظ من اصطلاحات العلوم الطبيعية والدينية والصوفية والجفرية تشبه خرزا من

أنواع شتى وضع في علبة وخضع حتى اختلط بعضه ببعض ثم استخراج فظام
نظما غير مألف ولا معروف . فياليت شعري ماذا كان من أمر أعضاء النادي عندما
ألقاه عليهم الدكتور ؟ ماذا فهموا منه ؟ هل قابله بتصفيق الاستحسان ، أم
بصفيق الاستهجان ؟

﴿ الرزنامة التونسية لسنة ١٣٢٤ ﴾

كتاب كبير يصدر في كل عام تزيد صفحاته على أربع مئة صفحة كبيرة فيها من
الفوائد الفلكية والتاريخية والأدبية والسياسية والإدارية والتجارية ما لا يستغني
عنه قراء العربية في تونس وغيرها ومولتها سيدي محمد بن الخوجه من أفضل
الكتاب في تونس وأوسعهم علما وإطلاعا على الكتب العربية والأجنبية ومن
فوائد القسم التاريخي في رزنامة هذا العام كلام مسهب لأحد علماء جامع
الزيتونة الاعلام في بيان اختلاق ما كان نشر في جريدة اللواء المصرية منسوبا
الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو كتاب عهد كتبه الأثر من
بزعهم ولم أره هذا العهد الا في الرزنامة ولم أسمع بذكره ايام نشره جريدة اللواء ومنها
تاريخ صيد المرجان بمياه تونس وتاريخ شركات الاخبار التلفزيونية وتاريخ
خسائر الحرب بين روسيا واليابان وتاريخ الحمامات المعدنية بتونس . ومن
فوائد القسم الادبي معجم لاسماء الاعلام الاسرائيلية ومقابر الكلاب بباريس
ومعدة التماسح . وأما القسم السياسي فهو خاص بحكومة تونس والحماية الفرنسية فيها
وكذلك القسم الاداري وفيهما كل ماتهم معرفته عن ذلك القطر . وفي هذا الجزء رسوم
وصور كثيرة منها رسوم بعض الماهدين الحجازية الشريفة وقبر حواء أم البشر
وصورة الرئيس ابن سينا مع ترجمته . وغير ذلك . وثمن النسخة من هذا الكتاب
١٥ فرنكا وهو يطلب من ادارة جريدة المنبر ومن محل الخشاب في القاهرة
(طوابع الملوك) «مجلة فلكية جغرافية برزخية علمية تصدر في كل شهر عربي
مرة لمنشئها السيد محمود العالم . قيمة الاشتراك في مصر . ٥ قرشا أميريا» وكنا
كتبنا تقريرا معاولا لهذه المجلة الغربية في هذا العصر نضاق عنه الجزء الماضي
ولما لم يرد الينا بعد الجزء الاول منها شي . وقد مضت أشعرا اكتفينا بهذه الإشارة

(المنهل الصافي) مجلة علمية أدبية تهذيبية تُصدر مرة في الشهر لصاحبها ومحررها محمد أفندي نجيب الخازني وكنا كتبنا لها تقريرا جمع ولم ينشر ثم فقدت وهي لا تزال تصدر بانتظام فتشنى لها طول البناء والرواج بالتوفيق للخدمة العالمة (المنبر) جريدة يومية أنشأها في القاهرة محمد أفندي مسعود وحافظ أفندي عوض الغنيان عن الوصف والتعريف لشهرتهما بتحريرهما في الموقد بين الطوال وباشتغال الاول منهما بالصحافة مستقلا (وتقويم الموقد) وبهذا كانا جديرين بأن تكون بدايتهما كنهاية غيرهما في هذا العمل الجليل وان يكونا مستقلين خيرا منهما هتيد بن برأي غيرهما ومما يتوي الرجاء في نجاح المنبر رغبة كثير من الكتابين في أن يكونوا من خطبائه . فنسأل الله تحقيق الامل ، مع انه فوق الخير العمل ،

(أبو الهول) جريدة عربية أنشأها شكري أفندي الخوري في سان باولو (البرازيل) تصدر كل ١٥ يوم مرة . وشكري أفندي الخوري جدير بأن يفيد السور بين بجر بدته ويستفيد من اقبالهم حتى تكون أسبوعية فيومية لان اسلوبه الفعك في الكتابة يشوق القاري . لاسيما اذا كان سوريا فانه يمزج اللغة العامية بالعربية مزجا ألطف من مزج الماء بالراح كما يمزج المزل بالجد فيجمع للقاري بين اللذة والفائدة وعنايته بالمسائل الصحية والادبية أنفع للناس من عناية غيره بالمسائل السياسية والمدنية .

بَابُ الْحَبِيلَةِ الْأَكْبَرِ

﴿ زيارة الامير لطلاب العلم في مسجد المرسي ﴾

أظهر الامير شيخ علماء الاسكندرية رغبتة في زيارة مسجد أبي العباس المرسي لروية طلاب العلم الديني وعين لذلك يوم ١٤ ربيع الآخر فظم الشيخ حلقات الدروس في ذلك اليوم وأمس المعلمين بتلقين أفراد من كل فرقة مسائل يسر الامير سماعها وزينت مصلحة الاوقاف المسجد والطرق اليه زينة جميلة وبافت حاشية الامير (المعينة)

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرها من كبرياء الازهر وغبته في حضورهم هذا الاحتفال وبعد الزيارة ذهب العلماء الى قصر رأس التين وسهوا من الامير النصائح التي تتعلق بشؤونهم وقلد بيده الشيخ شاكراً الوسام المجيدي الثاني وهم ينظرون فبين لهم بالقول والفعل رضا عن عمله في ادارة التعليم لهج الناس بها للجرائد بهذه الزيارة والنصائح الاميرية وبما قيل وكتب ان الامير اعزه الله واعزبه العلم أظهر الارتياح التام للعلوم التي يسمونها العجدة كتنظيم البلدان والحساب والهندسة وأنه ذم التقليد في نصائحه أوخطابه ففرحنا بذلك وسررنا لأن هذه ضالتنا المنشودة . وقد تمنى بعض أصحاب الجرائد يومئذ لو يحظون بنص خطاب الامير لعلماء ونحن أحق بالحرص منهم على ذلك وقد طلبنا فحظينا ذلك ان أحد العلماء الذين حضروا ذلك المحفل المهيب كتب ما سمعه بعد الخروج وتحرى فيه الالفاظ بقدر الطائفة وهذا نص ما كتبه

(خطاب الامير)

« الامة اذا اتحدت وثقت بأفرادها وكانت مبالغة الى تبادل الآراء النافعة

والسعي وراء الصالح الامام

« انه كان في مدأ الامر اذا قدمت أو سافرت من الاسكندرية وحصلت زيارات رسمية لأرى الا الرؤساء الروحيين وبعض من مستخدمي المحكمة الشرعية حتى ظننت أنه ليس في البلد علماء فكنت أسأل عن العلماء فيقال لي إنهم في غاية الخمول ومن ذلك الوقت عزمت على رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم وترتيب مراتب تقوم بمحاجتهم وكان نتيجة ذلك المعاهد العلمية في الاسكندرية . وعند ذلك احتجنا الى بعض العلماء من الازهر تسمية للواد العلمية (المصرية) فحضر البعض وكان بينهم وبين الاسكندريين بن غاية الوثام حتى داخلهم بعض الدسائس التي أوجبت زيادة النمرة فيما بينهم وقامى فيها الشيخ شاكراً بعض المقاساة كما قامى في المدة الاولى من الحصاد فوجدنا أن هذا أمر شاق جدا ففرزنا على مهامة علماء الاسكندرية بالقسوة الشديدة وارجاعهم الى الجلالة الاولى لولا اننا أملمنا اصلاح المجال ومناجبة العمل النافع

«غير ان مازال يوجد (الاصل «في» بدل يوجد) بعض افراد يجهلون أن يستعملوا «الفنفة» لانهم لا قدرة لهم على العمل لانه ليس كل متعمم شيخ فان بعض الناس يظهرون بمظهر الملأمة ولا يحسنون شيئا من العمل مع ان العمل قد وضمنا له البر وجرامات حتى مشى على (الكثرة) وصار الاخلال به مضر جدا
«وانا أوصيت الشيخ شاكر ان يعامل كل واحد بحسب ما يمكنه من العمل فمن له قدرة على درسين يقرأها كذلك من يقدر على الاكثر أو الاقل . فينزم كل واحد السكينة ويلزم الكبير يرحم الصغير والصغير يعتبر الكبير وان يترك «الفنفة» فاني ان شاء الله لدينا الميزانيات ولنا الامل في ان تزيد الماهيات والمراتب حتى يعم النفع وكل ميزانية تظهر فيها من الخيرات ما فيه الكفاية

«انا اشتد على الشيخ شاكر بيني وبينه وداء» أقول له عامل هؤلاء الناس بما فيه الراحة ولي امل شديد في حصول المطلوب كما اني سررت جدا من حالة ابي العباس والطلبة ورأيت نجاحا باهرا ولي امل ان شاء الله ان يكون الازهر كذلك (وهنا ضجة من كبار مشايخ الازهر تقول - وفي رواية قوليه ان بعضهم قال - نعم نعم يا أفندينا نجاح باهر جدا امتحنناهم فوجدنا الامر فوق المرام بهمة أفندينا) الحمد لله لنا امل قريب يظهر علماء من الاسكندرية ينفعمون وطهم واذا خطب أحدهم لا يخشى الانسان من سماع خطابته ولكن هذا لا يكون الا بالمحافظة على النظام وترك الفساد والمسد كما اننا مستعدون لسماع أي شكوى فأبوابنا مفتوحة لسماع أي شكوى ولكن لانجب الجاهرة والنفوس بين الناس (وهنا التفت الى شيخ الازهر وقال له) أحب أن يكون الازهر متحد مع الشيخ شاكر حتى يحصل نجاح عظيم فان حالة اسكندرية تسر جدا وأرغب أن يكون الازهر كذلك . ثم اني أحب جدا لزوم السكينة وان لا يحصل شيء ابداحي اذا جئنا من السفر لانسمع الا ما يسرنا » هـ

قال الكاتب انه لم يترك شيئا مما قاله الامير الا كلمة أشار بها الى أن بعض المشايخ جاءه لاجل الفنفة والوشاية فأمرزكي اشاف فكرشه (أي طرده) ولم يأذن له في الدخول : أقول وهذا عين الحكمة ولا أحد أقدر على تأديب صغار العقول من

الشايع من الامير وقته الله . وهذه النصائح صريحة في استيائه من حال الازهر
وكون هذه المشيخة الجديدة لم تأت على ما يرغب ويرجو ولم ينس الناس هنا
خطبته عند لباس الكسوة لشيخ الازهر الحاضر

﴿ الجريدة ﴾

ان ادب جماعة من أعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم ممن كان ذا كرم الاستاذ
الامام في مسألة انشاء جريدة يومية على الوجه الذي ذكرناه في ترجمته الى
تنفيذ هذا المشروع فدعوا غير واحد من وجهاء الاغنياء للاكتتاب فاكتبوا
في مجلس واحد بعشر آلاف جنيه ونيف ثم وضعوا قانونا لشركة المساهمة وعينوا
مديراً للجريدة وأعضاء للمجلس الادارة الذي يدير العمل وسموها « الجريدة »
وهم الآن يسعون في تأسيس المطبعة والبحث عن العمال والكتاب
رأيت أكثر من سمعتهم يذكرون الجريدة حتى بعض المكتتبين يقولون
نخشى ان نكون مقطعا ثانيا ومن الناس من يجزم بذلك ويستدلون بأن وجهاء
الاعضاء استشاروا اللورد كرومر في أمرها وقد أيد بعض الجرائد اليومية هذا
الرأي فزاد انتشارا ولا ريب عندنا في حسن نية أهل الرأي من القائمين بهذا
العمل وقصدهم فيه الى خدمة هذه البلاد وعدم اثار مصلحة على مصالحتها ، وانهم
يعلمون كما يعلم كل عاقل أن ليست مصلحة البلاد في اتخاذ حكومتها خصما لها
والمحتلين أعداء لاهلها وأن ليس من الخدمة النافعة ان تهرب الجرائد عند
كل عمل منتقد للحكومة صاحبة ان هذا من سوء نية الحكومة أو المحتلين ،
وانهم يريدون به هضم حقوق الوطنيين عامدين متممدين ، كما يعلمون أن من
الخيانة للبلاد السكوت عن انتقاد ما يجب انتقاده من أعمال الحكومة ومشروعاتها
بالدليل والبرهان ، مع أدب التلم والالسان ، وتلك هي الطريقة المثلى ، في هذه
الخدمة الفضلى ، وسپرى أكثر اناس ان الجريدة خير مما كانوا يظنون فأعضاء
مجلس ادارة الجريدة خمسة وعشرون رجلا ليس فيهم من يهدار كنانة يشنه ولا
لرفته كما هو شأن سائر أصحاب الجرائد فالرجاء في إخلاص هذه الجماعة اقوي
من الرجاء في إخلاص أولئك الافراد

على ان الفائدة الحقيقية للجريدة موقوفة على حسن اختيار الذين يتولون كتابتها
وتحريرها، فذا ظفر مجلس ادارتها بالكاتبين المحررين القادرين على الاجادة في مسائل
الاجتماع والاخلاق والاقتصاد والانتقاد والزراعة والتجارة والآداب والشريعة
والقوانين ممن لا تلبس أيدي أصحاب الجرائد الاخرى الى استهال أمثالهم تسنى
لها ان تكون أرقى من كل ما عداها وبذلك تكون قدوة صالحة للجرائد كما هو المرجو
وإذا هي ظهرت مثل أرقى الجرائد الحاضرة وآها الناس دونها لانهم ينتظرون أن
تكون أكثر اتقاناً فهم يزنونها بهذا الميزان

حادثة دنشواي

في ١٣ يونيو ذهب بعض ضباط جيش الاحتلال لصيد الحمام الداخن في
جبهة دنشواي التابعة لكرشيين الكرم وكانوا أموا بهاني سيرهم بفرقتهم الى الاسكندرية
ولما شرعوا في الصيد استاء أصحاب الحمام واتفق ان اشتعلت النار في جرن (بيدر)
بالقرب منهم فانبرى بعضهم لبعض الفلاحين لصدهم عن صيدهم حرسا عليه وخوفاً على
أجران غلاتهم ان تسرق من نزل البنادق وفي أثناء المقاتلة أصيبت إحدى نساء الفلاحين
بنار بندق الضباط وظن أنها قتلت فمادت المقاتلة ملاكاً وتضرباً بالعصي ولطوب
فجرح غير واحد وأمر الرئيس أحد الضباط المضربين بالسير الى المعسكر لطلب
النجدة فسار في حرق حرق فأصيب بضربة الشمس على رأسه المشجوج فمات
في الطريق . وأثبت التحقيق ان الضباط مالوا الى المسالمة وسلخوا أسلحتهم
للفلاحين فإزانهم ذلك الاخشوة وعدوانا وقد سلخوا من الضباط ساعة وسلسلة مفاتيح
وصفارة وأخذوا سلاحهم كما هي عادة بعضهم مع بعض في مثل هذه الحال .

هذا وقد عظم أمر الحادثة على المخاضين لأن العازب بعد الإهانة الصغيرة كبيرة
ومن يهن يسهل الهوان عليه فأجهوا أمرهم على محاكمة الفلاحين في المحكمة
المخصوصة بمن يمتدي على أحد من جيش الاحتلال فاجتمعت هيئة المحكمة في
شبين الكوم (في ٥ ج ١) وحكمت حكماً لا يقبل الطعن ولا الاستئناف على أربعة
من الفلاحين بالشنق وعلى اثنين بالاشغال الشاقة المؤبدة وعلى واحد بالاشغال الشاقة
١٥ سنة وعلى أربعة بالاشغال الشاقة ٧ سنين وعلى ثلاثة بخمسين جلدة ثم بالحبس

مع الشغل سنة وعلى خمسة خمسين جلة قنط
وقد نفذ هذا الحكم علنا على جميع المحكوم عليهم في قرية دنشواي وبهضهم
ينظر الى بعض والاهل والاقربون ينظرون وعسكر الاحتلال محيط بالمكان
وكان الجلة في نظر الناس أشد من الشنق فكان لذلك أشد تأثير المزعج للناظرين
ثم لجميع أهل القطر فهبت الجرائد للانتقاد والشكوى وكثر انعط الناس بظلم
الانكليز وقال المتقدمون منهم انما كان ذلك الابن السابق قبل تمام التمكين في
البلاد. ثم روعوا بزيادة جيش الاحتلال وبما قال باظر خارجية انكلترا في التعصب
وقد اشرفنا اليه في مقالة التعصب من هذا الجزء حتى قصرت السنة الذين كانوا يشتون
على اعمال الانكليز النافعة ويفضلونهم على جميع الدول
يقول بعض المتقدمين على الاحتلال ان هذا الحكم سياسي ويقول من ينتصر
للانكليز في كل شيء بل هو قضائي عادل وعندني أن الأوان هم المنتصرون لان القوم
اذا كانوا يتقدمون أن الحكم القضائي العادل الذي هو انقصاص المساواة في مثل هذه
الواقعة يجري الفلاحين على جيش الاحتلال لتعصبهم أو لخشوتهم وان هذا الجيش اذا
لم يكن مما لا تطمح الفروس الى الجرأة عليه فانه لا يمكن للمخاضين ان يقيموا في البلاد وكانوا
قد قسوا في الحكم للإهاب وإقال هذا الباب فان السياسة المتبعة في كل زمان
تقول لهم أصبتم في التكيل بيفضه رجال وعقابهم باكثر مما يحكم به العدل في
القصاص العادي لمنع حدوث فن ربما أدت الى قتل من لا يحمي من الرجال
وافساد كثير من الأعمال. واذا نحن قلنا ان هذا الحكم قضائي لاسيما في قوله
لنا المتقدم ابن القانون أو الشرع الذي نبى عليه الحكم ومي كان الرأي المجره
قضاء عادلا وكيف يكون من العدل قتل كثيرين بواحد وجلد كثيرين وتعذيبهم
طول الحياة لجرح بعضهم من يكفي لسفاته أيام معدودات ؟
فاللائق بمقام الانكليز في الوجود ان يكون الحكم سياسيا وان كانت السياسة
مجهولة للفلاحين ونسأل الله ان يوفق الحكومة والمسيطرين عليها الى الطريقة المثلى لحفظ
الأمن وتهذيب الفلاحين ايمتع العدوان الذي أصل في البلاد بضمف الدين وقوة الجهل
وزوال هيبه الحكومة وان لا يعود مثل هذا الخطأ في الفهم بين الخنئين والمصريين آمين

✽ وفد الشريف الى اليمن والثورة ✽

بلغنا ان الشريف أمير مكة المكرمة أرسل وفدا مؤلفا من أحد الاشراف وأحد العلماء وثلاثة نفر تابعين لها الى زعيم الثورة في اليمن ليقتنه بالمخوض لدولة العلية . والدولة لا تزال ترسل الجيوش الى اليمن تباعاً والثورة تزيد قوة وامتدادا وان قليلا من العدل والحكمة خبر من ذلك كله وأتى لنا بهما

✽ لدولة وموتمر الأديان في اليابان ✽

بلغنا ان ما شاع في مصر وكتبنا في جزئ سابق من ان السلطان أرسل وفدا الى مؤتمر الأديان في اليابان غير صحيح واليابان طالبت منه ذلك فلم يجب وقد كتب من الاستجابة الى بعض الناس هنا بذلك قال الكاتب وانني قبل ان أكتب هذا قد اجتمعت بأحد مدحت أفندي الذي ذكرت الجرائد المصرية انه أحد أعضاء الوفد

﴿ الى وكيل المنار الصديق في تونس ﴾

قد بسطنا رجاءنا لو وكيل المنار القاضل في الجزء لآخر من السنة الماضية والجزء الاول من هذه السنة بأن يتفضل علينا بالحساب عن السنين التي نكرم بقبول الوكالة فيها فلم يجر جوابا ولكن صديقه الحميم الذي من علينا بأن نهد إليه بالوكالة وكفنه القبول كتب الينا فيما كتب بأنه قد بادر الى محاسبة المحصل وانه أرسل طائفة من النقود التي حاسبه عليها وانه لا يابث أن يكتب الينا بيانا بتصفية الحساب عن مدة وكالة صديقه . ولما طال العهد بالوعد كتبنا اليه نذكره فلم يرجع الينا قولا ولكن جاءتنا طائفة من النقود في حوالة من المحصل على البريد فاضطررنا الى التذكير بلسان المجلة . ولا يهزب عن فهم الصديقين الأديبين اننا أحوج الى بيان الحساب منا الى ما أرسل من النقد لأن سنة المنار التاسعة قد انتهت بهذا الجزء ونحن لانعرف ممن سدد قيمة الاشتراك الا من جرت عادتهم بإرسال ما عليهم الينا ولعلمهم لا يبلغون عشرة في المئة من مشركي تونس ولهذا يتعذر علينا ان نطالب أحدا منهم بشيء ما لم نطلع على نتيجة أعمال الوكيل ، وما كان من أمر التحصيل ، فمضى أن يتفضل الصديقان بالبيان المنتظر ليدنى لنا عرفان ما هنالك من حقوق المنار ، ونسريح من ألم الانتظار ، ونشكو لها الشكر الصميم ، وأعمالها بالخواصم ،

بؤني الحكمة من يشاهد من بؤن الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يندكر إلا أولو الألباب

المساجد

١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيديعون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارة » كمنار الطريق

﴿ مصر - رجب الحرام سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦ ﴾

سيرة السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

تابع لما نقل عن الأحياء

« وحكي أن حطيظا الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيظ ؟ قال نعم سل عما بدا لك فأنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوقبت لأشكرن . قال فما تقول في ؟ قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول أنه أعظم جرماً منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم . قال فقال الحجاج ضموا عليه العذاب قال فأنتهى به العذاب إلى أن شق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون تصبة تصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً . قال فقيل للحجاج أنه في آخر ريق فقال أخرجوه فارموا به في السوق . قال جعفر (أي راوي الحكاية) فأنتم أنا وصاحب له فقلنا له حطيظ ألك حاجة فقال شربة ماء فأثروه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة رحمه الله تعالى

وروي ان عمر بن هبيرة (والي العراق لبني أمية) دعا بفقهاء أهل البصرة
وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرأها فاجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً
الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علماً ثم أقبل على الحسن البصري فسأله
ثم قال هما هذان - هنا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني
الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا
عمر واني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة
ابليت بالرعية ولزمني حقهم فاننا أحب حفظهم وتمهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم
وقد يلزمني عن العصابة من أهل الديار الا ما أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من
عطايتهم فأضمه في بيت المال ومن نيتي ان أردت عليهم فيبلغ أمير المؤمنين اني
قد قبضت على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ
كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعه وفي اشباهه من الامور
وانية فيا على ما ذكرت قال الشعبي فقلت أصلح الله الأمير انما السلطان والله
يخطئ ويصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال فله الحمد
ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول
انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابليت بالرعية
ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتمهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك
ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعي رعية فلم
يصلحها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة (١) ويقول اني رأيت ما قبضت من عطايتهم ارادة
صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الي طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قبضتها
على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ
كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق فلعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً
لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفاً لكتاب الله فانزله يا ابن هبيرة اتق الله فانه

(١) رواه البهوي باسناد ابن والشيخان وغيرها بالمعنى

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سر برك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خلف ظهرك وتقدم على ربك
وتنزل على عمالك يا ابن هبيرة ان الله ليمسك من يزيد وان يزيد لا يمنك من
الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة في معصية الله وانى أحذرك بأسه
الذي لا يرد عن القوم المجرهين: فقال ابن هبيرة اربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض
عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفضل وانما ولاء الله تعالى ما ولاء من أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه مما فضله
ونيته: فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك بسوط بسوط وغضب بغضب
والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على
أمر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يهرك ويمسك فقام ابن هبيرة وقد بسروجه
وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره وحرمتنا
ومروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف
وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى اليه وكنا أهلا أن
يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرص العربي
بين المقارف (١) وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عزوجل وقلنا مقاربة لهم
قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحايه

وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس أمير
المؤمنين ابي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى
الفقار يون وشكوا الى ابي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين
سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد
انهم أهل تحطم في اعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعتم فقال
الفقار يون يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير
الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

(١) وفي نسخة المقاريف وكلاهما جمع مقرف كحسن وهو ما كان ابوه ذير

عربي ويقال به الهجين

فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك فقال ما تقول في قال تصفني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم ببابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب قبض عليه ثم قال له أما والله لولا أنني جالس هنا لأخذت فارس والروم وللديلم والترك بهذا المكان منك قال قال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقسما بالسوية وأخذوا بأفقاء فارس والروم وأصغروا آفاقهم قال فخطى أبو جعفر قفاه وخطى سبيله وقال والله لولا أنني أعلم أنك صادق لتنتك قال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين أنني لا نصح لك من ابنك المهدي قل فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يضر الله لك يا أبا عبد الله كنا مهدي كنا كان في المهدي وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالداخل فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي ابطأ بك عنا يا أوزاعي قل قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد ألا أخذ عنكم والاقْتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أنك لا تجهل شيئاً مما أقول لك قال وكيف لأجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك واقدمتك إليه قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانسطت في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فأحياها نعمة من الله سبقت إليه فإن قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثمًا ويزداد الله بها سخطاً عليه» يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما وال مات غاشياً

رعبته حرم الله عليه الجنة (١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امثلكم لكم حين ولا كم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمدا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط اه فيهم قائما ولعورتهم ساترا لا تفتق عليك دونهم الابواب ولا تقم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتشس بما أصابهم من سوء، يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تمايلكم أحرمهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبثت منهم فئام وراء فئام وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية دخلتها عليه ، أو ظلامه سقتها اليه، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المناقين فأناه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ايشارهم وسفك دماءهم وخرّب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يعمده فأناه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبغضك جبارا ولا منكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الأعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك ابدا ولو على نفسي فدعا له بخير (٢) يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تحميها خير من امارة لا تحميها » (٣) نصيحة من لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لا يفتني عنه من الله شيئا اذ أوحى الله اليه (وانذر عشيرتك الاقربين) فقال يا عباس وياصفية

(١) رواه وما قبله وكذا حديث الجريدة الآتي ابن ابي الدنيا في مواعظ

الخطباء وابونعمان وابن عساكر والبيهقي في الشعب (٢) رواه من ذكر وابوداود والنسائي

(٣) رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي وابونعمان وابن عساكر

عبي النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم من الله شيئاً ان لي عملي
والك عمالك (١) وتدقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقبم أمر الناس الا حصيف
العقل أرباب امتد لا يباع منه على عررة ولا يخاف منه على حررة ولا تأخذه في الله
لومة لائم وقل الامراء أربعة فأمير قوي ظف (أي منه) نفسه وعياله فذلك كالجاهد
في سبيل الله يد الله بأسعة - إليه الرحمة وأمير فبه ضف ضف نفسه وأرتع عماله لضمنه
فمرو على شفا هلاك الا أن برحه الله وأمير ضف عماله وأرتع نفسه فذلك المظمة
الذي قل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة المظمة » فهو المالك
وحده (٢) وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعاً :

وبعد أن أحال في وظيفته بما حذفنا به اختصاراً قل

« يا أمير المؤمنين من أشد الشدة اقيام الله بحقه وان أكرم الكرم عند الله
انتقوى وانه من طالب الهز بطاعة الله رفقه الله وأعزه ومن طالب به هزيمة الله أذله
الله ووضه فهذه نصيحتي اليك والسلام عليك : ثم نهضت فقل لي الى اين تقلت
الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فقل قد اذنت لك وشكرت لك
نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعاليه أنوكل وهو
حسبي ونعم الوكيل فلا تخني من مطالعتك أيي بمثل هذا فانك المقبول القول
غير المتهم في النصيحة : فقلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فامر
له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقل أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع
نصيحتي بمرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهب فلم يجد عليه في ذلك
« وعن ان المهاجر قل قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا
فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به
فاذا طلع الفجر جمع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقامت الصلاة
ليصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف اذ سمع رجلا عند
المتزم وهو يقول : اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه مخرجو الاحاديث السابقة ومسلم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظالم والطامع: فأسرع المنصور في مشيئته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجدين وأرسل إليه فدعاه فاتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلي ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني . فقال يا أمير المؤمنين إن أمتني على نفسي انبأ بك بالأمور من أصولها والافتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل . فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح مآثر من البغي والفساد في الارض أنت: فقل وبمحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في بدني والحلو والحامض في قبضتي: قل وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأنتقلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سعجت نفسك فيها عنهم وبمشت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا ظلمة إن نسيت لم يذكروك ، وإن ذكرت لم يبينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر صميمتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضميف ولا الفقير ، ولا أحدا الا وله في هذا المال حق ، فلما آرك هؤلاء انفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يجيبوا عمك تجبي اليك الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لانا نخونه وقد سخرنا فآثمروا على ان لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالفهم أمر الأافصوه حتى تسقط منزلته ويصفر قدره فلما انتشر ذلك عمك وعينهم أعظمهم الناس وها بهم وكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والوال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك ليناوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بنيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاك في سلطتك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان أراد رفع صوته أو قصته اليك عند ظهورك وجدك قد مهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك

الرجل فبلغ بطانتك سألو صاحب المظالم ان لا يرفع مظالمته وان كانت للمظالم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزل المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضرا بامبرحاليكون نكالا لغيره وانت نظرو ولا تنكرو ولا تغير فما بقاه الاسلام وأهله على هذا . وقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي الى أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الاسلام فيبتدرونه: مالك مالك؟ فيرفعون مظالمته الى سلطانهم فيتنصف . ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين وبها ملك فقدمت امرأة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لا بكت عينك فقال أما اني لا أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قل امان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك «

وبعد ان أطلال في موعظته وخوفه من الله وعذاب الآخرة بما حدثت به من الاختصار بكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس الا خائنا فقال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هرير بوانك متخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسه بالحق والعدل . وانا ضامن على ان من هرب منك أن يأتيك فيما ونك على اصلاح أمرك ورعيتك . فقال المنصور اللهم وقتني ان أعمل بما قال هذا الرجل

(المنار) أليس ملوكنا الآن أحوج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين أليس حالهم شرا من حاله وملكهم دون ملكه وهروب الخيار منهم أكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم أشد من خطره عليه في زمنه؟ بلى ولكن أين العلماء الناصحون؟

﴿ المعارف في مصر قبل الثورة العرابية ﴾

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا في طور جديد من الإصلاح الحقيقي وكان الفضل الأول في تنفيذ ذلك لرياض باشا وكان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلاء مفكرا وروحا مدبرا اذ كان برئاسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كما سيطر على جميع أعمال الحكومة كما يبا في ترجمته من المجلد الثامن . ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقادا كان له شأن عظيم في اصلاح شأنها واننا نورد هنا بعض مقالاته نقلًا عن الجزء الثاني من تاريخ حياتها (الذي يطبع الآن) وهي

وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ - ٧٠

ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثر تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكانهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كفتهم الحكومة امر ذلك كله بشباتها وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جيراننا من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتناكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجهين آمالهم الى نظارة المعارف العمومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاما كثيرا اذ كره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن تحت شروط لا بد من استيفائها (ولنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريبا على الأذان وحشيا عن القلوب يساق الناس اليها (كأنما يساقون الى الموت) اذ كانوا يظنون ان الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم و بعض الناس بعد التنبه كانوا لا يرون خطة أرفع من خطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للمكاتب من المكانة عند الحكماء والتصرف في الحقوق فآكتفوا بإرسال ابنائهم الى الكتبة يعلمونهم حتى اذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطوَّبة بدون حاجة الى مدرسة ولا مكتب منتظم وبعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت توجد له أسباب تمنعه من تربية أبنائه فيها اولئكنا لا نبديها وأما في أيامنا هذه فتمت تنهت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء تربية أبنائهم من الآن فصاعداً على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهالة السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظيف في الخدمات الميرية أو طلب الكسب من وجوه أخرى لهم شوق تام الى كسب فضيلة العلم فلا تساعد أحوالهم بالضرورة على الرجوع الى التعليم في مكاتب الاطفال وتعطيل أسباب معاشهم فيود الكثير منهم ان تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الأزمنة السابقة أزمنة جهل آباءهم لعلهم بذلك ينفعون أنفسهم وبلادهم بأكثر مما يقدرون عليه الآن حتى اهتم بعض من الشبان من مدة نحو سنتين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعد المقادير على النجاح وكان في انتظار توفيق آلهي يسوق اليهم ذلك الخير حتى سمعوا بان نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سيقت لنا نودي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة ان تكون دروسها باللغة الفرنسية خاصة ولا يقبل فيها الا من كانت عنده مبادئ الرياضيات والطبيعات وله تقدم في اللغة الفرنسية وقالوا ياسبحان الله ان المدارس الليلية في البلاد المتقدمة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتحاكي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الغربية أو العسرة التفهيم وذلك لفائدتين (الاولى) ان كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه ان يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تفرحمة الذين لم ينالوا حظ التعليم في صغرهم وينتشر العلم حقيقة اذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أشغاله النهارية (والثانية) انه اذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العلمية لقربها الى الفهم كاحداثيات تسلي
بها النفس بل الذمّن ذلك إذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا ويخرج بنور جديد
فتنجذب نفوس الناس الى مستملحات العلم فبدل صرف أوقات ليهم الطول بل
في مضاجعهم يتقلبون من جانب الى جانب أو في بيوتهم بمحادثات لا طائل
تحتها أو في أما كن أخرى تتحاشى عن ذكرها يهرعون الى معهد العلم ليفقدوا
عقولهم ويروحوا قلوبهم ولم نسمع ان أمة متمدنة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها
ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجليلية في بلادنا واخترعت طريقة جديدة وهو
جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه
المتفهم منهم ولا العامي والعلوم التي يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس
الذين هم أحوج الى التعليم وأولى به وهم الخدمه وأرباب الكسب المحبون لتبيل
فضيلة العلم ولا يستطيعون، ويلتفنون على ذلك ولا يجدون، وهو مما يوجب الاسف
خصوصا وقد تواتر على الألسنة ان غالب من قبلوا فيها أجانبا (وان كان ذلك
غير صحيح فعندي علم اليقين بأن الأكثر وطنيون لكن من الذين تعلموا في
مدارس الفرير ونحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فترقينا حتى صارت
مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أيقنا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون
من ذلك شيئا أولا حظت نظارة المعارف انها بذلك تستحصل في زمن قريب
على أساتذة نجعلهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فان كان هذا الوجه الاخير قلنا
انها ستجمل (مدرسة الخوجات) نهارا فلها أن تزيد في عدد تلامذتها ماشاء لهذا
الفرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتمدنة لتأتى لنا الوصول
الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينتظم في تلك المدرسة
ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلها لكن منعه كون التدريس بلغة أجنبية وكون الدروس
فوق البدايات وان كان الثاني قلنا ان الاستعداد والشوق موجودان في كثير من
الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شباننا الى هذا
الحد وان كان الاول قلنا الاول ان لا تكلم واننا وحق الحق لفي حاجة كاية
الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستتبها أخذنا من البدايات سهل الوسائل ميسر الأسباب

بلغة بلادنا عامة أو خاصة حتى تنقطع حجة الجاهل و يبطل برهان المكاسل
وتنبعث الفيرة في الكل اذا أقبل البعض على التعليم و يقع التنافس في الفضائل
و يجد الشبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا وتوهمهم الذمة و تلامهم ضمائرهم
اذا تركوه اذ لا يجدون لهم علة يتعاملون بها اذ ذاك بل يرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم
العلمي اجباريا عاما لكل مستخدم وقارىء لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا
لضرورة تمنه من مرض ونحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين
في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدرون على تحقيق
القضايا وحل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنائيات والحقوق والحسابات ونحو
ذلك وهذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة وذوي عقل وافر
وهذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد
الاستقلال في سيره

هذا حاصل أقوال الناس في شأن المدرسة الليلية التي افتتحتها نظارة المعارف
قريبا وربما كانت تلك الأقوال صحيحة لكن ان صح ما قالوا فليهم بتقديم
آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليتروى فيها ثم يجيبهم الى مطوابعهم ان رآه موافقا
وخاليا من الموانع والمخزورات والا أقدمهم بأن تعميم النفع غير ممكن فحينئذ يعلمون
الحق ويربحون أنفسهم من الجدال ولهم أقوال في مواضع شتى يمنعنا من
ذكرها في هذا العدد ضيق المقام وربما نذكرها غدا ان شاء الله

وكتب في العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها وأفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق ونذكر
بعضها في هذا العدد حفظا لمتفرقات الأقوال لعل شيئا منها يقارن صحة فيصادف
قبولا وليكون ذلك دليلا على تنبيه الافكار والتفات اذهان الناس الى النافع الحقيقي قالوا
نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشورا مبسوط العبارة مشحونا بالمعاني
الرفيعة قاضيا على نظار المدارس والمكاتب ومعلميها بوجوب التفاهم لوظائفهم وقيامهم

بواجبناهم مينا لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريقة الجديدة قد أظهرت أن في بعض المدارس قصورا في التعليم وفي بعضها كالأوزيادة فاستوجب موظفو الأولى التوبيخ والانداز وموظفو الثانية الشكر والثناء فعلى الجميع من الآن فصاعدا بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة عملا وبصرا لا حفظا ولقائمة و بين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهيم وانذر من لم يحد حذوها بوقوعه تحت مسؤولية الديوان

فأشرحت صدور العامة والخاصة بهذه التنبيهات الأكيدة والتعليمات المفيدة وقالوا لو عمل بهذا المنشور لا طمأنت نفوس الكافة الى تربية أبنائهم في مدارسنا التي يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليتربى بها على توالي الأزمنة رجال يكونون فخر البلاد وحماء زمارها فتدكات النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس الفريز والانكليز والامريكان والبروسيان وغيرها عامرة بأبناء الأهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منهم العدد اللائق بشأنها ولم يكن ذلك الا لما أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع سراع الآداب التي يفرح بها الوالدان والاقارب في المدارس الاجنبية واغفالها في مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فان التفات سماعة ناظر المعارف الى كيفية التعليم ونشد يده في ان تكون على وجهها الحقيقي مما يمد الآمال ويقويها

الا أنهم يتساءلون فيما بينهم بسوء الآلات كثيرة منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتحان اجتهادهم من النظار والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبة وهي من أجل المكافأة وأجملها ولها تأثير في جلب الرغبات وتقوية العزائم لكنها لا تنصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المباشرة فان من ضاق عليه العيش وكانت حاجاته أكثر من اراده لا تنفك عنه الوساوس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتقلب منفضات الحاجة وآلامها على الفرح الذي أنعشه عند ماسمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهاده ويحبط من همته بل ربما أورت خلافا في كيفية تأديته لوظائفه خصوصا اذا

رأى غير المجتهد مماثلاً له في الرزق وأوفر راتباً منه ولقد صدق القائل النقص من الرواتب نقص من الاعمال: لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع أن المسموع ان ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستفراقها بل نود لو يزداد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الغرض منه حق الإدراك وإذا أدركوه فهل يوجد عندهم من اقوة العملية والتدريب على الطرق الجديدة ما يؤهلهم لاجرائه والسير بمقتضاه بحيث تحصل النفاية منه بمجرد نشره أو ان الكثير منهم محتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتمرن عليها والبعض ربما لا يمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم؟ وهل امتحن المعلمون والنظار كما امتحنت التلامذة وعلم المستعد منهم وغير المستعد بوجه الدقة والضبط حتى اذا وجد منهم من لا يليق لوظيفة أنزل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع الى ما يستحق لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتخشى عواقب الجهل والاهمال ويتوفر على المعارف زمان تجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خساراً على التلامذة المساكين ولا تقصد بالامتحان الا السؤالي في الفن الذي يعلمه فاذا تبين أنه يمكنه الاحاطة بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عدت عارفاً ثم طالب الالقاء والتدريس وكيفية التفهيم قرب عالم لا يستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفين بفنونهم قادرين على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألفوا بعض الطرق العتيقة وتعودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وان كانوا علماء بفنونهم والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علماً ويعجز عن تمرين المتعلم عليها عملاً والبعض يوجد خالياً من الأمرين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذيته كل ذلك يزعمون مشاهدته بالعيان ويوجد بين المعلمين صنف من النبهاء لا يجب ان يجهد نفسه في التعلیم ويكتفي في درسه بحكاية بعض ما وقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف فهل تعينت هذه الاوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضله وعرف الناقص بمقدار نفسه وأنزل كل منزلة؟ هل اخنارت نظارة المعارف لاجراء هذا المنشور أشخاصاً

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هذا ليقفوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلاً ويقدموا جميع ما يرونه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فإن رأوا نقصاً عرفوا سببه ومن أي الجهات منبته وإن كان اعء عاجاً في طريق التلميذ ارشدوا المعلم بأنفسهم وبيّنوا له الطريق مرة بعد أخرى فإن اعتدل والا اعتزل ويكون أولئك الأشخاص تحت مسؤولية شديدة إذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فإن ذلك يبعث الغيرة وينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل الى المقصود باقرب الطرق المؤدية اليه ويسهل تدارك الخلل اذا ظهر وازالة النقص اذا طرأ؟ هل دقت نظارة المعارف في معرفة أخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الاطفال في كفالتهم يدبرون أمورهم ويرشدونهم الى كمالهم وفصلت بين صاحب الاخلاق الفاضلة والافكار المستقيمة والعفة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم اليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكاله درسا آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتنتج هذه الكمالات في نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية وبين من لاخلاق له بأن يكون أحق أو دينياً أو عديم الغيرة والذمة أوردني الافكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرته التلامذة لهم موجبة لتلوّهم بالذائل وتكون كوائمه في الدرس ممزوجة بسم الفساد فتमित أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلاً وقد ضاع الزمان وولى الشباب واما علما صناعيا مصحوباً بشرور تعود على صاحبها بالشقاء وياليتها تكون قاصرة عليه ولكن تتعدى الى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بارشاد الرقا النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والامانة في الخبر والصدق فيه يميز الخبيث من الطيب ويبحث عن المستقيمين على قدر الطاقة في انحاء البلاد لتفويض اليهم تربية الاطفال والشبان ليكونوا رجالاً ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أملاً بحصولها على رجال تقيهم في وظائفها الكثيرة يؤدون واجباتها بالضبط والامانة

يقولون انه لاشك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلا ليست
أساليبها سهلة المأخذ على التلامذة ولا موافقة لطريقة التعليم في المدارس من اشتغال
التلميذ بفنون كثيرة في زمان واحد وأنه يلزم ايجاد طريقة جديدة في التأليف وازالة
كثير من الصعوبات التي عاقت كثيرا من الناس عن التعليم فهل حصلت العناية
بتصنيف تلك الكتب وان حصلت فبمن أنيط تصنيفها وهلا شكل مجلس للنظر
في مثل تلك التسهيلات ودعي اليه أعضاء ممن لهم سمعة في الفكر والاطلاع على
الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي
تدريسها في أي الفنون حتى ينأى اجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال
من المحقق ان سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في سفره
الى الجهات البحرية قد رأى أمورا كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة
المعارف أشياء مهمة لا بد من تقريرها والاسعاف بها فهل أجيب طلبه وحصلت
الذاكرة في تلك الآراء القوية التي أبدأها حتى يفرغ من تنفيذ مقتضاها الى
البحث في غيرها من الجهات القبلية

هذه جملة من سوء الاتهم سردناها للاحاطة بها وإنا نحجب عن ذلك بأن نظارة المعارف
هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لا تفعل شيئا مما تعلمه نافعاً ومفيداً
ومن اليقين أنها لا تشرع في شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبتة قد
أعدت لمقاصدها وسائل اذ تعلم ان زماننا هذا لا يرى فيه الا الأثر الظاهر ولا
يؤثر عن رجاله الا الاعمال الحقيقية أما صدور الأوامر والنطق بالالفاظ العالية
بدون ترتب فائدة عليها فقد مضى وقته وان الآمال متعلقة برجال تلك النظارة
العرفاء الاجلاء كسعادة ناظرها الا كرم الحريص على تقدم العلم والغيور الرفيع
الهمة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الخاضق وكيل المكاتب الأهلية
حضرة على بك فهمي وسنرى من أعمالهم ما يرفع جميع هذه الأوهام ويفتح
للمعارف في عصرنا هذا ناراً جديداً فهذه هي الفرصة التي نرى فيها الحكومة
للعالية مساعدة على نشر المعارف وتأييدها فعلياً ان لا تضيعها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٦ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من المحقق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية نهرا عن التعليم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه ولهم من اوقات الليل الطويل فرصة لا يضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا في تعلم ما ينفعهم ويزيدهم نورا وبصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي لغة بلادنا وقرأ فيها درس باللغة الفرنسية يكون قاصرا على تعليم اللغة لا غير يبدأ فيه من الهجاء الفرنسي الى نهاية ما يلزم ان يتعلم في تلك اللغة اما دروس اللغة العربية فمنها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها ما يكون في بعض علوم اخر نافعة من آداب وتاريخ احوال الامم وتاريخ طبيعي وبعض مبادئ الرياضيات (فيما سميت) بحيث لا تنقص عن تلك المدرسة التي سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخرجات الليلية) في جوهر ما يقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك اجنبية وهذه آخذة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله لواطنين وتلك لا تؤسم فيها ذلك الا يبرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لا تضرب في المقصود ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الاجنبية يعد فضيلة يسمي اليها ويهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لا فضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية تقصد وانما هي وسيلة لما احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والافكار التي ربما لا تكون مبسوسة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الاجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنسية مثلا اذا لم تكن عنده مبادئ علوم وملكة ادراك في بعض الفنون التي يطلب التمكن فيها لا يعد مصيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادئ حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة يتيسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم الليلين قاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون ممها بعض مبادئ العلوم كما عزمت عليه نظارة المعارف الجليلة التي لانزال نرى مساعيها في تقدم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يخلد لسعادة ناظرها ووكيلها طيب الذكر والثناء

وبافتتاح هذه المدرسة يفهم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة الليلية وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهاننا فعليا لاجدليا يقنع الناظرين ويفهم المتخصصين ويذهب بتعللات المتعالمين ومطالبها لأصحاب تلك الافكار بالبرهان الفعلي أيضا وهو توجه الهمم الى التعلم وافراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تظهر فوائد هذا الاثر وانا على يقين من أن المستخدمين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يعرفون قدر المعارف ويقدرونها حق قدرها يجهيون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم لى طلبهم ويكون اجر يدة الوقائع المصرية شرف الإخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الامر وما فيه اه

(النار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة في المعارف فهي سبب انشاء المدرسة الليلية العربية وسبب اشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة فقيدنا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حادي الاصلاح ومرشده في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد الى حديث الناس لان الكاتب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيرا من انتقاد واحد وما الناس الباحثون المتقدون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان الفقيه واستاذ الحكيم عقله المفكر ولسانه الناطق . أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب العهد بالازهر واسلوب السجع في غاية السلامة وله مقالات أبلغ منها عبارة لأنها أرقى موضوعا وفكرا وسنورد للقراء نموذجها

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿ آراء وأفكار ﴾

للكنور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طه
هذا عنوان مقال لي جديد ، أريد أنه أفصح فيه عن رأي أئديه لعلماء المسلمين ،
المحققين منهم لا المقلدين ، حتى إذا ما كنت مخطئاً أرشدوني ، وإذا ما كنت مصيباً
أبدوني ، وبشي من علمهم أمدوني ، فاني لست ممن يهوى الإقامة على الضلال ،
ولا ممن يلتذ بمحدث مع الجهال ، فلذا أجهد النفس في تحقيق الحق وتمحيصه ،
والإسراع إليه إذا بدالي بارق من بصيصه ، وها أنا أشرع في إيضاح المقصود
بالتدقيق ، راجياً من الله التوفيق ، للهداية إلى أقوم طريق فأقول : -

لا خلاف بين أحد من المسلمين ، في أن متن القرآن الشريف مقطوع به ، لانه
منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولا نقصان ، ومكتوب في
عصره بأمر منه عليه السلام ، بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقاً
إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل ، ومن
ذلك نعلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن
الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه (إنا نحن نزلنا الذكر
وإننا له لحافظون) . فلو كان غير القرآن ضرورياً في الدين لأمر النبي بتقييده كتابة
ولتكفل الله تعالى بحفظه ولما جاز لأحد روايته أحياناً على حسب ما أداه إليه فهمه .

فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز
بنظمه ولا يمكن لبشر الا تيان بمثله " ولم يضمن ما في الاحاديث من الواجبات كما ضمن ما في
القرآن حتى نأمن عليه من التفسير والتحريف والاختلاف ؟ ولم كان بعض الدين قرآناً
والبعض الآخر حديثاً وما الحكمة في ذلك وما الفرق بين الواجب بالقرآن والواجب
بالسنة ؟ فهذه بعض أسئلة ألقياها على الباحثين ليحييوا عنها إن كان ثم جواب .

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم (هل يجب الوضوء من النبي ؟) فأجاب
عليه السلام (لو كان واجباً لوجدته في كتاب الله تعالى) فهذا الحديث صح أولم يصح فالمقل
بشهادته وبوافق عليه وكان يجب أن يكون مبدأ المسلمين لا يحدون عنه . ولكن ويا للأسف

لحق المسلمين ما لحق غيرهم من الأمم فدفع بهم في ظلمات في بحر لحي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سبحانه ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج أحد منهم يده لا يكاد يراها ومن لم يجعل الله له من كتابه نوراً فإنه من نور

ولم الناس في الأعصر الأولى بالروايات القولية ولو عاوتها خروا بكثرة جمعها جموعاً حتى ملأت الآفاق، وكثرت فيها التضارب والاختلافات، وصار من المستحيل أن يعمل الإنسان بدينه بدون أن يقلد غيره ممن أقنوا أعمارهم في عمل مذهب لهم فأصبح التقليد من أوجب الواجبات في دين المسلمين بعد أن كان من الأدعاء القرآن المجيد، تنوعت المذاهب واختلفت المشارب وتعددت الآراء في كل فرع من فروع الفقه حتى تجد في كل مسألة أن كل ممكن من الممكنات العقلية قد صار مذهباً لا حداً لثمة ووجب على التقليد في القول (بأن الكل على الحق) فأصبح القول باجتماع الضدين بل النقيضين عقيدة من عقائد الدين بين المسلمين فحق عليهم القول بأن سيتبعون سنن من قبلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه، أراد بعضهم أن يزيل عن العين الرمد فقال بسد باب الاجتهاد، وبذلك شفى الرمد بالاعماء، فصار كل من أراد أن يستعمل عقله في الدين، رموه بأنه من المارقين، وهكذا ضاع الحق بين الأباطيل: ولولا عناية الله لأزهقت روحه الأضاليل

نظر المجتهدون في الأحاديث نظرة فعلموا ما فيها من الاختلاف، وتحققوا أن أكثرها موضوعات، ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهبه اضطر أن يرفض منها ما صح عند غيره، فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله؟ وهل يعذر المسلمون في تركهم القرآن خلف ظهورهم والاشتغال عنه بهذه المذاهب وصراف الوقت في مراجعة الروايات التي لا تحصى نظهم أن القرآن غير واف بالدين كله، والله تعالى يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، وإذا صحت مذاهبهم فأبي تفرط أكبر من ترك القرآن لا أكثر واجباتهم في الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك؟

دين الله سهل ليسور، والتقليد فيه محذور، فلو كان العمل بما في الأحاديث واجبا للزم كل مكلف أن يترك أي شغل آخر ويقضي الليالي الطويلة، في مطالعة المجلدات الضخمة من كتب الحديث؛ ليعرف الضعيف والصحيح والموضوع، والحسن والموقوف والمرفوع، والناسخ والمنسوخ

فهل في شرعه الانصاف أني أكلف خطة لا تستطاع؟
يحتج السنيون على صحة قولهم بجو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولكننا نحن القرآنين نقول إن اطاعة الرسول لا نزاع فيها ولكن النزاع في مسألة أخرى وهي: هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه كتاب الله؟ فإذا كان ذلك صحيحاً فهل لأولياء الأمر أن يفرضوا علينا صلوات سبع بدل الخمس أو صيام شهرين بدل الشهر ونحن مأمورون بطاعتهم مثل طاعة الرسول؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال جميع أصحاب المذاهب ميزوا بين أمر الله وأمر الرسول أو بين الواجب والسنة وبين المفروض والمنسذوب؟ أليس ذلك إقراراً منهم بالفرق الهائل بين الكتاب والسنة؟

نحن لا نجعل أن كل مذهب منها يقول ببعض فرائض لأثر لها في الكتاب؛ ولكن الذي نلاحظه على أصحابها ونشكرهم عليه أنهم كانوا دائماً يجتهدون أن يأخذوا دليلهم على الفرضية من الكتاب إن أمكنهم حتى أن كثيراً منهم قال بسدم وجوب أشياء كان النبي عليه السلام يواظب عليها ويأمر أصحابه بها إذ لم يجد دليلاً عليها من القرآن. فأبو حنيفة مثلاً قال بأن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بواجبة لأنه لم يجد أمراً بذلك في كتاب الله وكذلك قال في الاستنجاء. وذهب الجميع إلى القول بأن المضمضة والاستنشاق ليستا من فرائض الوضوء وغير ذلك كثير حتى أنك تجدهم يستنبطون كل ما قالوا بأنه فرض من الآية الواردة فيه. وبعد ذلك يقولون بأن ما زاد عليه فهو سنة ولو لم يثبت أن النبي تركه مرة واحدة. أليس ذلك أثر آمن آثار الفطر السليمة الباقية في نفوسهم؟

إذا نظرنا في جميع المذاهب المعروفة واستخرج منها جميع ما أجمعوا على وجوبه وجد أنه كله مستنبط من القرآن الشريف إلا مسائل قليلة جداً أذكر منها بعضها لأهميتها كعدد ركعات الصلاة. ومقادير الزكاة وما يتعلق بها

لا شك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلاً للنزاع. ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر في القرآن رأي أنه لا يجب. وربما كان ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم هو مندوب إليه ندباً شديداً أو أنه تطبيق لا وأمر القرآن الباقية على أحوال الأمة العربية بحيثان غيرها من الأمم لها أن تستنبط من الكتاب ما يوافق أمورها وأحوالها كما سنين ذلك في مسألة الزكاة ولنبدأ الآن بالبحث في مسألة ركعات الصلاة. قال الله تعالى (وإذا حضرتم في الأرض

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وإن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً* وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) إلى آخر الآية . فيتضح من هذه الآيات الكريمة . أن قصر الصلاة مباح في السفر إذا خفت العدو . وأن صلاة الخوف للإمام ركعتان فقط وللمؤمنين واحدة يصلي نصفهم الركعة الأولى معه ثم يصلي النصف الآخر الركعة الثانية . وهذا هو المتبادر من القرآن الشريف وما ذهب إليه ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد فإذا كانت صلاة الخوف ركعة واحدة للمؤمن وظاهر من السياق أن هذا قصر أي دون الواجب فيكون الفرض في أوقات عدم الخوف هو أكثر من ركعة أي إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت من أوقات الصلاة أكثر من ركعة ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما شاء . وبعبارة أخرى إن الإنسان يجب عليه أن يصلي ركعتين على الأقل وله أن يزيد عن ذلك ما شاء إن يزيد بحيث لا يخرج عن الاعتدال والقصد فإن الغلو في الدين مذموم وكذا في كل شيء (إن الله لا يحب المفسرين) ومن ذلك تعلم أن عدد ركعات الصلاة غير معين إلا بهذا القدر فقط وهو أن لا تنقص عن اثنتين ولا تزيد إلى درجة الإفراط وبعد ذلك فللمسلم الاختيار فيما يفعل على حسب ما يجده من نفسه ومن وقته . ولا يجوز له القصر عن الركعتين إلا فيما ذكره القرآن الشريف . والذي يدل ذلك من السنة على أن هاتين الركعتين لهما الشأن الأكبر في الدين ما يأتي : —

(١) أول ما فرضت الصلاة كان النبي عليه السلام يصلي دائماً ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزاً من إقامته بالمدينة . فان قيل لعل ذلك كان في أول الأمر لحديث عهد المسلمين بالإسلام فناسب أن يكون التكليف حينذاك خفيفاً قلنا إن المعهود في طباع البشر أن يكونوا عند دخولهم في دين جديد شديدي الرغبة في القيام بجميع واجباتهم الدينية ويطلبون المزيد . وكما طال عليهم العهد أخذوا في التهاون فيها . ولذلك كان المسلمون في أول الإسلام يقومون الليل بعضه إن لم يكن كله . وكما ازداد اضطهاد المشركين لهم كلما ازدادوا رغبة في الصلاة فلو كفوا بأكثر من ركعتين في أول الأمر لوجدوا في أنفسهم من الرغبة الشديدة في العمل ما لا يجدونه فيما بعد وخصوصاً لأنهم كانوا غير مكلفين بالجهاد ولا بغيره كالصوم والحج وغيرها . ثم لو سلمنا أن التخفيف في الصدر الأول كان لمرعاة جانب المسلمين الحديثي العهد بالدين وهم إذ ذاك نهر قليل فلماذا

لا يراعى جانب من دخل في الدين فيما بعد وقد كانوا يعدون بالملايين؟ فلهذه الاسباب نحن نتخذ هذه المسألة دليلاً على أن النبي ما كان يكتب بالركعتين في ذلك الوقت إلا لبيان أنها أقل الواجب ثم زاد عليهما فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى.

(٢) إن النبي لما زاد عدد ركعات الصلاة كان يقتصر على ركعتين في سفره ولو لم يكن هناك خوف من العدو. ولو كان السفر قصيراً جداً. ولو أقام بالجهة التي سافر إليها بضعة عشر يوماً وزال عنه العناء والتعب. فلو كانت الزيادة واجبة لعد هذا تهاوناً وخصوصاً لأن القرآن لم يسمح بالقصر الا عند الخوف من العدو ولكنهم يقولون تحكماً ان هذا هو القصر المراد في القرآن ولا يبالون بمخالفة الظاهر منه ونحن نسمي ذلك (اكتفاءً بالواجب) محافظة على مقام القرآن الشريف ولا نقول في قوله تعالى (إن خفتم أن يفتكم الذين كفروا) ان هذا القيد في الآية المذكورة آتياً لمفهوم له كما يقولون اتباعاً لمذاهبهم.

(٣) كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الاخيرتين وان جهر في الاولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن فهل يدل ذلك على أن منزلتهما أقل من الركعتين الاولين

(٤) إتنا إذا نظرنا الى عدد الركعات التي كان يصليها النبي في أوقات الصلاة مع قطع النظر عما سماه المجتهدون سنة وما سموه فرضاً نجد أنه لم يحافظ على عدد مخصوص فكان تارة يزيد وتارة ينقص ولذلك اختلفت المذاهب في عدد السنن وفي المندوب والمستحب والرغبة الى غير ذلك من التقسيمات والاسماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه ثم إن عدد الركعات التي كان يصليها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مختلف أيضاً فصلاة الصبح مثلاً أربع ركعات والظهر عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة. ولكن الشيء المطرد الذي نلاحظه أنه ما صلى وقتاً أقل من ركعتين ولا تقيد بعدد مخصوص وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه كل التأييد.

وأما كونه كان يصلي بعض هذه الركعات في الجماعة ويواظب على ذلك وإذا كانت الصلاة رباعية أو ثلاثية لم يسلم الا مرة واحدة وانما ترك سهواً بعضها أعاده وسجد للسهو فكل هذه أشياء لا يصح أن يرد بها علينا. أما صلاة الجماعة فهي غير

خاصة بالفرض فصلاة العيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وغيرها كان يصليها جماعة وكذا صلى بعض النوافل واما المواظبة على جعل بعض الصلوات أرباعاً أو ثلاثاً فهو لا يدل على وجوب ما فوق الركتين لأن هذه المواظبة المزعومة غير مسلمة كما بينا ذلك فيما سبق واذ اسلمت فكم من أشياء واظب عليها طول حياته وقال بعض الأئمة انها غير واجبة مثل الاستنجاء أو الاستجمار ومثل قراءة الفاتحة في كل ركعة والمضمضة والاستنشاق وغير ذلك كثير جداً . وأما قرن الركات بتسليمية واحدة فكم من أشياء قرنت بل من جت بالفرائض وقال الأئمة انها غير واجبة مثل كثير من أعمال الحج والوضوء والصلاة . ولم لا نتخذ نحن جلوسه صلى الله عليه وسلم دائماً بين الركتين الأولى والثانية والأخيرة لا إشارة منه الى فصل الواجب عن غير الواجب وكذا عدم الجهر في الأخيرة وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة فيهما وأما إعادة ما تركه سهواً وسجود السهو فهو أيضاً غير دليل لان السبب فيه هو أن النبي عليه السلام لما كان ينوي أن يصلي أربع ركعات مثلاً ويجد أن قلبه اشتغل بشي آخر انساه ما هو فيه كان يعد ذلك تقصيراً أو ذنباً فيسجد سجدة في السهو استغفاراً لله تعالى وطلباً لتصفح عنه وذلك بعد أن يعيد ما كان نوى أن يصليه ونسيه عقاباً للنفس وان كان سهواً لا يفكر فيها مر شريف يليق بالأنبياء فان حسنات البرار سيئات المقرين وليس سجود السهو هنا خاصاً بترك الفرض بل اذا نسي الانسان أي شيء مما نوى عمله لله حق عليه أن يفعله فاذا نوى ان يصلي مثلاً أربع ركعات فصلى سهواً ثلاثاً ثم تذكر فليصل ما نسيه وليسجد لله . قال عليه الصلاة والسلام (اذ قام أحدكم يصلي اتاه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فانا وجد ذلك احدكم فيسجد سجدة)

واما الاحتجاج بالاجماع فهو غير حجة علينا لان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعرفون اصطلاحاتنا هذه الفقهية فلا يميزون بين ما نسميه نحن الان سنة او فرضاً او مندوباً او مستحباً بل كانوا يحافظون على كل شيء راوا النبي عليه السلام يفعله . واما اجماع الخلف فلا نبياً به والاستشهاد بمحدث (لا تجتمع امتي على ضلالة) ان صح هنا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام فنحن لا نقول ان المسلمين اجتمعت في هذه المسألة على ضلالة فان من هرف ان الواجب عليه ركعتان على الاقل فصلى ارباعاً قلبيداً للرسول عليه السلام شكرناه وشكره الله ورسوله وزاده الله اجرأ وانما الفرض من هذا البحث هو تهخيص المسائل عامياً ليس الا . وهو يفيدنا ايضاً في مسائل اخرى من الوجهة العملية فوأن لا تحصي

﴿ مبحث الزكاة ﴾

نذكر أولاً مقدار النصاب من الذهب والفضة والماشية وما يجب في كل من الزكاة حسب ماورد في السنة المتواترة (١):

النصاب	ما يخرج من الزكاة
(١) من الذهب ٢٠ ديناراً (أي ١٠ جنبيات تقريباً)	نصف دينار
(٢) « الفضة » ٢٠٠ درهم	٥ دراهم
(٣) « الابل » ٥ جمال	شاة واحدة
(٤) « البقر » ٣٠ بقرة	عجل تبيع
(٥) « الغنم » ٤٠ شاة	شاة واحدة

فالذي يكاد يحزم به العقل أن قيمة النصاب من كل لا بد أنها كانت عند العرب متساوية أي إن من كان عنده منهم ٢٠ ديناراً كان كمن عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جمال أو ٤٠ شاة ولذلك تؤخذ شاة واحدة ممن عنده ٤٠ شاة وكذا ممن عنده ٥ جمال . ولو لم تكن جميع هذه المقادير متساوية لكان هناك ظلم ظامر لبعض الناس دون الآخرين . وما يرجح أن هذه المقادير إن لم تكن متساوية فهي متقاربة جداً أن مالكا رضي الله عنه جعل القطع ليد السارق مشروطة بسرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم لتساوي هذين القدرين وعليه يكون نصف الدينار يساوي ٦ دراهم . وإذا لاحظنا أن ما يؤخذ من نصاب الذهب هو نصف دينار وما يؤخذ من نصاب الفضة هو ٥ دراهم أدركنا أن ما يؤخذ من كل هو متقارب جداً إن لم نقل إنه كان متساوياً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . وإذا كان الأمر كذلك كان ثمن الشاة أو العجل التبيع هو ٥ دراهم أو نصف دينار أي نحو ٢٥ غرنا صاناً مصرياً بالتقريب . وذلك في مبدأ الاسلام وهي قيمة زهيدة جداً ولا شك أن هذه القيمة تختلف اختلافاً كبيراً بحسب البلاد وبحسب الازمنة ومن ذلك نعم أن ما ينته السنة للعرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع الأمم في الاوقات المختلفة ولذلك لم يرد شيء من ذلك في القرآن مطلقاً لأنه هو الكتاب الوحيد الذي أمر النبي أصحابه بحمله لجميع العالمين وترك أمثال هذه التفاصيل فيه لتصرف كل أمة في الامور بما يناسب حالها فيجب على أولياء الامر بمد الشورى ومراجعة نصوص

(١) قوله السنة المتواترة فيه نظر

الكتاب أن يضموا للامة نظاما في هذه المسألة وفي غيرها لتسير عليه . ولا يصح أن نحمد على ما وضع للعرب في ذلك الزمن جمودا يبعدنا عن العقل والصواب فان الذي عنده عشرة جنهات أو خمسة جمال مثلا إذ عد غنيا عند قوم فلا يلزم أن يكون غنيا عند الآخرين ثم إن ربع المشرك قام باصلاح حال الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والفاقرين وبالنفقة منه على العاملين على الزكاة والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وفي تحرير الرقاب إذا قام بكل هذه الشؤون في زمن أو بلد فليس ضروريا أن يكون كافيا كذلك في زمن آخر أو في بلدة أخرى . ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تمييز شيء من ذلك في كتابه تعالى . وغاية ما ذكر فيه الحث على إعطاء الزكاة وأنها تؤخذ من أصحاب الاموال وأن تعطى من ثمر النخل والزيتون والرمان يوم حصاده ولنا أن تقيس على ذلك أن زكاة الاموال تؤخذ سنويا من أربابها وذكر فيه أيضا مصارفها التي أشرنا اليها سابقا

وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (والكتاب والقياس) وأما السنة فما زاد منها عن الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه . وما فيها من الحكم الكثيرة تقبلها على العين والرأس . وكذلك أي حكم من أي مصدر آخر

﴿ كلمة في الصوم والحج ﴾

أما الصوم فجميع ما تفق على وجوبه المجتهدون هو واضح في القرآن وكذلك جميع أركان الحج وهنا يناسب أن أذكر شيئا عن تقبيل الحجر الاسود وما على أعداء الاسلام فأقول

هذا الحجر موضوع في أحد أركان الكعبة وأصله تلامذة وضعا ابراهيم عليه السلام ليصرف به الركن الذي يتبدأ منه بالطواف والظاهر أنه قطعة أخذها ابراهيم من جبل هناك يسمى أباقيس كما يستخلص من هذه الرواية (إن الله استودع الحجر أباقيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له فلما انتهى ابراهيم لمحل الحجر نادى أبو قيس ابراهيم فجاه فخر عنه فجاه في البيت) فهذه الرواية على ما فيها من الاوهام وكذا غيرها يدلنا على ما أخذ هذا الحجر وتاريخه . وقد شوهد أن النبي قبل هذا الحجر وكذا الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لأنهما ليسا على قواعد ابراهيم . وهذا العمل هو ضرب

من ضرور العبادة والتذلل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعا لله وانكسارا مع العلم بأن الحجر والارض لا قيمة لهما بالمرّة ولولا سقوط منزلتهما لما كان هناك تعبد في وضع الوجه عليهما . ولم يأت معنى التعبد إلا لوضع أشرف عضو في الانسان على هذين الشئتين الحقيرين تعظيما لله كمن يقبل أعتاب الملوك أو ذيل ثيابهم ولذلك قال عمر رضي الله عنه (والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) ومع كل ذلك فليس التقبيل ركنا من أركان الحج ولم يقل أحد بوجوده ولم يرد للحجر الأسود ذكر في القرآن الشريف مطلقا ولا لبئر زمزم ولا للشرب منها فلندع ما يهذي به الاغبياء الجاهلون من الطاعنين في الاسلام

بقي علي لا يفاء موضوعنا حقه أن أتكم على مسألتين أخريين لورود نبي كثير عنهما في السنة وعدم ورود نبي في الكتاب

(المسألة الاولى - قتل المرتد) إنه لم يرد أمر بذلك في القرآن فلا يجوز لنا قتله لمجرد الارتداد بل الانسان حر في أن يعتقد ماشاء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما ما حصل من ذلك في صدر الاسلام فقد كان لضعف المسلمين وقلة عددهم بالنسبة لاعدائهم والخوف من افشاء أسرارهم وإعانة العدو عليهم وتمكينه منهم وتشكيك ضعاف المسلمين في دينهم أو لأن المرتد كان ممن آذاهم وأبيح لهم دمه فلما تظاهر بالاسلام كفوا أيديهم عنه ثم لما عاد عادوا اليه فهذه أسباب قتل المرتد في العصر الاول . أما الآن فان وجدت ظروف مثل تلك وحصل مثل ما كان يحصل جاز لنا قتله لانه صار ممن حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد . قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية

وأما قتل المرتد لمجرد ترك العقيدة فهذا مما يخالف القرآن الشريف (لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) وورد في الحديث ما معناه « اذاروي لكم عن حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه »

(المسألة الثانية - رجم الزاني المحصن) حد الزاني في القرآن الجلد . وقد أنكر بعض المعتزلة الرجم وكذا جميع الخوارج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فان أتيتن بما حشة فعلنن نهي ما على المحصنات من العذاب) أي ان الامة اذا زنت بعد الاحصان تعاقب بنصف

عقاب المحصنة من الحرائر أي تجلد خمسين جلدة . فقالوا لو كان عقاب المحصنات الرجم لكان حد الاماء نصف الرجم والرجم لا نصف له . ثم ان القرآن تكلم عن الزنا وحده وعن رمي المحصنات به وعقوبته وعن اللعان وكل ذلك بامضاح تام فلو كان الرجم واجباله كره الله تعالى في القرآن فهذه حجة هؤلاء القوم . والذي نقوله نحن ان الامام اذا وجد ان الامة قاسية غليظة القلوب منتشرة فيها النسق والفجور ولا يردعهم الجلد ولا يؤثر فيهم خشوتهم وشدتهم وخاف على الامة الضعف والانحلال والفساد جازله والحالة هذه ان يقرر الرجم عقوبة للزنا وان يعتبر من اقدم عليه وهو محصن مفسدا في الارض عاصيا لله محاربا له ولدينه عملا بالآية السابقة . وعذر من لم يكن محصنا . او ان تكرر منه الذنب ولم يردعه الجلد جازا الامام ان يقدر الرجم على غير المحصن ايضا بعد عدد مخصوص من وقوعه في الاثم . والخلاصة ان المسألة تركت ليتصرف فيها اولو الامر وليتشاوروا فيها فان كان الفساد في الامة قليلا ووردعها الجلد فيه وان كان المفسدون كثيرين ولا يباليون بالجلد ولا بالدين اوجبوا تقتيلهم .

وكذلك ترك القرآن كثيرا من الحدود واطلق الكلام في قطع يد السارق والظاهر منه ان القلع لا يجب لاول مرة بل يستتاب السارق فان تاب واصلح وايقضت يده . فهذه افكاري في هذه المواضع اعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وارجو ممن يعتقد اني في ضلال ان يرشدني إلى الحق والا كان عند الله آثما

الخاتمة ❦

إذا تقرر ذلك المذهب فما على المسلم الا ان يطالع كتاب الله تعالى مطالعة إمعان وتدقيق وعمل فكل وان يستتج جميع ما يجب عليه في دينه ودينه من اعتقادات وعبادات وأخلاق ومعاملات فان في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسعادة الدنيا والآخرة ومن اقتصر عليه علم سخافة من عاب الاسلام بأشياء ألصقت به وليست منه . فاللهم اهدنا بكتابك . وافهمنا من أسرارك . واقبح أعيننا وأنر بصائرنا . انك هادي الضالين مرشد الخائرين آمين . اه

(المنار) قد سبق الكاتب الى هذا الموضوع غير واحد من المسلمين الباحثين من أشهرهم مهريز باقر الشهر الذي كان تنصر وصار داعية لمذهب البروتستانت ثم عني بدراسة مآثر مذهب النصرانية ومذهب اليهود ثم عاد الى الاسلام باجتهد جديد، ودعا اليه في انكساراً بغيرة وعزم شديد، وقد ذكرني الكاتب في هذا الموضوع مرارا وكذلك يفيقه الدكتور عبده افندي ابراهيم فأشرت عليه بعد البحث في كثير

من جزئياته ان يكتب ما يراه لمرضه في المنار على العلماء والباحثين فننظر ماذا يقولون ثم نقفي عليه بما تقدمه فنحن ندعو علماء الأزهر وغيرهم لبيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ودفع ما عرض دونه من الشبهات فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلاسفة اليونانية او شدوذ الفرق الاسلامية التي اقترضت منهاها وانما تكون باقتناع المطلعين من أهله بحجة الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة وأهونها ما يمرض للمعتقدين المستمسكين ككاتب هذه المقالة فاني أعرفه سليم العقيدة مؤمنا بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤدبا للفریضة وانما كان إقناع مثله أهون على علماء الدين لأنه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره لاقتناعه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي

واني أعجل بأن أقول ان أظهر الشذوذ في كلامه ما قاله في مسألة الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم مبين للتزويل بقوله وفعله كما ثبت بنص القرآن وقد تواتر عنه ما يفيد القطع بأن الصلاة المفروضة هي ما يهده جميع المسلمين اليوم فرضا والكاتب لم يستغن عن السنة في بيان دعواه ان الفريضة ركعتان وغير ذلك ولا اطيل في المسألة الآن وانما ذكرتها لثلاث تعلق شبهتها بأذهان بعض القراء فيطول عليهم العهد بالجواب عنها ومنفصل القول في الموضوع بمد أن ننظر ما يكتبه العلماء من بيان ما يجب عليهم او السكوت عنه ونحب أن يكون معظم ما يكتب في أصل المسألة لاني الامثلة التي أوردها والله الموفق

الرد على الشيخ نجيت

رعب الينا ثلاثة قرآن نكف عن الرد على الشيخ نجيت أحدهم صديق لنا في القاهرة يرى ان كل ما يكتب في المنار أنفع من هذا الرد فينبغي اختيار الانفع وتقديمه على مادونه والثاني أحمد أفندي وجدي أحد طلاب مدرسة الحقوق كتب الينا من السويس كتابا أتني فيه على المنار وذكروا من فائده ما ذكر ورأى ان هذا الرد من المسائل الشخصية التي لا تليق به ولا ترتاب في اخلاص هذين الناشرين والثالث مجهول أرسل الينا رقيا من الإسكندرية كله سباب وشائم وحكم علي قلبنا وسريرتنا ومما قاله ان الشيخ نجيت اعترف في رسالته الثانية بأنها خطأ ولكنه أعان يداري خطأه ويعوهه فما كان يجوز به هذا ان نمرد الي

بيان فضيحتة أو ما هذا معناه ولو لا هذا المعنى لم نذكر هذا الكاتب الجبان السباب فبيد الجواب عن هذه الكلمة وان لم يستحق كاتبها جواباً فنقول لو أن الشيخ نجيت اعترف بخطئه في قوله ان خليفة المسلمين يجوز ان يكون كافراً وان حديث ابن ماجه الذي احتج به لا يحتج به لان سنده لا يصح ومنتها لا يدل على ما قاله في رسالة السكورتاه لكفنا عن الرد عليه وإن بزنا باللقاب الجهل والحسد و فانتالسننا من ينتصر لنفسه دون الحق وقد سبنا كثير من السفهاء في الجرائد وسعى كثير من المفسدين في ايذائنا ولم يقل في أحد منهم كلمة سوءاً اتصارا أو اتقماماً وقد هضم أناس حقوقنا المضمونه واكل آخرون مالنا بالباطل فلم نقل في أحد منهم كلمة ولكننا قد اتقنا غير مرة على اصداقنا وفي هذا الجزء وما قبله شيء من ذلك

وفي مقابلة هؤلاء الثلاثة ترى كثيرين من أهل الأزهرو غيرهم من أهل الرأي والفضل قد استحسنوا هذا الرد وعدوه من أفضل طرق الإصلاح وخدمة العلم في زمان كثرفيه التهجم على التأليف واعادت الجرائد مدح كل تصنيف لاسيما اذا كان لصاحبه حظ من الشهرة وكفل من الجاه وفي ذلك من الغش للامة ما فيه وما زال المشتغلون بالعلم يرد بعضهم على بعض ونحن الآن أحوج الى هذا منا في الزمن الماضي لما في نشر المصنفات الضارة بالطبع من عموم الضرر والافساد

تعود الناس عندنا قراءة رد بعض الجرائد على بعض في مسائل السياسة والأخبار ولا يرون مجرد الرد دليلاً على العداوة والشخصية ولم يعودوا مثل هذا في مسائل العلم والدين وان كان ضرر الخطأ في هذا أشد لذلك توهم بعض الناس ان بيننا وبين الشيخ نجيت عداوة لاسيما بعد نشر ما نشر في المؤيد فاسرع اليها بعض مبغضيه يذكرون لنا من السيئات ما لا نحب ان نسمعه ان صدقناهم فيه فكيف نرضى ان نذكره في المنار ومنه ما يتعلق بالمعاملات والمال وليس من شأن المنار الخوض في ذلك

نعم ان المنار لم ينشأ للبحث في الدين فقط كما نسمع تارة بعد تارة من المفتاتين علينا بأهوائهم ولكن باب الأخبار الذي فتح فيه من أول نشأته لا يدخل فيه الا ما كان فيه عبرة وموعظة للامة

فليعلم القاصي والداني أنه لا عداوة بيننا وبين الشيخ نجيت واتنا لنحب ان نسمع عنه شيئاً مكروهاً وأن ما يتفق لنا سماعه نطويه ولا ننشره الا أن يكون مما يؤيد حاجتنا في المسائل العلمية والدينية التي تناظره فيها اذ لا محاباة في العلم والدين هذا وقد سبق الي فهم صاحب المؤيد ان ما كتبناه في الجزء الماضي يشعر بأنه هو الذي

أخبرنا بأن الشيخ بختا هو الكاتب لما كان نشر في المؤيد بمضاء (ثابت بن منصور) فكتبنا اليه ميينين اننا لم نقصد ذلك وأن العبارة لا تدل عليه بل فيها ما يدل على ان ذلك كان مبروقا لغير واحد . وأزيد الآن أنه كان في المقالة التي نشرت يومئذ في المؤيد ردا على ثابت بن منصور إشارة الى أن الشيخ بختا هو الكاتب لها لا أزال اذكرها وهي : لو ان الشيخ ثابت بن منصور ركب مركبة لتنقله من الخرنقش الى الازهر وكان سائقها لا يعرف جغرافية القاهرة فسار به الى جهة باب الحديد ما كان يفوته الدرس : او ما هذا معناه فذكر خروجه من الخرنقش كان إشارة من الكاتب الى ان ثابت بن منصور هو الشيخ بخت . واننا نعرف كثيرين كانوا يعلمون ذلك ومنهم بعض اساتذة المدارس الاميرية كان المقصود من كتابي الى المؤيد ان أبرأ من اتهام صاحبه بأنه هو الذي اخبرني بأن ثابت ابن منصور هو الشيخ بخت وليس فيه كلمة تشعر بانتقاد الشيخ بخت وانظر ما كتبه هو الى المؤيد فاننا ننشره لمافيه من العبرة في اللفظ والفحوى وكثرة الادب وقلة الدعوى ، ولفائدة تذكريه وهو

﴿ بيان حقيقة ﴾

صاحب المؤيد الاغر سمادتلو أفندم حضر تلمي
ومد فاني أرجو نشر ما يلي بجرادة المؤيد اظهارا للحقيقة ودحضا لما افترى به
علينا ونشرتموه بها
قد رأيت بمددي ٤٩٥٦ و٤٩٥٧ من جريدة المؤيد ان صاحب مجلة
المنار قد ادعى اني كتبت رسالة لجريدة المؤيد ونشرت بها سابقا تحت امضاء
(ثابت بن منصور)

وحيث أن هذه الدعوى باطلة عاطلة وتضاف الى غيرها من دعاويه علينا
وعلى غيرنا ولا يستطيع أن يأتي بواحد يزعم اني خبرته بأن كاتب الرسالة
المدكورة ولا أن يقيم حجة ولو أوهى من بيت العنكبوت على ذلك
وحيث أنه يجوز أن يكون المبتضين اليها قد افترى ذلك علينا ليثبوه وجه
الحقيقة الساطع يردون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأنى الله الا أن يتم نوره
ويمكن المؤيد أن تراجع الحقيقة ليعلم اني لم أكتب له هذه الرسالة كما أنه
لم يسبق لي اني كتبت المؤيد ولا غيره من الجرائد في شيء ما أصلا فقد جئت

الى جريدتكم الغراء بهذه السطور الوجيزة لنشرها بها دحضا لتلك المقريات . ولو اني
كتبت أو اكتب الى جريدة لكتبت باضائي وحاشا أن اكتب بامضاء مجهول مستعار
فاني ممن يعتقد أن التجميل جهالة لا يرضاها لنفسه عاقل ولا يقدم عليها الا خائف أو جاهل
ولكن الدعاوي المختلفة على الناس قد عمت بها البلوى سلفا وخلفا حتى قال الشاعر قديما

لي حيلة فيمن يتم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة

وقفنا الله للصدق في القول والاخلاص في العمل ووقانا شر الخطأ والخطل فانه سبحانه

كتبه محمد بن نخت المطيعي

بيده العصاة وعمام المنه والنعمة

الحنفي بالازهر

(المنار) كنت أنفي لو يعلم الشيخ بنخت موقع كتابته هذه عند أهل الفهم
والمعرفة بالكتابة وما ذا قالوا في نقد بعض المترجمات والاسلوب الذي اكتسبه
من المحاكاة ولكنهم لم يهتدوا الى متعلق «وحيث وحيث» في كلامه . ونقول اذا
كان الشيخ نفسه يجوز أن يكون بعض المنفذين له أو (اليه) قد افترى عليه ذلك
وأخبرنا وصدقناه فلماذا جزم باننا نحن الذين افترينا عليه هذه الفرقة
هذا مالا ينبغي ان نطيل فيه وأهم ما أقصد بنشر رسالته هذه بيان أنها تدل
على رجوعه عما كان يقوله في دروسه ومجالسه في شأن الكتابة في الجرائد فقد بلغنا
من طرق كثيرة أنه يقول بأن الكتابة في الجرائد محرمة لأن الجرائد عرضة للاهانة
واهانة ما يكتب فيها محرم لاسيما اذا كان فيه اسم من أسماء الله تعالى أو أسماء
أنبيائه وملائكته أو شيء من القرآن أو الاحاديث . وها نحن أولاء نراه كتب
في جريدة كتابة مشتملة مع اسم الله تعالى على شيء من كتابه العزيز . فإن كان
ينكر أنه قال بتحريم الكتابة في الجرائد حتى فيما هو دفاع عن الاسلام وتأيد
له كالرد على هانوتو (مثلا) فاننا نسلم له انكاره وحسب الناقلين ذلك عنه أن
يعرفوا أيهما الصادق كما عرف الناقلون عنه أنه هو الذي كتب بامضاء ثابت بن
منصور أيهما الصادق . وان ادعى ان رأيه واعتقاده قد تغير فاننا نسلم ذلك ونشكره له .
هذا وقد ضاق هذا الجزء عن بقية الرد عليه في مسألة الامامة وموعدها بالاجزاء الآتية

﴿ رأي في اللغة العربية . وأغلاط الكتاب ﴾

وعدنا في الجزء الماضي ان نبين شيئا مما خالف القياس فيه جبرأفندي ضومط
تساهلا في القياس وحبا في سمته لاجهلا ولا ضعفا في اللغة وفنونها وانا نقول قبل
ان نورد ما لامندوحة لنا عن ايراده ان مثل هذه المخالفة والخطأ مما نراه في كلام
جميع كتاب المصير الذي نطلع عليه ولا أستثني النقادين الذين بذلوا جل عنايتهم في
في التحرير والتصحيح وانا أقرّ بانني كثيرا ما أراجع بعض مباحث المنار السابقة
فأجد فيها من الغلط ما أعلم ان علته السهو العارض أو الجهل السابق لامجرد تهمريف
الطبع واكثر ما يقع لنا من ذلك استعمال كلمة عامية أو جمع غير قياسي أو تعدية فعل
بما لم تعد به العرب ونحو ذلك مما يكثر في الجرائد والمطبوعات المصرية ونقرأه
كل يوم فيعلق منه باذهاننا ما يعلق على انتقادنا له فيسبق الى أقلامنا . أعتذر
بهذا عن نفسي وعن غيري من العارفين باللغة وأنى لمثلي أن يسلم من مثل هذه الاغلاط
الفاشية وهو ممن يكتب المقال فيلقيه الى عمال المطبعة ورقة ورقة من غير ان يسد
اليه النظر أو يقرأ منه سطرًا ابتغاء التصحيح والتحرير وأما تصحيح الطبع فانه
يشغل صاحبه عن كل ما عداه حتى لا يكاد المصحح يفهم ما يقرأ كأن قوة ذهنه
كلها توجهت الى النظر في صور الكلام ومحاوله تطبيقها على الاصل الذي طبع المثال
الذي يراد تصحيحه عنه

أقول اني لم أسلم من الغلط ولم أر أحدا من كتاب المصير سلم منه ولكن
أصحاب الملكات القوية والاطلاع الواسع في اللغة يقل غلظهم جدا حتى ان العالم
النقاد ليقرأ لاحد من عدة فصول لا يجد فيها غلطة وهو لاء قليلون في كتابنا اليوم
وأكثر منهم من لا تقرأ لاحد من بضعة أسطر الا ويعثر ذهناك بغلطة ويرتباك فهناك عند
جملة ولا أرى من الصواب اضاءة الوقت في الانتقاد على هؤلاء ولكن الانتقاد على هفوات
الكتاب البارعين والعلماء الراسخين ، وعلى المتوسطين بينهم وبين أولئك المتطولين ،
هو الذي يحمي اللغة ويرقي بها الى أعلى عليين ، وإعلاء شأن اللغة واجب في نفسه
لا ينسخه وجوب انتقاد المصنفات من جهة موضوعها ومسائلها فاذا قام بهذا قوم
وبهذا آخرون رجي لنا ان نرتقي في العلوم وفي اللغة التي تؤدي بها العلوم ولكن جبر

أفندي لا يحفل بانتقاد اللغة بل يكتفي بأن يكون ما يكتب مما يفهمه القارى وإن مزج بالانفاظ العامية التي ليست من اللغة وبالاغلاط النحوية وأبق من أساليب العرب وهذا هو ما انتقده عليه وتقول أنه يجب على كل كاتب أن ينبع أئمة اللغة وفنونها فيما قرره فلا يقيس على السماعي ولا يخرج في القياس عن حدوده ولا يدخل الكلمات العامية المحضنة في كتابه ولا بأس بغير المحضنة وهو ما كان عربي الاصل وهو أكثر كلامهم على تحريف فيه يسهل نصحيحه. ذلك ان التسهل وترك الامر فوضى للكاتبين بدعوى العناية بالمعاني مما يفسد اللغة بما يجرى الجهلاء والضمفاء على التأليف مع كثرة غلطهم ودخيلهم ويثني همة غيرهم عن التحصيل والاتقان

يرى جبر أفندي ضومط ان هذا التسهل ما يحتاج اليه ونحن نمنع ذلك على اطلاقه كما علم من الجزء الماضي وانما تريد ايراد بعض ما وقع له من الخطأ وإن كان لا يكاد يسلم منه أحد منا لتبين انه لا حاجة اليه فيقال ينبغي أن نجيزه للحاجة وإن في الصواب الذي لا نزاع فيه مندوحة عنه وليعلم الذين ينتقدون بعض عباراته في كتبه ان جل ما يرونه فيها خطأ براه هو صوابا فهو لم يأته عن جهل (حاشاه من ذلك) فلا أريد بما أورده من الامثلة تحرير مسائلها والجزم بانه لا يمكن تأويل شيء منها ان أريد الا أنه خالف القياس المعروف لمحض التسهل من غير حاجة اليه

أول ما خطر في بالي مما انتقد عليه في كتبه قاعدته التي بنى عليها كتاب فلسفة البلاغة وهي على ما ذكر (الاقتصاد على فهم السامع) فالإقتصاد لا يتعدى بعلي والمعنى المراد من القاعدة لا يفهم منها بذاتها بل بما شرحها به ولو قال التوفير بدل الاقتصاد لكانت العبارة صحيحة اذ يقال وفر عليه وان لم تخل من توسع في افادة المعنى المراد هو بما يعهد في المواضع بل لو قال (القصص في كد ذهن السامع) لم له ما أراد ولم يعد الفعل بما لا يتعدى اليه في لغة العرب فكل عالم باللغة يفهم هذه العبارة لاول وهلة من غير كد للذهن ولكن عبارته لا تكاد تفهم مع كد الذهن الا بعد الوقوف على ما فسرنا به فما لا خطأ

فيه هو الذي يتفق مع القاعدة ومثله من يعلم ان اقتصد لا يتعدى بعلى ولكنه التساهل الذي اتخذته مذهبا

ومن مخالفة القياس في مقالته (انتقاد فتاة مصر) قوله (كما في ص ٥٤٥ من المقتطف) : والتقمح فيها على الخراب : لا يقال في اللغة تقمح عليه كما يقال هجم عليه وإنما قالوا تقمح الفرس بصاحبه اذا ند به فلم يضبط رأسه واذا ألقاه راكبه فكان ينبغي ان يقول : وتقمحا أو تقمحا بنا في الخراب :

ومنها قوله في ابتداء كلام (أولا الانتقاد النحوي) ثم قوله (ثانيا الانتقاد البياني) الخ وهو يكثر من مثل هذا في كتبه تساهلا في مجازاة كتاب الجرائد وأمثالهم وهذا غير معهود في الكلام العربي الصحيح أو الفصيح ولا يمكن اعرابه الا بتكلف لا حاجة اليه اكان الاستغناء عنه بقولنا (الاول كذا . الثاني كذا) وقد استعمله في اثناء الكلام كما يستعملونه ومنه قوله (في ص ٥٤٥) وفيه مثال آخر : وانها أجدر كتاب لحد الآن يحسن بنا أن نضمه بين أيدي شباننا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولا لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير : الخ واتي أجزم بانه لولا رأيه الذي ذكرت لما سقط من قلبه مثل هذه الجملة التي لا تكاد تنطبق على قاعده فيما أرى ولا أظن ان العالم بالعربية في الهند وبنجاري وروسيا وتركيا يفهمها كما يفهمها من ألف هذا الاسلوب واعتاد قراءة مثله من سوري ومصري

ومنها ابتداءه الكلام بالعطف كقوله « واكثر كتابنا » وادخال قد على الفعل المنفي كقوله : قد لا يعد ، قد لا يعقل ، قد لا تخلو ، وكان يمكنه ان يستغني عن الواو ويستبدل ربما بقدر لا فادة التقليل ولكنه يكتبني باستعمال الناس مجوزا وقد استعمل المناطقة قد مع النفي في القضايا الشرطية السالبة وهو يحتاج بمن دونهم في الاستعمال كابن الفارض وابن عابدين

ومن المفردات قوله (في ص ٥٤٧) « صفيح الاحرف » وكلمة صفيح لم يتفق عليها عمال المطابع فنقول انه اتبع الصرف وان كان عاميا ولا هي من الكلمات التي لا يوجد في العربية ما يعني عنها اذ يمكن ان يقال مرتب الحروف أو جامع الحروف - وعامة المصريين يقولون جميع ومنهم من يكتبها جمع بصيغة المبالغة -

ومنها قوله (في ص ٥٥٢) « مقاسة » والصواب مقيسة ولعل هذا من السهو أو غلط الطبع ومثله قوله (ص ٥٥٤) بصوغ بالصاد وأما الالفاظ التي صححها وتمحل لجعلها قياسية فإلحاحا إلى استعمال تكاتفوا منها مع كثرة ماورد في معناها وقوله في تعليل قياسها على تظاهروا : إن وضع الـكـتـف للـكـتـف في التـعـاون أقرب للفهم لأنه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر : فيه نظر إذ لا نسلم أن معنى تظاهروا في الاصل وضع كل ظهره إلى ظهر الآخر والاظهر أن معناه كان كل منهم ظهيرا للآخر أي معينا والظهير المعين والقوي الظهر ولعل هذا هو الاصل ولما كان قوي الظهر من الابل والدواب مما يعتمد عليه في الإعانة سمي المعين ظهيرا . ويجوز أن يكون من المظاهرة بين الثوبين ونحوها أي المطابقة بينهما لأن المتظاهرين يكونان كشيء واحد أو هو من حماية الظهر وهو معهود عندهم فعاونك يمنع عنك من ورائك وانت تمنع عنه من الامام من حيث يمنع كل منكما عن نفسه وهذا نحو جعله من وضع الظهر للظهر ولكنه أظهر في التعاون . ومن ماشاك كتفا إلى كتف لا يفهم من ماشاته لك أنه يمنع عنك وعاونك كما يفهم مما تقدم .

وما قاله أيضا في تصحيح استعمال لفظ العائلة بمعنى الأكل أو العشيبة غير ظاهر فإن العاقلة وصف لمحدوف معروف أي الجماعة التي تعقل ابل الدينة عن القاتل من عشيرتها فإذا كانت العائلة من عال عياله بمعنى كفاهم معاشهم ومأثمهم يكون معنى الكلمة : الجماعة العائلة أي المنفقة : وإنما المنفق هنا واحد وهو العائل والمنفق عليهم هم الجماعة أي العبال ومثل هذا يقال في تعليله الآخر ولو قيل أن الكلمة محرفة عن العاقلة بابدال القاف همزة كدأب الموالم يكن بعيدا

هذا ما يأتي به التساهل وهو إذا كان سهلا في نفسه ويمكن تأويل بعضه فهو عظيم من عالم يعد من أوسع علماء اللغة اطلاعا في هذا العصر فإذا نقول في كتابة جماهير المعاصرين الذين لا نكاد نفهم كلامهم لولا معرفتنا باللغة العامية على أن منه ما لا يفهم منه الغرض الجميل إلا بمعونة القرائن . فإذا كان صديقنا يحصل المياري في جيد الكتابة ورويتها فهم القاري . فملبه ان لا ينسى ان العبرة

بالقارىء العارف بالعربية الصحيحة المدونة المقروءة دون العامية التي تختلف باختلاف البلاد. فاذا كان فهم المصري لا يقف في فهم قول بعض الكتاب في بعض الصحف « المرأة التي عندها أطول شعر من غيرها » فإن فهم الحجازي والنجدى والعراقي وكذا الاناطولي والقوقاسي ونحوهما من الاعاجم الذين تعلموا اللغة من الكتب لا يدرك المراد منه مهما كد ذهنه ولعل أقرب ما يخطر لامثال هؤلاء بعد طول التأمل ان معنى الجملة « المرأة التي يوجد عندها في الدار مثلاً أطول شعر هو من شعور غيرها لا من شعرها هي » وإنما أراد الكاتب أن يقول « أطول النساء شعراً » فمن تأمل هذا جزم بأنه لا يجوز لنا ان نخالف القواعد والنقل في اللغة - مفرداتها وجملها وأساليبها - الا لضرورة يقدرها علماء هذا الشأن بقدرها . واذني أميل الى مخالفة المتقدمين في بعض ما قالوا انه سامعي ولكنني لأجيز لنفسى الانفراد بذلك واستعماله لغير ضرورة حتى يوفق الله علماء هذه اللغة لتأليف جمعية تهض بهذا العمل وعسى أن يكون ذلك قريباً

— ❦ كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم ❦ —

ألف الدكتور مرجليوث لانكليزي المستشرق كتاباً بلغته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في مقدمته انه يعد النبي محمداً من أعظم الرجال وأنه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب وانه يجله وبؤدي له ما يستحقه من التظيم والتبجيل ولا يقصد بتأليف كتابه الدفاع عنه ولا ادانته كما فعل غيره من كتاب المسلمين أو النصارى فليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تبييحه والطعن فيه . ومن علم ان هذا المؤلف عرف اللغة العربية معرفة قلما يساويه أحد من الفرنج فيها واطلع على كثير من كتب المسلمين يظن ان فهمه للاسلام وتاريخه أدق من أفهامهم فهو أجدر بالقدرة على بيان الحقيقة ولكن قراءة بعض ما كتب تكفي للذهاب بهذا الظن

يحول بين الافرنج وفهم الاسلام وتاريخه أمور اذا سلم بعضهم من بعضها فيندر ان يسلم منها كلها أحد (منها) تأثير ما نربوا عليه ونشئوا فيه من كراهة

الاسلام واحتقار المسلمين تعصبا لدينهم . ومن ختم على شعوره ووجدانه من أول نشأته بخاتم نعر عليه فضه فان هو فضه نعر عليه محو أثره وان هو نزع ربة التقليد ، وأوى الى ركن الاستقلال الشديد ، وناهيك اذا كانت حياته الاستقلالية .
توئيد ذلك الشيء : مصلحة سياسية ، وهذا هو الامر الثاني وبيانه أن حرص الأوربيين على الفتوح والتغلب وشرهم في الكسب من الشرق وماتكن صدورهم من الضغن والحقد على جيرانهم من أهله كل ذلك مما يصرف أبصارهم عن محاسن الاسلام حتى لا يكاد يقع بها الا على ما يمكن انتقاده ، الا أهل الانصاف الكامل الذين انسلخوا من تأثير التقاليد والسياسة ووجهوا ككل عنايتهم الى معرفة الحقائق وقليل ما هم

(ومنها) وهو الامر الثالث سوء حال المسلمين في هذه القرون التي ارتفع فيها شأن أوروبا في السياسة والعلم وال عمران فقد أمسى المسلمون حجة على أنفسهم وعلى دينهم كما بينا ذلك مراراً

(ومنها) ما تعودوه من الجراءة على الحكم في المسائل التاريخية وكل ما هو غير محسوس بالقرائن الضعيفة واستنباط الامر الكلي من أمر جزئي واحد واختراع العالل والاسباب للحوادث بمجرد الرأي والتحكم (ومنها) عدم اتقانهم لفهم اللغة العربية وفنونها اللغوية والشرعية لانهم لا يتلقون كل فن عن الاساتذة الماهرين فيه . وقد ينبغ المحصل لبعض العلوم باجتهاده دون التلقي عن الاساتذة المهرة حتى يبرز على كثير ممن تلقى ذلك العلم ويظهر فضله عليهم ثم هو يخطئ فيما لا يخطئ فيه من هو دونه في التحصيل من أهل التلقي . وقد سمعت رجلاً من أعلم المستشرقين بالمربية وأدقهم فيها لها يقول ان المسلمون يقدمون الحديث على القرآن فانكرت عليه ذلك فاحتج بكلام علي لابن عباس (رضي الله عنهما) لما بعثه للاحتجاج على الخوارج وهو : لانخاصهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا : اه فقلت له ليس المراد بالسنة هنا ما اصطاح عليه المحدثون والفقهاء وانما المراد بالسنة الطريقة التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العمل فهذه هي التي لا محيص

عنها لانها لا تحتتمل التأويل ولا القال والقييل وأما الاحاديث القونية فان التأويل ينال منها كما ينال من القرآن أو يكون أشد نيلا ومن ذلك تأويل عمرو بن العاص الحديث الناطق بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية بقوله : انما قتله من أخرجه ؛ يعني عليا فقال علي اذا ما قتل حمزة الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه هو الذي أخرجه . ولم نعلم أن أحدا من المسلمين قويمهم وضعيفهم متبعهم ومبتدعهم فهم من كلمة علي كرم الله وجهه ما فهم هذا العالم المستشرق

وجملة القول ان المنصف من الأوربيين يعسر عليه ان يفهم الاسلام حق فهمه بمجرد الوقوف على فنون العربية والاطلاع على كتبها فإياك بغير المنصف وغير المتقن . وسرى فيما انتقده على الدكتور مرجليوث أن السبب في أكثر غلطه وخطاه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجزئي وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الاقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة والافهم من أعلمهم ومحبي الاعتدال فيهم واننا نبداً بنحير قوله وأقربه من الصواب

ذكرنا ما قال في مقدمة الكتاب من أنه بعد النبي محمداً من أعظم الرجال الخ وما عده له من المآثر غير تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب أمران عظيمان أحدهما وجوب حسم المسائل التي تتعلق بسفك الدماء بغير الحرب والثاني أنه اذا ثارت الحرب يجب الحصول بسرعة على النتيجة لأن تعاد الحرب وتتكرر بدون جدوى (راجع ص ٥٥) منه

ومما اعترف به ان النبي كان صادق الكره للشعر والسجع قال ولعل السبب في ذلك أنه لم يتعلمها ولم يكن للعرب من أساليب الانشاء سواهما : قال هذا في ص ٦٠ وفيه رد على ما نقله في ص ٥٥ عن مايور في قوله ان أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان في التعبير وأنه ان صح ذلك فلا يبعد ان النبي مارس هذا الفن حتى نبغ فيه : أقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم عني بذلك أو مارسه لعرف ذلك عنه ولظهر أثره في لسانه في سن الشباب ولكن لم ينقل عنه قبل النبوة شيء من ذلك قط ولم يكن يوصف بالفصاحة

والبلاغة بل كانت يوصف بالصدق والامانة وأحسن الاخلاق فقول المؤلف هو الصواب

وما خلط فيه الثناء بالانتقاد قوله (في ص ٦٣) ان النبي بين لقومه بيانا مؤكدا ان الكسوف والخسوف لا يكونان لأجل امرئٍ مهما علا قدره ولكنه مع ذلك عدما أمرا ذا بال وأنشأ لها صلاة مخصوصة : ونقول ان في بيانه هذا منقبة غير مجرد بيان الحقيقة وتطهير العقول من الوهم وهي أنه لم يرض ان يعظم شأنه بالباطل فقد قال ذلك يوم مات ولده ابراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فظن الناس انها كسفت لأجل موته فأخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آياتان من آيات الله أي من دلائل حكمته وقدرته كما بين ذلك في آيات من كتابه كقوله (٣: ٥٥ الشمس والقمر بحسبان) وأنهما لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والحديث في البخاري وغيره . وأما أمره بذكر الله والصلاة عند الخسوف والكسوف فذاك لان أهم أغراض الدين التذكير بقدرته الله تعالى وحكمته وتوجيه القلوب اليه بالشكر والدعاء وتأثر القلوب بذلك عند حدوث مظاهر القدرة والحكمة والنظام أقوى وأكمل ولذلك كانت مواقيت الصلوات الخمس متعلقة بما يحدث من التغير في الطبيعة كل يوم وليلة كطالع الفجر وزوال الشمس وميلها وغروبها وزوال أثر ضوءها بمغيب الشفق . ولذلك شرع الذكر والدعاء ايضا عند نزول المطر فالدين يرشد الناس الى ذكر الله تعالى عند كل حادث يذكر بقدرته وحكمته كيلا ينسوه فتقلب عليهم حيواتهم فيفتنهم بعضهم بعضا

ومما اعترف به من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحرار في تعليقه على اتساع دائرة التعليل عنده كما ستعلم ما قاله في ص ٦٣ ايضا وهو : انه كان له وسائل لمعرفة الاسرار نهج عن ادراك حقيقتها وان الطبيعة دون الخنكة أعطته موهبة يحسد عليها ألا وهي معرفة طبائع البشر فقلما أخطأ في معرفة أحد بل لم يخطئ قط : ونحن نقول ان اله الطبيعة هو الذي فضله بذلك ليستعين به على هداية البشر وقد كان ذلك وما النبوة الا تخصيص الهى غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور فما هذه الحيرة في التعليل ، والانقطاع في وسط السبيل

ومما حار في تعليقه وهو من هذا القبيل سبب شروع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة فقد قال (في ص ٧٢) : يستفاد من تاريخ اشهر الرجال أن بدأهم بالأعمال العظيمة كان لأسباب معروفة تدعو الى ذلك أما النبي فلا يعلم سبب لبدئه في دعوى الرسالة: ونقول لو كان هذا الامر من قبيل تأسيس الممالك لكان يستحيل أن يقدم عليه العاقل من غير أسباب طبيعية تفيده اليقين أو الظن بالنجاح ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الامر العام العظيم الذي هو أكبر من تأسيس مملكة من غير أسباب طبيعية تمهد له النجاح ككثرة المال والمواطأة مع الزعماء والاعوان وسائر أسباب القوة ولا عجب في ذلك فانه كان معتمدا على خالق الاسباب والمسببات ، وفاطر الارض والسموات ، الذي أمره بالدعوة والتذكير ، على أنه هو الولي له والنصير ،

وقال (في ص ٧٤) : ان عظمة النبي كانت في أمرين أحدهما معرفة ان الأمة العربية تحتاج الى نبي وثانيهما جعل هذه المعرفة ذات أثر : ونقول ان أص النبوته لم يكن يمثل هذا العمل والتدبير والعمل والتدبير اذ لو كان كذلك لكان الاعتماد فيه على الاسباب الطبيعية وقد تقدم آنفا انه لم يكن هناك أسباب اذ لو كانت لعرفت لان الاسباب التي تأتي بأعظم المسببات لا تخفى

وقال في (ص ٨٠) سو الان لا يمكن الاجابة عنهما (الاول) كيف أتت فكرة النبوة لمحمد (ص) ذلك الرجل العربي دون سواه (الثاني) كيف صادفت فيه من الصبر والعزيمة وقوة العارضة ما محقت به ؟ ولكن نقول كما كان يقول كارليل من أيام « تيوبال كين » كان الماء يصل الى درجة الغليان وكان الحديد موجودا ولم يوجد من تلك الربوات من الناس من مخترع الآلات البخارية : ونقول نحن انه ذهل عن الفرق العظيم بين اختراع الآلات البخارية وبين النبوة فان أول من لاحظ أن البخار الماء قوة يكن استخدامها للرفع والدفع مثلا لم يهتد الى استخدامها في تسيير المراكب البحرية والبحرية ونحو ذلك وإنما وصل الناس الى هذه الغاية بتدرج بطيء يبي في اللاحقون على ما وضع السابقون والنبي ادعي النبوة وجاء بالشريعة فقررها بالكتاب والعمل وجذب الناس فم له تكوين دين

وشريعة وأمة أحدثت بهدايته دولة قوية ومدينته راقية
وقال (في ص ١٤٤) ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كاحد أنبياء بني
اسرائيل : ونقول ان هذا ينافي ما زعم في غير موضع من أنه قام بهذا الامر عن
فكر وتدبير وانه كان يتعلم ويستفيد ويدعي ان ما استفاده من الناس وحي من الله
ومما أعياه تعليله فأحاله على الغيب ما تراه (في ص ٣٦٨) من قوله لا بدانه
كان للنبي (ص) وسائط سرية لمعرفة الاخبار بسرعة غريبة : يعلل بذلك ما كان
يقوله صلى الله عليه وسلم بالوحي والالهام ولو كان هناك وسائط لما خفيت عن
أولئك الاذكياء الذين كانوا معه وكان ذلك كافيا لانفضاضهم من حوله وعدم
بذل أرواحهم في سبيل دعوته

ومما مدح به وأثنى قوله في (ص ٤٥٨) ان النبي نهى عن التعذيب والتشليل
الذي لم تحرمه أور بالاحديثا : ونقول انها وان حرمتها في بلاده لان الامه قويت
على السلطة فيها فهي تبيحه أحيانا في غير بلادها فهي لم تتمكن من هذه الفضيلة تمام
التمكن . هذا جل ما أنصف فيه وسدد وقارب وسند كره نموذجاً من خطأه في تاريخ
الحوادث و بيان تعليلها وأسبابها

فَتَاوَى الْمَبْتَأِينَ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالباً وورما قدمنا متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وورما أجبنا فقير مشترك لثقل هذا . ولان
يخصي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لانغفاله

﴿ اسئلة من أحد علماء تونس عمت بها البلوى ﴾

(بيع الدين بالنقد والاراق المالية)

(ص ٢٧) هل يجوز بيع الدين الى بعض البنوك او غيرها بأحد النقدين

أو بالأوراق المالية

(ج) لا أعرف نصاً في الكتاب أو السنة يمنع ذلك وهو في القياس أشبه

بالحوالة منه ببيع النقد بالنقد فان المراد من هذه المعاملة ان يقتضي المشتري ذلك الدين لأنه أقدر على اقتضائه وليس فيه من معنى الربا شيء ولكن صورته تشبه بعض صورته الخفية غير المحرمة في القرآن ولذلك يشدد فيه الفقهاء ولما احتاج الى ذلك أن يأخذ ما يأخذ من البنك أو غيره على أنه دين يحوله بقيمته على مدينه أو بأكثر منه ويجعل الزيادة أجرة أو ما شاء . وههنا مسألة يجب التنبيه لها وهي أن ما ورد في الشرع بشأن ما يصح من المعاملات المالية ونحوها وما لا يصح لا يراد به ان ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات وترك الفواحش وإنما المراد بذلك منع التظالم والتغابن بين الناس فكل معاملة لا ظلم فيها جائزة وما كان فيها ظلم فهي حرام إلا أن تكون برضى المغبون فمعنى صحة البيع ديانة أنه لا ظلم فيه بنحو غبن أو غش وحكمه النفاذ وعدم استقلال أحد المتبايعين بفسخه ومعنى بطلان البيع ان فيه ظلماً لأحد المتبايعين وحكمه ان لا ينفذ الا اذا رضي المظلوم فاذا أراد فسخه جاز له ذلك . مثال ذلك بيع حمل الحيوان مبيى عنه لأنه غرر فاذا اشترت ما في بطن الفرس باختيارك ورضائك فولدته ميتا ولم ترجع على البائع بالثمن بل سمحت به راضيا مختاراً ولولمواقفة العرف فان الله تعالى لا يعاقبه على أكله . هذا ما كنت أعتقد في مسائل المعاملات كما سبق القول في المنار ولم أكن رأيت فيه قولاً لاحد وقد رأيت اليوم نحوه لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى . ولا شك ان من يبيع دينه لا يكون ظالماً لاحد ولا آكل ماله بالباطل الذي ليس له مقابل وقد يكون تحريم ذلك عليه ظالماً له لان الغالب في سبب مثل هذا البيع عجز الدائن عن اقتضاء دينه بنفسه أو توقفه على نفقة كثيرة وكلاهما ضارٌّ به وهذا وان الدين قد يكون ممن عروض والامر فيه عند الفقهاء لاسيما اذا بيع بالاوراق المالية أهون والله أعلم

﴿الاوراق المالية نقود﴾

(س ٢٨) هل تعتبر الاوراق المالية التي تحملها الدولة كالمسكوكات في المعاملة نقداً أو عرضاً أو شيئاً آخر غيرها
(ج) الاوراق المالية المسماة (بنك نوت) هي من قبيل النقود المسكوكة وأكثرها تضمن بقيمتها المرقومة عليها ذهباً فمن ملك ورقة من ورق البنك الاهلي

في مصر مثلا كان كمن ملك مثل ما كتب على هذه الورقة ذهباً لان الحكومة ضامنة لها تأخذها في كل حين بتلك القيمة كما يأخذها كل من يعتد بتلك الحكومة من التجار وأصحاب المصارف (البنوك) وغيرهم والفقهاء يمدون هذا الورق كوثيقة الدين

(المحلى بأحد النقدين يعد من العروض)

(س ٢٩) هل يوجد في الشريعة السمحة ترخيص للتجار في مسألة المحلى بأحد النقدين فيعتبر كسائر العروض لكثرة تداوله ورواجه وصيرورته قسماً كبيراً من البضائع وعسر العمل فيما تقرر في الفقه بشأنه مع مزاحمة الاجانب (لنا في التجارة وانفraz روتنا اذا أبيع لهم ذلك ولم يبيع لنا)

(ج) المحلى بالذهب والفضة لا يعد ذهباً ولا فضة في الحقيقة ولا في العرف فهو من العروض بالضرورة وقد رخص بعض العلماء ببيع المحلى بنقد من جنسه مع التفاضل وهو أقرب الى الربا من بيع المحلى . قال ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين ما نصه :

﴿ فصل ﴾

وأما ربا الفضل فأبيح منه ما تدعو اليه الحاجة كالعرايا (١) فإن ما حرم سداً للذريعة أخف مما حرم تحريم المقاصد وعلى هذا فالمصوغ والحلية ان كانت صياغته محرمة كالأنيبة حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فإنه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالائتمان وهذا لا يجوز كآلات الملاهي وأما ان كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلقة النساء وما أبيع من حلقة السلاح وغيرها فالماقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها فإنه سفه واضاعة للصيغة والشارع أحكم من أن يلزم الامة بذلك فالشريعة لا تأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس اليه فلم يبق الا أن يقال لا يجوز بيعها بجنسها

(١) العرايا جمع عرية وبيع العرايا هو بيع الرطب بالتمر وهما ربويان كالنقد ولكن الشارع أباحه للحاجة اليه لان صاحب التمر قد يحتاج الرطب ولا يكون بيده نقد يشتريه به وكان ذلك يكثر في زمن التشريع

البته بل بيدها بجنس آخر وفي هذا من الحرج والعسر والمشقة ما تنفيه الشريعة فان أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به ما يحتاجون إليه من ذلك والبائع لا يسمح ببيعه بغير وشعير وثياب. وتكليف الاستصناع لكل من احتاج إليه اما متهدرا أو متعسرا والحيل باطلة في الشرع وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب وأين هذا من الحاجة إلى بيع المصوغ الذي تدعو الحاجة إلى بيعه وشرائه فلم يبق الاجواز بيعه كما تباع السلع فلم يجز بيعه بالدرهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيها ما هو صريح في المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ولا ننكر تخصيص المصام وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهو بمنزلة نصوص وجوب الزكاة في الذهب والفضة والجمهور يقولون لم تدخل في ذلك الحلية ولا سيما فان لفظ النصوص في الموضعين قد ذكر تارة بلفظ الدرهم والدنانير كقوله الدرهم بالدرهم والدنانير بالدنانير وفي الزكاة قوله « في الرقبة ربع المشر » والرقبة هي الورق وهي الدرهم المضروبة وتارة بلفظ الذهب والفضة فان حمل المطلق على المقيد كان نهيها عن الربا في التقدين واجبا بالزكاة فيهما ولا يقتضي ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداها بل فيه تفصيل فتجب الزكاة ويجري الربا في بعض صورته لافي كها وفي هذا توفية الادلة حقها وليس فيه مخالفة لدليل بشيء منها

يوضحه ان الحلية المباحة صارت في الصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يجري الربا بينها وبين الأمان كما لا يجري بين الأمان وبين سائر السلع وان كانت من غير جنسها فان هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأمان وأعدت للتجارة فلا محذور في بيعها بجنسها ولا يدخلها: إما ان يقتضي واما ان تربي: (١) الا كما يدخل في سائر السلع اذا بيعت بالثمن المؤجل ولا ريب ان هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد

(١) هذه العبارة مقولة وهي كلمة آكلي الربا الجلي المحرم بنص القرآن كان يكون لاحد من دين مؤجل على آخر فاذا جاء الاجل قالها له ومعناها ان تعطيني الدين واما ان تزيد فيه لاجل الإنساء والتأخير في الاجل

عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر
 بوضحه أن الناس على عهد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخذون الحلية وكان
 النساء يلبسها وكن يتصدقن بها في الأعياد وغيرها ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها
 المحاويج ويعلم أنهم يبيعونها ومعلوم قطعاً أنها لا تباع بوزنها فإنه سفه ومعلوم أن مثل
 الحلقة والخاتم والفتحة لا تساوي ديناراً ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا
 أتقى لله وأقفة في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الخيل أو يعلوها الناس
 بوضحه أنه لا يعرف عنه أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الحلي إلا بغير

جنسه أو بوزنه والمنقول عنهم إنما هو في الصرف
 بوضحه أن تحريم ربا الفضل إنما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم
 سداً للذريعة أبيع للمصلحة الراجحة كما أبيحت العرايا من ربا الفضل وكما
 أبيحت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر وكما أبيع النظر للخاطب
 والشاهد والطيب والعامل من جملة النظر المحرم وكذلك تحريم الذهب والحرب
 على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعله وأبيع منه ما تدعو
 إليه الحاجة وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من
 وزنها لأن الحاجة تدعو إلى ذلك وتحريم التفاضل إنما كان سداً للذريعة
 فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو
 بالليل والحل باطلة في الشرع وغاية ما في ذلك فعل الزيادة في مقابلة الصياغة
 المباحة المتقومة بالأمان في العنوب وغيرها وإذا كان أرباب التحليل يجوزون
 بيع عشرة بخمسة عشر في خرقة تساوي فلساً ويقولون الخمسة في مقابلة الخرقة
 فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصياغة وكيف تأتي الشريعة
 الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول بحكمة وعدلاً ورحمة وجلالة باباحة هذا
 وتحريم ذلك وهل هذا إلا عكس المعقول والفطر والمصلحة والذي يقضي منه
 العجب مبالغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل
 زيت وحرموا بيع الكست بالسهم وبيع النشا بالحنطة وبيع الحل بالزبيب ونحو
 ذلك وحرموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاءوا بربا النسيئة وفتحوا للتحليل

عليه كل باب فتارة بالهبة وتارة بالمحل وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ثم يطلقون العقد من غير اشتراط وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر موجلة بعشرة نقدا ليس إلا ودخول السلعة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره فهلا فعلوا هاهنا كما في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله العجب كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة الى ربا النسيئة بخنا خالصاً وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصياغة بحظها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية. وإذا حصص الحق فليقل المتعصب الجاهل ماشاء والله التوفيق فان قيل الصفات لا تقابل بالزيادة ولو قوبلت بها لجاز بيع الفضة الجيدة بأكثر منها من الرديئة وبيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ولما أبطل الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

قيل الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالأثمان ويستحق عليها الأجرة وبين الصفة التي هي مخلوقة لا أثر للمبد فيها ولا هي من صنعه (١) فالشارع بحكمته وعدله منع منه مقابلة هذه الصفة بزيادة اذ ذلك يفضي الى نقض ما شرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والمائل لا يبيع جنساً بجنسه الا لما بينهما من التفاوت فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة (٢) التي جوز لهم المماوضة عليها معه يوضحه ان المماوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة الى غير أصلها وجوهرها اذ لا فرق بينهما في ذلك

يوضحه ان الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة بيع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك ولا يقول له لا تعمل هذه الصناعة واتركها ولا تقول له تحمّل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل ولم يقل قط لا تبعه الا بغير

(١) لعله سقط من هنا لفظ بين الذي هو الخبر (٢) وفي نسخة الصناعة

جنسه ولم يحرم على أحد ان يبيع شيئاً من الأشياء بجنسه فان قيل فهب ان هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير المطلوبة اذا بيعت بالسبائك مفاضلاً وتكون الزيادة في مقابلة صياغة الضرب قبل هذا سؤال وارد قوي وجوابه ان السكة لا تتقوم فيه الصياغة للمصلحة العامة المقصودة منها فان السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة فان كان الضارب يضربها بأجرة فان القصد بها ان يكون معيار للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة في العرف ولو قوبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت لاجلها واتخذها الناس سامة واحتاجت الى التقويم بغيرها ولهذا قام الدرهم مقام الدرهم من كل وجه واذ أخذ الرجل الدراهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافاً ويرد خمسين ثقلاً بوزنها ولا يأبى ذلك الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئاً وهذا بخلاف المصوغ والنبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يضربوا درهماً واحداً وأول من ضربها في الاسلام عبد الملك بن مروان وإنما كانوا يتعاملون بضرب الكفاراه المراد منه

الرخص للمسافر في السكك الحديدية ﴿

(س ٣٠) هل يجوز للمسافر في السكك الحديدية الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ان سافر وقت الظهر أو وقت المغرب وهو يتحقق أنه لا يصل الا بعد خروج الوقت ولا سبيل له الى الصلاة في اثناء السفر أم لا بد من الوقوف عند ما تقرر في الفقه في هاته المسألة

(ج) للمسافر في هذه السكك من الرخص ما للمسافر في غيرها لان الشارع لم يشترط في السفر الذي تباح فيه الرخص ما يخرج المسافر في هذه السكك منه . على ان رخصة الجمع بين الصلاتين مما ورد الحديث الصحيح بإباحتها للمقيم فان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في المدينة كما في صحيح مسلم وسنن الشافعي وقد أول فقهاء المذاهب ذلك ليوافق مذاهبهم ولكن ابن عباس راوي الحديث قال في تعليقه ذلك «لئلا يخرج امته» فعلم أن ذلك رخصة مطلقة توتي عند الحاجة اليها

باب التزمت بالمشوقة

المكتوب السابع من أميل الى أمه
في ابتداء العشق وغرور الشاب الغرّ بالمشوقة

عن بن في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦

لقد كان قولك حقاً أيتها الوالدة العزيزة فأني قد خدعت نفسي ولا حق لي في الشكرى على كل حال ممن كنت أحبها لأنها لم تكن التزمت لي شيئاً ولا وعدتي الصدق في حبي بل أنها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التبجيل والتكريم تفضلت فقبلت مني اعتباطاً صنوف اجلالي ودلائل اعظامي وقد كان هذا منها لي تشریفاً كبيراً وأظن أن من كفران نعمتها ان أهمها بخياني فإنه لم يكن من ذنبها ان كنت جاداً فيما لم يكن غيري يتعاطاه الاهازلا

علي اني ان قلت لك اني كنت أفكر في أمرها دائماً على هذا النحو كنت كاذباً فان الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذهول خيل لي فيها ان السماء خرت على رأسي وصرت كأنني في حيز الفناء وانك قد تقولين انك استأول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الاباطيل وزوال الاوهام وهو قول لا ريب عندي في صحته غير ان ما ينتاب الانسان لأول مرة في حياته يخجل له انه لم يحصل لاحد غيره في الدنيا فكنت أسائل نفسي هل يمكن أن يوجد في البرية من يبلغ مبالغها في الخيانة أو ليس الحسن الانقبا لانفاق وأقول انها لشدة ما سخرت مني لسلامة نبي وسرعة تصديقي واحس بقشعريرة الضيرة تدب في جسدي حتى تبلغ نخاع عظامي .

وأول يوم قامت بنفسي فيه الريب على صدقها فررت من المدينة هائماً على وجهي كالجنون أخبط خبط عشواء وقد تعاقبت على بهري في مسيري مشاهد جمة من سنابل الخنطة المدركة، والقنابر المفردة، وما في الهواء من الروح الخافق

تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في العربية

وجدنا وجبا والكنفور والطواحين التي تنكشف للرائي في أمكنة مختلفة من خلال حجب الأشجار وقد مزقتها يدالريج ، وخرير الماء المتدفق من نايبعه المنتجة تحت الحضرة والديكة المتقطعة المنظرمة واقفة على الدمن ورافعة عقيرتها بزقائها النفاذ في كبدالسياء، وأسراب المصافير نائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر التي لولا هذه الاحوال لمزت نفسي وشرحت صدري فلم تلتفتني عن هذه الفكرة الثابتة في ذهني وهي أنها تنشي

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شبحا مبهما يسري وجدران البيوت كأنه ظل فلما بلغ منطف الشارع سقط عليه ساطع نور الغاز المنعكس فأراي انه فتاة شاحبة اللون رثة الثياب تحمل طفلا على يديها ولست أدري تمام الدراية لماذا خطر بفكري لرويتها انها خدمت ثم هجرت وسألت نفسي سوألا محنتي هل تقسم النساء في هذه الايام الي طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة . تأثرت هذه الفتاة بعضا من الزمن يجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف مره حق المعرفة فكلمها كانت تمر على نور مصباح كنت إخالني أقرأ في وجهها خاطر الانتحار وقد كنت من تسخطي لحالي بحيث ابي كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال البر وما عنت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى فناء نكتنفه اطلال دارة وفي دكن من هذا الفناء بر سردت فوهتها بغطاء غليظ من خشب مسوس مشقق فرفت الغطاء بأحدى يديها العاريتين واتكأت بمرقبها عن فم البئر وأرسلت بصرها في غيابتها وعليها سمة القنوط وفي هذه الساعة انفلت القمر من قبضة السحاب فألقى نوره الاغر على بلاط الفناء المتوحل وكنت اذذاك مختفيا خلف جزء من جدار أتبع جميع حركات الفتاة المسكينة بامعان لاني لم يكن بقي عندي ريب في أنها قد صممت على الانتحار وكنت أقول في نفسي: أقل ما في الامر اني هاهنا لا أمنعها منه وما كنت أجسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تزيدها رويتها لمن شاهدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فبعد ان تروت هنية كان جبينها الكشيب في اثنائها مسرح الانفعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهيمت بكلمات مبهمه وهي متهز رأسها ثم هزلت داخلة أحد الاكواخ الحقيرة وأغلقت بابها عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سأعلمه من أمر هذه البائسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير تنجية نفس من الموت كانت توأم من بالحب ثم اضطرت الى الكفر به وامنه
 كاني بك تساليني كيف ظهر لك انك ألوهية طوى امرأة طائشة اجبرة فاستأذنتك في تزييمك عن سماع تفاصيل هذا الامر لانها لا تليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بانها كانت تخرض طالبين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا بقطع النظر عن أمير ورتمبورغي (١) يقال انها تحبه لئلا هليت شعري هل أبصر احد في حياته نظيرة لتلك المرأة

لم يكن هلميت (٢) مثلي في سوء الحظ لما كان يقول لمعشوقته أو فيليبا: «أيتها المرأة اسمك الخور فان اسم صاحبي هو الكذب والمكر والنفس». هذا هو التمثال الذي فخرته ببخور أماني وجعلت له بين الآلهات المفيدات مكانا وكنيت آتمني لو دنت مني الكواكب فانزعمتها من نظامها ونظمت له منها كايلا . على ان لي أمرا يسلميني وهو اني لم أدنس الحب في حال جنوني به
 فاعلمي يا أماء انه لا يزال من حقي ان انظر اليك غير خجل لان خطيبي انسا كانت سوء حكم لا ارتكبا لشيء من الحنا ولكن هذا لا يقلل من استباحتي لعفوك فاعفري لولدك هفونه حتى يمكنه ان يففرها لنفسه . اه

﴿المكتوب الثامن من هيلانه الى اميل﴾

عن لوندرة في ١١٠ أكتوبر سنة ١٨٦٠

اعلم يا ولدي العزيز ان ما تقع فيه من ضروب الغي هو الذي يهدينا سبيل الرشده وان ما تقترفه من الذنوب هو الذي ينبئنا اذا تأملت منه ضمائرنا بأن لنا

(١) ورتمبورغي نسبة الى ورتمبورغ احدى ولايات المانيا (٢) هلميت هو أمير جوتلاندي الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثرا أبيه الذي قتله أخوه بالسهم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلاندي شبه جزيرة بالدينارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦٠ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأيي هي ان نستفيد من كليهما نتعلم
لم تدهشني نهاية قصتك وسأتحامى كل التحامى ان أعيب سيرتك فيها لانيك
قد عبتنا بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسمي تأديته اليك من النصائح قبل
ختمها المحزن ليساوي ما وعظمتك به نجر بتك الذاتية ان في أمور الكون لعدلا
وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلذ لمخيلة الانسان
ان تزينها بالالوان المموهة وتغشيها بالاستار الحاجة وبهذا كان الدهر استاذنا جميعا
على اني ان لم أقرّ لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق
والحيرة كنت قد كتمت بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطيب عنصرك
وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكفيني للتاكيد من انك لا تنسفل
لارتكاب دينية ما ولكني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب
وجمحات العجب المفتون وأماي البسالة الحادة فما يوجب الاسف ان أصدق
الناس في الحب وأخلصهم له هم كذلك اشد هم تعرضا لمخاطر دسائسه وأما الشبان
الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجامدة
لا تنخدع بكذب الظواهر وهم الذين جعلت لهم المحبات المهيجة كما جعلت الخور
المتبلة للسكبرين

تراهم يبذلون من الهمة والنشاط في تحصيل الغبطة أكثر مما يلزم وهم مع
هذا في اسوء عيش وانكده هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتعاطون لدسائسه
اعتاضوا عن الحب بظله اعنى الظرف والكياسة في معاشره النساء وان خسة عواطفهم
تدل على خلوصهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصننصاف الجوفاء التي
تصادف على حافة السواقي (الانهار الصغيرة) في انها لتعفن قلوبها لم يبق لها حياة
الا في قشورها

ان الامم التي لا تجل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهن غير جديرة بالحرية
يدلك على ذلك أن عصور الاستعباد والمخاطط النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق
والانهماك في الرذائل فاذا زالت هيبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس
بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم ما يضيعون فيه أوقاتهم

يتصيدون الملاذ السهلة فأربأ بنفسك عن هذه الردغة (١) فلا مقرر لك فيها
 اني ربما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيرا لمن هم في سنك ان يضلوا
 فيشطوا في طلب مثال من الواقع لما ينخيرونه من منتهى الكمال فيمن يريدون ان
 يجملوها مناطا لجههم وهو قريب المزال حاضر بين أيديهم . اري انك فوق حنقك
 على من غرتك نادم على ان كنت غير صادق في محباتك فتأمل في باطن ما تحفظه
 ذا كرتك تجدني قد أصبت المرمى فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من اترابك
 تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتنكر ملامح وجهها وابتسامها وجرس صوتها وكل
 ما يتعلق بها حتى ثنيات حلما تمام النكر وان مثلها الظاهر ليسري سر بان الشماع
 فوق كتابك اذا فتحته لتقرأ فيه ما صنفه الشعراء وأنت تود لو تشاهد معها كل ما في
 الكون من الجمال وتسمع جميع ما للبرية من الاغاريذ وهي التي ينطبق عليها ما تخيله
 من معنى الفضيلة وتود من اجالها لو تكون أفضل الفضلاء فلك الذات هي التي تحبها
 فان لم تكن تأنس من نفسك شيئا من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلا ولم بأن
 لك ان تعتقد في نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس ويبعث
 على طالب الخير وعلى ان يقتضي المحب من نفسه المحبوبة كل ما يقتضيه لنفسه منه
 لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تر بصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس
 اسمه باجرائه على لسانك قبل حصوله والاندمت فيما بعد أن لوئت شفقتك بالكذب
 والشبان خطأ آخر في الحب وهو أنهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع
 كالتى نرى في القصص ازدادت لذته وكثرا لا يتهاج به فليس الامر كما يتوهمون
 لان في الحب من العظمة الذاتية ما يفنيه عن زخارف الخيال . ان الفلاح البار اذا
 راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقته وأخذ يلحظ زوجته وهي
 تفزل أو تخطب بجانب المصطلى ثم يسحره وس أولاده غلاظ العضلات مناديا كلا
 منهم باسمه وينسك في نفسه زمن ترقبه لزوجته « جنة » يوم الاحد في ظل شجرة
 الدرदार الكبرى في المزرعة ويراها لا تزال غضة الحسن موفورة الشباب كان أبهج

خيالا اضعافا كثيرة من حظي الالهة من الالهات الحب الجديدة
الشباب هوسن الاماني والاحلام وطور الخيالات والاهام ثم ان كثرة المطالعة
لا عمرة لها في أغلب الاحيان الا افساد حكم القلب . على ان الحب في غاية الغنى عن
القصاص الخرافية لانه عبارة عن تاريخ لاصح ما في فطرتنا من ضروب الوجدان
واشدها استقلالاً فويل لمن لا يعشق ويتوله الا في الحلم لانه لا يثبت ان ينكشف
وههنا اذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اهيامك باختيار امرأة تحبها ان توجد لنفسك بين الناس
مقاما فان كل عمل عمله في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك في نظر نفسك ومغالبة
مال الأثرة من أنواع الميل الاعمى وبلوغ ما للانسان من الشرف يفيد المرأة التي ستحبها
كما يفيدك وكن واثقا بأن هذا لا يعد منك في حقها كثيرا اذا كان بهمك ان
تكون أهلا لاجلالها لك حفظا لشرفك وصونا لعرضك

حاشية : فاتي ان أخبرك بأن « لولا » تعلم الطب من أجل أن تقبلها جسمية
الطبيبات بلوندره في عدادهن وكانا يحبك اه

(المنار) ليتأمل اللبيب هذا التذكير اللطيف بلولا التي تربت مع أميل مثل
تربته بعد بيان من تستحق الحب وبيان حقيقةه وغرور الشبان فيه فيالله ما هذه
الحكمة في هذه البلاغة

أنا كل من يريد

﴿ التقریظ ﴾

﴿ فرقان القلوب ﴾

كتيب جديد للشيخ محمد ابي الهدي افندي الصيادي الشهير قال في فاتحته
« وأرى ان هذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس في مكاتب الاسلام .
لينتفع به ان شاء الله الخاص والمعام ، فباقرائه ينتفع بالثواب المنتهي ، وبتعلمه

ينتفع في دينه المبتي « وتقول ان موضوع الكتاب بما يفيد المتدين لانه في أحكام وحكم أركان الاسلام الخمسة ولكن هناك مانعا من تدريسه وهو ما فيه من اصطلاحات الصوفية المعروفة وغير المعروفة التي يعسر على معلمي المدارس معرفة المراد منها أوبيانه للتلاميذ فإذا ترى في فهم التلاميذ لها واستفادتهم منها ؛ وما قولك في كتاب تذكر فيه العبارة وتفسر بعبارة أشد منها غموضا . مثال ذلك ما نقله عن الشيخ احمد الرفاعي الكبير في بيان حقيقة التوحيد وفسره وهو كما في (ص ٤) « وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه ، ومعنى ذلك الوجدان ان استدلال العقل وتسلط فهم القلب على ما يسكن اليه الخاطر ويقف عنده السر من البراهين النظرية التي تؤيد سر التوحيد فيعتقد العاقل بسبب تلك البراهين القاطمة وجود الخالق ولا ينصرف رأيه الى التعطيل ولا الى التشبيه »

الظاهر أن هذا كله من كلام الرفاعي ونقول قبل بيانه له ان معلمي المدارس لا بد أن يتقوا أمام هذه الجملة موقف الحيرة ويعسر عليهم ايصالها الى أذهان تلاميذهم لأنهم لا يعقلون وجها لتفسير وجدان التعظيم باستدلال العقل فان هذا الوجدان محله القلب واستدلال العقل أي فكره في تأليف الأدلة النظرية من عمل الدماغ . والقلب يطلق في لغة القرآن على ما يكون به الفكر والادراك وعلى ما يكون به الشعور والوجدان ولعله يرى أن العبارة قد مزجت الاستعمالين فبنى أحدهما على الآخر . ولا شك عندي أن فهمه يقف عند تفسير وقوف السر وتأيد سر التوحيد وتسمية البراهين النظرية براهين قاطمة وجمل نتيجتها الاعتقاد بوجود الخالق مع أنها اقيمت على توحيديه ، والكلام في توحيديه إنما يبنى على التسليم بوجوده، وعدم الانصراف الى التعطيل والتشبيه يصدق بفضله الذهن عنهما فلا تكون تلك البراهين مفيدة للتوحيد ولا مفسرة لذلك الوجدان . فاذا وقف المدرس أمام هذه العبارة الرفاعية الرفيعة هذا الموقف، فهل ينشأ منه ما بينها به المصنف ، اذ قال

« وبيان ذلك ان ينظر في هابطة السرور وهابطة الحزن وحال الانقباض

وحال الانبساط ومسامرة الخاطر ونشأه الحب وزفرة البغض ووارد الرأي وطلسمية الفكر والحرص والزهد والحقد والصفح وأمثال ذلك من دقائق الاسرار القلبية التي تتدلى الى القلب وتقوم بالعقل ومثلها اللطائف المجردة الخمسة: الشامة والباصرة والسامة والطاعة واللامسة كلها موجودة في الوجود غير منكر وجودها وغير مدركة كقيمتها ولهذا السر القاطع والدليل الساطع قال تعالى (وفي انفسكم أفلا تبصرون) فاذا استدلل العقل وتسلط فهم القلب على وجود الخالق بما في الذات المصنوعة من الدلائل التي تجحد - و - - فهناك لا بد ان يعظم مولاه ويقول أشهد ان لا اله الا الله « الخ ثم انتقل الى الكلام عن المبلغ لهذه الكلمة صلى الله عليه وسلم

هذا نموذج من أول الكتاب وفيه ما هو أشد غموضاً منه في نفسه وفي الموضوع الذي دسّ فيه وناهيك بكلامه في الارواح عند الكلام أسرار الحج الذي جعله وسيلة للقول بأن النبي صلى عليه وسلم مد يده من قبره الشريف حتى خرجت الى المسجد فقبلها الشيخ احمد الرفاعي والناس ينظرون وللشيخ ابي المهدي غرام باذاعة هذه الدعوى حتى لم يدع الكلام في الدين وأركانها يخلو منها وقد ذكر هذا الكتاب وجه امتياز الرفاعي على الصحابة وأئمة آل البيت بهذه المنقبة وذكر أنه ثالث عشر أئمة آل البيت أي انه يلي الامام محمد المهدي المنتظر

فلينظر الناظرون أين مكان الامة بمدارسها ومعلمها من رأي مؤلف هذا الكتاب ؟ ترى المتخرجين في مدارس الاستانة اكثرهم ماديون وترى مدارس مصر قريبة منها وترى بعض الناس يكتب في الصحف اليومية ان دين الاسلام قد تحجر من شدة الجود فلا يقبله أهل هذا العصر بالصفة التي دوت بها في الكتب ثم نجد فيما من يرى انه ينبغي لنا أن نعلمه من مثل هذا الكتاب فإذا هذا الخائف العظيم



بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِصْلَاحِ

﴿ الشورى في بلاد فارس ﴾

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للإصلاح وأن هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا. وكان الناس يظنون أن العقبة الكؤود في طريق الإصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالمملوك والامراء واعتقادهم كغيرهم أن الإصلاح إنما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الدستورية واستطابوا ثمراتها. ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الإصلاح ويلحون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصيرة أن القول بوجود الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس إلى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية إلا بالعلم الصحيح ولا علم إلا بالاجتهاد فالمتجهد أقرب إلى الهدى وإن ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالعمى وإن اتسعت دائرة تقليده. وأما الاعتقاد بالمهدي فإنه لا يصد عن الإصلاح إذا عقل طلابه، يقولون لأن يمجدا المهدي أقوياء صالحين خير من أن يمجدا ضعفاء فاسدين (كما بينا ذلك في كتاب الحكمة الشرعية) رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الإسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقنضي النظام القديم من الاستبداد فهناه المملوك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين واتي أقول الآن في هذا العمل الجميل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية والقصائد البليغة وهي أن كتاب الله تعالى جعل أمر المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز أن يسمى إسلامياً فاذا نفذ حكم الشورى في البلاد

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يحى حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لاحكم من يسمي نفسه سنياً أو غير سني وهو مخالفه

﴿ جامع ومدرسة دينية في ديروط ﴾

أكبر آيات الارتقاء البينة في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نموّ وازدياد يدل على أنه أثر لحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا إليها بدعاة الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجه مركز ديروط الوجيه فاخطت بجانب داره في بلدة ديروط مسجداً جامعاً ومدرسة دينية لتعليم المعلوم الازهرية وكتاباً تحضيرياً لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطيانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمتعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعا للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيرا ما تقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ما شرط ولو شئنا لجننا بالسواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله واننا نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي للحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكبر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيرا من وجهاء القاهرة ومديرية أسيوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال محمود بك صادق رئيس أقلام الديوان الخديوي مندوباً عن الأمير وحضره أيضاً مدير أسبوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوانين وكثيرون. وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص الى ديروط يوم الخميس ثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب بدى الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيداً ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلاً ما معناه أنه يرجو أن يكون هذا العمل ناشراً للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهداً لحياة الأرواح وحياة الأرض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الأزهر خطبة قال إنه يتكلم بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء. وموضوع الخطبة ملخص ما قيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بني لله مسجداً ولو كفه حصص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومن ذلك تفسير المفحص والنسكته في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها. ثم أثنى على قطب بك قرشي الثناء الأوفى وختم كلامه بالدعاء لاساطان والخديوي والثناء عليهما بالاطراء المعتاد. وتلاء الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلة العاملين وبين أنه لا يرجي أن يعود الى مصر مجدداً السابق الا اذا كثروا العاملون وانتقل من ذلك الى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطات والامير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا مبال الى الادبيات وأسمعي لنفسه شعراً حسناً يدل على مستقبل أحسن منه ان شاء الله تعالى. وخطب محمد أفندي أحمد الصميدى فتكلم عن تأثير العلم في مدينة اليونان والرومان والبربر وأوربا واليابان ثم انتقل من ذلك الى شرح عمل الواقف

وإطرائه ومدح السلطان والخديوي . وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئاً للخطابة
فحال ضيق الوقت دون تلاوتها . وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب
فارتجبل خطاباً وعي كثيراً منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت
بقراءته فيه ما كنت ناسيانه وبعض ما نسيه المكاتب فأنا أنشرها لمن خص ذلك وهو
انا نحتفل اليوم بميل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول

كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به
القيام بالمصالح العامة وبذل المال في سبيلها هو الاساس الذي بني عليه مجد
الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة
وبه تسود الامم في كل زمان ومكان

كثر الكلام في هذه الايام في ضعف المسلمين وتأخر شعورهم عن جميع
شعوب الارض في كل شيء وكثر القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف
العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون في أن ارتقاء الامة متوقف على وجود
العاملين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم .
انا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جراثيم
الحياة ما يكفي لانماشنا وإقالة عثارنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون للامة .
قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا اني قلما ذآرت الوطنيين في مسألة
الا ورأيت فهمهم فيها كفهنا فالظاهر انه لا فرق بيننا وبينكم الا في شيء واحد
وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم

ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على
أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان مدارس من تلك الاوقاف وذهبت معالها
وما عاد ملكاً للجبل بأصله هو اكثر مما بقي

كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة
وحافظ لشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان
بل جملة هو وبذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك
من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لا ترتقي الا بهم لاسيما في هذا الزمان الذي لا يقوم فيه عمل عظيم الا بالمال فالبنل فيه يعد بمثابة الفتح والباذلون في مصاف الفائحين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالاعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الدين يقومون بالاعمال النافعة للامم موضع الأئمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقندي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محبي السنة بعد موتها وانطامس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة لأن محبي الشيء بعد الموت كموجده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقى الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في اشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فتد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه انه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فان المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلما ينتقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الاحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الانتقاد صوابا ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للازهر كالجامع الأحمدى وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لا حاجة اليه بالمرّة ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يابق

به فحسبه ما يراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني؟ اننا نرى أكثر المعلمين في المدارس الابتدائية لم يزيدوا أمتهم الا خيالاً وبلادهم الا خراباً لأنهم لا هم لهم الا اللذات الحيوانية والمخروط الشخصية ومهما كان حال طلاب الملوم الدينية رديثاً فإنه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد التعليم الديني اذا أدى على حقيقته تترقي النفوس وتقل الجرائم والفواحش ويندر سلب الاموال ونهش الاعراض ويثر الصدق والامانة والمودة في الناس. قد يقال ان هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجميلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسعى في تكميل الخير الناقص لاني ازالته من الوجود بالمرّة. ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا. ان كل شيء عندنا ناقص ولو كملنا في شيء من أمور الاجتماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان الكمال يمد بعضه بعضاً

است أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لا حاجة اليه كيف وهو وسيلة للترقي الى تعليم أعلى منه لا ترتقي البلاد بدونه وانما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد. نحن في أشد الحاجة الى تميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجعله وسيلة لما فوقه. وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان. ففرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في محله فان التعليم الديني ميسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال بمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأي ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشعر. فان احتفالاً يجيب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الأمة ينظر اليه الناس بعين الرضا ويعد حضوره أولاً شهادة فعلية بنفسه وشكراً لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال . وإذا كان المحتفل يروي باحتفاله الترخيب في مثل عمله فإنه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن حب الثناء في الحق لا ينافي الاخلاص في العمل

ثم ختمنا القول ببحث الأغنياء على الاعمال النافعة للأمة والدعاء باصلاح الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الأمة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتنكيل ابن سعود به وبقومه وبعد أن قتل صار ولده متعب أميراً مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد ذلك أن استولى على أكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ما يقال له العدوه يبعد عن حائل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متعب للحصار وضاعت عليه الدنيا لان بلده ليس فيها من القوت ما يفيها عما يأتيها من العراق فتوسل بابن عون باشا شيخ الزبير بن يوسف ابن صباح شيخ الكويت في الصلح بينه وبين ابن سعود فذهب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما كان بينه وبين ابن صباح منذ سنوات من الشحناء فأكرم ابن صباح وقادته وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متعب بن الرشيد حتى يتناكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندرى على أي شيء تم ذلك الصلح وامله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدرلة هناك فانها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم بين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفاً لنجد فأقام في المدينة المنورة ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في الشبيحة مع المساكر المنظمة التي هناك (والشبيحة قرية من قرى القصيم) وكان متعب ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هون عليه شأنه . ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكيرة من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد . جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف . وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والعسكر في قصر بر يده وقصر عزيزه ويكون هو احاكم للقصيم بجمع المال ويستقل بالحكم . وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود انا خاضعون لامر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لا غناء فيها لاهلها فنحن لا نرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشي . فلا تقبل لك قولا واذا كان عندك أمر من السلطان فاننا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فاننا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين في رفعه عنا ولا نشك في أنه يرجعنا ولا يكافنا ما يشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا . ووافقه الشيوخ على ذلك . وقد أثنى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يعرض به فاستاء واقترقا مفضيين

ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثر والاعتداء على المساكن بالاعتداء والنهب والسرقة فلما أعياهم أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حماية العسكر من البدو وكان ابن سعود لا يزال مفضيا مما قابله به المتصرف من العظمة والفطرسه ومن مدح خصمه في وجهه فاجابه انك أنت والعسكر ما جئتم الا لحمايتنا فكيف تطالبون منا أن نحميكم فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الاقامة هناك مع مناوآته والتكبر عليه إلا ان له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه أنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يقيه عنده فقبله وأمر الاعراب بالكف عن العسكر فأطاعوا وحسنت الحال . وكان ذلك قبل الصلح مع متعب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هدانا الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرًا كثيرًا وما يؤذك إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر - شعبان سنة ١٣٢٤ - أوله ١٩٠٦ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

خطأ العقلاء

من مقالات الاستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعريض بالمرابين
 كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ - ٤ أبريل سنة ١٨٨١
 ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا اكثروا من دراسة الفنون الادبية
 ومطالعة اخبار الامم واحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم افكار جليلة وتنبعث في
 نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الغاية التي ينبغي ان يكون العالم
 عليها واكونهم اكتسبوا هذه الافكار وحصلوا تلك الهمم من الكتب والاخبار
 ومعايشة ارباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون ان وصول غيرهم الى الحد الذي
 وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتامها على مقتضى ما علموه هو
 امر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من
 أيديهم والالفاظ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلباً حاثاً ان يكونوا على
 مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وناموسها العام على طبق افكارهم وان
 كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصاً معدودين و يظنون ان
 افكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب ولدفاتر ووضعت اصولا
 وقواعد لسير الامة بتامها ينقلب بها حال الامة من أسفل درك في الشقاء الى
 أعلى درج في السعادة وتبديل العادات وتحويل الاخلاق وليس بين غاية النقص
 والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم

تلك ظنونهم التي محدثهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات
 وانهم وان كانوا أصابوا طرفاً من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته
 وارتفاع الهمة وانبعثت الفيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيماً من حيث انهم لم
 يقارنوا بين ما حصلوه وبين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يجتنبوا قابلية
 الاذهان واستعدادات الطباع الانقياد الى نصائحهم واقتفاء آثارها ولو أنهم
 درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعاداته
 الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لهموا انت الامم في أحوالها العمومية كالأشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الاحوال العمومية هي عبارة عن مجموع الاحوال الخصوصية وليست الامة مثلا الا مجموع أفرادها وليس حال الهيئة المركبة من تلك الافراد الا مجموع أحوال هاته الافراد

فعلى من يريد كمال امة بنامها ان يقيس ذلك بكامل كل فرد منها ويسلك في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها تكميل الواحد . هل يسهل على صاحب الفكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم شيئا من مبادي العلوم تلك الافكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة المطالعات ؟ كلابل لو أراد ان يجعل شخصا من الاشخاص على مثل فكره احتاج الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادي الفنون السهلة التحصيل ثم يتدرج به شيئا فشيئا حتى ينتهي بعد سنين عديدة الى بعض مطلوبه ثم هو في خلال ذلك محتاج الى ان يحرص أعماله ويقيدها بقيود من الترغيب والترهيب وان يراقب حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والافكار أو المائلين الى الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لا بد منها فان اختل شيء من الترتيب في التعليم بأن قدم الاصب على الاسهل مثلا أو أهمل ملاحظة أعماله وأحواله اختلت التربية وذهبت الاتعاب سدى واستحال صيرورة حال ذلك الشخص مماثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرحوية هل يمكنه ان يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كلابل الذي تمكن في العقل أزمانا لا يفارقه الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد اولا في ازالة الشبه التي تمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بعبارة واحدة ولكن بمبارات مختلفة في التقريب بعضها سهل المأخذ قريب المائل والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخر برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرّه نصحه الى الضرر بنفسه . تلك هي الحالة المشهودة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لا يباشر ولا يخالط في خلال تعلمه الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يخالط غيره ممن يؤيد فكره الاول طال الزمن وربما لم يجمع فيه الارشاد وأظن (أن) هذا يعترف به كل من مارس الاخلاق والمادات

ان كان هذا حال شخص واحد اذا أردنا اصلاح شأنه في صفه أو كبره مع انه يسهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنهه وأوصافه ودرجات تقدمته في المقصود وتأخره فيه فما ظنك بحال أمة من الامم تختلف عناصرها وتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجهالة ان تكلف الامة بالسير على ما لا تعرف له حقيقة أو يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلية كما انه لا يليق ان يطلب من الشخص الواحد مالا يعقله أو مالا يجد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تحديدات فيها لا تبعد منها بالمرّة فاذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى بالدريج حتى لا يعصي زمن طويل الا وقد انحلوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحطة الى ما هو أرقى وأعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود ما لم يصلوا الى كنهه أو كفوا من العمل ما لم يبهوده أو خولوا من السلطة ما لم يعودوه رأيتهم يتخبطون في السير لحفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أتمس منها بحكم الاستعداد القاضى عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة في الانتخابات العمومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شا كل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونعلم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الامة هم الحاكمين في مصالحتهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتشوق النفوس الحرة ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لانستحسن ان تكون

تلك الحالة بعينها لافغانستان مثلاً حال كونها على ما نهض من الحشونة فإنه لو
فوض أمر المصالح إلى رأي الأهالي لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة
لا يرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهم أن ينتخبوا مائة
نائب مثلاً لرأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أو نسيباً أو قريباً فر بما ينتخبون
آلافاً مؤلفة ثم لا ينهي الانتخاب إلى المرغوب أصلاً لوقوف كل واحد عند
انتخابه الأول ولو وكل اليهم انتخاب رئيس للحكومة لانتخبت كل قبيلة رئيساً
منها ثم يقع المهرج بين الرؤساء وهكذا حال الأمم التي تعودت على أن يكون
زامها بيد ملك أو أمير أو وزير يدير أعمالها بدون أن يكون لها دخل في رؤية
مصالحها لا يمكن أن يطلب منها الدخول في أعمالها العامة والافسدت فإذا أردنا
إبلاغ الأفغان مثلاً إلى درجة أميركا فلا بد من قرون نبث فيها العلوم وتهذب
العقول وتذلل الشهوات الخصوصية وتوسع الأفكار الكلية حتى ينشأ في البلاد
ما يسمى بالرأي العمومي فعند ذلك يحسن لها ما يحسن لأمريكا
ويأعجبها هل الشخص الذي توارث الموائد عن آباءه وأجداده ومرن عليها
من مهده إلى كهولته وتعود تفويض مصلحته إلى إرادة غيره يصح أن يطلب
منه في زمان واحد خلع جميع ذلك، ويلقى إليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم
يفكر فيها أن هذا خطأ ظهر

ولكون أرباب الأفكار من يرومون أن تكون بلادنا وهي هي كبلاد أوروبا
وهي هي لا ينجحون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدراج الرياح
ويضرون البلاد بجمل المشروعات فيها على غير أساس صحيح فلا يمر زمن
قريب إلا وقد بطل المشروع ورجع الأمر إلى أسوأ مما كان فيفوت الزمان وهم
على حالهم القديم وكان لهم إمكان أن يكونوا على أحسن منه فمن يريد خير
البلاد فلا يسمى إلا في اثنتان الترية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه أن كان
خائباً جتماً بدون أتعاب فكر ولا إجهاد نفس وفي الكلام بقية أذكرها فيما

وكتب في العدد ١٨٢

كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس في أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بأنه يريد تقدمها ونقلها من حالة الهمجية (على ما يزعم) إلى حالة التمدن التي عليها أبناء الأمم المتقدمة وجمعوا الوسيلة إلى ذلك أن تنقل عادات أولئك الأمم المتدنين وأفكارهم وأطوارهم إلى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لمعادتهم وأخذنا الآن بأفكارهم اليومية وتشبهنا بهم في الأطوار كاف في أن نكون مثلهم وأن استلما تلك العادات وتلقينا لتلك الأفكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الأسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الأمم إلى هذه الحال التي هم عليها حتى يعتدوا مثلها أو قريباً منها لترقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن أن تكون بداية مع أن ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا إليه إلا بعد معاناة أتعاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة ويبعدون عنه أخرى كما يرشدنا إليه تاريخهم حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الأهالي وغيرت أخلاقهم ونهبت الضرورات أفكارهم وهذبت المخالطات الجهادية والتجارية عقولهم أن بداية التقدم الأوربي في الحقيقة كان في نفوس الأهالي وأفراد الرعايا علمتهم الحروب الصليبية سبر البر والبحر وخالطوا فيها الأمم الشرقية أجيالاً وطمحت أنظارهم لمغالبتهم فدققوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم إذ ذاك) وبحثوا في أحوالهم فرأوا لهم عادات جميلة وفيما بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم اتساعاً وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقه الحرية ولذلك كان الفنى والمزمتوكرا أقطارهم فاخذ أهالي أوربا عند ذلك في تقليدكم لكن لافي البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات إليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوها من وجوه الكسب فكان ذلك أساساً للعمل وقدر في النفوس وثبت في العقول وبنوا عليه ما شاءوا ولو تأملنا تاريخ سبر التقدم الأوربي لرأينا

أسباب التقدم بجمعها سبب واحد وهو احساس نفوس الاهالي بالآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلاء) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكتساب ووفرة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة العدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التعاضد والتعاون على ترويض وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تمعد لذلك المحالفات والمعاهدات وتأنف له الجمعيات فكان جرثومة تقدمهم أمرا منبثا في غالب الافراد ومحرضا في أغلب العقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك التقييدات التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغيير جميع الموائد والمشارب والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم ويتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناؤهم من بعدهم

أما عقلاؤنا فقد وجهوا نظرهم الى حالة التمدن الحاضرة والاهالي على غير علم منها بانفسهم فاستلغفهم العقلاء اليها لكن لا يتحرك غيرهم الى العمل اختيارا أو الجأتهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد المتمدنة ويشهدوا عاداتها واحوالها ويستمعوا منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقعه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد تظهر عليهم الرفاهية وترى عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم ويتفكرون فيما لا يعقل فسادوا بيننا بنية وزينوها بما لم نكن نعهده من أنواع الزينة وجلبوا الينا من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب مخبره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبعه ورأيناهم يترنون بهذه اللطائف التي تذهب الحزن وتشرح الخواطر ويتنافسون فيها فاعجبنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا أئمة لنا في العمل فاخذنا تشبه بهم لكن فيما رأينا وهو الزينة والبهرجة

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقتنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك ترى أفكار الغالب ما دائما عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشييد الابنية وتجويد وضعها واتقان تربيها وتزوين بواطنها وظواهرها والتوسع في لوازم المأكل والمشرب وآلاتها وأوانيتها والتفنن فيها وجلب ما هو أغلى ثمننا وأدخل في انظر وأجلب للأنس والتأنق في الملابس ومحاذاة الأوربيين فيها ومحاوله ان تكون على النمط الاعلا عندهم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفردشات وتأقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلامه وارتفعت عن الطاقة قيمه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في افتتاح البلاد وتمالك الحصون وبالجملة فقد سلكنا مسالك التمدنيز في ثمرات تمدنهم التي جعلوها من زوائدهم فاسرفنا في الانفاق وصار الناظر للابننا وهسا كمننا والذائق لمطاعمنا ومشاربنا يشهد باننا في ذلك بحمد الله متمدون فقد اشركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال التمدن من طلبه للتمتع بالذائذ وركونه لترويح النفس وتخفيف أتعابها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل الدجاجة رأت ان الأوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستعداد (أي بأن تكون أوزة) فحبت نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشق منها ما انشق وعمزق منها ما عمزق فان افراطنا في تقليد الأوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي نظنها تفوق عاداتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى اللذائذ واستكمال لوازم الرف والنعم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل يوجب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصل الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الذاتي الذي يتبعه الفنى والثروة والراحة المستتعبة للذة الحقيقة والنعم الباقي في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح الثروة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أعني الاحساس بوجود اللذائذ والآلام والتنشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الام التمدنة فصح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فانهم رأوا
 أبواب اللذات مفتحة قبل ان يجدوا عقلا يقدر لهم ما يلزم منها وما لا يلزم
 كل ذلك نشأ من جلب تلك العوائد الترفيفية الى بلادنا وطلب التحلي بها
 بدون ان نحوز ما يوصلنا اليها من أنفسنا وليتنا قبل ان نشيد بيوتنا بالارتفاع
 الشاهق والترتيب المحكم وزينها بأنواع النقوش والفرش والاثاثات أبقيناها على
 بساطتها وشيدنا في عقولنا المهمة الرفيعة والحمية التي لا تمتد اليها الايدي وأحكنا
 طرق سيرنا في حفظ حقوقنا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ
 علينا ما وجدنا وتجذب اليها ما فقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من
 رحمة بالضعفاء ورفق بالملهوفين وغيره على البلاد وأنفه عن الصفار

لعمرك لو قدمنا هذه الزينة الجوهرية على ذلك الرونق الصوري لكان
 العالم بأسره ينظر اليها نظر الراهب الخائف أو برمقنا بالمعظم المبجل وكانت
 معيشتنا البسيطة أوقع في نفسه من معيسته الرفيعة وكان ذلك سهلا لو ان الزاعمين
 فينا حب الترقى والتقدم ساروا بنا من البدايات وحججونا عن النهايات حتى لانراها
 الا من أنفسنا فنطلبها لالانها أعجبت النظر ولكن لانها بنت الفكر وتيجته وكانوا
 يعملوننا محاذاة المتمدنين في أصول أعمالهم لاني زوائدها فكنا بذلك نصل الى
 ما وصلوا اليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي نالوا فيه ما نالوا لكن فاق الوقت
 ونحن الآن فيه فعلينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد الامل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ ابريل سنة ١٨٨١

كلام في خطأ العقلاء

لسنا ننكر ان بلادنا كانت في الازمان السابقة تحت تصرف أقوام خشنين
 لا يعملون للخلفة غاية الا وجودهم الشريف وكانوا يعدون افراد الاهالي انعاما
 خلقت لهم يستعملونها كيف يريدون (كما كان ذلك شأن سائر الامم غربية
 وشرقية) فارغموا أنف الطبيعة ومحووا أنوار الالهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس
 عباده لفهم منافعهم ومضارهم حيث وقفوا سدا حصيناً بين كل شخص ومنافعه

فامتأثروا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل العامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ما تبدو الثمرة يسرع حاكمه الى قطعها وكانت حياته معقودة بنفض ذلك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كمرضى بلغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لتضام حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو درء مضره بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وما ملكت يده حل للأمر عليه وليس لتصرف ذلك الأمر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصمد بها تاريخ هذه البلاد اجيالاً كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لا نصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني ففئت الارادة ومات الاختيار وطفى نور الفكر بالمره

وكان من جملة التقييدات العنيفة التي وضعها أولئك المتسلطون الحمر على أهالي المدن وغيرها في الاعمال والاقوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقة يقال لها الكبسه وهو ان يهجم رجال الضابطه على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجتماع على فسق كفحش بالنساء أو شرب للسكرات وماشا كل هذا فان وجدوا شيئاً من ذلك ساقوا من يجدونه الى حيث يستوفي عقاباً أليماً وكذلك وضعوا في الافواه لجأماً من الرهبة فلا يكاد ينطق الناطق بكلمة في مطلب علمي أو تجادل في حال شخص الا ويرمي بكفر وزندقه أو طعن في حاكمه وله عند ذلك الويل الذي لا مخلص منه كل ذلك سمعنا بعضه بالنقل ورأينا بعضه الآخر بالميان

فتلك كانت حالة تميمه يجب على عقلائنا ان ينتحلوا كل وسيلة لتخليص رقاب العباد منها فرزق الله هذه البلاد باناس خالطوا الامم المتمدنة وطلعوا أحوالها ورأوا ما عليه أهلها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتمدنة لكنهم أول ما بدأوا به ان أباحوا (ما أقبحها من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يخص

نفسه بإرادته و يتكلم فيما هو مقصور على ذاته بمقتضى فكره و شرطوا في ذلك شرطاً (ما أنفسه من شرط) وهو ان تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطه مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن الجبوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية و نادوا بها على اللسنة الظالمة فكان حاصل تلك الحرية ان لاجنح على من ارتكب أي جريمة و تطبع باي خلق حسنا كان أو سيئا و ذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسداً و انما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطلوباً أو يستقضى منه مسلوباً أياً كان فلم يجهلوا للسلطة حداً معيناً وهو الذي نسميه بالقانون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبقرها على ما كانت عليه و جعلوا تلك الحرية غطاءً على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقلدوا الأمم المتقدمة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العمومية الثابتة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح و ظلم ان كانوا متعمدين هذا التقييد ثم أنهم قلدوها في الاحوال الجزئية الشخصية مع علمهم ان البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فلذلك اندفعت الناس الى انتهاب الشهوات و هتكوا حرمة الوقار و مهالكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا يلفه الاوربيون في بلادهم الباردة و كثرت لذلك الحانات و مخازن الشراب المهلك للعقول و الابدان ثم تولعوا بما يتبع السكر من الهو و اللعب و تنافسوا في الحظوة عند النساء الباغيات و اتسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة و الملاعبة بين النساء و الرجال في الطرق و الشوارع و تعدى ذلك المرض الممدي الى الحرائر فذهب الكثير منهن الى حيث يتقنين و افنضحت بذلك بيوت شريفة و كرامت لتلك منماً أو رمت له دفناً قال المولع هذه حرية فضاع شأن الآداب و انحطت قيمة الشرف و الوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء و ذوي المقامات يتسابقون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة و يدعون اليها من دونهم و من فوقهم (الا قليلاً) و يصرفون فيها مالا بقدر من التقود (و سأجعل لذلك موضوعاً خاصاً) و كاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي هذه نتائج حرية ذلك العمل

وأما نتائج حرية الفكر (التي بزعمونها) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فان قيل له خفض من صوتك واجمل في قولك فما كل الناس يرضاه قال اننا في زمان الحرية على ان أفكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادي ربما يقال انه اتخذها مشرباً بل ألفاظ حفظها من معاشره لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها لعجز عن التعبير والتجأ الى التهموس ورمى من يخاطبه بالجهل والخشونة حيث لم يواقه على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية التي يظنها ثوراً وتبصراً ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والعباد بالله ثم يسأل عن حكمة المعراج ومنهم من ينكر النبوات ويعتقد بالشياطين وما أشبه ذلك فهو لاء من الجهل بمكان لا يعلم فيه حيوان فضلاً عن انسان فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاً ونا لم تدع لها أترا يحمد وان كان الأورباويون يحرصون عليها فان استعداد بلادنا لم يكن ملائماً مثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فان الجاهل الذي لم يتمود على نصريف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الخبيثة تبئمه بأبخس الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر وتفله بطوق النذل والمار ويايته بقي تحت سيادة القانون يسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكبسة على ما كان فيها من الخطر على النفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تتقدم فيه التربية فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترفع الكبسة بناتها ويزهد الناس أحرارا بطبعمهم وما كان ذلك بعسير ولا محتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها فلك الحرية التي سموها اطلاق الفكر قد عتقت صاحبها من قيد العقل وأسلمته الى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيف ما يقتضي من المضرات ولو أنه

بقي تحت سيادة العقل يسوسه المهذبون وبقوده المتبصرون حتى يعلم من أين تأتي الأفكار وبأي الوسائل يوفي العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى ولم يكن محتاج الا لتخفيف يسير في شغاعات المتعصبين وتعيين دائرة منتظمة يردد الكلام بين محيطها الى زمن معين حتى تستقيم العقول فتضرب لنفسها حداً تقف عنده ولكننا طلبنا ان نكون على مثال الاوربيين في عوائدهم حتى المضرة بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وباليت العقلاء منا في الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتمدنة في الأزمان السابقة عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم ان يضعوا لأهل البلاد قانوناً بسيطاً ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه من ادراكهم ثم يفوض الى أهل كل بلد ان تنتخب منها عدداً معيناً ليقوم بالفصل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها ويذهب اشخاص من المارفين الى القرى والمدن ليفهموا أوثق مواد القانون السهل البسيط ويدربوهم على كيفية العمل به ثم لايزلوا على المراقبة ازماناً فلا تمضي مدة حتى يكون جميع الاهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتصو فيهم القوة ونحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد ايطاليا وفرنسا وغيرها في مبدأ تمدنها ثم يتدرجوا في القوانين الى أرقى مما وضعوا أولاً مع تفهيمه وتعليمه لجمهور الاهالي ليعلموه فيقفوا عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لا يفهمها الا الراسخون في العلم وهي محفوظة بين دقات الكتب وصدور بعض من الزبهاء لكن الاهالي أنفسهم الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم ان يعملوا بمقتضاها ان هذا شيء عجاب غير ان العقلاء منا يقولون لا بد ان نكون مماثلين لأوربا في القوانين والمعادن رغماً عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين لأحكام بقعنا وما تقتضيه طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبداً وانا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الاعمى واستمر بنا الأخذ بالذوايات الزائدة قبل البدايات الضرورية الواجبة ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وان

يكون انتقالنا عنها (لوانتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فعلى من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقاً قوياً ولاأراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) أما لا يكتبني بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بإرسال المنشورات الى عدد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لا بد من تشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات والا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صفار المأمورين عن الاجراءات المضرة بالحكومة والاهالي معاً ثم وضع حدود قوية للاعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورنا وليس بجائز أن يجعل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط ومركز النظر في جميع ذلك نبهاء البلاد وذو الشأن فيها فليعلم ان كأرواصدقين في الوطنية ان يبذلوا الجهد في طلب ذلك والقيام بما يلزم والاقامهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب في العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ - ٤ مايو

سنة ١٨٨٢

التمرن والاعتیاد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الأمرين عزم وليس بعده الا الطلب بالفصل أو التترك والتترك لا يحمل النفس كبير مشقة سوى الوقوف على كون المتروك من الأمور التي تكلف بها النفس تكليفا ضرورياً أو كالياً كان من الأمور المباحة أو المحظورة فاذا وقفت على حقيقته انصرفت عنه انصرفاً

أما الطلب فهو أحد الأمرين الذي يحمل النفس عن اثنين أحدهما يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أر باب الحل والعقد ورجال النقد نسبة الأمرين التضامنين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الأول فهو البحث في أصل الطلب واستقصاء ما يعود منه على الطالب أو غيره من المنافع والتغيب عن الوسائل التي توصل إلى الغاية بلا مشقة ولا فوات منفعة وتقدير الأعمال إزاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل في الأعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله إنما يكون بعد أن تُعرف نسبة الطلب إلى غيره من المطالب ليُرجح عما سواء بخصوصية من الخواص حتى لا يلزم على الشروع فيه التراجع بلامرجح هذا شرح حال العناء الأول وليس بعده إلا الشروع في العناء الثاني عناء الأعمال البدنية

أما فوائد الأعمال فهي وإن كانت جزئياتها غير قابلة للدوام والاستمرار إذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فتأخره كذلك ولكنها تقبل الدوام بكليات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لا يستغني عن هذه الفوائد وقتاً من الأوقات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته إلى فوائده سواء كانت من الضروريات أو الكماليات فهو محتاج إلى دوام الفوائد ودوامها يتوقف على دوام الأعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس أمانه العمل المطلوب في موضوعنا هذا أمراً من لوازم وجود ذاته فيحتاج إلى صفة زائدة تقضي عليه أن يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافياً لهذا الاقضاء إذ ربما تحتمت الحاجة بدون أن يتحقق دوام العمل وإلا لم نسمع بذكر التهاون والكسل والاهمال وما شاكلها على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها في الدرجة الأولى درجة الاضطراب البحث فهو بنفسه كافٍ لادمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالادمان أي التمسمة لملته هي التمرن والاعتیاد وبعبارة أوفق بالفرض: إن ما لا تدعو إليه الحاجة أصلاً في زمن من الأزمان قد تدعو إليه في زمن آخر لا لسد الاضطراب البحث بل لما زاد عنه من الحاجات الثانوية كالكماليات والمجسّنات وقد تدعو إليه بعد زمن طويل أو قصير لسد الاضطراب البحث فلا يجد الإنسان عنه فراراً فيتكلفه مقهوراً مقسوراً يتصور المنفعة على بعد وإنما غائب في دهشة آلام الأعمال التي لم يتكلفها يوماً من الأيام لولا حكم الصروف والحادثات التي قلبت قلب المصفر

في يدي الطفل فلا يزال يحس بالألم ويدهن العمل حتى يهون عليه شيئاً فشيئاً
الى ان يزول الألم بالكليّة ولا يجد الا عملاً بدون ألم فاذا مضت برهة بعد
الابتداء يحس من نفسه بعض الميل الى العمل فكأن الألم الاول استنحال الى
ضده (على حكم تلاقي الطرفين) و يجد منه باعثاً طبيعياً اليه وهكذا يزداد الميل
و يشند العشق حتى لا يميل به الكسل يوماً ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود
من التمرن والاعتیاد

أما كون الشيء ربما يكون ضرورياً في وقت دون وقت فالأمر فيه وان
كان على ما أظن لا يحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لتوضيحه لبعض
الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لا يتف عند حد محدود فيما ينطلق
بلوازم حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب يعده من قبيل النمدن
أو الحضارة أو الترف في المعيشة أو غير ذلك بل يكفيه ما يسد الرمق من القوت
ويقويه الحر أو البرد من اللباس ويكفيه وقت الايواء من البيوت غير أنه لما
تأتى في هذه الضروريات بعض التائق ورأى أنها تقبل التحسين شيئاً فشيئاً أخذ
على نفسه أن لا يقر له قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل
ما تبادى اليه فكرته فجد واجتهد واستطلع بقوة النظرية خواص العناصر فحسبها
عند ما اكتشف منها معدات تساعده على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها
بصفتي التحليل والتركيب حتى فتتح أبواباً للتجارة والزراعة والصناعة ووصل
الى ما وصل اليه الآن وهو في هذا السير الطويل ينحدر أتقلاً على أتقال كلما
وصل منه الى درجة ظننا آخر الدرجات وحسب نفسه فيها غريباً فيتخذ نتائج
تقاليدها الغربية زينة شأن كل أمر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز
قال الشاعر

سبحان من خص القليل بمره والناس مستمنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذي نفس لمحتاج الى أنفاسه

فاذا توطنت نفسه الى هذه الفرائب زماً استراد منها حتى يبلغ بها حده

الكثرة فيسنعلمها في لوازمه الضرورية في كافة أحواله ولا يخصص بها وقتاً دون وقت الى ان تصبر من قبيل الأمور المتعاقبة التي لا يستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال ويتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بمقامة المنيف ويحط بمقداره الشريف ولا يندكر أنه هو هو الانسان أيام كان يقات بسائط النبات ويستتر بأوراق الأشجار ويأوي الكهوف والأغوار فبان بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر تقول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئة الاجتماعية البشرية ما وصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لا بد كما يشهد العيان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان ماأ كفه) بحكم الحيوانية مطبوع على النعدي والشرة فقفاخرها بما يدهش العقول ويبهز النواظر من صناعاتها الفريية وأوضاعها الجميلة فترمقها تلك بعين الذاهل المندهب وتتوهم أن ضعفها واقعي فتنبض نوعاً من الانقباض فاذا نوسمت فيها هذه الانكماش والذعر (الخوف) أخذت تهددها بما تطلب عليها من ضروب الحيل والدهاء و بما تنظاها به من قوة الجند وكثرة العتاد فتقف تلك وقفة الحائر المفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ما وصلت الى ما وصلت الا بالعلم والعمل المتوقفين على الكد والاجتهاد فتندفع وراء الجذب بحكم الاضطرار حتى تصل الى ما وصلت اليه أوتكاد غير ان تلك أيضاً بعد ان تذوق لذة التقدم وتنسبها سكرة التيه طعم الذل الذي كانت تقاسيه تحت رهبة جارتها الأولى تعامل الأمة المجاورة لها أيضاً بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضطرها كذلك الى ان تترك من الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من يجاورها من الأمم حتى تنتظم الأمم جهما في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب النسابق طبيعية في الناس فلا تراهم يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أمة كذا اتهرت فرصة عظيمة وفتحت بابا من أبواب التقدم عاد عليها بالبناء في الاموال والانس والثمرات و بأن مجاورها يخشون بأسها ويرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن في الحسبان ولا تسكن خواطر بقية الامم والممالك حتى ينساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الامم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التلقبات والتقلبات يحكي حال الجمعية الانسانية من يوم ان تفرقت شعوبا وقبائل يتخالفون في العوائد والاخلاق فيتنافسون ويتحاسدون على التقدير والتقدير وينتاب عليهم حب الذات والميل الى الخصوصيات فيدعون أنهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يتقلبون على جمر الشحناء ويمذّبون بعوامل البغضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في مخالب التكلف ومشاغ التنقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا وينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجهد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في يراخي الراحة عند ما يصلون الى نقطة التمرن والاعتیاد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات تقدمهم غير متناهية فلا يزالون يترددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى المجرى الطبيعي فيلتئمون بعد التفرق ويرفعون عن أعينهم حجاب هذا التشتت و ياليت شعري ما هو النازل الذي حل بالانسان فغير معاملة الطبيعية وبدل أخلاقه السلمية وحل رابطة النوعية والا فهدنا به ان لم نقل انه من أم وأب تسليما جدليا فهو من نوع واحد يشف مراه عن الوحدة النامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد ر بطتها عادات وأخلاق منحدرة الصفة ولقد رمزت تعاليمه الحاضرة - التي منها وهو أكبرها تعميم المواصلات وتأکید الروابط بين الممالك وحركة الاجتماع والتألف - الى هذا السر المكنون وبشرتنا المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة العموميين حفظا لحقوق الانسان وصونا لذمة الشرف بان الحركة العمومية موجهة الى النقطة الاولى

وكما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيراً خفياً في الجمل الغفير من عقلاء الناس فقالوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتمصبوا لجنس ولا دين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لا ترى الجمعية البشرية بعد إلا كساكني منزل واحد يرتفقون بمنافعه على السواء ويمجدون من بركات الارض ما يكفهم مؤنة التعب ويكفهم عن الشقاق والمنازاة اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل قبيل نازل توجه الكل الى اتقاذه مما ألم به وساروا جميعاً على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطير النياحة، ومرنه على السباحة، ثم لا ترى فيهم اذ ذاك ما يحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لا ترى الا أعمالاً جارية على منهج السهولة منهج الثمرن والاعتياد اه من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المرسلات والمناظرة

الدين كل ما جاء به الرسول ﷺ

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار
أطلعت على المقال المدرج في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي
توفيق تحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)
فأدهشني العجب لما رأيته فيه من الفلسفة الخارقة التي لم يسبق لها مثال اذ
قرر حضرته هدم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلاً ثبتت جذوره في قلوب
جميع المؤمنين) ثم ان الكاتب لخص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصاً يمكن
النراع فيه على انه لا حاجة اليه ثم قال مانصه
ولم يري لولم يكن الرسول منبياً لأحكام الله التي لم تفصل في التثريب ككيفية الصلاة
من ركوع وسجود وتسيب وتهليل ومشرعاً لما لم يرد في القرآن حكمه وان ما بينه أو شرعه
واجب الاتباع تعطلت وظيفته وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثاً وباطلاً قتل

لي بأبيك اذا لم يكن أمر الرسول صاحب الشرع وصاحب الوحي المعصوم من الخطأ والزلل كأمر القرآن والكل من عند الله فما معنى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ومعنى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ومعنى « فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » ومعنى « ومن يعص الله ورسوله وينه عن حدوده يدخله نارا خالداً فيها » ومعنى « وما ينطق عن الهوى » قل لي بانصاف لولم يبين الرسول كيفية الصلاة التي أمر الله بها من ركوع وسجود أ كان أحد من الصحابة يمكنه أن يؤديها على حسب رغبة الله فيركع الركوع الخصوص ويسجد مرتين في كل ركعة ؟ ما أظن ذلك أبداً ولا أظن أن الكاتب نفسه عرف كيفية الصلاة إلا عن سنة النبي اذ القرآن لم يبين ان يسجد الانسان مرتين بل أجل الامر وترك كيفية التفصيل للنبي . أيريد الكاتب ان يفهم في الدين فهما غير ما كان يفهم رسول الله و بذلك يكون الدين أو القرآن (كالأسنك) صالحاً لكل زمان ولا يكون جامداً متحجراً كما يقول البعض ان قول الله عز وجل « فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول »

لبرهان قاطع على ان سنة الرسول يرجع اليها ككتاب الله وكذا قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » أدل دليل على أن أوامر الرسول ونواهيها واجبة على متبعيه ولا يشبهه عليه انها نزلت لسبب اذ العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولماذا لم تذكر طاعة الله الا مقرونة بطاعة الرسول أ كان ذلك من باب ترادف اللفظ على المعنى الواحد فتكون طاعة الله هي اتباع أوامر القرآن وطاعة الرسول هي أيضا اتباع أوامر القرآن أم كانت طاعة الله فيما أمر به في القرآن وطاعة الرسول فيما بينه من الاحكام التي لم ترد فيه ! قل لي أي المعنيين أرجح عندك لأظن الا الثاني الذي لا يقبل العقل السليم غيره

واني واثق بمن أن الكاتب مقتنع بالقرآن حيث جزم بصحته أفلا يقتنع بما

سردته له من الآيات

ولو كنت أعلم انه يقتنع بالأحاديث التي لم يستغن عن الاستدلال بها في

مقاله لا وردت له كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي تزيل عنه الشبهة كحديث « أنتم أعلم بامور دنياكم فاذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به » وحديث « ما من نبي بشه الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقندون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وحديث « ألا اني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم رسول الله كما حرم الله »

يقول الكاتب ان آية القصر تفيد ان الصلاة المقصورة ركعة واحدة للمأموم واني لا اعجب كيف استنتج ذلك لأن الآية لا تفيد ركعة ولا اثنتين ولا ثلاثا لأن الله يقول « فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ولفظ سجدوا لا يفيد ركعة ولا غيرها

أما ما يقوله من ان النبي كان يواظب على أعمال من العبادة كثيرة ولم يقل أحد بوجوبها مما يدل على أن المواظبة على الشيء لا تقتضي وجوبه فهو مردود لانه بين لأصحابه الواجب والمندوب وجرى على ذلك نحو أن بعائة ألف مليون مؤمن (كذا) من عهده الى وقتنا هذا من غير ان يشذ منهم واحد واني أخجل ان أقيم على ذلك دليلا لان اثبات البديهيات من المشكلات . أفلا يقنع حضرته ما أقنع أوامك الملايين

يقول ان النبي لم يأمر بكتابة الأحاديث في عهده كما أمر بكتابة القرآن مما يدل على انه لم يرغب ان يبلغ عنه شيء من غير القرآن . وهذا أيضا مردود لانه كما أمر بكتابة القرآن أمر كثيرا بحفظ ما يقول ويفعل روي عنه هذا وقد حفظت أحاديثه في صدور الرجال الذين حفظوا القرآن وحرصوا عليها حرصاً شديدا حتى ان الواحد من أصحابه كان لا يعمل عملا الا ويستشهد عليه بجملة أحاديث وقد خلف من بعدهم رجال دون هافي الكتب كما دونوا القرآن وتحروها

رواية ودراية حتى ضرب بهم المثل في شدة التحري لسنة الرسول (راجع مصطلح الحديث وتاريخ البخاري وغيره) وجملوا لها مراتب يعمل بحسبها في الأحكام حتى صار اشتباهاها بأحاديث الكذابين بحال (كذا) وما كنت أظن ولا يخطر ببالى أن حضرة الفاضل صاحب المنار يذاكر الكاتب في هذا الموضوع ولا يقنعه وهو ابن بجدتها وبأمره بعرض مقاله في المنار مع خلوه من الفائدة لأن هذا يعد خلق مشاكل جديدة بين المسلمين وليس هذا مما يتناوله الاجتهاد المزعوم ولعمري إذا كان فتح باب الاجتهاد يجر الى ذلك فسد بالطين واجب

ماذا يا حضرة الفاضل تطلب من الازهريين وغيرهم من العلماء أن تطلب دليلاً منهم على أن أقوال الكاتب فاسدة بعد ما قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول الخ هل بعد أمر الله صراحة كلام لأحد وهل بعد اجماع ملايين من العلماء على ذلك محل الاستفهام والسؤال كلاً هذا وأرجوكم يا حضرة الرشيد المرشد سد باب مثل هذه المواضيع ونشر هذه المجالة التي لا أكتب بعدها أبداً في هذا الموضوع وفقنا الله وإياكم وجميع المسلمين للاهتمام بهدي الكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين أحمد منصور الباز

تقيب أشرف مركز كفر صقر من طوخ

(المنار) حذفنا من هذه المقالة ما يخص به كاتبها المقال الذي يرد عليه وقد أشرنا الى ذلك في موضعه. وحذفنا منها نحو ستة أسطر أخرى يذكر بها الكاتب مقاله الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي في اختلاف الأمة في فهم الدين وإنما حذفناها لأنه لم يترجم فيها ما يجب في المناظرة ولأنها ليس فيها شيء من القوة إذ مضمونها أن الأمة اتفقت على الشهادتين وسائر الأركان الخمسة وليس هذا نفيًا لاختلاف الأمة. ولو كنت أجيز لنفسي مناقشة أحد من المتناظرين في أثناء المناظرة لذكرته بالأحاديث التي نطنت بأن الأمة ستفترق وبخلاف الفقهاء والمنكسرين وبأن الرجل لم يقل أنهم اختلفوا في كل أصل وفرع.

أما تعجب الكاتب من عدم إقناع صاحب هذه المجلة للدكتور صدقي ومن حمله على كتابة رأيه في المسألة ونشرنا إياه فله وجه ومن أسباب ذلك أنه لم يتفق له أن ذا كرني في ذلك الا وأنا مشتغل بالكتابة اشتغالا لا مندوحة عنه واتي أعلم ان من الناس من يعتقد مثل اعتقاده في ذلك فلهذين السببين ولاعتقادي ان الانسان اذا كتب ما يخطر له فان هذه الخواطر تنتقل بالكتابة من حيز الاجال والابهام الى حيز التفصلة والجلال حتى انه كثيرا يظهر للكاتب الخطأ فيما كان يعتقد عند كتابته له . وكنت أريد أن أبين له رأيي فيما يكتب قولاً لا كتابة ولكنه اقترح ان ينشر ذلك ليصرف رأي علماء العصر فيه فنشرناه ليكون الرد على ما فيه من خطأ وشذوذ رداً على كل من يرى هذا الرأي وقد حدثنا بعض كبار شيوخ الأزهر وأذكياء المجاورين ان أهل الأزهر اهتموا بذلك المقال وتحدثوا بالرد عليه وأهم ظنوا ان المنار ربما يتعقبهم ويرد عليهم فقلنا لهم اننا لا نرد على أحد ولا نكتب فيما نكتب في الموضوع شيئاً بعد انتهاء المناظرة لان ذكر فيه أحداً من المتناظرين ولا نرد عليه . ثم بلغنا ان بعض الاستاذين قد شرع في الكتابة بالفصل . ونحن لانشروط على من يكتب الأتزانة العبارة وسلامتها من العطن والنهكم عملاً بأدب القرآن الحكيم (وا نأوا ياكم لعل هدى أوفى ضلال مبین)

تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الأستانة

جاءتنا رسالة من عالم عثماني عنوانها «أهكذا يخلف محمدني أمته» لانستحسن نشر مثلها في شدته وان كان حقاً ولكن رأينا ان نأخذ منها ما هو من أخص مباحث المنار وهو مسألتان احدهما طريقة تعليم الدين للأحداث وطريقة وعظ الرجال به بتركيا في هذا العصر الذي يسمونه «الحميدي الأور» ذكر الكاتب في أوائل رسالته أن بعض المستخدمين بنظارة المعارف في الأستانة كان قد رفع تقريراً الى المايين يلفت فيه السلطان الى فقرة «وتخلع ونترك من يفجر» الواردة في دعاء القنوت وينبه الى وجوب حذفها من هذا

الدعاء أو حذفه هو برمته من أدعية الصلاة . وقال ان السلطان استشار بعض بطائنه في أمر هذا التقرير فأشار عليه بالاعضاء عنه وبين له سوء عاقبة الأمر بتركه . ذلك ان قراءة هذا الدعاء برمته في الوتر واجبة عند الحنفية والترك منهم ومن تركه عمداً وجبت عليه إعادة صلاته . وقال الكاتب «ان هذا الخبر نبي الى سبط الفاتح (سوخنه لر) فسخطوا وبربروا ، وتقموا وكفروا ، فأشار ذلك الداهية على جلالته بأن يصدر ارادة بمنع الجهر بمعاقرة الخرجهراً على برازيق الطرق والمحال العمومية فما أسرع ما كان ذلك مطلقاً لجمرة أصحابنا الشيوخ وداعياً لفت حذتهم وارجاع ثقتهم »

« ولم يكن يخطر لنا هذا الأمر بيال سيا والارتباب في الخبر مدعاة لسيانته لولا كرسية تركية صغيرة تسمى (النباي عثمانى) جلبت برخصة نظارة المعارف في مقر السلطنة سنة ١٣٢٢ وقد حوت ما يحويه أمثالها مما يلزم للمبتدىء تعلمه لاجل حذق القراءة . تصفحت تلك الكراسة فوجدت فيها جميع الادعية الماثورة حتى «رب يسر ولا تعسر» لكنني لم أر مؤلفها ذكر فيها دعاء القنوت الواجبة قراءته على مقلدي مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه والترك في جملتهم . (وذكر هنا كلاماً شديداً ثم قال)

« وقد استفاض مؤلف الكراسة عن دعاء القنوت بهذه الفقرات « الله بردر محمد حق رسوليدر سلطان عبد الحميد خان ثاني أفند يمزحضر تلري مقدس خليفة سيدر . بزم سو كيلي بادشاهمز در - الله تعالى به بيغمبر يمز بادشاهمز اطاعت أيدرز أمر لر نبي طوتار نهيلرن دن اجتناب أيلرز» ومعنى ذلك «الله واحد محمد رسوله حقاً سيدنا حضرة السلطان عبد الحميد خان الثاني خليفة المقدس ومليكننا المحبوب - نطيع الله ونبينا وسلطاننا وننمسهك بما أمرنا به ونجتنب ما نهوا عنه» «فما ودني عند قراءة ما تقدم الوجوم وعجبت من هذا الارتقاء الذي شمل جميع شؤون الامة حتى دينها : فبعد أن كان المسلمون في أول نشأتهم يؤمرون بالتوجه الى الله وحده وتمييزه عما سواه بالاخلاص اليه أخذوا في هذا العصر «عصر الترقى» يعلمون ابناءهم التوجه الى «ثلاثة» بحيث بشر كونهم في خصائص

الالهية كي لا يفوت المسلمين التشبه بغيرهم من اتخذله ثلاثة أقانيم . وبالبتهم اذ فعلوا ذلك قرنوا اسم الاقنومين الأولين بألقاب اتبجيل وصفات التقديس كما قرنوا اسم الاقنوم الثالث !

هكذا أخذ المسلمون عن أنفسهم وصوروا في وجدانهم وحسهم وجيل بينهم وبين ما يشبهون من تنشئة ابنائهم : فلا يكاد الناشئ يزابل المكذب ويفلت أمثال الكراسية المذكورة من يده حتى يتناول جريدة من جرائد أمته فيقرأ فيها في وصف القصر «عنة فلك مرتبة» وفي وصف المقصور «ذات قدس سمات» «ذات فرشته سمات» أي الذات المقدسة الشامل أو التي شأثلها كشائل الملائكة .

وإذا أراد أن يمنع بصره بمشاهدة حفلة صلاة الجمعة (السلامك) رأى كما رأيت بعيني) عمامة شيخ الاسلام تهوي الي بين قديمي جلالته وهو يشكر له ويدعو . وإذا أم المسجد لأداء فريضة الجمعة سمع حمامة المنبر المطوقة بالذهب يفرد بصوت يستثير الطرب، ويقول :

الحمد لله ثم الحمد لله . الحمد لله الذي أيّد دين حبيبه بدوام سلطنة ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان . وأبقى شريعة نبيه بقاء سلالة آل عثمان الفازي عبد الحميد خان . فسبحان الذي أخذ انتقامه من عدوه بعدالة ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له منح الأمن والراحة على عباده بمحافظه ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نبى نصره الله على عباده بأطاعة عساكر ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان . صلى الله عليه وعلى آله .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل نبي رفیق في الجنة ورفیقي فيها آل عثمان الفازي عبد الحميد خان» صدق رسول الله الذي مدح في حديثه جنود المنتسبين بملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان» اه

اضحك أيها القارىء، اضحك الله سنك كآني بك وقد ارتبت في هذه الخطبة وحسبنا من أوضاع كاتب السطور أو تاجنه لكني أحلف لك بكل ماتكلفني الحلف به أن هذه الخطبة قرئت مرات متعددة في اسكدار في جامع رأس السوق في نبي چشمه . وبعض الدين يفهمون نهضوا حالاً وأنزلوا عن الجماعة وخرجوا من الجامع . وقرئت أيضاً في جوامع أخر وأجيز واضعها بثمة ليره . وسمها شيخ الاسلام وغيره من العلماء وسكتوا .

لم يعن الشارع بجمل خطبة الجمعة والانصات اليها من الفروض الا لما من حقه ان يكون لها من التأثير في نفوس المسلمين بحيث تحفزهم لشحن عزائمهم وتوجيه همهم نحو لم شعهم وتوفير كل ما فيه رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم بين الأمم . وما قط قصد الشارع أن تكون خطبة الجمعة قصيدة محشوة بألقاب الاطراء والثناء العظيم وارنكاب الكذب على حد قولهم «اعذب الشعرأ كذبه» - ولا دوراً أو موالاً يتوخى فيه حسن الايقاع ومواقفة أصول الانعام وتكون للأمة بمثابة «نشيد وطني» كما عند سائر الأمم .

أن شئت أيها القارىء الاستئناس لما تقول بما قرره العلماء رضي الله عنهم في هذا الصدد فدونك ما قاله واحد من كبارهم وقد عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري .

« وما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فاما اصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المهدب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه

« وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلا وهو ظالم أو يصفه بالفارزي وهو لم يوجف على العدو بخيل ولا ركاب . ولكن مطلق الدعاء لهم بالصالح لا بأس به .

« وقد اتفق ان الملك الظاهر يبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها الى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال - مع كونه تركياً - مللنا الخطيب بقول في خطبته

السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا وأمر به أن يضرب بالمقارع فتشفع له الحاضرون . هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خاص الا بعد الجهد الشديد . واتفق مثل هذا البعض امراء مصر في زماننا (يعني محمد بك الألفي أحد امراء المماليك وقد نازعته نفسه بالخروج على السلطان فأرسل مملوكه محمد بك أبا الذهب الى الشام للاستيلاء عليها كما فعل محمد علي باشا في إرسال ابنه ابراهيم والتاريخ بعيد نفسه) لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكان مغرورا بدولته مستبدا برأيه فأطرب الخطيب في مدحه فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب وإهانته وتقيعه عن مصر الى بعض القرى .

« فهذا وأمثاله ينفي للخطباء ان يلتمسوا سخط الله برضا الناس فإن ذلك موجب لسخط الله والمقت الابدني نسأل الله العفو » اه
من أمن نظره فيما قلناه ونقلناه بأسف لحال الأمة الاسلامية كيف ان «سائتها وكبراءها» في المصور المتأخرة أساءوا في إدارة شؤونها وتربية ابناءها واستدرجوها في الاستكانة والاستخذاء حتى نزع منها روح الحرية وفقدت النعمة والحماية وحل محل ذلك انضمام والجنود وعدم المبالاة بحفظ الحوزة وحماية الحقيقة . الخ

رأي واقترح في مقالة التعصب لعالم فاضل

الى منار الاسلام، والهادي اذا ضلت الافهام، وطاشت الاحلام
قرأت في المنار الرفيع المقالة المسببة، بل الآية المعجبة، التي تحت عنوان (التعصب وأوربا والاسلام) بعدما استقصيت كل ما سبقها في موضوعها فوجدتها فضلا عما اشتملت عليه من البراهين القاطعة، والآيات الناصحة، في تبرئة دين الله الاسلام وأهله ما يكون منزع شقاق أو افتراق بين أهل الارض مهما اختلفت نحلهم، أو تباعدت حللهم، وأنه بعكس ذلك يدعو الى الوئام العام، ولم تترك في القوس منزعا لرام، قد بينت حقيقة الحال على وجهها بما لم يسقطه به ناطق أو محرر وكشفت النقاب عن حر المسئلة التي تخبط فيها ذور السياسة والكتاب

فألبسوا الأمر غير لباسه، وبنوا البيت على غير أساسه
فجاءت مظهرة رأي خواص المسلمين الذين يعول عليهم، ويستند في مثل
تلك المواقف الحرجة إليهم، وياحبذا لو ترجمت هذه المقالة ونشرت في جرائد أوروبا
تحت عنوان (رأي علماء المسلمين الآن) ليعلم أهلها عامة والانجليز خاصة ما عليه المسلمون
في دينهم الخالص وأن هناك من يقف على دخائل الاغراض، وحقائق الامراض،
وما لهم من مخارم ان كانوا قساة، أو مراحم ان كانوا أساة، وبالاختصار أقول
ان المسلمين ليضطربون أنفسهم قبل غيرهم بمثل هذه المقالة التي لا يسع كل
منصف عدل من الفريقين الا الاذعان لما جاء فيها ان لم يكن ظاهرا فباطنا وأنا أشهد
الله اني من المعترفين بأنها هي طريق الحق التي لا غبار عليها الغرض ذاتي أو عرضي
وانها مرآة مافي قلوب المسلمين الخنص الذين لا يدينون الا للحق وداعيه، والعدل
ومراعيه، فلتسلم مطبعة المنار ليقوم بها الدليل ويعرف حكم التنزيل وحسبنا الله ونعم
الوكيل

أحد قراء المنار

فَتَاوَا الْمُبْتَنِينَ

فتحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة
بالتنسيق غالباً ورمما قدمنا متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا يظن هذا. ولمن
يعضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا نقاله

﴿أخذ الحق من الوالدين وضابط العقوق﴾

(س ٣١) من أحد القراء بمصر: ما قول عالم الامة الاسلامية وحكيمها ومرشدها أستاذنا
السيد محمد رشيد رضا لزال كعبة للسائلين في رجل اشترى لولده أملا كامن أناس
أجانب بعضها وهو صغير والبعض الآخر وهو كبير ودفع الوالد الثمن من عنده
فلما رشد الولد واراد أن يأخذ ما اشترى له منعه والده من أخذها فهل يجوز للولد
أخذها منه وله الحق في ذلك لكونها ملكه أم لا وهل تعد إساءته بأخذها منه

عقوقاً بما يقبه الله عليه في الآخرة أم لا أفيدوا الجواب بالدلائل الشافية لازلم نجما للمهتدين

(ج) الفقهاء يجيزون أخذ الحق من الوالدين وإن أساءوا ولا يعدون ذلك من العقوق الذي هو الأيذاء الشديد عرفاً والمسألة مشكلة من حيث صلة الولد بالوالد وإذا نذكر أحسن ما قاله الفقهاء في ذلك ثم تتبعه النصيحة النافعة إن شاء الله تعالى . قال شيخ الإسلام السراج البلقيني في قفاواه كما نقل عنه ابن حجر في الزواجر ما يأتي :

«مسألة قد ابتلي الناس بها واحتيج إلى بسط الكلام عليها وإلى تفاريحها لتحصيل المقصود في ضمن ذلك وهي السؤال عن ضابط الحد الذي يعرف به عقوق الوالدين إذا إحالة على العرف من غير مثال لا يحصل به المقصود إذ الناس اغراضهم تحملهم على أن يجملوا ما ليس بعرف عرفاً لاسيما إذا كان قصدهم تنقيص شخص أو آذاه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهو أنه مثلاً لو كان له على أبيه حق شرعي فاختر أن يرفعه إلى الحاكم ليأخذ حقه منه فلو حبسه فيها يكون عقوقاً أم لا (أجاب) هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الأكبر إنه يمسر ضبطه وقد فتح الله سبحانه وتعالى بضابط أرجو من فضل الفتح العظيم أن يكون حسناً قول: العقوق لأحد الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً من جملة الصغار فينتقل بالنسبة إلى أحد الوالدين إلى الأكبر أو أن يخالف أمره أو يهيه فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه ما لم يهيم الوالد في ذلك أو أن يخالفه في سفر يشق على الوالد وليس يفرض على الولد أو في غيبة طويلة فيما ليس بعلم نافع ولا كسب أو فيه وقعة في العرض لها وقع . وبيان هذا الضابط أن قولنا إن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً مثاله لو شتم غير أحد والديه أو ضربه بحيث لا ينتهي الشتم أو الضرب إلى الكبيرة فإنه يكون المحرم المذكور إذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة . وخرج بقولنا أن يؤذي ما لو أخذ فلاناً أو شيئاً يسيراً من مال أحد والديه أنه لا يكون كبيرة وإن كان لو أخذه من مال غير والديه بغير طريق معتبر كان حراماً لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل

ذلك لما عنده من الشفقة والحنو فان أخذ ما لا كثيراً بحيث يتأذى المأخوذ منه من غير الوالدين بذلك فانه يكون كبيرة في حق الاجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا وإنما الضابط فيما يكون حراماً صغيرة بالنسبة الى غير الوالدين .

« وخرج بقولنا «مالو فعله مع غير والديه كان محرماً» ما اذا طالب الوالد بدين عليه فاذا طالب به أو رفضه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فانه لا يكون من العقوق فانه ليس بمحرام في حق الاجنبي وإنما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً وهذا ليس بوجود هنا فافهم ذلك فانه من النفائس . وأما الحبس فان فرعنا على جواز حبس الوالد بدين الولد كما صححه جماعة فقد طلب ما هو جائز فلا عقوق وان فرعنا على منع حبسه كما هو المصحح عند آخرين فان الحاكم اذا كان معتقده ذلك لا يجيبه اليه ولا يكون الولد الذي يطلب ذلك عاقاً اذا كان معتقده الوجه الأول فان اعتمد المنع وأقدم عليه كان كما لو طالب حبس من لا يجوز حبسه من الأجنب لا يسار ونحوه فاذا حبسه الولد واعتقاده المنع كان عاقاً لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لا يجوز كان حراماً وأما مجرد الشكوى الجائزة والطلب الجائز فليس من العقوق في شيء .

« وقد جاء ولد بعض الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من والده في احتياج ماله وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك عقوقاً ولا عنف الولد بسبب الشكوى المذكورة » وأما اذا نهر الولد أحد والديه فانه اذا فعل ذلك مع غير والديه وكان محرماً كان في حق أحد الوالدين كبيرة وان لم يكن محرماً وكذا (أف) فان ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر ان يكونا من الكبائر »

ثم ذكر البلقيني مسألة مخالفة الأمر والنهي فيما يدخل الخوف على الوالد ومسألة السفر وليس من موضوع بحثنا . وقد بحث ابن حجر بعد ايراد هذه الفتوى في الضابط وعنده ان المدار في العقوق على ما يتأذى به أحد الوالدين تأذياً ليس بالهين عرفاً وان لم يكن محرماً لو فعله مع غيره قال « كأن يلقاه فيقطب في

وجهه أو يقدم عليه في ملاً فلا يقوم له ولا يعباً به ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذناً عظيماً . وقال الغزالي في الاحياء «وجهة عقوقهما ان يقسا عليه في حق فلا يبرّ قسهما وأن يسألاه حاجة فلا يعطيها وان يسأله فيضربهما» وهو قد نقل ذلك عن القوت لأبي طالب المكي أقول لاشك ان إيذاء الوالدين محرم ولكن ليس كل إيذاء عقوقاً وإنما العقوق هو الإيذاء الشديد وهو يختلف باختلاف العرف عرف العقلاء وأصحاب الذوق السليم والمعرفة بأداب الشرع وأحكامه والا فان من الوالدين من يؤذيه اتباع ولده للحق ومخالفته لهواه الباطل ولذلك قالوا انه لا يجب على الولد أن يطلق امرأته امثالاً لأمر أحد والديه وان مخالفتها في مثل هذا لا تعد عقوقاً . ومثل ذلك مخالفتها في كل ما فيه مصلحة له وفي تركه مضرة . نعم ان من البرّ المحمول أن يؤثر سرورها على سروره عند التعارض لاسيما اذا كانا معتدلي الاخلاق سليبي الفطرة .

وهنا مسألة مهمة لا بد من الامام بها في هذا المقام لا يوضح الحق في الواقعة المستول عنها وهي ان كثيراً من الوالدين يستبدون في أولادهم استبداداً أشد من استبداد الملوك الظالمين في رعيتهم حتى يعيش الولد معهما في غم دائم ونكد لازم . والسبب في هذا الاستبداد الذي يكاد يكون منافياً للفطرة البشرية في الوالدين هو الاعتقاد بأن لما حقوقاً عظيمة على الولد توجب عليه ان يخضع لكل ما يربدان وأن لا يكون له معها ارادة ولا رأي ولا ملك وان صار أوسع منهما علماً وأجود رأياً وأكبر فضلاً فهما ينظران اليه في شبابه أو كهولته كما كانا ينظران اليه في حدائثه . يقع هذا من الأم قليلاً ومن الأب كثيراً لاسيما اذا كان من أصحاب المال أو الجاه فانه حينئذ يغلب عليه الشعور بمرزة سيادة الوالدية وعزة الغنى والرفعة جميعاً ويلتذ له أن يرى ولده مفتقراً اليه عاجزاً عن الاستقلال بنفسه وذلك منتهى الجهل وفساد الفطرة وغاية الإسراف في الاستبداد وهو العلة لما نرى عليه أبناء الاغنياء والكبراء الجاهلين من المعجز عن كسب الثروة وعن حفظ ما يرثون منها والسبب في اسرافهم في كل أمر

أما الآباء العقلاء فهم الذين يمينون أولادهم على برهم ويربونهم على الاستقلال بأنفسهم لأنهم يعلمون أن هذا الاستقلال خير لهم من المال والعقار ومن الجاه والأ نصار لان عدمه يذهب بكل شيء موروث وهو الذي ينال به كل خير معدوم. ومن التربية على الاستقلال ان يمطي النبي ولده شيئاً من ماله وعقاره في حياته يستغله ويتمتع بشعرته تحت نظر الوالد وارشاده ولذلك فوائد كثيرة لا يحل هنا لشرحها. وقد رأيت بعض الشيوخ المدبرين في طرابلس الشام يقسم بين أولاده كل ما يملكه ويمسك لنفسه ما لا بد له منه ويقول لو أمسكت عنهم لمتنوا موتي ليتتموا بما في يدي أما الآن فهم يحبوني ويتمنون ان تطول حياتي: وقد رأينا بأعيننا صدق هذا القول فيهم. وكان محمد باشا المحمد أغني أهل بلادنا (لواء طرابلس الشام) وأعتلهم وقد قسم جميع ما يملك بينه وبين أولاده في حياته بالمساواة ليعودهم على الإدارة والاستقلال، ويربهم على العز والاستقلال،

وما يؤثر عن القدماء في تأييد هذا ما قاله الأحنف بن قيس لما وبه وناهيك بعقل الأحنف وحكمته. قال يزيد أرسل معاوية الى الأحنف بن قيس فلما صار اليه قال: يا أبا بجر ما تقول في الولد؟ قال يا أمير المؤمنين أولادنا ما رقلو بنا، وعماذ ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسما ذليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمتحوك ودمهم، ومحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك،:

هذا وأما زدت في جواب هذا السؤال عما سئلت عنه لأنه يثقل علي أن أفي الابن بأن له أن يأخذ حقه من أيه كما أفي الفقهاء ولا أصل ذلك بما أرجو أن يكون سبباً في البر والصلة وتنبيه عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الوالد له له يتم فضله على ولده بتسليمه ما اشتراه له من قبل ليكون قررة عين له ومحباً لطول بقائه ومماناً على بره وشكره. وأنصح للولد أن يباليخ في استعطاف والده واسترضائه حتى تطيب نفسه بذلك وأذكر الوالد بعد ما تقدم كله بما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمران النبي على الله عليه وسلم قال «رحم الله والد الأعان ولده على بره» فان هذا الحديث من الادعية التي ترشد الى الحكمة السامية وان كان في سنده

مقال • ورواه الفوقاني من رواية الشامي مراسلا كما في شرح الاحياء والله الموفق

السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان ﴿

(س ٣٢ من أمين أفندي محمد الشامي في سواكن: اننا استخدمنا حكومة السودان أكثرنا يترك زوجته ويسافر بدونها لمدى رغبتها في السفر بصحبة الزوج مخنجة بأن الشرع الشريف لا يجيز نقل الزوجة الى بلد آخر فيقع الرجل في أحد أمرين اما التزوج بالسودانيات اللاتي لا يحصن فروجهن واما اتيان ما حرم الله وكلاهما صعب . فهل يوجد نص شرعي في الكتاب والسنة على حقيقة ما يدعي نساؤنا أم هن يعلمان بحكم العادة . وإذا طلب أحد من المحكمة الشرعية الإلزام زوجته بالسفر معه فإذا يكون الحكم . وانني أتذكر آية شريفة وهي قوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) ولا يخفاكم أن وسائل الراحة متوفرة في السودان للغاية وان الانسان ليتكبد خسائر جسيمة لعدم وجود أهله معه اهتصرف

(ج) السبب الحقيقي لعدم رضا النساء بالسفر مع أزواجهن هو فساد التربية وقلة الدين أو كراهة الزوج لسوء معاملته ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة يبيح للمرأة عصيان زوجها في مثل هذا السفر الذي لا ضرر فيه ولا ضرار بل الكتاب والسنة يوجبان على المرأة طاعة زوجها بالمعروف

ومعاذ الله أن تبيح الشريعة هذا الخلل الذي يخرّب البيوت ويفرق بين المرء وزوجه ويرهقه من أمره عمرا . نعم أنها تحرم على الرجل أن يضار المرأة بسفره أو غيره ليضيق عليها وإذا ثبت ذلك عند الحاكم فله أن يمنعه منه وفي غير هذه الصورة يجب على الحاكم أن يلزم المرأة بطاعة زوجها . وأما المحاكم الشرعية في هذه البلاد فلا تبحث عن أحكامها في باب الفتوى لان غرضنا من هذا الباب بيان أن أحكام الشريعة توافق مصالح البشر في كل مكان وزمان وأنها قائمة على أساس العدل والاحسان وان ما يسمع عنها أو يرى من أهلها مخالفا لذلك فهو بعيد عنها وهي رتبة منه

﴿رعي المسلم بالكفر﴾

(ص ٣٣) من الشيخ عبدالله الحضرمي بسنن فوره
 ما قول ساداتنا العلماء الاعلام أنار الله بهم الاسلام فيمن سب مسلما بما
 لفظه: من أنت ومن تكون يا كافر يا ملعون يا عدو الله ورسوله يا يهودي يا نصراني
 يا خنزير يا كلب: ثم عقب بعد السب بقوله ما قدرك الا الضرب بالعمال وتكرر
 منه القول عمدا بحضور الجهم الفغير حال كونه صحيح العقل والبدن فما الحكم
 على قائل هذا القول الشنيع فهل يرد عليه قوله ويصير به كافرا مرتدا والعاذ
 بالله أم لا فان قلم بكفره وردته لحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها»
 فهل تطلق زوجته ويستباح ماله ودمه ان لم يتب ويرجع للاسلام وان قلم بعدم
 كفره وردته فما الحكم عليه في حق أخيه المسلم ان لم يسامحه ويعفو عنه وكان
 جواب الثاني للبادئ مستندا للحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها» الى
 آخر الحديث: ليس أنا بكافر ولا ملعون ولا عدو الله ورسوله ولا نصراني ولا
 يهودي: الي آخره أفقونا ما جورين إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة
 إلا بالله العلي العظيم

(ج) الظاهر أن هذا الساب لم يقصد بما نيزبه الا الالهة وهو لا يكفر
 بذلك بل عليه التعزير وهذا من المحرمات يجب عليه التوبة منه واستحلال من
 سبه أما الحديث الذي ذكر في السؤال فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر بلفظ
 «أما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والارجعت
 إليه» وفيه روايات أخرى عنده وعند البخاري وغيرهما: قال النووي في شرح مسلم:
 «هذا الحديث مما عده بعض العلماء مشكلا من المشكلات من حيث ظاهره من
 حيث أن ظاهره غير مراد وذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المؤمن
 بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين
 الاسلام واذا عرف ما ذكرناه فليل في تأويل الحديث أوجه» ثم ذكرها وهي
 خمسة (١) أحدها أنه محمول على المستحل (٢) أن معناه رجعت بقيصته عليه
 يعني أنه أراد أن ينقص أخاه فكان هو الناقص بقوله السوء (٣) أنه محمول

على الخوارج الذين يكفرون المسلمين . ورده النووي (٤) معناه أن ذلك يؤول به الى الكفر على حد قولهم المعاصي يريد الى الكفر (٥) أن معناه فقد رجع عليه تكفيره (قال) فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافرا فكأنه كفر نفسه أما لأنه كفر من هو مثله وإلا ما لأنه كفر من لا يكفره الا كافر يعتقد بطلان دين الاسلام . أقول والذي حقيقته النزالي ويدل عليه أول كلام النووي وهو ما لا خلاف فيه عند العارفين أنه إنما يكفر بذلك اذا كان قصده أن ما عليه المسلم من الاسلام كفر وهو لا يقصد هذا الا اذا كان يعتقد بطلان دين الاسلام

باب التواضع والتعلم

المكتوب التاسع من «إميل» الى أبيه

الاستقلال في العلم . فلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدنية . الاعتماد على العقل دون الخطابة . حب الوطن — هيدلبرغ في ١٨ يناير سنة — ١٨٦
غادرت مدينة بن وقتلت كتي (وهي كل ما أملكه تقريباً) الى مدينة هيدلبرغ ومن نظام المدارس الجامعة في ألمانيا أنه يجوز لطلبها مطلقاً أن ينتقلوا من احداها الى الأخرى من غير أن يكون في ذلك ضياع لحقوقهم فيما نالوه من الدرجات . على أن هذا التنقل يمكن الطلبة من الاختلاف الى دروس أئمة الاساتذة وأشهرهم في كل فرع من فروع العلوم البشرية .

إنني اخالني تعلمت كثيراً من دروس هؤلاء الاساتذة المفيدة ولكني كل يوم أتبين أن تعليم المدارس بجملة لا يمكن أن يقوم لطالب الحق مقام عمله الذاتي الذي يجري فيه على ما ترشده اليه سريرته

أرى مذهبين يتنازعان عقول البشر أكثر عليهما أيما وجهت فكري فأجدهما في العلم والحكمة والدين والسياسة ومقتضى المذهب الأول أن العالم خلق مقسوراً أي ان كل ما فيه خصص بإرادة أزلية وأن صور الحياة في الكائنات

الحية ثابتة لا تتغير فتندمج الأصول بعضها في بعض وتنتج الفروع ناقلة مخصصات كل نوع عن مثال أزلي له . ومقتضى المذهب الثاني أنه وجد مختاراً بمعنى أن الكائنات لم توجد من العدم بل استعالت من طور الى طور وأن القوى لم تسبق في الوجود بل نمت وأن الأنواع النباتية والمعدنية (هكذا في الاصل ولعل صوابه والحيوانية) مستمرة البقاء غير أنها تتغير وترتقي على مقتضى نوااميس طبيعية

وإذا انتقلت من العلم الى التاريخ وجدت هذا الخلاف بعينه في آراء الناس فيرى بعضهم أن التمدن قديم وجد مع الانسان يعني أن الاجتماع أوجدته قدرة أعلى من قدرة البشر وأن أي أمة من الأمم ليس لها أن تختار قوانينها وأوضاعها وأن للحكومة مُثلاً لا تحيد عنها الا م حتى تسقط في مهاوي الفوضى ويرى بعض آخر خلافاً للأولين أن الانسان نشأ منوحشاً أي أنه كان قرداً متقن الحلقة ففر من بين الحيوانات وأنشأ على التعاقب قوانينه ومبادئه ومكانته في البرية بعد ان خلق نفسه - ان صح التعبير على هذا النحو - وأن الأمم قد مرت في أطوار نموها بديايا أوضاع لم تلبث أن باعدتها بتأثير الترقى الذي لاراد له فكأن الأرض كانت بنفسها يكون الانسان بنفسه ويؤلف مجتمعه بقواه الذاتية .

وإذا رجعت الى الديانات وصدقت أقوال مؤولياها كانت كلها موحاة من الله فاذا سألت خصومهم عن رأيهم فيها قالوا انها أمور طبيعية تدخل في قوانين إدراك الانسان المألوفة

وكم يكون التباين أشد ومسافة الخلف أوسع اذا سألت أهل وطني عن آرائهم في الامور السياسية . وقد استخلصت من اختلاف طرق النظر هذه نتيجة هي أي مع بحثي في أفكار غبري وآرائه لا ينبغي لي أن أعول الا على شهادة عقلي وسررتي هذه هي السبيل التي صممت على سلوكها وهي التي أوضحتها لي أنت أيضاً ويعد كل البعد أن تكون هذه الضرورة الملجئة لي الى الحكم بنفسي على الامور مدعاة الى الكبر والصلف بل انها تبعث في نفسي الذلة والاستكانة لاني أكون مضطراً في كل وقت الى الاعتراف لنفسي باني لا أعرف شيئاً وأنه يجب علي أن

أندرج بالاقدام وأن أوسع نطاق معارفي وأختلس من النظر في الحوادث مقدمات
اقتناعي وأما البراهين الخطائية التي كنت أعتقد في ساعة من الساعات أنني أدرك
بها ما لا حد له من العوالم فقد تبين لي أنها شبيهة بتلك الأصداف التي يتناقلها
الأطفال في أيديهم ويضعونها على آذانهم متخيلين أنهم يسمعون فيها اصطخاب البحر
على أنني لا أدرس وأبحث من أجل أن أكون عالماً فكل ما ينتهي إليه
طبعي ينحصر في فهم حاجات المصر الذي أعيش فيه والاختصاص بالحق وهيبات
ان أنسى بلادي أو أعيش غير مبال بمجاهداتها فأنى وإن ولدت في بلاد أجنبية
أجد فرنسا حيناً نظرت فانها تبدولي في انتصارها الكثير الذي انتشر في أرجاء
الدنيا وأراها حتى في مصائبها التي نزلت بها عقاباً لرجل من رجالها على تفطرسه
وتجبره . هذا الوطن الذي مارأيت في حياتي هو في نسبه الي أي الثانية فلا يذكر
الا ويتسر جلدي لذكوره ولا ينتقص إلا ويتبين دعي كله انتقاماً له وليس
الذي يبهري منه هو غزواته ووقائمه الحربية وإنما هو تاريخ مكافحاته ووثباته
الباسلة في طريق الحرية واني أحب مفكره الذين يعملون فيه وهم يضحكون وأعجب
بكتابه الذين يبيعون القلوب وهم لنور العلم يشنون فأنا من صميم قلبي ملك له وبما
في نفسي من الأمل في خدمته يوماً ما تجدني مفتبطاً ومعتزاً بالانتساب اليك . اهـ

﴿ طبعة الرافعي للقرآن الشريف ﴾

طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الأزهرية في مصر المصحف
الشريف طبعة لطيفة تمتاز على جميع طبقات المصاحف بتفسير الألفاظ الغريبة
على هوامش الصفحات وبعد الآيات الكريمة بالأرقام على لطف حجمها وحسن
حروفها وانا نتمند عليها في بيان عدد الآيات في المنارة الا أننا نذكر العدد في
أول الآية وهي في هذا المصحف في آخرها . وهو يطلب من طابعه في تلك
المكتبة فجزاه الله خيراً



أناك على البرية

﴿ قصيدة حنفي بك ناصف في قنائه ﴾

حنفي بك ناصف شهير بعلمه وأدبه وقد نظم هذه القصيدة عندما عين قاضياً في محكمة قنا الاهلية وهي من أبدع ما نظم في الهمع بمعرض المدح وأظهار السخط بمظهر الرضا قال مخاطباً المستشار القضاي أولناظر الحقائفة

رقيتني حساً وممنى فاصنعك الشكر المثني
وجعلت رأس الحاسدين بمصر من قدمي أدنى
وجعلت سدة منزلي من أسقف الهرمين أسنى
أسكنتني في بقعة فيها غدوت أعز شأننا
أرد المشارع سابقا والسبق عند الورد أهنا
وأزور آثار الملوك وكنت قبل بها معنى
بلد اذا حلت به قدماك قلت حلت حصنا
جبل المقطم حواه متعطف كالنون حسنا
هيات ان يصل العبدوله ويدرك ماتمى
أرايت يوما مثله في القطر تمحصينا وأمنا
النبت في غيطانه متقدم غرسا ومجنى
والشيء يعظم حجمه في جوه ويزيد وزنا
فالسدر كالرمان والجمير كالبيض الحنى
والدوم فيه دائم يفنى الزمان وليس يفنى
فبخاره لهج الانا م بمدحه يسرى ويمنى

يكفي لترويح الاوا ني ان يقال (قنا) فتني
 قالوا شغصت الى (قنا) ياصرحبا بقنا و (أسنا)
 قالوا سكنت السفح قنا ت وجبذا ابالسفح سكاني
 قالوا قنا حرُّ قنا ت وهل يرد الحر قنا
 سرُّ الحياة حرارة لولاه ما طير تنني
 كلا ولا زهر تبسم لا ولا غصن تنني
 والحى بدء حياته بعد التزام البيض حضنا
 تمدفق الانهار من حر وتزجي الريح مزنا
 هاقد أمنت البرد وال برداء والقلب اطمانا
 ووقيت أمراض الرطوب به واستراق الريح وهنا
 ألتى الهواء فلا أها ب لقاءه ظهرا وبطنا
 وأنام غير مدثر شياً اذا مالليل جنا
 قد خفت النفقات اذ لا أشتري صوفا وقطنا
 وفرت من ثمن الوقود النصف أو نصفاً وثمنا
 فالشمس تكفل راحتي فكأنها أمي وأحني
 فاذا بدت لي حاجة في الفصل ألقى الماء سخنا
 أو رمت طبخنا أو علا ج الخبز ألقى الجو فرنا
 سكنى القرى تدع السفينه موكل بالمال مضني
 أي الملامي فيه يصرف ماله ومتي واني
 كل امريء تلقاه من بعد الظهيرة مستكنا
 ويرى الغريب السر أيسرحالة وأخف غبنا

يجد الحليب بعينه لنا ويلقى السمن سمننا
 عش في القرى رأساً ولا تسكن مع الاذئاب مدنا
 وارباباً بنفسك أن ترى مستعرباً في العيش جينا
 ودع الجزيرة والمها والجسر والظبي الاغنا
 واسل الاغاني والقوا ني واسأل الرحمن عدنا

﴿ طبقات الشافعية الكبرى ﴾

طبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع شهيرة وكنت رأيت نسخة منها في طرابلس الشام فأعجبت بها وتمنيت لو تطبع فلما جئت مصر وجدت نسختين منها في دار الكتب المصرية يظهر أن احدها منقولة عن الاخرى لانهما متساويتان في التحريف ولو وجدت نسخة صحيحة منها لطبعتها. وقد طبعت في هذا العام بمصر على نفقة الشريف أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي القاسمي عن نسخة أصح من النسخ التي اطلعت عليها على أنها لا تسلم من تحريف لا يقف في طريق الاستفادة منها طريقة السبكي في هذه الطبقات أن يذكر ما يؤثر عن المترجمين من غريب العلم والرواية وشوارد الفوائد والمناظرات مع المعاصرين ورفائق الاشعار وأن يبسط كثير من المسائل المهمة أو المشككة على سبيل الاستطراد فطبقاته أسفار تاريخ وحدايث وكلام وفقه وأدب والكلام فيها شجون. طبعت في ستة أجزاء تزيد صفحات المجلد منها على ٣٠٠ صفحة أو تنقص قليلاً وتضمنها خمسون قرشاً ويطلب من محل الحاج محمد السامي في القاهرة

﴿ مقامات بديع الزمان الهمداني ﴾

مقامات البديع أشهر من نار على علم وهي أحسن من مقامات الحريري أسلوباً فهي مفيدة في طبع ملكة الانشاء العربي في نفوس المتأدين وأسلوب

الحريري ليس بهربي فهو لا يمتدني في الكتاب وان كان قد بلغ الغاية في اتقان الصنعة أو إتقان التكلف كما كان يقول الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد طبع مقامات البديع في هذه الأيام محمد أفندي محمود الرافي طبعة مشكولة وعلق عليها شرحا وجيزا معظمه في تفسير الفريب ولا بد أن يكون استمان على ذلك بشرح الاستاذ الامام اذا يكون شرحه أقرب للثقة به ولم يتح لنا مطالعة شيء منه . ونحن اتسخة منه أربعة قروش

﴿أحسن ماسمت﴾

ينسب الى أبي منصور الثعالبي ديوان من مقاطيع الشعر قال انه أحسن ما سمع من مختاره وقد قرأنا طائفة من ذلك فاذا هي لاتصل الى مرتبة الوسط مما سمعنا وأين نحن من صاحب اليتيمة في سماعه واطلاعه فالغالب على الظن أن هذا الديوان من وضع مثل ابن حجة الحموي على أن ما فيه من الشعر يعجب أكثر القراء في هذا العصر فهو مما يرجى رواجه . وقد طبعه محمد أفندي محمود الخادم مدير مطبعة الجمهور ومحمد أفندي حسن اسحاق مع شرح وجيز لبعض أبياته علقه عليه محمد أفندي صادق عنبر وجعل له مقدمة حسنة الديباجة ذكر فيه من محاسن اللغة وشنع على أهلها ووصف من تقصيرهم في خدمتها وقال : ولولا ان منهم قديين أميين عاملين على احيائها لأوشكت اللغة ان تقع فيا نخاف : وقال انه يعني بهذين الفذين الشيخ ابراهيم اليازجي والشببخ محمد المهدي مدرس العلوم العربية في دار العلوم (أي مدرسة المعلمين بالناصرية) وقد أطراهما بالألقاب . ونحن لاننكر ان كلا من الرجلين يخدم اللغة . اليازجي بما ينتقد به الجرائد والمصنفات ويبين ما فيها من الدخيل والمنط والمهدي بتخريج معلمي المدارس الاميرية وطبع الملكات الصحيحة في نفوسهم وهم الممددة في إحياء اللغة في هذه البلاد . ولكننا لا نوافق الكاتب على الشكوى من الخطر على اللغة وعلى حصر احيائها في هذين العاملين فان في مصر وسوريا وغيرها من الاقطار كثيرا من العلماء والكتاب العاملين لاجياء اللغة العربية بالكتابة والنقد والتعليم . أما امام النهضة في هذه الديار

فالسيد جمال الدين والاستاذ الامام رحمهما الله تعالى فالسيد هو ارشد الاستاذ وغيره الى الخروج باللغة من المضيق الذي جعلها الأزهر فيه وكان من عمل الاستاذ ومساعديه في المطبوعات والازهر وغيرهما ما أشرنا اليه في ترجمته وشرحناه في تاريخه الذي يطبع الآن

الديانة الاسلامية . للمكاتب الاميرية

كتاب وضعه الشيخ أحمد ابراهيم المصري المدرس بالمكاتب الاميرية (وهو غير الشيخ أحمد ابراهيم الشهير مدرس الشريعة بمدرسة الحقوق الخديوية) موافقاً لما يدرس في السنين الثانية والثالثة والرابعة بتلك الكتابيب . وقد نظرت في بعض صفحاته عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشتمل على مسائل من العقائد والاحكام وعلى كثير من الوصايا والحكم والاحاديث والحكايات الأدبية وقصص الانبياء عليهم السلام . وقرأت منه جملاً متفرقة فرأيت ما ينتقد في كثير من الابواب . رأيت في أول الكتاب يعرف الدين الاسلامي بأنه فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه . وهذا التعريف لا يشمل العقائد التي هي أساس الدين . ويعرف الايمان بأنه التصديق بما جاء به النبي من الاحكام الشرعية وهو أيضاً لا يشمل العقائد وأخبار الانبياء وغيرهم لانها لا تسمى أحكاماً وهو قد انفرد بهذين التعريفين وهما منتقدان من وجوه أخرى فلا يعذر فيها كلاً يعذر بالاكتفاء في قسم الإلهيات من العقائد بعد الصفات العشرين ونحو ذلك . وما ذكره من مختصر قصص الانبياء فيه مالا يصح وقد أخذ من القصص المتداولة فمسي أن يعنى بتنتيخ الكتاب عند طبعه مرة أخرى

ديوان الرافي

قد صار مصطفى صادق أفندي الرافي من شعراء العصر المشهورين وله على حداثة سنه ديوان كبير طبع في هذه الأيام الجزء الثالث منه فكان نحو ١٥٠ صفحة وقال ان هذا الجزء تمام الديوان فهو سيسمي سائر شعره باسم آخر أو أسماء أخرى . وقد جعل لهذا الجزء مقدمة في نقد الشعر سلك فيها مسلك

الخيال والفلسفة فأتى فيها بمبارات رائعة ونكت دقيقة وحلق بمبارات أخرى في جو الخيال حتى جاوز مسرح النظر فلم يدرك غايته ولم يمتد الى مراده . وسنين قيمة هذا الجزء بنقل شيء منه كما فعلنا في تقرّبنا ما قبله فعرض الموصوف على القارىء أبلغ في التعريف من عرض وصفه . ومن هذا الجزء وحده خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد ومن الثلاثة الأجزاء عشرون قرشاً وهي تطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ غرائب الاتفاق ﴾

غرائب الاتفاق قصة طويلة تدخل في ثلاثة أجزاء بنيت حوادثها على المصادفات الغريبة التي لا تكاد تقع ولكن حسن البناء يقربها من الأذهان ، حتى لا تخرجها من دائرة الامكان ، وأنفع ما فيها للقارىء تصوير الوفاء بأجل صورته ، أو كمل مظاهره ، والصدقة في أبهى مراتبها ، وأبدع مجالها ، وذلك بين ظاهر فيما كان بين يوشع وفيلب منذ تعارفا الى أن ماتا . وفيها شيء آخر خفي ينبغي أن ينبه اليه وهو سوء عاقبة الخياليين والخائنين وحسن عاقبة أهل الاستقامة والصدق . وفيها من الأفكار الضارة مالا تخلو القصص من مثله كذكري الحيانة والفسق والخيال . القصة أفرنجية الاصل وقد نقلها الى العربية فقيد النظم والنثر والقصص شاكر شقير اللبناني وطبعت في مطبعة المعارف الشهيرة بالإتقان وهي تطلب من مكتبتها ومن الأجزاء الثلاثة عشرون قرشاً

﴿ كورة الثلج ﴾

هي القصة الثالثة للسنة الثانية من سني (الروايات الشهرية) التي يصدرها يعقوب أفندي جمال . مؤلفها اسكندر دوماس الشهير ومترجمها حنا أفندي أسعد فهني وقد بين بها المؤلف شيئاً من أحوال التتر المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم في داغستان أو اعتقاده وتخيلاته فيهم . ومنها خمسة قروش

﴿ عذراء دنشواي ﴾

قصة يعرف موضوعها من اسمها واضعها محمود طاهر أفندي حقي وقد نشرت في جريدة المنبر المصرية وهي تشرح بعض أحوال الفلاحين في أرياف مصر وتمثل

أفكارهم في محاوراتهم بلغتهم العمامة وعن النسخة منها أربعة قروش وتطلب من
المكاتب الشيرة

﴿ الدين والآداب ﴾

مجلة اسلامية أنشأها بقزان (روسيا) في أوائل هذا العام (ملا عالم جان
البارودي) العالم الشهير بشيرته وبخدمته للإسلام في مدرسته وجريدته . وهو يفتح
كل عدد من هذه المجلة بتفسير آيات من القرآن المجيد بالترتيب كما يفعل ويندكر
فيه شيئاً من الشائل الشريفة ومباحث التربية والتعليم وغير ذلك من المسائل النافعة
فنسأله تعالى أن ينجح عمله ويديم النفع به

﴿ النبراس ﴾

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها ومدير
تحريرها أحمد (أفندي) شاكر» صدر العدد الأول منها في ١٢ رجب الموافق لأول
سبتمبر وفيه بعد الفاتحة نبذة في تاريخ المدارس في الإسلام ونبذة في الكتابة
والورق وأخرى في تاريخ محمد علي جد الأسرة الخديوية بمصر ومسائل شتى لم
نجد وقتنا يتبع لنا قراءة شتى منها . والعدد منها مؤلف من ست عشرة صفحة وقيمة
الإشتراك فيها عن سنة واحدة ١٥ قرشا في مصر وخمسة فرنكات ونصف في غيرها
فنتمنى لها النجاح والتوفيق

﴿ الكوثر ﴾

«مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشأها ومحررها محمد شفيق (أفندي) مدرس بمدرسة
والدة عباس باشا الأول» صدر العدد الأول منها في أول أكتوبر (١٣ شعبان) ولم
يبين فيه موعد صدور المجلة وهو مؤلف من ٢٤ صفحة نصفها عربي والنصف الآخر
انكليزي . وفي الورقة الأولى صورة أمير البلاد وعبارة في (تقدمتها) لا أعتابه .
فنتمنى لها التوفيق والنجاح

﴿ المزجج ﴾

جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية يصدرها في تونس أحد كتابها

للباحثين في شؤون الإصلاح محمد بن عمران وجمل جل عنايته البحث في طريق التعليم في الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) والظاهر أن كتابه في ذلك أزعجت القوم إلى المقاومة فنسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الأمة ويكشف ما غشينا من الغمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رأي في الصيام والسياسة ﴾

ينقسم المسلمون إلى قسمين فمنهم مسلمون صادقون وهم العارفون بالاسلام المذعنون له وهم الذين يحافظون على الفرائض ويحجبتون كباثر الايتم والفواحش الا اللوم واذا مسهم طائف من الشيطان فتركوا فرضاً أو أصابوا ذنباً ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم، وأناورا إلى ربهم، ومسلمون جنسيون أو جغرافيون وهم أصناف نخس بالذكر منهم الذين لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا يدعون لما عرفوه منه فهم لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يحجبتون ما يأمرهم به الهوى من المعاصي ولكنهم يتمصبون للاسلام بالكلام فيمدحونه ويدافعون عنه بالحق وبالباطل لا يدخرون في ذلك وسماً لاسيا اذا كانوا من أهل الخوض في السياسة والحظوة عند الحكام. وقد يبلغ التحمس بالرجل منهم حتى يظن المسلمون أو القارئون لكلامه أنه من أقوى الناس ايمانا وأصدقهم اسلاماً وهو لاء جديرون بأن يسموا بالمسلمين السياسيين واليهم توجه الكلام فنقول :

اذا كنتم لا تتركون الاسلام من حيث هو دين شرح لتطهير النفوس وترقية الأرواح واعدادها بالتهذيب في الدنيا لسعادة الآخرة ورأيتم أنه لا بد من المحافظة عليه من حيث هو جنسية لاستبقاء الأمة التي هي قوام سياستكم أفتررون أن هذه المحافظة تنفق مع ذلك الترك الذي عم العقائد الخفية والآداب الاجتماعية والشعائر المالية. ألا تعلمون أن المحافظة على الشعائر الظاهرة هي آخر ما يزول من

مقومات الأمم وحوافظ وجودها فإذا كنتم تهدمون الشعائر الظاهرة حتى الصيام فتفطرون في رمضان جهراً ندخنون في النهار بل تنصب لكم الموائد بعد الظهر فتأكلون عليها مع أهلكم وأولادكم فإذا أقيمتم من المقومات لهذه الجنسية السياسية . ان كنتم تظنون أن وضع (الفتي) في حجرة الخدم لتلاوة القرآن في الليل كافياً لحفظ هذه الجنسية فانا نقطع بأن هذا الظن من الاثم ، وانكم لستم فيه على بينة ولا علم ، فعليكم أن تفكروا في هذا المذهب في الجنسية ، هل هو مؤد إلى غايتكم السياسية ، فان رأيتم بعد التفكير - ولا بد أن تروا - أنه غير مؤد إلى هذه الغاية فارجعوا عنه ، إلى ما يبين لكم أنه خير منه ،

هذا الفريق من المسلمين السياسيين يتبعون في جنسياتهم الدينية ملوكهم وأمراءهم ولكن الملوك والأمراء لا يتركون الشعائر المليية المألومة من الدين بالضرورة جواراً بل يؤدونها ويزيدون عليها شعائر أخرى ليست من الدين كالاحتفال بليالي المولد والمعراج ونصف شعبان . ومن كان منهم لا يصوم رمضان بسرّ فطره ويرائي بالصيام . فهذه المجاهرة بالفطر في نهار رمضان بمن لهم مكانة في الأمة افساد في الدين والدنيا وافساد في السياسة والاجتماع فان هذه الأمة لاجنسية لها في غير دينها فاذا افسده هؤلاء على العامة تعذر عليهم وعلى غيرهم من الخاصة استبدال رابطة جنسية أخرى به في زمن قريب ، وهل تمهلها الأمم القوية لتجد هذه الرابطة - اذا أمكن - في زمن بعيد ؟؟

أما الذين لا يصومون من الفوغاء الذين لا رأي لهم ولا فكر في أمر الاجتماع فلا كلام لنا معهم لأنهم لا يقرّون واذا قرّوا لا يفهمون واذا فهموا لا يعتبرون « أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »

لا تقل ان المنار مازال ينكر كون الاسلام جنسية ويقول ان اتخاذ جنسية لا ينجي صاحبه عند الله تعالى فما باله اليوم يرضى بهذه الجنسية ويأمر المسلمين سياسة أن يزاوا بالمحافظة على الشعائر في الظاهر وان كفروا بها في الباطن : انك ان تقل هذا أجبت ان الاسلام قد شرع للناس ليكون وسيلة الى سعادة الدنيا والآخرة ، وما وإنما يكون كذلك اذا أقيم على أساسه الصحيح ومن فوائد المحافظة

على شمائره الظاهرة في الدنيا تقوية الروابط الاجتماعية فمن أقام الدين ظاهراً وباطناً فقد سلك سبيل السعادتين ومن تركه ظاهراً وباطناً كان بهدمه لركني السعادة بلاء على غيره بما يعطيه للضعفاء والاحداث من سوء القدوة ويحرجهم على ترك الشريعة فشره يتعدى الى الأمة لا يكون قاصراً عليه واياها نغض بأن لا يكون فتنة لغيره وأقل ما تنتفي به فتنته ان يحافظ على الشمائر في الظاهر فلا يكون من المهادمين لركني الشريعة والدين - والا فليخرج منه بالمرّة - وهذا قسم ثالث .

وبقي من القسمة العقلية أن يقيم الدين في الباطن دون الظاهر بأن يوقن بمقائده ويتخلق بأخلاقه وآدابه ولكن يهمل الاعمال الظاهرة والشمائر العامة كالجمعة والجماعة وصيام رمضان والحج مع الاسنطاعة وهذا ما يدعيه أناس من أهل العصر و يدعون أن من الدليل على صحة اسلامهم غيرتهم على الدين وأهله ويقولون إنهم أقاموا الركن المعنوي من الاسلام وهو الاشرف والانفع وأهل الأزهرومن على شاكلتهم أقاموا الركن الصوري كالصلاة والصيام وهو الأدنى والأقل فائدة بل الذي لا فائدة له في نفسه . هذا ما يقولونه والعقل لا يسلم بأن أحداً يوقن بمقائد الدين ويتأدب بآدابه ثم يترك أعماله وشمائره فان الانسان قد طبع على أن تكون أعماله أثراً لا اعتقاده ووجدانه فلو أيقنوا بمقائد الدين واصطبغ وجدانهم بصبغته لعملوا به . أما هذه الفيرة التي يدعوها فهي غير صحيحة وأكثرهم غير صادق في دعواها بها ومن عساه يكون صادقا فهو لا يغار على الدين ولا على أهله من حيث هم أهله وإنما يغار على مصالحهم السياسية والاجتماعية لأنه من رؤسائهم أو من الراجين للزعامة فيهم فهو لا يطلب الالرياسة فقط ولهذا حاولنا أن نقيم عليه الحجة بأن غرضه السياسي من الأمة لا يتم له مع هدم شمائرها ومقوماتها المالية والاجتماعية وأما الذين يقيمون الشمائر الظاهرة دون الباطنة كأداب النفس والفيرة الصحيحة التي تبعث على الدفاع عن الحقيقة وعلى جمع الكلمة واحياء مجد الأمة فلا نسكر أن اسلامهم تقليدي لا ينفعهم في الآخرة اذا لم يكن له أثر في أرواحهم يحملهم على ما أشرنا اليه وفائدته في الدنيا قليلة لانها لا تتجاوز العامة فاننا نرى الخاصة المنادين منهم وغير

المتدين في حنق شديد على رجال الدين الذين ليس لهم منه الا التقاليد البدنية الجافة التي لا اثر لها في ترقية الأمة وهم لا يقولون ان صلاتهم وان لم تنه عن الفحشاء والمنكر وصيائهم وان لم يعدمم للتقوى مما يضر الأمة من حيث انه صلاة وصيام بل يقولون انهم بذلك حالوا بين الامة وبين الترقى في العلوم والآداب والاجتماع

هكذا تفرقت الامة أيدي سبا فالت الأمم الأخرى منها كل ما تريد والسبب في ذلك أنه لا يوجد فيها زعماء أقاموا ركني الدين الصوري والمنوي أو الجسدي والروحي وهي لا تنهض بغير هؤلاء الرجال وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى منهم ولكن لم تكد الأمة تعرف له ذلك حتى توفاه الله اليه ولوطالت حياته لرجي - وقد عرف قدره - ان ينهض بها نهضة عظيمة

الصيام والنساء العامة

لاخلاف بين العقلاء المتدينين وغير المتدينين ان المرأة أحوج الى التربية الدينية من الرجل ومن يقول من الماديين ان العلم البشري يعني عن الادب الديني وان العالم الكامل مستغن عن الدين لا يقول ان الجاهل يستغني أيضاً عن الدين فجميع العقلاء منفقون على أن ترك العامة والنساء للدين من أعظم البلاء والمصائب على البشر ولذلك ترى أهل أوروبا يعنون بتربية النساء تربية دينية وان علموهن العلوم العالية كما يعنون بحفظ الدين على العامة . وقد علمنا من كثيرين ان عبيد الشهوات في هذه البلاد قد حملوا نساءهم على ترك الصيام وهو آخر ما يحافظ عليه النساء من أركان الدين وشعائره كما أنهم صاروا قدوة سيئة في ذلك للعامة . ولم يفتن الذين يدعون الفهم والرأي منهم الى عاقبة ترك النساء وغوغاء العامة للدين مع فقد العلم والتربية العقلية وان ظهرت بوادر ذلك في تهتك النساء واسرافهن وفي خيانة الخدم والعمال والصناع وغشهم وفسادهم . ألا يوشك ان تكون هذه الفوضى الدينية الأدبية في هذه البلاد شراً عليها من كل ما يبده المتحدثون شراً اجتماعياً أو سياسياً ولكن من يتدارك ذلك والأمة ليس لها زعماء وحكامها ليسوا منها ليصنوا بتعليمها وتعليمها ويلزموها بما يرفع شأنها إلزاماً

﴿المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية﴾

لم يمّت مشروع المدرسة الكلية بموت المنشاوي بل ولا بموت الامناذال امام الذي كان عازما على انشاؤها في الشتاء الماضي بل كان يتخض في الخفاء وتمتله عدته ليظهر في مظهر كامل ولكن مصطفى كامل بك الفمراوي فاجأنا بفتح باب الاكتاب للعمل من حيث لا يدري بأن هناك سعيًا يرجي وينتظر

أرسل اليها هذا الاريحي الفاضل - كما أرسل الى جميع الصحف العربية - رسالة يذكر فيها وجه الحاجة الى انشاء المدرسة الجامعة وتوقفها على بذل المال وأنه «بادر الى الاكتاب بخمس مئة جنيه أفرنكي لمشروع انشاء جامعة مصرية عامة» بثلاثة شروط (أحدها) أن لا تختص بجنس أو دين (ثانيها) أن تكون ادارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة يصلحون لذلك (ثالثها) أن يكتب الاهالي بمبلغ لا يقل عن مئة ألف جنيه . وما قرأنا هذه الرسالة الا اعترانا مع الشكر لأريحية صاحبها وجوم امتعاض شديد خوفا من الفشل باظهار المشروع قبل ان تمت له عدته وزاد هذا الامتعاض نشر الجرائد لاكتتابات كبيرة كذبها ثانيا من عزيت اليهم أولا ثم لم نلبث ان انشرنا صدرا لما حضن المشروع سعد بك زغلول الرجل الحازم القدير ونجدد لنا أمل بالنجاح نسأل الله أن يحققه وسنعود الى الكلام في ذلك

﴿الأزهر ومشيخته﴾

كثرت الخوض منذ سنة في الأزهر ومشيخته ومجلس ادارته وكتب في الجرائد بعض ما يتحدث به الناس من الخلل في الادارة والمحاياة في الامتحان وشهادة العالمية وبيع الشهادات بالدرهم وما بين شيخ الجامع ومفتي الديار المصرية من المناصبه والمناصبه ومما اشبع أن المفتي شككا شيخ الجامع الى رئيس النظار والى السيد البدوي وقد بلغنا أن شيخ الجامع ضاق صدره فاستقال رانه سيقال بعد أن يعين الشيخ شاكر وكيل الأزهر تمهيدا لجهله أصيلا بعد استشارة الامير لحكومته في ذلك وسنعود الى ما نراه نافعا من الكلام عن الأزهر في الجزء الآتي

﴿تنبيه﴾

ضاق هذا الجزء عن تمة التفسير وعن الرد على الشيخ محيت وعلى الدكتور مر جليوث

فبشر عباده الذين يستمرون القول فيتمون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

فيها الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرًا كبيرًا وما يهتكم إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتاً وهو منارة كمنار الطريق!

﴿ مصر - رمضان سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١١٩ أكتوبر (أيلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب المقالات

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها

انشرت في العدد الثالث من المروة الوثقى بالعنوان الآتي (١)

سَنَّهُ اللهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا

أرأيت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشق عنها عماء الدم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة المهتم تحمدي في ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بأيدي مديريها عقد المشاكل نمت فيها افنان العزة بعد ما ثبتت اصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستملت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقتها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الامم بان لا سعادة الا في انتهاج منهجها وورود شريعته وصارت وهي قابلة المدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مديروها وهو لها بدن عامل وبعد هذا كله وهي بناؤها وانتم منظومها وتفرقت فيها الاهواء وانشتت العصا وتبدد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان منمقداً وانفصمت عرى التعاون واتقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي المتحمسين معه بلحمة الامة وأنه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى

(١) نشرنا هذه المقالة في المجلد الأول من المنار ونعيد نشرها الآن لما فيها

من التذكير الذي يجب أن لا ينسى والعنوان لنا

توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سيات يخيله الناظر اليه صحوا
 وذبول يظنه المفرور زهوا وأخذ القنوط بأمال ارتكك لدهوشين فأبادها وحدثت
 فيهم قناعة بهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر للحق في خيال احدهم
 او استنفره داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرقاً او يعيد لها مجداً عنده هوساً
 وهذا يأنأ اصاب به من ضعف في المزاج او خلل في البنية او حسب أنه لو أجاب
 داعي الذمة لماد عليه بالو بال واورده موارد الملكة او لصار من اقرب الاسباب
 لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالاً من اليأس
 فنفل يدها عن العمل وثقف قدماه عن السعي ويحس بعد ذلك بغاية المعجز عن
 كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما أتى اسلافه من قبله وتجمد
 قريحته عن فهم ما قام به أوائلك الآباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقيا
 على ما أورثوه لاعتقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حداً يشرف بها على الهلاك
 ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم .

نعم رأيت كثيراً من الامم لم تكن ثم كانت، وارتفعت ثم انحطت، وقويت
 ثم ضعفت، وعزت ثم ذلت، وصحت ثم مرضت، ولكن أليس لكل علة دواء؟ بلى
 وأسفا ما أصعب الدواء وما اعز الدواء، وما اقل العارفين بطرق العلاج كيف
 يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهي لم تفرق الا لأن كلا عكف على شأنه ...
 استغفر الله، لو كان له شأن يمكف عليه لما انفصل عن اخيه وهو أشد اعضائه
 اتصالاً به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه نعم ربما النفث
 كل الى ما هو في فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا
 يدري من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون في أمن عليها . كيف تبعث
 الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ما سكنت زماناً غير قصير الى ما ليس من
 مالها؟ هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان، الفوز في
 سلوك سواه خصوصاً بعد ما استدير المقصد وفي كل خطوة يظن انه على مقربة
 من المظوة؟ كيف يمكن تبيينه المستغرق في مناهه المبتهج بأحلامه وفي اذنه وقر
 في لاملسه خدره؟ هل من صيحة تقرر قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة

تباعد انحاورها وتتناهى أطرافها وتباين عاداتها وطبائعها؟ هل من نبأة تجمع أهواءها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعد ما تراكم جهل ووران عين وخيل للمقول ان كل قريب بعيد وكل سهل وعسر؟ أيم الله انه لشيء عسير يعيا في علاجه النظامي ويحار فيه الحكيم البصير. هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولى والموارض التي طرأت عليه؟ ان كان المرض في أمة فكيف يمكن الوصول الى علله وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار؟ أيمكن لطبيب يعالج شخصا بعينه أن يخنار له نوعا من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون على بينة من حقيقة المرض؟ والا فان كثيرا من الامراض تنولد جراثيمها في طور من اطوار الممر ثم لا تظهر الا في طور آخر لنظب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدو أثرها. كلا انه ليصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد سنو عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملة طويلة الأجل وافرة المدد؟ لهذا يندرفي أجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين. وكان المتطبب القاصر في الامراض البدنية لا يزيد علاجه المرض الا شدة لولا مساعدة الاتفاق والصدقة بل ربما يفضي بالمريض الى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون بتعديل أخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اغتلاها ووجوه العلة فيها وأنواعها وما يكتنف ذلك من المعاديات وما يوجد في أفرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف مواقعها من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيما بين المنزلتين فان أخطأ طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء. فمن له حظ من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهي لا يجراً على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحس من نفسه أدنى قصور في أداء هذا الامر العظيم علماً أو عملاً. نعم يكون ذلك من صهي الفخفخة الباطنة وطلاب العيش في ظل وغنائف ليسومن حقوقها في شيء.

ظن أقوام في هذه الازمان ان أمراض الامم تعالج بنشر الجرائد وأنها تكفل أمهاض الهمم وتنبية الافكار وتقويم الاخلاق كيف يصدق هذا الظن وإنما لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يتصدون بما يكتبون الانجاح الامم مع التفرغ عن الاغراض فبعد ماعم الذهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكتابون لا نجد لها قارئاً واثناً وجدت القاري قفلاً نجد الفاهم والفاهم قد يحمل ما يجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيشبهه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضماً . على ان الهمة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث؟ ان هذا وحقك لعز يز.

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبئة في أقطار واسعة من الارض مع تفرق أهوائها واخلادها الى مادون رتبها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخاً لحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف بأوروبا حتى تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومضى عمم المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة . وما أبعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الامة على ما تكره ازمانا حتى تذوق لذته وتجنبي عمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائباً عن سلطته في تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف وداوئته فهل مع الضعف سلطة تفهروثروة تعني ولو كان للامة هذان لما عدت من الساقطين . فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات واقفناهم على الامكان لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعون لهم سيلاً لان يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر . . على أنا لو فرضنا مسالمة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان

تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيئاً فشيئاً فما يصح الحكم بأن هذا التدرج يفيد فائدة جوهرية وان ما يصيبه البعض منها بهبوه للكمال الاثوبه ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء امته واعجباً كيف يكون هذا وان الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينمت وأثمرت و بأبي ماء سقيت و بأبي ثربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهر من القول لانبا عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجأة بعض الافراد بها وسوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من أفكارهم ويعدل من اخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم لعل الاقرب ان ناقلي تلك العلوم وهم من امة هذا شأنها مع ما ينعكس اليهم من الارهام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب لا يزيد طبائعها الا فساداً .

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن بنايعها من صدورهم ولو صدقوا في خدمة أوطانهم ؟ يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطبائعها وما صرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهم بمحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتية يظنونه على ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير ما لا يرام الا من الكبير وبالعكس غير ناظرين الا الى صور ما تعلموه ولا مفكرين في استعداد من يمرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمد أو يزيد لها على ماها أضفاها وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لها نقلة وحملة . فهو لاء الصادقون الا من وفقه الله منهم بعنايته الالهية يكون مثلهم كمثل والده حنون يلذ لها غذاء فتقبض منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وسنسن اللبان لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحلاة يشتنون بهجة الجمع ويددون أخريات الائتام ان كان الفساد أبقى للقوم بعض الروابط

فهؤلاء المفرورون يفتشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الاخيرا ان كانوا مخلصين
ويوسعون بذلك الخصاص (الحرق في باب ونحوه) حتى تعود ابوابا وبياعدون ما بين
الضفاف حتى تصير ميادين لتداخل الاجانب تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين
ويذهبون بأمتهم الى الفناء والاضمحلال وبشئ المصير .

شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد وبشوا
بطوائف منهم إلى البلاد الغربية ليحملوا اليهم ما يحتاجون له من العلوم والمعارف
والصنائع والآداب وكل ما يسمونه تمدناً وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها
على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني . هل انتفع المصريون والعمانيون
بما قدموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة . هل صاروا
أحسن حالا مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد . هل استنقذوا أنفسهم
من أنياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم .
هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور؟ هل نالوا بها من المنعة ما يدفع عنهم غارة
الأعداء عليهم؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار حدا
يميل عرائم الطامعين عنهم؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية
فهي تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا
وان بادت في سبيلها خلفها وراث على شاكلتها كما كان في كثير من الامم؟

نعم ربما يوجد بينهم افراد يتفهمون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها
ويصوغونها في عبارات متقطعة براء لا تعرف غايتها ولا تعلم بدايتها ووسموا
أنفسهم بزعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا
الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أوضاع المباني
والمساكن وبدلوا هيئت المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون
وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعدوها من
مقارهم وعرضوها معرض المباهاة ففسدوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا
عنها أعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحمده أثره فأماتوا أرباب الصنائع من قومهم
وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ما تستدعيه تلك العلوم

الجديدة والكليات الجديدة لأن مصانفهم لم تتحول الى الطرز الجديد وأيديهم لم تتعود على الصنع الجديد وثررتهم لا تنسج جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدع لأنف الأمة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا الا لأن تلك العلوم وضمت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها . . .

علمتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المتحللين اطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوي لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهبط الوسوس وغازن اللدسانس بل يكونون بما أفهمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثلمهم شوماً على أبناء أمتهم يذلونهم ويحقرن أمرهم ويستينون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الأمة بقية من الشم أو نزوع الى معالي المم انصبوا عليه وأرغموا من أنفه حتى يمحي أثر الشهامة ويخمد حرارة الفيرة ويصير اولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين وأرباب الفارات يمدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ثم يشبتون أقدامهم ويمكنون سلطانهم ذلك بأهم لا يعلمون فضلاً انبرهم ولا يظنون ان قوة تغالب قواهم .

أقول ولا أخشى لو مالو كان في البلاد الافغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ما تغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الآبدين . فان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيبائنون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضاً لاية أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون انفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدمهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لقتهم كأنما هم منهم ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم .

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الأثر لو صحت الضمائر فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا مارأينا من آثارها والوقت ضيق والخطب شديد؟ أي جهوري من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا النفلات؟ أي اقصة تزعب الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخاملة؟ أي نفخة تبعث هذه

الأرواح في أجسادها، وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها؛ الا قطار فسيحة الجوانب، بعيدة المناكب؛ المواصلات عمرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشامي، الرووس مطرقة الى مانتحت القدم أو منفضة الى مافوق السما، ليس للاصهار جولان الى الأمام والخلف واليمين والشمال ولا للأسماع إصغاء ولا للنفوس رغبات واللاهواء بحكم وللوساوس سلطان ما ذا يصنع المشفقون على الأمة والزمن قصير؟ ماذا يجاولون ولا خطار محدقة بهم؟ بأي سبب يتمسكون ورسل المايا على أبواهم؟

لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل أرسل طرفك الى نشأة الأمة التي خلت بعد النباهة وضعفت بعد القوة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجرائم العلل فقد يكون ما جمع كلمتها وأهض هم آحادها ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رويس الأمم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها إنما هو دين قويم الأصول بحكم القواعد شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مزك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس منور للعقول باسراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدنية . فان كانت هذه شرعها ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها إنما يكون من طرح تلك الأصول ونبيذها ظهرياً وحدث بدع ليست منها في شيء اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أرى لأجله وما أعدته الحكمة الإلهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجاباً بين الأمة وبين الحق الذي تشر بندياته أحياناً بين جوانبها فعلاجها التاجع إنما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران

الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطبئة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم بإحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نقشها في جميع الارواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاتهم وجمعوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يلقوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فيعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الانحسار، ولا يكسبها الاتمسك، هل تعجب أيها القارئ من قولي ان الاصول الدينية الحققة المبرأة عن محدثات البدع تنشي للأمة قوة الاتحاد وتتلأف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية؟ ان عجبت فان عجبك أشد . هل نسيت نار بنج الامة المرية وما كانت عليه قبل بعثة لدين من الهمجية والشتات واتيان الدنيا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهدبها ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبتتها شريرتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الى بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة أقليدس وهيئة بطليموس وحكمة أفلاطون وأرسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطب السيادة على الأمصار وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنيا وبمد الغايات وعلو المقاصد هي التي هذبت أخلاقهم وقومت أفكارهم وكفقتهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الامور وسوافلها ثم بعد ماضى زمان من نشأتها أصابها من الأنحطاط ما أصابها . فيبان أسباب الخلل فيها وعلاؤه ففرد له فصلاً مستقلاً في عدد آخر ان شاء الله وهو الموفق للصواب

﴿ سيرة السلف الصالحين، في نصيحة السلاطين ﴾

﴿ تابع لما في الجزء السابع وما قبله ﴾

قال في الاحياء وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنؤه بما صار اليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخياً لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتاباً يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم اني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله أنه ما بقي من اخواني وأخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بماصرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني واني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتاباً شوقاً مني اليك شديداً وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالمجمل المجمل »

فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رأيته فألق كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال فاقبلت الى المسجد فلما رأيته قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد

فوقت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأني نزلت بياب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بياب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد الي رأسه وردوا السلام علي برؤس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه الي من كان خلفه وقال يأخذه بمضكم بقروءه فاني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المهجب فلما فرغ من قرائته قال اقلبوه واكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجزي به وان كان اكتبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما تكتب فقال اكتبوا

« بسم الله الرحمن الرحيم - من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الي العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد لذي سلب حلاوة الايمان أما بعد فاني قد كتبت اليك أعرفك أنني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جعلتني شاهداً عليك بأقرارك علي نفسك في كتابك بما هجمت به علي بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفدته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناه عني حتى كتبت الي تشهدني علي نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت علي بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بملك المؤلفه قلوبهم والمامون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن

وأهل العلم والارامل والایتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون
متزرك وأعد للمسئلة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم
العدل فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلالة العلم والزهد ولذيد القرآن ومجالسة
الاخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظلما وظالمين اماما يا هارون قدمت على
السريير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب
المالين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون
يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون
ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان يحكم بها على
الناس فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى (احشروا
الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى
ويداك منلوتان الى عنقك لا يفكها الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت
لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت
المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيات غيرك في ميزانك زيادة على
سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحفظ وصيتي واتمظ بموعظتي التي
وعظتكم بها واعلم أنني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصيح غابة فاتق الله
يا هارون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم
ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنقل
بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته
واني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فايك اياك أن تكتب لي كتابا
بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام»

قال عباد فأتى الى الكتاب منشورا غير مطوي ولا محتوم فأخذته وأقبلت
الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا أهل الكوفة فأجابوني
فقلت لهم يا قوم من يشترى رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الي باللذات
والدراهم فقلت لاحاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال
فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأ بي من كان على باب الخليفة ثم استوهذني فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي وللك يزل عني سر يعا ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع الي فأقبل هارون يقروه ودموعه تحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه ، والشقي من أهلكتموه ، وان سفيان أمة وحده فأتروا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الي جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله في ما يقدم عليه غدا من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولمون به اذ أقبلت هودج هارون فكف الصبيان عن الولوج به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصورا عن عرفة على ناقه له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك : قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمة الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آناه الله مالا وجمالا فانفق من ماله ، وعف في جماله ، كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار: قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الي من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين

لا يجوز. قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو بقيمك قال فرجع بهلول رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فبحال أن يذكرك وينساني قال فأسبل هارون السجاف ومضى: (ثم قال في الاحياء بعد نصيحة للمؤمن) وعن أحمد بن ابراهيم المقرئ قال كان أبو الحسن النوري رجلاً قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج اليه، وكان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه فتنزل ذات يوم الى مشرعة (١) تعرف بمشرفة الفحامين يتطهر للصلاة اذ رأى زورقاً فيه ثلاثون دنناً مكتوب عليها بالقار: «لطف» . فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان؟ قال وايش عليك امض في شفتك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له أحب أن تخبرني ايش في هذه الدنان قال وايش عليك، أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر؟ قال نعم قال أحب أن تهطيني ذلك المدري فاعتناظ الملاح عليه وقال لنلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المدري في يده صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها الا دنا واحداً والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر (٢) وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله فلما رأي قال من أنت قلت محتسب (٣) قال ومن ولاءك الحسبة قلت الذي ولاءك الامامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك قد قصرت عنه قال فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه الي وقال: كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرني فقلت يا أمير المؤمنين اني أقدمت على

(١) مورد ماء (٢) أي الحاكم المولى من الخليفة وهو كالمحافظ في مصر (٣) المحتسب

هو من يزيل المنكرات كالبوليس

الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هية الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحالة الى أن صرت الى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا على اني أقدمت على مثلك فتمت ولو أقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أهال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك خير ما احببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين قعلت يا أمير المؤمنين بغض الي التغيير لاني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي قال المعتضد ما حاجتك قعلت يا أمير المؤمنين تأخر باخراحي سالما فاصر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة الى أن توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد

فذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاهم بسطو السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يجرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن فقيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والا كابر والله المستعان على كل حال اه

(المنار) هذا كلام الامام الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يفتخر اهل هذا العصر بهم فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائه الذين اضعوا الدنيا والدين وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في اسفل سافلين . ولا نطيل هنا في وصفهم فحسبك ما قرأ في المقل الآتي ولكننا نقول ان الزمان لا يخلو من العلماء الخالصين وهؤلاء هم الذين ندعوهم الى نصيحة ملوكنا وامرائنا قبل ان يضيعوا هذه البقية القليلة التي بقيت لنا فاخطر قريب ان لم يتداركوه نزل والعياذ بالله تعالى

﴿ الجامع الأزهر - مشيخته وإدارته ﴾

كتبنا في الجزء الثاني من منار السنة الماضية (ص ٧٦ م ٨) ما نصه :
 ما كانت مشيخة الأزهر في زمن من الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من
 الحكام كما نراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيوخ هذا الجامع
 عدة مرات في بضع سنين - عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير
 وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فاختار الأمير
 للشيخة الشيخ سليمان البشري ثم عزله بمحض إراداته وولى مكانه السيد عليا
 البيلاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الأمر كما يقال . وفي هذا الشهر (أي
 صفر) استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشريفي باتفاق
 الحكومة » ثم ذكرنا استقالة الأستاذ الامام وبعض أعضاء مجلس الإدارة

وكتبنا في نبذة أخرى أن الأمير قد اتفق مع حكومته على أن كل ما يهم
 الحكومة من الأزهر شئان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة
 الشرعيين وأن التعليم فيه لما كان غير كاف لتخريج القضاة عازمت الحكومة على
 انشاء مدرسة لتخريج القضاة خاصة . ثم قلنا أنه كثر التساؤل بين الناس عن
 سبب استقالة الشيخ محمد عبده من إدارة الأزهر مع حرصه على اصلاحه وأجبتنا
 عن ذلك بالإشارة إلى الشعب الذي بلغ في ذلك العهد غايته في ذلك المكان فان
 بعض الشيوخ الذين يترددون على قصر الأمير كانوا يحرضون مدرسي الأزهر
 على الشكوى من شيخ الأزهر ومجلس الإدارة وعدم الخضوع لما يراد تنفيذ
 من قانونه وعلى ما هو أعظم من ذلك وقد اشتهر عند الأكثرين أن الغرض من
 ذلك أن يستقيل شيخ الأزهر والمفتي « رحمهما الله » وأن الأمير هو الذي يريد
 ذلك . وأكد ذلك ما نشره ذلك العهد في الجوائب المصرية والمؤيد وغيرها
 من الجرائد التي نخدم « المية » وأهم ذلك مقال في حديث قال صاحب
 الجوائب أنه جرى بينه وبين شيخ من كبار علماء الأزهر وصفه بأوصاف فهم الناس
 منها أنه الشيخ عبد الرحمن الشريفي الذي كان بعض بطانة الأمير يحاولون اقناعه

بقبول المشيخة التي أيقنوا أن البيلاوي مستقبل منها لما اتخذ لذلك من الاسباب
الملحجة . ولما استقال السيد البيلاوي وعين الشيخ الشرييني شيخا للازهر واحتفل
بالباسه الخلعة بحضور الامير أقي الامير ذلك الخطاب على الشيوخ وكان مؤيدا
لروح ما كانت تنشره تلك الجرائد

كان مدار ذلك الكلام على أن كل ما بهم الامير وحكومته من الازهر أن
يكون في أمان وهدوء وبعد عن الشعب والفتاقل وأن يظل مدرسة دينية كما
كان وربما كانوا يظنون أن سكون الازهر وراحة أهله ورضا كبار شيوخه من الامير
واخلاصهم له هو مما يتجه جعل الشرييني شيخا للازهر لانه في مقدمة العلماء
الازهر بين الذين يرون وجوب بقاء الازهر على حاله التي كان عليها في زمن
تعلمهم فيه وترك الشيخ محمد عبده له وهو هو الذي يريد تغيير نظام التعليم وزيادة
المعروف والفنون فيه ولكن جاء الامر على تقيض ما كان يظن أولئك الظانون فاستاء
محبو الاصلاح من أهل الازهر لترك الاستاذ الامام لادارته كما استاء عقلاء
المسلمين في كل مكان . وأما المحافظون على الحاله العتيقة فقد رأيناهم على عهد
الشيخ الشرييني اشتد استياء من ادارة الازهر منهم على عهد من سبقه كما أشرنا
الى ذلك في العدد الماضي وكثير في هذا كلام الناس وكتابة الجرائد بالشكوي
من حال الازهر والظعن في علمائه حتى ان بعض الافندية كتب في بعض الجرائد
اليومية يقول في بيان جهل علماء الازهر بالدين وقد الثقة بهم ما معناه ان الناس
لا يقصدون في حل مشكلات الدين والدفاع عنه الا الى بعض حملة الطرايش
وفي ذلك هضم لغير الازهريين من حملة العمائم كساتذة المدارس الاميرية وغيرهم
هذا ما ذكرنا برسالة كان أرسلها الينا زعيم النهضة الاسلامية في الهند السيد
النواب محسن الملك خان الشهير بعلمه وفضله يرد بها على ما كنا اعتذرنا به عن
علماء الازهر تعقيا على رسالته التي نشرناها في الجزء السادس من السنة الماضية
وهي التي أظهر فيها استياءه واستياء مسلمي الهند من ترك الاستاذ الامام للازهر
وظعن فيها بعلمائه طعنا شديدا فلم نر نشرها في ذلك الوقت لما منع زال فنحن نشرها
الآن وهذه هي

بسم الله الرحمن الرحيم - واياه نعبد واياه نستعين

سعادة الفاضل الحكيم العلامة دتم بالعز والكرامة

سلام عليكم فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه النبي
الكريم . وعلى آله وصحبه السادة الها ميم . وبعد فانا قد سررنا وتوسطنا بمحسن
ضنيكم البنا من نشر رسالتنا المشبعة الطويلة التي كتبناها اليكم في قضية علماء
الأزهر واستقالة الاستاذ الامام الكبير محمد بن عبده في مجلتكم الباهرة الغراء التي
صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي وقد سررتني أيضا ما قد
استبعم ذلك بانتقادكم الحافل البديع عنيب هذه الرسالة نحامون فيه عن علماء
الأزهر واستفراغكم الوسع بذلك في دفع ما وقع من الغلط والخطأ في الآراء التي
ارتاها الناس فيهم ولكن الذي آمل من طيب خلقكم وطهارة سريرتكم هو
ان تعفوا عني مما قد مجاسرت في الانتقاد على هذا الانتقاد فانه يا اخي ليس فيما
أحسب مما ليطمنن به بال احد او ان يفندبه ما قد رآه اكثر أهل النظر في هؤلاء
العلماء من انهم لا يجبون اشاعة العلوم الحديثة ولا يجوزون لها السبيل والتطويق
في المدارس والكليات ولا واحد عندي بمقلع عن رأيه ذلك فيهم فيما احسب
قد علمت يا سيدي ان نصف علماء الأزهر وتصميمهم للعلوم الخلقية البالية وخلافهم
للإصلاح في شؤون التعليم والأخذ بالعلوم الحديثة ليس مما يرتاب فيه احد فقد
شجنت بذلك الجرائد المصرية كلها لا سيما مجلتكم الباهرة التي نصت على انهم
لا يجوزون المدول يسير عن المنوال العتيق الذي يجري عليه نصاب التدريس
في الجامع الأزهر ويخرجون في تشكيل صناعة التاريخ والجغرافيا في نصاب
الدرس الحاضر فما ظنك بالعلوم المالية الافرنجية وما هي فيه من المنهاج الجديد
في أرض أوروبا فأحسبت يا سيدي ان الذين لا يزالون يقرءون ويتلون الجرائد
المصرية ولا يفترون عن مطالعة جريدتكم الغراء ليلا ونهارا أقتراهم يطلعون عن
رأيهم في شأن هؤلاء العلماء أم ترى ان اعتقادهم في هؤلاء فيما أفديتم بنفسكم
بأنهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين وتفسد العقائد في قلوب

المسلمين وان اصلاح طريقة التعليم خروج عن صراط السلف المستقيم اقربى
 ان هذا الاعتقاد منهم يزول أو يحول أو يضمحل بشئ عن قلوبهم مما كان عندهم
 من قبل أما تراهم يواظبونك في قولك وكل هذه الظنون فيهم باطلة كلا ولا كرامة
 وحاشاهم عن ذلك

فأما أتم فلمصري لم تألوا جدا في الحماسة عن هؤلاء العلماء وأنتم في بيان ذلك
 بجهنين وكذا عما تنتقد عليهما ونظري في وزنهما ورجحهما على مناهج أصحاب النظر
 أما الحجج الأولى فقولكم ان من أصحاب الدرجة العلمية الأولى فيهم من يطلون
 أولادهم العلوم الدينية في المدارس الاميرية وغيرها الخ وأما الاخرى فقولكم ولا
 يطلون بدين أكارأمرائهم وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر واوروبا
 الخ ولكن هذا الكلام منكم لا يجديهم نفعاً ولا يحميهم أو يذب عنهم بشئ فقد
 عرفتم ما هو من دين علماء هذا العصر أنهم يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا
 يقولون وهم الذين قال فيهم الشاعر العارف الحكيم مصلح الدين السعدي
 الشيرازي وهو من معاريف الشعراء ومشاهير أهل النظم - قال :

ترك دنيا مجردم آموزند خویشان سم وغل اندوزند

يعني بذلك أنهم يعلمون الناس ويحملونهم على رفض الدنيا وترك زخارفها وهم
 بأنفسهم يكنزون الفضة ويحتكرون الطعام لأنفسهم (هـ) ومن دينهم أيضاً ان
 لا يطنون بشئ على الامراء والولاة كما لا يحرموا من صلاتهم ولا يأموا من
 استبلااب خيرهم وميراثهم بل وان تراهم يواظبون العامة في بدعهم ولا يشعرون
 بشئ على افعالهم ويشاركونهم في الاحداث الفظيمة التي يأتون بها في الدين
 فتراهم لا ينكرون عليها بل يعاضدونهم بمواقفتهم ومشاركتهم فيها وشاهد ذلك
 قولكم في هذه النمرة التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الأول الماضي
 وفتاوى الازهر يهزمون في كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور واتخاذ
 المساجد عليها واتخاذها أعيادا وتنظيمها ثم أنهم يشاركون العامة في هذه الاعياد

(هـ) قال الشاعر العربي (وذموا لنا الدنيا وهم يرضونها افلوبق حتى ما يدبر لها نعل)

التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أئمتهم في الفقه ثم أنهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد امرني بذلك بعضهم وكان شيخا للازهر قائلا انك من اهل العلم لا يليق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن « وقد صرحتم قبل ذلك بشيء في قولكم ص ٢٢١ من هذه النمرة الحاضرة » وإنما صرح العلماء بكراهة حلق الرأس وكونه مخالفا لسنة لانه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاما اذا اخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجبا في هذا المنصر الى علماء الدين فانهم يحقون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون «

هذا ام كيف يوافقكم احد في قولكم « ظلم والظلم لعلنا الازهر ان يقال فيهم أنهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عاتقا عن علومه وانهم يجهلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين » الى آخره

وقد سلف منا مرارا انا قد رأينا في الجواب المصرية انها قالت في شأن رجل عظيم من العلماء « انه محترم المقام بين علماء المسلمين يجله كبيرهم وصغيرهم لعلمه وفضله ويبدونه حجة وقته وامام زمانه في علوم الدين وأصول الشريعة » فهذا العالم الجليل الذي ترأس العلماء في عصره ومن رأيه ما يقول لمدير الجواب عاتك أفتاظه « غرض السلف من تأسيس الازهر اقامة بيت لله يعبد فيه ويطلب فيه شرعه ويؤخذ الدين كما تركه لنا الأئمة الاربعة رضوان الله عليهم وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم العصر فلا علاقة للازهر به ولا ينبغي له » ولما راجعه المدير واستحفاه بالسؤال قائلا « هل حدث يا مولاي ما يقف للازهر في الخدمة المطلوبة منه فبسم الاستاذ ثم قال بل ان الذي من شأنه أن يهدم معالم التعليم الديني ويجول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب تجارب الدين وتطفي نوره في هذا البلد وغيره من البلاد الاسلامية الى آخره » وتجاهر في آخر كلامه متظاهرا قائلا « ان الازهر انما وجد لحفظ لدين ونشر علومه ليس الا وليتركه كما هو حصن للدين وان أرادوا به اصلاحا فليكن الاصلاح

منحصرا في حفظ صحة الطلبة والسهرة على راحتهم وتقديم الغذاء الصالح لهم وما سوى ذلك من مبادئ الفلسفة والعلوم الحديثة العالية فتدخله الحكومة ان شاءت على مدارسها الكثيرة التي هي في حاجة ماسة اليه

أم كيف نصدقكم في قولكم هذا وأنا نرى هؤلاء العلماء قد ثاروا وشغبوا الناس وأثاروا في اصلاح الازهر بما اضطر الخديوي الي اخذ الفتنة وخطب شيخ الجامع الازهر قائلا « ان الجامع الازهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية اسلامية تنشر فيها علوم الدين الحيفية في مصر وجميع الاقطار الاسلامية... ولقد كنت أود أن يكون هذا شأن الازهر والازهرين دائما » ولما كان يخال ان هؤلاء الرهط الذين يرومون الاصلاح كلهم مفسدون قال فيهم « أول شيء أطلب أنا وحكومتى أن يكون الهدوء سائدا في الازهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشغل علماءه وطلبته إلا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف المقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء ومن كان يحاول بث الشغب بالوساوس والاهام أو الايهام بالاقوال أو بواسطة الجرائد والاخذ والرد فيها فليكن بعيدا عن الازهر ومن كان أجنبيا من هؤلاء فأولى به أن يرجع الى بلده ويث فيها ما يريد من الاقوال والآراء المفايرة للدين ولمصلحة الازهر والازهرين » (١)

فهل في الوجود أحد يقف على هذه الاحوال ويعرفها حق المعرفة ثم يرتاب في أن هؤلاء العلماء اكثرهم لا يجوزون الاصلاح في النهج القديم للتعليم ويحسبون أن العلوم الحديثة بأسرها مطفئة لنور الاسلام وامري أن هؤلاء العلماء هم الذين اتخذوا جامع الازهر الذي كان من حقه أن يكون رحمة وبركة للمسلمين مركزا للنسبة وموطنا للمذلة ومعقلا للمستربة وموضعا للمسغبة ولو نظرت الى العلوم التي تدرس فيها لوجدتها بأسرها علوما بالية عتيقة اتخذها المفردة من العلماء علوما دينية ولا تعجد فيها الا تلقين نبد من المسائل التي تسمثر منها المقول وتمج قبولها احلام الفحول وذلك من اجل مخالفتها لقواعد الحكمة واصول الفطرة ولا يوجد فيها غير تعليم ماعداها من المطالب التي لا تستدير بها ادمغة الرجال ولا

(١) المنار: قالت جريدة اللواء يومئذ ان المراد بالاجنبي هنا صاحب المنار

ينسجم بها فضاء علمهم ومعرفتهم بل يتركز بها التقليد في تخوم قلوبهم وقد امتلأ القرآن العزيز بدمه وشحن الكتاب المجيد برده وجل همتهم في ان يحمل الناس على منهاج يعتقدون به ان الاسلام بدع هذه البدع ونفس هذه الاحاديث التي ليست بأدون من احاديث خرافة بل عين الشرك الجلي فضلا عن الشرك الخفي وانما جهدهم في المنع عن تعليم صنعة تنفهم بشي اما في الدنيا أو في الدين هذا شي من حالهم في تعليم العلوم فأما سبل التعليم ومنهاج تدريسيهم ونظم الامور فيه فامرهم اشهر من ان يذكر وايين من ان يوضح ولقد تفجع له بعض فضلاء الهند الذي كان حلا بالقاهرة وكتب في ذلك كتابا الى حيدرآباد عاصمة دكن ولقد نشرتموه في الجزء العاشر من المجلد الخامس من مجلتكم المنار وبعد ذلك فهل تحسبون انا نحسن الظن بهؤلاء العلماء ونضمهم في ميزان علمائنا السلف الذين مضوا الى رضوان الله كالامام الفزالي وابن رشد الاندلسي والامام ابن الخطيب الرازي وغيرهم فقد كانوا يعتقدون ان العلوم الكونية والعقلية عين هذه العلوم الدينية وكانوا يحضون المسلمين ويحثونهم ويحرضونهم على تحصيلها في تأليفهم وكتبهم واسفارهم ووزرهم التي كانوا يعملونها لنشر تلك العلوم ويخاطبون فيها اخوانهم المسلمين قائلين « معاشر الخلان اني آنت ناراً في وادي هذه الفنون آتيكم منها بخبر أو قبس لعلكم تصطلون » اوليس هؤلاء العلماء قد عثروا على قضية عمر بن حسام فيما اخرج الخبر به الامام الرازي في التفسير الكبير من ان عمر بن حسام كان يقرء كتاب المجسطي على عمر الابهري فقال بعض الفقهاء يوما ما الذي تقرؤنه فقال افسر آية من القرآن وهي قوله تعالى « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها » فانا افسر كيفية بنائها ولقد صدق الابهري فيما قال فان كل من كان اكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان اكثر علما بجلال الله وعظمته انتهى كلام الرازي بعبارة الفاظه

اولم يعثر علماء الازهر على فصل المقال للحكيم الفيلسوف القاضي ابي الوليد بن رشد (الذي) نص فيه على وجوب معرفة الموجودات والعلم بحقائقها من جهة الشرع وان القرآن العزيز قد امرنا بذلك امرا اكيدا في كثير من الآيات وكتب في

آخر ذلك ماتلك عيون الناظر . وقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وان من نهى عن النظر فيها فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية البعد عن الله تعالى او لم يدرك هؤلاء العلماء ان الامام الغزالي كان من قوله في علم الهيئة فيما نقل عنه الفاضل عصمة الله في التصريح شرح التشریح - للشيخ العلامة بهاء الدين العاملي من انه من لم يعرف الهيئة والتشریح فهو عين في معرفة الله واعظم من ذلك كله الاثر المأثور المشهور عن سيدنا علي فيما اشار به على سيدنا عمر رضي الله عنه بعدم احراق خزانة الكتب بالاسكندرية قال انها علوم ليست تخالف القرآن العزيز بل تعاضده وتفسره حتى التفسير لا سراره الغامضة الدقيقة وهو قول معروف عنه وقد اخرج الخبر به مفصلاً الحكيم المؤرخ الاسلامي القاضي الصاعد الاندلسي في طبقات الامم فيما نقل عنه العلامة المحدث ابن عيش القرشي التيمي في بعض مقاطع القسم الاول من الجزء الاول من كتاب الكشف عن الغائبة فليرجع اليه

هذا وانه ان يذهب عنا الاسف والكمند الذي نجد في انفسنا من جهة قضية الخلد بوي وآرائه ومن جهة الحال التي نحس في علماء الازهر ونحن بهذا العصر في حاجة الى مثل الرازي والغزالي وابن رشد الاندلسي وامثالهم من العلماء ومن كانوا في ميزانهم في الدهر الحاضر مثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده واضرا به الذين يضيئون العالم بنور الدين وضياء الاسلام ويبينون للناس ومن في قلوبهم مرض وزيف عن الحق ان الديانة الاسلامية كلها تطابق العقل والفضيلة حذو القذة بالقذة وان العلوم العقلية والكونية بأسرها في الاصل علوم دينية يجب على المسلمين تعلمها والاخذ بها وتعلمها فيخرجوا بذلك عن قعر الظل وغيابة الهوان والصغار التي اتوا فيها وهم صاغرون وقد لزم الاسلام بهم عار قبح به منظره ومساءت بذلك هيته وهم يظنون من أجل ذلك ان الاسلام هو الرادع للناس عن التمدن والارهاق في معارج المز والاعتلاء فاما نحن فلستنا في حاجة الى امثال هؤلاء الذين يقولون ان العلوم الحديثة مطفئة لنور الاسلام ومخمدة لناره ، ومطمسة لآثاره ، وعجبية له

عن عقرداره ومحله وقراره ،

او ليس ان الحال التي انتهت اليها هيئة المسلمين مما يتضاحك بها الاعداء ويتصاوخ لها الاولياء بالعويل والبكاء ، وتسكاب الدماء ، او ليس قد تراكت على المسلمين صحائب الذل والهوان ، وجللتهم غياهب العدم من كل جانب ومكان ، ابي تقطة في الوجود من تقاط الارض يكون فيها من حال المسلمين مالا يتصدع لها القلوب وتتفطر بها الالكباد ونجود لها المهاجر والاماق بانهار الدماء السائلات ، وتنسكب لها قاني الامطار من المقل الفائرات ، خرجت الممالك من ايمانهم ، واضمحلت الدول التي بقيت في ايديهم كانوا لا حراك بهم وصاروا في العالم كأنهم اللمبة تتداولها ايدي الاجانب وتلاعب بها اكف الابعاد ، بما خرجوا عن امتلاك الاقارب لا يحس فيهم شيء من آثار الثروة ، ولا عندهم ميل الى التجارة والصنعة بل هم زاهدون فيها ، وراغبون عنها ، يستبحون شكلها ومنظرها ويستفظمون محلها ومصدرها ، ورضوا بالافتقار في تحصل كل شيء حقيق وجلب كل ماعون يسير ، من أرض أوروبا يستجلبون الفرش والسرج للمساجد والصوامع من ارض الافرنج ولا يتخذون من ذلك شيئا بانفسهم وايديهم . لم يبق لهم عزة ولا ضولة ، وما بقي عندهم امرة ولا دولة ، واما عددهم فهم وان كانوا يبلغون الي الف مليون نفس في العالم فهم بعد لسوا في قطر من اقطار الدنيا ممن يفتخر هناك بوجودهم ولا ممن يتفاخر بهم على لسان وليهم ووردودهم او ليفرح الرجل بالنظر الى عيونهم واشخاصهم او يسير اخوم اذا كان يرمى الى عددهم وافرادهم . فماذا يكون من السبب الاصيل في ذلك ويبد من رهنهت ذمة هذه الامور والتي احسب ان جل السبب في ذلك ليس الانفارهم عن العلوم الحديثة وتعاميم عنها واثم ذلك كله على عاتق هؤلاء العلماء الذين يذرون تلك الاوزار ويجوزون للمسلمين ان يخرجوا عن غمار الذل والصغار ومن ثم تراهم يرفعون عن التعاليم النافعة ويردعون الناس عنها لفتاوى التكفير لمن ولع بهذه العلوم الحديثة ويحولون بينهم وبيننا وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يهتدون ولا يشعرون ان ارتقاء الاوربيين الذي يضرب به المثل اليوم ليس الامن جهة توغلبهم في العلوم الجديدة ونبوغهم في الحكم الحديثة وكل دولتهم وقوتهم منسوبة في

الاصل الى تجارتهم وحرفهم وهي في نوبتها منسوبة الي تناغيهم في هذه العلوم الجديدة النافعة

دع عنك اروبا وانظر الي هذه الامة الحظيرة التي يقال لها امة جابان افلا يرونها كيف ارتقت في مدة لا تتيف على عدة سنين ولا تعد الا على انامل الادميين ارتقاء مبهرا ابهرت الانظار، وخطفت لها النواظر والابصار، افليس انها لم تستكمل لنفسها مدة خمسين سنة وكانت تعد من قبل ذلك في الاقوام المتوحشة وتستحقها الامم المتعدنة وهي اليوم في كل شأن على أعلى مراتب الصعود والارتقاء وقد ادهمت الدنيا بأسرها باعمالها البديعة التي صدرت منها في هذه الازمان وكل واحد يحترمها كل الاحترام وحرمتها مركوزة في طبع كل انسان فاذا الذي قلبها عن حالها القديم، وانعكس أمرها عن شأنها الفاسد الرميم، ما ذلك الا من اجل تناغيها في العلوم والحكم والازهريون على خبرة من حالها ومنهاج ارتقاها ومنوالها وانما الاسف عليهم من اجل انهم لا يقيسون أنفسهم بهؤلاء، ولا ينظرون في علل تلك الاشياء، ولا يفكرون في اسبابها التي اورتهم الارتفاع واورثتنا الانهطاط والانخفاض ولو كان عندهم صواب في الرأي وحزم في الرواية ومعزة صحيحة باقرآن والاسلام لكانوا يستحيون مما هم فيه ولكن كل واحد منهم مثلكم ومثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده يخرج نفسه من شرك التقليد الذي أضل الناس كثيرا ولكن يسلك في منهاج التحقيق الذي هو الصراط المستقيم ويضيء فضاء الارض برحبها وينور العالم الاسلامي بسننه كلها بمشعلة الاسلام ونبراس كلام الله الملك العالم

وليت شعري ماذا الذي علمنا القرآن والاسلام؟ هل هو بعض هذه الحركات البدنية ام نبت من تلك المراسم الظاهرية او مطالب عديدة من مسائل النفاس والحيض يعنون بها التعليم الديني لا غير لا مادون ذلك؟ كلا ولا كرامة وحاشاهما عن ذلك بل وقد دلانا على ما فيه جل الخير وتمام النفع في الدين والدنيا وكال الربح في الاخلاق والمدنية وعلمانا الاصول التي يانهدي الي محصيل تلك العوائد الثمينة والفوائد الغالية واوجبا علينا اکتساب العلوم الكونية والعقلية

بأسرها . ولو كان علماء الأزهر مشاركين في آرائهم لثلكم ومثل محمد بن عبده وينظرون بنظر الامعان في امضا آتكم البدعة الرشيقة التي علمت الدنيا ان الاسلام من بين سائر المذاهب هو المذهب الواحد الذي يرغب الناس ويشوقهم في تحصيل الفوائد الدينية والعوائد المالية والقومية وهو الذي اتخذ العلم وانقل عين الايمان والدين ونفسهما في الاصل ولولم يكن الأزهريون يظنون ظنا باطل ان العلوم الدينية بأسرها منحصرة في الفقه ومقصورة على جزئيات المسائل الفرعية التي لا يمتد ولا يعبأ بها واكثر هذه المطالب ليست بجديرة للعمل في هذه الاعصر والدهور ولو عرفوا ما في تعليمها من ضياع العمر وتضييع الوقت ذلك ما هو معلوم عند كل ذي حسي وهم يزعمون ان الولوج بها مما يشيد بناء الدين لارؤي الطلبة الأزهريون كما هم اليوم في غايتهم من الذل والهوان ونهايتهم من الصغار والخذلان ولو كانوا يعلمون ان العلوم العقلية والكونية عين العلوم الدينية لكانت كلية كيمبرجج واكسفورد تحسد الأزهر وتقبطها غبطة ما كان يجعدها احد ولتخرج منها في عرض عدة سنين رجال كانوا يصعدون بالبلاد الاسلامية ويحلقون بها الى أعلى ذرى الارتقاء التي وصلت اليها أمة جابان في هذه الاعصر والازمان هذا رأيي ورأي سائر الافراد الذين لهم خبرة باحوال الدنيا ووقوف على اخبارها والمم بتوار يخها واني اقاطع بصحة هذا الرأي ورأي هؤلاء ممن عداني ان العلماء هم العلة الاصلية لكل هذا الصغار والهوان وتمام تلك النكبة والخذلان وهم موقوفون غدا بين يدي الرحمن ومسئولون من لدنه فليستعدوا للجواب فهم الاصل الاصيل لجل هذه المفاسد وكل تلك الشنائع وانت يا اخي لاتستطيع وان جهدت كل جهدك للمحاربة عن علماء الأزهر أن نفسل هذا العار عنهم وتدفع هذه التبعة والنقيصة منهم فانك لاتستطيع ان تكذب الحس والعيان ولا ان تدفع الوقائع التي حدثت في لادهر والازمان افنده الكلية التي مضت لبنائها الف سنة وتخرج منها مليون بل اضعاف مليون طلبة ولا يزال يخرج منها كل عام آلاف من هؤلاء الطلبة أفصحق ان يكون نبيج التعليم في هذه الكلية بحيث يتخرج منها طائفة من صالحيك الناس وسائلين في الرقاب يتخذون غداءهم بالدلة وعشاءهم بالمسكنة ويبيتون وهم مخذولون بالمسئبة أو يجدر بها أن ينفر فيها عن طريق التعليم التي يتخرج

(للتارج ٩) (٨٧) (المجد التاسع)

منها أناس يرفع بهم منار الدين ويتقد به نار الإسلام ويملأ قدر المسلمين، ويهتدي بها المسلمون إلى لواحب الصعود والأرقاء ويزيدهم عزة وجاه ويهيئ لهم ذرائع الاصطدام والاختلاء وإنما يميزنا أولاً أنا نجد المسلمين في أي مصر واية قطعة من قاطع الأرض كانوا بأسرهم ذاهلين عن استجلاب العلم واكتساب الحكمة غافلين عنها غير مكترئين بها وثانياً انه حيث ما نجد لهم وسائل التحصيل حاضرة ولو احب الاكتساب منسعة ومناهج التدريس مطروقة متفتحة وحيثما يوجد لهم كلية قديمة مثل هذه الكلية التي هي أقدم كليات العالم يكون فيها مثل هذا التعليم الفاسد الضار الذي تضيق فيه الأعمار ويضاع فيها الفضة والنضار، ويصطلح الناس فيه على أن يسموا مثل هذا النهج الباطل العاطل التيق الذي لا ينيث المسلمون به فنهضة وينسب من أجلها مادة التحقيق عن قلوبهم انطاوية وينقض اليهم النظر في العلوم النافعة اصطلاحاً على أن يسموه تعليماً دينياً وعلى أن يسموا الرجل العارف بمائل شقي من الطلاق والرقية والنفاس والحيض رجلاً عالماً ولا غير هذا وأنا لست بمسهب مقالي في هذا الشأن ولا بمطرب في شكايي من علماء الزمان نظراً إلى ما حوت مجلتكم الباهرة القراء من أحوال هؤلاء العلماء وشؤونهم واخبارهم فنحن في غنى عن اطالة الكلام عليها وبمزل عن إسهاب المقال فيها وعلى كل حال فإن الاحوال الحاضرة للعلماء ومدارسهم ومكاتبهم مما قد تبين واتضح للناس ضررها وقصدان نفعها للمسلمين وضوح الشمس في كبد السماء وإنما شئى وحزنى على ذلك من جهة ان الأزهر كان هو المدرس الواحد في الدنيا من قديم الأعمار والأعوام الذي كان يرجى فيه اصلاح جميع المقاصد المالية والمدنية في الإسلام ولا غير ولو قبل الناس آراء المفتي محمد بن عبده وبادروها بالقبول لكاننا نأمل منه خروج المسلمين من غيابة الدل والنسكة وتترقب صعودهم إلى أدنى ثمن الفوز والسعادة ولكن عليكم بدان لا تأسوا من روح الله وتجدوا كل الجد في اصلاح المسلمين، وأحسنوا ان الله لا يضيع أجر المحسنين، وكتب يوم الخميس ٢٥١ خلون من شهر ربيع الآخر وأنا مخلصكم الصفي الوفي (محسن الملك)

باب المناظرة والدراسات

الرد على الشيخ نجيت - تابع لما في الجزء السادس

مسائل الدينية

«المسألة الأولى من الحديث» نص حديث جابر عند ابن ماجه وأورده الشيخ نجيت محرراً فأشرفنا إلى ذلك في تلك الجملة الوجيزة وكان غرضنا من تلك الإشارة الفرق بين عبارة الحديث عنده وهي «إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه» وعبارته عند روايه (ابن ماجه) وهي «إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه» فقوله بسلطان معناه سلطة فيشمل كل سلطة لكل قوي . وقد اكتفينا بالإشارة لأنه لم يكن من غرضنا تفصيل خطأ المستنبط الجديد بل عدم الثقة باستنباطه فلما أراد أن يرد علينا كل ما قلناه وان كان حقا رجع إلى الكتب التي من شأنها ان تذكر هذا الحديث وكذب بعد ذكر عبارتنا في تصحيح الرواية مانعه (ص ٢٢)

«وتقول في الرد عليه قد ذكر في البرق الوميض حديث جابر باللفظ الذي ذكرنا وعزواته في الرسالة إليه وقد ذكره في كنز العمال مطولا ونسبه لليبي وفيه ألقاظ لا يوجد في البرق وجاء في آخره: ألا لا تؤمن امرأة رجلا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا ولا يؤمن قاجر مؤمنا إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه اه وقد ذكره في متقى الأخبار باللفظ الذي ذكره المتعرض ولله تقصيره قصر الرواية عليه اه

ثم ذكر بعد هذه الجملة ان الحديث ذكر في المذهب وشرح الاقناع قال «وذكره ابن ماجه في سننه مطولا» وذكر آخره عنه وفيه «إلا أن يقهره سلطان» ثم ذكر أسماء بعض الفقهاء الذين أورده في كتبهم واستنبط من ذلك أن «كل من احتج به في موضع اقتصر فيه على موضع حاجته في الاحتجاج وكل ذلك جائز لم يقل بمنه أحد ولا ضرر في اختلاف الالفاظ مع اتحاد المعنى

الأثرى ابن ماجه قد ذكره في سننه بلفظ والبيهقي قد ذكره بلفظ ومتقى
الاخبار قد ذكره بلفظ ولكن حب الاعتراف على الناس يعني ويصم نموذ
بالله من ذلك هـ اهـ

أقول قد أخطأ الشيخ نجيت في هذا المقام من وجوه (أحدها) ان كلامه
في رسالة السكورتاه كان في رواية ابن ماجه لحديث جابر لاني الحديث على
الاطلاق ورواية ابن ماجه ليس فيها اختلاف وايست كما أورده فهو قد نسب
الى ابن ماجه تحريف الحديث أو نسب اليه ما لم يروه ولا يخرج من هذه الورطة
كون غير ابن ماجه قد رواه باللفظ الذي ذكره ان صح ذلك

(ثانيها) قوله انه عز حديث جابر الى البرق الوميض غير صحيح فان المتبادر
من عبارته في رسالة السكورتاه انه نقل الحديث عن سنن ابن ماجه نفسها فانه قال
مانعه : « وما يدل على انه لا يشترط للسلطان الذي يقاد الفضة ويأذن بالجمعة ان
يكون مسلماً بل يجوز ذلك من السلطان الكافر ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن
جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « وساق الحديث
وذكر في آخره (اه) ثم قال في ابتداء كلامه هكذا

« وانما قال في النهاية وغيرها ويجوز النقل من السلطان الجائر كما يجوز من العادل
وذكر في المنتقط والاسلام ليس بشرط فيه أي في سلطان النبي بقوله اهـ كلامها
ثم ابتداء كلاماً جديداً هو حكاية قال في آخرها اهـ من البرق الوميض :
فهل يفهم أحد من ذلك انه نقل حديث ابن ماجه من البرق الوميض ؟ كلا
بل هو يغالط أو يكتب ما لا يريد ثم لا يفهم ما يكتب

(ثالثها) ان البرق الوميض ليس من كتب الحديث التي يعتمد عليها ويوثق
بها فاحتجاجة بنقله لحديث ابن ماجه لا قيمة له . وامل اقتصاره على نقل الحديث
عنه أدل على قلة الاطلاع - ولا تقول على الجهل بالحديث وكتبه - من
اقتصارنا على عبارة متقى الاخبار الذي هو من كتب الحديث المشهورة المعروفة
بالضبط وصحة النقل

(رابعها) قوله ان كثر العمال نسب حديثه المطول الى البيهقي يفهم منه انه لم

يمزه الى مخرجه الذي عزاه هو اليه وهو ابن ماجه والصواب انه عزاه الى ابن ماجه فالبيهقي ولا تقول ان الشيخ نجيب لا يعرف أنهم يرمزون الى ابن ماجه بحرف «ه» (خامسها) ذكره ابن ماجه في جملة من رووا الحديث - والكلام في روايته خاصة - تحصيل حاصل لا يصدر من محصل

(سادسها) ان الذين احتج باختلافهم في إيراد الحديث ليسوا كلهم رواية له وإنما هم ناقلون فالراوي للحديث هو ابن ماجه وكذلك البيهقي كافي كنز العمال وليس صاحب كنز العمال من أهل التخريج وإنما هو ناقل وكذلك الفقهاء الذين ذكروهم فلا يحتاج بنقل أحد منهم وإنما يجب الرجوع الى كتب أهل التخريج وقد علمت نص ابن ماجه وأما البيهقي فهذا نصه كما في السنن الكبرى له:

«أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد أنه - برنا أبو جعفر محمد بن عمر بن البحري أخبرنا محمد بن عبد الملك الدقيقي انا يز يد ابن هرون أخبرنا فضيل بن مرزوق حدثني الوليد بن بكير أخبرنا عبد الله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية توجروا وتحمدوا وترزقوا واعملوا أن الله عز وجل افترض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فن تركها في حياتي أو بمسدي جحودا بها واستخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا وضوء له الا ولا زكاة له الا ولا حج له الا ولا بر له حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه . الا ولا تؤمن امرأة رجلا الا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا الا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا لمن يقهره بسطان يخاف سطوته » عبد الله بن محمد هو المدوي منكر الحديث لا يتابع في حديثه قاله محمد بن اسماعيل البخاري : اه قول البيهقي

أقول ومنه تعلم ان طريقه هو عين طريق ابن ماجه لا طريق آخر كما زعم

الشيخ بخيت وأنه أورد الحديث و بين جرح راويه ليعلم أنه لا يحتج به . ومن نص سنن البيهقي الموافق لنص سنن ابن ماجه في قوله « الا أن يقهره بسلطان » تعلم أن ما في كثير العمال من النقل عنها محرف وأما الطبراني فلم يخرج هذا الحديث وإنما حديثه خاص بفرضية الجمعية ليس فيها ذكر الامامة ولا القهر بالسلطان فهو لا يعد طريقاً ليقوى به الحديث فما هذا الغش والتليس

— المسألة الثالثة — سند الحديث —

ذكر الشيخ بخيت عبارتاً في تلك المقالة في كون الحديث منكراً أو موضوعاً نقول البخاري في راويه التميمي منكر الحديث وقول وكيع فيه يضع الحديث ثم اننا أخذنا ذلك عن الشوكاني ونقل هو عبارة الشوكاني وفيها ما ذكر عن البخاري وعن وكيع ثم قال (ص ٣٤) « ولم يقل الشوكاني ان الحديث منكراً أو موضوعاً كما اجترأ عليه المترض من نفسه ولا يلزم من الطعن في رجال الحديث الطعن في نفس من الحديث على ما سيأتي بيانه ونذكر لك ما قيل في رجاله لتقف على حقيقة الحال ثم تتبعه بما يتعلق بحال المتن » ثم ساق سند ابن ماجه ونقل بعض ما قيل في رجاله واحداً واحداً ثم قال (ص ٣٨)

« وما أوضحنا لك في الرجال تعلم ان كلا من محمد بن عبد الله بن نمير والوليد بن بكير ثقة عدل لا طعن فيه وقد روى الوليد وهو ثقة هذا الحديث عن عبد الله بن محمد المدوي ورواه محمد بن عبد الله بن نمير وهو ثقة عن الوليد وقد تابع محمد بن عبد الله المدوي في هذا الحديث عبد الملك بن حبيب وان الطعن فيه غير مسلم ولم يتفقوا عليه وان علي بن زيد قد روى عنه قتادة والسفيانان والحامدان وخطي وكفي بذلك توثيقاً وتديلاً وقد خرج له الاربعة والبخاري في الأدب ومسلم في صحيحه وان قرن معه غيره وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة وعلى فرض تسليم الطعن فغاية ما يقتضيه ضعف هذا الراوي المطعون فيه . وضعف الرواية لا يستطع الاحتجاج بالحديث الا اذا عارضه ما هو أقوى فيقدم عليه ولم يوجد ما يعارض هذا الحديث بل وجد

من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع ما يشهد بصحة معناه ويؤيده كما يأتي
وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي ان متن الحديث الذي رواه منكر فن
المنكر قد اختلفوا فيه فقال في التنقيح هو ما لم يروه أصحاب السنن والمسانيد
والصحيح ولا يوجد له أثر في كتاب من كتب الامهات كسند أحمد ومعجم
الطبراني ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها مع شدة حاجتهم اليه اهـ

ثم ذكر أقوالا أخرى في الحديث المنكر لتأخري المحدثين واعتمد قوله
التقريب بالتفصيل فيه كالتأذ قال « وقد علمت ان من الشاذ ما يكون صحيحا
وما يكون حسنا فيكون المنكر كذلك » الخ

أقول كلام الشيخ بخيت هنا يدل على أحد أمرين إما انه لا يعرف علم
الحديث ولا بوجه الالمام وإنما يرجع اليه عند الحاجة فيكتب عنها ما يلوح له ان
يوافق غرضه واما انه يحرف الكلم عن مواضعه ويدلس و... و... عامدا عالما والأول
هو الأظهر ومن الدلائل على ذلك من كلامه هذا ما ترى من أنواع الخطأ وهي
« ١ » جمل الوليد بن بكير كمحمد بن عبد الله بن عمير عدلا لا طعن فيه

وقد قل الذهبي في الميزان ما رأيت أحدا وثقة غير ابن حبان وقد نسب بعضهم
ابن حبان الى التساهل في التعميل وقالوا انه واسع الخطو في باب التوثيق يوثق
كثيرا ممن يستحق الجرح وفي تدریب الراوي للسبوطي وفتح المغيث للسخاوي
تفصيل في ذلك محصله ان له اصطلاحا خالف فيه غيره منه ار كان يجمل الحسن
صحيحا وانه كان يوثق من لم يطعن فيه أحد . ولم يعند الذهبي قول أبي حاتم
فيه (شيخ) توثيقا وكلمة شيخ عند أبي حاتم في المرتبة الثالثة قال في صاحبها « يكتب
حديثه وينظر فيه » أي يكتب لأجل البحث عنه فهل يقال في مثل هذا انه
ثقة كمحمد ابن عبد الله بن عمير الذي روى عنه الشيخان ؟؟

« ٢ » قوله ان الطعن في عبد الملك بن حبيب غير مسلم هو حكاية لقول المقرئ
المؤرخ صاحب نفع الطيب وهو ليس من أهل الجرح والتعديل وقوله هذا
لا يعتمد به فان الجرح المفسر مقدم على التمديل لاسيما اذا أيد بعض أهل الجرح
فيه بعضا . وألفاظ الجرح فيه كثيرة منها ما نقله الشيخ بخيت عن الشوكاني

وعن ابن لباب ومنها ما ذكره الذهبي في الميزان عن ابن حزم انه قل فيه ليس بثقة وقال روايته ساقطة مطروحة . وعن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس انه قال فيه انه صحفي لا يدري الحديث ، وضعفه غير واحد ثم قل وبمضهم أنهم بالكذب وقال ابن حزم روايته ساقطة مطروحة أقول فإذا أجلناه عن الكذب فهل نجده عن القول بالجهل بالحديث الذي أيد كلام ابن لباب فيه قول الحافظ أبي بكر انه صحفي لا يدري الحديث ، والحافظ الذهبي نفسه قد وصفه بذلك مع اعترافه بعلمه فانه قال فيه « كثير الوهم صحفي » ويؤيد هذا ما نقله بنجيت من مسألة التمرارة والجواب الذي نقله عن المقرئ فيها ليس بشيء ، فان الذين يقولون بالاجازة لا يعدون من أجيز بخرارة من الكذب (أي جوق) لم يقرأها ولم تقرأ عليه راويها لها ضابطا لما فيها بحيث يحتاج بمتابعتها في تقوية منكر الحديث . فليث شعري هل فهم الشيخ بنجيت هذا فأغضض فيه أم لم يفهمه

(٣) قوله ان علي بن زيد قد روى عنه فلان وفلان وكفى بذلك توثيقاً مردود بأن رواية من ذكر عنه لا تدل على عدم الطعن فيه بل الطعن فيه منقول فقد قال الامام أحمد فيه هو ضعيف وقال البخاري وأبو حاتم لا يحتج به ولا ينافي ذلك رواية البخاري عنه في الادب المفرد فانه يروي فيه عن الضعفاء ولو لم يكن ضعيفا عنده لروى عنه في صحيحه . وكان ابن عيينة يضعفه وقال حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الاحاديث وقال الفلاس كان يجبي القطان بتقي الحديث عن علي بن زيد . وطعن آخرون فيه فراجع مع هذا سائر ما قيل فيه في ميزان الاعتدال

(٤) قوله : وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة : مما يتمجب منه فان الطعن بالفسق ليس من ألفاظ جرح الرواة الدال على عدم الاحتجاج بروايتهم وكان الشيخ بنجيتا ظن ان شأن المحدثين في الرواة كقضاة المحكمة الشرعية في الشهود بل كشأن تحوت العامة في طعن بعضهم ببعض فان كان هذا ظنه فهو إثم فانهم رضي الله عنهم ما كانوا يقولون ان فلانا لا تقبل روايته لانه فاسق أو زان أو منس بل جعلوا للجرح مراتب ليس

فيها شيء من قبيل ألقاب السباب الا لفظ الكذب هو يذكروه الجمهور للضرورة ومنهم من ينزهه عنه كالبخاري وقتلنا يصرحون به . في الفاسق وكل ما قلنا عنهم من ألقاب الجرح في رواية هذا الحديث معناه ان الجرح ليس عدلا اذ الجرح يقابل التعديل ولا حاجة الى التصريح بكلمة « غير عدل » وما في معناه . فليبحث في كتب هذا الفن عن مراتب الجرح يتبين له ذلك ويعلم ان قوله لم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث النخ لا يفيد شيئا في تقوية سنده وجعله مما يحتاج به . وقد علم القراء ما قيل في غير محمد بن عبد الله بن عمر منهم وحسبهم أن البخاري قال في راوي الحديث أنه منكر الحديث ومن اصطلاحه أن من قال فيه ذلك لا يحمل الرواية عنه فهل بقول الشيخ بحيث إن من لا يحمل الرواية عنه ثقة عدل محتج بحديثه ؟

(٥) قوله ضعف الرواية لا يسقط الاحتجاج بالحديث الخ خطأ يأتي بيانه بعد

(٦) قوله أنهم لم ينفقوا على الطعن بعبد الملك لا يفيد على تقدير صحته الا اذا كان يشترط في الاعتداد بالجرح والاتفاق عليه وليس الامر كذلك بل الجرح مقدم على التعديل مطلقا أو بشرط كونه مفسرا

(٧) قوله : وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي أن ممن الحديث منكر : لا يفيد بل يقوي الحجة عليه الا اذا صح قوله ان ضعف الرواية لحديث لا يسقط الاحتجاج به ولن يصح فان كون الراوي منكر الحديث جرح له يمنع الاحتجاج بحديثه عند البخاري وقد يكون الحديث منكرا وهو مما يحتاج به على القول بأنه بمعنى الشاذ وهو ما اعتمده وان كان غير معتمد في نفسه وانما المعتمد من أقوال كثيرة ان بين المنكر والشاذ عموما وخصوصا من وجه يجتمعان في كون الراوي قد انفرد برؤية كل منهما وينفرد الشاذ بكون راويه ثقة والمنكر بكون راويه ضعيفا (انظر كشاف اصطلاحات الفنون) وانما توهم من توهم ان الشاذ والمنكر واحد من اختلاف القوم في الاصطلاحات . وانما قلنا في تلك المجالة ان الحديث منكر أو موضوع بناء على انفرد محمد بن عبد الله التميمي به وعدم الاعتداد بمتابعة عبد الملك بن حبيب له لأنه ليس من أهل الرواية وقد بصوا على أن التميمي هذا

لا يتابع واذا تفرد منكر الحديث أو من يضعه بحديث كان ممن الحديث منكرًا
أو موضوعًا. فإذا أثبت الشيخ بخصيت أن لهذا الحديث روايات أخرى يكون قولنا ذلك
خطأ سببه عدم اطلاعنا على تلك الروايات وأين هي ومن هم رجالها؟
آية من آيات دقة الشيخ بخصيت في علم الحديث

قال في آخر (ص ٤٠) بعد ما تقدم «وقول ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به شهادة
نفي قال في الرحمة المرسلة للحافظ عبد الحمي الكتاني الفاسي وقد قال الحافظ
ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد في حديث قال ابن حبان
فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله ولا عمر ولا سعيد ولا الزهري
مانعه قول ابن حبان شهادة نفي صدرت من غير استقراء تام على ما سئله
فهي مردودة اه وقال الذهبي الكلام في الرجال لا يجوز الائتم المعركة تام الورع
اه قول الشوكاني تالف لا يقبل وقول وكيع يضع الحديث لا يقتضي ان هذا
المن موضوع ولو كان موضوعا مارواه أولئك الاعلام ويسكتون عليه ولا يبينون
ذلك وقد علمت متابعة عبد الملك بن حبيب وعدم تسليم الطعن فيه وقول ابن
حجر واهي الحديث وقول ابن عبد البر هذا الحديث واهي الاسناد وقول البيهقي
لا يتابع في حديثه كل ذلك لا يقتضي كون هذا المن واهيا قال الحافظ عبد الحمي
الفاسي في الرحمة المرسلة لان تعدد الطرق مانع من كون الحديث واهيا شديد
الضعف لان الضعف اذا حصل له أدنى انتعاش واستثناس أحدث فيه قوة
ومعلوم أن ضعيفين يفلبان قويا اه

أقول قد علم القراء ان هذا الحديث لم يروا من طريق محمد بن عبد الله المدوي
التميمي الذي تكرر ذكره والشيخ بخصيت ينقل كل هذه المطاعن فيه وهي أشد
ألفاظ الجرح عند المحدثين ثم لا يراها جارحة له مسقطه لمدالته مانعة من الاحتجاج
بحديثه . ومن دقيق علمه انه لا يفرق بين قولهم فلان لم يحتج به وقولهم فلان
لم يقل كذا اذ جعل الاول كالثاني شهادة نفي ولعله عند ما يعود الى عبارته هذه
يستحي منها واذا علم ان تلاميذه رأوها وفهوها يستحي أن يظهر بينهم بصفة
المعلم اذ لا أظن انه يخفى عليهم أن قول أهل الجرح والتعديل فلان لا يجوز

الاحتجاج به معناه أنه غير عدل فعبارة ابن حبان بمعنى قول البخاري منكر الحديث أي لا تحمل الرواية عنه أو هذه أشد وأما قولهم ان فلانا لم يقل كذا فلا معنى له الا أن القائل لم يعلم بأنه قال لعدم استقرائه

وهل علمت أيها القاري من هو الحافظ عبد الحي الكتاني الفاسي الذي يقتبس الشيخ نجيت من علمه بالحديث ويخرج بقوله ورأيه؟ هو الشيخ الكتاني المغربي الذي مر على القاهرة في العام الماضي والرحمة المرسله رسالة له حاول فيها تحسين حديث البسملة « كل أمر ذي بال » وقد جعله الشيخ نجيت حافظا ليجتج بكلامه ولا فخر له في ذلك فان الذي جعله من الحفاظ لا يعرف علوم الحديث وجملة القول في سند هذا الحديث أن الشيخ نجيتنا ادعى انه لم يطمئن أحد في رجال سنده عند ابن ماجه بما يسقط عدالتها وانه مروى من عدة طرق يقوي بعضها بعضها وان الاعلام رواه وسكتوا عليه وان متابعة عبد الملك بن حبيب للتميمي عليه معتبرة وكل هذه الدعاري باطلة كما علم مما تقدم على اختصاره

أصول الإسلام

﴿ الكتاب، السنة، الاجماع، القياس ﴾

جاء نامن الشيخ طه البشري الاستاذ المدرس بالجامع الازهر تحت هذا العنوان ما يأتي الى الدكتور النظامي محمد توفيق أفندي صدقي بعد انه محمد الله اليك ونصلي ونسلم على نبيه المجنبي ورسوله المصطفى وآله وصحبه فلقد قرانا قائمك التي ذهبت فيها الى ان الاسلام هو القرآن وحده ونشئت من العلماء من يساجلك القول ويادلك الحججة حتي ينتهي البحث الى الحق الذي لا شبهة فيه فاذا كنت مصيبا تابهك رأيدك أو مخطئا خالفك وأرشدك واني مناظرك ان شاء الله تعالى بما لا تری فيه حرجا عليك من الزامك بما قال زيد ورأي خالد لكن بالكتاب نفسه أو بما رأيت فيه حجة لنفسك من غيره ملتزما جهد المستطيع حد المناظرة الصحيحة حتى تبلغ منزلة الحق الذي نشده جميعا فاما هدي يالي زفاق، والافتد بلغ أحدنا من مناظره عذرا، وكثيرا ما ابتدأت

المنافرة بالمهاترة وانتهت بملاح، والحق ذاهب بينهما ادراج الرياح، ولا حول ولا قوة الا بالله، نسال الله تعالى ان يعافينا واياك من هذا البلاء اعلم وفقنا الله واياك ان اصول الاسلام الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس

اما الكتاب فلا تنازع فيه بل تراك اتخذته وحده التكاة التي تستند في أمر دينك اليها والحجة التي تنافج عن نفسك فيما ذهبت بها واما السنة فلاننا ثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد، وعليه تستند، وعنه تصدر، واليه ترجع، قال الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل بهم) وليس هناك من معنى لتبين الكتاب غير تفصيل مجمله، وتفسير مشكله، وغير ذلك من مسائل الدين التي لم يتناولها الكتاب بالنص، ولم ينسب لها بالبيان، ومثله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (كأرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) الآية فقال ويعلمكم الكتاب ولو كان المراد مجرد تبليغه لا كتنفى بقول يتلو عليكم آياتنا ولا يذهب عنك ان التعليم غير الاداء والتبليغ، ثم عطف عليه بالحكمة، وعطفها على الكتاب يقتضي انها هنا شي آخر، وليس هناك غير السنة وقال تعالى في مواضع كثيرة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وطاعة الله لاشك بالرجوع الى كتابه، وطاعة الرسول بالرجوع الى سنته، ولو كان المراد الكتاب وحده لما كان تمت داع للترار، وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يحمل لهم الطيبات ومحرم عليه الخبائث) الآية فنص في هذه الآية الكريمة على الاخذ بما يحمل الرسول والتحدج عما يحظر مطلقا، وقد ثبت ان السنة اباحت كثيرا وحظرت كثيرا بدون أي نص أو إشارة خاصة من الكتاب ومع ذلك يجب الاخذ بكل ما جاءت به لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد صرح الكتاب العزيز بان كل ما أوجب الرسول وأمر، أو نهى وحظر، إنما هو من الله تعالى يجب اتباعه ولا يجوز اجتنابه، لقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أكد سبحانه

وتعالى على الناس في طاعة الرسول وشدد في مواضع كثيرة من القرآن العظيم بالترغيب في اتباعه ، ووعد العاملين بأمره بعد ان قرن طاعته بطاعته في قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) او بتخويف المخالفين لأمره ، والمتجافين عن حكمه بقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب يوم أليم) فمخالفة الرسول ولا ريب مخالفة صريحة لأمر الكتاب الصريح

وقد استدلت على أن الاسلام هو القرآن وحده بقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وعلى تسليم ان المراد بالكتاب هنا هو القرآن ، فان أردت ان القرآن لم يفرط في شيء من مسائل الشريعة بطريق النص فلا نستطيع ان نوافقك على هذا احتراماً لمكان الكتاب الكريم من الثقة والصدق ، فان القرآن لم يتناول بطريق النص من مسائل الشريعة الايسيرا ، وان أردت ان الكتاب لم يفرط في شيء من الدين على سبيل الاجمال قلنا نعم فان القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وأنت خير بان ذكرها بمجمله ليس كافياً استنباط المجتهد ما يقوم به العبادة ويحرم المعاملة ، على اننا نقول ان القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وجزئياتها فان ما لم ينص عليه الكتاب منها أمر باتباع الرسول فيه ، فكل مسائل الشريعة على هذا من الكتاب اما مباشرة ، واما باتباع ما بينه الرسول الامين

﴿ عصمة السنة الصحيحة و أنها من الله قطعاً ﴾

لانحسبك تخاف في ان الرسول معصوم ، وان كل ما يجري على لسانه أو أو يبدو من عمله انما هو باوحي الساموي أو الالهام الالهي الصادق ، وما كان للرسول أن يشرع شرعاً يتعبد الناس به من عند نفسه ، وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحي يوحى (فامر الرسول لا يختلف عن أمر القرآن وكلاهما معصوم ، فلا مجال تمت للسؤال بأنه - هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه الكتاب فان الكتاب والرسول لا يفرضان شيئاً (ليس لك من الامر شيء) وإنما الذي يفرض هو الله الحكيم ومظهر هذا الفرض اما ان يجري على لسان النبي العظيم ، أو يتجلي

في لفظ الكتاب الكريم ، وليس الامر بطاعتها الا امرًا بطاعة الله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فالرسول عليه السلام هو الواسطة بيننا وبين الله العظيم قرآنا كان أو غير قرآن ، والقول «نعوذ بالله» بدم حجية الرسول قول بالاولى بدم حجية الكتاب فاننا لم نأخذ الكتاب الا منه ، ولم نلقه الا عنه ، وهو أمين الله على وجهه ، وميثه الى خلقه ، وحجته على عباده

السنة اجمالا مقطوع بها كالكتاب - لاشك في أن الكتاب مقطوع به ولم يكن هذا القطع الا من طريقة الذي انصل بنا منه وهو التواتر ، والسنة بالجملة جاءتنا من هذا الطريق بعينه ، لان اجماع الامة من المبدأ الى الآن منعقد على صحة السنة اجمالا عن رسول الله ، وانها اصل من اصول الدين كالكتاب واذا كان طريق السنة هو بعينه طريق الكتاب لاجرم كان مقطوعا بها اجمالا كالمقطع بالكتاب تفصيلا ، قلنا السنة بحسب الاجمال اما هي الشخص فسيأتي عنها بعض التفصيل في مراتب السنة الصحيحة

عصمة الشريعة كلها

لنا في اثبات هذه الدعوى وجهان - الاول الدلائل الدالة على ذلك من الكتاب مثل قوله تعالى (يريدون ليطغوا نورا الله بافواههم ويأبي الله الا ان يتم نوره) ونور الله شرعه وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولو فسرنا الذكر بالشريعة كلها - كتابها ومستها - لكان الامر ظاهرا ، ولو قصرناه تفسيره على الكتاب لجاءت السنة بطريق الزوم لما علمت من انها كناية لتفصيل مجمله ، وتفسير مشكله ، ولا معنى لحفظ كليات الشريعة ومجملاتها دون جزئياتها ومفصلاتها ، التي هي مناط التكليف وعليها تدور الاحكام . والثاني الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الى الآن فان الله سبحانه كما قبض للكتاب العدد الجم من ثقات الحفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لصرفه الآلاف من القارئین ، كذلك أقام لكل علم يتوقف عليه فهم الشريعة من الناس من تأدى بهم هذا الفرض أحسن الأداء

فمنهم من استفد السنين الطوال في حفظ اللغات والتسميات الموضوعية على لسان العرب حتى قرروا لغات الشريعة الفراء من القرآن والحديث ، وهذا الباب الاول من أبواب فقه الشريعة النبي أو حاشا الله الى رسوله على لسان العرب ، ومنهم من جند في البحث عن تصاريح هذه اللغات في النطق بها رفعا ونصبا وابدالا وقلبا واتباعا وقطعا وافرادا وجمعا الى غير ذلك من وجوه تصاريحها الأفراد والتركيب ، ومنهم من قصر عمره - وهو طويل - على البحث عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل الثقة والعدالة من النقلة حتى ميزوا الصحيح من السقيم ، وتعرفوا التواريخ رصحة الدعوى في أخذ فلان عن فلان حتى استقر اثبات المعمول به من الحديث الشريف فلا محل لدعوى «حصول التلاعب والفساد» في حديث الرسول الكريم ، كيف وقد علمت ان السنة شطر الدين ، والدين قد جاء اليها بطريق التواريخ القطعي ؟ واذا كان نقلة الكتاب العزيز بهم المدول المضطاط الحماظ الامناء فان نقلة الحديث ورواياته ان لم يكونوا هم باعيانهم فانهم لا يقلون عنهم في العدالة والحفظ والضبط والثقة والامانة فمن طمن في صحة السنة فقد طمن في صحة الكتاب أيضاً

وقد علمت صحة الكتاب وفساد سند السنة بتعاليل نرى من الحشم علينا اللامم بها جملة ، ونعقبها بما يكفي لدفعها

(١) كون متن القرآن مقطوعا به لانه منقول عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان (٢) كتابة القرآن في عصر النبي عليه السلام بأمر منه (٣) عدم كتابة شيء من الاحاديث الا بعد عهده بمدة كافية في حصول التلاعب والفساد الذي حصل (٤) عدم ارادة النبي لان يبلغ عنه للمؤمنين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الآية) ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لامر النبي بتقييده كتابة ، وتكفل الله بحفظه ، ولما جاز لاحد روايته على حسب ما أداه اليه فهمه ،

وتقول - (١) اما القطع بالقرآن كله فلا شك فيه ، ولكن ليس بما ادعت

من قوله عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان فان هذا ليس كافيا في القطع بل هو انما تحقق بالتواتر اللفظي ، وهو الذي استفيد منه عدم الزيادة والنقصان ، على انك ان عددت مثل ذلك موجبا للقطع يلزمك ان تعد السنة الصحيحة مقطوعا بها - بحسب الشخص - كلها لانها جاءتنا أيضا بلا زيادة ولا نقصان .

بل ولعد كل خبر ورد من أي طريق بلا زيادة ولا نقصان مقطوعا به وهو غير مسلم (٢) وأما كتابة القرآن بأمر النبي عليه السلام في عصره فلا نزاع فيها أيضا ، ولكن المدة في القطع به انما هي بالتواتر كما قدمنا بحفظه في صدور جماعة من الصحابة غير ممكن واطوئهم على الكذب والذين يلونهم كذلك ثم الذين يلونهم الى عصرنا هذا ، على اننا لا نهمل ما للكتابة من التوكيد وفوائد أخرى كثيرة مثل ترتيب الآيات بعضها الى بعض باشارة جبريل عليه السلام ، فان القرآن نزل نجوما على حسب مقتضيات الوقائع لا بهذا الترتيب ، ولا يعزب عنك ان ماسطره كتاب الوحي من القرآن ليس بين أيدينا شيء منه الآن ، بل نحن لم نقطع بحصول الكتابة في عصر النبي عليه السلام الا بالتواتر اللفظي المسلسل الى ذلك العهد الشريف ، وهناك تستوي الكتابة وعدمها في نسخة النقل ما دام مصدرها موجودا وهو النبي الكريم المبلغ لآيات الكتاب الحكيم ، فاذا كنت تعد الكتابة التي سجلت في عهده عليه السلام هي الحجة وحدها في القطع بالقرآن ، فقد شككت في القرآن المتلوه طول هذا الزمان في كل بلاد الاسلام ، فاننا ومن قبلنا الى قريب من ذلك العهد الشريف لم نحظ بروية شيء من هذا الاثر الكريم !!! واذا اعتبرت القطع بالنقل عن ذلك الاثر قلنا لانسلم ان هذا موجب للقطع بصحة القرآن اذ ان الكتابة نفسها لا دليل موجب للقطع بانها من الرسول ، بل هي في اثبات صحتها ذاتها محتاجة الى التواتر اللفظي المؤيد بقينا لصحة المنزول فعلت ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره وقد نقلت اليها السنة اجمالا من هذا الطريق ، ولا يذهب عنك ان العرب كانت أمة أمية أكبر اعتمادها في حفظ ما تورها كان على الصدور لا السطور

(٣) وأما عدم كتابة شيء من الحديث في عهده فهو لا يفيد دعوى

التلاعب والفساد ، بل ربما كان عدم الكتابة مما يبالغ بالنفس في تأكيد صحة أسانيد السنة ، اذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة ، وبأسانيد مختلفة مع حفظ وسطه وطرفيه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، ثم انك قلت «من حفظ وسطه وطرفيه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، حصل» اترمي بذلك السنة الصحيحة المعتبر بها، والمتمسك عليها ، المسطورة في مثل صحيح مسلم والبخاري وموطأ مالك وأمثالها، بأجمت الامة على صحته ، أو غير ذلك مما نص على ضعفه أو وضعه ، ان كان الاول فقد طمنت قيا القوم اجماع على صحته في الجملة ومنه القرآن ولا تقول بهذا ، وان كان الثاني فأنا لا نقول منه على شي .

(٤) وأما دعوى «عدم ارادة النبي عليه السلام لان يبلغ عنه للعالمين شي» بالكتابة سوى القرآن» في هذه المقدمة - أو شبه المقدمة - نظر ، على اننا لو تنزلنا بتسليمها لما انتجت النتيجة التي تريدها ، وهي انه لم يرد ان يبلغ عنه شي . أصلا سوى القرآن (طبعا) والنبي عليه الصلاة والسلام أرسل كثيرا من الرسل الى الجهات المختلفة ولم نسمع بل ولا نستطيع ان نثبت أنه كان يقتطع لهم من صحف الكتاب ما يكون (الحجة) في دعوتهم الى الاسلام أولا ، ويعلمهم أحكامه ثانيا ، ولو كان الامر كما رأيت ما صحح تبليغ أولئك السفراء الى الدعوة ، ولا اعتد باقامتهم بين الناس أحكام الشريعة ، نعم يقال انه كان يكفي بمحفظهم من الكتاب ، ونقول انه كان كذلك يكتفي بمحفظهم من السنة ، وان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم أصحب وفوده الى الملوك بكتابات مرقومة ، ورسائل مسطورة ، قلنا ان ذلك لم يخرج عن الايدان بصحة بعثة أولئك الرسل عن النبي عليه السلام وكل ما فيها لا يجاوز الالمام الى الغرض الذي سرحم اليه ، وما كونه لم يترك أثر من الدين مسطورا الا الكتاب العزيز فقد علمت ان لا يترتب عليه شيء مما نحن فيه ولو كان الامر كما ترى فبم كان يعلم الناس كيفيات الصلاة مثلا وهي القاعدة الثانية من قواعد الاسلام ؟ .

ترى اننا بعد هذا في غنى من التماس الملل لكتابة القرآن دون السنة فمخز تيبك من أصل الامة التي أوردتها لذلك وتكلفت مؤونة ردها وان كنا

ناقشك في هذا الرد

قلت «فإن قيل إن النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاثيان بمثله» ونقول إن إعجاز نظمه لا يتحقق بقدر الآية الصغيرة مثلا ، فلا مانع إذن بأن يلتبس هذا القدر من الكتاب بالسنة ، أو مثله من السنة بالكتاب ، وأنت أوعى وأرشد من أن تلبه إلى المصائب بمخرج آية بل آيات متفرقات من القرآن عنه ، ودخول أمثالها فيه وليست منه ، على أن عدم التباس القرآن بغيره إنما يتحقق في حق العربي الخبير بأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، ولمكنه غير منحقق أصلا في جانب غيره أعجميا كان أو من هؤلاء المستعربين

على أننا نرجع إلى أصل الموضوع فنقول إن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب إنما هي التبليغ من أي طريق كان وقد قال (الا فليبلغ الشاهد الغائب) وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرآنا كان أو سنة وقد قال تخصيصا لهذه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عرضا عليها بالنواجذ)

أما جواز رواية الحديث بحسب ما يوديه الفهم فما لم نسمعه إلا منك ، فإن المقرر المعروف أن فهم الحديث في ذاته تابع لروايته ، لا أن روايته تابعة لفهمه ، وإذا كانت روايات الحديث مسوقة حسبما تبليغ الافهام فاحر بها ان لا تساق أصلا . وكيف يجوز الفكر ويضطرب الفهم في شيء قبل وروده وتقرره أولا ؟ وإذا أردت بذلك وقوع اختلاف الافهام في بعض الاحاديث فذلك ضروري كاختلافها في بعض آيات الكتاب سواء بسواء . أما رواية الحديث بمعناه - إذا غاب عن الراوي لفظه - فحائز لان المراد منه هو حكمه لا التحدي بنظمه . أو التعبد بلفظه . فلا بأس إذن بروايته بأي لفظ يؤدي معناه المراد

❦ فساد دعوى الاستنباط من الكتاب وحده ❦

ان المستنبط من الكتاب مهما صح فهمه ، وغزر علمه . لا بد وان تعرضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنيا في تقرير الحكم فيها بنفسه ، ولا منصحا بما يكون

بُلغة المهدي وكفاية الطالب، كأن يرى ثمت لفظا يتبادل افرادا مختلفة الحدود على سبيل البدل لغة كالمقرء في قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) فإنه مشترك لغة بين معنيين متناقضين (الحيض والطمهر) وهنا لا يسمه الا ترجيح أحدهما بمرجح خارجي والا لزم اما التوقف أو التصف بالترجيح بلا مرجح، وقد رجح الحيض أبو حنيفة بما صح عنده من قوله عليه السلام (طلاق الامة ثنتان وعندها حيضتان) فإنه يدل على ان عدة الحرة ثلاث حيض لا ثلاثة اطهار . وكان يرى المجتهدا أيضا من لفظ الكتاب ما زدحت فيه المعاني واشتبه المراد به اشتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى شيء آخر كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان الصلاة في اللغة الدعاء . والزكاة الماء . فأبي دعاء وأي نماء أريد في الكتاب ؛ لا بد من تعيين المراد بشيء آخر ولقد عينه النبي وبينه بيانا شافيا تصديقا لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكرتين للناس ما نزل اليهم) فالاستنباط من الكتاب لما ذكر فيه نفسه من الاحكام (الا ما كان نصا) لم يسمه تبين المراد منه الا بالسنة وهذا فوق الكثير، فكيف بما لم نوص به في الكتاب مما انعقد الاجماع على وجوبه كواجبات الاحرام ونحوها !!! بهذا تعلم ان الاستنباط من الكتاب وحده . والتغني به في كل أحكام الدين مستحيل

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أثبتنا ان السنة بالجملة أصل من أصول الدين كالكتاب وانما بهذا الوصف نقلت اليها تقلا متواترا لاشبهة فيه ، أما هي بحسب الشخص فمنها المتواتر وهو (مارواه جماعة لا يتوهم تواطؤهم على الكذب ويدوم هذا الحد فيكون آخره كأوله وأوسطه كطرفيه) وهو موجب لليقين كإيمان علماء ضروريا فهو كالكتاب في صحة متنه، وصدق عزوه، بحيث يكفر منكره قطعا لانه حجود للمستيقن بأنه من الله - وفيها المشهور (وهو ما كان آحاديا في الأصل ثم اشتهر شهرة مستفيضة) ومنها الصحيح وهو (مارواه العدوا، الضباط الحفاظ من غير شذوذ ولا علة) وغير ذلك من أقسام السنة الصحيحة كثير . وإذا كان القائل يقاد منه بسفك دمه في عرف الشرائع وما أدراك بحرمة الدم) بمجرد شهادة عدلين الا يجب العمل

في حكم شرعي بشهادة اثنين أو أكثر من العدول الثقة الأوفياء من صحابة رسول الله وتابعيهم . بل لو شئت لأوردنا لك ما قال الشافعي حجة لنفسه في العمل بخبر الواحد ، بل لأوردنا ما قال الله تعالى حجة علينا في ذلك حكم الله بين السنة والكتاب حيث قد ثبت أن السنة الصحيحة شرع من الله تعالى ، متمبداً بها فيما كان عبادة ومعتد بحكمها فيما كان معاملة فهي لا تناقض الكتاب مطلقاً ولا دليل هناك على دعوى «وقوع التضارب والاختلاف» بين ما ورد من الأحاديث الصحيحة المعول بها في شرع الله القويم . لأن منشأ هذا التضارب المدعى لا يخلو إما أن يكون من الأصل أو النقل أما من الأصل فمستحيل لأنك ولا شك تعرف منا بوجوب الصدق والفظنة والمصداق لجميع الأنبياء وليس بشيء من هذه الواجبات أن يحدث النبي في شرع الله بالتضارب المتناقض بل هذا والعياذ بالله تعالى كذب لا يجوز لمسلم أن يرمي به نبياً مصصوماً وأما من حيث النقل فقد يتنازع منه وجه الحجج وقلنا إن نقل السنة هم العدول الثقة الخ . وليس «ولوع المتقدمين بجمع روايات الحديث مدعاة إلى وقوع التضارب والاختلاف فيها» بل هو أدعى إلى حفظها وصيانتها . ولعلك لم يفتك قراءة شيء من تاريخ أولئك الأخيار الماملين الذين نصرت أعمارهم في هذا السبيل إذ كان يمضي الواحد منهم الشهر والشهرين والأكثر متنقلاً بين الأقطار والاصطاع نقل البدر بين منازله تماماً لتحقيق حديث واحد من أفواه الثقة الأمراء ، ولو أنه ظفر به من طريقه بعد طول الجهد ثم اختلج في نفسه أقل شبهة من أحد روايته ففض يديه منه ، وانقلب إلى أهله خاوياً من ذاك الحديث وقاضه . واليك كثيراً من هؤلاء كالبخاري ومسلم ومالك والشافعي وأصحابهم الذين هم الحجج في نقل الحديث الصحيح المعتبر به ، والممول عليه ، وقولك بعد « أن المجتهدين تحققوا أن أكثر الأحاديث موضوعات » هو حجة لنا أيضاً لأن تمييزهم للموضوع والضعيف تمييز - ولو بطريق الزوم - لغيره وهو الصحيح . قلت «المجتهدون» وهم أما الصحابة الذين تلقوا الأحاديث بأذانهم عن فمه الشريف بلا واسطة والحديث في حق هؤلاء لا يخالف إلى صحيح وموضوع وضعيف لأن هذه الفروق إنما هي راجعة إلى قوة السند وضعفه ولا يكون هذا في حال تسمعه من الرسول

الكريم فان الحديث كله في حق سامعه منه عليه السلام صحيح . مقطوع المن كالقرآن واما غير هؤلاء . ممن لم يتلق الحديث الكريم الا بالواسطة وهذه الواسطة اما ان تكون موجبة لليقين كما اذا كانت اتواتر أو الظن بالخبر كما اذا كانت غيره من الطرق المعتبر التي أقلها موجب أيضا للعمل وان لم يكن موجبا لليقين اذ التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للخرج على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) بل المجتهد ليس مكافأ فيما اذا كانت الاحكام غير مقطوعة المتون - كما في الاخبار الاحادية - الا بالبحث والتنقيب للعمل بالاقرب الي يقينه وهو الأرجح في ظنه والاعبار الاحادية الصحيحة تبلغ ولا شك هذا المقدار فالعمل بها على هذا واجب وأيضا كون بعض أحكام الاحاديث ظنية - لان سندها ليس الا موجبا للظن - لا يقدح في وجوب العمل بها كما لا يقدح في وجوب العمل ببعض أحكام الكتاب نفسه التي دلالتها ظنية - وان كانت مقطوعة المن - كل مجتهد يحملها على اوجه الذي يؤديه اليه مبلغ علمه وفهمه ، فالقول بان المجتهدين كلهم على حق ليس « قولا باجتماع التقيضين » بل المراد ان الحق على فرض كونه واحدا دائر بينهم ، وتصينه في جانب واحد دون الباقي تعسف ، بل المراد ان كل مجتهد يبحث عن الحق بما في وسعه حتى اهتدى الي النقطة التي يلزمه اتباعها دون غيرها ، وهي التي يقال انها الحق بالنسبة له ، والذي لا يجوز له التحول عنه ، بل الذي خرج يلوغه من عمدة التكليف ، فلا بأس اذن بالقول بانهم جميعا على الحق من هذا الوجه

وليس تمت تعارض في السنة الصحيحة - كما قلنا - لالكتاب ولا لبعضها البعض . فان الوارد فيها اما مفصل لما أجل في الكتاب أو مظهر لما خفي أو غير ذلك مما يحويه معنى التفصيل والبيان . واما ما يخالف ظاهره منها الكتاب فكما يرد في كثير من الآيات يخالف بعضه ظاهر بعض فمول فيه حتى يطابق النص الكريم وسواء أخذنا بقول القائلين بنسخ السنة الصحيحة للكتاب اذا صح التعارض وامتنع التطابق أو ذهبنا مع الداهيين الي انه لا شيء من السنة بناسخ الكتاب لانه لا يقع بينهما التعارض بالفعل أصلا ، فلا تعارض هناك مطلقا

بين السنة والكتاب . اما على الثاني فظاهر واما على الاول ففرق ما بين النسخ وهو
الفاء حكم بأخر كافي آتبي العدة ، والتعارض ببقاء الحكيم المتناقضين جميعاً ، ولا قائل
به من هؤلاء أو أولئك

وكذلك يقال فيما يرد من الاحاديث مخالفاً بعبارة لظاهر بعض أي أنه يتأول في أحدها
حتى يطابق الآخر ، أو يكون بعبارة ناسخاً للبعض اذا تعارضوا ولم يمكن التطابق . فاختلاف
المجتهدين راجع اما الى الاختلاف في الفهم وذلك فيما كانت دلالة على الحكم ظنية وهذا
يستوي فيه الاستنباط من الكتاب والسنة واما الى الاختلاف في العلم بأن يتلقى الواحد
منهم حديثاً لم يصح عند الآخر - مع طول البحث وفرط الجهد - أو لم يصل
الى علمه أصلاً . وقد يكون أحدهما ناسخاً أو مطلقاً ، والثاني منسوخاً أو مقيداً
مثلاً ، ولا يقال ان أحدهما على الباطل بعد اذ علمت ما قلنا في هذا السبيل من
ان المجتهد مكلف بما يؤديه اليه اجتهاده والا لزم الخرج وهو مدفوع على ان
هذا ليس خاصاً بالاجتهاد من السنة بل ومن الكتاب أيضاً كما بينا

اما خبر (اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق
فأقبلوه وان خالف فروده) ففيه صحيح على اننا لو سلمنا صحته فلا يمكن ان
يكون معناه اذا حدثت حديثاً فخالف الكتاب فروده فان الرسول معصوم باتفاق
عن ان يحدث بما يخالف حكم الله في كتابه ، وكيف وهو فوق عصمته أبلغ الناس
للكتاب حفظاً ، وأعظمهم لآيانه تدبراً ، وأكثرهم لها ذكراً ، فتعين المعنى
اذا صح الخبر « اذا روي انكم عن حديث فاشتبه عليكم وجه الحق فيه فاعرضوه
على كتاب الله فاذا خالف فروده فانه ليس من مقولي » والله أعلم ، أما الوارد
من الطريق الصحيح فقد عرفت مبلغ القول فيه ، وسواء صح هذا الخبر أو لم
يصح فقد سقط الاستدلال به في هذا المقام ، وأيضا لو كان الامر كما رأيت من
ان هذا الخبر دليل على كفاية القرآن والامر بعدم قبول شيء من السنة إلا ما دافقه
منها نصاً (طبعاً) لكان كل ما جاءنا من السنة وهو مجموعها متواتراً لا شبهة فيه بحيث
تصان عنه أفعال العقلاء ، فضلاً عن الأنبياء ، مادام هو بيده الذي نص عليه صريح
الكتاب ، ولكان الاليق بمقام الرسول الكريم ان لا يحدث بحديث مطلقاً حتى

ولا بهذا الحديث الذي أوردته على فرض صحته وكذلك خبر «لو كان - أي
الوضوء من القي - واجبا لوجدته في كتاب الله فغير صحيح أيضا ولو بما أثبت
ظاهره بالمعنى الذي فهمته ما أسرعنا الى رده في الخبر المتقدم ولو صح ما عينا
بتفسيره على ما يوافق اجماع المسلمين على انه قد وردت السنة الصحيحة الصريحة
في ذلك نكتفي منها الآن بخبر واحد معناه انه سألت سائلة ابن مسعود ومكانه
من العلم والدين والثقة مكانه - اني امرأة أصل الشعر فهل يحل ذلك لي فقال
لا يحل فقالت كيف وليس هذا في كتاب الله فقال لو قرأت كتاب الله لوجدته
فيه فقالت اني قرأت ما بين الدينين فلم أجده قال ألم تقرأي (وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا في كتاب الله فقالت بلى

الاجماع

وحجته من الكتاب العزيز أيضا لقوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما نولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) * وليس هناك من سبيل للمؤمنين غير
اتفقوا عليه من قضايا الدين ككون فرض الظهر أربعة والمغرب ثلاثا وكون
نصاب الضأن أربعين والبقر ثلاثين ونحو ذلك ، وأين وليت وجهك الى أي
فريق شئت في تعريف هذا الاجماع وأهله فهو حجة عليك في كل المسائل التي
خالفت اجماع المؤمنين قاطبة عليها

القياس

- أثبت القياس فكيفيتنا مؤونة اثباته غير انك انكرت السنة ومنكرها منكر
للقياس بطريق الأولى ، على اننا نشبهها جميعا
(المنار) لهذه المقالة ثمة عنوانها (العقل والدين) ويليبها بقية الرد وقد نشرنا
عبارته برمتها على طولها نزاهاها واستيفائها المقصد

« نص الآية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين » النخ

باب التواضع والتخلم في باب السيادة والسياسة

مكتوب العاشر (*)

من أراسم الى ولده

عن لوندرة في ١٥ فبراير سنة ١٨٦٠ -

لا حق لك يا عزيزي «أميل» في أن تكون بلا رأي سياسي فأما رجل
يمش في قوم ويظهر متبرلاً لما يمارض بينهم من المصالح غافلاً عما يتقاسم عقولهم
من المذاهب فهو غاية في الحقارة والخسة وكان حقه أن ينشأ بين المتوحشين بل
المتوحشون يشتغلون بمصالح قبيلتهم بغيره وحمية
نعم قد كان رؤساء الحكومات أكدوا للناس في الأزمان العابرة أنهم مرسلون
من عند الله لسياستهم وتدبير شؤونهم وكان عمل الرعايا على هذا الفرض قد قصر
على الطاعة المطلقة وأمرهم فكانوا مكالولاً لهم وخاصتهم كأنك الأرض ولا حق
للأرض في أن شور على اليد العاملة فيها وأما الآن فلم يبق في البلاد الهندية
بهدي العلم من أنصار هذا الحق الإلهي الذي يزعمه الملوك إلا التزرايسبروقد
قضى العقل على بعض المذاهب السياسية المأخوذة من القواين الإلهية ثم دل
التاريخ على أن السلاطين كانوا يقطعون من عروشهم ولم تكن رعاية الله تأخذ سلاحها
أمرهم وأنه كان من اليسور للامم كل اليسر أن يستنفوا عنهم (١)

(*) مترجم من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربة

(١) ما ادعاه الكاتب من تأكيد الملوك لرعاياهم أنهم مرسلون من عند الله أمر
تأبت في التاريخ بل قد بلغ القلوب بهذه الدعوى ببعضهم إذ ادعى الألوهية والصحيح
المعروف لذوي العقول المطهرة من رجس مذهب الماديين أنهم عبادة مستخلفهم الله في
الأرض بمقتضى طبيعة أهلها لحفظ نظامهم فإن أحسنوا الخلافة سعدوا وسعد بهم
رعاياهم وإن أساؤوا شقوا وشقوا بهم «يادارد انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل

هذا السلطان المصوم الذي لم يكذب يفتي للانسان جراءة على ادعائه للاشخاص في وجه عبر التجربة الزاجرة لا يزال يدعى للاوضاع البشرية فلا تكاد ابي حكومة من الحكومات تستقر حتى تدعي انها حلت محل المحكومين في افكارهم وعزائمهم ولا يخفى ان البلاد التي وضمت حكومتها على هذا النمط يكون من عادة شيوخ بيوتها لفرط حزمهم وبلوغهم فيه حد الجبن أن يعظوا شبابها بأن لا يشتغلوا بالسياسة

تسمع الاب منهم يقول لابنه : « يا بني ان لك أن تقتني وتزوج وتجهل لنفسك في الناس ذكرا وليس من حقاك الاشتغال بما وراء ذلك لوجود رجال عهد اليهم الحاكم بمحض ارادته أن يفصلوا في جميع المسائل ويوزعوا الثوبات والمقوبات على الناس فهم كما تقول التوراة انفس منخرية التي تحرق أموال المعاندين لتنظيم المقرر كما تحرق السموم نبات المزارع فالاحزم لك أن تخلي بين الحكومة وعلما واذا كان لا بد لك من رأي فلا بأس من أن تختار لنفسك ما يلائمها من الآراء على شرط أن تقصره عليها لا فائدة للمرء من الاشتغال بمصالح غيره » والمائل من يتوفى ادخال أصبعه بين الشجرة ولحائها» (١)

وأما الامم الحرة فالامور فيها تجري على ما يخاف ذلك كل المخالفة فلا يكاد طالب العلم فيها يملك اليسير من فصاحة المنطق حتى يمارس المناظرة في المصالح العامة وكل فرد من أفرادها اذا أراد أن يكون شريفا وجب عليه أن ينتمي الى حزب من الاحزاب وهم يهدون كل البعد أن يعتقدوا ان في مجاهدات المعيشة

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » وما يزعم من قضاء العقل على المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ليس صحيحا على اطلاقه فان القوانين الالهية المحفوظة من التحريف هي أس العدل والحرية واستشهاده بسقوط الملوك من عروشهم وعدم نصر الله لهم وسوء تعبيره عن ذلك لا يدل الا على أنه جهل ان الله لا ينصر الا من نصره باتباع اوامره وحسن السيرة في خلقه وأنه تنزه ان يحتاج في النصر الى الاستعانة بعدة أو سلاح

(١) المثل العربي «لا تدخل بين المصالح والحائثا»

السياسية ضرراً بالعيشة البيئية بل هم يجنون الفضائل الخاصة على نسبة اتساعها وامتدادها في ميدان الفروض العامة ولو ان وجد ان العدل كان قاصراً على المعاملات الخاصة لعد من الظلم في حق عامة الناس

اذا تقرر هذا قلت ان جميع الامم خلقت لتكون احراراً ومن العبث ان يزعم زاعم ان منها من هي مفرطة في الطيش وفيها من هي غالية في التعمس ومنها من هي غاية في الجهل ومنها من هي متنتطة في التأني فتد نسي ان الوسيلة الى ترقية اخلاق الامم انما هي ترقية اوضاعها وقوانينها ولاسراء في ان هذه الاوضاع المؤسسة على الحرية لن تنزل من السماء وانه من الحق والجنون ان تنظرها امة من حكماها لان جميع الحكومات المستتبدية مبنية على قاعدة ان الناس عاجزون عن سياسة انفسهم فكيف يرضى الحكام حينئذ ان يكذبوا انفسهم بالتخلي عنها وقد يرخون زمامها أحياناً حذقاً منهم في تصر بها وحزماً ولكنهم يعرفون عند الحاجة كيف يجمعون تصريف شكيمة الى أيديهم ايدى الحرية بجميع أنواعها مما يعطى ووهب بل هي مما يفتنم بالجهاد والمكافحة فتد كفتح العقول والمزامم وجملة اخلاص الخاضعين الخاملين وتصلب من لا يستخذون للذل من افراد الامة هي التي بضرورة الاحوال نفسها تكره غاصبي حق الحرية على ارجاعه الى نصابه وورده الى أربابه وما يحصل من التعذير في أثناء الجهاد لا يلبث ان يزول وما يعقبه من الرقي دائم لا فناء له فان القاطع يلبى بعمله في المقطوع

ليس من قصدي مطلقاً ان أبعث في نفسك كراهة الامة التي خلقت للعيشة فيها فأنت صاحب الحكم على أهل زمانك ولكن حذار من الاحتقار لغيرك والاستخفاف به فان عصرنا سيشتهر في التاريخ بخطوبه ومصائبه لانا قد عملنا في الحكومات التي تعاقبت على البلاد وهي حكومة الاصلاح والحكومة المنقيدة والجمهورية وحكومة نابوليون وليست المصور التي تخمني وتوأمي هي التي تسعى فيها امة عظيمة للحصول على الحرية من خلال الحوادث وانما هي التي نخلد فيها الى الدعة من غير ان تنال حريتها

ان لدائي من جيل بذل نفسه في سبيل الحرية وانا اشتهي بمجامع قلبي ان

يكون الناشئون أسعد منهم حظاً وأوفر غبطة ولكن ينبغي لهم ان يستفيدوا من
زلاتنا وتجار بنا

انا قد غلونا فيما رجونا من تصريف الزمان وكما سألت نفسي عن سبب
مصائبنا خلعتني أجده في عيوب تربيتنا السياسية فاشدنا بعداً عن الايمان يومئذ
بالمجزرة ذلك أنه يمشد في تغيير أحوال الامة بأمر من أوامر حاكم مطلق مؤقت
الحكومة أو — على الأقل — بأمر مجلس حاكم ولقد شهدت فرنسا غير مرة ثلاثي بيوت
حاكمة كانت تعتقد متانة دعائها وزوال مقاصد بعض الطامعين من رجالها الذين
كانوا يدعون المستقل لانفسهم ثم انها لما انتصرت انتصارها العقيم التصير المدة
كان اشتغالها بتحرير نفسها واستخلاص مصيرها أقل بكثير من اشتغالها باختيار
الرجال الذين اتقى اليهم الاتفاق زمام سياستها نعم ان شكك الحكومة واختيار
الرجال الذين صرفون زمامها ايس مما لا يعبا به ولكن ينبغي ان تكون الامة هي
المنشئة لحررتها على اختلاف ظروفها . قد مضى زمن المسحاء فلن يرى بعد الآن
لاني شكل حكومة منجية ولا في صورة حكومة تأتي الى الدنيا بالنور والهدى
فعلينا أن نخلص أنفسنا من خداع الناس ونظرها من وثنية الاوهام لأن الامم
لا تنال حريتها باتفاق ولا بسلطة غيبية فائنة للطبيعة (١) ولا بالبخت فلتنظر فرنسا
في نفسها تجد أن مجتاهو عزيمتها .

أنت حدث ومغرب عن بلادك فوسيلتك الى خدمتها هي أن تنفي عن
عقلك الجهل والاهم والاضاليل التي تبذر في الدنيا بذور الخبثات العاشقين اذا
فعلت ذلك كنت قد أدت في سعيك الى الحرية شيئاً من العمل . التعلم اثمار
بالشر لا اتصاله فلو لم يكن نظام تربيتنا برمته من شأنه تحريف أبناء الوطن من
ملكة الاستقلال بالفكر والارادة لكانت فرنسا قد اهتدت الطريق الى الحرية من
زمان بعيد فإما أن يكون هذا هو ينموع ما أصابنا من ضروب المعجزات إما أن يكون
مخفياً خطأ باحشا . لا حق لنا ان نعيب على الأتراك اعتقادهم بالقضاء والقدر فنحن

(١) انكار الكاتب تأثير السلطة الغيبية بهي الله جل شأنه في حرية الامم
أثر من آثار المذهب المادي القائل بأن لا وجود لهذه السلطة نزه الله عقولنا من لوثته

أثبت منهم فيه ألف مرة ذلك أنا تابعون لبخت و مناخاضعون لقدور سياسنا مؤدون
 ميثاق الطاعة للحكومتنا حتى لو انتقلت الى أيدي الكفار وقد أصبح خود
 الهمم وانحلال العزائم ملاذا يلوذ به أشدنا أنفة وإباء تراهم لما حل بهم من الكآبة
 وكسوف الببال بحولون وجوههم عما يجري بين أيديهم من الامور كما لو كان لأي
 واحد من الناس أن يقنط من أهل زمانه ومن بلاده. اذا ظهر الشر والفساد في
 الامة كان حقا على الانسان ومن مقتضى عظمته أن يجاهد في ازالة سببه وليس
 يكفي الرجل الصالح افتخاره أحيانا أن يتخيل في نفسه عالما آخر طاري فيه معتداته
 ويشرف من أعاليه على أمور دهره فيحتقرها بل عليه أيضا أن لا يدخر سلاحا في مكانه
 ليست أمة من الامم من هذا العجز في شيء فانت تعرف كلمة جوفينال (١)

فكن خيرا منهم وأنور فكرا

ان ما يشكو منه جميع الناس في أزمان التدي من خود النفوس وأثرة التواكل
 وبله الاستسلام لضرورة الاحوال منشؤه الناس كلهم أيضا فما منهم الا شريك
 في الهلاك العام إما بسكوته وإما بامتاعه اختيارا عن العمل على أن تلك الازمان
 هي التي يأتي فيها للنفوس الأبية أن تشدد وثبتت في تيار الدمار فطينا ان لم نأنس من
 نفوسنا كفاية في القوة أن نستمن من سبقت لهم الشهادة في سبيل الحق ومن ماؤا
 من الكتاب وهم يجاهدون الاستبداد ويمالجون عى البصائر قبل أن يجنوا ثمار
 كدمهم ومن خروا من منابرهم من الخطباء منخضين بدمائهم ومن حكم عليهم من
 العقلاء بشاق الاعمال وشكلوا خلال القرون الماضية في سلاسل العبودية المنوية
 وانتأمل في ماضينا فانا نجد فيه من العجز المظلمة والمنافي وأنواع المذاب والنكل
 ما يشهد لنا بنزاهة مقصدنا نزاهة لا تدافع. ألا ان لواء الحرية يظل جميع المقاومين
 والمكرويين والمهضين في سبيل تأدية ما فرض عليهم وبهذا الواجب يكون لنا الفوز والظفر
 وعلى هذا الاعتقاد أقبلك قبلة الوداع اه

(١) جوفينال كاتب لانييني هجائي شهير كان يعيش في آخر القرن الأول من

الميلاد ومات في عهد الاتونيين بيت من دوت الملاء في روما

أنا على البرية

﴿ حواء الجديدة - أو - ايفون موزار ﴾

ألف تقولا أفندي الحداد قصة صور فيها كيف يغري الرجل المرأة حتى ينتهك عرضها ثم يتركها فتقع في الشقاء وتضطر الى البغاء فيحتقرها الناس من دونه وهم ظالمون و بالغ في لوم الناس على ذلك حتى عذرا الفواجرا وكاد ووعده بكتابة القصص في المسائل الاجتماعية . وقد كتب الي كتابا أرسله مع نسخة من القصة قبل نشرها يقول فيه انه يرغب الوقوف على رأي (علائنا) في القصة وتأثيرها فيهم فأجبه بالكتاب الآتي

عزيزي الفاضل

رغبت الي أن أقرأ قصتك الجديدة « حواء الجديدة » وأكتب اليك برأيي فيها وأثرها في بعد القراءة . أراك أحسنت في التصوير والتخييل . واعتصمت بحجوة النزاهة والادب في التعبير . وأرائي استعبرت لغير ما عبارة في القصة . اما الموضوع الاجتماعي الذي نفتح فيها من روحه فليس طريفا عندي قرأت وسمعت فيه شيئا عن الافرنج وفكرت فيه كثيرا وامل ما قرأت لك فيه خير من قليل ما علمته عنهم وأبشرك بمستقبل حسن في خدمة أدب النفس والاجتماع بما توجهت اليه من وضع مثال لهذه القصة في غايتها دون خصوص موضوعها

كل بني شقية في هذه الحياة قبل الحياة الآخرة ولكن يعزان بوجودي بلادنا بني لها من مكارم الاخلاق وشرف النفس وجودة الذهن بعض مارويت عن « ايفون موزار » وبوشك أن يوجد لها ند في بلاد الافرنج . كان التربية الدينية والادبية عديم كما وصفت من تربيتها فاكثرهن . ان لم تقل كلهن . قوارير أقدار ، وقرارات وقاحة صفار ، لا فائدة من تصوير جرائمهن ، وعطف القلوب عليهن ، الا جذب من بقي عندنا سليم الفطرة اليهن ، أقول هذا وأنا على تعجبي من فساد فطرة من يستطيع الدنو منهم ممن يحزن لشقاؤهم ويصدق أن أكثرهن مكرهات على الفجور كارهات للبغاء لو وجدن مخرجا منه لهرعن اليه حتى أنه سبق لي بحث مع بعض أهل

الفضل في وجوب السعي لانشاء ملجاء يؤوي من يريد التوبة منهم ويفضين
عن طلب الرزق بأعراضهن ولو وجد من يسعى الآن في مثل هذا لكان يكون
للاعتذار عنهن والاستطعام عليهن فائدة

لك أن تصف من شقائهن بما شئت من اسباب، لتندر المعرضات لمثل فعلهن
أن يتدهورن في هاويةهن، ولك أن تصف من فساد الفاسقين وشوه من سيرتهم بما
استطعت من إطباق، لتفرعن مثل عمالهم، وتحذرن الفتاة الغرّ من تغريهم، فتكون على
بصيرة من عاقبة فجورهم، وما يتوسلون به من بهنائهم وزورهم، وليس لك في رأيي أن
تجعل ما تكتب منظارا يكبر مخازي الفساق من جهة ليصغر فضائح الفواسق من
الجهة الأخرى

إذا انتقدت عليك تصفير فاحشة المسافحات في مقابلة تكبير فاحشة المسافحين
مرة فاني أنتقد الاحتجاج على تصفيرها بشيوع الفاحشة في ربات البيوت ذوات
البعول سبب من مرة الآن ذنب لمسافحات أشد ضررا من ذنب ذوات الاخذان بل
لان إظهار ذلك وبيان ان الناس يتسامحون مع ذوات الاخذان وهم يعلمون
بخطيئتهن لازواجهن يضر نشره في قصص يقرأها النساء من المذارى والايامى
اذ لا تنصورت الي نلين للفساق أن بذل عرضها يفضي الى أن تكون بغيا مسافحة
وأما يغلب على ظنها أنها تصادف زوجها يسترضيها بغفلته، أو قلة غيرته
ترأت ما كتبت يفون عن خداع ذلك الشرير لها وعن اجتهادها في استرداد
شرفها بالسيرة الحسنة وعن عجزها وإعواز ما تروم فتمنيت لو تقرأ ذلك المذارى
اللواتي أصبحن عرضة لمثل ذلك البذل لأعراضهن بإطلاق أهليهن العنان لهن مع
كثرة ما يحول الفساق من خداعهن، وقرأت كتبت أنت من شيوع الفاحشة في ربات
البيوت وانغضاء الناس عنهن فتمنيت لو لم تطالع عليه قارئة لاسيا إذا كانت عذراء
هذا ما كان من أثر القصة في نفسي استحسنان لما عدا الأمرين المتقدين من
ناحية ما تنفر من تأثيره وأرجو أن تترخى فيما تكتب إلهامه والفائدة أكثر مما
توخي من حسن الوضع ولطف التعبير وقوة التأثير وأجد بمن يعرض عمله لتقد
الرجال أن يبلغ منه غاية الكمال

التعليم والارشاد

كتاب جديد « تأليف السيد محمد بدر الدين الحلبي . القسم الأول منه في التعليم وفيه الكلام على العلوم والمؤلفات وبيان الجيد منها من غيره وشرح أسباب انحطاط العلوم الشرعية وذكر الطرق النافعة في التعليم » هذا ما كتب على ظهر الكتاب وتقول أما المؤلف فهو من أذكى المجاورين في الأزهر وقد اشتغل بتصحيح كثير من الكتب التي طبعت حديثاً وفيها كثير من مصنفات المصلح العظيم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ووارث علومه ابن القيم وبعض كتب الأدب النفيسة فاستفاد بذلك وبالسفر وقراءة الصحف ما امتاز به على كثير من أقرانه وحرك همته للبحث في الكتب النافعة والتعظيم . وأما الكتاب فقد عرف من اسمه وما كتب عليه من بيان موضوعه وهو من أهم الموضوعات لهذه الأمة التي لا ترجى لها الحياة الطيبة إلا باصلاح التعليم والارشاد . وقد اهدي المؤلف كتابه الى الجرائد والمجلات فشكرا له على عمله وشكرا له على هديته . ومن الشكر ان بادرننا الى التنويه به قبل مطالعته كله وقد مناه على مطبوعات كثيرة اهديت الينا من قبل

قرأنا من الكتاب جملاً متفرقة من فصوله فعرفنا منه وأنكرنا عرفنا منه مسائل كثيرة جاء بعضها مؤبداً لما ندعو اليه منذ أنشئ المنار كياناً سوء طريقة التعليم في مثل الأزهر وما أخير لها من الكتب وأنكرنا منه مسائل كثيرة واختلافاً كثيراً منه ما هو من قبيل الرأي ومنه ما هو من قبيل الحكاية والنقل . وفائدته الاجالية تأييد ما كتب كثير الزوال اثقة بالكتب التي تدرس في المدارس الدينية وبمدرسيها وهذا تهديد للاصلاح سبق اليه كثيرون من المصلحين ومقلديهم . وحسبنا هذا التنبيه على فائدته الآن ورجي بيان ما أنكرنا منه وما ننتقد به عليه الى ان يباح لنا مطالعته كله بالتحقيق وعسى ان يبادر بعض من اطعم عليه من المدققين الى انتقاده عناية بهذا الموضوع ومسابقة للأغرار الذين يحكمون على الاشياء بادي الرأي فيظلمونها ويظلمون الناس ويفشونهم وهم لا يشعرون

باب الأخبار والآراء

تعيين سعد باشا زغول ناظراً للمعارف

رأى اللورد كرومر أن يعين هذا النابضة ناظر المعارف العمومية فصدر الأمر العالي بذلك فاتفقت الجرائد الوطنية والأجنبية في البلاد على استعصان هذا التعيين ووصف الناظر الجديد بالمرقان واستقلال الفكر وقوة الإرادة والاستقامة وهي صفات الكمال في الرجال وكان ينبغي أن يتفوقوا على شكر اللورد كرومر ولكن الذين جعلوا من مذهبهم ذم المحتلين على كل عمل وإن كان نافعاً في نفسه وفي عرفهم قد ذموا نية اللورد في هذا التعيين وما ذموا إلا النية التي اخترعها له واتقل بعضهم بسبب التناهي على الناظر الجديد إلى القبح بسائر النظائر تصریحاً أو تلويحاً وما كان ذلك من الذوق في شيء وقال أشدهم إسرافاً إنه لا خير في هذا التعيين إلا إذا جعل الناظر الجديد آمراً والمستشاراً لا تكليزي مأموراً ولفظ المستشار يمنع أن يكون مساهماً مأموراً وإن لم يكن من دولة محتلة فهو لها في بلادها مسلماً ضعيفاً وجهاً لها . فدع كلام المسرفين ، واشكر هذا العمل لإدارة المحتلين ، فاشكر مدعاة المزيد من الاحسان ، ضد كل إنسان ومما قيل وكتب ما يؤيده حتى في جريدة التيمس إن في تعيين سعد باشا ناظراً للمعارف قصداً إلى ترقية حزب المرحوم الشيخ محمد عبدالمعز الذي شهد له اللورد في تقريره بالاعتدال وقالت إحدى الجرائد الأوربية إذا كانت الأرواح تشعر بما يكون في الدنيا فإن روح الشيخ محمد عبده مسرورة الآن بتعيين فلان ناظر المعارف ، وقد صدق صاحب القول وسعد باشا جدير بخدمة المعارف واسعاد أهل الاعتدال والاستقامة من مردي أستاذهم وأستاذهم الامام جلاله خير خلف له في عمله البلاد وخدمته ، واستقلاله وحكمته ؛

﴿ الجامع الأزهر - مشيخته وإدارته ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان بلقنا عن استقالة شيخ الأزهر وعزم الأمير على تعيين الشيخ محمد شاكر وكيلاً للأزهر تمهيداً لجهله أصيلاً وقد تحقق ذلك ولكن استقالة شيخ الأزهر حفظت وعمل على طلب إجازة ثلاثة أشهر وعين الشيخ محمد شاكر وكيلاً لمشيخة الأزهر فعظم ذلك على أهل الأزهر واستنكره كبراء الشيوخ واستنكبوا أن يكونوا رؤسین له على حدائثه في السن والعلم وانتهى الأمر إلى الحكومة أو إلى أولي الأمر فخطبوا الأمير في ذلك وتقرر أن الشيخ شاكر لا يكون شيخاً للأزهر ولا وكيلاً وقد سمي الآن نائباً وقد زاد الشعب والاضطراب في الأزهر في أيام نيابته على إمداد الأمير إياه بنفوذهم ويتوقع أن ينتهي هذا التسايع في الأزهر بمجمله تحت مراقبة نظارة المعارف إذ لا قرار إلا بزع السلطة الثابتة المنتظمة . ولعلنا نتكلم عن إصلاحه في جزء آخر

في الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون أقوال فيتمون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر - شوال سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١٩ أكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب أصول الفقه

﴿ أدلة الشرع ، وتقديم المصلحة في المعاملات على النص ﴾
كتبنا في بعض أجزاء المجلدين الثالث والرابع فصولا عنونها «محاورات
المصلحة والمقصد» بينا فيها طريق الوحدة الإسلامية وجمع كلمة المسلمين
المختلفين في المذاهب على الحق الذي أمرهم الله أن يقيموه ولا يتفرقوا
فيه . ومما بيناه فيها أن الأحكام السياسية والقضائية والإدارية - وهي
ما يعبر عنها علماءنا بالمعاملات - مدارها في الشريعة الإسلامية على قاعدة
درء المناسد وحفظ المصالح أو جلبها واستشهدنا على ذلك بترك سيدنا عمر
وغيره من الصحابة إقامة الحدود أحيانا لاجل المصلحة فدل ذلك على أنها تقدم

على النص ، وقد طبعت في هذه الايام مجموعة رسائل في الاصول لبعض
 أئمة الشافعية والحنابلة والظاهرية منها رسالة للامام مجم الدين الطوفي
 الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ تكلم فيها عن المصلحة بما لم نر مثله لغيره من الفقهاء
 وقد أوضح ما يحتاج الى الايضاح منها في حواشيتها الشيخ جمال الدين
 القاسمي أحد علماء دمشق الشام المدققين فرأينا أن ننشرها بحواشيتها في المنار ،
 لتكون تبصرة لأولي الابصار ، وهي هذه : (قال بعد البسلة)
 اعلم أن أدلة الشرع تسعة عشر بابا بالاستقراء (١) لا يوجد بين العلماء
 غيرها (٢) أولها الكتاب ، وثانيها السنة ، وثالثها اجماع الامة ، ورابعها اجماع

(١) تقدمه بنعدادها كذلك وسوقها بالحرف العلامة القراني في التفتيح في

الباب العشرين

(٢) هذه الجملة زادها على القراني وليئه لم يزدها لانه يوجد لديهم غيرها كما يظهر
 لمن سبر كتب الاصوليين والذي استقرأته منها مما يزيد على ما ذكره ستة
 وعشرون . وهي : شرع من قبلنا اذا لم ينسخ . والتحري . والعرف . والتعامل
 والعمل بالظاهر أو الاظهر . والاخذ بالاحتياط . والقرعة . ومذهب كبار التابعين
 والعمل بالاصل . ومعقول النص . وشهادة القلب . وتحكيم الحال . وعموم البلوى
 والعمل بالشبهين . ودلالة الاقران . ودلالة الالهام . ورويا النبي صلى الله عليه
 وسلم . والاخذ بأيسر ما قيل . والاخذ بأكثر ما قيل . وقد الدليل بعد الفحص
 واجماع الصحابة وحدهم . واجماع الشيخين . وقول الخلفاء الاربعة اذا اتفقوا .
 وقول الصحابي اذا خالف القياس . والرجوع الى المنفعة والمضرة ذهاباً الى ان
 الاصل في المنافع الاذن وفي المضار المنع . والقول بالنصوص والاجماع في المبادات
 والمقدرات وباعتبار المصالح في المعاملات وباقى الاحكام . وهو للطوفي المصنف
 فالجملة خمسة وأربعون دليلاً وسند كل ما دق معناه منها فانتظر

اهل المدينة (١) وخامسها القياس (٢) وسادسها قول الصحابي (٣) وسابعها المصلحة المرسل (٤) وثمانها الاستصحاب (٥) وتسعها البراءة الاصلية (٦)

(١) قال في التنقيح : واجماع أهل المدينة عند مالك فيما طريقه التوقيف حجة خلافاً للجميع

(٢) القياس اثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لاجل اشتباههما في علة الحكم : تنقيح (٣) قول الصحابي حجة عند الحنفية فترك بقوله قياس التابعين ومن بعدهم . مجامع (٤) أي المطلقة والمراد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفسد عن الخلق وقد اشتهر القول بها عن مالك احتجاجاً بان الله تعالى إنما بعث الرسل عليهم السلام لتحصيل منفعة العباد عملاً بالاستقراء فهما وجدت مصلحة غلب على الظن أنها مطلوبة للشرع واشتهر عن الجمهور القول بمنعها مطلقاً وقال ابن برهان ان لا تمت أصلاً كلياً أو جزئياً من أصول الشرع جاز الحكم عليهما والا فلا . وقال الغزالي ان كانت ضرورية قطعية كلية اعتبرت والا فلا . قال القرافي : ان المصلحة المرسل في جميع المذاهب عند التحقيق لأهم يقسوت ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهداً بالاعتبار ولا يبنى بالمصلحة المرسل الا ذلك

(٥) الاستصحاب عبارة عن ابقاء ما كان على ما كان عليه لانه دام المغير قاله السيد في تعريفاته ونحوه قول القرافي : الاستصحاب مضاء أن اعتقاد كون الشيء في الماضي أو الحاضر يوجب ظن ثبوته في الحال أو الاستقبال فهذا الظن عند مالك والمزني والصبيري حجة خلافاً لغيرهم . لنا انه قضى بالطرف الراجح فيصح كأروش الجنائيات واتباع الشهادات اه

(٦) قال القرافي هي استصحاب حكم العقل في عدم الاحكام خلافاً للمعتزلة والابهرى وأبي الفرج منا . لنا ان ثبوت المدعى في الماضي يوجب ظن عدم ثبوته في الحال فيجب الاعتماد على هذا الظن بعد الفحص عن رافعه وعدم وجوده عندنا وعند طائفة من الفقهاء

وعاشرها العادات (١) الحادي عشر الاستقراء (٢) الثاني عشر سد الذرائع
(٣) الثالث عشر الاستدلال (٤) الرابع عشر الاستحسان (٥) الخامس عشر

(١) جمع عادة وهي غلبة معنى من المعاني على الناس قال القراني يقضى بها
عندنا لما تقدم في الاستصحاب . ونقل عن المستصفي : العادة والعرف ما استقر
في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السلبية بالقبول . وفي الاشباه من
كتب الحنفية القاعدة السادسة العادة محكمة لحديث « مارآه المسلمون حسناً فهو
عند الله حسن » لكن قال العلائي لم أجده من فروعاً في شيء من كتب الحديث
أصلاً ولا بسند ضعيف بسد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال وأما هو
من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه . واعلم ان اعتبار العادة
والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك أصلاً فقالوا في الاصول في
باب ما ترك به الحقيقة ترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة هكذا ذكر فخر
الاسلام أه كلام الاشباه (٢) الاستقراء عبارة عن تصفح جزئيات ليحكم
بمحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات كذا نقل عن حجة الاسلام ونحوه قول
القراني : هو تتبع الحكم في جزئياته على حالة يغلب على الظن انه في صورة
النزاع على تلك الحالة كاستقراءنا الفرض في جزئياته بأنه لا يؤدي على الراحلة
فغلب على الظن ان الوتر لو كان فرضاً لما أدى على الراحلة (٣) وهذا الظن
حجة عندنا وعند الفقهاء اه (٣) جمع ذريعة وهي الوسيلة للشيء . ومعنى ذلك
حسم مادة وسائل الفساد دفعا له فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة الى
المفسدة منعنا من ذلك الفعل واشتهر ان القول بسد الذرائع من خصائص
مذهب مالك رحمه الله وقد حقق القراني انه مشترك بين المذاهب كالمصاحبة
المرسلة والعرف وسماه في آخر مقاله (٤) الاستدلال ذكر دليل ليس بنص ولا
إجماع ولا قياس فيدخل فيه القياس الاقراني والاستثنائي وصور آخر (٥) قال
السيد هو في اللغة عد الشيء واعتقاده حسناً واصطلاحاً اسم للدليل يمارض القياس
الجلي ويعمل به اذا كان أقوى منه ، سموه بذلك لانه في الاغلب يكون أقوى

الاخذ بالاخف (١) السادس عشر المصمة (٢) السابع عشر اجماع اهل الكوفة
(٣) الثامن عشر اجماع العترة عند الشيعة (٤) التاسع عشر اجماع الخلفاء الاربعة
من القياس الجلي فيكون قياساً مستحسناً قال الله تعالى « فبشر عبادي الذين
يسمعون القول فينبهون أحسنه » انتهى وقال الكرخي في تعريفه هو العدول عما
حكّم به في نظائر مسألة الى خلافه لوجه أقوى منه وقد يسمى الاستحسان بالقياس
الخفي كما تراه في كتبهم والاستحسان حجة عند الحنفية وبعض البصريين وأنكره
المراقبون وقد اضطرب ثلث في تعريفه والصواب ما ذكرناه لانه يجب الرجوع في
تحقيق كل مسألة الى عرف من ذهب اليها . ولذا آثرنا النقل عنهم « ١ » وهو
الاخذ باقل ما قيل وهو عند الشافعي حجة كما قيل في دية الذمي انها مساوية
لدية المسلم وقيل نصفها وهو قول مالك وقيل ثلثها وبه أخذ الشافعي اخذاً بالاقل
لكونه مجماً عليه وما زاد منفي بالبراءة الاصلية وتقدم في حواشي رسالة ابن فورك
زيادة على هذا فارجع اليها « ٢ » قل القرافي المصمة هي ان العلماء اختلفوا هل
يجوز أن يقول الله تعالى لربي او عالم احكم فانك لا تحكم الا بالصواب قطع
بوقوع ذلك موسى بن عمران من العلماء والمعتزلة على امتناعه والشافعي توقف
فيه . حجة الجواز والوقوع قوله تعالى « الا ما حرم اسرائيل على نفسه » فأخبر الله
تعالى انه حرم على نفسه ومقتضى السياق انه صار حراماً عليه وذلك يقتضي
انه ما حرم على نفسه الا ما جعل الله له ان يفعله ففعل التحريم ولو أن الله تعالى
هو المحرم لقال الا ما حرمنا على اسرائيل . وحجة المنع ان ذلك يكون تصرفاً في
الاديان باهوى والله تعالى لا يشرع الا المصالح لا اتباع الهوى واما قصة
اسرائيل عليه السلام فلمنه حرم على نفسه بالنذر ونحن نقول به وحجة التوقف
تعارض المدارك انتهى وفي الجمع : مسألة يجوز ان يقال لربي او عالم احكم بما تشاء
فهو صواب ويكون مدركاً شرعياً ويسمى التفويض وتردد الشافعي فيه الخ (٣)
قل القرافي اجماع اهل الكوفة ذهب قوم الى انه حجة لكثرة من وردها من
الصحابة رضي الله عنهم كما قاله مالك رحمه الله في المدينة (٤) سقط من بعض
النسخ « عند الشيعة » واعلم ان الاجماع عند الشيعة هو اتفاق جميع علماء الامة

وبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه ومعرفة حدودها ورسومها والكشف
عن حقائقها وتفاصيل أحكامها مذكور في أصول الفقه (١)

مع الامام المعصوم - المشترط وجوده في كل زمان عندهم - أو اتفاق من علم
من العلماء دخول الامام فيهم وان لم يكن جميعهم كما في حواشي القوانين للقرظيني
وبه يعلم ان الاجماع عندهم اعم من اجماع المعتز ومن اجماع من بعدهم اذا
كان فيهم المعصوم . فالمدكور هنا كقالب اصول اهل السنة رجم بالنيب عن
مذهب الامامية في الاجماع واهمال لقاعدة الرجوع في تحقيق كل مذهب الى
نصوص كتبه فاحفظ ذلك « ١ » قد اشرنا الى شذرة من حدودها وخلاف من
خالف فيها وقد بقي علينا الايفاء بالوعد السالف من الكشف عن الغامض من
بقية الادلة الخفية والمشرى فنقول اما حجة شرع من قبلنا فيما لم ينسخ فقال
به اكثر الشافعية والحنفية ومعظم المالكية والمكلمين بمعنى انه يجب العمل به
اذا قصه تعالى في كتابه او اخبر به الرسول بلا انكار عليه كما في المرأة وتفصيله
في مواقف الشاطبي فارجم اليه . واما التحري فهو بذل الجهود لئيل المقصود
من الطاعة وهو حجة يجب العمل به في كثير من الاحكام في الصلاة والزكاة
والثياب والواني كما في الخادمي على مجمع الحقائق . واما العرف فقال السيد هو
ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول . وهو حجة لكنه
أسرع الى الفهم وكذا المادة وهي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا
اليه مرة بعد أخرى اه واما التعامل فهو استعمال الناس فيما بينهم بالاخذ والاعطاء .
قال الخادمي . العرف والتعامل حجتان فيما لم يخالف الشرع اه وقد أشار لذلك
البخاري بقوله في كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الانصار على ما يتعارفون
بينهم في البيوع والاجارة والكيل والوزن وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة:
قال الشرايح: . مقصوده اثبات الاعتماد على العرف وذ كر القاضي حسين ن
الرجوع الى العرف أحد القواعد الخمس التي يبنى عليها الفقه وسنأتي . ومن
أمثله بيع الاثر على الاشجار عند وجود بمضادون بهض فقد أجاز بهض =

= الحنفية للعرف كما في نشر العرف لابن عابدين وكذا نقل ابن حجر في شرح البخاري عن يزيد بن أبي حبيب جواز يعم شجرة قبل بدو صلاحها مطلقا : وأما العمل بالظاهر أو الاظهر فقال الخادمي هو واجب عند انتفاء دليل فوقه أو يساويه .
وأما الاخذ بالاحتياط أي الاحوط فقال الخادمي قيل هو العمل بأقوى الدليلين ويرجع إلى حديث « دع ما يريك إلى ما لا يريك » وأما القرعة فهي عمل بالسنة المنقولة فيها أو بالاجماع أو بمعوم آية « ولا تنازعوا » واما مذهب كبار التابعين فهو مثل مذهب الصحابي لاحتمال كونه رواية صحابي مرفوعة . وأما العمل بالأصل فمعناه العمل بالراجح . وأما معقول النص فهو الاستدلال المتقدم . واما شهادة القلب فقد ينجح بها عند انتفاء دليل خارجي ومرجعها إلى حديث « استفت قلبك » وحديث « البرما اطمانت إليه النفس » وأما تحكيم الحال فمعناه الاستدلال بالزمان الحالي على صدق المقال . وأما عموم البلوى فمرجعها إلى رفع الحرج .
وأما العمل بالشبهين فقد كره الخادمي في شرح التنقيح معطوفا على ما تقدم ولعله كالتقافة . وأما دلالة الاقتران فقد قال بها جماعة ومثلها بعضهم باستدلال مالك على سقوط الزكاة في الخيل بقرنها مع مالا زكاة فيه في آية « والخيل والبغال والحمير ليركبوها وزينة » والجمهور على أن الاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم . وأما دلالة الالهام فقد قال بها الرازي وابن الصلاح وغيرها قال الامام ابن تيمية الترجيح بمجرد الارادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد لكن قد يقال القلب المعصور بالتقوى اذا رجح بارادته فهو ترجيح شرعي . وعلى هذا فمن غلب على قلبه ارادة ما يحبه الله وبنض ما يكرهه اذا لم يدرك في الامر المبين هل هو محبوب لله أو مكروه ورأى قلبه يحبه أو يكرهه كان هذا ترجيحا عنده كما لو أخبر من صدقه أغلب من كذبه بخبر . هذا عند انسداد وجوه الترجيح ببدليل شرعي . والذين نفوا كون الالهام طريقا شرعيا على الاطلاق أخطوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقا شرعيا على الاطلاق واكن اذا اجتهد السالك في الادلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحا وأهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده ومهارته بالتقوى فالهام مثل هذا دليل في

ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » (١) يقتضي رعاية المصالح اثباتاً ونفيًا والمفاسد نفيًا اذا الضرر هو المفسدة فاذا نفيها الشرع لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة لانهما تقيضان لا واسطة بينهما وهذه الادلة التسعة عشر اقواها النص والاجماع ثم هما اما ان يوافقا رعاية

حقه قد يكون أقوى من كثير من الاقضية الضعيفة والاحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتاج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه . وفي الترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينطق بنور الله » ثم قرأ « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » اه والتمة سابقة . — وأما رؤيا النبي عليه السلام فنقل عن الاسناد أبي اسحق وغيره انها حجة ويلزم العمل بها والجمهور على خلافه . وأما الاخذ بالايسر فيقرب من الاخذ بأقل ما قيل ومستنده رفع الحرج . واما الاخذ بأكثر ما قيل فستنده الاحتياط ليخرج من عهدة التكليف بيقين . وأما فقد الدليل بعد الفحص فمعناه الاستدلال على عدم الحكم بهدم ما يدل عليه وقد أخذ به قوم كما في شرح المنهاج . وأما اجماع الصحابة وحدثهم فهو مذهب الظاهرية قالوا اجماع غيرهم ليس بحجة . واما اجماع الشيخين فقد ذهب اليه جمع لحديث « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . وأما الاجماع الظني فهو فتوى بعض المجتهدين أو قضاؤه واشتهار ذلك بين المجتهدين من أهل عصره بلا مخالف في تلك الحادثة ولا تقيية قبل استقرار المذاهب . وهذا حجة عند أكثر الحنفية وبعض الشافعية وسماه الآمدي حجة ظنية أو اجماعاً ظنياً كما في التحرير وشرحه . وما أوردناه من الادلة التي سبرناها من عدة مصنفات أرجع كثيراً منها الى الاصول الاربعة صاحب الجامع وشارحه وقد يدخل كثير منها أيضاً في غيره مما يرجع الى اختلاف الاسم أو الاضافة بشئ ما يتفرع عنها من مثلها وصورها فافهم (١) حديث صحيح رواه الامام مالك في موطأه ومرسلاً والامام احمد وقال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم

المصلحة أو مخالفاها فإن وفتاها فذمها ونعمت ولا تنازع إذ قد اتفقت الأدلة الثلاثة على الحكم وهي النص والاجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» وإن خالفها، وجب تقديم رعاية المصلحة عليها بطريق التخصيص (١) والبيان لهما لا بطريق الافتئات عليهما والتعطيل لهما كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان، وتقرير ذلك أن النص والاجماع أما أن لا يقتضيا ضررا ولا مفسدة بالكلية أو يقتضيا ذلك فإن لم يقتضيا شيئا من ذلك فهما موقوفان لرعاية المصلحة وإن اقتضيا ضررا فاما أن يكون مجموع مدلولهما ضررا ولا بد أن يكون من قبيل ما استثنى من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» جمعا بين الأدلة ولعلك تقول إن رعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» لا تقوى على معارضة

(١) يقرب من هذا ما قاله الفقهاء الحنفية عليهم الرحمة في التعامل وأنه يخص به الأثر والتعامل من باب المصلحة المذكورة قال في الذخيرة البرهانية في الفصل الثامن من الاجارات فيما لو دفع الى حائك غزلا على ان ينسجه بالثلاث قال - ومشايخ بلخ كنصير بن يحيى ومحمد بن سلمة وغيرهما كانوا يجيزون هذه الاجارة في الثياب لتعامل أهل بلادهم والتعامل حجة يترك به القياس ويخص به الأثر (ثم قال) وتخصيص النص بالتعامل جائز الأثرى ابا جوزنا الاستصناع للتعامل والاستصناع بيع ما ليس عنده وانه منهى عنه وتجويز الاستصناع بالتعامل تخصيص من النص الذي ورد في النهي عن بيع ما ليس عند الانسان لا ترك للنص أصلا. كذا في نشر العرف لابن عابدين وقد ذهب البخاري عليه الرحمة مع كونه من أعظم أنصار الأثر الى اعتبار العرف فيما نقلناه عنه قبل من صحيحه في ترجمة ذلك الباب الذي قل من ينظن لها ومن دقق في تلك الترجمة رأى انها تؤيد ما أشار له الطوفي هنا

الاجماع لتقضي عليه بطريق التخصيص والبيان لان الاجماع دليل قاطع وليس كذلك رعاية المصلحة لان الحديث الذي دل عليها واستفيدت منه ليس قاطعا فهو أولى فنقول لك ان رعاية المصلحة أقوى من الاجماع ويلزم من ذلك أنها من أدلة الشرع لان الأقوى من الأقوى أقوى ويظهر ذلك من الكلام في المصلحة والاجماع

أما المصلحة فالنظر في لفظها وحدها وبيان اهتمام الشرع بها وانها مبرهنة، أما لفظها فهو منفعلة من الصلاح وهو كون الشيء على هيئة كاملة بحسب ما يراد ذلك الشيء له كالقلم يكون على هيئة المصلحة للكتابة والسيف على هيئة المصلحة للضرب

وأما حدها بحسب العرف فهي السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع هي السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أو عيادة. ثم هي تنقسم الى ما يقصده لشارع الحق كالعبادات والى ما لا يقصده الشارع لحقه كالمعادن

وأما بيان اهتمام الشرع بها فن جبهة الاجمال والتفصيل أما الاجمال فقوله عز وجل « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور » الآيتين ودلالتهما من وجوه

أحدها قوله عز وجل « قد جاءكم موعظة » حيث انه توعدهم وفيه أكبر صالحهم اذ في الوعظ كفهم عن الاذى وارشادهم الى الهدى الوجه الثاني: وصف القرآن انه « شفاء لما في الصدور » يعني من شك

ونحوه وهو مصلحة عظيمة

الوجه الثالث: وصفه بالهدى

الوجه الرابع: وصفه بالرحمة وفي الهدى والرحمة غاية المصاحفة

الخامس: اسناد ذلك الى فعل الله عز وجل ورحمته ولا يصدر عنهما

الا مصاحفة عظيمة

السادس: الفرح بذلك لقوله عز وجل «فبذلك فليفرحوا» وهو في

معنى التهنية لهم بذلك. والفرح والتهنية انما يكونان لمصاحفة عظيمة

الوجه السابع: قوله عز وجل «هو خير مما يجمعون» والذي يجمعونه

هو من مصالحهم فالقرآن ونفعه أصاح من مصالحهم والأصاح من المصاحفة

غاية المصاحفة

فهذه سبعة أوجه من هذه الآية تدل على ان الشروع راعى مصاحفة

المكلفين واهتم بها ولو استقرت النصوص لوجدت على ذلك أدلة كثيرة

فان قيل لم لا يجوز ان يكون من جملة ما راعاه من مصالحهم نصب

النص والاجماع دليلاً لهم على معرفة الأحكام. قلنا هو كذلك ونحن نقول

به في العبادات وحيث وافق المصاحفة في غير العبادات وانما ترجع رعاية

المصالح في المعاملات ونحوها لان رعايتها في ذلك هو قطب مقصود

الشرع منها بخلاف العبادات فانها حق الشرع ولا يعرف كيفية ايقاعها

الا من جهته نصاً واجماعاً

وأما التتميم ففيه اثبات

الاول في أن أفعال الله عز وجل معللة أم لا. حجة انثبت أن فعلا

لا علة له عبث والله عز وجل منزه عن العبث ولان القرآن مملوء من

تعطيل الأفعال نحو «لتعلموا عدد السنين والحساب» ونحوه وحجة الثاني

ان كل من فعل فعلا لعلته فهو مستكمل بتلك العلة ما لم تكن له قبلها فيكون ناقصا بذاته كاملا بغيره والنقص على الله عز وجل محال . وأجيب عنه بمنع الكلية - فلا يلزم ما ذكره الا في حق المخلوقين (١) والتحقيق ان افعال الله عز وجل مطلقة بحكم غائية تعود بنفع المكلفين وكما لهم لا بنفع الله عز وجل لاستغنائها بذاته عما سواه

البحث الثاني ان رعاية المصالح تفضل من الله عز وجل على خلقه عند اهل السنة واجبة عليه عند المعتزلة حجة الاولين ان الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك ولا يجب له عليه شيء ولان الايجاب يستدعي موجبا أعلى ولا أعلى من الله عز وجل يوجب عليه . حجة الآخرين ان الله عز وجل كلف خلقه بالعبادة فوجب أن يراعي مصالحهم ازالة لعلهم في التكليف والالكان ذلك تكليفا لا يطاق أو شبيها به . وأجيب عنه بأن هذا مبني على تحسين العقل وتبججه وهو باطل عند الجمهور

والحق أن رعاية المصالح واجبة من الله عز وجل حيث التزم التفضل بها لا واجبة عليه كما في آية «انما التوبة على الله» فان قبولها واجب منه لا عليه وكذلك الرحمة في قوله عز وجل «كتب ربكم على نفسه الرحمة» ومحو ذلك

البحث الثالث في ان الشرع حيث راعى مصالح الخلق هل راعاها مطلقا أو راعى اكملها في بعض وأسفلها في بعض أو انه راعى منها في الكل

(١) راجع بسط الجواب على ذلك في شفاء العليل في القدر و التمهيل لابن

ما يصلحهم ويتنظم به حالهم ، الاقسام كلها ممكنة (١)
البحث الرابع في اداة رعاية المصلحة على التفصيل وهي من الكتاب
والسنة والاجماع والنظر ولندكر من كل منها يسيراً على جهة ضرب المثال
اذ استقصاه ذلك بعيد المنال

أما الكتاب فنحو قوله تعالى «واحكم في القصاص حيوياً» والسارق
والسارقة فاقطعوا أيديهما . الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة « وهو كثير . ورعاية مصلحة الناس في نفوسهم وأموالهم
واعراضهم مما ذكرنا ، ظاهر . وبالجملة فإما من آية من كتاب الله عز وجل
الا وهي تشتمل على مصلحة أو مصالح كما ينتهما في غير هذا الموضوع
وأما السنة فنحو قوله عليه السلام «لا يبيع بعضكم على بيع بعض . ولا
يبيع حاضر لباد . ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها انكم اذا فطعتم ذلك
قطعت أرحامكم» وهذا ونحوه في السنة كثير لا نهايان الكتاب وقد بينا احتمال
كل آية منه على مصلحة والبيان على وفق المبين

وأما الاجماع فقد أجمع العلماء الا من لا يعتد به من جامدي
الظاهرية على تعليل الاحكام بالمصالح المرسلة وفي الحقيقة الجميع قائلون
بها (٢) وحتى ان المخالفين في كون الاجماع حجة قالوا بالمصالح ومن علل

(١) الاظهر الاخير قال الشاطبي في الموافقات ان الشارع قصد بالتشريع
اقامة المصالح الاخرية والدينية وبيان تكون مصالح على الاطلاق فلا بد ان
يكون وضمها على ذلك الوجه ابدياً وكلياً وعمماً في جميع انواع التكليف والمكاتبين
من جميع الاحوال

(٢) سبق ما يؤيده عن القراني في الحاشية و يأتي في آخر مقاله أيضاً

وحيوب الشفعة برعاية حق الجار وحواز السلم والاجارة بمصاحبة الناس مع مخالفتها للقياس اذ هما معاوضة على ممدوم (١) واثرا أبواب الفتحة ومسائله فيما يتعلق بحقوق الخلق لعل المصالح

وأما النظر فلا شك عند كل ذي عقل صحيح ان الله عز وجل راعي مصاحبة خلقه عموما وخصوصا أما عموما فقي مبدأهم ومعاشرهم اما المبدأ فحيث أوجدهم بعد العدم على الهياة التي ينالون بها مصالحهم في حياتهم ويجمع ذلك قوله عز وجل « يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم (٢) الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك » وقوله عز وجل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وأما المعاش فحيث هيأ لهم أسباب ما يعيشون به ويتمتعون به من خالق السموات والارض وما بينهما وجميع

(١) يراجع هنا ما في اعلام الموقعين في بحث ليس شيء في الشريعة على خلاف

القياس فإنه مهم جدا

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي في اصناف المنكرين ومنهم من يفتخر بهم فاسد فهمه من النصوص وانكروا عليه كائنا كان مضمم على قوله تعالى « واسوف يعطيك ربك فترضى » رعموا انه لا يرضى ان يكون في النار أحد من امته وهذا من أبين الكذب عليه فإنه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الفسقة والخونة والمصرين على الكبائر فحاشا رسوله ان يرضى بما لا يرضى به ربه تعالى . وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى « ما غرك بربك الكريم » فيقول كرمه وقد يقول مضمم انه لقن المغتر حجته وهذا جهل قبيح وإنما غره بربه الفرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه . وأنى سبحانه بلفظ « الكريم » وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا ايهال حقه فوضع هذا المغتر الفرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به اهوتهموه للفرالي في الاحياء

ذلك في قوله عز وجل « ألم نجعل الأرض مهاداً - الى قوله - ان يوم الفصل كان ميقاتاً » وفي قوله عز وجل : « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صبينا الماء صبا » الى قوله عز وجل « متعاكم ولا نؤاكم »

وأما خصوصاً فرعاية مصلحة العباد السعداء حيث هداهم السبيل ، ووقفهم لنيل الثواب الجزيل ، في خير مقيل ،

وعند التحقيق انما راعي مصلحة العباد عموماً حيث دعا الجميع الى الايمان الموجب لمصلحة العباد لكن بعضهم فرط بعدم الاجابة بدليل قوله عز وجل « وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى » تحرير هذا المقام ان الدعاء كان عموماً والتوفيق المكمل للمصلحة المصحح لوجودها كان خصوصاً بدليل قوله عز وجل « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » فدعا عاماً وهدى ووفق خاصاً

اذا عرف هذا فن الحيل أن يراعي الله عز وجل مصلحة خلقه في مبادهم ومعادهم ومماشهم ثم يهمل مصلحتهم في الاحكام الشرعية اذ هي أهم فكانت بالمراعاة أولى ولانها أيضاً من مصلحة معاشهم لانها صيانة أموالهم ودمائهم وأعراضهم ولا مماش لهم بدونها فوجب القول بأنه راعاهم لهم . واذا ثبت رعايته اياها لم يجز اهمالها بوجه من الوجوه . فان وافقها النص والاجماع وغيرهما من أدلة الشرع فلا كلام . وان خالفها دليل شرعي وفق بينه وبينها بما ذكرناه من تخصيصه وتقديمها بطريق البيان

واما ان رعاية المصلحة بهرنة فقد دل عليه ما ذكرناه من اهتمام الشرع بها وأدلته

(ثم قال الطوفي بعدياً به الاجماع وأدلته ومعارضتها
ومما يدل على تقديم رعاية المصلحة على النصوص والاجماع على
الوجه الذي ذكرنا وجوه .
أحدها : أن منكري الاجماع (١) قالوا برعاية المصالح فهي اذا محل
وفاق والاجماع محل الخلاف والتمسك بما اتفقوا عليه أولى من التمسك
بما اختلفوا فيه

الوجه الثاني : ان النصوص مختلفة متعارضة فهي سبب الخلاف في
الاحكام المذموم شرعا ورعاية المصلحة أمر متفق في نفسه لا يختلف فيه
فهو سبب الاتفاق المطلوب شرعا فكان اتباعه أولى وقد قال الله عز وجل
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شيء » وقوله عليه السلام : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »
وقال عز وجل في مدح الاجتماع « وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض
جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » وقال عليه السلام : وكونوا
عباد الله اخواناً .

الثالث : قد ثبت في السنة معارضة النصوص بالمصالح ونحوها في
قضايا (٢) منها معارضة ابن مسعود النص والاجماع بمصلحة الاحتياط

« ١ » كالنظام وبعض الشيعة والحواارج والظاهرية ما عدا اجماع الصحابة
اه من المصنف

« ٢ » من القضايا المشهورة في ذلك حديث العباس في حجة الوداع وقوله
للنبي عليه السلام لما نهى ان يعضد شجر مكة ويختلى خلاها الا الاذخر يارسول الله
فقال عليه السلام . الا الاذخر . ومنها حديث البخاري في اول كتاب اشركة
لما خفت أزواد القوم وأماقروا وأنوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحر ابلهم فاذن

للعبادة كما سبق (١) ، ومنها قوله عليه السلام حين فرغ من الاحزاب « لا يصلين أحدكم العصر الا في بني قريظة » فصلى احدكم قبلها وقالوا لم يرد منا ذلك وهو شبيه بما ذكرنا

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم » وهو يدل على أن بناءها على قواعد ابراهيم هو الواجب في حكمها فتركه لمصلحة الناس

ومنها أنه عليه السلام لما أمرهم يجعل الحج عمرة قالوا كيف وقد سئنا الحج وتوقفوا وهو معارضة للنص بالمادة وهو شبيه بما نحن فيه

وكذلك يوم الحديبية لما أمرهم بالتحلل توقفوا تمسكا بالمادة في أن أحدا لا يحل قبل قضاء المناسك حتى غضب صلى الله عليه وسلم وقال : « مالي أمر بالشيء فلا يفعل »

ومنها ما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ينادي (من قال لا اله الا الله دخل الجنة) فوجده عمر فرده وقال اذا يتكلموا ، وكذلك رد عمر أبا هريرة عن مثل ذلك في حديث صحيح وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة ، فكذلك من قدم رعاية مصالح المكلفين على باقي أدلة الشرع يقصد بذلك اصلاح شأنهم وانتظام حالهم وتحصيل ما تفضل الله به عليهم من الصلاح وجمع الاحكام من التفرق واثلافها

لهم فقال لهم عمر ما بقاؤكم بعد ابلتكم ودخل على النبي عليه السلام فأخبره فامر أن تجمع ازواد الناس الحديث (١) أي في بحث له سابق طوبناه اختصارا وهو قوله ان الصحابة أجمعوا على جواز التيمم للمرض وعدم الماء وخالف ابن مسعود واحتج عليه أبو موسى الأشعري فلم يلتفت كما بسطه البخاري في صحيحه

عن الاختلاف فوجب ان يكون جائزا ان لم يكن متعينا فقد ظهر بما قررناه ان دليل رعاية المصالح أقوى من دليل الاجماع فليقدم عليه وعلى غيره من ادلة الشرع عند التعارض بطريق البيان

فان قيل حاصل ما ذهبتم اليه تعطيل أدلة الشرع بقياس مجرد وهو كقياس ابليس فاسد الوضع والاعتبار قلنا وهم واشتباه من نأثم بعد الانتباه وانما هو تقديم دليل شرعي على أقوى منه وهو دليل الاجماع على وجوب العمل بالراجح كما قدمتم انتم الاجماع على النص والنص على الظاهر (١) وقياس ابليس وهو قوله «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» لم يقيم عليه ما قام على رعاية المصالح من البراهين وليس هذا من باب فساد الوضع بل من باب تقديم رعاية المصالح كما ذكرنا

فان قيل الشرع أعلم بمصالح الناس وقد اودعها أداة الشرع وجعلها اعلما عليها يعرف بها فترك أدلته لغيرها صراغمة ومعاودة له قال اما كون الشرع اعلم بمصالح الملاكين نعم وأما كون ما ذكرناه من رعاية المصالح تركا لادلة الشرع بغيرها فممنوع بل انما ترك ادلته بدليل شرع راجح عليها مستند الى قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» كما قلتم في تقديم الاجماع على غيره من الادلة ثم ان الله عز وجل جعل لنا طريقا الى معرفة مصالحنا عادة فلا تتركه لاصر مبهم يحتمل ان يكون طريقا الى المصلحة

(١) يشير الى ما ذكره القرافي في تنقيحه من تقديم الاجماع على النص وعبارة الشافعي في رسالته في باب الاستحسان في شروط من يقبس: ويستدل على ما احتمل التأويل بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لم يجد سنة فباجماع المسلمين: وذكر نحوه في عدة مواضع منها

ويحتمل ان لا يكون

فان قيل خلاف الامة في مسائل الاحكام رحمة وسعة فلا يحويه
حصر بحكم في جهة واحدة لثلا يضيقت عليهم مجال الاتساع : قلنا هذا
الكلام ليس منصوصا عليه من جهة الشرع حتى يمتل (١) ولو كان لكان
مصلحة الوفاق ارجح من مصلحة الخلاف فتقدم، ثم ما ذكرتموه من
مصلحة الخلاف بالتوسعة على المكلفين معارض بمفسدة تعرض منه وهو
ان الآراء اذا اختلفت وتعددت اتبع بعض الناس رخص المذاهب
فأنفضى الى الانحلال والفجور، وأيضا فان بعض أهل النعمة ربما أراد
الاسلام فتمنعه كثرة الخلاف وتعدد الآراء، لان الخلاف منفور عنه
بالطبع ولهذا قال عز وجل «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها» أي
يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا لا يختلف الا بما فيه من المتشابهات
وهي ترجع الى المحكمات بطريقها (٢) ولو اعتمدت رعاية المصالح المستفادة
من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» على ما تقر ولا تحدد طريق الحكم
واتفى الخلاف، فان قيل هذه الطريقة التي سلكتها اما ان تكون خطأ فلا
يلتفت اليها أو صوابا، اما ان ينحصر الصواب فيها أولا فان انحصرت لم أن
الامة من أول الاسلام الى حين ظهور هذه الطريقة على خطأ اذ لم يقل بها
أحد منهم (٣) وان لم ينحصر فهي طريقة جائزة من الطرق ولكن طريق

- (١) يشير الى ان حديث اختلاف أمي رحمة لا اصل له كما بين في الموضوعات
- (٢) يعني طريق السلف المبسوط في موضعه (٣) أي بمنطوقها وان استفيد مفهومها من قراءتهم وقد معنا ما يقرب منه عند الحنفية رحمة الله من تخصيص النص بالعرف عن الذخيرة ونحوه نقل الشافعية عن القاضي حسين ان مبي الفقه على ان اليقين لا يرفع

الائمة التي اتفقت الامة على اتباعها أ. لى بالمطابقة لقواه عليه السلام «اتبعوا

السواد الاعظم فان من شد شد في النار»

فالجواب أنها ليست خطأ لما ذكرنا عليها من البرهان ولا الصواب

منحصر فيها قطعاً بل ظناً و جهاداً وذلك يوجب المصير اليها ذ الظن في

الفرعيات كالقطع في غيرها . وما يلزم على هذا من خطأ الامة فما قبله

لازم على رأي كل ذي قول أو طريقة انترد بها غير مسبوق اليها والسواد

الاعظم الواجب اتباعه هو الحجة والدليل الواضح والالزم ان يتبع العلماء العامة

اذا خالفهم لان البامة أكثر وهو السواد الاعظم

واعلم أن هذه الطريقة هي التي قررناها مستفيدين لها من الحديث

المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسله علي ما ذهب اليه مالك بل هي

أبلغ من ذلك وهي التعويل على النصوص والاجماع في العبادات والمقدرات

وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام

وتقرير ذلك ان الكلام في أحكام الشرع اما ان يقع في العبادات

والمقدرات ونحوها أوفى المعاملات والعبادات وشبهها فان وقع في الاول اعتبر

فيه النص والاجماع ونحوهما من الأدلة

غير أن الدليل على الحكم اما ان يتحد أو يتعدد فان اتحد مثل ان كان

فيه آية أو حديث أو قياس أو غير ذلك ثبت به . وان تعدد الدليل مثل ان

بالشك والضرر يزال ، والمشقة تجلب التيسير ، والعادة محكمة ، وأرجعه العز بن عبد السلام

في قواعده الى قاعدتين اعتبار المصالح ودرء المفسد وبعضهم الى تحكيم العادة

قال القاضي زكريا وبمبحث بعضهم رجوع الجميع الى جلب المصالح كذا في حواشي

المطار على جمع الجوامع واظن البعض الذي عناه القاضي زكريا هو الطوفي المصنف

كان آية وحديثاً واستصحاباً ونحوه فان اتفقت الأدلة على إثبات أو نفي
 ثبت بها وان تعارضت فيه فاما تعارضاً يقبل الجمع أو لا يقبله فان قبل الجمع
 جمع بينهما لان الاصل في أدلة الشرع الاحتمال لا الالفاء غير ان الجمع
 يذهب ما يجب ان يكون بطريق قريب واضح لا يلزم منه التلاعب ببعض
 الأدلة وان لم يقبل الجمع فالاجماع مقدم على ما عداه من الأدلة التسعة
 عشر والنص مقدم على ما سوى الاجماع، ثم ان النص منحصر في الكتاب
 والسنة ثم لا يخلو اما ان يفرد بالحكم أحدهما أو يجتمعا فيه فان انفرد به أحدهما
 فاما الكتاب أو السنة فان انفرد به الكتاب فاما ان يتحد الدليل أو يتعدد
 فان اتحد بان كان في الحكم آية واحدة عمل بها ان كانت نصاً أو ظاهر افيه
 وان كانت مجملة (١) فان كان أحدها احتمالاً أو احتمالاً لها شبه بالادب
 مع الشرع عمل به وكان ذلك كالبيان

وان استوى احتمالها في الادب مع الشرع جاز الامر والمختار ان

يتعبد بكل منهما مرة

وان لم يظهر وجه الادب وقت الامر على البيان

وان تعدد لدليل من الكتاب فان كان في الحكم منه آيتان أو أكثر

فان اتفق مقتضاهن فكالاتية الواحدة وان اختلفت فان قبل الجمع جمع

يذهبن بتخصيص أو تقييد أو نحوه وان لم يقبل الجمع فان علم نسخ بعضها

بعينه فإلّا فالمنسوخ منهما مبهم فليستدل عليه بموافقة السنة غيره اذ

(١) المجلد ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ الا ببيان سواء كان

ذلك التزام المعاني المتساوية الاقدام كالمشرك أو لغرابة اللفظ أو لا تتقاربه من معناه

الظاهر الى غير ما هو معلوم. كذا في تعريفات السيد

السنة بيان الكتاب وهي انما تبين مائدت حكمه لا مانسوخ وان انفردت
السنة بالحكم فان كان فيه حديث واحد فان صح عمل به كالأية الواحدة
وان لم يصح لم يعتمد عليه (١) وأخذ الحكم من الكتاب ان وجد والا فمن
الاجتهاد ان ساغ مثل أن يعمل بما هو اشبه بالادب مع الشرع وتعظيم حقه
وان لم يسغ فيه الاجتهاد وقف على البيان

وان كان فيه أكثر من حديث فان صح جميعها فاما ان تتساوى في
الصحة او تفاوتت فان تساوت في الصحة فان اتفق مقتضاها فكالحديث
الواحد وان اختلفت فان قبلت الجمع جمع بينها والا فبعضها منسوخ
فان تعين والا استدل عليه بموافقة الكتاب أو الاجماع غيره أو بغير
ذلك من الأدلة

وان لم تصح جميعها فان كان الصحيح منها واحدا فكما لم يكن في
الحكم الاحديث واحدا فان كان الصحيح أكثر من واحد فان اتفقت
عمل بها وان اختلفت جمع بينها ان امكن الجمع والا فبعضها منسوخ كما
سبقت فيما اذا كان جميع الاحاديث صحيحاً

وان تفاوتت في الصحة فان كان بعضها اصح من بعض فان اتفق

(١) أي لانه لا يدل به في المعاملات بل في نضائل الاعمال على قول ومنهم
من منع العمل به مطلقا كما بسط في كتب المصطلح وقد ذكر مسلم في مقدمة
صحيحة ان الراوي للاحاديث الضعيفة غاش آثم في فصل ينبغي العناية به وبالاولى
ما كان منها في باب الصفات ولذا قال القاسمي عياض في الشفا في الوجه السابع:
فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يندكر منها شيء في حق الله
وحق أنبيائه وان لا يتحدث بها ولا يتكلم بالكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المقادير اهية الاستدخال

مقتضاها فلا اشكال كالحديث الواحد وان تعارضت فان قبلت الجمع جمع بينها وان لم تقبله قدم الاصح فالاصح

ثم ان اتحد الاصح عمل به وان تعدد فان اتفق فكالحديث الواحد وان تعارض جمع بينه ان قبل الجمع والا فبعضه منسوخ معين أو مبهم يستدل عليه بما سبق . وان اجتمع في الحكم كتاب وسنة فان اتفقا عمل بهما واحدهما بيان للآخر أو مؤكد له وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما جمع وان لم يمكن فان اتجه نسخ احدهما بالآخر نسخ به وان لم يتجة فهو محل نظر وتفصيل والاشبه بتقديم الكتاب لانه الاصل الاعظم ولا يترك بفرعه هذا تفصيل القول في أحكام العبادات

اما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها مصلحة الناس كما تقرر

فالمصلحة وباقي ادلة الشرع اما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا فيها ونعمت كما اتفق النص والاجماع والمصلحة على اثبات الاحكام الخمسة (١) الكلية الضرورية وهي قتل التاتل والمرتد قطع السارق وحد القاذف والشارب ونحو ذلك من الاحكام التي وافقت فيها ادلة الشرع المصلحة وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما بوجه ما جمع مثل ان يحمل بعض الادلة على بعض الاحكام والاحوال دون بعض على وجه لا يخل بالمصلحة ولا يفضي الى

(١) قال القرافي في تنقيحه : الكلمات الخمس وهي حفظ النفوس والاديان والانساب والعقول والاموال - قيسل والاعراض - حكي الفزالي وغيره اجماع الملل على تحريمها وأه تعالى ما أباح العرض بالقذف والسياب قط ولا الاموال بالسرقة والنصب ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المسكرات ولا النفوس والاعضاء باباحة القطع والقتل ولا الاديان باباحة الكفر وانتهاك حرم المحرمات

التلاعب بالادلة أو بعضها . وان تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه ولان المصلحة هي المقصودة من سياسة المكافين باثبات الاحكام وباقي الادلة كالوسائل والمقاصد واجبة

التقديم على الوسائل (١)

ثم ان المصالح والفساد قد تعارض فيحتاج الى ضابط يدفع محذور تعاوضها فنقول كل حكم يفرضه فاما ان تتحضر مصلحة (*) فان اتحدت بان كان فيه مصلحة واحدة حصلت . وان تعددت بان كان فيها مصليحتان ومصالح فان أمكن تحصيل جميعها حصل وان لم يمكن حصل الممكن فان تعذر تحصيل ما زاد على المصلحة الواحدة فان تفاوتت المصالح في الاهتمام بها حصل الالم منها وان تساوت في ذلك حصلت واحدة منها بالاختيار الا ان يقع ههنا تهمة بالقرعة . وان تمحضت مفسدته فان اتحدت دفعت وان تعددت فان أمكن درء جميعها درئت . وان تعددت دري منها الممكن . فان تعذر درء ما زاد على مصلحة واحدة فان تفاوتت في عظم المفسدة دفع أعظمها وان تساوت في ذلك فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة وان اجتمع فيه الامران المصلحة والمفسدة فان أمكن تحصيل

« ١ » أي واجب اعتبارها وملاحظتها أولا وبالذات لأنها هي سر الشريعة ولياها كالمعاني بالنسبة الى الالفاظ فان الالفاظ لم تقصد لنفسها وانما هي مقصودة لمانيتها ومن هنا ذهب السلف الى تحريم الخيل فان من عرف قدر الشرع وحكمته وما اشتمل عليه من رعاية مصالح العباد تبين له حقيقة الحال وقطع بأن الله تعالى ينزه ان يشرع لمبادءه نقض شرعه وحكمته بأنواع الخداع والاحتيال انظر بسط ذلك في اعلام الموقعين (*) المنار : يظهر أنه سقط من هنا مقابل إما وهو التقسيم الاجمالي المفصل بعد

المصلحة ودفع الفسدة تميز وان تمدد فعل الالم من تحصيل أو دفع
ان تفاوتنا في الاهمية وان تساويها في الاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة
وان تعارض مصلحتان أو مفسدتان أو مصلحة ومفسدة وترجح كل
واحد من الطرفين من وجه دون وجه اعتبرنا ارجح الوجهين تحصيلاً
أو دفماً (٩) فان استويا في ذلك عدنا الى الاختيار أو القرعة
فهذا ضابط مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار)
يتوصل به الى ارجح الاحكام غالباً وينتفي به الخلاف بكثرة الطرق والاقوال
مع ان في اختلاف الفقهاء فائدة عرضت خارجة عن المقصود وهي
معرفة الحقائق التي تتعلق بالاحكام واعراضها ونظائرها والفروق بينها وهي
شبهة بفائدة الحساب من جزالة الرأي

واما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها دون العبادات وشبهها لان
العبادات حق للشرع (* خاص به ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفا وزماناً
ومكاناً الا من جهته فيأتي به العبد على ما رسم له ولان غلام أحدنا لا يعد
مطياً خادماً له الا اذا امثل ما رسم له سيده وفعل ما يعلم انه يرضيه فكذلك
هنا ولهذا لما تصدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز
وجل وضلوا وأضلوا وهذا بخلاف حقوق المكلفين فان احكامها سياسية

« ١ » يقرب من هذا قاعدة عظمى أشار لها ابن تيمية عليه الرحمة بقوله :
اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فليُنظر الى
مفسدته وعمرة وغايته فان كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على
الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسيما اذا كان مفضياً الى
ما يبغضه الله ورسوله اه (* المنار : لها للشارع وكذا ما يماثلها

شرعية وضمت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تحصيلها المول
ولا يقال ان الشرع اعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته لانا نقول قد قررنا
ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل المصالح (١)
ثم هذا أما يقال في العبادات التي تخفى مصالحها عن مجاري العقول
والعادات اما مصلحة سياسية المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم
العادة والعقل فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا انا احلنا في
تحصيلها على رعايتها كما ان النصوص لما كانت لا تهي بالاحكام علمنا انا
احلنا بتامها على القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالمنصوص عليه بجامع
بينهما والله عز وجل أعلم بالصواب : اه كلام الطوقي رحمه الله

(١) قال الامام القرافي: ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحق
لانهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلون شاهدا بالاعتبار ولا نمي بالمصلحة
المرسلة الا ذلك ومما يؤكد العمل بالمصلحة المرسلة ان الصحابة رضوان الله عليهم
عملوا أمورا لمطلق المصلحة لا لثمة شاهد بالاعتبار نحو تدوين الدواوين ثم قال :
ينقل عن مذهبا (الالكية) ان من خواصه اعتبار العوائد والمصلحة المرسلة وسد
الذرائع وليس كذلك . أما العرف فمشترك بين المذاهب ومن استقرأها وجددهم
بصرحون بذلك فيها . وأما المصلحة المرسلة فغيرنا بصرح بانكارها ولكنهم عند
التفريع تجدهم يطلون بمطلق المصلحة ولا يطالبون أنفسهم عند الفروق والجوامع بابداء
الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون على مجرد المناسبة وهذا هو المصلحة المرسلة وأما
الذرائع فمنها ما هو مجمع عليه ومنها ما هو مختلف فيه 'ه' ولا ين القيم في اعلام الموقعين
فصل في سد الذرائع ذكر فيه تسميات وتسمين مثلا من الشارع في منع الذرائع المفضية الى
المفاسد . ومن توسع في بحث المصالح المرسلة الامام الاصولي الشيخ أبو اسحق الشاطبي
المالكى في كتابه الموافقات فقد جرد الاستدلال عليها والنظر في لواحقها في الجزء الثاني
فارجع اليه ان رمت المزيد على ما هنا : اه ما أورده الشيخ جمال الدين القاسمي حفظه الله

باب المناظرة والمراسلة

الدين والعقل

تابع ردّ الشيخ طه البشري على الدكتور محمد أفندي توفيق صدي بعد اذ أوردنا ما أوردنا مما نرى فيه الكفاية في اثبات ان أصول الدين هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس نرى ضروريا وقد هنت أكثر من مرة بالمثل في غضون البحث في أمور الدين ان تكلم باختصار على ما يمكن أن يكون من العلاقات بين العقل والدين

قلنا ان أصول هذا الدين أربعة ، ولم يضاف إليها أحد شيئا آخر بل قصرنا أنت على الكتاب وحده ، فأبيّ نظر من انظار العقل يراد أن يطابقه الدين في كل جزئياته ؟ . لا يمكن أن يراد بتلك المطابقة ان كل ما يكون واجبا في نظر العقل أو ممنوعا فيه يكون كذلك في الدين . فإنه ليس شيء من الدين بنيت قضاياه على الادلة العقلية البحتة ، الا بعض أصول المقائد كوجوب الوجود ووجوب الوحدة مثلا من الواجبات ، وامتناع العدم والكثرة مثلا من الممنوعات و بعد ذلك لا يوجب العقل ولا يمنع من قضايها الدين شيئا . وان أريد من العقل نظره الصحيح بالاستحسان لموجبات الدين كإقامة الصلاة والاستباح للممنوعاته كإتيان الفاحشة فذلك لا ريب فيه . ولكن لا يعزب عنك ان هذا النظر شيء واعتباره من أصول الدين التي حصر فيها استنباط مسائله باعتبار كون ديننا مقرا واجب الاتباع شيء آخر . فمسئلة الاستحسان والاستهجان بالنظر الصحيح للعقل الصحيح لازمة لكن لا يمكن أن يبنى عليها حكم شرعي لان مقتضى كونه شرعيا انه مبني على أصول الشريعة التي ذكرناها وليس استحسان العقل واحدا منها باتفاقنا جميعا . على أن العقول من حيث استحسانها واستهجانها لا يمكن ضبطها بحال فان ما يراه هذا حسنا قد يراه ذلك رديئا وبالعكس وذلك لا يفت عند طبقات اللحمي والجاهلين بل كثيرا ما اجتازها الى طبقة العقلاء من أقطاب العلم والسياسة والبصر بفنون التشريع . ولا نحسبنا نكاف أي دليل على هذه الدعوى بل نرى ان أقل نظرة في

التاريخ التشريعي تكفيها مؤونة هذا فان قتل القاتل عمدا الذي أوجبه الاسلام -
 ما لم يعف أولياء الدم - ولا نشك في استحسانك له مسألة فيها نظر بين متشعري
 الرومان قديما وأمة الطليان التي بنيت على اطلاقها والفرنساوين ولا نجد حديثا
 فمنهم من أنكرت القتل ومنهم من أوجبه ومن هو لياء الموجبات من استحسنه
 بطريق الشق ومنهم من أبته الا بقطع الرقبة فول رحى الناس كل هذه الامم
 بالجنون لأن أهلها لم تتفق على استحسان شيء واحد بل هوا كبر الاشياء في مسائل
 التشريع؟ فما بالك بصعوبات الامور وجزئياتها في نظر الشرائع والقوانين فلنسال
 نفوسنا ماذا تكون الحال لو كان استحسان العقل واستهجانها أصلا من أصول الدين
 التي يرجع اليها في استنباط أحكامه هل نستطيع ان نجد اثنين يتفقان على حكم
 واحد من هذا الدين؟؟؟

الاسلام ولا شك دين الفطرة أرسل الله به رسوله وهو تعالى الحكيم في تقديره
 العليم بما فيه مصالح الناس على تمايز طقوسهم وتناهي ديارهم وبسط اهم على لسان
 نبيه من التقرير والبيان ما يقف بالنفوس دون رؤية الشيء الواحد على كثير من
 الوجوه والالوان كل نفس بحسب ما تهديها نزعتها بحيث يكون الحسن عند قوم
 قبيحا عند آخرين بلا أدنى مستمد لذلك الاستهجان أو الاستحسان كما يقع من
 الامم التي لا ترجع في أمور تشريها الى أصل واحد
 فالدين باعتبار كونه شرع الله الحكيم العليم بما يلائم في أحكامه الفطر السليمة
 وهي ولا ريب لا تناقض بحال لأنه لها كالميزان فاذا نابذته النزعات فاذا اعلى الميزان
 اذا لم يوف الموزون؟ فليس من الصواب انه تتبع نزعة كل هوى تستحسن أو
 تستهجن ونحاول انه مجري عليها أحكام الدين فاذا نافرته قلنا انها ليست دينا
 لأنها خالفت العقل والصواب !!!

قلنا ونقول ان أصول العقائد الدينية انما بنيت على أدلة عقلية محضة كافية
 في اثبات الالهية ان لا يؤمن بها ومعجزات لا سبيل للعقل الى مصادرتها
 كافية أيضا في اثبات دعوى الرسالة ، فاذا اقتنع المكلف بهذا القدر وآمن بأن
 هناك آله حكما متمصفاً بصفات الكمال منزها عن صفات النقص واه أرسل

رسولا موصوما بلغ الناس رسالات ربه الكفيلة بسماذتهم وعزهم في كلنا نشأتهم انصرف ولا مزية كل هم الي تحقيق ما جاء به هذا الرسول الامين عن ربه الحكيم للعمل به ، فأدلة العامل بعد ذلك سماعية حاجة المجتهد الي البحث فيها من حيث صحة النقل وعدمها ليعلم ان كانت من الرسول أو ليست منه ، وعلى هذا فالعقل الكامل لازم للمجتهد بلا جدال يتدبر به معاني الاحكام، يرجع بالفروع الي أصولها المقررة ، وبالجزئيات الي كلياتها الثابتة ، ويفصل المجلد في الكتاب بالمفصل من السنة ، ويستظهر الخفي منه بالجلي منها ، والبحث عن علل الاحكام الظاهر ليقبس غير المقرر على المقرر منها ، وغير ذلك من عمل المجتهد في استنباطه من الكتاب والسنة وأخذه بالقياس وانتظامه في سلك الاجماع التي هي أصول الدين على انه شرع الله الذي بسطه فيها ، وحصره في دائرتها

استغفر الله ان يكون في ديننا مالا يحتمله العقل ، ولا يسهه نصوره . بل نحن قررنا ان العقل السليم مستحسن لكل ما جاء به الدين الحكيم مستهجن لكل ما نهى عنه الشرع القويم

واذ كتبنا ما نرى فيه الكفاية فيما يتعلق باصل الموضوع ننتقل بك الي تجميع ما بنيت عليه من المسائل والله الكافي الممين

مبحث الصلاة

جاء اليها القرآن بها اجمالا ، وفصلتها لنا السنة تفصيلا ، أمر الله بها في كتابه ، وعلما جبريل لنبية نعلما عمليا وهو عليه السلام علمها الناس وبلغها لهم وقتا وحدا وعدا ، اذ صلى بهم الصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة ، الظهر والعصر والمساء أربعها والمغرب ثلاثا والصبح اثنتين ، وواظب عليها كذلك الا في خوف أو سفر وأمر باقامتها بالقدر الذي أقامها به بمثل قوله (صلوا كما رأيتموني أصلي) وشدد فيها واكد ، ووعدها وأوعده ، وميزها بأنها الفرض المحترم من بين ما سن من سنن وزاد من نوافل ، فامتازت بنفسها بين جميع الصحابة والتابعين لهم ومن بعدهم الي يومنا هذا ، والقول بأن الصحابة لم يميزوا بين القدر الواجب عليهم من غيره في أقصي منازل العزابة ، وكيف ذلك وهم المجمعون على ان

تارك النوافل مثل ما قبل مفروضة الصبح وما قبل الظهر وبعده وما قبل العصر
لا شيء عليه عند الله والناس مع اجماعهم على ان من زاد على المفروضة أو نقص
عنها مثل أربع الظهر وثلاث المغرب عمدا بطلت صلاته ومع اجماعهم على ان من
نوى اثنتين في النافلة فصلى أربعا لا تبطل صلاته أليس ذلك لتفريقهم بين
الواجب وغيره؟ وما اجماع من بعدهم على التمييز بين الفرض المحتوم من الله
والنفل المتطوع به من عند أنفسهم الا بحد تمييزهم هم.

أدرجت في مطاوي كلامك انك لا تحتاج بعمل الصحابة (لأنهم لم يميزوا
بين الواجب وغيره بل هم انما كانوا يحافظون على كل ما رآوا النبي يحافظ عليه)
ولا يذهب عنك ان النبي عليه السلام كان يحافظ أيضا على الذي يسميه المسلمون
بالنوافل، فكيف يجمعون على ان الآتي بهذه والتارك لها لا حساب عليه؟ لا
أتمس ان أجادلك في هذا بما يخرج عن دائرة كلامك، بل مما قلت من ان
(كم من أشياء كان يحافظ عليها النبي ولم يقل أحد من المجتهدين بوجودها
كالضمضة والاستنشاق) والصحابة كلهم مجتهدون بلا خلاف، فهل مع هذا
يقال ان الصحابة لم يميزوا بين الواجب وغيره؟ نعم هم فرقوا الواجب من
غيره في الصلاة مثلا فرقوا بينها في الوضوء كما سلف

صلى النبي عليه السلام رباعية وسلم في الثانية فألفت ذلك جميع الصحابة،
وابتدره منهم ذو اليمين بقوله (أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله) فأجاب
صلى الله عليه وسلم أنها لم تقصر ثم أتى وسجد لسبوه. ولو كان الواجب يتم
بالركعتين ما سأل الصحابي بقوله أقصرت الصلاة، وأي معنى لقصرها غير كونها
نقصت فرضا عن القدر الذي كان مفروضا؟ ولو كان أقل الواجب ثنتين كما
ترى ولم يعرف ذلك الصحابة كما أشرت - هل كان يجيب عليه السلام بانها لم
تقصر - أي لم تنقص عن القدر المشروع؟ - بل ويترك صحبة في مثل هذا
المقام لا يعرفون القدر الواجب عليهم بل ويزيدهم بمثل هذا الجواب رسوخا بأن
القدر الواجب عليهم انها هو أربع ركعات لاركهتان وتعلم ان وظيفة الرسول البيان،
وتلك تعمية تضاده كل التضاد والرسول الكريم أفطن قلبا وأعصر دينا وأفصح

لساننا من مثل هذا على أنه قد بلغُ وقال « بلغت اللهم أشهد » مع نهاية البيان لقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » وقوله تعالى « وأنزلنا إليك الذكركلتين للناس ما نزل إليهم » وليس من التبليغ المخفوف بالبيان أن يدع صلى الله عليه وسلم صحبه الكرام يعيشون معبدين بما لا يفرقون بين واجبه المشروع المفروض عليهم من الله ، ونفله المتطوع به من عند أنفسهم ، لهم ثوابه ، وليس عليهم حسابه ،

دعا النبي عليه السلام مؤكدا مشددا إلى إقامة الصلوات الخمس (أي المفروضة المبدوءة بنحرمة واحدة المنهية بسلام واحد) وأبان أنها الفرض المشروع من الله ، وواظب عليها كما قلنا طول حياته ، الثمانية منها والثلاثية والرابعة من غير زيادة فيها أو نقص عنها (إلا في خوف أو سفر) ولم يبين أن بعضها منها مزيد فيه على القدر الواجب ، فتعين أن تكون هي كلها القدر الواجب ، ونحن نكتفي الآن بهذا القدر من الأدلة ونرجع بنظرة إلى ما اختلج بنفسك من الشبه التي لولاها لم تكن لتشدّ عما عليه باجماع المسلمين من عهده عليه السلام إلى عهدنا هذا دون أن يترضهم فيه شك ، أو تهتورهم دونه شبهة والله سبحانه الموفق ادعيت أن القدر الواجب في الصلاة ركعتان مستندا على قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن ينتهك الذين كفروا) الآية بناء على أنه يستفاد منها أن القصر أي ما دون الواجب ركعة ، فيكون أقل الواجب ما فوقها أي ركعتين من غير تحديد للطرف الأعلى ، وبمباراة أخرى أن الانسان غير مكلف بأكثر من بين الركعتين الخ ونقل أن الآية في ذاتها لا يمكن أن يؤخذ منها أن صلاة الخوف للإمام ركعتان أو هي للمؤمنين ركعة ، بل غاية ما يؤخذ منها أن طائفة تقوم مع الإمام ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فنصلي معه ، ولكن كم ركعة يصلي الإمام أو المؤمنون ؟ هذا ما لم تنص عليه الآية الكريمة ، بحيث لو لم تبين السنة لما تسنى أن يمنع مدع بأن المفروض على كل طائفة أن تصلي أربعا أو سنا مثلا فنأين جارك أن كل طائفة تصلي مع الإمام ركعة واحدة ؟ إن قلت السنة قلنا لك هي

بمعناها حتمت علي المؤمنين في صلاة الخوف أن ترجع كل طائفة فتصلي ركعة أخرى بناء على الأولى بحيث تبلغ صلاة كل من الامام والمؤمنين ركعتين ، وهذا هو القصر بمعناه ، ولا يجادل في ذلك ابن عباس ومجاهد وجابر بن عبد الله الذين استشهدت بهم ، فقولك ان القصر ركعة واحدة دعوى لا دليل عليها بل قام الدليل على خلافها من الكتاب نفسه ، بل من الآية عينها لان قوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية خطاب للنبي عليه السلام ومن معه ، بل لكل امام ومؤمنين في خوف ، ولست تنكر بل قد صرحت أن الامام في هذه الحالة - حالة الخوف - يصلي ركعتين مع كونه يقصر ، ولا يقال انه متم بعد أن تناوله الخطاب بالقصر كما تناول غيره من المؤمنين لقوله تعالى (أن تقصروا) فثبت أن الركعتين في تلك الحال قصر ، فاندفعت الدعوى بان القصر انما هو واحدة ، فالقول بان الواجب في الصلوات الخمس - في حالة الاتمام منقضى بناؤه لانهدام ما دعمت له من أساسه ، على أننا لو سلمنا لك ان القصر ركعة واحدة ، بل وفرضنا ان الكتاب نفسه - نص صريحاً على ذلك ، فاي تلازم هناك بين كون القصر أي مادون الواجب - على مقتضى تعريفك - واحدة وكون الواجب أقله ثنتان ؟ ولم لا يكون الواجب - مع هذه الحال - ثماني ركعات أو عشرة مثلاً لولا السنة ؟ على أنها لم تقدر للواجب حداً أقل أو أكثر ، بل بينت القدر المفروض بمعناه المشروع على سبيل الوجوب من الله تعالى ككون المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً بلا زيادة ولا نقصان

(١) قلت ان أول ما فرضت الصلاة كان النبي يصليها ركعتين ركعتين ، وأخذت ذلك دليلاً على انه عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين في ذلك الوقت الا لبيان انهما أقل الواجب ، ثم زاد عليها فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ونظمت ما اعتمدت في صحة هذا الاعلى حديث عائشة رضي الله عنها ، ولو أنك اتخذته حجة لك لانخذناه نحن حجة عليك قالت (أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر وزيدت في الحضر) فلم تقل أنها أول ما فرضت كان عليه السلام يصليها ركعتين ركعتين « حتي يفهم من قبلها أن

اقتصار الرسول اذذاك على الركعتين كان من عند نفسه لبيان أنهما أقل الواجب، بل قالت أنها فرضت أولا ركعتين، وهذا صريح في أنها فرضت بعد غير ذلك «أي ركعتين وثلاثا وأربعا» وأكدت هذا المراد بقولها فأقرت في السفر وزيدت في الحضر، ولا سبيل للقول بأنها زيدت أي فوق القدر الواجب، بعد قولها «فرضت ركعتين» ولا للقول بأنها أقرت في السفر أي اكتفي بها لأنها القدر الواجب مطلقا، مع العلم بان النبي عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين المشروعتين إبان السفر، بل كان يزيد عليهما من التوافل ما تعود أن يزيد في الحضر، فتعين أن يكون المراد بقولها أقرت في السفر أن فرضها كان اثنتين بلا زيادة واجبة، وكونها زيدت في الحضر أن الزيادة التي بلغت بها الصلاة ما فوق الركعتين واجبة كلها بلا نقص فيها، أما ما استعرضت على قبلك من الشبه وتكلفت الرد عليه فانا نهنئك منه

(٢) رأيت أن قصر الصلاة مخصوص بالخوف بناء على أن قوله تعالى (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) قيد لا يجوز التفات منه، فكل ما كان في غير الخوف - ولو في سفر - فهو آثم، فصلاة النبي عليه السلام في السفر - ولو كان قصيرا جدا - ركعتين ركعتين لم تكن قصرا بل اكتماء بالواجب إذ كان القصر مخصوصا بحالة الخوف

ونحن لا نعارض في أن الآية صريحة في اباحة القصر عند الخوف، بل ولا نص خاص في الكتاب على اباحة القصر في غير تلك الحال، ولكن عدم النص على شيء من الكتاب لا يدل على عدمه مطلقا، فقد نصت على ذلك السنة، ومقامها من التشريع ما قد عرفت، ونعارض في كون الآية قيديا، بل نقول أنها لمجرد بيان الواقع والحال التي كان عليها النبي عليه السلام وأصحابه يومئذ، ولست فنسك أن مثل هذا كثير في الكتاب نفسه من مثل قوله تعالى (وربأبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) فان الرائب محرمات مطلقا، وكونهن في الحجور ليس قيديا أصلا بل هو لمجرد بيان الواقع، وقد سئل النبي نفسه فيما سألت فيه، فاجاب عليه السلام بما أجبت به، وإذا حاولت أن لا تقتنع

يكون هذا القيد لبيان لواقع ، ولم نشأ أن نخرج هذا الخبر حينئذ بمثله من الآية
نفسه سبقتنا بالإشارة عفووا الي أنه ليس قيدياً ، بل هو لمجرد بيان الوقع حيث
قلت (فصلاة الا امام في الخوف ركعتان الخ) عند ما أوردت قوله تعالى او اذا
كنت فيهم فامت لهم الصلاة) الآية ولم تقيد بكون هذا الامام هو النبي عليه
السلام لا غيره كما هو ظاهر هذا القيد (اذا كنت فيهم) فاذا قلت ان صلاة الخوف
عامة كما هو ظاهر كلامك - لزمك أن تقول ان هذا القيد لا مفهوم له بل هو
انما كان لمجرد بيان الواقع ، واذا أبيت الا أن يكون له مفهوم أي أن مقيد
صلاة الخوف يجب أن يكون هو النبي لا غيره . اذا كان قيام طائفين من المصلين
في خوف مقيدا بكون النبي فيهما - لزم أن يكون قولك (فصلاة الخوف للامام
- مطلقا طبعا -) لا مفهوم له

وأما صلاته ركعتين ركعتين في السفر فسلم ، ولكن كون ذلك اكتفاء
بالواجب أي ليس قصرا غير مسلم ، وكيف يكون ذلك اكتفاء بالواجب مع
ملازمته في غضون أسفاره للنوافل التي لا خلاف بيننا وبينك في انها فوق
الواجب أي انها من التطوع المتبرع به ؟؟؟ ولو انك أنكرت ملازمته عليه السلام
لنوافل اثناء سفره فقد أنكرت لزوما اقتضاه «في المفروضة» على الركعتين لان
مصدرها واحد .

ومما لا يحسن تركه هنا انه عليه السلام لم يصل المغرب ركعتين أبدا في
حضر أو سفر ، بل واظب على صلاتها ثلاثا في الحالتين جميعا ، ولو كان اقتضاه
على الركعتين في السفر اكتفاء بالواجب - لاشيا آخر - لما كان هناك موجب
لتمييزه المغرب عن بين اخواتها باقامتها ثلاثا ، بل لا كفي فيها بثنتين في
ضمن ما اكتفى

(٣) استدلت على ان ما بعد الركعتين (في الثلاثية والرابعة) زيادة عن

القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة .

ونقول ان عدم الجهر بالقراءة في الركعة ليس دليلا على عدم وجوبها ، والا
لزم ان تكون صلاتا الظهر والمغرب غير واجبتين رأسا ، لانه لا جهر فيهما أصلا

علي ان الجهر وعدهه ليسا من الفروض التي لا تقوم الصلاة الا بها ، بل هما من الهيئات التي لا تختل هي بدونها ، وأيضا فان قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة ليس دليلا على وجوب ماقرأ فيه ، كما ان عدمها ليس دليلا على عدمه ، والا لكانت كل النوافل التي صلاحها النبي عليه السلام مقفيا على أثر الفاتحة فيها بشيء من القرآن واجبة ولكنك معنا لا تسلمه . هذا وقراءة قرآن بعد الفاتحة ليس مما تثقف عليه صحة الصلاة مطلقا ، بل المطلوب الذي هو ركن في الصلاة بحيث تختل بدونه هو قراءة قرآن لقوله تعالى (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) وقد قدره أبو حنيفة بآية ، وعينه الشافعي بالفاتحة كلها لما وصل اليه وضح عنده من نحو قوله عايه السلام « لا صلاة لمن لم يقرأ بأيام الكتاب » ولا خلاف في ان ما بعد الفاتحة ليس ركنا من الصلاة وان ورد انه الاكمل في الركتين الاوليين من الصلوات الليلية ، وكونه الاكمل فيهما لا يستدعي ان ما بعدها ليس واجبا .

« ٤ » استدلت أيضا على ان القدر الواجب ركعتان بعدم ملازمة النبي عليه السلام لعدد مخصوص من الركعات (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) اذ كان ثارة يزيد وثارة ينقص وكذلك باختلاف عدد الركعات التي كان يصلها في الاوقات المختلفة من اليوم ككون الصبح كذا والظهر كذا (المفروض والمسنون معا) ولكن الملاحظ انه ما صلي أبدا أقل من الركتين ، ولم يتقيد بعدد مخصوص فوق ذلك فتعين ان يكون القدر المفروض ركعتين ليس الا

وقول ان العبادات كلها وفي جعلتها الصلاة منسقة الى فرض محتم ، ونقل متطوع به ، ونحن لانكلف أنفسنا هنا حشد الأدلة على ذلك اليك ، ولا نرانا نعيما بأن نسوق — ان ثبت — ألف دليل ودليل من كل مصدر ترى فيه مقنعا ، واذا أبيت التمسنا ذلك من كلامك ،

قلت في عدة مواضع (ان أقل الواجب ركعتان) والواجب رعاك الله لا يكون فيه أقل وأكثر ، اذ لو كانت الركعتان هما الواجب المطلوب حتما من اليد الذي يخرج بادائه من عبدة التكليف فلا يتصور ان يكون ما زاد عليهما واجبا ، والا لكان المتنصر على الركتين غير قائم بالواجب وأنت لا تسلمه ، ولو كان الاكبر

من الركعتين كالثلاث أو الأربع هي كلها الواجب، لكان المقتصر على الركعتين كذلك مقتصرا على مادون الواجب، فيكون كذلك غير قائم بالواجب وأنت أيضا تعارضه، فتبين أن يكون المراد بقولك (أقل الواجب ركعتان) أن الركعتين هما الواجب الذي لا يجوز للمسلم أن ينقص منه، وأن ما فوقهما فوق الواجب وبعبارة أخرى أنه ليس واجبا، بل قد صرحت بهذا المراد في قوله (فمن عرف أن الواجب عليه ركعتان فصلي أربعاً شكرناه الخ) وإذا كان القدر الواجب المفروض من الله هما الركعتان ثمين أن يكون كل ما زاد عليهما نفلا أي زيادة متطوعا بها، ولا عليك أن تسمى سنة ولا علينا أن نسميها زيادة أو نفلا. بل الذي يهنا أن هذه السنة أو هذا النفل أو هذه الزيادة غير الفرض أو الواجب، فقولك (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضاً) يجب أن تصرف النظر عنه لأن الصلاة بذاتها صرفنا النظر أو لم نصرف أما سنة وأما فرض امتاز كل منهما بنفسه.

وأما من حيث وقوع الزيادة والنقص إذا سلمناها فهي لم تقع أصلا إلا في الذي امتاز بأنه النفل، إذ المتفل أو المتطوع له أن يزيد على تطوعه أو ينقص منه أو لا يقوم به رأسا، مادام عمله في ذلك مجرد اكتساب المثوبة، لا الفرار من العقوبة، وأولئك الذين نقلت عنهم أن النبي عليه السلام كان قارة يزيد وتارة ينقص - في النافلة طبعا - قد نقلوا إلينا تقلا متواترا لا شبهة فيه أنه لم ينقص شيئا (عمدا) ولم يزد على القدر الذي امتاز بأنه الفرض المشروع، بل واظب صلى الله عليه وسلم طول حياته الكريمة على إقامة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاثا (إلا في خوف أو سفر) لأن نقص الفرض التمسى ضربه الله على الناس والزيادة فيه تلاعب بما فرضه الله وحده، ومن ثم أجمع السكك على بطلان صلاة المصلي على تلك الحال كما قلنا، والملاحظة - إذا لم يكن منها بد - يجب أن توجه إلى كون النبي عليه الصلاة والسلام لم يلزم في بعض الصلاة - أي النفل - حالة واحدة، بل كان تارة يزيد وتارة ينقص، فدل ذلك - في جملة ما دل - على أنها ليست فرضا محتوما من الله، وكونه لازم في بعضها - أي الفرض - حالة واحدة متقيدا بمدد مخصوص لم يزد عليه ولم ينقص منه إذ صلى دائما في

المكتوبة (الافي خوف أو سفر) الصبح ركعتين، والظهر والعصر والمشاء أربعاً،
والغرب ثلاثاً، فدل ذلك - في جملة ما دل - على انها القدر المفروض الذي
لا مفر شرعاً منه، ولا متنكب لمسلم عنه، مصححاً هذا النقل بشهادة كل الأمة،
توارثوه عنه عليه السلام جيلاً بعد جيل، وتناقلوه قبيلاً بعد قبيلاً،

باب التبرير والتعلم

﴿ خاتمة كتاب أميل القرن التاسع عشر ﴾

من الدكتور وارنجتون الى زوجته

عن لوندرة في ١٥ مايو سنة ١٨-

شهدت بالأمس أيتها الحبيبة العزيزة عيداً أهلياً أقامه الدكتور أراسم وزوجته
احتفالاً ببلوغ ولدهما الواحدة والعشرين من عمره وكان عددنا اثني عشر صديقاً.
كان العيد وليمة رجال زانتها المهابة والوقار ولم يمنع كونها كذلك من انتماش جميع
قلوب المدعويين ابتهاجاً وسروراً وفي ختام المائدة ابتدأ رفع الاقداح لتعاطي الراح
على محبة «أميل» فقام أراسم واستأذن في أن يقرب نخب ولده وما رأيته في حياتي
أفصح مقالاً منه حينئذ فقد أفاض في القول عن الفروض التي تجب على الشاب
في معيشته القومية وعن التربية ووجوب أن تكون عمل كل منا في جميع حياته وعن
الازمان الحاضرة واقتضائها من الفكر أن يستمسك بالآراء المؤسسة على البحث
والاختبار وان يثبت عليها وبالجملة فليس في وسعي أن أودى اليك أثر هذا
الخطاب الأبوي الذي كانت مزينة الكبرى أنه لم يكن كخطب الخطباء
وما فرغ منه حتى اتجهت جميع الابصار نحو «أميل» وأنت قد استطعت
من منذ عوده من انكأرا ان تعرفي ماهو متحل به من ثبات الرأي وعلو الآداب
وسعة المعارف فشكر لاصدقاء أبيه أن تفضلوا باجابة الدعوة الى هذا العيد البيتي
الحقير بمبارات تشف عن لطيف ذوقه ومزيد تواضعه ثم ارتقى الى الكلام عن

بعض المسائل العامة فينب الخطة التي يؤمل أن يسير عليها في الناس بألفاظ جلية مؤدية تمام المعنى

وقد أحسن كل من سمع قوله بأن جميع ما فاه به صادر عن فكره المستقل ثم تعاقبت الكؤوس ونوات الانتخاب وبينما كنا على أهبة القيام من المائدة التفت «أميل» إلى والديه وأذنهما بأن لديه خبرا يريد أن يعطيهما إياه وقد لونت جبينه حينئذ حمرة الخجل مع أن ملامح وجهه كلها كانت تعرب عما فيه من ثبات الرجولية

ما كان أشد دهشي ودهش الحاضرين إذ سمعناه يقول بصوت قوي على ما فيه من الاحتشام أنه من الامس متمق مع دولوريس على الزوج بها ثم أعقب هذا الأخبار أن أنجني امام والديه قائلا «هل لي أن أرجو منكما استحسانكما لهذا الاختيار»

هنالك غشيت وجني الفتاة السمراوين سحابة من حمرة الخجل وأغضت عينيهما فلا لآت بين أهدهما السوداء الطويلة عبرات الفرح والهناء لم تجده السيدة هيلانه جوابا لمسة ابنيها الا اكباها على عنقه تقبله وقد كادت تخنق سرورا واغتيطا وأما إراسم فانه مع تأثرة مثلها مما سمع من والده كان أملك منها لمواطنه . أجاب والده بصوت ينبي عن سكينته ووداعته فقال : «إذا كنت تحبها فهي ابني» ثم قبل هذه الفتاة الحسناء بصدر منشرح ونفس منبسطة في خلال هذا المظر المؤثر طرق البريد باب الشارع طرفتين فاضطرب كل من في البيت وكان يحمل رسالة كان يرى من غلافها أنها آتية من بلاد بعيدة . كانت هذه الرسالة «لأميل» فاستأذن في فض ختامها لأنه مالمث أن عرف في عنوانها خط قويدون وقرأها وكانت بالانكليزية الركيكة - انكليزية زنجي - فاذا هي تتضمن تهنية من هذا الأفريقي البار «لأميل» بهيد ميلاده ورجاءه كما هي العادة في عود كثير من أمثاله عليه بالغبطة والهناء وتشتمل فوق ذلك على خبر سار وهو أن الزروع التي زرعت في أرض «لولا» قد نجحت بفضل حدقه وحقن زوجته وانهار بما كملت لها صداقها عند الزواج

اني على جذلي باغتياط أصدقائنا محزون لثفكري في مفارقتهم لنا لان هذه
الولاية العيديدية كانت وليمة وداعي أيضا فهم راجعون الى فرنسا حيث يدعوهم
اليها ما وقع فيها أخيرا من الحوادث السياسية وحب مسقط رؤوسهم واني مشيعهم
بأحسن آمالي لهم لست أنسى كلمة من كلمات إراسم الاخيرة التي فاه بها عند
مصافحتنا بصوت ملو الوقار والهيبة وهي قوله : « على كل من أن يسمى في جعل ولده
رجلا حرا فاننا بذلك نجث جرائم الشرور المحزنة للامة ... اه

فرغ من تعريب هذا الكتاب المفيد قبيل ظهر يوم الاثنين أول جمادى الثانية
من سنة ١٣٢٤ للهجرة النبوية الموافق للثالث والعشرين من شهر يولييه سنة ١٩٠٦
للميلاد المسيحي وقد عزمت بحول الله على جمعه وطعبه كنا بامسنة تقلا أسأله سبحانه
التوفيق والهداية للرشد
المعرب عبد العزيز محمد

استدراك أو تصحيح

سقط من المکتوب العاشر الذي نشر في الجزء الماضي نبذة موضعهما بين السطر
التاسع والعاشر من ص ٧١٦ وهذه هي بنصها :

اذ قال : لكن لن يعدم المغلوبون سلاحاً فالذي يبقى من السلاح في أيدي
الأمم المغلوبة هو الخطابة وبث الافكار والمقاومة المعنوية وان تخضع الحكومة
رعيتها ماداموا لا يستكينون للخذلان نعم انها تستطيع في ليلة واحدة ان تسلب
حقوقهم وأموالهم وتمدم من يسخطونها منهم وترهب انذالهم وتخذع جهالهم
واكن هيات ان يكون هذا هو ظنرها النهائي بهم عنوة . لا انظر بهم الا متى
ازهقت روح الكرامة الانسانية من نفوسهم . الامة الجرة وهي أمة المستقبل تزيد
وتنمو في ظل حكومة الاستبداد وسندنصر اذا تقوت بما نكسبه من المعارف وما
يوجد فيها من عواطف الانصاف التي تخلص اليها من البحث في حقائق الامور
وبها تستفيده من القوى التي يختملسها العلم من الطبيعة

لا ريب في انه ليس كل واحد من الناس مخلوقا لان يودي عملا سياسياً فلا بد
فيه من ملكات وميل خاص ولكن لسكل انسان بل عليه ان يرتأي لنفسه رأيا في
مصالح عصره وبلاده ولست ملزما بان تأخذ بشيء من ماضي ولا من آرائي فكل

جيل مستعد لان يعمل عمله بنفسه وملزم بان يسترشد فيه بما يستجد من حاجات
أمنه وانا عليك ان تعلم انه لا يكفيك ان تطعن في الاوضاع القديمة لهدم بنيانها
بل لابد ان يثبت لك العلم كذبها أو عدمها واذا أردت ان تظفر بخصمك

الدعوة الى المدرسة الجامعة

هذا ما كتبه اللجنة التي كانت انعقدت في دار سعد باشا زغلول ونشر في الجرائد

وهو من إنشائه

ظهرت بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم
انتشارا في جميع طبقات الامة ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم
فانه غير كاف للقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف
لا تفي بمطالبها ولذلك التجت الحكومة لان تحرك همم الافراد وهزم من غيرهم
لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها وتسا بقوا الى الا كتاب في انشاء
المكاتب وأقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم تمودهم على القيام من أنفسهم
بمثل هذه الاعمال فانه لا يمر يوم الا وترى فيه انشاء مكتب جديد في جهة من
جهات القطر ولا يبعد أن نرى عما قليل ان هذا الفراغ قد نما وأزهر فتعجبي
أولادنا ثماره ولكن من الالاف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيرا بنشر
التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل أهملوه إهمالا تاما
ولا نشك في أنهم انما اهتموا أول الامر بما رأوا أن الحاجة شديدة اليه وأنهم
لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هناك نقصا في التعليم
يجب عليها سده وتردد في خواطر كثير من أفرادها منذ عشر سنوات تقريبا
انشاء جامعة وأخذت هذه الفكرة مكانا عظيما من اهتمامهم حتى شرعوا عدة
مرات في تحقيقها غير أنهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى
يخرج من عالم الامل الى عالم العمل

في هذه السنة هب في الرأي العام تيار من نفسه لتحقيق هذه الامة لان

الامة اتبعت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائره ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصرت فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بدیعة واخبارات كثيرة ما شغلت ونشغل عقول كبار العلماء في أوروبا ولا يصل اليها الا صداها الضعيف فمنها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالبيئة الاجتماعية وما يبحث فيه عن لفة الانسان وعن الآداب والفلسفة والشريعة والتربية وكل ما يهم ماضي الانسان وحاضره ومستقبله هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئاً منها ولا يهتم بما كمل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال وأبغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الأورباويين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن التعليم يجب أن يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان أمتنا لا يمكنها أن تمد في صف الامم الراقية لمجرد أن يعرف أغلب أفرادها القراءة والكتابة أو أن يتعلم بعضهم شيئاً من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة بل يلزم أكثر من ذلك

يلزم أن شباننا الذين يجدون في أوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعداداً يصمدون بهتولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الامم الذين يشغلون آناء الليل وأطراف النهار بالهدو والسكينة لاكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم هذا هو العمل الذي نريد أن نشرع فيه ونطلب المساعدة عليه من جميع سكان القطر

نحن نعلم أن عمل الحكومة وحده لا يفي بكل حاجتنا وأنه مهما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الافراد لها ولذلك نأمل أن يسمع نداءنا كل ساكن في مصر معها كان جنسه ودينه

ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليه ولذلك وجب علينا

أن نبين بالأجمال المقصود منه

(أولاً) ان الجامعة التي نريد انشاؤها هي مدرسة علوم وآداب تفتح أبوابها

لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه

(ثانياً) ليس لهذه الجامعة صبغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا

المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما ليس بها على أي وجه كان

(ثالثاً) ان اشتمال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي المالي

والتجريبي والابتدائي وان كان من أقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في

تحقيقها عاجلاً أو آجلاً ومن ضمن ما ترمي اليه غايتنا متعذر الآن لانه يكون

مشروعاً جسيماً جداً وتنفيذه برمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالا ونظامات

لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بد من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يمكن

عمله وتقديم ما الحاجة اليه اشد من غيره

نرى أن التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد

بمقدار ما يفي بحاجاتها على حسب الامكان ويظهر أنه يمكننا بدون أن نخشى

ضرراً أن نؤجل الاشتغال بهذه الأنواع الثلاثة من التعليم وان نوجه جميع مساعينا

الآن الى تأسيس دروس عالية مما لا وجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه

دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم وتهذب

عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في أنواع ما يتلقون منها

دروس تؤخذ عن أساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي أوروبا تحت

ادارة لجنة علمية يرأسها رجل من أهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة

للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها وأهميتها يتعلق بما يكون للجامعة

من الأيراد

(رابعاً) يلزم أن يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون أسماءهم

في دفاترها ويلازمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويمتحنون فيها

ويحصلون على شهادتها وتكون لهذه الشهادات قيمة أدبية مع الامل أن الحكومة

تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فانه يباح لكل راغب

في التعليم من غير هؤلاء التلامذة أن يحضر دروسا لها ليفقه في العلم وليقتبس منها ما يتم به كماله العلمي
 (خامسا) أن جمعية المكتبيين تاتخب لجنين احدهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بنوازم التعليم فيها والاخرى لجمع الا كتابات من المتبرين هذا هو مشروع أول من اكتبوا للأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجده البعض كبيرا عليهم محفوقا بكثير من الصعوبات التي اعتادت أن تقوم في وجه كل مشروع فقف به دون الغاية فنقول لهؤلاء انما سمدى جهدنا لتحقيقه وإذا سمدى كل سمدنا فلا شك في نجاحه لأنه لا معنى للنجاح في مثل هذه المشروعات الا أن يتحد الكل ويعمل الكل فكل يرأس يدعو الى الحبة وكل أمل يدعو الى النجاح على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطلوب فانا نرحو الله أن يوفق لانمامه غيرنا ممن وهب لهم همة أعلى وفكر أسمى وحزما أقوى وأملا أوسع

و بعضهم وهم الا اكثر برين مشروعنا جزئيا ليس له من الأهمية ما كانوا يرغبون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل بمقدار قوته وان التدرج في الاور اقرب الى النجاح فيها من الطفرة واتأني في السير أضن للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيه وتوسيع حاله فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيه بان في قوتنا أن نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضعنا أيدينا في أيديهم وسرنا جميعا متكافين الى تلك الغاية السامية والله ولي التوفيق اه

(الانار) ان اللجنة التي اجتمعت لأول مرة في دار سعد باشا زغلول ونشرت هذه الدعوة قد انتخبت أيضا الدعوة وحات سمدنا وكيل الرئيس الذي أرحي انتخابه ثم إن سمدنا عين ناظرا للمعارف العمومية فاضطر الى الاستقالة من الوكالة لان ما حدث له من الشغل الكثير يمنعه من القيام بكل ما تقتضيه ولكنه لا يزال يساند اللجنة وقد اخير قسم بك أمين وكيل اللجنة بمده وهو قريبه في الهمة وذا طريرحيه يكون الرئيس من الامراء وعلى الله المتكفل في نجاح العمل

أثر علي بن أبي طالب

كيف يكون النقد (*)

﴿ كلام في كتاب التعليم والارشاد ﴾

- مسائل شتى -

وقع نظري على كتاب ظهر في هذه الايام عنوانه « التعليم والارشاد » كتبه « السيد محمد بدر الدين الحلبي » قرأته فسرني ان مؤلفه كتبه بتفكر والمتشكرون قليل ولم يسؤني ان كثيراً من نتاج ذلك الفكر تأباه الادلة وتكره معارف العارفين لان المؤلف ليس أول واحد ذهل أو أخطأ بل بنو آدم شرع في وقوع الخطأ منهم ولا يخلص من مثل هذا إلا من أخلصهم الله من عباده المصطفين .
وسرني ان كاتبه لم ياب ان تنتقد آراؤه التي حررها فلماذا أقدمت على ما لا يسوؤه من نقد هذا الكتاب .

اشتهر عند الناس ان معنى النقد والانتقاد هو الذم والظمن وليس كذلك وإنما النقد هو التمييز وكشف خوافي الشيء وتعرّف الجيد والردىء فقد تنقد الشيء فتقول هو حسن وقد تنقده فتقول هو رديء . وقد تقول غب النقد ان فيه ما يصلح وما لا يصلح . وفوائده كثيرة أهمها حمل الكاتين على التحري والاجادة ومحاسبة أنفسهم على ما يكتبون وذلك مدعاة الكمال

والذين يقولون في آراء الناس هذا خطأ وهذا صواب قد كتب العدل عليهم ان ينظروا بالتي هي أحسن لقول الناس في آرائهم ولا أرى مؤلف هذا الكتاب إلا من أهل العدل من أجل ذلك أطمع ان ينظر الى قولي في آرائه بالتي هي أحسن .

(*) كتب هذا النقد صديقنا الشيخ عبد الحميد الزهراوي الحمصي نزيل القاهرة وهو صاحب مقالات (نظام الحب والبغض) التي نشرت في مجلـ المنار السادس والمقالات التي نشرت بتوقيع (ز) في المؤيد من عهد قريب وهو من العلماء المصلحين والكتاب الاجتماعيين

ولو كان خطأ المؤلف مما لا يحصى كعوض المؤلفات لما صرفت شيئاً من الوقت في نقد كتابه ولكن ما هنالك من ذهول أو خطأ نراه يمدّ والخطأ المحدود لا ينقص قيمة صاحبه .

وقد يكون الخطأ ما يحصى ولكنه كثير فلا يستطيع المحصي ان يحيط به كله وهذا شأني في هذا الكتاب فقد تتبعته فوجدت الخطأ فيه كثيراً ورأيت الاحاطة بالكل صعبة فاقصرت على المهم وهو في نحو ثلاثين موضعاً

ومن استكثر ثلاثين خطأ كبيراً في كتاب صغير كل ما فيه انه اسهب وأبدأ وأعاد في وصف حال التعليم قد يقول ان هذا الكتاب مملوء غلطاً فنقول لهذا ان الكتاب يشفع له اهتمام المؤلف بهذا الموضوع ومشاركة مؤلفه وهو أزهرى للذين ينادون على الأزهر بالعيوب وقد أسلفنا ان الخطأ المحصي لا يستدعي انصراف النظر وانما يستدعي التذكير وهو ما أردنا بهذا التحرير .

(التناقض الذي هو في الكتاب)

رأيت كثيراً من التناقض في عبارات المؤلفين ولكن لم أر أغرب مما في هذا الكتاب من التناقض لاني صادفت مؤلفين تطول عليهم المسافة بين موضع وموضع من مواضع الكلام فيأتون في كل موضع بكلام ينقض ما أبرموه في الموضع الآخر وههنا صادفت التناقض في الموضع الواحد والعبارة الواحدة وصادفته في صفحة والتي بعدها وصادفته فيما هو ابعد من هذا ولكنه بعد لا يعتد به

والذي أحاط به احصائي من مناقضات هذا الكتاب يجده المطلع كما وجدته في خمسة مواضع

— الاول —

ذكر في أول التمهيد في عبارة واحدة من غير انفصال ان وظيفة الدعوة الى الدين « غير موجودة » عندنا معشر المسلمين وفي العبارة نفسها ذكر انها « موجودة » وهذه عبارته (ص ٩) ليس يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة وفي (ص ١٠) لانعرف للدعاة اسماً عرفياً يخصهم عندنا نحن المسلمين « اذ ليس لهم وجود » حتي يضع لهم العرف اسماً لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة

من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى وانما أقول ان « هذه الوظائف الثلاث موجودة » عند أهل كل دين من الاديان .
هذه عباراته ولا أرى أحداً مهما ضعف فهمه يجهل ان بين كلمة « موجودة »
« وغير موجودة » تناقضا صريحا لا يحتمل التأويل ولا يحتاج لاقامة دليل .

— الثاني —

ذكر في موضع ان التعليم في مصر خير منه في البلاد الاسلامية كلها وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند أهل الشام وأهل العراق أحسن منها عند المصريين وهذه عبارته :

قال في (ص ٦٨) ومن ذلك ترى ان نتائج التعليم عندهم (يعني طلبة الاتراك) أحسن منها عند المصريين فالطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة اربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً عن اللحن وان وجد فقليلاً وان كتب فكذلك على حين ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ .

وقال في (ص ٦٩) ونتائج التعليم عندهم (يعني أهل الشام والعراق) أحسن منها وأوفر منها عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل .
ثم قال في (ص ٨٥) وانا كان هذا حال العلم والتعليم بمصر وهذه درجته في الاختلال وكان على علاقته بمصر خيراً منه في سائر البقاع الاسلامية من الشام والعرب والعراق والهند وتركستان وبخارا وقازان والروم ايلي والاناطول فكيف ترى حالة العلم في البلاد الاسلامية وهل شيء يساويها اعتلالاً واختلالاً
ثم قال (في ص ٨٨) ولقد كانت الحالة العلمية في البلاد الاسلامية وفي مصر بنوع أخص في درجة سيئة جداً

— الثالث —

ذكر في فصل خرج به عن الموضوع من كلام طويل في (ص ١١٣) أن المسلمين لا توجد فضيلة توجد في أمة من الامم الا وهي موجودة عندهم وما من رذيلة توجد

في المسلمين الا وهي موجودة عند الامم الاخرى وفي آخر العبارة الطويلة نقصها من حيث لا يشعر بقوله « فليس في الحقيقة من ذنب لهم سوى انهم فقراء أفذاذ لا رابطة تربطهم ولا جامعة تجمعهم » بل قد نقصها بكتابه كله من اوله الى آخره لانه ناطق بمبلغ الجهل الذي وصلوا اليه وليت شعري أي عيب أكبر من الجهل واية أمة من أمم أوربا يشينها من الجهل ما يشين هذه الأمة المسكينة ، أليس هذا المؤلف نفسه يقول (في ص ١١) : ان وظائف التعليم والارشاد والدعوة أصبحت ممثلة بمختلة فماذا يصلح الفساد اذا فسد في الأمة أهل هذه الوظائف - كما يقول - وهم الملاح ؟ أليس المؤلف نفسه يشكو من هذا الفساد العام ؟ أما هو القائل (في ص ٤١) : وأصبحت مصالح العباد مهجورة والحقوق مهدرة والمستجير بأحدهما (يعني القانون الوضعي والقانون الشرعي) كالمستجير من الرمضاء بالنار . وشرح الحالة الحاضرة بأزيد مما اشرفنا اليه مشكل جداً والبصير اذا التفت عن يمينه مرة وعن شماله مرة أخرى عرف مقدار الشر والفساد الواقعين على رؤوس العباد : هذا قوله أفلا يجد المرء فيه جواباً على سؤاله الطويل الذي قال فيه : لو بسطنا صفات الكمال واحدة واحدة وسألنا المنصف ان يذكر لنا أي صفة من هذه الصفات تجرد عنها المسلمون لم يجده واحدة يقال انهم قد تجردوا عنها . . .

كلا بل يجد جملة لا واحدة وكتابتك يا صاحبنا شاهد على البعض من هذه الجملة . وكتابتك كله ينقض قولك هنا ولقد أجدت في هذه الخطبة التي اسببت فيها ولكن فانتك النظر الي سر هذا الفقر الذي ذكرت . وسبب هذا التمزق الذي حدثت . وليس هذا هو الذنب كما قلت بل هو من آثار الذنوب . ومن نتاج العيوب . وأبو الكل الجهل وكفى

- الرابع -

قوله (ص ١٦٤) في علم التوحيد انه من العلوم المضرة وانه يجب تركه والاعراض عنه كلية وقد سبق قوله فيه (ص ١٣٤) انه والفقهاء العلمان الوحيدان المقصودان لذاتيهما وكل ما عداها من العلوم قائم هو وسيلة اليهما أو وسيلة لما هو وسيلة اليهما وقال (في ص ١٣٥) اذا تدبرت هذه المقدمة التي ذكرناها لك علمتان جميع أصناف

العلوم الشرعية كلها آلات لعم الفقہ والتوحيد وليس غيرها بينهما من علوم المقاصد .

- الخامس -

قال (ص ٢٢٠) في المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده أنه كان ذا تقرير في أمر العلوم الشرعية ومبالغاً في قلة العناية بها . وتقضه بقوله فيه (ص ١٢٢) انه اشتغل مدة حياته باحياء العلوم الاسلامية .

هذه هي المناقشات الصريحة وما نظها وقعت منه الا ذهولا ولئن أزعج هذا الاتقاد نفس المؤلف فان الانزجاج في مثل هذا نافع فمن وطن نفسه على حرارة الاتقاد فكانت علاجاً لذهوله كان ذلك خيراً له من الابهاء وطموح الشهوة بالنفس الى طلب حلاوة التقرير التي قد تضر بصحة النهي والله ولينا وبه الاستهداء وكلنا يقع منا الذهول وقد سلف هذا وانما أعدناه قوماً لعادة النفس فمن شأنها الابهاء على المذكرين ومع هذه المناقشات الخمس ترى في العبارات التي حوتها كثيراً من الخطأ فنعده

تابعاً لما قبله

(الخطأ السادس والسابع)

- الثامن والتاسع -

كلها في قوله (ص ٩) انه لا يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة (١) ففي نفي الشك من كل أحد بهذا المعنى خطأ لانه ليس من اللغابي التي يجزم كل أحد بها جزماً باتاً عاماً لعدم الاستقراء (٢) في دعوى وجود هذه الوظائف الثلاث في كل دين خطأ لانه ان قصد ان الاديان نفسها تنص على هذه الوظائف الثلاث فذلك غير صحيح لان ديننا وهو الذي يصح لنا وله ان ندعي المعرفة فقط نجده على أمره بالدعوة والتبليغ لا ينص على هذه الوظائف الثلاث لا باسمائها ولا بالتفريق بين معنى واحدة والاخرى وأظن ان المؤلف لا يعرف ديناً آخر غير هذا الدين فلم أدر كيف حكم على الاديان كلها وهو يجهل أسماءها دع عنك ما تتطلب عليه . وان قصد ان هذه الوظائف الثلاث موجودة في الواقع عند أهل كل دين فهو كذلك غير صحيح وقد شهد نفسه أن وظيفة الدعوة غير موجودة عند المسلمين وليعلم أنها غير موجودة عند اليهود فكانها رأها موجودة عند النصارى

ظن انهام موجودة مع تينك الوظيفتين اللتين سماهما عند أهل كل دين (٣) وفي تفرقة بين وظيفة الحملة والمرشدين خطأ لأن الحملة ان أدوا ما تحملوا يكونوا قد أرشدوا أو دعوا وان لم يؤدوا لم تكن لمعرفتهم ثمرة فليسوا أصحاب وظيفة والمرشدون والدعاة اذا كانوا علماء فهم من الحملة وان لم يكونوا من الحملة لم يكونوا من المرشدين ولا الدعاة بل من العاشين الوضاعين المفترين على الدين - كما وصفهم هو - والغش والاضلال والافتراء على الدين متى كانت وظائف في الدين ؛ و(٤) في ايها الناس ان المؤلف يعرف كل الأديان خطأ كبير . وهناك خطأاً منحصيه عليه وهو التكرير في قوله « لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى » فليتأمل وليتأمل معه من يشاء ممن يكابر في ان هذا ليس بتكرير . ففي هذه العبارة الواحدة ثلة من الخطأ بل يكاد اذا ضمنا الى ما ذكرنا هنا التناقض الذي أو ضحناه ان يكون في كل كلمة من كلماتها خطأة وهي أول عبارة في التمهيد .

(الخطأ العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)

- والرابع عشر -

(١) في قوله (ص ٦٨) ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين و(٢) في قوله ان الطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة أربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً من اللحن وان وجد قليلاً وان كتب فكذلك . و(٣) في قوله ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ . و(٤) في قوله (ص ٨٥) « ان حال العلم والتعليم في مصر على اعتلاله خير منه في سائر البقاع الاسلامية . وفي قوله « ص ٦٩ » ان نتائج التعليم عند أهل الشام والعراق أحسن منها وأوفر عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل . و(٥) في ادعائه ان هناك نتائج حسنة لهذا التعليم مع مناقضة هذه الدعوى لكتابه كله من أول الى آخره . قد سلف التنبيه على ما في هذه الجمل من المناقضات والآن نبين ما فيها من الخطأ في هذه الاحكام التي ادعاها

أما قوله ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين فغير صحيح

وأكثر ما يوقع صاحبنا في الخطأ المعجلة في الحكم في الكليات مع عدم الاستقراء البتة فان كان صاحبنا لم يزر الأستانة وهي أكبر بلد من بلاد الأتراك الجامعة لمعاهد العلم الكبرى فالبلية عظيمة في ان يحكم على الشيء من غير معرفة البتة وان كان قد زارها وعرف حال الطلبة هناك ثم حكم هذا الحكم فالبلية أعظم

إن العاجز محرر هذه السطور قد أقام في الأستانة سنين وسبر طبقات الناس فيها ومنهم طبقة الطلبة وأساتذة الطلبة وكنا منذ سنين نكتب ما نعلمه في موضوعه هذا من أوله الى آخره في المعلومات وغيرها من الصحف المنتشرة منها مقالات في العلم والتعليم نشرناها في ثمرات الفنون بفسير امضاء فالذي نعرفه يخالف ما حكم به صاحبنا بيد أن الفرق بين رأينا ورأيه هو أن أحدهما مبني على التروي وشيء من الاستقراء والآخر ليس كذلك فأحدهما هو الذي يفلج في ظن القاريء أنه الصواب فأيهما رأي صاحبنا ؛

قبل كل شيء نقول لصاحبنا ولبن يتلو مقالنا هذا ان التعليم فيما أعلمه من البلاد الاسلامية كله رديء - وأعلم منها حق العلم حال أكثر بلاد الشام وعاصمة البلاد المصرية وعاصمة بلاد الترك وأعلم بعض العلم شيئاً من حال التعليم في العراق وفارس والافغان والهند وتونس وقفقاسيا ولا أعلم حاله في الجزائر ولا في المغرب الاقصى ولكنني أظنه أردأ وأرذل . أقول كله رديء بحيث لا يصح ان يقال أنه في بلد خير منه في بلد أخرى . ثم أقول إن مقاله المؤلف من أن الطالب التركي يتعلم العربية في أربع سنين بحيث يقرأ صحيحاً ويكتب صحيحاً إنما يصح اذا كان هذا كرامة من كرامات الاولياء لبعض المعلمين أو المتعلمين والكرامة كما يعرفها الناس خارقة للعادة فاذا لم يكن ثمة من كرامة ورجعنا الى العادة فالعادة أن الطلبة في الأستانة ولا أرى عددهم يقل عن خمسة عشر ألفاً لا ينبغي فيهم خمسة عشر طالباً في كل خمس عشرة سنة يقرأون قراءة صحيحة أما من يكتبون كتابة صحيحة فتطالب صاحبنا بواحد منهم في كل خمسين سنة نسامح المؤلف في كل شيء اذا كان يهدينا الى كاتب مجيد باللغة العربية من طلبة الأتراك من خمسين سنة الى الآن . لعمرك إن في قوله هذا مبالغة لأعرب منها إلا المبالغة الثانية عند مقابلة المصريين بهم بأن المصري لا يحصل في عشر سنين ما يحصله التركي في أربع .

ربما رأيت ان الطالب المصري لا يحصل المطلوب في عشر سنين على هذه الطريقة

العوجاء ولكن الذي لا أراه هو ما صنعته المؤنث بهذه المبالغة عند المقابلة بين المصري والتركي .
على أنني مع هذا الإنكار لأدخل في المفاضلة بين ذكاه التركي والمصري وإنما المناقشة بصدد
طريقة التعليم لهذا وذلك وهي عوجاء هنا وهناك فلم هذا التفريق العظيم والشأن واحد .
وكذلك غير صحيح قوله : « ان نتائج التعليم في الشام والعراق أحسن منها في
مصر لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل » :

فأما الشام ففيها نشأتها وأياها سبرنا وما عهدنا للناس هناك طريقة غير طريقة
المصريين في تعليم العربية والدين وهما اللذان يريدان المؤنث اللهم إلا نفرأ أكرمهم
الله واحتصمهم بعناية منه نشأوا في التعلم على غير ما ينشأ الأقران ، فاقنطفوا شيئاً من
ثمرات العرفان في قليل من الزمان ، ثم استنارت عقولهم فبرزوا الصحيح من الفاسد ،
والراجح من الكاسد ، وهؤلاء قليل والقليل هداك الله لا تبني عليه الاحكام العامة ،
ولا تم به المقارنة التامة .

نعم تمتاز الشام - ونرجو مثل ذلك لمصر - بأنها ليس لها أزهر تحشر فيه هذه
القطعان وإنما يتلقى الطلبة هذا العلم هناك على أستاذ في منزله ان كان من أصحاب البيوتات
الكريمة والمظاهر الفخيمة أو في حجرة من حجرات المدارس ان كان الأستاذ أقل
من ذلك مظهراً وقد نجد بعض العلماء يلقي دروساً في هذه العلوم على من يشاء في
محل من حانوت تجارته ان كان من التجار وذلك لان العلماء في بعض بلدان الشام
يحترفون بالتجارة وينفرون من البطالة أو الارتزاق من الاوقاف نفرة الأزهر من
الخافة وتراهم فلا يهملونك منهم التمييز بالعلامة كتوسيع الاكام وتظيم العمامة وجملة
القول ان لا فرق بين البلدين الا بالأزهر والتقلد من الحواشي في الشام واما التحصيل
وعدمه فالحصل في الشام كالحصل في مصر لا يفضل في المقصر في الشام كالمقصر في
مصر لا ينقص عنه ، والحصلون قليل في البلدين ، والمقصورون فيهما هم الاكثرون .
واما العراق فقد خالطنا كثيراً من فضلائه المطلقين على الأحوال فانبأونا بأن حال
التعليم هناك كحالته في الشام حذو العين بالعين ، وانه لا فرق في شيء من هذا بين البلدين ،
والادلة من الواقع تؤيد ما سمعنا منهم فقد رأينا جملة من حملة العلوم هناك جملة من
الكتب في جملة من فنون العلم فالتينا مارأينا كما سمعنا وبعد فقد عرفت أيها القاريء
انه لا طلبة الشام والعراق والترك يفضلون طلبة مصر كما قال ولا طلبة مصر يفضلون
طلبة كل البلاد الاسلامية كما قال والله أعلم بالخال والمآل (لالتفاد بقية)

* * ديوان الرافي * *

قال في أول باب التهذيب والحكمة من قصيدة في حال مصر الاجتماعية

على أي دهر مصر لا تندم	وفي أي دهر مصر لا تنظلم
بنوها بنوها أيما تك صدمة	تقلبهم للجانبين فهم هم
وما يتقون البؤس لكنهم متى	تمض بهم انبابه يتألموا
ويطرهم عهد الرخاء فان مضى	فسهل عليهم بعد أن يتندموا
كذي مرض في جاهلي الطب ان يعش	يمذبه أهله والا ترجوا
وما برحوا إن خاذلتهم غنوتهم	وأعمالهم مدوا المنى وتوهموا
وان سقت آراؤهم في ملية	تحمّل فيها الظن والظن أسقم
فرادى وأحداث الزمان جميعة	وقد علموا سر الزمان وعلوا
فن حادث في حادث عند حادث	كأنك للأحداث يا مصر معجم

* *

ومما يزيد الهم لهما وحسرة	تصايح فتیان بنا أن تقدموا
فصبحتك اللهم بلبت قومنا	فما يفهم المسكين فينا المنعم
يريدون أن يجري الى مرتقى العلا	رجال ضعاف ان جروا يتخطوا
ويبقون ان نرقى وهاتيك حالنا	وما عندنا الا للأسفل سلم
كن يكره الاطفال ان يحفظوا الذي	يكلمهم من قبل ان يتكلموا
ومن أوقر السفن المناع بمصنع	ولسا يتموها فكيف نعوم

وقال من قصيدة غزلية

كم تجنى التي أحب وعندي	أن بعض العصيان كالطاعات
ان رأني يدق ناقوس قلبي	من جناها كدقة الأموات
فهي ظلمة الليالي اذا ما	غشت الارض والسما هفتواتي
أوليس الظلام يعقبه الصبح	وعمى الآيات بالآيات
غير اني لو كانت الشهب أقلا	مي وكان الظلام جبر دواتي

ووصفت الذي أقاسى من الحب وكان الوجود من صفحتي
 لا تطوى الكون ثم أبصرت في آ خر أوراقه (البقية تأتي)
 هذا وانى لا أتكلم في انتقاد الديوان ولكنني أنصح للناظم ان يفكر عند
 النظم أو عند التفتيح في معاني الايات التي تبقى بعد القراءة في ذهن القارى
 لاني التأثير فقط فان من تخيلاته أو من آياته ما يروع لفظه وسبكه السمع حتى
 اذا تأمله القارى لم يجد له معنى يستقر عنده الفهم

﴿ سقوط نابليون الثالث ﴾

قصة سياسية غرامية رجها عن الفرنسية تتولا أفندي رزق الله مدير أعمال جريدتي
 الأهرام العربية والفرنسية وطبعها على نفقته خليل بك صادق صاحب مسامرات
 الشعب فكانت ثلاثة أجزاء . ومن قرأ القصة بإيمان واعتبار يرى فيها قائدتين
 احدهما سياسية وهي ما تمثله القصة للذهن من رياء الملوك وأعاونهم بظهورهم للناس
 بلباس العدل والذماني في حب الأمة والقيام بمصالح الدولة وهم اذا اخلوا بأنفسهم
 لم يكن لهم هم الا الاتجار بتلك المصالح ومحاربة الأمة بالحيل والديسائس فجميع
 بطانة نابليون كانوا من الأشرار المقتونين بجمع المال الحرام وأكل السحت المحاذين
 للأحرار والاخيار الذين يتفانون في إعلاء شأن الأمة الفرنسية . وكانوا في مطاردتهم
 لهم وإيقاعهم بهم يطبقون أعمالهم على القانون بالديسائس والحيل والتزوير والحتل
 وما أنسى لا أنسى ذلك الذي ألف كتابا في مفاصد الفمار فأحسن مكافأته نابليون
 وأظهر للناس أنه يريد بذلك أن تكثر أمثال هذه المولفات التي تطهر البلاد من
 هذا الفساد ولو صدق وأخلص لظهر قصره منه فإنه كان أكبر بيوت القمار في الدنيا
 وهكذا شأن الملوك وأعاونهم مادام لهم سلطة شخصية من دون الأمة

والفائدة الثانية حكاية ذلك الرجل الذي كان خادما في الاصطبل فارتقى
 بمجده وكده حتى صار عالما سياسيا وغنيا سخيا وفاضلا وفيها فحارب دسائس حزب العاهل
 العظيم حتى فاز بمراذه، وثأر له الحسين الى أهله وأولاده، فسيرة مثل هذا الرجل تحرك
 همة المستمد الاستقلال ، حتى ينهض بجلائل الأعمال، وتؤمن القصة ثلاثون قرشا صاحبها

بَابُ الْحَبِيبِ الْفَارِزِيِّ

﴿ كلمات في الاستاذ الامام - ذكرنا بعضها في ترجمته ﴾

قال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية ان الناس لا يعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعني ان كل ما ظهر من اجلال الامة له حيا وميتا دون قدره) .

وقال المشير أحمد مختار باشا الفارزي : اني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف ولو وزن ارجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الا فرنج وزن أدمغتهم . وقال لما قرأت في الجرائد خبر موته (وكان في أوربا) ضاق علي المكان اندي كنت فيه لان الخسارة بمقدمه لا عوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الاكبر للشيخ عبد الرحمن الدمرداش وكان ملازما لفراش الفقيد في مرض موته : اننا كلنا شاكرون لك فانك لا تخدم رجلا وانما أنت تخدم الامة في هذا الرجل . وقال في موته : خسارة لا تعوض وقال اللورد كرومر ان هذا الرجل لا ذنب له الا انه أنور أهل بلاده . وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة ان كل أعمال جنابكم محصورة في إصلاح الحكومة فترغب اليكم ان تعملوا عملا ترقية المسلمين في مصر فانهم لم يعودوا الأعمال الاجتماعية . فقال اللورد اعلموا انتم وعلي أن أساعدكم فمن لا يرقى نفسه لا يرقى غيره . قال المصري انه ليس عندنا رجال يهتمهم أمر الامة ويقدرون على العمل النافع لها . فقال اللورد بل عندكم رجالان غيوران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدهما بالمال وهما يملآن البلاد ما تحتاج اليه من الترقى : أو ما هذا معناه وبلغنا انه قال في جواب من قال ان الشيخ محمد عبده متهاون بالدين : انه بالعكس متعصب للدين ولكن بمقل

وقال الشيخ محمد توفيق البكري ان الفراغ الذي تركه الشيخ محمد عبده لا

بعلاه شيء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السهل والجبل) وقال عجبت للموت
كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده . وقال لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشتغل
بنفسه للأمة لأحدث انقلابا عظيما

وقال الدكتور يعقوب أفندي صروف بعد ان سمع الموتى بين عند القبر يكررون
كلمة فقيد مصر وفقيد الاسلام اننا لانرضى ان يكون فقيدكم وحدكم بل نقول إنه
أكبر من ذلك انه فقيد الشرق كله

دولتنا الاسلام ، تركيا وايران

باحسرة على المسلمين ، ماذا يلاقون من البلاء المبين ، وأكثروهم عن مشاركة
غافلون ، لم يكده تتمتع منهم الآذان ، بنعمة وضع القوانين لإصلاح حكومة ايران ،
حتى صحتها أخبار اعتداء الدولة التركية ، على حدود شقيقتها الفارسية ، حتى كأنها
تريد أن تشغلها عن إصلاح شأنها ، أو تنتقم منها اذا هي أصرت على عزها ، أو
كأن خذلان المسلمين قضى بأن يكون بأسهم بينهم شديدا وان ينتقم بعضهم من
بعض حتى لا يتعب عدوهم في التنكيل بهم والقضاء عليهم بل تكون بلادهم غنيمة
باردة له . والافعالنا الآت ولحشر الجيوش على حدود جارتنا وشقيقتنا
ولا اعتدائنا على جزء من أرضها ونحن مرتطمون في فتنة اليمن الذي توالى السنون
ولم نزل من التأثيرين فيها منالا ، بل كانت الحرب بيننا سجالا ، وكان من أثر ظلمنا
لأنفسنا ان نسفك دماءنا بسيوفنا ، ونخرّب بيوتنا بأيدينا

ياحسرة على المسلمين أضاعوا دينهم فأضاع الله دنياهم ومزق ملكهم حتى
صاروا شرا على أنفسهم من أعدى أعدائهم ، وسوادهم الاعظم لا يدري من أين
جاءته هذه البلايا ، ونزلت به هذه الرزايا ، فهو يتهم بها البراء ويبري الجناة
الظالمين ، وهل هم غير الرؤساء المستبدين ؟

هوؤلاء مساهو الترك والفرس يناوش بعضهم بعضا والدول الاوربية تنحد
عليهم فهل يستطيع المسلمون ان يحكموا فيهم قول الله تعالى (٤٩ : ٩) وان طائفتان
من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوها بينهما فان بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي

تبني حتى تفي إلى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) ؟ كيف وهذا القول الحكيم مبني على أساس حكم الاسلام وهو كون حكم المسلمين شوري بينهم لا يستبد به فرد من الأفراد . ونحمد الله ان القتال لم يمتد ونسأله ان يهب للفريقتين التوفيق للوفاق حتى لا تمتد الفتنه .

﴿ الامتحان في الجامع الأزهر ﴾

ألفت ادارة الأزهر ثلاث لجان أو أربعا لامتحان الذين أتموا مدة الدراسة وهم كثيرون جدا فامتنع كثيرون من كهراء الشيوخ ان يكونوا من أعضائها لأن الشيخ شا كرا نائب شيخ الأزهر هو المؤلف لها والرقيب عليها فكان أكثر أعضائها من غير المشهورين ومنهم من صاروا مدرسين من عهد قريب ولكن هذه اللجان قامت بالامتحان بنظام واهتمام وقد رأينا الأزهريين المنصفين يفضلون نظام هذا الامتحان على ما كان قبله ولم نسمع الآن ما كنا نسمعه في السنة (الدراسية) الماضية من أخبار المحاباة والرشوة والفضل في ذلك لمراقبة الشيخ شاكر ويقظته فله الشكر والثناء الحسن . وامل ماسمعناه من أخبار التساهل وإعطاء الدرجات لافراد لا يستحقونها مبالغ فيه ولعل الشيخ شا كرا يعني بتحقيق الحق في ذلك

﴿ أخبار نجد ﴾

كان عدد الجنود الذين أرسلتهم الدولة العلية الى نجد ستة آلاف جندي فكان من شأن فيضي باشا ما ذكرناه في أجزاء السنة الماضية ومن أمر سامي باشا ما ذكرناه في الجزء السابع من هذه السنة ونقول الآن أن الجوع برح بأوائك الجنود حتى كانوا يجمعون الخنظل من القفر ويستخرجون بذره فيفأونه على النار حتى تخف مرارته فينبأفون به ولكن سمه يفعل في احشائهم فعله وما زال الجوع والمرى وسم الخنظل تفنك بهم حتى لم يبق منهم الا ألف وثمان مئة رجل فأشفق عليهم الأمير ابن سعود فأعطاهم رواحل نقلت سبع مئة منهم الى البصرة والباقيين الى المدينة المنورة

بقرني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذر الا اولوالايباب

الله
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اولئك الذين عهد لهم الله اولئك هم اولوالايباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر - في ذي القعدة سنة ١٣٢٤ - اوله الاثني عشر ١٧ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب الاصول والعقائد

﴿ فاتحة كتاب محاورات المصلح والمقصد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ * (سورة الزمر - ٣٩ : ١٨)

اللهم اجعلنا من عبادك المهادين المهديين ، واجعلنا من الأئمة الوارثين ،
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وصل وسلم اللهم
على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بهديهم الى يوم الدين ،
وبعد فان الله تعالى جلت حكمته ، وعلت كلمته ، ووسعت كل شيء
رحمته ، قد أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس واصلاح شأنهم
في معاشهم ، واعدادهم للسعادة في معادهم ، وقد مضت سنته في البشر
ان يرتقي نوعهم بالتدريج كما يرتقي أفرادهم من طفولية الى تمييز الى رشد
وعقل . لذلك جعل خطاب الرسل لهم في كل طور على حسب استعدادهم
نخاطبهم طورا بما يناسب مدركات الحس ، وطورا بما يناسب وجدان
النفس ، وحملهم أولا على الطاعة بالقهر والالزام ، وجذبهم اليها ثانيا بالاقناع
وضرب الأمثال . حتى اذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان ، واستعدوا
لتحكيم العقل في مدركات الحس والوجدان ، بعث فيهم خاتم النبيين
والمرسلين ، الذي جعل الفكر والنظر أساس الدين ، نبي جاء بالبينات
والهدى ، وكتاب نهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم شأن العقل وجعله

هو المخاطب بفهم النقل ، فامتاز دينه على سائر الأديان ، بأنه دين الحجة والبرهان ، الناعي على متبعي الاوهام الظنون ، بأنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، بل وصفهم بمثل قوله « صَمٌّ بِكُمْ عُمِّي فَهَمُّ لَا يَرْجِعُونَ » وقوله « إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَىٰ لَكَ هُمْ الْغَافِلُونَ »

كتاب احتج على ضخمة العقائد بآيات الله في الأتفس والآفاق ، وبين فوائد مادعا اليه من العبادة ومكارم الاخلاق ، وأشار الى مصالح الناس فيما شرعه من الأحكام والسنن ، ونبه على مفسد ما حرمه عليهم من المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فهدى الناس بذلك وبدعوتهم الى ان يكونوا على بصيرة في دينهم وعلى بينة منه وبجعله دين الفطرة وبنفي الجرح والاعنات عنهم فيه وبجعله يسراً لا عسراً وبالالاكتفاء منهم بما يستطيعون منه وبتقرير غناه سبحانه عن العالمين - هداهم بذلك كله الى انه ينبغي لهم بل يجب عليهم ان يفقهوا حكمة جميع ماخو طبوا به ووجه كونه مصلحة لهم ووسيلة لسعادتهم وتركه مدرجة لفسادهم وشقوتهم (١٢ : ١٠٨ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ صِدْقٍ أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي) ووصف من اتبعه بقوله (٢٥ : ٧٣ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا سُكَّانًا وَعُمِّيَانًا)

ان ديناً هذا شأنه يعلو عن أن يكون مهياً للأهواء ، أو مثاراً لاختلاف الآراء ، أو مجالا لتحزب العلماء ، أو آلة لسلطان الرؤساء ، فهو الخيفية السمحة ليلها كنهارها كما ورد عن جاء به صلى الله عليه وسلم (٦ : ١٥٣ وَإِنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

يَكُفُّ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَاكُمُ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (ثم قال في هذه
السورة (١٥٩) اِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِيْ شَيْءٍ
اِنَّمَا اَمْرُهُمْ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ) وقال في سورة آل عمران
(٣ : ١٠٣) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيْعًا وَلَا تَفَرَّقُوْا) الآية ثم قال بعد آية
أخرى منها (١٠٥) وَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوْا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْبَيِّنَاتُ وَأُوْتِيَتْكُمُ اٰهُمُ عَذَابٌ عَظِيْمٌ) وقال عز وجل (٣٠ : ٣٠) فَاقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّيْنِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللّٰهِ الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيْلَ لِخُلُقِ اللّٰهِ ذَلِكَ
الدِّيْنُ الْقِيْمُ وَلَكِنْ اَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُوْنَ ٣١ مُبَيِّنَ اِلَيْهِ وَاَتَّقُوْهُ وَاَقِيْمُوا
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُوْنُوْا مِنَ الْمَشْرِكِيْنَ ٣٢ مِنَ الَّذِيْنَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا
شِيْعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيْهِمْ فَرَحُوْنَ) و ثم آيات أخرى في التفسير عن
التفرق والخلاف

ماذا كان من أمر الذين ينتسبون الى هذا الدين؟ هل ظلوا على
البصيرة في دينهم أم تركوها الى التقليد واتباع الآراء وخرروا عليها صما
وعمياناً؟ هل استقاموا على الصراط المستقيم سبيل الله أم اتبعوا السبل
الكثيرة فتنفرت بهم عن سبيله؟ هل ظلوا أمة واحدة محافظة على أخوة
الدين أم فرقوا دينهم وصاروا شيعاً كل شيعة تعادي الأخرى لمخالفتها
اياها في المذهب، ومباينتها فيما أحدثت من المشرب؟

اذا كان الخلاف طبيعياً في البشر، وكان أقوى سائق لهلاك الأمم
اذا تمدت شيع الأمة فيه ولم تعالجه بعلاجه فلماذا لا يرجع المسلمون في
كل خلاف يقع الى علاجه الذي بينه الله تعالى في قوله (٤ : ٥٩) فَإِنْ

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ؟

تمزق شمل المسلمين بتنازعهم السياسي الذي تبعه التنازع الديني
ففرقوا شيعاً كل شيعه تنتحل مذهباً تتخذ حجة لنفسها على سائر المسلمين
فكان ذلك حجاباً دون رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بتحكيم الكتاب
والسنة فيه اذ جعلوا مذاهبهم أصولاً يرجعون اليها آيات الكتاب وأخبار
السنة بالتأويل وغير التأويل (كدعوى النسخ) . فعلوا ذلك لتقوية
السياسة بالدين فأضاعوا السياسة والدين ، وردوا الأمة أسفل سافلين ،
فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

أما خسرانهم للدنيا بسوء السياسة فبما أضاعوا من سيادتهم وسلطانهم
فان معظم شعوبهم وبلادهم قد استولى عليها الأجنبي وما بقي منها في
أيديهم قد أوغلت السلطة الأجنبية في أحشائه، وهي تهدده بسلب ذمائه،
واما خسرانهم الآخرة فبما ابتدع جماهيرهم في الدين ، واتبعوا غير سبيل
المؤمنين الأولين ، وهي سبيل الله التي من اتبعها كان على بصيرة من
الله وبرهان ، وما هي الا هداية هذا القرآن ، الذي وصفهم بما لا ينطبق
على جماهير المتأخرين المختلفين ، ووعدهم فأثم بطاعتهم ما سلبه من
الخالفين المخالفين ،

اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعه والخوارج
بل بين المنتسبين الي السنة بعضهم مع بعض - بين الأشاعرة والحنابلة
بين الحنفية والشافعية بين الشافعية والحنبلية . . . انك ان تقرأ تجد

الجواب عما سألتك عنه ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية والحنفية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعاً لم يلتم من بعده ويعد كما كان ، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج بأجوج وما أجوج ويقول أنهم هم التتار

مالك ولمعرفة حال تفرق المسلمين من كتب التاريخ أو من كتب المذاهب ، أدر طرفك في بلادهم اليوم وانظر حال أهل هذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا إيمان لهم ولا أيمان إلا من حفظ الله من أفراد متفرقين يحملون الأذى في سبيل جمع الكلمة وإزالة الخلاف وإعادة الأخوة الدينية إلى ما كانت عليه في أول نشأة الدين أو إلى قريب من ذلك . بل تجد الحنفي في كثير من البلاد لا يصلي مع الشافعي بل تجد من أسباب الخلاف والعداء الشديد كون بعضهم يجهر بآمين وراء الإمام وبعضهم لا يجهر بها أو لا يقولها ، وكون بعضهم يرفع أصبعه عند الاستثناء في شهادة التوحيد وبعضهم لا يرفعه . مثل هذا الخلاف مما يجعل في بعض بلاد الهند فارقا بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، ولا غرو فهم عيال على الكتب التي تبحث في كفر من قال أنا مؤمن إن شاء الله كالسلفية والاشاعرة وتقول يجوز نكاح بنت الشافعي قياساً على الذمية !! « ٦٨: ٢٣ أفلم يدبروا القول أم جاءهم من ألم آيات آباءهم الأولين » ألم يعدهم الله بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأن يبدل خوفهم بالآمن ، وأن لا يجعل للكافرين عليهم سيلاً ؟ بلى ولن يخلف الله وعده وانما هم الخلفون ، « ١١ : ١١٧ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مَصْلُوحُونَ »

نعم انه لم يزل ولا يزال في هذه الأمة قوم ظاهرين على الحق كما ورد الوعد في الحديث ولكن هؤلاء لقتلهم أمسوا وغرباء كما جاء في حديث آخر وأي غربة أشد من غربة من يوصفون بالكفر والزندقة لانهم يقولون بوجوب اهتداء المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يكن في بني اسرائيل أمة يهدون بالحق وبه يعدلون اذ وصفهم بما وصفهم به من الاعراض عن كتابهم وتحريفه واذ أحل بهم ما أحل من عذاب السبي والاذلال ، وازالة الاستقلال ، ؟ بلى ولكن كان هؤلاء المحقون قليلين فليس لهم أصريطاع ، ولا هدي يتبع ، فلا أثر لهم في الأمة فكانهم ليسوا منها أتى على الأمة الاسلامية حين من الدهر لم ينبغ فيها عالم الا وكان في طور كماله أو خاتمة أعماله يأمرها بالاهتداء بالقرآن واتباع سيرة السلف الصالح وناهيك بالامامين الجليلين حجة الاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية ومن على شاكتها ولكن السلطان كان مؤيداً لعلماء الرسوم وأهل التقليد لانهم آلة السياسة ، وأعوان الرياسة فكان صوت المصلحين بينهم خافتاً ، ومقامهم خافياً ، حتى اذا اشتهر لهم كتاب أحرق كما أحرق كتاب احياء علوم الدين ، أو رفع شجاع صوته بالدعوة التي في غيابة السجن كما فعلوا بشيخ الاسلام تقي الدين ،

ثم اشتد ضغط السياسة في هذا القرن على أهل العلم والدين في كل

بلاد يحكمها المسلمون فاستيقظ لشدة وطأتها أهل الاستعداد منهم وشعروا بشدة الحاجة الى الاصلاح قبل ان تجهز على الامة السياسة الفاسدة وطفقوا يتسمون ربح الحرية فوجدوها في مثل مصر والهند فأنشأوا يدعون الى الاصلاح والموفق ان شاء الله تعالى من بدأ بالدعوة الى الاصلاح الديني اذ عليه يتوقف كل اصلاح ، وهو مفتاح النجاح والفلاح ، لا اصلاح الا بدعوة ، ولا دعوة الا بحجة ، ولا حجة مع بقاء التقليد ، فاغلاق باب التقليد الأعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل اصلاح . وقد كتبنا في مجلة « المنار » التي أنشأناها بمصر في أواخر سنة ١٣١٥ مقالات كثيرة في بيان بطلان التقليد منها ما هو من انشائها ومنها ما نقلناه عن الامام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . من ذلك مقالات (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرناها في المجلد الثالث والمجلد الرابع من المجلة وبيننا فيها طرق الاستدلال الصحيح ، وبطلان التقليد ، ووجوب البصيرة في الدين ، واتباع سبيل السلف الصالحين ، وطريق الوحدة الاسلامية ، في المسائل الدينية والسياسية والقضائية ،

كان لهذه المقالات أثر حسن في نفوس أهل البصيرة والفهم حتى كان بعض أساتذة المدارس يقرأ المقالة منها ست مرات . وقد اقترح علينا غير واحد من محبي العلم والدين ان نطبع هذه المحاورات في كتاب مستقل فأجبنا طلبهم وأضفنا الى المحاورات أسئلة في موضوعها وردت علينا من باريس مع أجوبة المنار عليها زيادة في الفائدة فنسأل الله تعالى ان يجعلها خدمة نافعة للمستعدين ، وعملاً خالصاً لوجهه الكريم

(محمد رشيد رضا الحسيني)

✽ فصل المقال في توسل الجبال ✽

ألف الشيخ أبو بكر خوقير الكتبي أحد علماء مكة المكرمة كتاباً جديداً سماه (فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجبال) واسمه يدل على مسماه وقد أحسن فيه ونصر السنة، وخلال البدعة وقد طبع في هذه الأيام بمطبعة المنار على نفقة الحاج عبد القادر التتاساني النانسان السني وأنا نورد خاتمه على سبيل النموذج وهي:

ولنختم هذا العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب النكي في رسالته في التوحيد فإنه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووقفه: الأمر أنه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداء أو مترتباً على تصرف آخر كأن يخلق شيئاً ويخلق بذلك شيئاً آخر وهذا هو القول بالاسباب ولكن مع الاعتراف بأن الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذاً بعموم قوله تعالى (إنما أمرنا شيء إذا أردناه) الآية وإيضاً فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض) لا هبة كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة يخلق بها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المهملين في الأولياء من أن لهم التصرف وإن الله أعطاهم تصرفاً في العالم وأنهم يولون ويعززون ويدلون... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيها من شرك) يخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضاً على المعتزلة إذ العبد لو خلق فعلة لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل

ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذنه) رد على الذين يقولون
 ما نعبدهم الا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب
 الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا
 شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال « ولا تنفع
 الشفاعة عنده الا لمن أذنه » فكيف لنا معرفة من اذنه فان نهاية
 ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة
 والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد أقوال الانبياء نفسي نفسي
 ما عدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل
 الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه . وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب
 الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويجيبك بأبي أشفع لك ومع
 ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعا
 اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن
 من أطاع شيئا أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقره
 وأيضا من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء
 قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا - أمر ان لا تعبدوا الاياه
 - قل أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم
 شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم - فلا
 تدعوا مع الله أحدا - ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وعن ابن
 عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال
 (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله
 واذا استغثت فاستعن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه

الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه
 كمن قال يا شيخ فلان أغثني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله
 وهذا الدعاء منع عنه الشارع اذ لا يستعان الا بالله (اياك نستعين) .
 واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون
 وجه فأطاعه مطلقاً فان الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك المطيع عابداً لتلك الطاعة ومتخذة ربا
 قال الله تعالى { لا تعبدوا الشيطان - يا أيها الذين آمنوا لا تعبدوا الشيطان - اتخذوا أحياءهم
 ورهبانهم أرباباً - أرايت من اتخذ إلهه هواه } فاذن ليس لأحد ان يعبد غير
 الله ولا أن يدعو له وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء منح العبادة وأما
 من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله
 مكروهاً كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالاحياء دون
 الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم
 ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه
 أولى من هذه الحثية وسداً للذرائع لان الجهالة لا يفرقون بين التوسل
 والاستشفاع والطلب من التوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم
 مخصوص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الادلة الواردة بالتجويز مع
 ضعفها فانها لا تفيد الا جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع
 بتعربه من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل
 بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من
 المتبدعين انتهى .

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول المامة يا شيخ عبد القادر
 شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند اجات شريفة

في هذا المقام لا نتندر على ارادها في هذه العجالة أما اهل نجد فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضر موت لو لم يبيض الله أوثنك القوم لتلك النهضة لمكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما مدار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحج وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجرأهم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف ما يقتره الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية والبيهقي ابن القيم فهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الاباب وهذه كتبها قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما ولا يحاكم بينهما بما وصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فمزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاول والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يماكم غير الاقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في اعلام الموقعين «فاذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالفة ولو خالفك فانه يخالفك ويهذرك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بالاحجة وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته

الذميمة فلا تغتر بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤاكلة منهم لا يعدلون
 بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل على الارض منهم
 « واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان
 وحده وان خالفه أهل الارض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذ
 باليمن فما فارقت حتى وارتته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد
 الله بن مسعود فسمعتة يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعتة
 يوما من الايام وهو يقول سيبي عليكم ولا تؤخرون الصلاة على ووقيتها فصلوا
 الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافذة قال قلت لأصحاب
 محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها
 ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافذة
 قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري
 ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما
 وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرب علي فخذي وقال
 ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله
 تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فمليك بما كانت عليه الجماعة
 قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرها
 البيهقي وغيره وقال بمض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال
 أتدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فسخ
 المتخلفون الدين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور
 وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكرا لقالة أهله
 وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شد شد الله به في النار . . .

صرف المتخلفون أن الشاذ ماخالف الحق وان كان عليه الناس كلهم الا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل الا نورا يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ ولفقون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع عليه لذلك فأخذته بالسياط والعقوبة بعد الجبس الطويل فلا اله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيج لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم وينظرها خلفهم من المؤمنين { رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا } انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل . ومنهم الشعراني قال في كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من اهل السنة والجماعة ولو واحدا وفي رواية عنه لو أن فقيها واحدا على رأس الجبل لكان هو الجماعة اه وحسبنا قوله تعالى { ان ابراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الامة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذاً كان أمة قاتل الله حنيفاً ولم يك من المشركين تشبيها له براهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق ان يعتم في كل باب من أبواب العلم بأصل

أشور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه

الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » اهـ

﴿ باب المقالات ﴾

الأمل وطلب المجد (*)

إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * وَمَنْ يُقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سر عظيم، اختص الله به الانسان، ورفع به على سائر الاكوان، ليبلغ به المقام المحمود، ويحوز ما أعدته له العناية الالهية من الكمال اللائق به. راجع نفسك، واصنع لناجاة نفسك، تبتد في وجدانك ميلا قويا وحرصا شديدا يدفعك الى طلب المجد وتلو المهزلة في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بتجاهها تبتد مثل ذلك في كتابتها كما هو في آحادها تبتد في رفعة المكانة في نفوس الأمم سواها. ذلك أمر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفردا ومجتما: ليس من السهل على طالب المجد أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعرا في السبل، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يضمن حرصه، ولا ينقص ميله. يقطع شعابا، ويعاني صعابا، حتى يرقى ذروة المجد، ويتسنى شاطئ المهزلة، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأيتة يشملل وينضجر كما يتقلب على

(*) من مقالات العمرة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الامتداد الامام

الرمضاء . لوسبر الحكيم الخبير أعمال البشر ونسب كل عمل الى غاية العامل منه رأى أن معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام كل على حسبه وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف . هذه خلة ثابتة في الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المهن الى أصحاب الأمر والنهي كل ينافس أهل طبقته في أسباب الكرامة بينهم وبأنف من ضمنه فيهم ويحرص على ما يحل في قلوبهم محل الاعتبار حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة ودخل في طبقة أخرى ونافس أهلها في الجاه ولا يزال يتبع سيره مادام حياً يخطر في بسيط الارض . ذلك لان الكمال الانساني ليس له حدود لا تحده نهاية وليس في استطاعة أحد من الناس أن يقنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حداً ليست بعده غاية . سبحان الله ماذا أخذت محبة الشرف من قاب الانسان وماذا ملكت من أهوائه . بعده ثمرة حياته وغاية وجوده حتى انه يحتقر الحياة عند فقده والمعجز عن دركه، أو عند مسه والوف من سلبه . أرايت أن فقيراً ذا أسمال لا يؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعلة تهيئه أو قذفة تشينه يغلبه الغضب للدفاع عن المنزلة التي هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تمضي به الى الموت وان القذف أو الاهانة ما نقصت من طعامه ولا شرابه ولا خشت مضجعه في مبيته . آلاف مؤلفة من الناس في الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الى المهالك وماتوا دفاعاً عن الشرف أو طلباً للكرامة والمجد . جل شأن الله لا يهنا للانسان طعام ولا شراب ولا يابن له مضجع الا أن يلمحظ فيه ان ما نال منه أعلى مما نال سواه مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالاعلوبة فيه كأن لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذائذ . كم يعاني الانسان من التعب البدني وكم يقاسي من مشاق الاسفار وكم يخاطر بروحه في اقتحام الحروب والمكافحات وكم يحتمل في الانقطاع عن اللذات مع التمكن منها كل ذلك لينال شهرة أو ليكسب فخاراً أو ليحفظ ما آناه الله منه . ما أجل عناية الله بالانسان لا يعيش الا ليشرف فيشرف به العالم وكل لذة له دون الشرف فهي

وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعرة بسلكها الحي الى ما يستطيع من المجد وفي نهاية الاجل يفارقها قرير العين بما قارب منه، آسف الفؤاد علي ما قصر عنه .
ما هو المجد الذي يسمى اليه الانسان بالالهام الآهي ونحوض الاخطاري طلبه وبقارع الخطوب في تحصيله؟ هو شأن تعرف النفوس لصاحبه بالسودد وتدعن له بالاعتلاء ونلقي اليه قياد الطاعة يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبه اليه من ذوي قرابته وعشيرته وسائر أمته فتنفذ كلمته وكلمة المتصاين به والمتحمدين معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من الميز الحكيم على معاناة الاوصاب لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الأولى . فما كان يحسبه طالب المجد عائدا الى نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره على بني جلدته أجمعين . واه! تلك حكمة بالغة اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الامة حظها من السودد نعم وهل نال ما نال الامة من سائر الآحاد منها « ذلك تقدير العزيز العليم » . ماذا يستطيع الجاهد وحده وماذا يكسبه من سعيه ان لم يكن له أعضاء من بني قبيله فمن كان همه أن يصعد الى عرش العزة ويرقى الى ذروة السيادة فعليه أن يهيئ نفسه والمنتهمين اليه لتحصيل كل ما يعد في العالم فضيلة وكالا . ما أصعب القيام بخدمة هذا الميل الفطري والالهام الالهي وما أشد ما تحمل النفوس في قضاء بعض الواجب مما يتصل به وما أعظم الحامل للأفئس على تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الامر الرفيع . ما هذا الباعث الشريف الذي يسهل على الارواح كل صعب ويقرب كل بعيد ويصغر كل عظيم و يابن كل خشن ويسايرها عن جميع الآلام ويرضيها بالنعرض للتهلكة ومفارقة الحياة فضلا عن بذل كل نفيس والسماح بكل عزيز؟ هذا الباعث الجليل وهذا الموجب الفعال هو الامل .

الامل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق في بهائم الكروب ، وعلم هاد في مجاميل المشكلات ، وما كم قاهر للعزائم اذا اعترتها فقرة ، ومسنفز للهمم ان عرض لها سكون ، ايس الامل هو الامنية والتشهي اللذان يلحمهما الدهن تارة بعد أخرى ويعبر عنهما بلبتلي كذا من الملك وكذا من الفضل مع الركون الى الراحة والاستلقاء على الفراش والله بما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يريد

أن يبذل الله سنته في سير الانسان عناية بنفسه الشريفة أو الخسيسة فيسوق اليه ما يهيجس بخاطره بدون أن يصيب تعباً أو يلاقي مشقة . انما الأمل رجاء يتبعه عمل ويصعبه حمل للنفس على المكارم، وعرك لها في المشاق والمتاعب، وتوطئتها للملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد، ونهوين كل ملم يعرض لها في سبيل الغرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغوا اذا لم تغدّ بنيل الأرب فيكون بذل الروح أول خطوة يخطوها القاصد فضلاً عن المال الذي لا يقصد منه الاوقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون . وكما كان الميل للرفعة أمراً فطرياً كذلك كان الأمل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة . غير ان ثبوتها في فطرة عموم البشر كان داعياً للمزاحمات والممانعات فان كل واحد بما أودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الآخر فكل طالب مطلوب ولم يبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملاً تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير ما يكون به الآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم انجاداً شرفاء بما يأتون من أعمالهم ولكنهم تزاخوا في الأعمال كما تزاخوا في الآمال والاهواء ومسالكهم ضيقة ومشارعهم ضنكة فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين . فاذا توالى الصدام على شخص أو قوم حدث في اليهم ضعف وأصابها انحطاط وحصل الفساد في هذين الخليتين الشريريتين (الرجاء وطلب المجد) كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية ور بما يؤل الضعف الى اليأس والقنوط (نعوذ بالله منهما)

ماذا يكون حال القانطين المنقطعة آمالهم؟ يحكون على أنفسهم بالخطية، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة، فيأتون الدنيا ويتعاطون الرذائل ولا ينفرون من الاهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول ما يوجه اليهم من ذلك ايأ كان فتسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان على الانعام فيرضون بما ترضى به البهائم فلا يهتمون الا بمحاجات قبيحهم وذنبهم ثم ياليتهم يكونون هملاً وسوائب يرعون النبات ويتبعون مواقع الفئث ولكنهم وان تركوا

العمل لأنفسهم فالله تعالى يسلط عليهم من يكافهم بالعمل لغيرهم فيكونون كالنمل
الجمالة لا تستفيد مما تحمل شيئاً وظيفتها ان تسمى وتشقى ليسعد غيرها ويستريح
فيالجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرها من الاعمال الشاقة ويدأون بأشد
عما يدأب العامل لنفسه ثم لا يزالون مما يعملون شيئاً . ثمات كسبهم بأسرها
محولة الى الذين سادوا عليهم بهمهم (هذا الذي يتجشمه الدليل في ذلك من مشاق
الاعمال ومعاناة المكاره لو تحمل بعضاً منه في طلب العزة لاصاب حظه منها)
بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنى من درجة الحيوانات العاملة
فإن السائدين يشعرون بحكم البدهاهة أن هؤلاء أسقطوا انفسهم عن منزلة كانوا
يستحقونها بمقتضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها بل بما لا يصح أن
يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكوینهم على الشكل الانساني وايداعهم ما
اودع في أفراد الانسان فيعاملهم أولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون
من الحيوانات ولنا على ذلك شاهد العيان في الامم التي أدركها اليأس وسقطت
في أيدي الاجانب

ونظن أن يوجد أقوام آخر سامهم ساداتهم في الزمن السابق ويسومونهم
الآن ما لا تسام به السوائم الراحية وهم على القرب منا وليسوا بعيد عنا .
عجبا كيف تبدل أحكام الجيلة وكيف محي أثر الفطرة؟ كيف تسفل النفس
حتى لا تطالب رفعة وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل والامل وحب الكرامة
طبيعيان في الانسان . بعد إيمان النظر نجد السبب في ذلك نحن الانسان أن
جميع أعماله انما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وان قوته هي سلطان أعماله
وليس فوق يده يدمده بالمعونة أو تصده بالتهرب فإذا صادفته الموانع مرة بعد اخرى
وقطعت عليه سبيل الوصول رجع الى قدرته فوجدتها فانية، وقوته فراها واهنة،
فيترف بوهنه، ويسكن الى عجزه، فيأس ويقنط، ويذل ويسفل، باعتقاد منه بأنه لا
دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ومتى كانت قوة المانع أعظم من قوته
فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فينقطع الأمل فيقع في الشقاء الابدی .
أما لو أيقن بان لهذا الكون مدبراً عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته وتدين كل

سطوة لجبروته الاعلى وأن ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس وتفثال آماله غائلة القنوط فان صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله التي هي أعلى من كل قوة فيركن إليها في أعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا فكما تماظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثا في مدافعتها معتمدا على أن قدرة الله أعظم منها وكما أغلق في وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب فلا يمل ولا يكل ولا اندر كه السامة لا اعتقاده أن في قدرة مدبر الكون أن يقهر الأعداء ويلقي قباهم الى الأذلاء وان يدك الجبال ويشق البحار ويمكن الضعفاء من نوادي الأقوياء... - وكم كانت لقدرة الله من هذه الآثار - قد شتد عزيمته ويدأب فيما كلفه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة في الأولى والأخرة وما كان لموقن بالله وبقدرته وعزته وجبروته ان يقنط وييأس ولهذا اخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التي لا ريب فيها بما قال وهو أصدق القائلين « ان لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » وبما حكى من قول نبيه ابراهيم « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على الكفر والضلال ومن اين يطرق اليأس قلبا عقد على الايمان بالله وبقدرته الكاملة . لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ان يقنطوا من رحمة ربهم في اعادة مجدهم مع كثرة عددهم ولا يسوغ لهم ايمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضميم ويتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلي به كثير من الامم فان لهم ملوكا عنانها ولا يزال في ايديهم ملك عظيم على بساط الارض وان من الحق ان يفتح ان ابواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلجوها ، وان روح الله نافحة عليهم وما يلزمهم سوى ان يستنشقوها ، وان فرص دائما تمد ايديها اليهم تطلب انراضهم وتذبه غافلهم وتوقظ نائمهم وليس عليهم في استرجاع مكائدهم الأولى والصعود الى مقامهم الا ان يجتمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من اعزاز ملتهم وذلك أيسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فاي

موجب لليأس وأي داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الناظر بأن الرأس من أوصاف الضالين؟ وهل توجد واسطة بين الرشد والتي فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ هل يكون للقائمين فيهم من عذرة أيرضون بالبيدبة للأجانب بعد تلك السيادة العليا؟ ماذا يتغنون من الحياة إن كانت في ذل واهانة وفقير وفاقة وشقاء دائم بيد عدو وغاشم؟ يطهشون وهم بين اجنبي حاكم وبغيض شامت ومترجعي ومشنع ذني ومعيخسيس يزموهم بضعف العقول وتقصير الاستعداد ويحككون بأن محال عليهم أن يصبروا أمة في عداد الأمم؟ إذا لم ينسأخ الإنسان عن كل خاصة إنسانية كيف يرضى بحياة مكنتفة بكل هذه التماسات والمكدرات أينسون أنهم كانوا الأعمى في الأرض وما طال على ذلك الزمان، ولا بحيث التوار يخ، ولا عفت الآثار، ولا اضمحلت بالكافية شوكة المسلمين من وجه الأرض؟ إن كان للامانة عذر في الغفلة عما أوجب الله عليهم فأبي عذر يكون للعلماء وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه؟ لم لا يسمعون في توحيد منفرد المسلمين لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم لم لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم؟ لم لا يأتون على ما في الطاقة لتقوية المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين به وتبشيرهم بهبوب روح الله على ارواحهم . بلى إن قوما شرح الله صدورهم للإيمان قاموا بهذا الأمر في مواقع مختلفة من الأرض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة إلا إن أملنا في بقية المسلمين إن يتفقوا معهم ويتوهموا بشعبيهم لا يمكن الجميع من نصر الله « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

انحطاط المسلمين وسكوتهم (١٠)

وسبب ذلك

واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

إن للمسلمين شدة في دينهم وقوة في إيمانهم وثبات في إيمانهم يباهون بها من عداهم من الملل وإن في عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما

رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين ويشقون على أحد من أن يرق من دينه أشد ما يشقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عاينهم حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا ان واحدا ممن وسم بسمه الاسلام في أي قطار ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلجج بالحوقة والاسترجاع ويهدد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بهدئين من السنين لا يتألك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان ويستنزه القضب ويدفمه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب أو بحكي عن عجب .

المسلمون بحكم شر يعتمهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبيهم وبعيدهم ولا بين المتحددين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم ان لم يتم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بنقل الاموال والارواح وارتيكاب كل صعب واقنحام كل خطب ولا يباح لهم المسالمة مع من يعالهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم وبالفيت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حدلو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة من دار حرب به — وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ولا يقبر منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون بحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من إلهامات دينه ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يليق بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوجستان كأولايون حركات الانكباب في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جاش ولا تكون

لهم نعمة على اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون ندخال الانكاز في بلاد فارس
ولا يضحرون ولا يتاملون

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه
الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو الى الخيرة ويسبق الى بيان
السبب فخذ مجملًا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات
والمدرجات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها
تصدر بتقدير العزيز العليم لكن الاعمال تثبتها وتقويها ونطبعها في النفس ونطبع
الأنفس عليها حتى يصير ما يمبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلائمها
نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا أن ما ينعكس الي مرآة عقله من
مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا
وكل فكري يكون له أثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى
الفكر ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح في
الاجساد وكل قبيل هو الآخر عماد .

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب
والالتحام لولا ماتمبث عليه الضرورات وتلجى اليه الحاجات عن تعاون الانساب
والعصبية على نيل المنافع وتضاههم على دفع المضار وبعد كروار الايام على المضاهرة
والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذًا يصرفه في آثارها بقية الاجل ويكون
انبساط النفس لعون القريب وغضاضة الثلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جاريا
مجري الوجدانيات الطبيعية كالأحاساس بالجوع والعطش والري والشبع بل
اشبه أمره على بعض النظرين فعده طبيعيا . فلوأهملت صلة النسب بعد ثبوتها
والعلم بها ولم تندع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة
ويؤكدها أو وجد صاحب النسب من يظاهرة في غير نسبه أو ألبانه ضرورة
الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها إلا صورة في العقل مجري
مجري المحفوظات من الروايات والمثولات . وعلى مثال ما ذكرنا في رابطة

النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض . اذا لم يصحب العقيد الفكري ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الي عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه و يعود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة لاروح وشكلا من اشكلها فلن يكون منشأ لاآثاره وإنما يمد في الصور العملية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول الدينة والنظر فيها بهين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ما هم فيه مع شدتهم في دينهم والعلة في نباطوهم عن نصره اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لأنساب بينهم وكل ينظر الي نفسه ولا يتجاوزها كأنه كونه برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مرا كش ولا لمر اكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحبحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟ هذا التسداب والتقاطم وارسال الحبال على القوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لاعلاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد و بلد الاطنيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد أجنبي عن ملته لكنه

لضعفه لا يبعث على النهوض لمعارضته . كانت الأمة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج فتمزق به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .
 بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الأمة الإسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقيام قمع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الأندلس . تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يراعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكركخان وأولاده وتميورلنك وأحفاده وابقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلهم عن أنفسهم ففترق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً وانفرد كل بشأنه وانصرف الي ما يليه فتبدد الجمع الى آحاد وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك أو مذهب فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة وبعث على اشتباك الوشيحة وصار ماني العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذكرة عند عرض مافي خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب يعض المسلمين بمد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان وما هو الا نوع من الحزن على الفاتت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة تدارك النازلة ولا دفع الفائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك

بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويحملوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحديقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد اطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع انحاء الارض بعضهم ببعض ويحملون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا أطراف الوشائج الى معتد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة واشرفها معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ويكون كذلك ادعى لنشر العلوم ونوير الافهام وصيانة الدين من البدع فان احكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف فلو ابدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس بخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل .

الا أنا نأسف غاية الاسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفت اليها في هذه الأيام طائفة من أرباب الغيرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوجد جمعهم ويجمع شئبتهم فقد دارستهم التجارب ببيان لا مزيد عليه وما هو بالمسير عليهم أن بثوا الدعوة الى من يبعد عنهم ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة أو ما يخشى أن يسبها بضرر ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فرضة وطلبوا سعادة والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير

باب المناظرة والمراسلة

— الرد على الشيخ بنحيت = تابع لما في الجزء التاسع —
﴿ الاستدلال بحديث جابر ومعناه ﴾

قد علم مما تقدم في الجزء التاسع ان حديث جابر الذي استنبط منه الشيخ بنحيت جواز أن يكون امام المسلمين وخليفتهم كافراً لم يرو الا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي وان هذا الراوي قد طعن فيه أشد الطعن فحكم البخاري بأنه لا يجوز الرواية عنه وقال وكيع أنه كان يضع الحديث أي يختلقه وينسبه لى ابي صلي الله عليه وسلم وقالوا انه لا يتابع على حديثه فمناجعة عبد الملك بن حبيب له لا يمتد بها على أن عبد الملك هذا مجروح وكان يعتمد على الاجازة لما كتب فاذا نحن اعتبرنا متابعه فاننا لانحکم بأن الحديث يرتقى بها الي درجة الصحة أو الحسن فالحديث لا يحتج به .

اماماً كثر الكلام فيه الشيخ بنحيت من كون ضعف الراوي أو نكارة أو وضعه للحديث لا يقتضي أن يكون كل ما يرويه ضعيفاً أو منكرراً أو موضوعاً في نفسه فهو على ما فيه من التفصيل غير مفيد هنا وان كان فيما نقله عن المتأخرين - كالناوي والزيدي بل والقاسمي - ما روه الجاهل بالحديث ما يروهم . والحق ان ما ينفرد به الراوي المعروف بالوضع موضوع لا يجوز روايته الا للتنبيه على كونه موضوعاً وما ينفرد به الضعيف ضعيف لا يحتج به في اثبات الأحكام وتقرير الشريعة وما ينفرد به منكر الحديث في اصطلاح البخاري لا يجوز روايته عنه الا للبيان حتى لا يفتقر به أحد وراوي هذا الحديث كذلك وقد علم حكمه عند غيره مما سبق . نعم أنه يجوز عقلاً ان يكون الحديث الذي يرويه أشد الناس ضعفاً بل أكثرهم كذباً ووضعاً ما له أصل في الواقع وهذا الجواز العقلي لا يبيح لمؤمن أن يقبل رواية من لا يوثق به ويحتج بها الاحتمال صدقه عقلاً . واذا ظهر أن بعض مارواه قد رواه غيره عن الثقات فانما يكون الاحتجاج بالرواية الأخرى .
فخلاصة القول في استدلال الشيخ بنحيت بحديث جابر عند ابن ماجه ان

الشيخ بخيت لا يعرف له سندا يبيح له الاستدلال به والاستنباط منه ولا حجة له في احتجاج بعض النقهاء به في غير مسائلنا لأنه هو في هذه المسألة مجتهد مستنبط لا مقلد فيجب أن يكون علي يدنة في استنباطه والا فليقف عندما قاله الفقهاء ولم يقل ان أحداً منهم قال ان الحديث يدل على جواز أن يكون امام المسلمين كافراً وأنه قلده في ذلك .

قال الشيخ بخيت (في ص ٤٦) بعد ما نقل عن صاحبه الفاسي الذي جعله من الحفاظ ما نقله ابي الفاسي من الاحتجاج بالحديث الذي تلقاه الاملاء بالقبول وان طعن فيه أهل الحديث مانصه : « وقد علمت ان حديث جابر الذي نحن بصددده قد تمددت طرقه ورزي عن اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما وذكروا في كثير من السنن وكتب الحديث كما مروا شواهد تصحيح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة واجماع الامة وأصول الشريعة » اه أقول بعد الاستمادة بالله من مثل هذه الجراءة قد علمت مما ذكرناه في الجزء التاسع ان الحديث لم تمدد طرقه بل هي طريق واحدة - وانه لم يرو عن أبي سعيد وتمام روي منه حديث آخر يوافق حديث جابر في غير موضع النزاع فهو لا يمد تقوية له فيه وإنما تقوي الروايات بعضها بعضاً فيما تشترك فيه وليس في حديث أبي سعيد انهي عن إمامة الفاجر للمؤمن الا عند الخوف - وانه لم يرو في كثير من كتب السنن كما قال وانا ذكر في سنن ابن ماجه والبيهقي اما البيهقي فقد ذكره ليبين انه لا يحتج به وانا ابن ماجه فقد قال السندي في حاشيته على كتاب السنن له مانصه :

« وقد اشتمل هذا الكتاب من بين الكتب الستة على شؤون كثيرة انفرد بها عن غيره المشهور ان ما انفرد به يكون ضعيفاً وليس بكلي لكن انقلب كذلك » ثم نقل ان السيوطي قال في حاشية النسائي تعلقاً عن غيره « ان ابن ماجه قد انفرد بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب ووضع الاحاديث وبعض تلك الاحاديث لا نعرف الا من جهتهم مثل حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك والعلاء ابن زيد وداود بن المنجم وعبد الوهاب بن الضحاك واسماعيل بن زياد السكوني

وغيرهم» ثم قال « وقد حكم أبو زرعة على أحاديث كثيرة منه بكونها باطلة أو ساقطة أو منكرة وذلك محكي في كتاب العلال لأبي حاتم انتهى . قلت وبالجملة فهو دون الكتب الخمسة في المرتبة فلذلك أخرجه كثير من عده في جملة الصحاح السنة لكن غالب المتأخرين على أنه سادس السنة »

أقول وحديث جابر الذي هو موضوع مناظر تماهدما انفرد به دون سائر الكتب الستة التي هي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي . وأما البيهقي فهو بعده وطريقه عين طريقه فيه فعلم بهذا سقوط إيهامه قوة الحديث بإخراج أهل السنن له من طرق متعددة تنتهي إلى اثنين من الصحابة .

وأما قوله أن له شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع فقد احتج عليه بأشماله على ستة أمور مؤيدة بما ذكر (١) الأمر بالموابة (٢) الدلالة على اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة (٣) وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافاً بها وتهاوناً أو جحداً لها (٤) النهي عن امامة المرأة في كل من الامامة الكبرى والامامة في الصلاة (٥) النهي عن امامة الاعرابي كذلك (٦) النهي عن امامة الفاجر لأمته . كذلك .

أقول ان التدليس أو الإيهام في هذا الكلام لا يقل عن مثله فيما قبله وبيانه يعلم مما سبق لمن تأمل وهو أن موافقة الكتاب أو السنة الصحيحة أو الاجماع لحديث ضعيف أو موضوع لا تعد تأكيداً له فيما انفرد هو به في المعنى كما أنها لا تدل على صحة اسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن من الاحاديث الموضوعه باتفاق الحديثين ما هو صحيح المعنى لموافقة معناه كدليل الكتاب أو السنة الصحيحة أو الواقع ومع ذلك لا تجوز نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا روايته إلا لبيان وضعه . وكذلك الحديث الضعيف . وهذا هو الحكم فيهما إذا كان معناه كلياً صحيحاً مؤيداً بما ذكر وأما إذا كان فيه معنى صحيح مؤيد ومعنى انفرد به لا يؤيده شيء فلا يجوز أن يقال ان هذا الحديث مؤيد بما يقوي المعنى الذي انفرد به بموافقة الكتاب أو السنة أو الاجماع لمعنى آخر فيه .

قاله أن يقول قائل : يا أيها الناس اتقوا الله وأياكم وشرب القهورة : وادعى

ان هذا حديث فهل يباح لنا أن نقول اذا لم يصح هذا الحديث رواية فهو صحيح
معنى لأنه مؤيد بالكتاب والسنة والاجماع باشتياله على الامر بالتقوي ؟ لا يباح
ذلك فان موافقته لما ذكر بالامر بالتقوي لا تثبت كونه حديثا ولا تؤيده في
التحذير من شرب القهوة . المثال ينطبق على دعوى الشيخ بنجيت تأييد حديث
جابر بما ذكر وكونه صالحا بذلك لأن يحتج به على جواز كون السلطان الذي
يأذن بالجمعة ويرلي القضاء غير مسلم . وهذا على فرض اشمال حديث جابر على
هذا المعنى كما ادعى فاذا لم يكن مشتملا عليه كما هو الواقع فما هي فائدة موافقته
للكتاب والسنة في مثل الأمر بالتوبة ووجوب الجمعة .

ولسنا في حاجة الى مناقشته فيما ادعاه من تصحيح كل أمر من تلك الأمور
بتأييده بالكتاب والسنة فإنه يخرج بنا الى تطويل لا حاجة اليه في موضع النزاع
ولا غرض لنا ببيان كل خطأ وغلط في رسالته وإنما نذكر من ذلك ما له علاقة
بموضوعنا . اما قوله (في ص ٤٧) ان الكتاب والآثار الصحيحة تؤيد ما يدل
عليه الحديث من اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة - أي ولو كان كافرا
على حسب استنباطه - فعزاه الى الحنفية وذكر انهم أخذوا الشرط من قوله تعالى
« الى ذكر الله » اذ لا بد في الذكر من ذا كر وهو من له ولاية الاقامة .
ونقول اذا كان الشيخ بنجيت مقلدا بحتا لهؤلاء الحنفية وان لم يظهر له صحة دليلهم
فإله وما للاستنباط وان كان يرى هذا الدليل موصلا الى اثبات اشتراط اذن
السلطان وان كان كافرا في اقامة الجمعة فنقول له ان الذكر هنا هو الصلاة والذاكر
هو المصلي فمن أين أخذت اشتراط أن يكون المصلي واحدا وان الصلاة لا بد فيها
من ولاية ولو لكافر يأذن بها وأنه يجب ان يكون المصلي الذي يسمى اليه هو
صاحب هذه الولاية أو من أذن له صاحب هذه الولاية !!! أليس المتبادر من
الآية فاسمعوا الى أداء هذه الصلاة التي نوديت لها ؟ هل يقول الشيخ بنجيت ان
قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يدل على أنه يشترط في
قراءة القرآن اذن السلطان اذ لا بد في القراءة من قارئ ولا بد أن يكون القارئ من
له ولاية القراءة ؟ والا فما الفرق بين هذا وبين قوله تعالى (اذا نودي للصلاة من

يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) وكل منهما شرط وجزاء ؟ فان كان يدعي ان هناك دليلا آخر من غير الكتاب يدل على ان المصلي تتجمة لا بد له من اذن فلماذا يدعي ان الكتاب نفسه هو الذي يدل على ذلك ؟ ألا يعرف ما هو وصف من ينسب الى القرآن ما ليس فيه وما هو جزاؤه ؟ وهل الشيخ بخيتا يذكر لنا من سبقه الى هذا الاستنباط من الخفية لتعلم هل هو من طبقة مجتهدتهم أم لا واتي أخشى ان يكون عزيره ذلك الى الخفية كهزوه الحديث الى كتب السنن أو ...

ثم قال في بيان تأييد هذا الحكم بالأثار الصحيحة مانصه « وأما الآثار فما روى الحسن البصري موقوفاً أربعاً الى السلطان وذكر منها الجمعة والعيدين والموقوف في هذا له حكم المرفوع لكونه مما لا يدخل للرأي فيه » اه

أقول في فتح التقدير ان هذا الأثر من قول الحسن البصري والشيخ بخيت جعله رواية عنه موقوفة على بعض الصحابة ولم يذكر الصحابي الموقوف عليه فهل صاحب الفتح وغيره من شراح اليداية ومحشيها هذا الصحابي وعرفه الشيخ بخيت ؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا لم يذكر هو الصحابي أليس ذكره أقوى في الحجة من ذكر الحسن البصري ؟ أم ظن الشيخ بخيت أن قول التابعي فيما لا يدخل للرأي فيه كقول الصحابي يسمى حديثاً موقوفاً وله حكم المرفوع واذا ما داسماه أثراً ؟ أم نعمة تسمية قول الحسن رواية لحديث موقوف غشا للقارئ لرسالته ؟ ولماذا لم يذكر من خرج هذا الأثر من المحدثين يرجع الى سنده فينظر هل هو سند صحيح أم لا ؟ أهله يبين لنا حقيقة الأمر في ذلك برسالة أخرى ولو ينقل عن البرق الوهيم أو اتاقي عن صاحبه الخافض الكتاني الفاسي أو عن كتبه ... ولنا أن نقول بعد ذلك اذا صح أن ما ذكر حديث موقوف أو مرفوع يحتاج به فان قصارى ما يدل عليه ان السلطان أولى بإمامة الجمعة من غيره ان وجد لأن صحة صلاة الجمعة مشروطة بإذن الملائطين لا تنعقد ولا يقبها الله تعالى إلا اذا اذن بها السلطان وإن كان كافراً

ثم قال الشيخ بخيت بعد ما تقدم « ووافق ابن المنذر مضت السنن الذي غير الجمعة هو السلطان أو من أمره وقل في التلويح اذا قل الراوي من السنة

كذا يحمل عند الشافعي وكثير من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى على سنة النبي عليه السلام اه

أقول السنة في الاصل الطريقة والعادة والسيرة ولأهل الاصول والحديث والفقهاء فيها اصطلاحات مرروقة . واختلف أهل الاصول في قول الصحابي من السنة كذا هل يحتاج به أم لا قيل يحتاج به لان الظاهر أنه يريد سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا لجواز أن يريد سنة الناس وعاداتهم كما في جمع الجوامع وشرحه وأما قول آحاد العلماء مضت السنة بكذا فليس بحجة عند أحد وان كان العالم محدثا وصرح بأنه يريد السنة النبوية لان العبارة بما يرويه لا بما يقوله فكيف اذا قامت القرينة على أنه يريد بالسنة معناها اللغوي وهو العادة كقول ابن المنذر مضت السنة بأن الذي يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره . لانه لم يكن في زمن النبي سلاطين

ثم أنه لا يخفى على عاقل أن مضي السنة بأن السلطان هو الذي يقيم الجمعة أو كون ذلك للسلطان كما قال الحسن لا يدل على كون اذنه شرطا لصحتها أو لقبولها عند الله لا سيما اذا كان كافرا على مذهب الشيخ بحيث بل قصارى ما يدل عليه أنه هو الاولى بالإمامة والخطابة فيها اذا وجد . وقد أقام الجمعة علي عندما كان عثمان محصورا ولم يرو عن أحد أن عثمان أذن له بذلك ولا سأل أحد من الصحابة الذين صلوا مع علي هل أذن عثمان بالجمعة أم لم يأذن . وقول الحنفية إن هذه واقعة حال يحتمل أمها كانت بإذن وإن لم ينقل لا يفيد الا اذا كان هناك دليل على اشتراط اذن الخليفة أو السلطان فعند ذلك يقال ان الواقعة لا تصلح معارضة للدليل لما يفتورها من الاحتمال وحديث ابن ماجه الذي هو موضوع بحثنا لا يحتاج به لما علمت على أنه لا يدل على الاشتراط لأن قيد « وله إمام عادل أو جائر » إنما هو مع سائر القيود لاستحقاق ذلك الوعيد كأنه اذا ترك الجمعة وهو ليس له امام بأن كان تحت سلطة الحريين الذين يمنعون المسلمين من إقامة الشعائر يكون له عذر وههنا بحث في قوله « فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي وله امام عادل أو

جائز استخفافا بها أو جحودا لها فلا جمع الله شمله « الخ وهو هل الوعيد بقوله فلا جمع الله شمله مقيد بوجود الامام مع الاستخفاف أو الجحود أم هو مقيد بكل منهما؟ الظاهر الاول وعليه فمن ترك الجمعة غير مستخف بها ولا جاحد فلا يستحق هذا الوعيد كله وان كان له امام

ثم استدل بعد ذلك على اشتراط اذن السلطان بالعقل وملخص دليبه أن الجمعة تؤدي بجمع عظيم والتقدم على الجمع بعد شره فالذالك يسارع اليه طلاب الجاه فتقع الفتنة بالتنازع عليه فشرط ان يكون التقدم لذي سلطان يمتقدون طاعته أو يخافون عقوبته قطعاً للفتنة وتنشياً لأمر الجمعة ولنا ان يبطل هذه الشبهة التي جعلها دليلاً مقبولاً بأمور (منها) أنه يأتي مثل هذا المعنى في صلاة الجماعة لا سيما اذا كان المصلون كثيرين كما يقع كثيراً وكما هو المطلوب شرعاً لا سيما على القول بفرضية صلاة الجماعة فلماذا لم يقولوا باشتراط اذن السلطان في صلاة الجماعة اذا لم يكن هو الذي يقيمها (ومنها) أن دعوى خوف الفتنة التي ذكرها ممنوعة وسند المنع المشاهدة كما نرى في صلاة الجماعة الكثيرة وفي صلاة الجمعة في البلاد التي ليس فيها سلطان ولا أذن بإقامة الجمعة فيها سلطان (ومنها) أن هذا المعنى لو كان صحيحاً لثاقه الشارع بالنص الصريح ولو ورد نص بذلك لتواتر أو اشهر واستفاض ولم تنحصر روايته في رجل لا يحل الرواية عنه (ومنها) أن هذا الشرط الذي جعله ردها دون صلاة الجمعة مانعا من تركها هو الان كما كان قبل الآن سبباً في تركها عند من اعتقده اذ يتعسر أو يتعذر على كثير من مسلمي روسيا مثلاً الوصول الى اذن من القميص باقامة الجمعة فأى فتنة تحذر من انفاقهم على إقامة الجمعة وأن يكون الامام فيها هو الامام في سائر الصلوات . أليس هذا أقرب الى العقل وأحفظ للدين مما ذكره

وأما الأمر الثالث ما اشتمل عليه الحديث وهو وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافاً بها أو تمهاونا أو جحوداً لها فلا تبحث فيه وان كان فيما قاله بحث لأنه ليس من موضوعنا في شيء .
وأما الأمر الرابع وهو النهي عن إمامة المرأة فقد ذكر الشيخ بخصت فيه خلاف

أبي ثور والمزني وابن جرير الطبري وحديث أم ورقة التي أذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها وهو أصح من حديث جابر الذي هو موضوع كلامنا وقد اعترف بأنه لا دليل في الباب سواء أي على منع إمامة المرأة فنقول له كيف كان إذا مويدا بالكتاب والسنة والاجماع !!

وأما الأمر الخامس وهو النهي عن إمامة الأعرابي فقد قال الشيخ نجيب (في ص ٥٠) فيه « والبراد بالأعرابي الجاهل بدليل مقابله بالمهاجر والجاهل فاسق بجهله » ثم أورد فيه احتمالين فقال « يجوز أن يراد به الكافر وبالمهاجر المؤمن مطلقاً . . . ويحتمل أن يراد به ما هو أعم ويكون المراد بالمهاجر المؤمن الكامل » واستدل على الأول بحديث « أيما أعرابي حج ثم عاجر فعليه أن يهجر حجة أخرى » وعلى الثاني بحديث « لا يؤمكم ذو جرأة في دينه » وحديث « اجعلوا أمتكم خياركم » وهو استدلال بديهي البطلان فلا تطيل فيه ولا تتكلم عن هذه الأحاديث . ثم قال (ص ٥١) « وليس المراد بالأعرابي من يسكن البوادي وإن كان ورعاً زاهداً عادلاً فقيهاً فإن هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث » ثم ذكر الآيات الواردة في سورة التوبة في الأعراب ككون كفارهم ومناقضهم أشد كفراً ونفاقاً وكون فيهم من يؤمن بالله واليوم الآخر . وتوسل بذلك إلى قوله « ولكن المترض قد أبي إلا أن يكون جميع الأعراب قسماً واحداً وهم المقيمون بالبادية وراء أنعامهم مخالفاً في ذلك كتاب ربه سبحانه فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المترض ونحن ممن يقول بقول الله ولا نقول بقول هذا المترض المخالف لكتاب الله » ١١٥

أقول لينظر علماء تونس وسائر المغرب والهند وسائر أهل المشرق والحجاز وسائر بلاد العرب والترك والهند وسائر بلاد المسلمين إلى مقال هذا الرجل الذي يعد من أذكى علماء الدرجة الأولى في الأزهر كيف يفهم اللغة والدين وكيف يجادل في العلم لعلمهم ينصحون لأهل بلادهم بأن الرحلة إلى الأزهر لاجل طلب العلم مضيعة للمال والوقت لأن مستوى العلم فيه ابراد الاحتمالات في الضروريات والبد依يات ، انفتت كتب اللغة والتفسير والحديث والفقهاء على أن الأعراب هم

سكان البادية من العرب ومواليهم منهم والاعرابي منسوب اليهم ف جاء الشيخ بن حيت
المستنبط الأزهرى الجديد يورد احتمالات في تفسير الاعرابي ويدعي أن من يقول
إن الاعرابي هو المقيم في البادية مخالف لكتاب الله تعالى . أليس هذا العلم أو الجهل
بما يصدق عليه قول الجاحظ أنه لا يصل اليه أحد إلا بخذلان من الله !!

قال في القاموس : « العرب بالضم وبالفتح يك خلاف المعجم مؤنث وهم سكان
الامصار وأوعام والاعراب منهم سكان البادية لا واحده ويجمع على أعراب » وقال
شارحه عند قوله والاعراب منهم سكان البادية « خاصة والنسبة اليه أعرابي لأنه (لا
واحدله) كما في الصحاح وهو نص كلام سيبويه والأعرابي البدوي وهم الاعراب »
ثم قال « وحكي الأزهرى رجل عربي اذا كان نسبه في العرب ثابتا وان لم يكن
فصيححا وان كان عجمي النسب ورجل أعرابي بالالف اذا كان بدويا صاحب
نجمة وانواء وارتباد الكلا وتبع مساقط الغيث وسواء كان من العرب أو من
مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعراب والأعرابي اذا قيل له يا عربي
فرح بذلك وهش والعربي اذا قيل له يا أعرابي غضب فمن نزل البادية أو جاور
الباديين فظمن بظعنهم وانتوى بانتواهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن
المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتهي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء .
وقول الله عز وجل « قالت الاعراب آمنا » هؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا
على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة طمعا في الصدقات لا رغبة في الاسلام فمناهم
الله الأعراب فقال « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » الآية . قال الأزهرى
والذى لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي ربما تحامل على العرب بما يتأوله في
هذه الآية وهو لا يميز بين العرب والأعراب . ولا يجوز أن يقال للمهاجرين
والانصار أعراب انما هم عرب لانهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن سواء
منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى والناشئ بمكة ثم هاجر الى المدينة . فان
لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نعما ورعوا مساقط الغيث بعد
ما كانوا حاضرة أو مهاجرة قيل قد نعر بوا أي صاروا أعرابا بعد ما كانوا عربا في
الحديث : تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي : جعل المهاجر ضد الأعرابي . قال

والاعراب ما كانوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأوصار ولا يدخلونها
الا لحاجة « اه

أقول وإذ رجعت الى كتب التفسير وشروح كتب الحديث لا تجد للاعرابي
تفسيرا غير ما في القاموس وشرحه وهو عين ما قلناه فقال فينا الشيخ بنحيت ما قاله
لما اخترعه هو في تفسير الأعرابي من الاحتمال ، وأما كون الأعراب أقساما
منهم المؤمن والكافر والمنافق فهو لا يخرجهم عن كونهم سكان البادية ورعاة
الأنعام . ومن هاجر منهم وأقام في المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
خرج عن كونه أعرابيا لغة وعرفا وصار حضريا مهاجرا وكذلك من ترك البادية
وأقام في العمران في كل زمان يخرج من صنف الأعراب والبدو ويصير من أهل
الحضارة . فقول الشيخ بنحيت (في ص ٥١) : « ليس المراد بالاعرابي من يسكن
البادي وان كان عالما ورعا زاهدا عدلا فقيها فان هذا لا يدخل بالضرورة
تحت النهي في الحديث بل ربما يكون أقرأ القوم وأعلمهم فيكون هو الاولي في
الامامة في الصلاة بالقدم عملا بمعوم الاحاديث الواردة بتقديم الأقرأ ثم الاعلم
مطلقاً » : لا يقوله الا من يجهل اللغة والتفسير والحديث والسيرة النبوية ويكون
المعلم عنده عبارة عن ايراد الاحتمالات الكثيرة في كل قول كما هو دأب أهل
الأزهر الا من أنقذه الله تعالى وحفظه وقليل ما هم . اما اللغة والتفسير والحديث
فلما تقدم واما السيرة النبوية فلا يجهل من اطعم عليها ان الاعراب لم يكن منهم علماء
فقهاء بحيث يكون الواحد أعلم من المهاجر حتى اذا اجتمعا - كأن ألم المهاجر
بالبادية أوجا البديري المدينة لحاجة - يقدم الاعرابي في الامامة على المهاجر
بعلمه وقراءته وفتنه لان القراءاة والعلم والفقه لم يكن لها مصدر الا النبي صلى الله
عليه وسلم فكيف يكون البعيد عنه في البادية أعلم من المصاحب له في المدينة ؟؟
الهم ان احتمالات أكثر الأزهريين لا يمتثلها عقل غيرهم من عبادك وان من احتمالات
الشيخ بنحيت ، الا يكاد يمتله عقل أحد من الأزهريين ، حتى يوافقوه على زعمه
اننا نخالفنا كتاب الله في تفسير الاعراب والمهاجرين ، وانما كان هو المخالف
لكتاب الله وكتب علماء اللغة والدين ،
(للرد بقية)

رسالة في تقاليد أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي
الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله
حضرة العلامة الاستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا منشى مجلة المنار الفراء
أمدته الله بروح من عنده ، ومنحه من الاعانة على الارشاد ما لا ينبغي لأحد
من بعده ،

سعد حظي أيديكم الله بما أمتنتم به علي من اعتباركم لي مشركا في مجلتكم
التي تقشع بمظهرها سمعاب الضلال ، والبدع التي أحدثت بالأمة ذات اليمين
و ذات الشمال ، والخرافات التي انصفت بصيغة الدين ، والأوهام التي لعبت
بمقول أولئك الجامدين ، فتبارك الذي أيقظ همتك لإرشاد أمتك فأوضح
للساري بمنارك المحجة « ومن يهد الله فإله من مضل » سيما وقد شفقت ذلك
بفتح باب الأسئلة للمسترشد ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز السعادة
للأمة ، ما إن مفاحة لتنوء بالعصبة أولي القوة ، وقد حملني فضلكم هذا على
تقديم أسئلة لاعتابكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الأخيرة قصدا لأداء صلاة المشاء مع الجماعة
فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتا مرتنعة وقد رجبت الارض رجاً فحسبت أن
أبخرة احتبست فيها فنشأ عنها زلزال فكثرت لفظ القوم على ما أعرفه عنهم عند
حدوث الزلزال ولم يزل ظني كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عددا كثيرا
من نوع الانسان ينيف على الحسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيديه وقد تصيب
جبينه عرقاً فعدلت أن رجة الارض من وطأة قدميه فسألني شتيقاي الشهران
عن ذلك فكان جوابي « الجنون فنون » فأعاد علي السؤال : كيف يسهى في
جنون من عقل ؟ فقلت وأنى لهم بالعقل ولو كانت لهم منه مسكة لا فكروا في مثل
هذا وتجرؤوا على معصية الله في بيته . هلا انفرد كل منهم بنفسه وذكر الله
تعالى كما أمره بقوله ﴿ واذا كرر بك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من

القول ﴿ وهذا ان لم يكن هوؤلاء المجانين شغل تعجل منفعة، والا فليحملوا فوق هذه الاوزار اوزارا ، وليستمدوا العذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله نصارا، ألم تروا أن قضاء الفوائت واجب على الفور الا في مواضع حسبوا منها الاشتغال بحرفة يحترف المرء بها

ثم آيت شعري آية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترد يدهم كلمة التوحيد؟ ان نطقت بها ألسنتهم فقد جحدتها أفعالهم بانخاذ الوسائط وليتهم أدركوا حقيقتها وتركوها ونفسها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدين مكناش الشيخ محمد بن عيسى يتلوها بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحدة لم يكن جوابهم الا السكوت أو الاستناد الى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آبائهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجاة المقلدين، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين ، وان خالف في ذلك أقوام ، بنوا مذهبهم على الحرفات والأوهام ، والعمل بما رأي ليست في الحقيقة الا أضغاث أحلام ، سألت بعض التالين لهذه الرسالة عن معنى قول المؤلف «نزه عن المكان» فقال أبي أتلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعنا من قبلك أساتذة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال ، ولم يكافئنا بمثل هذا المقال ، فان كلام الأولياء لا يصل اليه الأفكار ، ولا تنرجه نحو إدراك حقيقته الأ نظارا ، اللهم الا ممن عميت بصائرهم ، وطمست سرارهم ، وقال سبحانه أعوذ بك من هؤلاء الضالين: فقلت اذا كان الأمر كذلك أفيحسن بك أن تردد مالاتهم ثم أعرضت عنه فلاطفه أحد شقيقي حتى أوصله الى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان ، وأحسن تبيان ، فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير انا اعتقد ان الله عز وجل في السماء مستدلا بحكاية عن عجوز كانت ترفع بصرها الى السماء كل صباح وتقول عم صباحا يا مولانا ورؤيت بعد موتها وعليها ثياب خضر

واملى أطلت ذيل انقال ، في الكلام على هؤلاء الجهلة من أرباب الضلال ، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال ، الى دائرة التشكي من هذه الاحوال ، فسم الاستاذ المسترشد ، مع عدم الوقوف على المقصد ،

أقول اني صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ما هذا من الدين أيها الناس أين أنتم من صفة السمع «أر بعوا علي أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غابيا» وكان جوابهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجتئنا بالحق أم أنت من اللاعبين) ثم نادوا بصوت عال: أين أنت يا قطب مكناس والحرس الا كبر بديوان الصالحين والفتوح المتصرف في السماوات والارض مزق هذا المعترض كل ممزق: فقلت أنتم وإيم الله تشركون من حيث لا تشعرون أتدعون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم وما القطب والحرس والفتوح الا كلمات تدل على معان يعرفها اللغوي فجعلتموها أعلاماً لافراد أكلت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

ترجمون انكم مسلمون وقد دعوتهم غير الله تعالى
ترجمون انكم مسلمون وقد اتخذتم لله وزراء وعمالا سميتموهم بأهل الديوان .
أهذا الديوان عندكم مجلس نواب الامة ، فرددوا علي اللعنة ثم قالوا نجتمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلى ونذبح بقرة امام زاوية هذا القطب الكامل وندعو عليه فيموت بهركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملاً كما نراه في غيرها . إن زعمتم أنها الفضلى بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما نقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزهة عن العبث والارزاق والآجال قدرت من قبل ان يخلق الكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية . وان زعمتم أنها الفضلى بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم أعندكم على ذلك دليل أم تقولون على الله ما لاتعلمون

سيدي هل في كلامي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اهراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبيل الصواب أيها المرشد الكبير ، والمنصف الذي لن يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيتين سلاما ، وتحية كواهلها اجلالا لمقامكم واعظاما ، ومن الحقير مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والحلة الثابتة اصولها بسويداء الفؤاد ، وكتب في ٢٠ جادى الاخيرة سنة ١٣٢٤ ح . ي .

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولازى السؤال فيه الا من قبيل استفهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام يبنى عليها تكفير المنكلم ؟ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؟ كيف وهذا ليس من الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديب النمل وإنما هو أشد الشرك وأظهره وأجلاه ونصوص القرآن في ذلك لا تحمل التأويل ولا التحريف . نعم ان الذين يرون لأنفسهم رياسة دينية باعتماد العامة عليهم وصلاتهم يسهل عليهم تكفير كل من خالف أهواءهم وتقاليد العامة التي تنوكون في بدعها عليهم وهم ينحرون رضاها لما لهم من الفائدة في ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولازم المذاهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما ينفهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم مراده ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقناع ويحتج عليهم بكلام من يعتقدون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ما هو دونها بالتدرج ولكل مقام مقال وأما مخاطب الناس على قدر عقولهم فعمى أن يراعي ذلك بعد ويتحاشى المبالغة في كل شيء فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعتابكم » وقوله « ولن يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، وبسددنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقه السلام .

وقد جربنا هذه الطريقة في نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا نعم ان مشايخ الطريق الذين يهيشون بأكل السمحت ومخادعة العوام قلما يسمعون أو يفتقرون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التي تقنع مقلديهم بفساد حالتهم

فَتَبَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ الْكُرْبَىٰ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء، واتناذكر الالفة بالتدريج غالباً ورمياً فمما تأسر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لثقل هذا ولين معني على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا حذر صحيح لا نقفاله

﴿ أول ما نزل من القرآن ﴾

(٣٣٣ س) من الدكتور علي افندي رياض (بالفنت - فيوم)

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامية الفراء

أقدم وافراحتراي لجنابكم ثم أتجاسر بأنه أبدي هذه العبارة الآتية وغايتي منها لم تكن الانتقاد لاني لم أكن أهلا لذلك ولكن بقصد الاستفهام عن الحقيقة من حضرتكم

لقد طالعت النسخة التي فيها تفسير سورة العصر طبع مطبعة مجلتكم الفراء فرايت في موضوع درس عام فيها لحضرة الامام رحمه الله في صفحة ٥٨ ما نصه بالحرف الواحد « ولما كان العلم ضواً يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول ما نزل على النبي الأُمِّي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الخ ويظهر من سياق الحديث ان غرض الاستاذ رحمه الله في قوله هذا الاستشهاد على منافع العلم وان أول نزول الوحي كان بشأن العلم

ولكن سبق لي قراءة تفسير سورة الفاتحة لحضرة الامام وهي أيضاً طبع مطبعة مجلتكم الفراء واذا فيها ان حضرة الامام رحمه الله أثبت بالدليل الكافي ان أول ما نزل به الوحي كان أم الكتاب لا « اقرأ »

فهل كان يغير أفكاره فرجع رحمه الله عن رأيه في تفسير الفاتحة الى ما ذكره في ذلك الدرس وهو ان أول ما نزل الى « اقرأ باسم ربك » كما أجمع عليه حضرات علماء التفسير؟ ألمس بكل أدب إفادتنا عند ذلك لاجل اتباع الأصوب مع قبول وافراحتراي

(ج) ما من عالم ولا إمام الا ويقول أقوالا ثم يرجع عنها لأن غير المعصوم لا يخطئ بالصواب في كل قول وكل رأي ابتداء وقد نقل عن الامام مالك انه كان يبكي قبل موته لأن أناسا أخذوا عنه أقوالا في الدين رجع عنها بعد ذلك . إذا لا عجب إذا قال الاستاذ الامام قولاً ثم رجع عنه . والعمدة في بيان رأيه مطلقاً أو رأيه الأخير في هذه المسألة ما كتبه بقلمه في تفسير سورة العلق من جزء عم وقد بعد تفصيلاً لما نقل عنه في الدرس الذي طبعناه مع تفسير سورة العصر . ولا يخفى أن كلامه في تفسير الفاتحة وهذا الدرس ليس من كتابته رحمه الله تعالى وإنما تفسير الفاتحة من كتابة منشىء هذه المجلة وفيه بيان رأيه وقد اطلع عليه قبل الطبع وبعده . وأما ذلك الدرس فقد كتبه عنه بعض أدباء تونس عندما ألقاه فيها وطبع هناك في رسالة ثم قرأه عليه وتحتته بإشارته وطبعته مع تفسير سورة العصر الذي كتبه بقلمه . وإنما يرجح ما كتبه في تفسير جزء عم إذا كان هناك تعارض لأمرين أحدهما ان الانسان يتحرى فيما يكتب بقلمه ما لا يتحرى في إجازة ما يكتب عنه وثانيها أنه آخر ما يؤثر عنه في المسألة وهو قوله بعدما أورد الحديث الصحيح في أول نزول الوحي :

« وفي هذا دلالة على أن (اقرأ باسم ربك الذي خلق - الى قوله - علم الانسان ما لم يعلم) هو أول خطاب الهي وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعا وما فيه من ذكر أحوال المكذبين يدل على أنه انما نزل بعد شيوع خبر البعثة وظهور أمر النبوة وتحرش قريش لا يذانه عليه السلام . ثم هذا لا ينافي أن أول سورة نزلت كاملة بعد ذلك هي أم الكتاب كما بيناه في تفسيرها » اهـ قوله في تفسير سورة العلق

وأنت ترى ان هذا يتفق مع ما جاء في ذلك الدرس ولا يخالف ما علل به كون سورة الفاتحة هي أول القرآن نزولا من أن فيها مجمل ما فصله كله من مقاصد الدين حتى كأنه شرح لها . ولكنه مخالف لظاهر قول هذا العاجز في تفسير سورة الفاتحة « ثم رجع الاستاذ الامام أنها أول ما نزل على الاطلاق ولم يستثن قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) ونزع في ذلك منزعا غريبا في حكمة القرآن وفقه الدين » الخ وهذا

ما كان منه في الدرس أطلق ولم يستثن ولو قلت : ولم يستثن سورة اقرأ : لا تنفق ذلك مع ما تقدم ذكره تقلا عنه وكتابه منه

هذا وإن هذه الآيات من أول سورة الملق ينحصر معناها في جعل النبي الأبي قارناً بقدرته من خلق الانسان من علق الدم وفضل الرب الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فاذا كانت الفاتحة هي أول ما نزل بعد تبليغ هذا الأمر وبها تحقق أمثاله صح أن يقال أنها هي أول القرآن المقروء بالأمر نزولاً كما أنها في أوله وضما وترتيباً ولا ينافي ذلك تبليغ الأمر بالقراءة قبلها وإن كان أمر تكوينا لا تكليف إذا أمر التكوينا هنا يستلزم أمر التكليف . وسنفضل القول بهذه المسألة في تفسير الفاتحة عند ما نطبعه مع الجزء الأول من التفسير العام فقد كنا أخرنا طبع هذا الجزء وبدأنا بطبع الجزئين الثاني والثالث معاً لأن في الأول اختصاراً في بعض الآيات وقد زاد الاستاذ الإمام رحمه الله تعالى فيه بعض الزيادات عما نشر في المنار بقلمه قبل وفاته بزمن قصير رحمه الله ورضي عنه

﴿ العين ﴾

(س ٣٤) أمين افندي هاشم التلميذ بالمدرسة الخديوية (مصر)

جئت بهذا السؤال الى مجلتكم الفراء التي أفادت الناطقين بالاضاد قاطبة لاستمدت من نور معارفكم ما خفيت عني حقيقةه :

كنت أطالع بمض الكتب الادبية اذ وقع نظري على حديث شريف لقائله النبي (صلم) « العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر » وآخر « اتقوا سمّ الاعين » فاعتراي وهم لهدم اهتدائي الى الحقيقة ورجوت حضرتكم شرح : هل للعين مادة تنفصل منها الى محل النظر فتؤثر فيه أم كيف حتى تنقشع عني غياهب الجهل والوهم واهتدي الى الحقيقة ولحضرتكم الشكر سلفاً .

(ج) اعلم أولاً ان ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطب أو الزراعة وسائر أمور الدنيا لا يهد من أمور الدين التي يباغها عن الله تعالى وإنما يعد من الرأي وعصمة الانبياء لان شمل رأيهم في أمور الدنيا ولذلك يسمي العلماء أمر

النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من أمر الدنيا أمر ارشاد وهو يقابل أمر التكليف وفي مثل هذه الامور الدنيوية قال « أنتم أعلم بأمر دنياكم » كما في حديث البخاري ولذلك كان أصحابه عليهم الرضوان يراجعونه أحياناً فيما يقول من قبيل الرأي كما تعلم مما ورد في وقعتي بدر وأحد فاذا رأيت حديثاً في أمر الدنيا لم يظهر لك وجهه فلا يرعك ذلك ولا تظن ان في عدم ظهور انطباقه على الواقع طعن في الدين . على أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان ذا الرأي الرشيد والفكر السديد حتى في أمر الدنيا وان كان كلامه فيها قليلاً لأنه جاء لما هو أهم وأعظم وبعد فقوله عليه الصلاة والسلام « العين حق » حقه ثابت بالتجارب والمشاهدات في جميع الامم والاجيال ولفظ الحديث « العين حق » ورد في الصحيحين وأما حديث « اتقوا سم الاعين » فلا أعرفه ولا أتذكر اني رأيت في شيء من كتب الحديث المقتددة ومعناه أن تأثير العين كالتأثير السم لأن في العين سما ينتقل منها الى من تراه . اما العلة في تأثير العين فهي نفسية لاحسية وذلك أن لبعض النفوس تأثيرات مختلفة من أضعفها وأشهرها تأثير الثائب فاننا نرى كثيراً من الناس يتشاءب لنحو نعاس فلا يلبث أن يتشاءب من بجانبه . ومنها ما يكون عند النظر فانك ترى بعض الناس ينظر الى آخر فيرتعد المنظور اليه ويأمره بشيء فلا يرى مندوحة من طاعته وهو ليس له عليه أدنى سلطان وراء هذا التأثير الذي يطلقون عليه تأثير الارادة لأنه يكون اذا أراد صاحبه ان يكون ويدخل في هذا النوع من التأثير النفسي ما يعرف الآن بالتنويم المغناطيسي وقد كان معروفاً عند بعض الصوفية والهنود بتأثير الهمة أو تصرف الهمة . وإنما نسب التأثير الى العين في عرف الناس الذي ورد به الحديث لأنه يحصل بهذا النظر الى الشيء وفي حديث أخرجه البراز بسند حسن عن جابر نسبته الى النفس . ومن المصائب ان سم الريب في الدين قد سرى في الناس حتى صاروا يعدون من الدلائل عليه كل مالا يتبادر الى أفهامهم معناه الموافق لهممهم وتقاليدهم فالخريص على دينه يبادر الى أهل العلم الصحيح سائلاً والآخرون يظنون في ريبهم يترددون

أنا في علم الكلام

تمة نقد كتاب التعليم والارشاد

(كلامه في العلوم)

ان المؤلف تكلم في العلوم اللسانية والدينية ووصف من كتبها وعلمائها وحالها الماضي والحاضر ما بعضه صواب وبعضه خطأ كبير. واذا ذهبنا نستقصي كل عباراته في هذه المواضع ونبين ما فيها تبعد علينا المسافة وحسب القارى اتنا ذكرنا له نمونجا من عباراته المملوءة غلطاً فتوجب من بعد في محاسبة المؤلف على كل ما في عباراته ونكتفي بحسابه على خطاه بالجملة .

— الخطأ الخامس عشر —

قد عرفت ان المؤلف ناقض نفسه في علم التوحيد فعده صرّة من العلوم الضارة وصره جعله ثاني المقصودين من كل العلوم وقد اتاه هذا من انه لم يفرّق بين علم التوحيد وعلم الكلام وهو يعرف ان الاصطلاح والواقع فرّقاً بينهما . فعلم التوحيد هو الذي يرشد الى تلقين العقائد من غير فلسفة المتكلمين ولم يجد هذه الطريقة الا الذين نصر هو مذهبهم أعني أهل السنة اتباع السلف لا الاشاعرة الذين احتكروا هذا اللقب وقد أصاب هو فيما صنع من التنويه بمذهب السلف وأخطأ في شدة إنجائه على علم الكلام والمتكلمين وهذا ما نحسبه عليه هنا ونناقشه فيه .

لا أقل هنا عبارة من عبارته في هذا المعنى لا أسلفت من الاعتذار فليعلم القارى إجمالاً ان الكاتب بالغ في الجملة على علم الكلام والمتكلمين وافاضت عليه الخطابة ما افاضت فصور مسائل هذا العلم بصورة معاول لهدم الدين وصور أهله قوماً شيطيين بالضرب بهذه المعاول والخطابة اذا فاضت على قريحة تكبر وتصغر وتوجد وتعدم وبالجملة قد تطمس على صاحبها وسامعيه معالم الحقائق ولا بأس بأن يرجع القارى الى ما كتبه هذا الكاتب ليرى ما وصفنا وخذ رأينا في هذا العلم وأهله .

إن الدين كما يعرف العارفون . ولا أقول كل أحد — هو مجموع نصوص

منقولة عن الرسول (ص) بعضها قال الرسول انها من قول الله وبعضها لم يقل فيها هذا القول أما التي هي من قول الله فالشهور انها نقلت كلها تقلا متواتراً على اختلاف في قراءتها وان هذه المصاحف المعروفة تجمع بين دقتيها كل ما قال الله لرسوله وأما الاقوال الاخرى فهي المعروفة بأنها أقوال الرسول نفسه وهي التي تجمعها كتب الحديث . فأما المصاحف فلا جدال بين المسلمين - والحمد لله - في ان ما فيها هي أقوال الله وأما كتب الحديث ففيها جدال ويصدق بعض العلماء منها ما يكذب البعض وتفرض ان كل ما سماه المسمي صحيحاً صار صحيحاً وان الرسول (ص) قال ما اسنده اليه المسندون فانا لا نريد فتح باب المناقشة بالنقل من حيث هو بل نريد أن نقول ان هذه النصوص المنقولة كلها لا يمكن أن يسلم سامعوها من الاختلاف في فهمها لان في الكلام حقيقة ومجازاً وكناية والكلام أساليب وقنون والذي تكلم لم يعين ما أراد بكل كلمة ولم ينصب رجلاً أو رجلاً لتعيين مراده فلا اختلاف وقع لانه لا بد من وقوعه والمنصف اذا زعم انه ظفر بالحقيقة لا يسوغ لنفسه ان يسلب حق النظر من مناظره .

الناس في زمن النبي (ص) فهموا من النصوص ما فهموا وأكثرهم لم يسمعوها أكثرها ولم يكن في وقتهم فراغ الاقامة مأمراً وأن يقيموه بل كان النبي (ص) اذا رأى فيهم تشوقاً الى البحث ينهاتهم والذين جاءوا من بعد وجدوا في أنفسهم حاجة لتفهم بعض الاشياء فوقع البحث فيها قبل ان تترجم الفلسفة اليونانية والذين لا يعرفون هذا يظنون انه لم يتدع علم الكلام الا بعد ان ترجمت الفلسفة كلا بل هي أمور لا بد منها لذلك ظهرت من القوم أنفسهم بتقدير ما سمح الوقت بعد النبي (ص) ومن ظن ان البحث في مسائل الاعتقاد لم يكن في عصر النبي نفسه فهو لا يعرف التاريخ بل لا يعرف القرآن . واذا جاز لنا ان نقول ان أهل هذا العلم أخطأوا في كل مذهبوا اليه من المذاهب لا يجوز لنا أن نقول انهم أخطأوا بما صنعوه من البحث والنظر والتفاهم لان الحاضر على رجل وظيفته عقله وطبيعة فكره كالحاضر عليه وظيفته سمعه وبصره وطبيعة حسه واذا كان مثل هذا الحظر يعاقب عليه القانون فمثل ذلك الحظر يعاقب عليه العلم .

١. لنا صنع الله تكلمون " رأوا ان صنات الله التي نقلت اليهم من أقوال الله وأقوال

رسوله تشبه صفات الانسان كلها ورأوا في جملة ما نقل اليهم من الاقوال قول الله في نفسه « ليس كمثله شيء » ووجدوا هذا القول يشهد له العقل فقالوا اذا كانت صفات الله وأعضاؤه غير صفات الانسان وأعضائه فلا بد لهذه الكلمات التي وضعت لها من معان غير المعاني التي نفهمها من صفاتها وأعضائها ضرورة انها لا تخلو من معنى فالتمسوا لها معاني مما تساعد عليه اللغة . . . ربما كانوا مخطئين في تفاسيرهم لانه لا يعرف الله حق المعرفة الا هو ولكن لا أرى في هذا الصنيع هدماً للدين وهم لا يزالون يعترفون بأن الله صانع العالم ومدبره ومرسل الرسل وشارع الاحكام .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الكائنات كلها بارادته وأعمال العباد من جملة الكائنات فحاروا في هذه المسئلة جملة وتفصيلا وخاضوا في بحرها فلم يجدوا سحلا سار هذا مشرقاً وسار ذلك مغرباً وكلهم يلتمسون الخلق من هذه الحارة وهي ان الله هل يريد كفر الكافر وفجور الفاجر أم لا يريد فاذا أراد ووجب ان يكون فلا يستطيع الكافر ان لا يكفر فكيف يحاسبه واذا لم يرده فكيف يقع في ملكه ما لا يريد .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان النبي (ص) تكلم بصوت وحرف ثم قال هذا كلام الله فحاروا هل كلام الله هذا الصوت الذي سمع من في الرسول أم شيء غيره يليق بتزده الخالق عن الصوت فتناظروا وتنافروا وكان ما كان

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الله لا تدركه الابصار ثم رأوا ان الوجود اليه ناظرة يوم القيامة فالتمسوا لنظر الوجود اليه معنى يليق بتزده عن ان تدركه الابصار .
ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان ذرات المادة التي تتركب منها الجسوم تبدأ خل في جسوم أخرى وان لا علاقة لها بعالم الغيب كما للروح ورأوا ان المعاد كائن والجزاء واقع فاختلقوا هل تجازى الارواح وحدها أو تتركب الارواح في اجسام تصنع لها وقال قائلون بل تمام كل تلك الذرات التي كانت الجسوم تتركب منها على تداخلها في جسوم متعددة .

نحن قلنا ان المتكلمين رأوا ما رأوا وما وصفنا والحقيقة ان كثيراً من افراد الامة كانوا يسألون عن مثل هذا ولم يكن المتكلمون الا أهل العالم الذين يرجع اليهم

- الخطأ السادس عشر -

يقول صاحبنا (ص ٥٠) «انه لم يكن مخالفو الرسل ومكذبوهم يظنون في نفس الشرائع التي جاء بها الرسل» ونحن لا نحاسبه هنا على خطأه في الايهام بانه يعرف كل الشرائع وكل المجادلات التي جرت بين الرسل مما قال الرسل لاهمهم وما أجابهم الاله به فانا اذا حاسبناه على مثل هذا احتجنا ان نكتب كتاباً أكبر من كتابه لان هذا الايهام مع الحكم على الكل من غير استقراء ولو ناقصا يراها القاريه أني ساح في فداوند هذا الكتاب القاصية . كلا فان المحاسبة على هذا في كل موضع تضع علينا وقتاً هو أهم من أن يصرف في مثل هذا . ولكننا نحاسبه هنا على الخطأ في هذا المعنى وهو « ان مخالف الرسل ومكذبهم لم يكونوا يظنون في الشرائع التي جاء بها الرسل » فنقول ولا نريد به الا ان يحاسب المؤلف نفسه بعد هذه المرة حيناً يكتب ان القرآن المجيد مملوء بما كانت الاله تترض به على أشخاص الرسل وعلى ما جاءوا به فاعتراضهم على أشخاص الرسل رد للاصل فيتبعه الفرع واعتراضهم على ما جاءوا به صريح في رد الشرائع نفسها وابتعاداً عن التطويل نورد من هذا شيئاً قليلاً ثم نوصي المؤلف ان يقرأ المصحف الشريف

ان اعتراضات الاله على الحشر وكل الرسل جاؤا بالدعوة الى الايمان به أكثر من أن يستوفيا كتاب كبير فمن ذلك ما حكاه القرآن المجيد من قول بعضهم « هل ندلكم على رجل ينبشكم إذا مزقكم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد » ومن ذلك قول بعضهم « اءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً انا لبعوثون » النخ والكلام في القرآن عن انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل فيه كثير جداً

واعترضات الاله على عبادة الخالق وحده وترك عبادة الالهات - ولم يجيء الرسل كلهم الا لاله - أشهر من ان تذكر فنتهم قوم نوح « وقالوا لا نذرنا ودا ولا سواعاً ولا يعوق ويعوق ونسراً » ومنهم قوم ابراهيم « قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين » النخ ومنهم قوم شعيب « قالوا يا شعيب اصلانك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو ان تفعل في أموالنا ما نشاء » ومقالات تريس في نبينا عليه الصلاة والسلام لا نذكرها لانا لا نظن المؤلف نسيتها

واعترضات الاله على ما كلفهم به رسلهم من الاخذ بأعمال البر كاعطاء الاموال

للفقهاء وترك أعمال الشر كغصب الاموال واكلها بالباطل معروفة أيضاً كقول قوم شعيب «أو ان تغفل في أموالنا ما نشاء» وقول العرب «إنما البيع مثل الربا» فإذا بقي من أقسام الشرائع مما لم تسترض الامم به على رسلها وأي رسول لم يقولوا فيه مجنون أو ساحر أو شاعر أو كذاب أليست هذه الصفات التي كانوا يعتقدون في الرسل من جملة أزدراءهم بما جاءوا به وتكذيبه من أصله ؟

— كلامه في أصول الفقه —

— الخطأ السابع عشر والثامن عشر —

تكلم المؤلف على أصول الفقه فأسهب وأصاب في مواضع واخطأ في مواضع وإنما نعدله خطأين في النتيجة وهما (١) ان علم أصول الفقه إنما يحتاج اليه المجتهد فقط و(٢) انه غير لازم لهؤلاء المقلدين .

إن قصد ان المجتهد يحتاج الى أصول الفقه على النحو الذي يعرفه الطلبة وهو ما كان بصدده فليس بصحيح وإن قصد أن هؤلاء المقلدين لا يلزم لهم ان يقرأوا علوم العربية وعلوم الحديث وهي التي يتألف منها علم أصول الفقه فقد شهد نفسه انه غير صحيح بدليل انه حصر الفائدة كلها في تعلم العربية والفقه ولم ينه عن علم الحديث فإذا يرى من بعد هذا في قراءة كتاب أو كتب تجمع شيئاً من علوم العربية وعلوم الحديث قسرن هؤلاء المقلدين على ما تعلموه وتساعدهم على ما كلفوا ان يحفظوه من فروع الفقه . . . أنا لا أقول ان التقييد بهذه الطرائق فيه الخير كل الخير ولكني أقول ان تعلم هؤلاء المقلدين لأصول الفقه ولو على هذه الطرائق يخفف شيئاً من جهلهم الذي يلزمهم بملازماتهم للفروع وحدها .

— الخطأ التاسع عشر —

وبما ذكرناه في الاصول يعرف المطلع عليه ان المؤلف أخطأ في تعظيم شأن علم فروع الفقه حتى قال (ص ١٣٣) انما في حاجة تامة لقراءة كتب الفقه .

— الخطأ العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون —

يخص المؤلف على قراءة كتب فروع الفقه ثم لا يرى التقييد بمذهب من المذاهب الاربعة صالحاً بل يراه ضاراً وهو يكرهه— كما نكرهه— هذه الكتب التي للمتوسطين

والتأخرين ويجب - كما يجب - تلك الكتب التي للمتقدمين وفي مجموع كلامه في هذا الباب نجد الصواب كثيراً ولكننا رأيناها بخطى في ثلاثة أشياء (١) في تسميته بكتب الفروع وهو يعرف أن الذين سموها بالأئمة كانوا يكثر من الرجوع عما يفتون به وإن الدين يكره تعظيم الأجر إلى هذه الدرجة وهو أن تكون أقوالهم شرعاً لكل زمان وكل مكان مع أن الرب الأعلى كان ينسخ بعض شرائعه ببعض .

و (٢) في ترجيحه التعب بمراجعة كتب الأئمة كلهم والبحث في المفاضلة بين نصوصها علي التعب في ورود الشريعة من مواردها و (٣) في ترجيحه التقييد والإغلال التي كانت للعلم علي فكه وإطلاقه وهو يعرف أن من محاسن ديننا الشريف رفع الأصار والإغلال أن المؤلف في هذا الباب كاد يدرك الحقيقة ولكن تراءى له ما يخيف قنفر كما ينفر الظبي في القلاة رأى شبحاً مخيفاً . تراءى للمؤلف أن الاجتهاد يوسع دائرة الخلاف بين المسلمين ونحن في حاجة إلى الاتفاق فسأ بين له وغيره هنا أن هذا الحذر ليس في موضعه .

أن الدين فنون كثيرة تجمعها أربعة أقسام (١) العقيدة و (٢) العبادة و (٣) الأحكام القضائية و (٤) الآداب . أما العقيدة فهما أراد المسلمون اليوم أن يختلفوا لا يأتوا بشيء واحد زائد على ما وقع فيه الاختلاف وقد أسلفنا أن هذا من طبيعة الفكر مع طبيعة النص وأنه لا يجوز الخطر فيه وإنما وظيفتاه في أن تتواصى بتحري الحق بالاخلاص وإن تناظر بالتي هي أحسن وأما العبادة فلا تحتل الاجتهاد ونظر العقل وإنما مبلغ الناس فيها أن يبحثوا فيما صح عن النبي تقريره بقول أو عمل وكذلك لا يخشى مهما اختلفوا أن لا يزيدوا على خلاف الأئمة إذا اتفوا الابتداع بزيادة أو نقص والمشهورون من أهل النظر والاجتهاد اليوم لا يجوزون لأنفسهم الزيادة أو النقص في العبادة عن نظر واجتهاد لأنهم لا يجوزونها هنا بل يقفون مع ما نقل فقط والعلماء منهم معرفة حسنة بما نقل . وأما الأحكام القضائية وهي التي ينظر في مثابها القضاة والأحكام فهي محل الاجتهاد والخلاف فيها لا يؤثر إذا اختلفت الحكومات جماعات من عالمي العلماء مجتمعون فهم الأحكام من الكتاب والسنة والقياس والنظر ويصير حكم ما يكتبونه حكماً كتب الفقه التي يمارسها الناس اليوم . وأما الآداب فالعروف بين والمسك بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس يرجع فيها إلى المتبحرين في علوم النفس والاجتماع .

أرأيتك من بعد هذا التفصيل تجد في نفسك حرجاً من ترجيح ورود الشريعة من مواردها علي ورودها في فتاوى الأئمة التي كانوا يرجعون عنها ؟

— الخطأ الثالث والعشرون —

وقد بالغ صاحبنا في حصر الفائدة في علم الفقه حتى زعم ان كل علوم العربية وسائل له الأثرة لها قط الا ان تساعد على تعلمه وقد سبقه في مثل هذا الخطأ كثيرون لا يحصون فوقع فيما وقعوا فيه حين قلدهم والصحيح ان لعلوم العربية ثمرات أخرى يعرفها أقل الناس معرفة وترى مواطننا المسيحيين أكثر نشاطاً منا في تعلم هذه العلوم ولم يقصدوا قط ان يحفظوا بها فقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل

— الخطأ الرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون —

— كلامه في العلوم التي أراد الشيخ محمد عبده ادخالها الى الازهر —

ومن أكبر خطأ صاحب هذا الكتاب انكاره على الشيخ محمد عبده ما قصد اليه من ادخال بعض العلوم الضرورية الى الازهر كقليل من الجغرافيا والحساب وحسن الخط والتاريخ وله في هذا الباب جملة من الخطيئات نلخصها في ثلاثة أشياء (١) في أن هذه العلوم تعيق عن تحصيل علوم العربية والدين و(٢) في ان خلوت الازهر من هذه العلوم خير له ولطلبته . و(٣) في ان ادخال هذه العلوم كانت من أكبر أغلاط المرحوم الشيخ .

كنت لا أظن أن يقوم شاب من شبان هذا العصر يهيد أقوال بعض الشيوخ التي قيلت في وقت ادخال العلوم فصجبت أشد العجب لما وقفت لصاحبنا الذي نحن بصده على هذا الرأي .

لو أعطيت لقلبي ما يعطيه الخطباء والشعراء لالستهم وأقلامهم لا بكيت السامعين في رئائي لهذه الأمة التي لا يزال فيها شبان هم كالشيوخ يكابرون في مسائل هي والشمس في الظهور سواء .

العلوم العربية وحدها يأبها الاخ لا تهيه للانسان أفكاراً يستطيع ان يعيش بها في هذا المجتمع أرقى من الخاروف .

وهي مع علوم الدين لا تحتاج من الزمان اثني عشرة سنة وقليل من الجغرافيا والحساب والتاريخ وحسن الخط وكلها ضروريات لا تعيق عن تحصيلها بل تعين، ولا تشين صاحبها بل هي تزين وعدمها يشين

كنت أظنك تعرف ان مئات من الشبان درسوا في مدارس الاميركان والجزويت يعرفون العربية أحسن مما يعرفها الشيوخ في هذه المدرسة التي يشرفها الناس كما عبروا عنها

ويصرفون مع العربية لغة أو لغتين أو أكثر من لغات أوروبا ويصرفون مع هذه اللغات كل الفنون التي تعد مبادئ وهم مع هذا كله لا يقرأون في المدارس الا بضع سنين فترى ان تعدد هذه العلوم مع حسن الترتيب في الدروس لم يمنعهم من تحصيلها كلها ومنهم من يتعلم معها علوم الدين المسيحي فلا تصفه .

لو ناقشت علي ما وراء العبارة لقلت لك ان ما تخفيه من إرادة دفع العيب عن الذين يجهلون هذه العلوم ظاهر لم يحجب عن أحد فلا تجثم نفسك التعب انه لا يعاب أحد من الشيوخ بجهله مثل هذا من العلوم وانما يعاب باصراره على جهله وبكابرته في أوضح الواضحات

اما تحامل المؤلف علي الشيخ محمد عبده فكان ينبغي ان لا نعهده مع الخطأ لان الخطأ هو الذي يقع من المرء عن ذهول او عدم معرفة ولبس ما كتبه في الشيخ محمد عبده من هذا القبيل بل هوشي متعمد - نجده بعد من اغلاطه الكبرى ادخله هذه العلوم وقد عرفت ما في هذا القول من مكابرة الواضحات ثم نجده ينزل نفسه في منزلة استاذ عظيم في كل الفنون العصرية يميز بين من عرفها وبين من لا يعرفها فيحكم على الشيخ محمد عبده بأنه ما كان يعرف هذه العلوم التي كان قد ادخلها وان عرف شيئاً فدون القليل واقل من الطفيف ثم نجده يقول انه كان ذا تهريط وقليل اهتمام بالعلوم الدينية (لا تنس قوله ايضاً فضى حياته باحيائها) ثم نجده يقول فيها انه كان يجازي باعطاء الشهادات لفاية في نفسه لان الفاية عنده تبرر الوساطة

هذا قول المؤلف وهذه احكامه في اعظم نابغة واعظم مصلح من المسلمين في عصرنا فعسى ان يتأمل في ذلك لعله يحاسب نفسه .

— الخطأ السابع والعشرون والثامن والعشرون —

والثاسع والعشرون والثلاثون

ومن بعد هذا كله نجد المؤلف قد عظم من شأن الازهر والحالة هذه تعظيماً مملوء بالخطأ وهذا دأب من لم ينظر للواقع قبل الحكم نجده قال (١) ان الازهر اقدم واعظم مدرسة اسلامية علي وجه الكرة الارضية و(٢) انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني امية في دمشق ولا جامع الزيتونة في تونس ولا جامع السلطان محمد الفاتح في الاستانة ولا مدرسة عليكده في الهند بل هو خير منها كلها . و(٣) انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس ولذلك كان قبلة الآمال ومحط

الرجال وكانت منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية و(٤) ان ثنافية من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس . وفي كل هذا خطأ .

اما ان الازهر اقدم مدرسة اسلامية فغير صحيح وانما بني الازهر مسجداً وبعد ذلك بقرون كثيرة صار البعض يلقي فيه دروساً وكان هذا دأب اهل العلم في كل المساجد . واما انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني أمية وجامع الزيتونة وجامع السلطان محمد الفاتح ومدرسة عليكده فصحيح ان قصد الاوصاف الرديئة من القنطرة وعدم النظام وتعلم الاطفال فيه ونوم الطلبة في حلقة دروس الاساتذة الى آخره . واما ان قصد انه مصلى للمسلمين فكل المساجد مصلى لهم وان قصد انه يتلقى فيه العلم كثيرون فالفرق بين ان تحشر الناس على الصورة المعهودة في الازهر وبين ان يتلقوا في مدارس متفرقة يوجب التفضيل لغيره عليه علي ان مسجد الفاتح يفضل بهذا المعنى ايضاً مع تزهه عن القنطرة ونوم الناس فيه . واما انه خيرها كلها فلم افهمه !!! واما انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس فلم افهمه !!! واما ان منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية فلم ادركه !!! واما انه قبلة الآمال ومحط الرجال وان ثنافية من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس فلم اعرفه !!!

ابشروا ايها المسلمون في مشارق الارض ومفاربها فان الازهر سوف يخرج لكم جيوشاً من الصعيد يرفون النحو والصرف والبيان وفقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل على الطريقة الجديدة التي وضعها له مؤلف كتاب التعليم والارشاد .

ابشروا فان هذه الجيوش المتعلمة هذه العلوم وحدثها ستزحزح عنكم ما تكرهون وتأتيكم بكل ما تحبون !!!

وبعد فبقيت مواضع أخرى تركناها لقلة الفائدة من ذكرها في جملتها حملته على المدارس النظامية وعلى اسانئها وتلاميذها معاً ولا تعرض للخطأ القليل الذي وقع في الكتاب من حيث اللغة والتعبير فانا نترك مثل هذا لغيرنا وقد انتهى ما اردنا النظر فيه فنسأل الله ان يأخذ بيدنا عن معار الفهم ومزالق البيان

عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه

كنت ليلا مع أمير المؤمنين عمر الفارق ذي القدر المكين
صاحب الدرّة ثاني الراشدين من به الله أعر المسلمين

فقووا حتى أذلوا المشركين

وإذا نار أضاءت سحرا قال يا أسلم قم ماذا أرى
علمهم ركب يريدون القرى فخر جنا وهو كالسهم انبرى

ودنونا من خباء المصطلين

فاذا بإمرأة قد نصبت قدرها بين عيال أعولت
ثم حيناً فردت واستوت قال هل أدنو فقالت ان أردت

فبخير أودع القلب الحزين

قال ما بال العيال تصرخ قالت الجوع واني أفتخ
أوهم الصبية اني أطبخ عليهم من بعد ذان يفرخوا (١)

ويناموا حول قدري جائه-ين

بالنار أضرت في الاصلع أحرقت قلبي وأجرت مدمعي
بيننا الله وبين الاصلع ها أنا من فرط جوعي لا اعي

بين نوح وصياخ وانين

قال يا أمه من أدري عمر بك قالت ذلك أدهى وأمر
من تولى أمرنا لا يه تفر ينبري للناس في قر وحر

يسمع الشاكي ويؤوي البائسين

(١) فرخ الرجل أي زال اضطرابه واطمان

وي لعمرى كيف يرعى وينام ليس هذا من قوانين الانام
 من سباعن نوقه جنح الظلام يتولى رعيها راعي الحمام
 انما هذا جزاء الغافلين

ولقد اصغى لها من غير ضيق وهو بالاصغاء للشكوى خليق
 فمضى بي ذلك الشيخ الشفيق يسع الخطو الى دار الدقيق
 واتي منها بدهن وطحين

ثم قال احمل علي قلت وي بل انا احمل قال احمل علي
 قلت عفوا قال هل منكم فتى يحمل الاوزار عني يا أخي
 يوم يؤتم بي لرب العالمين

وسرى الفاروق خوف النعمة في الدجى يحمل قوت الضيبة
 وهو ممن بشروا بالجنة لا يرى في جملة من حطة
 بل قياما بحقوق المسلمين

فمضى بي مسرعا نحو الصغار فأتيناهم وهم في الانتظار
 ولفرط الجوع بين الجنب نار في استعار ما لهم منها قرار
 وراونا فاشرا بوا قائمين

قالت الام اصبروا قد جاءنا ذلك الشيخ بما فيه المنى
 * ولقد يسره الله لنا والامير غافل عن حقنا

في كتاب الله بالنصر المبين

فدنا منها برفق وابتسام ودموح العين منها في انسجام
 قال قوتي هيئي هذا الطام معنات اليتامى لاتمام

بالطوى والله خير الرازقين

رحم الله أبا حفص عمر وسقى بقطته صوب المطر
فلقد أبهرت أسلاك الشرر تفتح اللحية منه بالسحر

وهو مهم بانضاج المعين

قالت الامم وقد رمنا القيام وتركنا عندها فضل الطعام
يارعاك الله ياساري الظلام تحمل الاتومات للفرثي الصيام

أنت أولى من أمير المؤمنين

قال اي يرحمك الله أعد لي واذا كرى خيرا ولا تستعجلي
فاذا جئت الامير فادخلي تمجديني قاعدا في المنزل

وعلي الجد في ما تطلين

وتعنى عنهم مسترا رابضا صريضا آساد الشرى
وأنا أطلب تعجيل السرى فاذا هو مقبل مستبشرا

شاكر الله رب العالمين

قال يا أسلم قد أسهرم فارس الجوع بل استبهرم
ولذا أحببت ان أبصرم في سرور وكذا فادوم

فلقد ناموا جميعا باسمين

هكذا كانوا عيد الامة لاغرائيق الملي والمزة
مزجوا شديهم بالرحمة ولذا شادوا صروح الرفعة

ومضوا شرقا وغربا فاتحين

(محمد نجيب النرايلي)

بمدرسة الحقوق

السير المفيد . في شرح المواليد

كتاب جديد وضعه ابراهيم أفندي ماجد الصيدلي الكيماوي استشفى القصر العيني في علم المواليد أو التاريخ الطبيعي أو الاشياء كما يقال وهو جزآن الاول في علم الحيوان وقد طبع في العام الماضي والثاني والثالث في النبات والجماد وقد طبعا معا في هذا العام وهو أحسن كتاب رأيناه بالعربية لتعليم هذا الفن بسهولة وحسن أسلوبه الذي يشوق القارئ ولا يمل السامع اذ هو عبارة عن حكايات ومحاورات في استجلاء محاسن الكائنات ومعرفة فوائدها وهو بما فيه من الصور والرسوم يمثل لك للذهن هيئتها الحسية فيكون أقرب الى فهم أوصافها وتمييز ما يتشابه من أصنافها . ومن محاسنه أنه لا يخلو من الفوائد الأدبية كيانه عند ذكر اليوم خطأ الجاهلين الذين يتشامون به . وكنت أود لو لفت الأذهان عند ذكر ما في هذه الخلوقات من الحكم والاسرار الى أنها من إبداع العليم الحكيم والرب الرحيم كي يربي بذلك وجدان الايمان في القلوب اذا لكان كتابه أففع من كتب العقائد المتداولة ولجمع بين تربية العقل والروح ولعله يزيد فيه هذه الزيادة اثنا فمة عند طبعه مرة أخرى . ولما تم طبع الجزء الأول في السنة الماضية ابتاعت منه نظارة المعارف كثيرا من نسخته و ينتظر ان ينباع منه معظم نسخ الثاني والثالث اذ لا تجد مثل هذا الكتاب في فنه . وانما نحث طلاب الأزهر وغيرهم من القارئين الذين لم يتلفوا هذا العلم على مطالعة هذا الكتاب لانه مما يمكن فهمه لامثالهم بدون أستاذ

التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم

للشيخ طنطاوي الجوهري المدرس بالمدرسة الخديوية طريقة حسنة في مزج علوم الكون بعلوم الدين والجمع بين هداية القرآن وما ينفع الناس من شؤون العمران وله في ذلك كتب مختصرة مفيدة كجواهر العلوم وميزان الجواهر من طالها يتغذى عقله وروحه وخياله بقوتها وشجونها وقد طبع له في هذا العام كتاب جديد سماه بما رأيت وأهداه الى امبراطور اليابان ليعرضه على مؤتمر

الأديان الذي انقد في عاصمة بلاده وهو مؤلف من ثنتين وخمسين جوهرة وفيه أبواب وفصول كلها في محاسن الاسلام وحكمه وفضله وقد بدأه المؤلف بترجمة حال نفسه في النظر والتحصيل وترقيه في ذلك وهذا مما ينكره عليه كثير من الناس ولا بدع فان الطبع البشري ينفر من الدعوى ومظانها وان اخلص صاحبها بصدق ولكن رأينا من هؤلاء الناس من يسرف في الانكار حتى يغمط الحق ويعمى عن جميع المحاسن فعسى أن يحاسب مدعو الانصاف من هذا الصنف أنفسهم

طبع الكتاب الحاج محمد افندي الساسي الكتبي بمصر وهو يطلب منه فعسى أن يقبل الناس على مطالعته فانه من الكتب النافعة ان شاء الله تعالى

﴿ قانون ديوان الرسائل ﴾

ديوان الرسائل هو ديوان الانشاء للدولة الذي يضم كتابها على اختلاف أعمالهم وكان أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي من الكتاب في عهد الدولة الفاطمية فألف كتابا وجيزا سماه قانون ديوان الرسائل « لأن يكون دستوراً يتبع في اختيار من يؤهل للوظف في ديوان الرسائل رئيساً كان أو مرءوساً وأن يخلد كتابه في الديوان ليقتدي به الموظفون ويأخذوا بالقرأة فيه وتديره لأنه لهم كالمعلم ولأخلاقهم كالمهذب » كذا قال في مقدمته ثم على نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة كبرديج علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية فتم نسخها وطبعها وجعل لها مقدمة وهوامش مفيدة لعلها تزيد عن ثلث الكتاب فيها فوائد من تاريخ الفاطميين لا يستغنى عنها فتشكر له عنايته وهمته

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

صدر الجزء الخامس من هذا التاريخ المفيد منذ أشهر وهو « في نظام الاجتماع وطبقات الناس والآداب الاجتماعية والمعيشة العائلية وحضارة المملكة وآثار المدنية وأبهة الدولة ومظاهرها العظيمة والفخامة » وهو آخر أجزاء الكتاب وأكثرها فكاهاة . وقد ذكر في آخره أسماء الكتب التي ورد ذكرها فيه وفهرس عام مرتب على حروف المعجم . واننا لا نزال نرجو أن ينبيح لنا القدر

مطالعة الكتاب كله واعطاء حقه من التقريظ والانتقاد ولا يسمننا - والقدر لما يسمننا على ذلك - إلا أن ننوه بالكتاب ونشي على همة صديقنا مؤلفه واجتهاده في خدمة تاريخنا من حيث قصرنا فيه

﴿ المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي ﴾

ألقى على بك أبو الفتوح الفتش بالنيابة العمومية خطاباً في نادي المدارس العليا منذ بضعة أشهر موضوعه المذهب الاجتماعي في التشريع وأهدانا نسخة منه مطبوعة قرأناها فإذا هي مفيدة في بابها

بين فيها أن فلاسفة أوربا في القرن الثامن عشر قد شنوا الفارة على المذاهب التي كانت متبعة في الجنايات متكئين على ما اعتادوا من الدلائل النظرية فأخطأوا في علوم القضاء كما أخطأوا في علوم السياسة وكان همهم أن يقيدوا القضاء ويجعلوا السلطان للقانون وحده لما رأوا من تأثير استبداد الحكام من الخراب والفساد أما فلاسفة القرن التاسع عشر فقد خالفوا من قبلهم في طرق البحث فجعلوا أساسه التجربة والاختبار والمشاهدة وصاروا يرون أن من الضرورة تقييد القضاء بألفاظ القوانين في كل حال ومن الضرورة أن يكون القاضي أوسع سلطة مما كان بحيث يباط كثير من الأمور باجتهاده ويوكل إلى رأيه واستقلاله . وهذا الرأي الأخير يوافق الشريعة الإسلامية في أكثر أحكامها الجنائية فمسي أن يعتبر بذلك الذين اتخذوا عبارات الفقهاء من قبيل الأمور التعبدية ، على أن أكثرها مبني على أمور نظرية ، واتباعها ينافي ما قرره الشريعة من اشتراط الاجتهاد في القاضي . وهذا المقام يحتاج إلى بسط وإيضاح يطول شرحه ولا يسع باب التقرير أمله . وفي الرسالة فوائد أخرى لا يحيط بها إلا من قرأها

﴿ تاريخ أساس الشرائع الانكليزية ﴾

ألف هذا الكتاب « دافد وطن راني » بلفته الانكليزية وترجمه بالعربية نقولا أفندي الحداد وطبع الترجمة ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر وهو يطلب منه وثمان النسخة منه عشرة قروش صحبحة

الكتاب من أنفع الكتب التي نقلت الى لغتنا وأتمنى لو يقرأه أهل الأزهر
ومن لي بأن أتمنى لو يقرأه أهل سوريا والعراق بل والحدود ليعلموا كيف ارتقت
هذه الأمة الانكليزية التي تسوس وهي في جزيرتها المتبذرة في أقاصي البحار
نحو ربع البشر . عسى أن يعقلوا كيف يخرب الاستبداد العمران ويزيل الدول
وينذل الأمم وكيف يسود الناس بالعدل والسلطة المقيدة برأي الأمة ويهزوا
حتى يكون أدنى الأمة فيهم أعز من أعظم الأمراء من غيرهم . ولعلي أعود الى
الكلام عن هذا الكتاب والنقل عنه

✻ أنساب العرب القدماء ✻

رسالة في الرد على القائلين بالأمومة والطوتمية عند العرب الجاهلية لجرجي
افندي زيدان . والأمومة أو الطوتمية مذهب جديد لبعض الافرنج زعموا ان
العرب ليس لها أنساب متصلة الى الآباء وإنما ينسبون الى الطوتم والطوتم كلمة
أخذوها عن هنود أمريكا وهي تطلق عندهم على ما تعبدوه أو تقدهم القبيلة أو
الشخص من أنواع المخلوقات حيواناً كان أو نباتاً أو جادا لا اعتقادها انه يحميها
أو يكف أذاه عنها ويمد في عرف أهلها أبالها بانسابهم اليه اذ لا يعرف لهم
أب وإنما يعرفون أمهاتهم فقط . وقالوا انه ثبت لهم هذا المذهب مما عليه بعض
القبائل المتوحشة من هنود أمريكا وأستراليا وزنوج أفريقية وألحقوا العرب بهم
بطريق القياس الذي استدلوا عليه بنأيت لفظ الأمة وباشتقاقها من مادة الام
وبنسبة بعض القبائل الى حيوانات معروفة كبني أسد . وقد رد عليهم جرجي
افندي زيدان ردًا داحضاً لراعمهم مفندا لطريقتهم في جعل الجزئي قاعدة كلية
والشبهة برهانا قاطعا واعتمادهم على الاستقراء التام . وهذا شأن الافرنج
لا يكاد يوثق بعلمهم النظري والعقلي لأنهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على
التجربة والحس . ومن أراد ان يعرف تفصيل أقوالهم في هذا المذهب فعليه
بكتاب الامومة عند العرب وهو يطلب من مكتبة المنار ومن النسخة منه أربعة
قروش وأجرة البريد نصف قرش وحسبه في الرد على المذهب رسالة أنساب
العرب القدماء وهي تطلب من مكتبة الملل ومنها كمن الامومة عند العرب

حجج ديوان تذكار راجب وصبري

هو الديوان الثاني للشاب الذي رشيداً فندي معصوم وقد قدمه الى ادریس بك راجب رئيس الماسون في مصر واسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الخفانية بافتتاح قصيدتين في مدحهما . ومن أحسن ما رأينا له في هذا الديوان قوله في استنكار سلوك بعض نساء الأغنياء

عاد على الفيدان تزهر وتفتخرا ونبتدي التيه في الأعطاف والاشرا
بأي عطف تبيل الحود تأهبة وينخر المطف إه اصين واسترا
قدر الغواني بتحصين الجمال وإن هتكت زال ذاك القدر واندثرا
لو ترك العاشق المسكين طلبها شوقاً لما ظل ذلك الحسن مقبرا
ثم أحال في بيان سوء عاقبة هذا السلوك وما ذكرناه كاف لبيان أسلوبه

حجج العباسة أخت الرشيد

قصة تاريخية غرامية تجري فندي زيبان صاحب الهلال وهي من القصص التي لها أصل سروري في التاريخ والمسائل التاريخية فيها أكثر من المسائل الاختراعية وفيها وصف الترف والأفانق في عهد العباسيين وفي ذلك من الفكاهة ما فيه وهي تطلب من مكتبة الهلال وعن النسخة منها عشرة قروش

حجج الظل المفقود

إسم قصة من قصص مسامرات الشعب الشهيرة التي يصدرها خليل بك صادق صاحب مكتبة الشعب وهذه القصة من أحسن هذه القصص وضماً وفائدة لأن ما فيها من الكلام عن الحب الفاسد قليل يورد مقروناً بالتم وما ينظر من سوء العاقبة . وأما ما تشرحه عن الحب الصالح والعتة والبرودة والوفاء والسخاء والصبر فهو الكثير الطيب . وقد صدر من هذه القصة أربعة أجزاء لا يكاد الانسان يبدأ بقراءة جزء منها ويستطيع ان يتركه قبل أن يتمه فأنصح لصاحب المسامرات ان يختار أمثال هذه القصة بمد الآن للنشر وإذا استطاع ان ينشر قصصاً ليس فيها ذكر لذائل مطافاً فليفضل فان الرديئة وإن ذكرت مقرونة بالتم تؤثر في قوس المستعدين لها حتى يزداد ميلهم اليها وجبراً بهم

عليها فما بالك اذا كانت تشرح الرذائل وتبين طرقها وغبطة أهلها بها وتفتنهم في تحصيلها !! ويظهر ان لمرجم القصة وهو نقولا أفندي رزق الله ذوقا في حسن الاختيار كما انه من أحسن مترجمي هذه القصص عبارة فمسي ان يراعي في الاختيار ما ذكرنا لتكون هذه المسامرات من وسائل التهذيب كما انها من وسائل التسلية

صحف جديدة

﴿ فتاة الشرق ﴾ مجلة أدبية تاريخية روائية لصاحبها ليبي هاشم « وليبي هاشم من أشهر الفتيات السوريات المغملات في الأدب ولها آثار في بعض الصحف وعبارتها رشيقة منسجمة قريبة من أفهام القارئات بله القارئ ورأينا فكرها قويا فيما كتبت عن « واجبات الزوجة » في الجزء الأول وعن « نساء الشرق والاقتصاد » وهذه الموضوعات أنفع ما يكتب في مثل هذه المجلة . تصدر فتاة الشرق مرة في الشهر وسنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا فمسي أن تجد من مساعدة الفضلاء ما يضمن لها طول البقاء ،

﴿ تونس ﴾ مجلة عربية تصدر مرتين في كل شهر بتصاوير ورسوم تحتوي على مباحث علمية أدبية فنية . لصاحبها صالح بن محمود وجبرائيل انكيري - ثمن الاشتراك في المملكة التونسية ١٠ (فرنكا) في السنة وفي الخارج ١٢ في السنة « صدر العدد الأول من هذه المجلة في ١٥ أكتوبر وفيه أن أهم موضوع تبحث فيه هو المباحث العلمية التي لها علاقة ما بالعلوم الطبيعية وما يتفرع عنها . وأنه ليسرنا أن تكثر المجالات في تونس كما كثرت الجرائد ونتمنى أن توفق هذه المجلة لخدمة العلم ونشره في ذلك القطر وغيره

﴿ رويح النفوس والمرشد ﴾ جريدتان أسبوعيتان صدرتا في تونس صاحب الأولى (عزور بن أحمد الخياري) وصاحب الثانية (سليمان الجادوي) فترحب بالجر يدين ، ونسئلي على فضل الخريفيين الجديدين ، ونسأله تعالى أن يوفقنا وإياها للخدمة النافعة ﴿ التله يدي ﴾ جريدة أسبوعية عربية يصدرها في بطرسبرج عبد الرشيد أفندي ابراهيم صاحب جريدة (أنفت) المغيدة وقد سررنا بها جدا لما أرجو لها من النفع لطلاب العلم من مرامي روسيا عامة ورجاؤنا في هؤلاء الطلاب عظيم

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

تعليم الدين في مدارس الحكومة

اقترح مجلس شورى القرانين على الحكومة التوسيم في تعليم الدين في مدارسها وزيادة العناية به فقامت جريدة الاجبت التي يصدرها في القاهرة ادريس بك راعب من مروات المصر بين تعرض على هذا الاقتراح وطفقت جريدة المؤيد والاهرام تردان عليها ونقل عنها انه تنكر تعليم الدين في المدارس وتقول ان الدين لا ينبغي ان يعلم الا في البيوت بل نقل عنها الطعن في الدين مطلقاً وادريس بك يرى ان ما في المدارس كاف لا يحتاج الى مزيد ولا ينكر التعليم الديني ولا هو من دعاة الالحاد فيما نعلم. وبذلك افتتح باب الكلام في مسألة التعليم الديني في مدارس الحكومة وغيرها وخيف أن يتجرأ محبو الالحاد الى الدعوة اليه واقترح علينا غير واحد أن نكتب في ذلك قائلين ان المنار أجدر بهذا الموضوع من غيره وقد صدقوا وانا لكاتبون في ذلك ان شاء الله تعالى

الدكتور ضياء الدين أحمد

زار مصر في أواخر الصيف الماضي الدكتور ضياء الدين أحمد عائداً من أوروبا الى عليكره ليتولى التعليم العالي في مدرستها الكلية الشهيرة وهو قد تخرج في هذه المدرسة ونال شهادتها ثم ذهب الى أوروبا لإتمام دروسه الدالية في بعض العلوم فدخل جامعة كمبردج فكان أعظم نابغ في العلوم الرياضية حتى إنه نال جائزة اسحق نيوتن الفلكي وهي ممتازة تعطى للنابغ الاول في الهيئة الفلكية بعد امتحان ثلاث سنين ثم ذهب الى ألمانيا وتلقى فن التعليم في كلية (جوتتنجن) حتى نال (شهادة الدكتورية) وبعد ان أتم دروسه زار فرنسا وأقام فيها شهورا اطلع فيها على نظام التعليم وسيره هناك ثم زار مصر وأقام فيها شهرين وأياماً كان جل همها فيها الاطلاع على شؤون التعليم

لقينا منه شابا متوقفاً الذكاء شديد الفسيرة على أمته بعيداً من الهزل والفتور معتصماً بالأدب وهو يتكلم بالعربية مع حصر ما يفهم من يكلمه بعبارة فصيحة بل علمنا منه أنه عربي النسب . وقد أعجب بفضل وأدبه كل من عرفه هنا واحتفل بعض معارفه بتوديعه في فندق الكوتنتنتال احتفالاً دعوا إليه كثيراً من ذوي المعارف وأصحاب الصحف ولما انتظم عقد الاجتماع قام الدكتور ضياء الدين فينا خطيباً باللغة الانكليزية فتلا خطبة بدأها بالشكر لأصدقائه الذين أكرموا وفادته ثم تكلم عن مدرسة عليكره وما يراد من ترقيتها والزيادة فيها حتى تكون جامعة كبرى وعن حظ الجامعة من الدين والثروة الدينية وسنورد ترجمة قوله في جزء آخر . وبعد ان أتم خطابه وقف حافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنبر فتلا ترجمة خطبته بالعربية . ثم قام الشيخ على يوسف شيخ المؤيد وتلا خطاباً وجيزاً تكلم فيه عن مدرسة عليكره وأثنى على الدكتور ضياء الدين وعليها فأحسن وقد صدق في قوله « إن مصر لورزقت مدرسة جامعة ذات مبادئ قوية مثل التي عليها كلية عليكره وناسب في عظمتها حالة مصر الحاضرة فكانت مصدر حياة أقوى وأعم نفعاً لا للمصريين فقط ولكن لسلي العالم كله الذين هم في حاجة كبرى للترقي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة » فسي أن يسي مع الذين يتمنون ان تكون الجامعة المصرية التي يدعى اليها الآن مشتملة على هذه المبادئ التي ذكرناها العلم والفلسفة ولم يذ كر دعامة الدين ولكنه لا ينكرها وهي من دعائم كلية عليكره ولولاها لكانت تلك الكلية وبالاعلى المسلمين وبعد ذلك كشف الستار عن مائدة الشاي وما يتبعه من اللبن وأنواع الأكل اللطيفة فاقبل عليها المدعوون وهم يتهللون بشرا وطلاقة بهذا الاجتماع الأدبي ثم انصرفوا مودعين شاكرين

﴿ الشورى في فارس وسفير تركيا ﴾

ترجمت جريدة (تريبت) التي تصدر في طهران ما كتبناه في الجزء السابع عن الشورى في بلاد فارس ونقله عنها بعض الجرائد الأخرى فكان له تأثير عظيم وقد اعترض سفير تركيا على نشر هذه الترجمة رسمياً فأجابته ناظر الخارجية بأن

مولانا الشاه قد أطلق الحرية للصحف فلا يمكن تقييدها ولما علم الناس بهذا الاعراض اشتد استياؤهم وقالوا ان تركيا تريد أن تقيدها في بلادنا وتمنع عنا النور كما منعتهم عن اخواننا العرب في بلادها وسنتكلم عن هذه المسألة بالتفصيل في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

الشيخ أحمد أبوخطوة - وفاته

فجع العلم والقضاء في الشهر الماضي بوفاة الشيخ أحمد أبي خطوة أحد قضاة محكمة مصر الشرعية وأنها لفاجعة ليست كالفواجع فالشيخ أحمد أبوخطوة ليس بالعالم الذي يتعزى عنه بوجود كثير من أمثاله في الأزهر أو غير الأزهر بل هو العالم الذي لا أعرف له خلفا في علوم الكلام والحكمة النظرية والمنطق والفقه وفنون العربية كلها لا في الفهم الدقيق ولا في الاداء والتعليم ولذلك انضوى الى دروسه أذكاء تلاميذ الاستاذ الامام من بعده وكان منهم من يحضر بعض دروسه في حياته كالمنطق والكلام والفقه اذ لم يكن الاستاذ الامام يقرأ بعد رسالة التوحيد الا التفسير والبلاغة فلما مات الشيخ أبوخطوة صار هؤلاء الاذكاء كاليتيم من الابوين . كان رحمه الله تعالى وقورا مهيبا على تواضعه ورقة حسن السمات حلما لا تخشى بوادره حسن التصرف في الامور لا يدخل في شيء الا ويعرف كيف يخرج منه بصيرا بأحوال زمانه خيرا بشؤون بلاده قادرا على الاصلاح في المحاكم الشرعية فوفض اليه القيام به لاسيما بعد وضع الاسناد الامام لذلك التقرير الذي أحصى طرق الاصلاح ووجوهه ولكن الحكومة أو أولياء الامر في مصر جهلوا قدره فلم يستفيدوا من استعدادة وكثيرا ما يحجبهم عن معرفة الرجال قول بعض من يتقون بقوله وان قال كلمته عن جهل بالحقيقة أو سوء ظن أو هوى . وجملة القول إن مصر قد خسرت بموت هذا الرجل خسارة عظيمة وقد التمسنا من بعض أصدقائه بان يترجمه للمنار ولعله يفعل متفضلا

الى الاديب محمد الهادي السبيعي وكيل المنار السابق: قد أعذر من أنذر، ومن صبر عدة سنين يشكر ولا يكفر، والشرف خير من المال، والعبرة بالخاتمة والمآل، « وقل رب ادخاني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا »

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الملك
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق

﴿ مصرفي ذي الحجة سنة ١٣٢٤ - آخره الاربعاء ١٣٠٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧ ﴾

لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الاصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الاصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي بحروفها

اللائحة الأولى

كتبها في منفاه ببيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها الى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصح للدولة وانها لو عملت بارشاده وصدقت أمله ورجاءه الحسن فيها لأحيت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة صلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه * وبعد فقد رأينا وسررنا كاسر المسلمون كافة بما نشر في جريدة الطريق من انه صدرت الارادة السنية الي حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن تؤلف تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة نوري أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب العطفة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المكاتب الاسلامية (١) وتقويمها حتى تكون كافلة لجميع الوسائل الصحيحة لتعليم اولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلامي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا في غنى بأرائهم القويمة ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها الحمية للدين تبسنا على بسط ما يلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالعجز والاقرار

(١) لفظ المكتب يطلق في البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

بالقصور عملاً بقول سيدنا على كرم الله وجهه : « من واجب حقوق الله على العباد النصيحة ببلوغ جهدهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته ، يفوق أن يمان على ما حمه الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرته النفوس ، واقتممته العميون ، بدون أن يعين على ذلك أو يمان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة المقائد بعد : لايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين ، الكفاية ببقاء محوزته ، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن للخلافة الاسلامية حصونا وأسوارا وان أحكم أسوارها ما استحكم في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحجبة للدفاع عنها ، ولا معقد للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أنام من قبل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصصلحة البلادوما شا كل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين في إيهاض الهمم وسوقها الى الفايات المطلوبة منها ففضل سواء السبيل

المسلمون قد تحيف الدهر نفوسهم ، وأنحت الأيام على مماقد ايمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيمهم من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانكاس في الطباع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرتع غاية همهم أن يعيشوا الى منقطع أجيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتنافسون في اللذات البيهيمية وسواء عليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أوكانت العزة لسائدهم عليهم من غيرهم . وهؤلاء الهنديون وسكان ماروا والنهر وقبائل التركان واشباههم يمثلون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه المحنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن عمت بها البلية حتى خشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسه هذا المرض الخبيث لولا أن تدركها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله ظله .

هذا الضعف الديني قد نهج لشياطين الأجانب سبيل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واسمالة أهوائهم الى الاخذ بدسائسهم والاصاخة الى مساوسهم

فخلبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعواتهم في أطراف البلاد الإسلامية حتى
العثمانية لتضليل المسلمين فلا ترى بقعة من البقاع إلا فيها مدرسة للامريكانيين
أو اليسوعيين أو العزارية أو الفرير أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الأوروبية
والمسلمون لا يستنكفون من إرسال أولادهم إلى تلك المدارس طمعا في تعليمهم
بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الأوروبية التي
يحبونها ضرورة لسعادتهم في مستقبل حياتهم. ولم يختص هذا التساهل المحزن
بالعامة والجهال بل تعدى إلى المعروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي
المناصب الدينية الإسلامية. وأولئك الضمفاء أولاد المسلمين يدخلون إلى تلك
المدارس الأجنبية في سن السذاجة وغرارة الصبا والحدائة ولا يسمعون إلا ما
يناقض عقائد الدين الإسلامي ولا يرون إلا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي
بل لا يطرق أسماعهم إلا ما يزرى على دينهم وعقائد آبائهم ويميب عليهم التمسك
بعمى الطاعة لأوليائهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لأنه من أسانذتهم
القوام على تربيتهم بإذن آبائهم ولا نطيل القول فيما ينلقونه من العقائد الفاسدة
والآراء الباطلة، فذلك أمر أعرف من أن يبين. فلا نُنقضي سنو تعليمهم إلا
وقد خوت قلوبهم من كل عقد إسلامي وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسم
الإسلام ولا يقف الأمر عند ذلك بل تعقد قلوبهم على محبة الأجانب وتجنّب
أهوائهم إلى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم ينفثون ما تدنست
به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصبرون بذلك ويلا على الأمة، ورزية على
الدولة، نعوذ بالله. ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يجيدون به تربية أبنائهم
مع استبقائهم مسلمين في العقيدة، عثمانيين في النزعة، هذا ما جلبه الجهل على
الأمة الإسلامية وإن غائلته لمن أشد القوائل وقد كنا نخاف أن تحمل بوائقها لو لم
تدفعها عزيمة مولانا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الإسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني
جملة وأما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر
وطريق صوري لا يمدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

من قروا العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بعقائده منكمين على الشهوات وسفساف المذات لا يخشون الله في سر ولا جهر ولا يراعون له حكما في خير ولا شر وانحط بهم ذلك الى الكاب في الكسب والانصباب على طلب التوسعة في العيش لا يلاحظون فيه حلالا أو حراما ولا طيبا أو خبيثا فاذا دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة ركنوا الى الراحة ومالوا الى الحياة وطلبوا لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية ويطلبون للتخلص منها أية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم ونرى غيرهم من الامم يتسابقون الى الانضمام في سلك جنديتهم مع أنها غير معروفة في دينهم بل مضادة نصريح نصوصه ونرى المسلمين يبخلون بأموالهم اذا دعت الاحوال الى مساعدة الدولة والاتفاق على مصالح الامة ولا يبخلون بذلك على شهواتهم بعكس ما ترى في سائر الامم . هكذا انطلقا من المسلمين مصباح العقل فلا يعرفون لهم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون الى جامعة يلبجأون اليها وتقطع ما بينهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولا حول ولا قوة الا بالله هذه احوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير نذكرها مقرونة بأنفاس الاسف وصداء الحزن لما نعلم أن الاجانب قد أرسلوا ذئابهم يتخطفون شادتهم وأغلبهم شاذة ويفترسون نادتهم وجمهورهم نادة ومسارة الفساد فيهم مشهورة يحس بازديادها كل سنة عما قبلها وان عواقب ذلك لتخشى ولا حول ولا قوة الا بالله

واذا استقر بنا احوال المسلمين للبحث عن أسباب هذا الخذلان لا نجد الا سببا واحدا وهو القصور في التعليم الديني إما بإهمال جملة كما هو في بعض البلاد واما بالسلوك اليه من غير طريقه القويمة كما في بعض آخر أما الذين أهمل فيهم التعليم الديني فجمهور العامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين الا أسماء يذكرونها ولا يمشرونها فان كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اختيار للعبد في ما يفعله وإنما هو مجبور في ما يصدر منه جبراً محضاً
فلهذا لا يؤخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لا تدع
ذنباً حتى تشمله بالفيران قطعاً لا احتمال معه للعقاب فليفضل الانسان ما يفعل
من الموبقات وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شاكل ذلك
بما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل الحمية من قلوبهم ولا منشأ
له الا عدم تعليمهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع في كتاب الله وسنة رسوله
وأما الذين أصابو شيئاً من العلم الديني فمنهم من كان همهم علم أحكام الطهارة
والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا
هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين وان هدموا كل ركن
سواهما وبشركون مع الاولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك
علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذاً ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع
العادية وأولئك الاغلب من طلاب الإفتاء والقضاء ووظائف التدريس وماشا كل
ذلك لا ينظرون من الدين الا من وجه ما يجلب اليهم المعيشة فان مال بهم طلب
العيش الى مخالفة لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجهلة مما قدمنا وهو لاء
لا تختص مفسد أعمالهم بذواتهم ولكنها تمتدى الى أخلاق العامة وأطوارهم
فهنا القسم أعظم الاقسام خطراً وأشد هاضراً في العامة والخاصة وما أفراده بقليل
نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة
رجال وقفوا عند ما حد الكتاب واستمسكوا في الدين بالعروة الوثقى وأضرم الدين
في قلوبهم نار الحمية، واستفزز اليقين همهم للنصرة الملية، الا أنهم قليل والموجود منهم
قد يكون خامل الذكر، أو قاصر الاقتدار عما تطالبه به الشريعة في ارشاد الأمة،
و بالجملة فوجود أمثالهم لم يكن كافياً في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا
الطف الله بهذه الأمة بسر توجه مولانا الخليفة الأعظم لمجل لها من الوبال
ما استمختته لسوء أعمالها ونبذها أحكام الله وراء ظهرها وانحرف قلوبها عن مقاصد
ولاية أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزه الله ونصره الى عظم هذا الأمر
وهول عواقبه فأصدر ارادته السامية بالنظر في وجوه تداركه . فباللعمرة العظيمي

وبالمرحمة الكبرى، هشت لها قلوب المؤمنين، وبشت لورود بشرها وجوه الصادقين،
وارتفعت أصوات التضرع الى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين، وتأيد
دولته، واعلاء كلمته،

وإنه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على
سببها الذي أشرفنا إليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الأسلام وأعضاء
الجنة الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من اصلاح الجداول أن يدرج في فنون
المدارس الاسلامية بعضها الكتب الفقهية مع بقاء التعليم على طرقة اليهودية في المساجد
وفي دروس بعض العلماء فان العلوم العملية اذا لم تبين على عقائد صحيحة وإيمان
صادق لا تلبث أن تضمحل ولئن ثبتت فانما تسوق الى أعمال خالية عن النيات
وخاوية من سر الإخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب
عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه
النظر الى فن تقوى به العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم الى تربية تذكريها
ثم الى النفس من ذلك الفن فيكون التذكير مستحفظا لما يصل إليها منه ثم الى فن
الفقه الباطني وهو ما تعرف به أحوال النفس وأخلاقها والملوك منها كالكذب والحياة
والنسيمة والحسد والجبن وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة
وسائر الفضائل ويضم الى ذلك باقي علم الحلال والحرام على ما هو مذكور في الكتاب
والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الاسلامية. ثم الى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس
على العمل بما تعلم منه. ثم يكون التعليم في هذه الفنون المذكورة والتربية على وفق
قواعدها مستنديين الى الشرع الشريف بحيث تذكريها من القرآن والسنة
الصحيحة وما صح أثره من أقوال الصحابة وعلماء السلف الأول ومن هذا حظهم
كحجة الاسلام الفزلي وأمثاله فالقصد بالذات علمان وهما أصلان ومجموعهما ركن
من الإصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان اليه حتى تصير العلوم ملكة راسخة
تصدر عنها الأفعال بلا تعمل ثم يتبها فن آخر يقوى على الفرض منهما وهو فن
التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء
الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء العانيين

هذا اجمال ما اليه الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على
المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لا قوام لحياتها الدينية
والسياسية الا به

فهذا تقسم طبقات الناس الى ثلاث ونعين لكل واحدة منها حداً من هذه الفنون
فالطبقة الاولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم .
والثانية طبقة الساسة ممن يتعاطى العمل للدولة في تديير أمر الرعية وحمايتها من
ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم ورؤسائها ومن يتعلق بهم وأموري الادارة على
اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والتربية ولا
نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة أن يطلبوا الكمال الذي خص به من
فوقهم ولكن الغرض تحديد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين
﴿التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين﴾

﴿الطبقة الأولى﴾ هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادي الكتابة
والقراءة وشيء من الحساب يطمون ذلك الى درجة محدودة يتفهمون بها في
معاملاتهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها
وأولئك كتلامذة المكاتب الرشدية والمسكرية والملكية والمكاتب الخيرية الاهلية
فهؤلاء بهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم سلوها وان
استقرضتهم أموالهم بذلوها محتسبين ذلك في سبيل الله غير شاخطين ولا متكرهين
ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدائيات
تعليمهم مواقف الحمية ومعاصم الانفة المالية كما كان ذلك في نشأة الاسلام وبداءة
الخلافة العثمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاورباوية مما تعلموه من أسلافنا
ولا تدرك هذه الغاية من أبنائنا الا بعقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة
ولهذا ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي

أولاً كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المتفق عليها عند أهل السنة
بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقاً مع الاستدلال عليها بالادلة
الاقناعية القرية المنال والاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الإلام بشيء من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم لتكون الخواطر في استعداد لدفع ما يرد عليهما من وساوس دعاة الإنجيل المنبشئين في كل قطر ثانيا - كتاب مختصر في الحلال والحرام من الاعمال وبيان الاخلاق الخبيثة والصفات الطيبة والتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا في السنة أثرها وظهر في العامة ضررها مستدلا فيه بآيات الكتاب واحاديث السنة مؤبداً بأعمال الصديقين من سلف الامة ولا بد أن يكون مدار الكتاب تقرير ان الانسان انما خلق ليكون عبداً لله فكل شيء دون الله ورسوله مبذول ثالثاً - كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالاخلاق الكريمة والاعمال العظيمة وفداء الدين بالارواح والاموال مع الإلام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضيه وقوتهم وإثبات ان ذلك يسر الصدق في المكافحة والاتحاد في المجاهدة ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عريية ومن الترك تركية ومن غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر باللغة الموضوعه فيها

﴿ التعليم الديني الوسط للطبقة المرشحة للوظائف ﴾

﴿ الطبقة الثانية ﴾ هم أبناء المسلمين الذين ينظمون في المدارس السلطانية والشرعية والملكية والمسكرية والطبية وما ينالوها والذي يهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها حفاظاً لما استحفظوا عليه من شؤونها - الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والمحكم منهم بفصل الخاصات قابض على ميزان العدالة ناظر الى كنف النظام يرجح مارجح فيه ويسقط ما سقط منه فهو يتحرى الحق ويحكم به أو يموت ، والمولى منهم امرأ في ادارة أمور الرعية آخذ بمنظار الحنق والدراية ليستبين ما يخفى من مصالح وما يندق من مسالك أهواؤها ليضبط الاعمال ويلزم الحدود ويرفر وسائل الصران فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها الا أن يحول دون ذلك الموت فيموت ، فهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يزااد لها بعد ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فتوضع لهم في المدارس العالية والاعدادية على الوجه الآتي
أولاً - كتاب يكون مقدمة للعلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول

النظر وشي من آداب الجدل

ثانياً - كتاب في العقائد يرضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط واثبات الطرق الأقرب ومجانبة الخلاف بين المذاهب الاسلامية أيضاً الا أن يتوسم فيما بيننا وبين النصارى لا يوضح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أجلي وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الاسلامية في تقويم المعيشة المدنية فضلاً عن غاية السعادة الأخروية

ثالثاً - كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والردائل ببيان أكمل مما في البداية وتوضيح لاسباب الاخلاق وعلاها وآثارها على وجه يقع به العقل وتطمئن به النفس ثم يبان الحكم لبعض الاحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفي سابقه الى نصوص الدين وسير السلف الصالح كما تقدم ويكون مدار الكلام في الكنايين على ما يضمن الحجة في القلوب ويرفع النفوس الى مقام لا تطلب فيه الامالي الأمور

رابعاً - كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والفتوحات الاسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاء به الخلفاء العثمانيون من ذلك والاثبات على كل هذا من وجه ديني محض فان ذكرت فيه الوجوه السياسية كانت تابعة للفرض الديني ويبين في هذا الكتاب ما كانت تنبسط اليه سيادة الاسلام من أقطار الارض ويردع فيه من العبارات ما يجر ك القلوب الى طلب المنقود فضلاً عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم الاسلامي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من اخوانهم يكفيهم أن يتعلموا هذه الكتب بالسنة آباؤهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لغير العرب كما سبق ولا يلزم لربيتهم الدينية أن يتعلموا اللسان العربي الا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتلونه من ذلك فلا بد من إيقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفاً بمدلول ما ينطق به ليترك الذكراً أثراً في الفكر كما هو مطلوب الشارع وقد يندرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والكليات الابتدائية إذا وجدت فيهم الأوصاف التي تؤهلهم لذلك من الحمية والعفة ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في المنوعات والمطالبات وتمييز ما هو من الدين عما ليس منه وإن خالف أوهام العامة

٥- التعليم الديني العالي لطبقة المطمين والمرشدين

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتخليقهم بالصفات المقصودة بوضعها فانتخبوا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرءاء الأمة وهداة الأمة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية إذا كثر عددهم وبهم يناط التعليم لأهل طبقتهم فهؤلاء لا يكفي لأبلاغهم الغاية المطلوبة للدولة فهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزداد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسعون بها القدرة في البيان لإفادة غيرهم فمن المعلوم أنه لا يكفي المرشد ما يكفي للمسترشد ولأجل هذا تقتصر في بيان ما يحتاجون إليه على ذكر الفنون دون التعرض لأعيان الكتب الا قليلاً فلتكن الفنون على الوجه الآتي ان شاء الله

أولاً - فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج إليه ليقرا القرآن تفهما ونطلباً لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أسرارهم الا إرجاعهم إليه والم تفرغ صبحته أحماق قلوبهم ونزول هزته رواسب طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد إليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقاة الإبل ممن أنزل القرآن بلغتهم والقرآن قريب لطالبه متى كان عارفاً باللغة العربية ومذايب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فعلم ذلك من أجود الوسائل لفهمه فإن احتيج إلى وسيلة أخرى فأولها مطالعة كتب التفسير

الذاهبة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المعروف عند العرب ك تفسير الكشاف
وتفسير القمي الذي ساوري ومن أخذ طريقتيهما

ثانياً - فنون اللغة العربية من نحو وصرف وممان وبيان وتاريخ جاهلي وما
يتبع ذلك ليتمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثاً - فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسراً للقرآن مبيناً له مع اطراح
ما يخالف نصه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لا يرجع للأحاديث الصحيحة
إليه ان كان ظاهرها يورم المخالفة

رابعاً - فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو
مسالك الإمام الغزالي في الاحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على
الاصول المشهورة

خامساً - فن أصول الفقه من وجه ما يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص
الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الاحكام ونرى أفضل

كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس
سادساً - فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله

عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك
الاسلامية الاولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في نهاض الاسلام من

كبوته التي كباها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب
ما وصلت اليه الملة في هذه الايام ليتبين أنه لا سبب لذلك الا الجهل بالدين والانحراف

عن أحكامه وانشقاق عصا الامة بالخلاف الذي لا طائل له

سابعاً - فن الاقناع والخطابة وأصول الجدل لفرض التمكن من تقرير المعاني في
الأذهان وثبيت العقائد في النفوس والزامها الأخذ بمكارم الأخلاق وفضائل

الأعمال والارتفاع به عن دنياها الصفات وسفساف الأمور

ثامناً - فن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث في أدلة كل

لا لتحصيل العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا بأس بقراءة

بعض الكتب الحكيمية الاسلامية لتكميل الاحاطة بوجوه المسائل العقلية

فهذا جملة ما يلزم لتحلية نفوس هذه الطبقة بفضيلي العلم والعمل ولم تعرض
لفن الفقه في العبادات والمعاملات لأنه في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة
وفي المعاملات يشترك في طلبه المسلم والذي والأجنبي إذ يضطر إليه كل ساكن في
الممالك العثمانية ليصرف كيف يطالب بحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات
والرياضيات والطبيعات والنظامات وكل ما حددته نظارة المعارف العثمانية فهي
على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضر شيء منها بالدين بل الدين يقويها
كما أنها تقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر مولانا شيخ الاسلام خاصة
وتكون ادارتها تحت عنايته في سلك مخصوص . و يدعى لها بالمدرسين المتبصرين
من أي أرض يوجدون بها وينتخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا واذكاهم
أخلاقا ويراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها
شهادة بياوغة الفاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في
العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه
في الفضيلتين العلم والعمل

التدريس في جميع تلك الدرجات أما بقصد منه اشراب القلوب حب الدين
وتوقيره وجملة الغاية المطلوبة من كل عمل حتى تكون الملة وجهة واحدة يقصدونها
بأعمالهم فتلتئم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأيد حافظه الاعظم المدافع عن
بيضته حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيبية يخشى بأسها وتخاف بوائق
غضبها ويؤول بالدولة الى علو الكلمة في سياستها الخارجية بعدما عادت بركانه على
المسلمين في راحتهم الداخلية وبالجملة فالقصد من اصلاح الجدول انما هو الى احياء
الملة وقد كانت كادت تموت والماذ بالله

ولهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصا في الاخلاق
والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتهزها وتستفزها من
مقار الخول والنفلة الى مقامات التنبه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال
المعلمين وأعمالهم ومواخذة لهم اذا خالفوا حكما من أحكام ما تعلموه ، أو قصرُوا

في عمل من لوازم ما اعتقدوه ، وتذكيرهم في ذلك يؤثر في قلوبهم ويحرك الساكن من خواطرهم . ومن ثمه يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكل الصفات العقلية وأفضل الاعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وان ثقتنا بوعده الله في قوله (ان ننصروا الله ينصرنا ويثبت أقدامكم) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا) وقوله (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) واعتبارنا بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يرضوا ما بأنفسهم) ونعتبرنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما نراهم عليه في القوة والدرابة كل ذلك يرجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع ارواح المسلمين العثمانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الأسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة العلية العثمانية رغماً عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هو لا العاجزين ان لا حافظ للدولة ولا وافي للملة سواء وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والنفقات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فانه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالجدة ولا بالجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة للطاعة الا بالمقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة للدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الاقطار العثمانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالحمد لله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانهم هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما نؤمل ويؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أديننا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسأل الله ان يوفق مولانا أمير المؤمنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنجح منها في اصلاحنا وإنا في جميع الاحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الاعظم وتأييده وبقائه ظل الله ورحمة لعبيده آمين

كلام في الدعاة والمرشدين

وبقي في موضوع الإصلاح الديني كلام هو كالتشمة له فتقدم لعرضه وهو أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية ان لم تكن قليلة بالنسبة للرعايا العثمانيين فالداخل اليها قليل بالنسبة الى عدد الأهالي فان الجمهور الأعظم من سكان القرى والاعراب المتقلين في أكناف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرون التربية الحسنة حتى قدرها فأصلاح جد أول التعليم في المدارس لا نصيبهم فائدته بل بحرمون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاوزوا سن التعليم وهو لاء وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجهل ما وصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما يناقن الواجب الالتفات اليهم بإصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سواهم

وذلك لا يكون الا بترتيب دعوة تنبيههم الى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتحملهم على السعي في تزييتهم وتهذيبهم ثم نخذعهم عن أطباعهم وتلين من قساسة قلوبهم ثم أهمهم لورغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب تربية أبنائهم والافتاق عليها لزادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في ادارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تحريض الموسرين والاعنياء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما ينفق على انشاء المكاتب وعمل التعليم فيها ويؤلفوا لذلك لجانا وجماعات في كل بلد وبقعة لتدبيره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والجامع ليذكروا الناس مانسوا من دينهم ويعرفوهم ما جهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب ان يكون لأهل الدين دعاة مرشدون ينبشون بين العامة ليقتفواهم على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء وهو لاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعاً في انفنون لادوية الشرعية وأوسعهم علماً بمال الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

الناس منافذ نقلاب للدخول إليها بما يصلحها ثم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف عملهم قولهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون في كل قوم بلقتهم بل يجب أن يكونوا ممتازين بفصاحة اللسان وجودة المنطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبلوا عليهم بالاسماع

ومن هذا نلزم المبادرة الى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليها قوما يحسنونها ويدرجون فيها ما يمس أحوال العامة في تصرفاتهم المشهودة ويبيون لهم مضار الفساد ويهدونهم الى سبل الرشاد كما هو مقصود الشارع من فرض الخطبة في الجمعة وهذا باب عظيم من الإصلاح اذا وجهت العناية اليه رجونا منه النفع الكثير والخير العزيز .

فإن سأل ابن الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟ وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والتربية وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة وتهذيبها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في ارشاد العامة وتبشهم دعاء ؟ ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت في أهل الطبقة الثالثة أن يحصلوا تلك العلوم مع الأفعال فيها والوصول الى حقائقها وذلك يستدعي زمناً طويلاً فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جداً لو كانت أحدنا بوضعها لتيسر له ذلك بمهونة الله عز وجل في أقرب وقت يمكن متى صدر الأمر بذلك تحت نظر مولانا شيخ الاسلام . وأما الرجال الذين يعلمون في الطبقتين الأوليين وفي الثالثة أيضاً والذين يليقون لوظيفة الارشاد فهم أن تيسر وجودهم في بلد واحد أو مدينة واحدة فالبحث عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي الى الكفاية منهم لبداية المشروع متى صدقت النية وخلصت الوجهة لله وللحق في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون بأبواب الأمراء أو يطلبون المناصب الا اذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهو لا يعرفون الا بعد التفتيش عليهم ثم اذا حسنت البداية وتبعها الاجتهاد مع الاخلاص في العمل وصل الامر بتوفيق الله الى الكمال المطلوب وأما طول الزمان في التعليم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الرؤساء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن ما يشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا الغريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصره وتأييده

وأما المصاريف فإنه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما أكد ثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخلص الأموال الوافرة من أيدي المترفين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فأننا لم نأت بشيء من الكلام في هذا الباب إلا عن خبرة بأحوال أخواننا المسلمين وطول ممارسة لأخلاقهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من إصلاحه فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

هذا مجمل ما حضر لخواطر العاجزين وفي التفاصيل ما يطول به انقول أضعا فإضا مضاعفة فان دعينا إليه لم نتأخر عن بثه والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب: هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر للسلطان بأنه يفيض الدولة فليأتنا أحد بمثل نصيحة للدولة في هذه اللائحة وفي اللائحة التالية لها.

وازيد في المنار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فما زلنا منذ عقلنا نقرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الارادات السلطانية بالعبارة بتعليم الدين، وبث الارشاد في نفوس المسلمين، فيستبشر المفرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة إلا اهمالا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الاخبار بتلك الارادات السنية واذا أراد الله أمرا هيا أسبابه فافهم

الامة وسلطة الحاكم المستبد (١)

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

ان الامة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا أثر لارادتها في منافعها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فتلك امة لا تثبت على حال واحد ولا ينضبط لها سير فتتورها السمادة والشقاء، ويتداولها العلم والجهل، ويتبادل عليها الفنى والفقر، ويتناوبها المز والذل، وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خيرا وشرا فهو تابع لحال الحاكم. فان كان حاكما عالما حازما اصيل الرأي علي الهمة رفيع المقصد قويم الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها منار العلم ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها ابوابا للتفتن في الصنائع والخلق في جميع لوازم الحياة وبعث في افراد المحكومين روح الشرف والنخوة وحملهم على التحلي بالمازيا الشريفة من الشهامة والشجاعة والشهامة وإباء الضيم والانفة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير.

وان كان حاكما جاهلا سيء الطبع سافل الهمة شرها مغتلاما جباناً ضعيف الرأي أحق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح ابوابا للمدوان فيقلب القوي على حقوق الضعيف ويحتل النظام وتفسد الاخلاق وتخفض الكرامة ويغلب اليأس فتتد البها أنظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في أحشاء الامة عند ذلك ان كان في الامة رفق من الحياة وبقية فيها بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتناب هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاءها السامة

(١) نشرت في العدد الرابع عشر من جريدة المروة الوثقى بالفنون الآتي

لقائلا بين جميع الامة فتميتها وينقطع الامل من العلاج وبادروا الى قطع هذا
المعضو المجنم قبل أن يسري فساده الى جميع البدن فيمزقه وغرسوا لهم شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات
(استبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وترك شؤنها
بيد الحاكم الابله الفاشم بصرفها كيف يشاء فانذرنا بمحض العبودية وعناء الذلة
ووصمة المار بين الأمم جزاء على ما فرطوا في أمورهم وما ربك بظلام للعبيد

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿ زِدْ لِرِدِّ (١) ﴾

نحمدك اللهم يا هادي المسترشدين الى الحق والصواب * ونسألك أن تؤنينا
الحكمة وفصل الخطاب * وأن تؤيدنا بروح منك * فاننا لا نتمد إلا عليك * ونصلي
ونسلم على نبيك المبعوث رحمة للعالمين * بكتاب مبين * لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من علم حكيم (وبعد) فقد اطلمت على ما كتبه الاستاذ الفاضل
الشيخ طه البشري رداً عليّ فيما ذهبت اليه ، فسرت جدا لغيرته ، وشكرته على
أدبه ونزاهته ، ولكن لما كنت أخالفه في أكثر آرائه اضطرت الى مناقشته ليظهر
لي الحق ان كنت مخطئاً ، راجياً من أهل الانصاف والعقل أن يكونوا حكاماً بيننا ، والله
ولي الهداية ، المنقذ من القواية

قال حفظه الله « وأما السنة فلاننا ثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد وعليه
تتمد » ثم استشهد على ذلك بعدة آيات من القرآن الشريف لم تكن لتخفي علينا
من قبل فلها نبدي له رأينا فيها واحدة بعد أخرى . الآية الأولى قوله تعالى
(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) « ليس هناك معنى لتبين الكتاب
غير تفصيل مجمله وتفسير مشكله » الخ وتقول لو كان جميع ماورد في كتب السنة من

الأحاديث المعتبرة تبيننا للقرآن لكان في غاية الاجمال ولما وصفه الله تعالى بكونه
 بينا ومفصلا في قوله (باسان عربي مبين) وقوله - وكذلك أنزلناه آيات بينات -
 وقوله - وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا - وقوله - كتاب فصلت آياته قرآنا
 عربيا لقوم يعلمون - وقوله - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)
 الى غير ذلك من الآيات فكيف وصفه الله تعالى بهذه الأوصاف وهو محتاج الى
 كل هذه المجلدات الضخمة (كتب السنة) لتوضحه وتفسره وتفصله؛ وكيف يكون
 القرآن آية في البلاغة وفيه ما لا يفهم الا اذا فسره الرسول بنفسه؛ ألا يستنكف
 أحدنا أن يكتب للداس كتابا لا يفهمونه الا اذا فسرهم هو لهم! فما لك بالقرآن. المين
 نعم قد أطلق القرآن الكلام في مسائل قليلة لتكون عبارته منطبقة على أحوال
 جميع البشر في كل زمان ومكان ولكن هذا شيء والاجمال شيء آخر. ولتوضيح
 المقام نضرب مثلا لكل.

فمثال الاجمال قولك: حرم الله الخبائث؛ وإذا أردت تفصيله تقول: حرم
 الله الخنزير والخمر والميتة والدم وغيرها. ومثال الاطلاق أن تقول: جاء محمد؛
 وتفيده يكون بنحو قولك (جاء محمد راكبا فرسا في يوم الجمعة) فالجمل ما دخل
 تحته جميع أفراد المفصل. والمطلق لا تدخل فيه أفراد المقيد ولكنه يحتملها أي
 ان الأول كالجواب الحاروي للمفصل والثاني كجواب غير حاروه ولكنه يسعه.
 فالقرآن ليس فيه مجمل نحتاج إلى تفصيله الا وفصله بقدر ما تقتضيه حاجة البشر.
 ولكنه فيه مطلق لم يتقيد ليقيده أولياء الأمر حسب الحال والزمان والمكان.
 فان قيل لم لا تعتبر السنة تقيدا لمطلقه بالنسبة للعالمين. قلت لأن النبي لا يعلم
 حالة البشر في جميع الأزمنة والأمكنة. وان كان الله تعالى أعلم بها فلم لم
 يقيد جميع مطلق القرآن بالقرآن كما قيد بعض مطلقه فيه؛ والخلاصة أن القرآن
 بين ومفصل تفصيلا يفي بحاجة جميع البشر بدون احتياج الى شيء سواه. ولذلك
 لم يصفه الله تعالى بالاجمال في موضع واحد ووصفه بضده في مواضع كثيرة كما
 بينا ذلك فيما سبق. اذ لا يمكن أن يكون معنى التبيين المذكور في الآية ما ذكر
 الاستاذ وانما معناه الاظهار والتبليغ وعدم كتمان شيء من الكتاب أو اخفائه

عن العالمين كما ورد مثل ذلك المعنى في قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) وقوله (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) الى غير ذلك من الآيات . ثم على فرض أن التبيين هنا معناه التفصيل والتفسير للمجمل والمشكل كما يقول فهل نسبي ما زاد في السنة عن الكتاب مما ليس له أثر فيه تفصيلا وتفسيرا أم ماذا؟ وذلك مثل كثير من نواقض الوضوء وقتل المرتد لمجرد الارتداد وتحريم الحرير والذهب وغير ذلك مما لم يشر اليه الكتاب

الآية الثانية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) أي يظهر لهم جميع ما أوحاه الله اليه من الدين ويلفهم اياه مفصلا وموضحا بلغتهم التي يفهمونها واثبات النبي بهذا القرآن هو كذلك وليس في الآية ما يدل على أنه يأتي أولا بالكتاب غير مفهوم ثم يأخذ في تفسيره وشرحه لهم بعبارات أخرى . وهب أن ما يدعونه صحيح فالآية صريحة في أن هذا التفسير والتفصيل هو لقومه الذين نشأ بينهم وبعث فيهم وهو ما ندعيه وليست نصا في أنه كان عاما لجميع البشر كما هو ظاهر .

الآية الثالثة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) فعلم الكتاب هو تحفيظه للناس وتفهمه لمن لم يفهمه منهم وتدريبهم على التدبر والتفكير فيه والاستفادة منه وتوجيه أنظارهم إلى ما فيه من الآيات والدلائل والبر والحكم وحشهم على ادراكها وتصورها وغير ذلك مما قد يفوت بعضهم . وقوله (والحكمة) عطف تفسير كقوله تعالى (واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لملككم تهتدون) والمعنى أن القرآن ذو حكمة كما وصفه بقوله (والقرآن الحكيم) . وعلى تسليم أن العطف هنا للمغايرة فليس المراد بالحكمة الشرائع والعبادات ونحوها وإنما المراد الحكم والمواظب والآداب والفضائل

وأزواج التهذيب والتأديب والتشريف التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو الأمة العربية حتى أخرجها من ظلمات الجهالة إلى نور العلم والمدنية . ونحن لانرفض شيئاً من ذلك بل قبله على العين والرأس كما قلنا في المقالة السابقة والذي ندعيه أن القرآن مشتمل على أمهاتها ولا أظن أن حضرة الأستاذ يخالفنا في ذلك .

الآية الرابعة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ونحن لم نعارض في ذلك بل نقول إن اطاعة الرسول فرض محتم على كل من أمره بشيء . وأما موضوع البحث هو هل أوامر الرسول القولية (السنة) خاصة بزمنه أم عامة ؟ وبعبارة أخرى هل فرض علينا نحن فرضاً غير ما في كتاب الله تعالى ؟ وهل للرسول أن يفرض على من ليس في عصره وبعد تمام القرآن شيئاً زيادة عما فيه ؟ أما من كانوا في عصره فله أن يأمرهم بأي شيء يرى فيه مصلحة لهم في دينهم أو دنياهم لأنه رئيسهم وأعظم أولياء أمورهم وأعلمهم بما فيه الفائدة وأرجحهم عقلاً وهو أولى الناس بتطبيق القرآن على حالهم وتقييد مطلقه بما يوافقهم . وطاعتهم له واجبة . ولو وجه إلينا خطابه لوجب علينا نحن أيضاً ولعلنا أن الله أمره بذلك . ولكن دعوانا أنه لم يفعل . فهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تشبه من وجه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فلو وجد عليه السلام في زمننا لحق علينا امثال هذا الأمر .

الآية الخامسة (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فليس في هذه الآية ما يدل على أن الرسول يأمر أو ينهى أو يحل أو يحرم به غير ما في القرآن فمن اتبع القرآن فقد اتبعه في كل ذلك . ولعل ما سقط من هذه الآية في مقالة الشيخ من الطابع لأمته

الآية السادسة (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذه الآية وردت في النبي ونصها هكذا (ما آفاه الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فخذوه (ومعناها ما أعطاكم الرسول من الشيء فخذوه وما نهاكم الرسول فخذوه فأنتموها . يقولون ان العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أي . بسبب النزول ولكننا نقول ان الكلام هنا في السياق لا في السبب ولو لم يعتبر السياق لوجب على كل مسلم مثلاً أن يكون دائماً متجهاً نحو الكعبة في أي عمل يعمل لقوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ولكن السياق يدل على أن ذلك في قبلة الصلاة فكيف يعتبر السياق هنا ولا يعتبر هناك

سلمنا أن آية (وما آتاكم الرسول) عامة في كل شيء وأمر ولكن هذا لا يفيد مناظرنا الفاضل شيئاً لأننا نقول إن السنة أعطتها الرسول للعرب لأننا كما سبق ولو أعطها لنا لوجب علينا أخذها وبعبارة أخرى إن السنة هي خطاب الرسول الخاص والقرآن خطاب الله العام . أما ما أورده بعد ذلك من الآيات فليس فيه شيء جديد ويعرف الجواب عنه مما بيناه هنا . ثم اني أسأل حضرة سؤالا وهو ما الحكمة في جعل بعض الدين قرآناً والبعض الآخر سنة؟ مثلاً اذا كان الله تعالى يريد أن كل من كان عنده من المسلمين عشرون دينارا من الذهب أو مئتا درهم من الفضة وجب عليه أن يخرج زكاتها ربع عشرها في جميع الاوقات وفي جميع البلدان فلماذا لم يذكر ذلك تفصيلا في الكتاب كما ذكر الموارد وغيرها؟؟ وما حكمة الاجمال في بعض المواضع والتفصيل في الاخرى؟

قال حفظه الله « ان كل ما يجري على لسان الرسول أو يبدو من عمله إنما هو بالوحي السماوي أو الالهام الالهي الصادق » وهذه العبارة على اطلاقها غلط لا توافقها عليها . لان بعض أعمال الرسول واقواله كانت باجتهاد منه عليه السلام ولم تكن وحيا مطلقا وقد عوتب في بعضها لأن الله تعالى لم يقره على غير الصواب والكمال وما كنا نظن أن حضرة الامتاز تنسى ذلك أو تناساه مع أن القرآن الشريف شهد به وكذلك الاحاديث الصحيحة المعتبرة عنده فلذا نلقت نظره الى ما ذكره المفسرون في مثل قوله تعالى (ما كان لذي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض تربدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وقوله (عفا الله عنك لم أذنت

لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وقوله (عيسى وتولى أن جاءه
الاعمى) والى غير ذلك من الآيات . حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي
بكاء شديداً من بعض هذه العتابات . وقد ورد في الحديث أيضاً أن النبي نهى
عن تأيير النخل ولما علم بضرر ذلك رجع عنه وقال (أنتم أعلم بأمر دنياكم) .
فالعصمة لله وليكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما
قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي بوحى علمه شديد القوى)
فذلك في شأن القرآن خاصة وهو الذي لا يجوز أن يخطئ فيه مطلقاً

ثم قال الاستاذ ما معناه ان السنة اجمالاً متواترة وانها مقطوع بها كالكتاب
وتقول ان أفراد السنة لم يتواتر منها شيء الا ما كان يمد على أصابع اليد . واذا لم
تكن أفرادها متواترة الا القليل فلا فائدة في القول بأنها متواترة اجمالاً بل ولا معنى له
ولا يفينا ذلك من الحق شيئاً . ولم نسمع أحداً غيره يقول انها بالجملة مقطوع بها
كالكتاب . وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكروا انا له حافظون) هو في شأن القرآن كما
يدل عليه ما قبله ولم تسم السنة بالذكروا مطلقاً . وكيف تقول ان هذه الآية تتناولها مع
أن الاعتبار الوجودي يكذبنا لا يؤيدنا . فانه مع عناية المسلمين بها قد تطرق اليها
جميع أنواع التحريف بالزيادة والنقص والتبديل ولا يمكننا معها بحثنا في تاريخ الرواة
وغيره أن نجزم بشيء منها الا ما تواتر وقليل هو . لان الكذاب أو الضعيف أو المطعون
فيه بوجه ما قد يروي أحياناً ما هو حق وصدق فلا تقبله منه فيحصل النقص في السنة .
وكذلك الثقة قد يخطئ أو يكون ممن تظاهر بالصالح والاستقامة حتى غرنا فنأخذ
الحديث عنه والرسول بريء منه . فيحصل بسبب ذلك التبديل والزيادة في السنة .
فهي أشبه شيء بكتب أهل الكتاب . وما نشأ ذلك الا من عدم كتابتها في عهد
النبي عليه السلام وعدم حصر الصحابة لها في كتاب وعدم تبليغها للناس بالتواتر وعدم
حفظهم لها جيداً في صدورهم حتى أباحوا نقلها بالمعنى واختلفت الرواية عنهم لفظاً
ومعنى . فلو كانت السنة واجبة في الدين لأمرنا أن ياملوها معاملة القرآن . حتى
نأمن عليها من التبديل والزيادة والنقصان . والذي نراه أن ما أجاب به الاستاذ
عن هذه المسائل ليس الا من قبيل المراوغة في البحث تخلصاً من شدة وقعها على

النفس كما يتضح ذلك لمن طالع ما كتبه وكتبناه من العقلاء المنصفين. وهنأريد أن نسأل حضرة سؤالا وهو لماذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة أقواله في صحف على حديثها ولأجل التمييز بينها وبين القرآن يكتب عليها ما يفيد أنها أقوال الرسول ويأمر أصحابه بحفظها وتبليغها للناس بالتواتر كما بلغوا القرآن حتى يصل إلينا كتابان لا نزاع فيهما ولا اختلاف؟ وهب أنه مع العناية التامة بتمييزها عن بعضهما وبلغت بعض عبارات الرسول درجة الإعجاز فدخلت في القرآن أو دخل شيء من القرآن فيها وحفظ الاثنان بدون أن يختلط بهما شيء أجنبي عنها حتى وصل إلينا بالتواتر وبدون أن ينقص منهما شيء - ولو أنهما اختلطا ببعضهما شيئا قليلا - أليس ذلك أخف ضررا من ضياع بعض السنة وعدم الجزم بأكثر ما بقي منها مع العلم بأنها شطر الدين الثاني كما يزعمون؟ وبذلك كان المسلمون يستريحون في القرون الأولى من العناية والتعب في لها وتمحيصها وهم لم يصلوا إلى النتيجة المرغوبة ولن يصلوا وكانوا بصرفون همهم هذه إلى شيء آخر واعلم أن زبدة ما اجاب به الاستاذ عما ذكرناه من الفروق بين الكتاب والسنة بعد طول المناقشة هي قوله « ان المدار في القاطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره مما ذكرت » وتقول ان القرآن لا شك أنه متواتر لفظاً ومعنى وكتابة وهب أن المدار على التواتر اللفظي فقط فأي شيء من السنة وصلنا بمثل ذلك إلا ما شذ وندر؟ وهل يفيدنا ذلك اليسير من السنة المتواترة في شيء من ديننا أو دنيانا .

الكلام هنا لا يشمل التواتر العملي ككيفية الصلاة وعدد ركعاتها لان الاستاذ ينكر علينا قيمة ما عدا التواتر اللفظي كما يفهم من كلامه . واذا سلم قيمة التواتر العملي فالقرآن أيضا متواتر عملا في كيفية كتابته ولذلك حافظ المسلمون على رسم الصحابة له الى اليوم واذا كان ينكر فائدة التواتر العملي فبم يعرف عدد ركعات الصلاة مثلا؟ وهل وصله حديث واحد في ذلك متواتر لفظه؟؟ الحق أقول: لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ النبي عليها هو واصحابه حتى تصل إلينا كما وصل إلينا القرآن بدون نزاع ولا خلاف ولا إلكان الله تعالى يريد أن يثبتنا بالظن والظن لا قيمة له عند الله قال تعالى (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك

عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وانهم الا ينجسون) وما أجل قوله هنا (اكثر
من في الارض) فسبحان ربك رب العزة عما يقرولون . ولنجمع هنا أعظم الدلائل
التي نتمند عليها في اثبات دعوانا أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول
صلى الله عليه وسلم . وهي :-

(١) لم تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتكون أقرب الى التحريف
منها الى الضبط لو كانت كتبت في عهده

(٢) نهى صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه سوى القرآن الشريف
ولا يمكن تفسير ذلك تفسيراً مقنعاً بغير ما ذهبنا اليه

(٣) لم تجمها الصحابة بعد عصره في كتاب لينشر في الآفاق ولم يحصرها
أحد منهم حفظاً في صدره ولو كانت الشطر الثاني للدين لا عني بها بذلك أو نحوه

(٤) لم تنقلها الصحابة الى الناس بالنواتر اللفظي . وما تواتر لفظه يكاد
يكون لا وجود له وهو غير هام في الدين وتواتره حصل اتفاقاً لا قصداً منهم

(٥) ما كانوا يجيدون حفظها في صدورهم كحفظ القرآن ولذلك اختلفت
ألفاظ ما تعدت روايته منهم

(٦) كان بعضهم ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر
ليذلوا الوسع في ضبطها ولتسايقوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان
أو متكاسل أو مثبت لهم .

(٧) أياحوا للناس أن يرووها عنهم بالمعنى على حسب ما فهموا

(٨) لم يتكفل الله تعالى بحفظها فوق فيها جميع أنواع التحريف . ولا يمكننا

القطع بشيء منها مما رواه الآحاد وهو جاهل المجرد عدم معرفتنا شيئاً يجرح الرواة
(٩) يوجد فيها كثير مما لا ينطبق الاعلى العرب المعاصرين للنبي صلى الله عليه

وسلم ولا يوافق الاعادتهم وأحوالهم كسألة زكاة الاموال وزكاة الفطر وغير ذلك
(١٠) يشتم من بعض ما وصل اليها من ائمة ما ذهبنا اليه كقول النبي صلى الله عليه

وسلم لمن سأله هل يجب الوضوء من القي «لو كان واجبا لوجدته في كتاب الله تعالى»
وان حصل الطعن في سند مثل هذا الحديث فلا يمكن التعليل عن سبب وجوده

بين المسلمين مع أنه يخالف روح مذهبهم وكيف روه عن واضعه؟ وهل الواضع له كان يقصد أن يقول بمثل رأينا الحالي؟ إذا سلم ذلك دل على أنه لا اجماع بين المسلمين على وجوب الأخذ بالسنة وان كان الواضع من غير المسلمين فماذا يهمه اذا أخذ المسلمون بالقرآن وحده أو به مع السنة وخصوصا في مثل هذه المسألة (مسألة نواقض الوضوء). وهل ذلك يشكك المسلمين في دينهم أو يضمنهم مع أنه يعززم ويقويه؟ وكيف أخذ بعض الفقهاء بهذا الحديث وقال ان الوضوء لا ينتقض بالتيء مستشهدا به على مذهبه فالقول بان هذا الحديث صحيح أو موضوع لا يكفي لشفاء العلة وارواء الفلج بل لا بد من البحث والتنقيب

فهذه أدلتي أوردتها مردا بالايجاز ليندبرها المتدبرون ولتفكر فيها المتفكرون وأرجو ممن يرد علي أن يترك المراوغة ويجيبني بما يقضي ويقنعه والا أضعنا الوقت سدى ، ولم نصل الى هدى

﴿ الاستنباط من الكتاب وحده ﴾

قد أنزل الله تعالى القرآن الشريف بلسان العرب وخاطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون . فهو وحي الله اليهم مباشرة والى العالمين بواسطتهم . وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج الي تفسير مفسر أو تأويل مؤول . أما الأمم الأخرى التي تأخذ القرآن عن العرب فلا بد لهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة وكذا معرفة أحوال العرب وعاداتهم وتاريخهم واصطلاحاتهم حتى يتيسر لهم فهم القرآن على حقيقته . وهم غير محتاجين لمعرفة شيء آخر من أحاديث أو ناسخ أو منسوخ أو قصص أو غير ذلك مما لم أذكره هنا . وبالاختصار ان العرب لا تحتاج إلى شيء مطلقاً لفهم القرآن . وغيرهم لا بد له أن يقدر على فهمه . أعني أن يصير مثل العرب بتعلم ما ذكرت . ولذا وصفه الله تعالى بكونه لساناً عربياً مينا . فلا يرد فيه لفظ لا تعرفه العرب أو اصطلاح لم يهدوه الا اذا ذكر ما يفسره . اذا عرفت هذا فاعلم أن اصطلاحات القرآن قسيمان : اصطلاحات كانت مستعملة بين العرب قبل نزوله مثل لفظ الحج والاحرام والبحيرة والسائبة وغيرها . واصطلاحات جديدة لم تكن تعرفها من قبل كلفظ الصلاة والزكاة وغيرها .

أما القسم الأول فاذا ذكر الله تعالى منه شيئاً فلا يفسره لأنه معروف ولذلك لم يبين القرآن معنى الاحرام مثلاً ولا كيفيته وإنما ذكر ما يدل على وجوبه . قال تعالى (وأموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) فاذا سمع العربي هذا الكلام فهم أن المراد بقوله (ولا تحلقوا رؤوسكم) في هذا المقام النهي عن التحلل قبل بلوغ الهدي إلى المكان الذي يحل فيه ذبحه . وهذا يدلنا على أن الاحرام واجب . ولذلك نهى عن قتل الصيد فيه وشدد العقوبة على من فعل ذلك وتوعده . ولو لم يكن واجباً لما كانت كل هذه العناية به . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً لذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) وكذلك ذكر تعالى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد على أهل الجاهلية فيها فقال (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثهم لا يعقلون) ولم يبين لنا تعالى معاني هذه الألفاظ اعتماداً على أن العرب تعرفها . ولا يجوز لنا أن نفسر مثل هذه الألفاظ الاصطلاحية بمعانيها اللغوية بل يجب فهمها كما كانت تفهمها العرب .

وأما القسم الثاني من الاصطلاحات فاذا ورد في القرآن شيء منه ذكر ما يبين المراد به . فمثلاً الصلاة وإن كان معناها لغة الدعاء إلا أنها في الاصطلاح صورة مخصوصة تستفاد من مجموع آيات القرآن المتعلقة بها ومقارنتها ببعضها مثل قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أمانتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) وقوله - محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدوا يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود * وقوله - وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وقوله - يا أيها الذين آمنوا ركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وقوله - ولا تبهر

بصلواتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً * وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً * وقوله - أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً * وقوله - أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل - مع قوله - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - فأشال هذه الآيات بكل ويفسر بعضها بعضها والذي يفهم من مجموعها أن الصلاة المطالبين بها في القرآن هي ما اشتملت على قيام وركوع وسجود ودعاء ونسبوح وتحميد وتكبير وقراءة قرآن . وأما الزكاة وإن كانت في اللغة النمو أو الطهارة فهي في اصطلاح القرآن ما يعطى من مال الأغنياء للفقراء وغيرهم على سبيل الوجوب وقد أشار الى ذلك بقوله (قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لِيُرِي فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِي عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْطَّرُّونَ) وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها - وقوله - وسيجزيها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) . واعلم أنه كما تستفاد العقائد والشرائع والأخلاق من مجموع القرآن فكذلك العبادات لا بد من أخذها من مجموعها لا من بعضها .

بقي عليّ مسألة واحدة مما ذكره الشيخ البشري في هذا الباب وهي قوله ما مفتاه أنه قد برد في الكتاب لفظ مشترك بين معنيين متناقضين ولا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر إلا بالسنة . وأقول أنه من المستحيل أن يرد في الكتاب لفظ لا يتعين المراد منه إلا إذا كان معناه يؤديان الى الفائدة المطلوبة بعينها كاللفظ القروء الذي امتشهدت به حضرته في قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فسواء أريد به الحيض أو الطهر فالنتيجة واحدة . على أنهم قالوا ان الاصل فيه الانتقال من الطهر الى الحيض . والترجيح بالسنة لم يؤد الى النتيجة المرغوبة لأن أبا حنيفة وإن كان أخذ بمحدث « طلاق الآلهة ثنتان وعدتها حيضتان » إلا أن غيره لم يبال بذلك وأخذ بأدلة أخرى فقالت الشافعية والمالكية ان المراد بالقروء الطهر . وهذا هو الذي اشتكيننا ونشتكي منه . فيا أيها الفاضل المناظر

أتدعوننا الى شيء لم يفتكم أنتم المتمسكين به ولا زلتم مختلفين فيه ؟ هذا ولتعلم أن ماقلته في هذا الباب يعد طعناً منك في بيان القرآن المبين و بلاغته فليستغفر الله تعالى منه ولتنب اليه

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أقر الاستاذ في هذا الباب بأن ما عدا المتواتر لا يفيد اليقين . وأن العمل به عمل بالظن . وقال : إن التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للجرح على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) : ونقول ان الله تعالى لا يتعبنا بالظن والا لما ذمه في كتابه كثيراً . قال تعالى (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقال أيضاً (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أتم الا تخرصون) والسياق يدل على أن الآية الأولى خصوصاً واردة في الأحكام لا في العقائد . فكيف يذمه الله تعالى ثم يوجب علينا العمل به ؟ وقول الشيخ « ان التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق الخ » غلط لان التكليف بالقرآن في غاية السهولة وليس فيه من حرج . اللهم الا أن يكون مراده التكليف بالعمل بالسنة على وجه اليقين فيكون كلامه حجة عليه لاله .

وقد أقر أيضاً في هذا الباب بأن أصحاب كتب الحديث اذا اختلف في نفس أحد هم أقل شبهة من أحد رواه نفض يديه منه واقرب الى أهله خاويان من ذلك الحديث وقاضيه . وهذا القول يؤيد ماقلناه من أن السنة تحصل فيها نقص كل التأييد . فان الحديث اذا كان يرفض لأقل شبهة في أحد الرواة فلا بد أنهم رفضوا أحاديث كثيرة ولا بد أن بعضها كان صحيحاً في الواقع ونفس الأمر اذا الاشتباه في الراوي لا يمنع من ذلك .

أما دفاعه عن المجتهدين ومحاوكته أن يقول أنهم جميعاً على الحق وان اختلفوا فما لا يقبله العقل فان الحق واحد واذا كان مع أحدهم فلا يمكن أن يكون مع مخالفه . واذا كان مراده أنهم كلهم مثابرون على اجتهادهم فأنالنا معارضة في ذلك ولم يكن هذا موضوع بحثي في مقالتي السابقة .

﴿ الاجماع ﴾

استدل عليه بآية وأخطأ في ايرادها ونصها كما قال المنار (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى وينبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تورى ونصه جهنم وساءت مصيرا) وهي كما ترى في غير هذا المقام ولا تناسب ما نحن فيه . وعلى فرض المناسبة نقول : انه لم يرد في القرآن أن المؤمنين لا يخطئون . أو أن طريقهم واحد ولا يسبرون في طريق الباطل . ولو أورد لنا آية هذا المعنى لكانت حجة لحضرتة . والذي نعلمه أن المؤمنين يجوز عليهم جميعا الخطأ ويجوز أن يسبروا في طريق الباطل فن خالفهم فيه أثابه الله ومن لم يتبع سبيلهم الحق عنده الله . فمعنى الآية هكذا (ومن يشاقق الرسول) أي يعصيه ويخالفه (من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين) أي طريقهم الحق عنده الله بما ذكر . وإذا سار المؤمنون في طريق الباطل فلا يسمى هذا طريقهم . لأنه أمر عارض يخالف طبيعتهم . ولا يزال طريق الحق يسمى طريقهم لأنه هو الذي يحنون اليه بمقتضى فطرتهم ويتطلبونه إذا ضلوا . وهم لم يجيدوا عنه الاخطأ أوجها . ورجوعهم اليه سهل إذا أرشدوا

هذا واني قد تركت بعض مسائل لم أبدأ ملاحظتي عليها في مقالة الاستاذ الأولى خوفا من التطويل والسآمة . ولأن البحث فيها لا يؤدي الى نتيجة هامة في الموضوع ولا يغير جوهر الكلام

﴿ مبحث الصلاة ﴾

نبدأ الكلام في هذا البحث بذكر بعض مسائل يحتاج اليها القارىء كل الاحتياج ليفهم حقيقة ما رمي اليه فنقول :

- (١) ان عدد ركعات الصلاة كما وصلنا متواتر عملا عن النبي صلى الله عليه وسلم
- (٢) لو سلمنا أن أصحاب الرسول عليه السلام كانت تعتقد أن الفرض منها ما هو معروف لما ضرنا ذلك شيئا لأننا نقول اهل ذلك كان لأن النبي جمعهم على هذه الاعداد المحصورة وحتما رغبة منه في كمال النظام وتمام الاتحاد ورفع أي اختلاف بينهم إذ كانوا حديثي العهد بالوفاق والوئام . وليس من خلفهم

مضطرا لا التزام ما أمرواهم بالتزامه . فليس حديث ذي الدين ولا حديث عائشة اللذان أوردهما الاستاذ بمفيدين لنا في هذا البحث شيئا . على أيهما ليسا بمتواترين . ونحن وان احتجنا بمثلها على غيرنا لقبوله ذلك لا تقبل الاحتجاج بها على أنفسنا لأنها لا يفيدان الا الظن كما تقدم . ثم ان الاستاذ لم يجنبنا عن السبب في صلاة النبي ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزأ من إقامته بالمدينة أي أكثر من نصف زمن الدعوة وأراد التخلص من ذلك بمناقشتنا في بعض ألفاظ حديث عائشة وهو لم يرو كما نقله في البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر : هذا الحديث أقرب إلى رأينا في عدم تسمية صلاة السفر قصرا منه إلى رأيهم وأظهر منه حديث عمر رضي الله عنه حيث قال : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم : ولذلك اضطرب كثير من المفسرين إلى تأويلهما والاسناد يظن أننا أول من أنكر تسمية صلاة السفر قصرا وتماضي عن أقوال الصحابة أنفسهم

(٣) لم يرد حديث واحد متواتر لفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا نحن فبه بهذه الأعداد المخصوصة . أما حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » فهو غير متواتر وليس صريحا في أمر الركعات . وهب أنه يشمل ذلك فهو خاص بمن في عصر النبي بنقل قوله (كما رأيتموني)

عجبا منك أيها الاستاذ البشري . كيف نتحجج على بهذا الحديث وهو غير صريح في المسألة . ولا نتحجج به على أبي حنيفة الذي نقلت قوله ويظهر أنك أقررت في أنه يكفي قراءة آية من القرآن في الصلاة ولو كانت غير الفاتحة ؟ مع أن النبي وأصحابه أجمعوا على المحافظة على قراءة الفاتحة في كل ركعة وتواتر عنهم ذلك ولم ينقل عن النبي عليه السلام أنه تركها مرة واحدة في أول الدعوة أو في آخرها في سفر أو حضر . فهل المصلي بدون الفاتحة يكون عندك مصليا كما صلى النبي ولا يكون كذلك من صلى ركعتين بدل الأربع . ولماذا نرى أننا نحن انما نطريق المؤمنين ولا ترى أن أبا حنيفة فعل ذلك أيضا ؟ وما السبب في ذهابه هذا المذهب ؟ أليس ذلك لأنه يرى أن التواتر العملي وحده لا يكفي اذا لم يمتحجج بأمر لفظي يفهم منه وجوب الشيء من عدمه ويكون غير قابل

للتأويل ولا للظن فيه

(٤) لو كان وصلنا أصل الأمر بركعات الصلاة متواترا لفظه فلو بما كنا نجد أنه يدل على أنه خاص بمن في عصر النبي عليه السلام أو أنه على الأقل لا يدل على العموم . والاجماع على فهم مخصوص غير حجة علينا . فكم من أشياء فهمناها على غير ما فهمها الصحابة والتابعون . أنظر مثلا الى قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تعملون) فلو سألت عنه جميع الصحابة والتابعين لقالوا لك هذا يحصل يوم القيامة . مع أن كثير من علمائنا الآن صاروا يقولون انه حاصل في الدنيا . ولو قال واحد في الزمن الأول ان النبي أخبر الصحابة بدوران الأرض لا تفقوا جميعا على انكار ذلك وتكذيبه . ولو كانوا رووا القرآن بالمعنى لرووا هذه الآية على حسب فهمهم . ولو لم يصلنا أصل النص لما علمنا أنه يحتمل ما قاله ذلك الخالف للاجماع

(٥) غير المتواتر يفيد الظن ولا يفيد اليقين كما أقر بذلك الاستاذ البشري فيما سبق . والله لا يعتمدنا بالظن فلو كان الله يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المحصورة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر . وحيث انه ما وصلنا دل ذلك على أن الله لا يريد منا الا المحافظة على ما في كتابه صريحا أو ما استفيد منه لأن المتواتر غيره قليل وليس في مسائل هامة في الدين كحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فانه متواتر في رأي الاكثريين

اذا علمت كل هذه المسائل فاسمع ملخص البرهان . الأمر بركعات الصلاة إما أن يكون تحريريا أو قوليا . هو ليس بتحريري . ولم يصلنا أمر قولي متواتر بذلك اذا لم يصل إلينا أمر مقطوع به مطلقا من الطريق الأول أو الطريق الثاني . فان قيل ان التواتر العملي دال عليه وعلى ما هو مفروض قلت يحتمل أننا اذا نظرنا في امر الرسول الأصلي وجدناه اما خاصا بمن في عصره أو أنه على الأقل لا يدل على أنه عام لجميع الناس في جميع الأزمنة والأمكنة . واذا فليس عندنا دليل قطعي على وجوب هذه الأعداد . والله لا يعتمدنا بالظن كما قلنا مرارا فلو كان يريدنا المحافظة على هذه الأعداد المحصورة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر حتى لا يبقى عندنا

أدنى ريب . وحيث ان هذا الأمر لم يصل إلينا بالتواتر دل ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والأسمائه عليها وهو المطلوب .

ولنعد الآن إلى أعمام البحث في هذه المسألة فنقول : - نازعنا الأستاذ الفاضل فيما استنتجناه من قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناه وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلنقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) إلى آخر الآية . فاعلم أن الخطاب بالجمع في قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح الخ) لا يستلزم أن النبي صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه داخل فيه إذ كثيراً ما ورد الخطاب بالجمع ولم يرد به إلا الأكثرين كما في قوله تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) فالخطاب هنا وإن كان لجماعة المؤمنين إلا أنه لا يشمل الزوجين ولا الحكيمين إلا إذا حاولنا التأويل . وهب أن الخطاب يشمل كل فرد ففي الجناح لا يستلزم أن القصر واجب على كل فرد في كل صلاة . إذا علمت ذلك تبين لك أن صلاة النبي ركعتين عند الخوف في السفر وهو امام ان قلنا أنها لم تكن قصر لما خلفنا مضمون قوله تعالى « فليس عليكم جناح أن تقصروا » حتى يتم علينا الزام حضرة الأستاذ المناظر أما قوله ان القيد « ان خفتم أن يقتلكم الذين كفروا » لا مفهوم له وأنه لبيان الواقع فما لا نواقفه عليه لانه الأصل عدم ذلك ومتى أمكن حمل الكلام على وجه يجعل لكل قيد مفهوماً وجب المصير إليه . أما إذا لم يمكن ذلك لدليل قام عندنا اضطررنا إلى القول به . وهنا لا دليل يمنعنا من القول بأن هذا القيد معتبر في هذه الآية وأحاديث الآحاد التي تنافي ذلك هي معارضة بمثلاً كقول عائشة وقول عمر الذين ذكرناهما فيما سبق فانهما يدلان على أن صلاة السفر ليست قصرأ فكان القصر هو في صلاة الخوف فقط . وعلى ذلك فإقرارنا بأن القيد في قوله تعالى « وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة » الخ لا مفهوم له لا يستلزم أن نقول بذلك في كل قيد نراه والخطاب هنا وإن كان للنبي إلا أنه قد

جرت عادة القرآن في كثير من المواقع أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويربده هو وأمنه كقول المثل (اياك أعني وأسمعي بإجارة) ولو قلنا إن كل خطاب للنبي هو خاص به لأخرجنا الأمة من جزء عظيم من تكاليف القرآن كقوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقوله « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقوله « أقم الصلاة لذالك الشمس إلى غسق الليل » وقوله « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » الآية وقوله (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (وأمر أهلك بالصلاة) إلى غير ذلك من الآيات . ولهذا قال علماء الأصول إن كل خطاب للنبي هو أيضاً خطاب لأمة إلا إذا دل دليل على التخصيص ومما يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) . لذلك نقول إن القيد (وإذا كنت فيهم) لا مفهوم له لأن الدلائل قامت على ذلك بخلاف القيد (إن ختم أن يفتنكم الذين كفروا) فإنه معتبر مفهومه لعدم الدلائل القاطمة . ولو كان الحكم في هذه المسألة بحسب اختيار الإنسان وإرادته لحصل التلاعب في فهم أوامر الدين

أما استشاده بآية (وورثكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) فلا حق له فيه لأن هذه الآية ليست مما يقين أن يكون القيد فيها لا مفهوم له بل قال بعض الصحابة وغيرهم بعكس ذلك . قال علي كرم الله وجهه الربية إذا لم تكن في حجر الزوج وكانت في بلد آخر ثم فارق الأم بعد النحول فإنه يجوز له أن يتزوج الربية وكذلك قال داود من الفقهاء . وصفوة الكلام في هذا الموضوع أن كل قيد ورد في القرآن يجب أن نعتبر مفهومه إلا إذا منع من ذلك مانع قوي كما في قوله تعالى (ولا تكثرها قبائلكم على البغاء إن أردن تحصناً) وكل خطاب للنبي خطاب لأمة إلا إذا قام دليل على التخصيص وكل قيد لم يعتبر مفهومه لعله فلا بد أن يكون هنا من فائدة أخرى لوروده في الكلام « وبذلك نزه كتاب الله تعالى عن القو والمبث والابهام وعدم البيان .

أما دعواه أن صلاة الخوف لم يقل أحد بأنها ركعة واحدة فيكفنا في الرد عليه أن نحيله إلى تفسير مثل تفسير فخر الدين الرازي وهناك يجد أن ابن عباس وجابر

ابن عبد الله ومجاهد وغيرهم قالوا انها ركعة واحدة فقط كما قلنا وهو المبادر من قوله تعالى « فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا » أي أول سجود لأنه لم يذ كر غيره وبه تنهي الركعة الأولى . ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصل الركعة الثانية خلف الامام . وتكون كل طائفة صلت ركعة واحدة فقط

قال الاستاذ المناظر اني استدللت على أن ما بعد الركعتين في الثلاثية والرابعة زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة ونبي على ذلك ما نبى ولكن عبارتي لم تكن كذلك ونصها هكذا : كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وان جهر في الأولىين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن أفلا يدل ذلك على أن منزلتيهما أقل من الركعتين الأولىين : وشتان ما بين هذا المعنى وذلك . ثم انه لم يجب بشيء عن السبب في عدم الجهر وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة مع فعل أحد هذين الأمرين أو فعلهما معاً في الركعتين الأولىين كما جرت به عادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا شأن حضرته في أكثر رده علينا فانه يترك الاجابة عن السؤال نفسه ويشغلنا بغيرها

انتقد علينا تسمية صلاة السفر « اكتفاءً بالواجب » ورى أن انتقاده هذا الحق فيه اذا أثبت لنا أن النبي كان يلزم في غضون أسفاره النوافل وعندئذ يمكننا أن نستبدل هذه التسمية بغيرها كقولنا (تقليلاً للنوافل) ولما كانت ركعات الصبح والمغرب قليلة بالنسبة لغيرها كان يصلحها عليه السلام في السفر كما اعتاد في الحضر بدون تقليل منها .

هذا ولم يبق بعد ذلك في مقال الاستاذ شيء يحفل به وفيما ذكرناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وأهملنا الفهم لكتابه المجيد . انه ملهم الأنام هادي العبيد . رب العرش الفعالي لا يردى



نلت نظر القارئ الى المسائل الآتية فان فيها زبدة هذه المقالة والمحور

الذي تدور عليه : -

(المسألة الأولى) الفرق بين القرآن والسنة القولية هي :

(١) القرآن هو قول الله . والسنة هي قول الرسول

(٢) القرآن معجز والسنة غير معجزة

(٣) القرآن متواتر كل جزء منه . والسنة ليست كذلك

(٤) القرآن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه في زمنه ولذلك نسميه

« التعاليم التحريرية أو الكتاب » والسنة هي عن كتابتها ونسميه « التعاليم اللفظية »

(٥) القرآن خطاب الله العام . والسنة خطاب الرسول الخاص

(المسألة الثانية) التواتر العملي لا يدل على الوجوب ما لم يكن مصحوباً بدليل

قولي قاطع ولذلك قال أبو حنيفة إن قراءة الفاتحة ليست بواجبة في الصلاة مع

أن ذلك متواتر عملاً عن النبي عليه السلام

(المسألة الثالثة) القرآن بين العرب لا يحتاج لتبيينه إلى كلام آخر لأنه في منتهى

البلاغة ولا يكون كذلك إلا إذا كان إيضاحه فوق إيضاح كل كلام سواه . فلا

فلا معنى عندنا للقول بأن الرسول مبین له بسنته القولية

(المسألة الرابعة) الإيضاح العملي أبلغ من الإيضاح القولي مهما كانت درجته .

فالقرآن وإن كان لا يمكن إيضاحه بقول أوضح منه إلا أنه يمكن توضيحه بالعمل

فإن العمل أبلغ من كل قول . وهذا الأمر يدركه من درس بعض العلوم التي

تحتاج إلى العلم والعمل كالمطبخ مثلاً . ويدخل تحت ذلك تصوير الأفرنج

للمعاني بصور وأشكال يضعونها في كتبهم لتعين القارئ على الفهم

(المسألة الخامسة) لا ننكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مبین للقرآن بعمله .

ولا ننكر أن قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكريات للناس ما نزل إليهم) قد يشمل

هذا التبيين العملي أيضاً . والذي أنكرناه هو التبيين القولي فقط لما أوضحناه

آنفاً فلا يمكن أن يكون هو المراد بهذه الآية .

(المسألة السادسة) التبيين العملي عندنا قاصر على إيضاح ما في الكتاب

وتصويره بالفعل . ولا يشمل ذلك الأعمال التي تزيد عن معنى ما في الكتاب .

فكل عمل مبین لما في الكتاب يكون واجباً إذا دل الكتاب على وجوبه . والذي

لم يدل الكتاب على وجوبه أو لم يذكره بكون غير واجب علينا . وبعبارة أخرى
(الواجب على البشر لا يخرج عما في كتاب الله تعالى)

(المسئلة السابعة) جل ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن
أصحابه مفسر الآي القرآن لم يصح سنده . ولذلك قال الامام أحمد ثلاثة
لأصل لها التفسير والملاحم والمغازي . ولم يرد عنه عليه السلام حديث واحد
يعتمد عليه في بيان النسخ والمنسوخ مع شدة الحاجة الى ذلك اذا صح مايقولون
(راجع مقالنا في النسخ والمنسوخ)

فارجو ممن يطالع هذه المقالة أن يعم النظر في هذه المسائل ولا يعيه التقليد
عن إدراكها وبعد ذلك ان شاء أن يرد علينا فليفعل . والسلام على من
اتبع الهدى ما ٢٠ يناير سنة ٩٠٧ صدي

المنار

نشرنا هذه الرسالة بطولها في هذا الجزء رغبة في تقصير مدة هذه المناظرة
وقول الآن في المسئلة كلمة مختصرة وربما عدنا إليها في بعض أجزاء السنة الآتية
كثر الكلام ونشبت المباحث ودخل في طول الجدل أو كاد وتحرير محل
النزاع هل الاسلام الدين العام لجميع البشر هو القرآن وحده أم هو جميع ما
جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أنه دين ؟ قال الدكتور محمد توفيق افندي
في المقالة الاولى (كما في ص ٥١٧ من الجزء السابق) بعد مسئلة عدد ركعات
الصلاة ومسئلة مقادير الزكاة ما نصه « لاشك عندي أن هاتين المسألتين : وتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلاً للنزاع ولكن محل النزاع هو هل
كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الاسلامية في
جميع الأزمنة والامكنة وان لم يرد ذكره في القرآن ؟ رأيي أنه لا يجب » .
وذكر في المقالة الثانية ما رأيت أنفاً من الدلائل العشرة على أن السنة النبوية
كانت خاصة بمن في عصر الرسول (ص) وتارات يقول أنها خاصة بالعرب .
وهذه الدلائل كلها تتعلق برواية الحديث الاثامن فإنه امر سلبي والتاسع فإنه
دعوى ممنوعة والعاشر فإنه رائحة دليل لا دليل

من البديهي الذي لا يماري فيه عاقل منصف ان الاعتقاد بأن فلانا رسول الله يستلزم أن يقبل منه كل ما دعا اليه من أمر الدين جميع من أرسل اليهم فإن كان مرسلنا الى قوم محصورين وجب ذلك عليهم وان كان مرسلنا الى غير محصورين وجب عليهم متى بلغهم . ومن المعلوم عندنا بالضرورة بحيث لا يتنازع فيه أحد من المتناظرين ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الناس كافة من كان منهم في زمنه من العرب وغيرهم ومن يأتي بعده الى قيام الساعة . فوجب أن يكون كل ما جاء به من أمر الدين موجها الى جميع من أرسل اليهم في كل زمان ومكان الا اذا دل الدليل على التخصيص فهذا أصل بديهي لا تطيل في بيانه ولا في تحرير برهانه

نضم الى هذا الاصل أصلا آخر أظن أن الدكتور لا يعترض فيه وهو أنه لا يعقل أن يفهم جميع من تلقوا الدين عن الرسول (ص) مباشرة أن عمل كذا من الدين وأنه عام لجميع المكافين ويكون ذلك العمل في نفسه خاصا بهم وحدهم أو مع من يشار إليهم في وصف خاص كاللغة والوطن لأن هذا لا يتصور وقوعه الا اذا جاز أن يقصر الرسول في التبليغ والبيان الذي بهت لاجله وهذا مما لا يجيزه مسلم فاذا جعلنا هذين الاصلين مقدمتين انتجتا لنا أن كل ما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه أهل الصدر الاول فهو من الاسلام لا يعتد باسلام من تركه ومنه القرآن يرمته وهذه الصلوات الخمس وان ما عدا ذلك محل اجتهاد فمن بلغه عن الرسول (ص) شيء غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة وثبت عنده وجب عليه أن يعتد به من الدين ومن وثق بجهده وعلم منه أنه ثبت عنده شيء عن الرسول وجب عليه أن يعتد به من الدين فان كان ثبوته على أنه حتم عمل به حتما وان كان مخبرا فيه تخيرا . فاذا سلم الدكتور صدقي بهذه النتيجة سلم من الشذوذ في أصل الاسلام وانحصرت إشكالاته فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن وما تلقاه عنه المسلمون من العمل الذي لم يصل الى درجة المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وكل ما يصل اليه الاجتهاد بعد ذلك فهو مما ينسج له صدر الاسلام ولنا فيه تفصيل نرجئه الى وقت آخر

هذا مجمل ما يقال في أصل المسألة أما فروعها فأظهرها مسألة الصلاة وهذه الكيفية المعروفة عند جميع المسلمين - ويدخل فيها عدد الركعات كعدد الصلوات وهي خمس - مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لا ريب في أن جميع الصحابة فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها مفروضة بهذه الكيفية والعدد على جميع من يدخل في الاسلام الى يوم القيامة هذا ما تلقاه عنهم التابعون وجرى عليه الناس فاذا أمكن الريب فيه بعد ثلاثة عشر قرناً كانت جميع معارف البشر عن الماضي أولى بأن يرتاب فيها بل أجدر بالناس حينئذ أن يكونوا سوفسطائية يشكون حتى في المحسوسات

ليس قصر الصلاة في الخوف ولا في غير الخوف مما يصلح شبهة على كون الصلاة المفروضة هي ما يعرف جميع المسلمين فان حال الخوف لها حكم خاص بها فكانت الضرورة منه ما ذكر في سورة النساء وهو ما يحتاج به الدكتور صدقي على ما تقدم عنه ومنها ما ذكر في سورة البقرة (فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا) وهذه كيفية لا ركوع فيها ولا سجود . فاذا كان ما في سورة النساء يدل على أن أقل صلاة الخوف ركعة للمؤمنين وركعتان للإمام وأقل صلاة الامن ركعتان لكل مسلم كما قال الدكتور صدقي فلماذا لا يستدل بما في سورة البقرة على أن الواجب في كفيتهما يحصل بغير ركوع ولا سجود لأنه أقل ما اكتفى به القرآن ويجعل الأمر بالركوع والسجود في آيات أخرى مخيراً فيه أو مندوباً اليه أو أمراً أكلياً ولا يعدم لذلك نظائر في أوامر القرآن

القواعد العامة في الأديان والشرائع والقوانين توضع للحال التي يكون عليها الناس في الأكثر والأغلب لا للأحوال النادرة والضرورات التي قد يوضع لها أحكام خاصة تسمى رخصاً في عرف أهل الشرع واستثناء في عرف أصحاب القوانين وهي لا تجعل معياراً على القواعد والأحكام العامة التي هي الأصل ومن هذا القبيل صلاة الخوف لا يمكن أن يؤخذ منها حكم الواجب في حال الأمن وهي العامة الغالبة . على أن قوله تعالى (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) لا يدل على أنهم يصلون ركعة واحدة لا سيما على القول بان معنى سجدوا هنا صلوا وهو المتبادر

والتعبير عن الصلاة ببعض أعمالها معهود في القرآن والحديث والآثار ومنه قوله تعالى (وقرآن الفجر) معناه صلاته بل ورد التعبير عن الصلاة بالتسبيح وهو من أذكارها الخفية لامن أركانها الجليلة . وان قلنا ان المراد بالسجود العمل المعروف يكون المعنى فإذا سجد المصلون فليكن الآخرون من ورأيهم لثلا يفقههم العدو وهم ساجدون لا ينظرون اليه . وفعل الشرط لا يقتضي الوحدة بل يصدق بالتكرار وهو المتبادر فيه . فالقرآن لا يدل على عدد الركعات المفروضة في حال الأمن ولا في حال الخوف أيضاً . والأحاديث لا يصح الاستدلال بها عند الدكتور لعدم الثقة بها فإذا احتج بالسنة العملية وجب عليه ان يتبع سائر المسلمين في الكيفية والعدد وهم قد اتبعوا في ذلك رسول الله كما أمرهم تعالى باتباعه في قوله (٧:١٥٨ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيي ويميت فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تفلحون) فهذا الأمر العام الذي الله به الناس جميعاً لا العرب خاصة يحتم على الناس اتباع محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أمر مطلق حكاه ان يجري على إطلاقه

يقول الدكتور صدقي نعم ان اتباعه واجب ولكن على كل قوم ان يتبعوه فيما دعاهم اليه وقد دعا العرب الى الكتاب والسنة ودعا سائر الناس الى الكتاب فقط ونقول لادليل على هذه التفرقة في الدعوة وأما السنة سيرته صلى الله عليه وسلم في الهدي والاهتداء بالقرآن وهو أعلم الناس به وأحسنهم هدياً وإطلاقها على ما يشمل الأحاديث اصطلاح حادث . فلم بما تقرر على اختصاره أن أصل دين الاسلام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمضت السنة على أنه حتم في الدين فهو حتم وما مضت فيه على أنه مستحسن مخير فيه فهو كذلك في الدين .

أما سؤال الدكتور لم كان بعض الدين قرآناً وبمضه سنة فجوابه أن الدين تعليم وتربية كما قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم (٢:١٥١) يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة . والتعليم كان للآيات والكتاب والحكمة التي هي اسرار التنزيل وفلسفته والتزكية أي التربية كانت بالسنة وهي طريقته في الاهتداء والعمل بالقرآن على الوجه الذي تتحق به الحكمة

منه ولذلك قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة به القدوة به في سيرته وأعماله .

وقول الله كتور « الحق أقول لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ عليها النبي وأصحابه حتى تصل إلينا كما وصل القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يتعبدا بنا بالظن والنظن لا قيمة له عند الله » فيه أن السنة لا معنى لها في عرف السلف وعرفنا الأما واضب عليه النبي (ص) وأصحابه كيفية الصلاة وكيفية الحج وقد وصل إلينا هذا بدون نزاع ولا خلاف يجمل السنة في جملتها مضمونة . ذلك أن اختلاف الفقهاء في أذكار الركوع والسجود هل هي واجبة أو مندوبة ليس مبنيا على اختلافهم في أصلها هل جرى عليه عمل النبي وأصحابه أم لا بل هذا متفق عليه ومثله اختلاف الحنفية مع غيرهم في الفاتحة وما يقرأ بعدها هل يسمى بمضه فرضا وبعضه واجبا أو مندوبا فان هذا اختلاف في الاصطلاحات وهم متفقون على السنة المتبعة وهي ان النبي وأصحابه كانوا يقرأون الفاتحة في كل ركعة ويقرونها سورة أو بعض آيات في الصبح والركعتين الأوليين من سائر الفرائض ومن النوافل وما فعله بعضهم وتركه الآخرون سببه ان النبي فعله نارة وتركه أخرى فهو مخير فيه الا اذا ثبت أنه تركه في آخر حياته رغبة عنه . وما اختلفت فيه السنة وهو ثابت يشبه الاختلاف في القراءات ما تواتر من كل منها فهو قرآن وسنة قطعا وما لم يتواتر فلا حجة فيه على أنه أصل في الدين . وليس في السنة شيء لا أصل له في القرآن بل كان خلق صاحب السنة القرآن ولكن لا نستفي بالقرآن عن السنة الا اذا استغفينا عن كون الرسول قدوة واسوة لنا وذلك فسوق عن هدي القرآن واهمال لنصه

بقي في الموضوع بحث آخر هو محل النظر وهو هل الاحاديث وبسومنها بسنن الاقوال دين وشريعة عامة وان لم تكن سننا منبئة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لاسيما في الصدر الاول ؟ ان قلنا نعم فا كبر شبهة ترد علينا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن وعدم كتابة انصحابه للحديث وعدم عناية علمائهم وأئمتهم كالخلفاء بالحديث بل نقل عنهم الرغبة عنه كما قلنا لادكتور صدقي

في مذاكراته لنا قبل أن يكتب شيئاً في الموضوع . وقد سألنا غير واحد من أهل العلم عن رأيه في حديث النهي فأجاب أحد الأبياض ما أجاب به النووي في شرحه لصحيح مسلم وهو غير متفق لاهل هذا العصر الذين نبذوا التقليد ظهرياً . فالمنار يقترح على علماء الدين ان يوافقوه بما يعلمون وما يفتح عليهم في هذه المسألة والا كانوا من كآتبي العلم وقد علموا ما ورد في الكافين

هذا وقد سبق لنا سبج طويل في بحث ما نتحقق به الوحدة الاسلامية من الاخذ بالكتاب والسنة فليراجع ذلك من شاء في مقالات محاورات المصلح والمقلد في المجلدين الثالث والرابع من المنار وقد طبعت هذه المحاورات في كتاب مستقل ثمنه خمسة قروش صحیححة وهو يطلب من مكتبة المنار

﴿ رسالة من طهران بحروفها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة رشيدنا ومرشدنا حكيم الاسلام وفيلسوفه مربي الأمة المحمدية والدنا وأستاذنا السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامي أطال الله بقاءه ورزقنا بره ولقاه آمين يارب العالمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالوجوب لتحرير هذه السطيرات هو الأخبار بما اعترض به سفير الدولة العثمانية الامير شمس الدين بك علي الجرائد الفارسية عند ترجمتها لمقالتيكم (الشورى في بلاد ايران) المذكورة في العدد السابع من المجلد التاسع من مجلتكم الغراء . أول من ترجم ذلك ذكاه الملك في جريدته (تربيت) الغراء فنبه المترجم علماء الفرس وسواسهم وذكروا لهم بعد الترجمة ان منزلة ومقام حضرة حكيم الاسلام وفيلسوفه السيد محمد رشيد رضا عند جميع أهل الأقطار من المسلمين وخصوصاً العرب الكرام بمنزلة مئة عالم مجتهد من أهل التشيع فاعزتموا الفرصة وفكروا أيها السواس في مقالة هذا الخبر واقرؤها على المنابر وفي المعابر . ثم نقل ما ترجم وما قال في جريدة (مجلس) وهي جديدة الطلوع بقراءها في طهران الصغير والكبير والذكور والاثني بل وفي جميع ايران

كتب الأمير شمس الدين بك الى وزير خارجية (علاء السلطنة) كتابا وأغاظ فيه وذكر أن ما ترجمته ووزناته (تريبت) وثقائه عنها جريدة مجلس من المنار أسباب يلقبها أعداء الدولة ليقوموا انفاق بين الدولتين ، ويحدثوا الشقاق بين الفريقين ، والأولى أن تهتموا على جرائدكم اذا رأوا مثل هذه المقالات ان لا يترجموها : فأجابه وزير الخارجية بأن صاحب المقالة ليس من رعيئنا حتى نؤاخذنه وبأن سلطاننا قد أطلق الحرية للجرائد والأقلام فلا يمكننا معارضتهم بشئ . هذا معنى ما كتبه السفير ، وما أجابه به الوزير ، رأيت الكتاب والجواب بعيني في يد سيد محمد صادق نجل حضرة السيد محمد الطباطبائي المجتهد مدير جريدة مجلس

وقد كنت يوما في مجلس مشحون من طلاب العلوم الدينية فذا كروا ماجرى بين السفير والوزير فقام أحدهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان دولة الترك تريد أن تضغط على عقولنا وأفكارنا كما فعلت باخواننا من العرب المسلمين ، نطلب منا أن لا نكتب في جرائدنا ما ينور عقولنا وينبه أفكار أهل ملتنا من الفرس بأن مجلس الشورى اذا دار في ايران فأحكامه وقوانينه هي أحكام الشريعة وقوانينها فيجب على كل مسلم أن يتبع أحكام الشريعة المحمدية حيث كانت . ماذا رأينا من الدولة التركية ؟ رأينا منها التمدي على حدود مملكتنا من طرف تبريز ، رأينا منها التمدي والظلم لاخواننا وأهل ملتنا في العراق ، رأينا منها دبحهم وجزرهم في الشهر الماضي ، مهلا مهلا أيها الترك أفيقوا من غفلةكم ، وتيقظوا من نومكم ، فليس اليوم كالأمس ، ولا غد كالיום ، انفتحت علينا أوروبا وأتانا أهلها من كل حدب يسألون ، هذا ناجر وهذا سائح وهذا حكيم والآخرون داع لدينه ، والتعهد من الكل ابتلاعنا مما شر أهل الاسلام ، فان نيقظم وإلا فأنتم صبورهم ونحن غبورهم لا سحر الله بذلك ، أيها الترك تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ المستبدين أرباباً من دون الله طاعتهم كطاعته ومصيبتهم كمصيبته ، بل نجالدهم بالسيف والسنان ، والقلب واللسان ، فان توليتم فنشهدكم بأننا مسلمون ، ونبرأ الى الله من المستبدين

الخائنين ، ومستمسكون بقوله عز من قائل في وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وهم الذين قال الله فيهم (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور)
 هذا معني ماخطب به خطيب الطلاب الدينية أحببت أن أطلعكم عليه فإنه بعد ما ترجم قولكم صار بين الناس ذكركم وأنتاهم أشهر من نار على علم اه
 (المنار) ذكر الكاتب اسمه ولم يأمر بكتمه ولكننا لم نذكره لاجل قوله انه اطلع على ما كتب السفير والوزير . ولعله بين عنوانه الذي تصل اليه به الرسائل لنكتب اليه

وقدرأى القراء أن خطيب طلاب العلوم بطهران أعقل من سفير دولتنا الذي يدعي أن بيان الحق واظهار حكم الله في أمر المسلمين وقاعدة حكومتهم لا يأتي الا من عدو لدولته ولا يكون له من الأثر اذا هو ظهر في بلاد الفرس الا تاريت العدوان بينهم وبين قومه الترك ومعنى هذا - ولا ندري أفهمه أم لا - ان دولته عدوة للحكم الاسلامي الذي وضع القرآن له أساس الشورى وأنها تعادي كل من يقول به أو يحاول العمل به . ونحن ننزه الدولة في مجرعتها والأمة العثمانية عن هذه الضلالة ونقول ان الأمة والدولة يتنان من حكم الاستبداد ويحنان الى حكم الشورى ولكنهما غلبتا عليه ولولم يجد المايين عمالا مثل حضرة السفير لما تمكن من القضاء على القانون الاساسي ومجلس المبعوثان بالاعدام . لما اذا يكون المطالب بالشورى والعدل أو المادح لها عدوا للدولة ولا يكون المساعد على الاستبداد والظلم لاجل المال والجاه والعدو المبين للدولة والملة ؟ أي الامرين أضمن لسلامتهما ؟ أليس من العار علينا ان نجد الجواب الصحيح عند أحد طلاب الفرس والجواب الباطل عند أحد وزراء الترك . ان ما أنذر المسلمين به الخطيب الفارسي لواقع ان لم يتداركوا أمرهم وأن الخطر على العثمانيين أقرب فنسأل الله تعالى أن يغير ما بنا الى خير منه قيل أن تقع الواقعة فنكون خافضة رافعة

باب التربية والتعليم

خطبة الدكتور ضياء الدين أحمد

قال بعد مقدمة في الشكر لاصدقائه اذین احتقوا به ولا محاب الجرائد ما ترجمته
أيها السادة : — لم تعد كلية عليكرة شيئاً غير معلوم في مصر . فأكتفى بأن
أقول إنها الآن تتألف من ثلاثة أقسام — المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية
والمدرسة العالية وبالمقارنة بمدارس مصر الابتدائية والثانوية يصح أن نعتد مدارس
مصر الابتدائية والثانوية كالمدرسة الابتدائية عندنا بقسميها الابتدائي والراقي . لان
المدارس الثانوية للتعليم العام لا وجود لها في الحقيقة بمصر . والتي يسمونها هنا المدارس
العالية كمدرسة الطب والحقوق تسمى في أوروبا مدارس ثانوية فنية . فدرستنا
العالية في الكلية لا يصح أن تقاس بها مدارسكم العالية هنا وان كانت المدرسة العالية
في عليكرة لا تزال في طفوليتها أو كأنها مدرسة ثانوية راقية ولا تكرر أن مدرستنا
الكلية لم تخرج الى الآن رجالاً من عظماء العلماء الذين يكتشفون الاكتشافات
المهمة في العلوم والفنون بيد أنها قد خرجت رجالاً ذوي كرامة ونفوس عالية
وإخلاص لبلادهم وملتزمين

يوجد في بلاد الهند أكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن الذي يجعل لكليتنا
امتيازاً حقيقياً على غيرها أنها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص بإقامة الطلبة فيها
على الطريقة الانكليزية وأول ما يعلم الطلبة فيها حب الكلية والعمل المستمر لترقيتها
وإعلاء شأنها بكل ما في إمكانهم ويتدرج من ذلك الى ترقية شعورهم في مبادئ الاخلاص
والوطنية حتى اذا ظهر أن طالباً ما يشتري بمصلحة المدرسة مصاحبة شخصية له حقره
الطلبة كافة فاما أن يكفر عن ذنبه بخدمة عامة وإما أن يرحبها غير ما سوف عليه ويوجد
في المدرسة مجتمعات عديدة وأندية كثيرة للطلبة والمبدأ الذي تدير عليه هذه المجتمعات
والأندية هو المبدأ الذي وضعه المستر بك رئيس المدرسة السابق في خطبة ألقاها عند
تأسيس النادي المسمى (يونيون كلوب) اذ قال « أيها الطلبة هذا البناء بناؤكم وهذا
النادي ناديتكم وهو جزء من أجزاء المدرسة الكلية وهو المكان الذي تكوّنون فيه
رأيكم العام وتعدون آراءكم وتربون أخلاقكم وتعدون أنفسكم لإدارة الاعمال »
أما نظام المدرسة العام فهو على الطريقة الانكليزية حيث يتولى الطلبة شؤونهم بأنفسهم

في السير والادارة . ومن حسن حظنا في عليكرة أننا لانعرف ولا تتبع الطريقة الفرنسية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط فأنها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر . ومن أسرار نجاحنا أننا نتمسك كثيرا بالتربية الدينية والتربية الوطنية اذ يحير الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال بأحوال المسلمين في أنحاء العالم كافة . أما المسائل السياسية فلا يمكن الاستغناء عنها ولا منعها من الكلية اذ لا بد للشباب الطالب من أن يفكر ومن الجنون ان يصد سيال الفكر بجواجز صناعية لا بد أن تهدم وتسقط في يوم من الايام وينساب التيار في جهات عديدة والذي نسمه في الحقيقة هو أن نعد ذلك السيل طرقا ومسالك يجري فيها والكلية الآن تتبع بروجرام التعليم في الحكومة وتمد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على أن الغاية من مبدأ الامر أن تكون مدرسة عليكرة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال المرحوم السيد احمد خان منذ زمن طويل في خطبة ألقاها « إن نجاحنا لانكون الا في الوقت الذي يصبح فيه أمر تعليمنا يدينا ولا تسترقنا مدارس الحكومة الجامعة . وحينئذ نأخذ العلوم بيميننا والفلسفة بشمالنا ونحمل تاج ,, لا إله الا الله محمد رسول الله ,, فوق رؤسنا »

وقال منذ اثني عشر عاما أحد حكام الولايات الهندية وهو السير أتقي مكدونل في خطبة ألقاها : « ليس من البعيد أن تمو هذه الكلية فتصير مدرسة كبرى وتكون قرطبة الشرق الحديث وينتج الفكر الاسلامي من بين جدران هذه المدرسة الرقي السياسي والديني الذي لا يؤمل الآن من الاستانة أو مكة نفسها »

وقد أخذ المسلمون بعد وفاة المغفور له السيد احمد خان يفكرون بمساعي الثواب محسن الملك في انشاء جامعة اسلامية وجامعة للمسلمين . وتمت فرق بين التعبيرين كما ظهر في جامعة ايرلندا الكاثوليكية حتى لقد كان البحث في جعل كلية عليكرة مدرسة جامعة كبرى موضوع المناقشة والاخذ والرد في مؤتمر التربية الاسلامي وقد قال سمو آغاخان في ختام خطبة له بعد الكلام في أسباب انحطاط المسلمين ما يأتي :

« ان كنا حقيقة كما ندعي آسفين على انحطاط ملتنا وأمتنا فواجب أن نتحد في نهضة واحدة لاصلاح هذه الحال وفي مقدمة كل عمل يجب أن نبذل الجهد لتكوين مدرسة جامعة يتعلم فيها المسلم زيادة عن العلوم الحديثة تاريخ الاسلام والمسلمين . وإن لمسلمي الهند حقا طبيعيا برقي وتقدموا خوانهم في مصر وفارس وأفغانستان وغيرها

يجعل عليكم (اكسفورد اسلامية) يرد اليها أبناء المسلمين لا لتعلم العلوم الحديثة فقط بل لتربية أخلاقهم وتنمية صفات الاخلاص والبر والارادة والارادة على النفس وغير ذلك من الصفات التي نهضت بالمسلمين في عصورهم الاولى ولا ريب مطلقا في أن مدرسة جامعة كبرى كهذه تعيد لنا مجدنا الزاهب أفلا يتحد المسلمون ويجهدون أنفسهم في انشاء مدرسة جامعة كهذه: فهل فقدوا الشعور الشريف ومكارم الاخلاق التي كانت سببا في نهضتهم الاولى حتى أصبحنا غير قادرين على جمع شيء من المال لهذا العمل المجيد؟؟؟
وقد كان المستر موريس ناظرنا السابق وضع مشروعا لنظام المدرسة الجامعة المطلوبة واقترح أن تكون فيها مدرسة كلية خاصة بالعلوم العربية

إتنا اذا تكلمنا أيها السادة عن مدرسة جامعة اسلامية فلا نريد مدرسة عالية تلقى فيها العلوم التي يمكن تلقينها في مدارس ثانوية وانما نريد أن نضع أساس مصدر فكري تنمويه الارواح وتربي الرجال وتسو الاخلاق . نريد مكانا يكون مهيئا للعلم ودارا يلتئم بين جدرانها أرقى ما يكون من الفكر الاسلامي حتى تتشعب من تلك الشمس أشعة العلم والرفان في كل ارجاء العالم

واني أؤكد لكم ان انشاء هذه المدرسة الجامعة لم يعد من قبيل الأمال لاننا قد ابتدأنا وخطونا خطوات في هذه السبيل اذ تم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها أن يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها أن يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بفحص وتدقيق للبحث في أسباب رقيه وأنحطاطه .
واننا نؤمل أن تظهر هذه المدرسة الجواهر الخفية في آداب اللغة العربية وتنتشر الكتب العديدة المثال بتفاسير وإيضاحات . وفي عزمنا أن نخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية ومجعل لهم مراتب لكي يستريح بهم من جهة الحياة وليتفرغوا للدرس والبحث ونحن الآن أيضاً ننشئ في محاذات تلك الكلية أخرى للعلوم الطبيعية وغير خاف أن تعليم العلوم الطبيعية عمل كبير ، يحتاج الى اتفاق مال وفير ، ولكن والحمد لله لدينا من المال والوسائل ما يكفي للبدء والشروع واننا ساعدنا التوفيق نضم الى هاتين المدرستين مدرسة أخرى لطبي الاقتصاد والتاريخ السياسيين والعلوم السياسية كإياها وهكذا نستمر في انشاء مدرسة بعد أخرى حتى لا يكون ثمة علم من العلوم لا يتعلم في عليكم . ولهذا نؤمل أن يؤم الطلاب المسلمون من جميع أنحاء العالم عليكم لتلقي العلوم فيها

وقد طالما سألتنا بعض الناس - لما نأضيق بنا الفكر وحب الذات فنشئ مدرسة جامعة اسلامية ولا يكون سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين باعثاً على جعل جامعتنا عامة مشتركة - ونحن نقول اننا لا نقصد منع المسلمين من جامعتنا الاسلامية فان أبوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكركه لعير المسلمين وكل محب للعلم بلا تمييز بين المختلفين في الجنس والدين ، فيوجد الان طلبة وأساتذة من اليهود والمسيحيين والوثنيين ، ولن نسمى مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسميها «جامعة اسلامية» الا بالمعنى الذي تنسب اليه اكسفورد وكبرج الى كنيسة انكلترا الرسمية ، وأني أورد لكم بعض الحجج التي تقيمها في هذا الصدد

أولها - من المتعرف به أن التربية الدينية جزء أساسي في التربية العمومية وفي جميع مدارس انكلترا وألمانيا يسلم الدين اجبارياً ولا بد في كل جامعة كبرى من وجود مدرسة أو اثنتين للدين واللاهوت ، أما المدارس الجامعة في الهند التي هي تابعة للحكومة فلا أثر للدين فيها ، وقد نلت للورد كرزون حاكم الهند العام السابق نثار الرأي العام الى هذه النقطة وعدها قصاً في نظام التعليم الهندي ، ولست أدري الى أي حد من الحكمة يصح اتباع طريقة كهذه في مثل هذه البلاد على حين اننا نتألم الآن من نتائجها

ثانيها - قد أصبح من المقرر أن أفيد نظام للتعليم هو نظام معيشة الطلبة في المدرسة كما هو المتبع في انكلترا وفي عليكركه وإني لا أخشى معارضة اذا قلت صراحة ان ذلك النظام لا يصلح مع اهمال الدين

ثالثها - أشك كثيراً في امكان جمع المال لانشاء مدرس جامعة لادين لها اللهم الا اذا قامت الحكومة بانشائها واذكر ان السير ميخائيل هيكس يتش وزير مالية انكلترا اخيراً قد التى علينا في خطبة له ما يأتي

« قد دلت التجارب انه لا توجد وسيلة لحمل الناس على دفع المال بسخاء لمشروع من الاعمال احسن من صبغه بصبغة دينية »

رابعها - إن المدرسة الجامعة ليست معملاً (فاوريقه) لصناعة طلبية ينجحون في امتحانات مخصوصة ويأخذون شهادات عالية واكن المدرسة الجامعة يراد منها ان تخرج رجالاً كباراً ورجلاً ينقطعون للعلم والدراسة والبحث ، ولا يمكن لمدرسة جامعة لا دين لها ان يدوس الانسان على الفوائد المادية وينقطع للعلم والتعليم وبالعكس قد دلت

التجارب على أنه يوجد في المدارس التي لها دين من ينقطع للعلم والتعليم
ولست الآن أريد الخوض في مشروع الجامعة في مصر فأنتم أدري بدائكم
ودوائكم أكثر مني ولكني أريد بالنيابة عن رؤساء كلية عليكمه ان ادعوكم الى الهند
لتنظروا بأعينكم تفاصيل العمل قبل ان تبدؤا في مصر وقد يوجد خلاف بشأن
المدرسة الجامعة ونوعها ولكني أعتقد ان كل ذي ذمة يتفق مي في الحاجة الى مدرسة
ثانوية للفقراء . ومدارسكم التجهيزية الاربع لا تكفي لتربية الامة كلها ولو وجد
من يتبرع بالمال لتربية أبناء الفقراء فيها . ليس من الغريب أن المسلمين الذين يكونون
هنا خمسة وتسعين في المائة من مجموع الامة من الهمة والنشاط على ما يؤهلهم لانشاء
مدرسة ثانوية واحدة في حين انه يوجد في مصرست مدارس ثانوية اهلية ليست منها
واحدة للذين يتألف منهم خمسة وتسعون في المائة من مجموع الامة ؟؟

يوجد هنا اعتقاد فاسد وهو انه يلزم ان يكون المعلمون في المدارس الثانوية أوروبيين .
و يمنع الناس ان يفتحوا مدارس ثانوية الخوف من كثرة النفقات ومن أسباب أخرى .
واني موقن بأنه اذا وجد أساتذة مصريون للمدارس الثانوية فان عدد المدارس الاهلية
الثانوية يزداد واذا كان الهنود يعلمون في مدارس أرقى كثيراً في مدارسكم الثانوية اخوانهم
الهنود باللغة الانكليزية فلماذا لا يقدر المصريون على تعليم اخوانهم كذلك ؟؟ فلماذا أرى ان
أول واجب على قادة الافكار هنا ان يسموا في تربية معلمين . هذا عمل سهل لا يقتضي
نفقات كثيرة ويمكن تنفيذها في الزمن القريب . واني أنصح بتخصيص مبلغ لتربية وتعليم
أبناء الفقراء في مدارس الحكومة الثانوية ويلزم في مقدمة كل شيء أن يتلقى المعلمون
علومهم في مدارس أرقى منها حتى صار من اللازم ان يكون ذلك في أوروبا .

واذا كانت الحالة المالية لا تسمح بارسال الطلبة الى أوروبا فهناك طريقة أخرى
لتعليمهم في كلية عليكمه فان نفقات التعليم فيها مع الاقامة والسكنى وكل ما يلزم
للطالب لا تزيد عن ثلاثة عشر جنياً في السنة ولهذا أرى ان عشرين جنياً تكفي
الطالب في السنة من كل الوجوه وباليتم نجمعون مبلغاً قدر مئتين وخمسين جنياً
يعطى منه عشرون جنياً في السنة لطالب فقير ويرسل ستة من هؤلاء الى عليكمه
ليقيموا اربع سنين أو أكثر اذا أراد الطالب . ولا أقصد ان أقول ان التعليم في
عليكمه أرقى منه في أوروبا ولكني افضله لسببين أحدهما ان الطالب يتلقى تربية دينية
مع تلقي العلوم والمعارف في جو اسلامي ويجتمع بالمسلمين من بلاد العجم وافغانستان

وأفريقيا الجنوبية وجميع اجزاء الممالك الهندية وابعامه بهم وأحاديثه معهم تتسع دائرة فكره وتزداد معارفه وتأنبها ان الطالب فيها يلتقي تربية وطينة ولا يتعود معيشة السرف كما يفعل المتعلمون في أوروبا . وانني في موقفي هذا انظر الى كل شيء من الوجهة التي هم عليكم وترقيتها كما سبقت لي الاشارة لاني أعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن وجود المصريين في عليكم يكون خطوة كبرى في طريق جعلها جامعة لمسلمي الشرق كافة وقد اشار المستر أرشبيد مدير الكلية في تقريره الاخير الى هذه النقطة ايضاً وقال ان وجود الطلبة المصريين في عليكم يساعد على توسيع فكر الطلبة الهنود .

والآن استسمحكم في الكلام على بعض المصاعب التي نبعدها والتي آمل ان اخواتنا المصريين يساعدوننا على نخطبها . علمت ان التعليم الديني اجباري عندنا في عليكم ولكن لسوء الحظ ليست لدينا الكتب الموافقة وطلما اجتهدنا في دعوة الناس الى مجتمعات وحفلات لنحملهم على وضع كتب سهلة لتعليم العلوم الدينية لان الكتب الموجودة الآن هي التي كانت موجودة من قرون عديدة ماضية . ولقد تقضي علينا صروف الزمان والمكان ان نغير بروجرام التعليم في عليكم فانه يتعلم عندنا طلبة من مذاهب شتى ومنهم كثيرون من الشيعة ولذلك يلزمنا ان نضع كتباً للتعليم الديني لا ارتباط لها بمذهب من المذاهب ولكنها قائمة على أصول الدين الاسلامي

ومصر الآن بلاشك لها الزعامة في المسائل الدينية وكنا نفخر لوجود كثيرين فيها من العلماء الاكفاء الذين يعتمدون على آرائهم بل وتتخذ حجة في المسائل الدينية فاذ أمكن ان يؤلف مؤتمر لاصلاح الكتب الدينية اللازمة لتعليم الناشئة الحديثة فلا بد ان تكون مصر موضع اجتماع هذا المؤتمر لان مصر الآن مركز ديني وجغرافي عظيم ونحن في الهند مستعدون بلاشك لعقد مثل هذا المؤتمر وان كان يوجد عندنا الآن في الهند جمعية من المشايخ تأسست لاصلاح الكتب الدينية في المدارس ولكنها لعدم وجود رجال ممن يعدون حجة وثقة في المسائل الدينية لم يعمل فيها عمل مفيد وقد أنشأت هذه الجمعية مدرسة ليحتذى حذوها ولكنها لم تضع بوجراما صالحا ولا كتباً وافية بالفرض أيها السادة : العلاقات بين مصر وعلكم تزداد يوماً بعد يوم وسيكون عندنا معلمون مصريون ونود ان نبعث بعض الطلبة الناجحين المتقدمين لاكمال علومهم الدينية في الازهر . وفي امكانكم ان تبعثوا بعضاً من أبنائكم لتلقي العلوم عندنا . وقد رأيت ان الناس هنا يهتمون بتقدم مدرستا وسيرها ويسألون عما تفعله نحن الهنود المسلمين

لاصلاح التربية والتعليم ولهذا أرى أنه يحسن تأليف جمعية مصرية لها ارتباط بكلية عليكرة وتساعد على نشر مايعلم عنها بين المصريين وتساعدنا مثلاً في اختيار معلم اللغة العربية عندنا . وإذا تأسست جمعية علي هذا النمط فتكون وظيفتها

(١) طبع ونشر الخطب والرسائل الخاصة بكلية عليكرة ومؤتمر التربية الاسلامي

(٢) اعطاء المعلومات الضرورية عن الكلية لمن يطلبها من المصريين

(٣) مراقبة تعليم الطلبة المصريين في عليكرة وضبط حسابات المبلغ الذي يهد

لهم كما ذكرنا

(٤) اعطاء النصائح والارشادات والمساعدات اللازمة اذا احتيج اليها فمثلاً اذا

احتجنا لاختيار معلم من مصر فأتم بالطبع أدري بكفاءته أكثر من نواب محسن الملك

اوسواه من الرؤساء واطن أنهم سيشتغلون بوضع نماذج لسير المدارس الاسلامية في

الهند وبالطبع يرسلون اليكم تلك النماذج لاخذ آرائكم فيها وكذلك تعليم البنات عندنا لا بد

ان نحتذي فيه المدارس المصرية لان الهنود لا يحبون ان يقلدوا الاوروبيين في ذلك .

وفي الختام ايها السادة اشكر لكم تعطفاتكم ووداعكم ايبي وأؤكد لكم اني

سأكون معكم على الدوام بوجداني وعواطفي وسأندكر ماحييت بزيد الشرف والفخار

اصدقائي الكثيرين الذين كان من حسن حظي ان ألتقي واتعرف بهم اه

﴿ فوائد هذه الخطبة والعبر فيها ﴾

هذه الخطبة تنبئ عن فهم ناقب، ورأي صائب، وتهدني الى طريق لاجب،

لعمل واجب، وفيها عبر لطلاب الاصلاح من المسلمين، وان أولاهم بها لعقلاء

المصريين، الذي خطب الخطيب ودهم، وطلب وصل حبل مدرسة عليكرة بحبابهم،

وأعظم هذه العبر عندي أربع

(١) تفكر زعماء مسلمي الهند وأصحاب العقول الراقية منهم في وجوب العمل

لاصلاح المسلمين كافة ودعوتهم الى السعي في إنشاء مدرسة جامعة اسلامية تكفل

ذلك ولم أر أحداً في مصر يفكر في مثل ذلك او يدعو اليه الا ما كان من الاستاذ

الامام رضي الله تعالى عنه فلنا أن نقول بعمده ان عقلاء مسلمي الهند أرقى من عقلائنا

وأعلى همة

(٢) وحيد التعليم الديني والتربية الدينية في مدرسة عليكرة وهو أنظم أركان الإصلاح الذي لا يرجى للمسلمين فلاح بدونه ولم نعلم قبل ان أعلمنا ضياء الدين ان مدرسة عليكرة تقيم هذا الركن العظيم فيها فينشأ السنيون على اختلاف مذاهبهم مع الشيعة تنشئة واحدة روحها الاخوة الاسلامية النافية للتفرق والخلاف . وهذا دليل آخر على سبق مسلمي الهند لمسلمي مصر وكونهم أكبرهمه واقداماً وقد كنا دعونا الى مثل هذا التوحيد منذ بضع سنين وناهيك بمقالات ومحاورات المصلح والمقائد) ولكن لم نر أحدا اهتم بتنفيذه بل عادانا وآذاننا كثير من الناس زاعمين ان مادعونا اليه ضار مضيق للاسلام وهو جعل القرآن والمجمع عليه من السنة هو الذي يلحق لجميع المسلمين ليكونوا أمة واحدة كما يحب الله وجعل المسائل غير المجمع عليها في الاسلام متروكة الى اجتهاد الأفراد لا تدخل في التعليم العام ولا يمنع أحد من النظر فيها والعمل بما شاء منها ولا تركه ولا يعادي لذلك . وما شرع الله لنا الا ان تقيم الدين ولا تفرق فيه وهل من سبيل الى اقامة بدون تفرق الا مادعونا اليه ؟ نعم قد استحسن ما كتبناه كثير من العقلاء والأذكياء ولكن لم ينصروه ولم يدعوا اليه بالقول ولا بالكتابة في الجرائد . ومسلمو الهند قد سبقونا الى العمل الذي كان الاساذ الامام عازماً على جعله أساساً للمدرسة الكلية التي توجه الى تأسيسها . ومن علم ان التعصب للمذاهب في الهند أشد منه في مصر وان الحرية في مصر أقوى منها في الهند تجلي له ان الفرق بيننا وبينهم في الرجال العاملين فقط والافان استعداد الشعب هنا للإصلاح أقوى منه هناك فعامتنا خير من عامتهم وخاصتهم خير من خاصتنا فيما أعتقد

(٢) اعتقاد الدكتور ضياء الدين التابع لاعتقاد قومه أن مصر أرقى من الهند في العلوم الدينية ولو كان في مصر زعماء من رجال الدين يقدرون هذا الاعتقاد من مسلمي الهند وغيرهم حق قدره لحققوه ان لم يكن متحققاً وعرفوا كيف يستفيدون منه ويفيدون به . أما السبب في هذا الاعتقاد فهو عند عامة شعوب المسلمين صيت الأزهر القديم وقد عرف الكثيرون من خواصهم وعقلائهم في هذه الايام حقيقة الأزهر وانما كانت آمال مثل زعيم مسلمي الهند ورئيسهم في كلية عليكرة

(النواب محسن الملك) معلقة بما كان يحاول الاستاذ الامام من اصلاحه فلما حملت المشاغبات والدسائس المرحوم على تركه صرح محسن الملك بانقطاع رجائه ورجاء عقلاء المسلمين من الأزهر في مقالة نشرها في جريدة الرياض الهندية وناهيك بما كتبه يومئذ الى المدار وما المهدي بمقاتته الاخيرة في المنار بيميد . وكان الدكتور ضياء الدين عند ما وقع هذا اليأس من الأزهر في نفوس زعماء قومه ومدرسته في مدارس أوربا حاملا لأملهم الأول الذي باح به في خطبته هذه .

علماء الهند أكثر اعتناء بالتفسير والحديث من مسلمي مصر وفيهم كثيرون من السلفيين الذين يعملون بالكتاب والسنة لا يتقلدون مذهبا من المذاهب ولا يعرف أحدا من علماء الأزهر ارتقى الى هذا فان كان فهو مستخف لا يرجي منه شيء .

وكذلك العلوم العقلية أرقى في الهند منها في مصر وأعني بها الكلام والأصول والمنطق والفلسفة النظرية . وأما مدرسة دار العلوم فالعلوم الدينية فيها رسمية لاعناية فيها لاسيما التوحيد والتفسير والحديث وهي الدين كله . نعم يوجد افراد من المتخرجين فيها يرجي خبيرهم اذا وجدت الدواعي الى العمل وهؤلاء هم الذين اقتبسوا شيئا من النور الذي كان يفيضه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وأدركوا قبله الشيخ حسنا الطويل رحمه الله تعالى وهو لم يكن مقلدا ولكن لا يعرف أحد منهم في قطر من أقطار المسلمين فيقال انهم محل الرجاء لأنهم لم يعملوا ولم يكتبوا شيئا في الإصلاح يعرف

(٤) ان موقع مصر وصيتها ولسانها العربي وما أوتيته من الحرية منازيا يمكن أن تكون بها قبلة العلم والنور لجميع المسلمين ويا أسني وحزني على الزعيم الذي يسعى في تحقيق هذه الامامة لها إنه لم يترك خلفا يتم ما بدأ به . وقد كان أقرب الناس اليه في أفكاره ومقاصده شرعوا في الاستعداد لإنشاء المدرسة التي كان يريد إنشائها بعد ترك الأزهر فجاء دعاء الجامعة المصرية يسابقونهم الى ما هم أحسن به فاستأوا بعضهم وسكت الآخرون لتلا يكونوا معارضين إن بدأوا بالعمل قبل أن يعدوا له ما كانوا هم يحاولون أن يعدوا له

سار الداعون الى (الجامعة المصرية) يمشون الخوزلي ويرى الكثيرون

أنهم لودعوا الى جامعة إسلامية لكانوا أسرع في السير وأقرب الى النجاح على قاعدة الحاكم الانكليزي الذي نقل الينا ضياء الدين قوله . ولكن كثيرا من أذكائنا المفرنجين قد شغل خيالهم بوطنية غريبة لا يعرفون كنه استعداد المسلمين لها أو عدمه ولم يحيطوا علما بما يترتب على نقلهم عن الجنسية الدينية اليها من المفسد التي تكون بانتقال الأم من طور الى آخر فيعدوا لدرء هذه المفسد عدتها . فهو لاء هم الذين اقترحوا أن لا يكون في الجامعة التي يدعون اليها تعليم لدين من الأديان مخالفين في ذلك لقوانين جميع الأمم الراقية في فن التربية والتعليم والعمل به . ويظهر لنا ان الله تعالى قد عاقى الهند من هذه النزعة

لأريد بهذا تثبيط الهم وترغيب المسلمين عن تعضيد الجامعة المصرية وبذلك المال لها اذلسنا نرى من خدمة الدين مجافاة العلم بل ندعو الاغنياء الى البذل لهذه الجامعة سرا وجهرا ونرى ان الخذلان فيها لا قدر الله) عار على الامة كلها وأن ما يريد الداعون الى الجامعة من التعليم العالي وحده لا بد منه ولا مندوحة عنه لامة تطلب الارتفاع ونقول مع ذلك ان هذه الجامعة لا تنفي مصر عن مدرسة أخرى جامعة يربي فيها الناشئون تربية دينية من أول النشأة الى أن يصيروا رجلا نابضين في علوم مصر كلها واذا عظم الا كتاب يمكن ان ينشأ في الجامعة تعليم ابتدائي وثانوي مع تربية دينية لاسيما اذا طلب أكثر المكتتبين ذلك . وسنعود الى بيان ذلك بالتفصيل فيما سنكتبه عن التعليم الديني وفاء بما وعدنا في الجزء الماضي والله الموفق

اِنَّكَ عَلِيمٌ بِرَبِّكَ

﴿ من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ﴾

اذا سلمت الفطرة وكرمت النشأة فقد يبلغ المرء من مراتب التفضيلة مع فقد الاخذ بالتعليم والقيام بالتأديب مالا يبالغه مع وجدها وقد نلت فطرتها ، وخبثت نشأته ، لذلك تجد في سيرة أبناء الجاهلية من الفضائل الاختيارية ما يهز مثله على قوم يرون ان لهم في العلوم الجواد المصلي ، وانهم نالوا من الترية القدر

المعلى ، وإنما هم عبيد الشهوة ، وأسرى اللذة : يماقرون الخمر جهاً وهم يعتقدون أنها محرمة في الدين الذي ينتسبون إليه ، وضارة في حكم الطب الذي يقولون عليه ، وقد كان يوجد في الجاهلية من حرّمها على نفسه وهو لا يري فيها أثماً في حكم الدين ، ولا ذماً من المماشرين ، وإنما هو العقل أراد حقيقة خبئها فأبى أن يحكم لذته في عقله . قال أبو علي القالي في أماليه

حدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس ابن هشام قال أحرم رجال الخمر في الجاهلية تكراً وصيانة لأنفسهم منهم عاصم ابن الظرب بن عمر بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان بن عمر بن قيس بن غيلان وقال في ذلك

سأله لفتى ما ليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال
أقسمت بالله أسقيها واشربها حتى يفرق ترب القبر أوصالي (١)
مورثة القوم أضغانا بلا إحن مزرية بالفتى ذي النجدة الحالي
وحرم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك

لعمرك إن الخمر ما دمت شارباً لسالبة مالي ومذهبة عقلي
وتاركي من الضعاف قواهم ومورثي حرب الصديق بلانبل
(قال) وحرم صفوان بن أمية بن محرز الكناني الخمر في الجاهلية وقال في ذلك
رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تفسد الرجل الكريماً
فلا والله اشربها حياي ولا أشربي بها أبداً سقيماً
(قال) وحرم عفيف بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس الخمر وقال
وقائلة هلم إلى التصابي فقلت عفتت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد اراني بها في الدهر مشعوفاً رهيناً (٢)
وحزمت الخمر علي حتى أكون بقعر ملحود دفيناً
وقال عفيف بن معد يكرب أيضاً
فلا والله لا ألتى وشرباً أنازعهم شراباً ما حبيت

(١) أي لا أسقيها ولا اشربها وحذف (لا) في القسم معروف عنهم (٢) مشعوفاً مخجنوناً

أبي لي ذك آباء كرام وأخوال بمزهم ريت
(قال) وحرم سويد بن عددي بن عمر بن سلسلة الطائي ثم المعني الخمر
وأدرك الاسلام فقال

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي منادي الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندي
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدا وان كانت حراما
أقول وبالله لسلسلة هذا الشعر وكم في الامالي من مثله وما هو أرق منه
﴿ رقة أشعار العرب ﴾

قال أبو علي (ص ٢٩) : وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال سألت عبد
الرحمن يوما فقلت له ان رأيت أن تثندي من أرق ما سمعت من عمك من أشعار العرب
فضحك وقال والله لقد سألت عمي عن ذلك فقال يا بني وما تصنع برقيق أشعارهم
فوالله انه ليقرح القلوب ويحث على الصباية ثم أنشدني للعلاء بن حذيفة الفنوي
يقولون من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا اني لغريب
غريب دعاه الشوق واقفاده الهوى كما قيد عودًا بالزمام أديب
وماذا عليكم إن أطاف بأرضكم مطالب دين أوفته حروب
أمشي بأعطان المياه وأبتغي قلانس منها صعبة وركوب
فقلت أريد أحسن من هذا فأنشدني :

لعمري لمن كنتم على النأي والقلابكم مثل ما بي انكم لصديق
فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لي بين الجوانح ريق
اذا زفرات الحب صعدن في المشاكرن فلم يعلم هن طريق
(ثم قال أبو علي) وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه

قال أنشدني عشرةً من الحاربية وهي عجوز حيزيون زولة
جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففتنهم سبقاً وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي ألبى
ولا شربوا كأساً من الحبصرة ولا حلوة الا شرابهم فضلي

قال أبو بكر: الحيزيون التي فيها بقية من الشباب والزولة الطريفة والزول
الظريف وقوم ازوال والزول أيضاً الداهية والزول المعجب. وقال لي غير أبي بكر
الحيزيون المعجوز ولم يحدد لها وقتاً ثم أنشد في مكان آخر لابن أبي مرة الملكي

ان وصفه في فناحل الجسد أو قشوني فأبيض الكبد
أضف وجددي وزاد في سمي أن لست أشكو الهوى إلى أحد
آه من الحب آه من كدي ان لم أنت في غد فبعد غد
جئت كني على فؤادي من حر الهوى وانطويت فوق يدي
كان قلبي اذا ذكرتكم فريسة بين ساعدي أسد
يدي مجمل الهوى مطلقه فان قطعت الهوى قطعت يدي

وأنشد لابي بكر بن الانباري عن الظفر

هل من جرى الفرقة من واق أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوي زفرات الهوى اذ جان في مهجة مشتاق
يا كيدا أفنى الهوى جلها من بعد تذايع واحراق
حي اذا ففسها ساعة كوت يد البين على الباقي

(المنار) القاري يري في هذه المقاطع ارق الشعر وألطفه مسلكا في

الروح وأشدّه جذبا للقلب

التقريظ

﴿ كتاب الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ﴾

أرأيت هذا الذي قرأت من مختار الشعر العربي في تحريم الخمر وفي النسب
هو منقول من كتاب الأمالي والنوادر، وما كتاب الأمالي والنوادر؟ هو الذي عدّه
ابن خلدون من أركان كتب الأدب اذ قال في فصل الكلام على علم الأدب: وصمنا
من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب
الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب
النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها: اهـ

كان في هذا الكتاب من النوادر التي قل ان تكتحل برويتها عين فصارت والله الحمد مسرح كل عين ثمثق الأدب اذ شرع في طبعها الشيخ اسماعيل يوسف بن صالح بن دياب التونسي فتم منها طبع الجزء الأول وجزء الذيل والثاني لا يلبث ان يتم . طبع في هذه الأيام كثير من كتب الأدب ولكن لم يطبع كتاب بالاثقان والضبط والتصحيح الذي طبع به كتاب الأملاني . طبع في المطبعة الأميرية على ورق جيد مضبوطاً ما فيه من الشعر ومن الكلم الغريب والأعلام التي يشبه فيها وما قد يشبهه من التركيب في الثر بالشكل وأظن أنه لم يمتن بطبع كتاب بعد (المخصص) كما اعتني بطبعه . وقد علم القاري ان هذا الكتاب على ما فيه من الفكاكة مما يطبع في نفس قاربه ملكة البلاغة العربية . وقيمة الاشتراك فيه خمسون قرشاً

﴿ مفردات الراغب في غريب القرآن ﴾

كتاب المفردات لراغب أشهر من نار على علم وهو ما زال منذ وجد معوان المفسرين ذلك أنه رتب الألفاظ على حسب أوائل الحروف كالمصباح ونسرها تفسيراً قلماً تجدد مثله في كتب اللغة التي قد تفسر الشيء بالأعم والأخص وبالتعريف الدوري وهو كثيراً ما يحدد المعاني حتى يكون تفسيره اللفظ كالتعريف المنطقي وقد طبعه في هذه الأيام الحاج مصطفى الباني الحلبي في مطبعته طبعاً واضحاً مضبوطاً بالشكل وقد راجعت منه عدة مواد فلم أر فيها غلطاً فيجب أن يشكره احياء هذا الكتاب النفيس والشكر كل الشكر اقبال أهل العلم على اقتناء الكتاب والاستفادة منه

﴿ خمس رسائل نادرة ﴾

الأولى في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني . والثانية في الرواة الثقات المشكك فيهم بمالاً يوجب ردهم للحافظ الذهبي الدمشقي . والثالثة رسالة قاضي الامام أبي نصر محمد ابن عبد الرحيم الحنبلاني . والرابعة فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية في قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وما المراد بهذه السبعة . والخامسة رسالة الادب الصغير وهي من حكم عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور

طبع هذه الرسائل الشيخ عبد المجيد زكريا في مجموعة بلغت صفحاتها نحو ١٦٠ فنحث أهل العلم على مطالعتها

﴿ قانون الصين ﴾

يقول الشيخ سعيد السلي الرحالة السوري انه ظفري كشر بنسخة من قانون الصين الذي يسمونه (لي) وهو من وضع اهل الصين السابق (تونجى خانكدي) وانه هداه اليه بعض أهالي كشر ونقله هو الى العربية بمساعدة بعض المارفين باللغة التركية والصينية مما في مدينة (خوم يوزه) من تلك الولاية ثم تصرف في الترجمة بالتقديم والتأخير والحذف والاختصار والتوضيح . وقد طبع ما ترجمه في مصر . ومن مزايا هذا القانون مزج المواعظ والنصائح بالاحكام القانونية . وباليت المترجم لم يتصرف فيه ولم يفصل بين الحكم والاحكام . اما طبعه فحسن والورق الذي طبع عليه جيد ولكنه لم يجعل كل مادة في أول السطر كما هي العادة المسهلة للمراجعة والرغبة في المطالمة . هذا وان مثل هذا القانون مما يرغب في الاطلاع عليه الحكم لاسيما رجال القضاء ، ومحبو التاريخ والوقوف على طرائف العلوم والآداب فهو مما يرجى رواجه من غير ترغيب فيه ، ويحمد مترجمه على انحاف العربية به ،

﴿ فصول الحكماء ﴾

رسالة جديدة من تأليف الشيخ أبي الهدى أفندي الشهير ذكر فيها تعريف الحكمة وأسماء طائفة من قدماء الحكماء وطائفة من حكماء المسلمين العقليين يتكلم عن الواحد منهم بجملة وجيزة ثم ذكر طائفة من حكماء المسلمين الدينيين وتكلم عنهم بكلام أوسع . والرسالة نحو مئة صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وتطلب من طابعها أمين أفندي هندية

﴿ بلزار ﴾

أهدنا مطبعة المناظر منذ ثلاث سنين قصة بلزار فوضعناها بين الكتب المهددة للمراجعة في أوقات الفراغ ان وجدت ولم نر من حاجة للمبادرة الى الكتابة عنها والاعلام بها لأن الغرض من مثل هذه الكتابة تنبيه الراغبين الي ابتلاع

ما يكتب عنه ترويحاً له وقلماً يقرأ المنار حيث تباع قصة بليزرا الا عند طابعها وبائتها . وعكنا في الشهر الماضي أياً ما فرأينا من التسلية أن ننظر في بعض مالم ننظر فيه من القصص المهداة الينا وبداناً بقصة بليزار فبداننا مالم نكن نحتسب ، بداننا ان هذه القصة كتاب من أحسن الكتب في الأخلاق والسياسة تتمثل فيه الفضيلة في أبهى صورها ، وتتجلى فيه السياسة القويمة في اسنى مجالها ، لا يقرأ الفصول الأولى منها ذوق قلب ويملك عينيه أن تهمل . وما كان لصاحب المناظر وهو من نعرف في تحري النافع والنجاني عن اللغو أن يخار طبع قصة لا تنفيذ لهه يرسل الى مصر طائفة من هذه القصة لئلا نكون قد ظلمنا القراء في نشويهم اليها مع امتناعها عليهم

﴿ لحن كيوتزو - مكسيم غوركي ﴾

قصتان من مطبوعات مطبعة المناظر أولاها لفيلسوف لاون تولستوي الروسي في بيان ما أحدثته المدنية الحديثة من الفساد في البيوت باعطاء النساء من الحقوق فوق من أعطهن الطبيعة حتى صارهم المرأة في التمتع بمعنى الزوجية صارفا لها عن القيام بشؤون الأ مومة وناهيك بمفاسد غرامهن بالموي سيقى . والثانية مجموعة فيها ثلاث قصص وجيزة أو حكايات وضمنية عنوان الأولى العجائون والثانية الشيطان والثالثة الكذب . وأطلق على المجموع اسم كاتبها وهم من كتاب روسيا الاجتماعيين المشهورين وترجمها ابراهيم أفندي شحاده فرح من أدباء السوريين في البرازيل لما فيها من الفائدة وحسن الاسلوب

﴿ المعارف ﴾

« جريدة إسلامية عمومية أسبوعية لمدير سياستها محمد صادق المهودي »
 ظهرت في تونس في أواخر ذي القعدة الماضي في شكل الجرائد اليومية الكبرى .
 وذكر صاحبها الفاضل في خطبة العدد الأول أنه أنشأها لخدمة العلوم والمعارف ونشر فضائل الآداب الإسلامية ولخدمة اللغة العربية وتحري أساليبها البليغة البعيدة عن العجمة . وجعل أمر السياسة فيها ثانوياً فأصاب . وفي العدد الأول منها مقالة في تاريخ الجرائد تكلم فيها عن الجرائد التونسية باعتدال ولكننا انقدنا عليه فيما قاله

عن الجرائد المصرية ما لا يكاد يسلم من مثله من يكتب عن غير بلاده كقوله عن جريدة الأهرام ان سياستها لا تنطبق مع سياسة الجرائد الاسلامية والواقع ان سياستها في هذه السنين أقرب الى سياسة اللواء والمؤيد من كل جرائد النصارى، وقوله أن موسسي المقطم «من أقباط مصر» والصواب انهم سوريون كأصحاب الأهرام وكما بلغته في الكلام عن جريدة اللواء وجعلها خادمة للاسلام . . . ولم تقرأ فيها شيئاً قط فيه خدمة لدين الاسلام نفسه بل كثيراً ما ترى فيها مسائل تخالفه عن غير عمد في الغالب كقولها ان قتل القاتل من بقايا الهمجية وليس لقب زعيم الحزب الوطني الذي ذكر في بعض الجرائد في هذا العام مما كافأ المسلمون به صاحب جريدة اللواء على خدمتهم وخدمة دينهم كما ظن وإنما هي كلمة كتبها صديق له من نصارى السوريين في جريدة أوربية فلا كتبها بعض جرائد تلك البلاد وأنكرتها الجرائد المصرية . ومن مبالغته ما ذكره عن انتشار اللواء في الهند والممالك العثمانية والصواب أنه ليس لجريدة مصرية انتشار في البلاد العثمانية الا الأهرام الاسبوعية وأما الهند فقلما يوجد فيها من يقرأ العربية غير علماء الدين وهو لا يقرأها الجرائد بل يمدحهم عن السياسة وإنما يقرأ بعضهم المجلات . وأما الامتانة فكل من أرسل إليها شيئاً يصل ولكن الى الحكومة فلا خصوصية لجريدة على أخرى هناك الا بزيادة المقت . والحكومة العثمانية لم تمنح صاحب جريدة اللواء رتبة ميرميران ولا صاحب المؤيد الرتبة الأولى من الصنف الأول وهي أعلى من رتبة صاحب جريدة اللواء الا بالتماس الحديرو . وكقوله ان جريدة الصحافة تمتاز على سائر الجرائد الاسبوعية « بكونها تطبع بثمان صفحات » والصواب أن هنا عدة جرائد اسبوعية ذات ثمان صفحات

مضت عادة المنار بان يعرف بالصحف الجديدة تعريفاً مجملاً لا يشوبه مدح ولا نقد وقد خالفنا المادة في التعريف بهذه الجريدة لاعتناء بها ولتنبه على ما يقع كثيراً من غلط البعيد عن الشيء في الكلام عنه فاننا كثيراً ما نرى جرائد الهند وتونس (مثلاً) تحفل ببعض ما ينشر في صحيفة مصرية لم يشع به أهل مصر لان الجريدة لا شأن لها ولا انتشار أولم يحفلوا به لعلمهم بالهوى الباعث للكتاب على ما كتب - وللغيرة على التاريخ إذ مقالة المعارف تاريخية لا شعرية

ولاسياسية فيقال ان هذا من النخيل أو ان فرض الذي لا يؤخذ على ظاهره بالقبول

﴿ المهذب ﴾

« جريدة يومية ادبية علمية صناعية تصدر موقتا يوم السبت من كل اسبوع »
 أنشأها في رحلة من لبنان الخوري بولس الكفوري رئيس الكلية الشرقية فيها وعهد
 الى عيسى افندي اسكندر الملوفا بنحريها . ومن عرف ما للخوري بولس
 صاحبها من المكانة والفضل وما لعيسى افندي محررها من الشهرة والبراعة يرجو
 كما نرجو أن يكون لهذه الجريدة من اسمها افضل نصيب ، فتكون من خير ذرائع
 المهذب ، ولنا في هذا المقام أن نفخر بهمة السور بين وخصوصا اللبانيين الذين ينشئون
 الجرائد اليومية وغير اليومية في قلى الأجيال ، وفي مهاجرهم وراء البحار ، ولا تسمو
 الى مثل ذلك همة غيرهم من الناطقين بالضاد ، في مثل تونس وحلب وبنغازي ،

بَابُ الْحَبْلِ وَالْأَنْدَالِ

﴿ جمعية الشورى العثمانية ﴾

ليس في الدنيا مملكة كالمملكة العثمانية في اختلاف الاجناس واللغات والملل
 والنحل وقد سادت دولة الترك هذه الشعوب المنفرقة بالقوة العسكرية بضمه قرون
 ولكنها لم تحوهم عن لغاتهم ولا عن اديانهم ولم توحد بينهم بجنسية قانونية يتحدون
 فيها بالعدل والمساواة في الحقوق - لم تفعل كما فعلت دول العرب في تحويل
 الشعوب عن دينها ولغتها ما أو عن أحدها بالقوة الادبية ولا كما فعلت دول أوربا
 في تحويل الوثنيين الاصلاء واليهود والعرب الدخلاء عن دينهم بالقوة القاهرة
 وإبادة من تأبى وإجلاله فبقيت هذه الشعوب التي لم تنحد مع النولة برابطة لغة
 ولا دين ولا حكومة مساواة تفرض النهز للخروج عليها والانفصال منها فمنهم من
 قضى مآربه ومنهم من ينتظر

كان ضعف هذه الشعوب وجهلها وعدم النصير لها هو العون للدولة على

اخضاعها وسيادتها بالقوة ولكن صروف الزمان قد افاضت على هذه الشعوب شعاعاً من نور العلم بشؤون الاجتماع البشري وأوجدت لهم أنصاراً من دول أوربا التي اربت قواها على قوة الدولة . واتفق ان اشد من أول هذا القرن (المهجري) ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها حتى كان نفور المتحدين معها في الدين واللغة والجنس منها (اي الترك) أشد من نفور المتحدين معها في الدين فقط كالعرب والاكراد لان سهم الترك من شعاع العلم كان اوفر وشعورهم بالأم زوال السلطة اقوى . فانبرى بعض اهل الغيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسعى في تلافى الخطر الذي ينذر دولتهم بازالة الحكم المطلق الاستبدادي المدمر للممالك والممالك للامم واعادة مجلس المبعوثان والعمل بالقانون الاساسي ولكن السلطان تتبع بأعدائه أثر هذه الجمعية فمزق شملها قبل ان تبدأ بعمل ما وظهر من فساد اخلاق بعض اعضائها الذين صاروا اعواناً للاستبداد بما نالوا من الرواتب والرتب ما ذهب بثقة الناس حتى من الصادقين من سائرهم

هذا وان هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة من جميع الشعوب العثمانية كانت جديرة بان لا تدرأ الخطر ، ولا تنال الظفر ، لهذا فكر كثير من عقلاء العثمانيين بوجود السعي في تأليف جمعية من الشعوب العثمانية كلها وما زال هذا الفكر يتقلب في الاطوار حتى تمخض فولد (جمعية الشورى العثمانية)

تألفت هذه الجمعية في القاهرة من افراد من الترك والعرب والارمن والروم والكرد والغرض منها انحاء الشعوب العثمانية على اختلاف اجناسها واملها في السعي لجعل الحكومة العثمانية حكومة شورى وعدل وهذه هي الطريقة المثلى لصيانة الدولة من التمزيق بالاختلاف الذي هو ظهير الاستبداد ، والتفرق الذي هو نصير الاستعباد ، ولو ان مؤسسي جمعية تركيا الفتاة اهدوا الى هذا التأليف بين الشعوب والملل في ابتداء العمل ، لما نزل ببلاد الارمن وكريت ومكدونية ما نزل ، ولما تفاقم أمر الاستبداد واستفحل ، فمضى ان يسرع العثمانيون الى الدخول في هذه الجمعية أفواجاً ويعضدوها بأرائهم وأموالهم وهذه صورة نشرة منها جاءتنا في البريد مطبوعة بالتركية والعربية والفرنسية والارمنية

اللائحة الأساسية لجمعية الشورى العثمانية

تألف جمعية لجميع سكان المملكة العثمانية باسم جمعية الشورى العثمانية وهذه
لائحتها الأساسية

مادة ١ القصد من تأسيس هذه الجمعية هو جعل الحكومة العثمانية دستورية
شورية بالفعل.

مادة ٢ ان الجمعية ستبذل ما في وسعها للوصول الى غرضها هذا بكل
الوسائل المشروعة.

مادة ٣ ان جمعية الشورى العثمانية تؤلف من العثمانيين من غير التفات الى
الدين والجنسية

مادة ٤ يكون للجمعية لجنة مركزية أصلية تقوم بوضع نظمات الجمعية وقوانينها.

مادة ٥ ان قاعدة أعمال اللجنة المركزية هي الآن بمصر القاهرة.

مادة ٦ ان فروع الجمعية تكون كلها تابعة في أعمالها للجنة الكبرى المعروفة باسم
اللجنة المركزية الأصلية

مادة ٧ ان سير أعمال الجمعية يمين من قبل اللجنة المركزية.

مادة ٨ ان مقصد الجمعية الساعية للحصول عليه ليس خفياً لذلك يجوز من الآن
اعلان وجودها

مادة ٩ ان اللجنة المركزية تقوم بوضع القوانين وطبعمها وتسمية الاشخاص
اللازمين للوظائف التي ترد بالقوانين وتعيين وظائف كل فرد من الجمعية ومراقبة
أعمال الموظفين.

مادة ١٠ تطبع هذه اللائحة الأساسية باللغات التركية والعربية والارمنية والفرنسية.

هذا وان الذين وضعوا هذه اللائحة الأساسية يرجون من جميع اخوانهم
العثمانيين الذين يهتمون خير وطنهم وشرفه ومجده أن ينضموا اليهم ويساعدوهم
للوصول الى هذه الغاية الشريفة التي تسعى اليها جميعتهم والله الموفق

جميع المخاطبات ترسل الآن موقفاً الى صندوق البوستة نمرة ١١٧٤

جمعية الشورى العثمانية

﴿ أمير بل ملك أفغانستان في الهند ﴾

طالما نعى الانكليز أن يزور أمير الأفغان بلاد الهند وقد نالوا في هذه الأيام ما تمنوا فسروا بذلك . ولما وصل حبيب الله خان الى الهند خاطبه ملك الانكليز على لسان البرق بلقب « جلالة الملك » وكان يقال ان انكلترا لا تعدا أفغانستان مستقلة تمام الاستقلال بل تحت حماية حكومة الهند الانكليزية فهذا اعتراف من ملك الانكليز بأنها مملكة لا امارة وهذا هو أثر الحزم وحسن السياسة من الامير عبد الرحمن خان رحمه الله والملك حبيب الله خان وفقه الله

ليس من موضوع المنار أن يذكر أخبار احتفال حكومة الهند بضيفها الجليل ولكن اذا ترك خبر زيارته لمدرسة العلوم في عليكرة يكون قد قصر فيما هو من أهم موضوعاته . زار الملك المدرسة ويحث فيها بحث مفتش خبير فكان يحثه وكلامه من آيات علمه وعقله . قابله أعضاء مجلس ادارة المدرسة وكانوا ٣٢ فكان جل مذاكرته معهم في المباحث الدينية حتي قيل أنهم عجزوا عن مجاراته والإجابة عن جميع أسئلته . ولما أطلعوه في مكتبة المدرسة على بعض المصاحف والكتب الدينية قال اني عالم بما في هذه الكتب وأريد أن أقف على ما في عقول الذين يتدارسونها . وبعد ان صلى الظهر في جامع المدرسة طلب أن يرى الدروس فرتبت الفرق في حجراتها واطلع على عدة منها وظهر اهتمامه واصغاه في درس الاقتصاد السياسي ودرس التاريخ ودرس تعليم اللغات ودرس أصول الدين وقد استأذن أستاذ هذا الدرس في سؤال بعض الطلبة وبعد الاذن طفق يسأل مدة ساعة كاملة ثم أسر بعض الطلاب بقراءة آيات من القرآن وكانت عينا الملك تفيضان من الدمع عند سماع التلاوة

وطلب أن يقف على درس طلبة الشيعة وقد قال لهؤلاء الطلاب : أصيخروا لما أقوله لكم أبها الطلاب أنتم في شرح الشباب وستذكرون ما أقوله لكم مني تقدمتم في السن، تسمعون الناس يقولون ان أمير أفغانستان سني متعصب أيلزم أن أكون متعصبا لاني سني ؟ أنفضلون أنتم الهندوس على أهل السنة لانكم من الشيعة ؟ كلا واني - وأنا سني - لأفضل الهندوس على الشيعة . قرأتهم في الجرائد

انني نهيت في دلهي عن تضحية البتريوم العيد وأنا هناك مجاملة للهندوس وتحاميا لجرح عاطفتهم الدينية فاذا كان هذا شعوري في مجاملة الهندوس فكيف يكون شعوري وميلتي الى الشيعة؟ اذا لا تصدقوا انني متمصب، ان في رعيتي السني والشيعة والهندوس واليهود وقد اطلقت للجميع الحرية في الدين والمذهب . نعم لاأسح للشيعة أن يهين الخلفاء الثلاثة ويزدرهم فان كان هذا يعد تمصبا فأنا متمصب .

كانت المدرسة قد أعدت خطبة للترحيب به واطلع عليها كما هي العادة في مثل ذلك فلم يسمح بقراءتها كلها حرصا على الوقت وخطب هو بالفارسية خطابا افتحه بالشكر لحكومة الهند على مساعدة المدرسة وذكر أنه سمع عن المدرسة الحسن والسبي، وكان السبي هو الغالب على ذهنه قال « فجتت لاعرف الحقيقة بنفسي لاني لاأثق في شيء من الاعمال بالروايات » ثم صرح بأنه بعد الاختبار الدقيق علم أن الطاعنين في المدرسة كانوا كاذبين وأكد ذلك ثلاثا قال « وجدت مجلس الادارة يبذل العناية التامة لجعل الطلبة على يقين في ايمانهم وان الطلبة يتقدمون وينمون ليكونوا من المسلمين الصالحين واتي سألتهم أسئلة يعسر على بعض المسلمين الصالحين حلها فأجابوا عن كل سؤال ولم تكن أجوبتهم سطحية لا يتجاوز حناجرهم بل كانت علما فائضا عن قلوبهم فأحمد الله ان وجنتهم على ثبات في دينهم واستقامة في آدابهم وسيكون حبيب الله خان بعد اليوم أحوص الناس على قطع السنة من يذمون هذه الكلية (وهنا صفق الحاضرون فأشار بيده أن أمسكوا وقال)

« من كان لا يزال يظن ان الدين والعلم لا يتفقان وان الدين يضمف حيث ينمو العلم فليات الى هذه الكلية وابر كما رأيت مايفعل العلم لفائدة الدين ومصلحة النابتة الجديدة . بلغني أن بعض المسلمين في الهند يسيئون الظن في بعض فروع التعليم فيالذلك من جهل فاحش . أصبحوا لما أقول انني أدافع عن التعليم الغربي وقد استبدلت بحسابه طريقا للشرا انشاء كلية دعوتها (الكلية الحبيبية) إضافة الى اسمي تدرس فيها العلوم الأوربية على الطريقة الأوربية الا انني أصر على القول بأنه لا بد من جعل التعليم الديني أساسا تقوم عليه جميع أركان

التعليم فإذا هدمتم الأساس هدم ما بنى عليه . لذلك أقول لكم اجملوا تميرين
الطلبة في علوم الدين غاية الغايات وقد وضعت هذا الشرط في كليتي وأرجو أن
يراعى هنا بالدقة التامة ولكن مع مراعاة هذا الشرط أكرر القول بأنني صديق
مخلص للتعليم الغربي وأحب له النجاح التام «
ثم آذن القوم بأنه قد وهب المدرسة عشرين ألفاً روية هبة معجزة ومرتباً
سنوياً قدره ستة آلاف روية

خاتمة السنة التاسعة

باسم الله نبدى القول ونعيده ، وبحوله وفضله نودع عاماً ونستقبل آخره ،
الحمد على ما وفق فيما مضى ، وإياه نسأل التوفيق لخير منه فيما يأتي ، فإن بيده ملكوت
كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، هو ربي إليه أدعو وإلىه أنيب ،
كانت السنة التاسعة للمنار كالسنين الأربعة قبلها في كثرة الاقبال على المنار
فيها وطلب المثين من الناس للاشتراك ولكننا رددنا كل طلب لم نعرف صاحبه ولم
يعرفنا به صديق نثق برؤوقه به لأن التجارب علمتنا أن أكثر الجهولين الذين
يطلبون الاشتراك ولا يرسلون القيمة عند الطالب يعطلون بعد ذلك ويسوفون ،
أو يهضمون الحق وهم منعمدون ، وان سوء حال الأكرين ، ينجمل على سوء الظن
بالأقلين من الصالحين ، وستكون هذه طريقتنا في السنة العاشرة ان شاء الله تعالى
لانرسل المنار الى أحد من طلاب الاشتراك الا اذا أرسل الينا القيمة مع الطالب الا
أن يكون معروفاً لدينا أو يطلب له ذلك من نثق بضمانه من أصحابنا فحسبنا ما قاسينا
من مطال الماطلين

قيمة الاشتراك في السنة العاشرة

قد جعلنا قيمة الاشتراك في المنار ستين قرشاً لأهل القطر المصري والسودان
فزدنا فيها عشرة قروش وهي سدس مجموع القيمة الآن والسبب في ذلك أن النفقة
زادت علينا ضعف ذلك أو أكثر فقد زادت اجرة المكان عما استأجرناه به أول

مرة متين وخمسة وعشرين قرشاً في الشهر بعد ما فصل منه عدة حجرات جعلت
دكاكين توجر بما هو أكثر من هذه الزيادة وزادت أجور العمال في المطبعة زيادة
تذكر فتستكثر وزاد مطل المشتركين مع ذلك

حال المشتركين

في كل سنة زاد ادعوا بصحة ما بيناه في المجلد السادس من أحوال « قراء
الصحف المنشرة » في الاقطار الاسلامية وأصنافهم في مصر (راجع ص ٦٣١٤)
وهي أشد البلاد مطالاً حتى ان بعض المديرين (كالدقهلية) لم يرسل النيا قيمة
الاشراك منها في هذه السنة الأنحوسة من المئة . نعم ان أكثر المشتركين في المديرين
لم يطالبهم بقيمة الاشراك مطالب ولم يذكروهم بها مذكروا والصحف نفسها لا تُعد
مذكرة في عرف البلاد فهم يقرؤونها ولا يخطر لهم ببال أن لها حقاً وأنها ما وصلت
اليهم الا بعد نفقة كبيرة لأنهم اعتادوا أن لا يؤدوا حقاً الى مستحقه الا بعد الجاح
في الطلب وكثرة مراجعة في السوءال ومنهم من يعز عليه أن يؤدي حقاً بدون حكم
قضائي ومنهم من لا يؤدي الحق بعد الحكم به الا اذا حجز على شيء مما يملك
وباعت الحكومة عليه أو حاولت بيعه . ألا ان شأن هؤلاء الناس في الي والمطل لغريب
وقد كنت اذا ذكر ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية في هذا الخلق المتسكن من
نفوس الاكثرين فأخبرني أنه ما يمكن الا بالوراثة . قال ان الحكومة لم تكن تحصل
الاموال المضروبة على الاهالي الا بالضرب والسبب في هذا ان الناس كانوا يدعون
الدم وهم واحدون ، وينكرون ما بأيديهم فاذا هم ضربوا يترفون ، كان أحدهم يضع
ما يطلب منه من النقد في فيه ويحلف لمامل التحصيل الايمان المغلظة انه لا يملك
الآن شيئاً حتى اذا ما برح الكرباج بجملده ، وشربت السياط من دمه ، أخرج
النقد من فيه ، ورى به الى المامل ثم انه يعود الى مثل ذلك الكرة بعد الكرة ،
لا يعتبر وان لدغ من الجحر الواحد سبعين مرة ،

وأقول الآن كما قلت من قبل ان أشد الناس مطالاً كتاب المصالح والدواوين ،
وصغار المستخدمين ، ثلث من حملة الشهادات الابتدائية ، وقليل من أصحاب الشهادات

النهائية ، وأظن أن التعليم الناقص مع عدم التربية الصالحة هو أشد تأثيرا في نفوس هؤلاء من الوراثة التي حدثني بأصلها ابراهيم باشا . طلب مني أحد هذه النابتة الجديدة أن أجعله مشتركا في المنار منذ اربع سنين فأجبتة الى ذلك اذ رأيتة ممن يرون لانفسهم مكانة في الادب يمتاز بها بين الجالسين على كراسي الديوان وانه دخل في زمرة أهل التأليف . وبعد ان تمت السنة الاولى من اشتراكه كان كلما رأني يمدني بان سيرسل الي قيمة الاشتراك على رأس « الشهر الآتي » فلما كرت الشهور على هذا الوعد المكررا وهو أمر على خلاف المثل القائل « المكرر أحلى » صرت اذا رأيتة أتبسم تعجبا فيادر بالاعتذار . وأي عذر اقرب الى الازهان من النسيان . ثم قال لي غير مرة لعلك تذكرني في أول الشهر بكتاب يرسل أو وكيل يسأل فخار يته بهذا وذاك وأني تنفع مثله الذكري أمثال هؤلاء . يعجب منهم ولا يعتب عليهم ومن المشتركين من يعتب عليهم و ينمجب منهم كبعض الاغنياء الذين يؤخرون قيمة الاشتراك عدة سنين لمحض الكسل وهم من محبي المنار وعارفي صاحبه الذين يعتقد أنهم راضون عن عمله مضبوطون به ويتمنون دوام نجاحه ، ألا يفكر هؤلاء في كونهم أجدر الناس بالسبق الى اداء حق المنار في أول كل سنة وان الاجدر اذا أخر كان غيره أولى بالتأخير أو الظلم بالجهد وكيف يقوم حينئذ عمل ينفق عليه في كل شهر بضعة آلاف أما حال المشتركين في سائر الاقطار فهي على ما شرحنا من قبل الا أن مسلمي روسيا قد قصر بعضهم تقصيرا معظم سببه تأثير الحرب في بلادهم فقد تمطل البريد في بعضها فلم يصل اليها المنار مطردا ولم يتيسر لاهلها ارسال النقود . وما زلنا نقول انهم احسن المسلمين وفاء في الغالب بعد عرب نجد وحضر موت انما كانوا وحيثا أقاموا . وأما أهل تونس فما زال الوكيل الذي أقبل منذ سنة يرجي حسابهم وانما يمكن الحكم عليه الآن من دونهم وسبكون ذلك في جزء آخر ونختم الكلام بالثناء الحسن على السابقين بالخيرات من أهل هذه البلاد وغيرها وهم الذين يؤتون الحق في أول وقته أو قبله وعلى المقتصد بن الدين يؤتونه متى طولبوا ، ولا يؤجلونه وان لم يستمعجلا ، فبهؤلاء تقوم الاعمال ، ولولاهم لفسد العمران ،

طلب الاجزاء المفقودة وحال البريد

ومما يفيد ذكره في هذا البحث أو الدرس ان أكثر المشتركين مطالماً أكثرهم مطالبة بأجزاء يدعون انها لم تصل اليهم وان الرسائل التي ترد علينا ربما كان ستون منها في المئة خاصة بطلب الاجزاء المفقودة . وقد بحثنا في هذه المسألة فبين لنا بعد التحري والتدقيق ما يأتي (١) ان بعض الاجزاء يفقد بتقصير من ادارة المجلة والسبب الغالب في ذلك أن يسقط بعض العنايات أو يذهل عنه عند الصاقها على الغلاف ومن غير الغالب أن يسقط بعض الاعداد من العربة التي تنقل الاجزاء الى البريد . وكل من الغالب وغير الغالب نادر (٢) ان عمال البريد يخطئون من كل جزء عدة نسخ لكنهم يراوون فيها فلا يلتزمون نسخ مشترك معين وقد يخطئون في التوزيع فيعطون المرء ما ليس له (٣) ان كثيراً من المشتركين لهم أقارب أو أصدقاء يحبون قراءة المجلة فهم يأخذونها عند عجيبتها قبل أن يراها صاحبها . ومن هؤلاء الذين يأخذ الاقربون والاصدقاء نسخهم من يبادر الى طلب بدلها من ادارة المجلة . ومنهم من لا يطلبها الا بعد العلم بصدور ما بعدها ومنهم من لا يطلب الا في آخر السنة أو عند المطالبة بقيمة الاشتراك ، ومنهم من يطلب بعد سنين أجزاء فقدت منها (٤) ان من الناس من يدعي أن الاجزاء لم تصل اليه منذ كذا شهراً وهو يعلم انه لم ينقطع عنه منها شيء . وهؤلاء هم الذين يعتمدون هضم الحق ويستبيحون الكذب في ذلك . وقد اتفق أن واحداً منهم طواب بقيمة الاشتراك فقال للمطالب اني لم أر المنار منذ كذا وذا كر سنة أو أكثر أو أقل فالتفت المطالب الى نافذة بجانب الرجل فيها أوراق فرأى فيها عدة أجزاء من المنار هي آخر ما صدر منه فقال له وأي شيء هذا وأشار الى الاجزاء ١١ فرده رداً آخر ونحمد الله ان كان هذا الصنف من مشتركى المنار قليلاً كثيراً الله في أمة من أفراد

لكثرة طلب المفقود نصح في كل سنة بأن من طلب جزءاً لم يصل اليه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد صدوره كان حقاً على الإدارة أن ترسله اليه ومن

طلبه بعد ذلك وجب أن يرسل ثمنه (وهي الآن ستة قروش صحيحة) فإن وجد أرسل اليه والادارة لاتضمن وجوده ولكنها تضمن ما يصل اليها من الدراهم

تقصير ادارة المنار

قد كان تقصير الادارة في اصدار المنار في مواعيده (أوائل الشهور) أشد في هذه السنة من فيما سبقها والسبب في ذلك انكسار آلة الطبع وطول الامد على إصلاحها ثم ماعرانا من التوعك غير مرة . وقد قصرنا أيضا في مكتبة من كاتبونا من المشترين والمحميين ومعظم السبب في ذلك كثرة الاعمال مع فقد المساعد وعسى أن لا تقصر من بعد

الانتقاد على مباحث المنار

ليس عندنا انتقاد على المنار في هذه السنة لم ينشر الا ما كتبه بعض القراء في انكار نشر رسالة الدكتور صدقي (الاسلام هو القرآن وحده) وعندنا أن الحق يملو ولا يعلى لا تطمسه شبهة ، ولا تقوم للباطل عليه حجة ، وأما يخاف على دين من ليس على يقين من دينه ومن كان كذلك لا يعند بدينه ولا يترك بحث الباحثين لأجله أما الانتقاد بالقول فقد بلغنا منه مسألان جديران بالذكر قائلها أحدهم فضلاء الأوربيين (احدهما) ما ورد في الجزء الماضي من وجوب الهجرة على المسلم الذي يقع تحت سلطة غير المسلم . ورد ذلك في مقالة من مقالات العمرة الوثقى نشرت في الجزء الماضي . ونقول اننا لم ندع في المنار الى الهجرة التي تنافي مصلحة الأوربيين المستعمرين ومصلحة رعاياهم المسلمين في هذا العصر وأما هو أثر تاريخي تغيرنا كتب لغرض سياسي فات وقته ومضى زمنه فلم يخطر في بالنا أن نحذف كلمة الهجرة منه ولأنه يكون لها تأثير يذكر . بل نقول إن الاستاذ الامام لم يكن يرى في آخر أيامه أن الهجرة واجبة على المسلمين من رعايا الاجانب الذين لهم من الحرية في الدين ما لا يكادون يجدون مثلها في البلاد التي يحكمها المسلمون . وقد جرب بعض أهل الجزائر فهاجروا الى البلاد العثمانية وبلغنا أنهم لم يلبثوا أن ندموا (الثانية) قولنا في الجزء الماضي أيضا ان الأفرنج لا يكاد يوثق

بعلمهم النظري والمثلي لانهم لم يمتقنوا الا العلوم العملية المبنية على التجربة والنس .
واقول اني تشبهت بعد طبع الكراسة التي فيها هذه الكلمة الى ما فيها من المبانة
في الجرح الذي لا ينكر أصله منصف لاسيا مع المقابلة بين العلوم النظرية وغيرها
ولولا انها الكراسة العاشرة لاسندركت على العبارة في ذلك الجزء قبل
ان ينتقد أحد . ومن غريب انتقاد المكابرين زعمهم أن المنار مجلة دينية فكيف
تنشر بعض الآراء السياسية وهو لاء لا يلتفت الى قولهم ويكفي في اظهار أفتياتهم
قراءة عنوان المجلة ولو انتقدوا كثرة المسائل الدينية لكان انتقادهم أقرب

الثناء على المنار

أما ما يرد علينا من الثناء على المنار من الغرب والشرق فهو عظيم وإنا
لنحجل من نشره لاسيا اذا كان محضاً ونسأله تعالى أن يوفقنا الى ما يحقق ظن
من يحسنون الظن بنا وان يقينا نشر الفرور بالنفس ، وانفلة عمالاً مخلوعه من تقصير ونقص ،
الدعوة الى الانتقاد والتأييد

وإنا ندعو أهل الفيرة على الملة والأمة من العلماء والفضلاء الى الانتقاد
بالكتابة على ما يرونه خطأ أو باطلاً ما ينشر في المنار ونقدم بنشره مقروناً بالثناء
والإقرار بالقبول اذا أقنعنا أو ببيان ما عندنا من إيضاح مقصدنا وتأيدته بالدليل
والحق بعد ذلك لا يخفى على الجماهير اذ هو الذي يعلو ولا يعلى . كما ندعوهم الى
تأييدنا فيما ننشره من بيان الحق والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم
ومن الارشاد العام لكل من يصل اليه صوتنا وتبانه مجلتنا من البشر فان الدعوة
اذا أيدها المعتقدون بحقيقتها ونفعها لا تلبث أن تنتشر انتشار الشعاع وترسخ رسوخ
الاطواد . وانما يجيب دعوتنا الى الامرين من جعلهم الله أهلاً للدعوة الى الخير
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، وحزب الله الغالبون ،
اما حزب الشيطان الخاسرون فانهم يمهزون ويلمرون ، ويقتابون ولا ينصحون ،
ويحسبون انهم على شيء . ألا انهم هم الكاذبون ، والعاقبة للمتقين ، وسلام على
المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ،